ملفات سرية

الحركة التحررية الكوردية

وصراع القوى الاقليمية والدولية

1958 - 1975

أيوب بارزاني



Editions Orient-Réalités, Genève

الحركة التحررية الكوردية
وصراع القوى الاقليمية والدولية

1975 – 1958

أيوب بارزاني

دار نشر حقائق المشرق - جنيف

Editions Orient-Réalités

الترقيم الدولي: 9782940325030
دار نشر حقائق المشرق- جنيف – سويسرا
تصميم الغلاف: صلاح الشمري

العنوان:
Editions Orient-Réalités
P.O.Box: 1150
1211 Geneva 1
Switzerland
Email: shilo@genevalink.ch

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ والمؤرخ والمناضل القدير الدكتور عصمت شريف فانلى لتلطفه بالسماح لي استخدام أرشيفاته ومناقشته. والدكتور ريبوار فتاح الذي زودني بالمصادر الجيدة والوثائق الهامة والدكتور عبدالمصور بارزاني للسماح لي بالاطلاع على مخطوطاته التي لم تطبع بعد، ول (بادين) الذي أسعفني بعدد من الكتب المتعلقة بموضوع هذا الكتاب واهتمامه المتواصل الى ان أنهيته، كذلك امتناني وشكري لـ بروسك أسعد الذي زودنى بعدد من المصادر. وثم امتناني وتقديري لأصدقاء أخرين في الوطن وفي المهجر. طلبوا أن لا أذكر أسمائهم خشية تعرضهم للاضطهاد.

أيوب بارزاني

آذار 2011 جنيف – سويسرا

"In a time of universal deceit, telling the truth is a revolutionary act." {George Orwell}

قول الحقيقة في زمن الخداع العالمي هو عمل ثوري

جورج اورويل

"All truth passes through three stages. First, it is ridiculed. Second, it is violently opposed. Third, it is accepted as being self-evident." {Arthur Schopenhauer.1788-1860}

تمرّ كل حقيقة عبر ثلاث مراحل: أولاً تجابه بالسخرية. وثانياً تعارض بعنف وثالثاً يرحب بها على أنها من البديهيات –
أرثر شوبنهاور (1788-1860)

"Anyone who has proclaimed violence his method inexorably must choose lying as his principle." {Aleksandr Solzhenitsyn}

"كل من لجأ للعنف كوسيلة لبلوغ أهدافه. يتحتم عليه اعتناق الكذب كمبدأ."
الكسندر سولجنتسن

المقدمة

ثورة شعبنا الجبارة. التي امتدت حوالى أربعة عشر عاماً انهارت خلال أيام! ظاهرة تاريخية نادرة تستحق الوقوف أمامها بالتحليل العميق والعثور على عوامل الشلل والتفسخ الداخلي والانحدار المفاجئ. كيف ولماذا؟

كانت هزيمة عام 1975 نتيجة تصورات خاطئة نشرتها الدعاية الحزبية المضللة في الذهن الشعبي الكوردي على أوسع نطاق حول النخبة القيادية في الحزب الديمقراطي الكوردستاني كعباقرة وأبطال نادرين في التاريخ يستحقون كل الثقة من الشعب. والمكتب السياسي نفسه كان المسؤول الأول عن هذا المنحى الخطير إذ لم يقيّموا ميزان القوى المحلية والاقليمية والدولية بشكل واقعي ولا متطلبات المعركة المصيرية واستراتيجياتها بشكل صحيح. ودون التأكد من أهلية القيادة ووحدتها لمرحلة النضال الشاقة. أقحموا الشعب الكوردي في معركة النضال التحرري. وعندما استجاب شعبنا لنداء النضال بعزم وهمة. انشقت القيادة وأصابها الارتباك والتناحر الداخلي وانفرد ملا مصطفى بالقرارات المصيرية وبعقلية خارج روح العصر الى أن أوصلوا شعبنا الى الكارثة. وتخلوا عن الشعب الذي استجاب لهم وقدم كل ما لديه تلبية لمتطلبات الكفاح الثوري.

ليس من الصحيح وضع أي قائد فوق النقد. بل هو بشر يصيب ويخطئ. والواجب تبيان خطئه إذا أخطأ. ومحاسبته إذا أساء. وكون قائد يحتل مركز المدافع عن حقوق الشعب. مفروض عليه ان يستعد للتضحية في سبيل ذلك. ولا يجوز ان يكون في منأىً من النقد او الادانة والمساءلة. حين يستهتر بقيم النضال التحرري وينحرف لتحقيق غايات شخصية تحت قناع الدفاع عن حقوق الأمة.

يقول المحلل السياسي البريطاني Brian Whitaker "إن الشرق الأوسط يعزو مشاكله دائماً الى الغير" فمن الواضح ان أصحاب هذا المنطق. يهملون النظر الى الصورة كاملة. ولايرون الاّ لما يروق لهم. فالامم تقاس بتاريخها. وأيضاً كيفية مواجهتها للنكسات والهفوات على مر التاريخ. إنها مهمة تتطلب مشاركة القيادة السياسية الناضجة من جهة والمواطن الواعي من جهة أخرى. وامتلاك روح إنتقادية بناءة من أجل مستقبل أفضل. وعندما تتفادى الحكومات والأمم عمداً قراءة النتائج التاريخية بصورة صحيحة للتملص من الاعتراف بالأخطاء. تكون قد دخلت في عملية تضليل للذات. إذ ليس من شيمة الأمم الحية تجاهل

الأخطاء التي أرتكبت في تاريخها. ونحن ككورد مفروض علينا مواجهة ماضينا بحقائقه السلبية والإيجابية. وأن نواجه أيضاً أحداث التاريخ بصدق وأمانة وهذا يستدعي الشجاعة والتضحية. خاصة في مجتمعنا الذي لقن على عادة تعظيم القادة وتقديسهم بشكل يناقض منجزاتهم. مما يدخله في إطار النفاق والتملق.

إن الاعتراف بأخطاء الماضي. بعضها - كوارث وطنية - وتسميتها بالإسم قد لايكون سهلاً. خاصة بالنسبة لأولئك الذين كانوا مسؤولين عنها مباشرة. ليس فقط أنهم لايعترفون بل يسعون الى كم أفواه الآخرين بوسائل إرهابية لمنع ظهور الحقائق. إن الإمعان في إنكار الأخطاء الماضية يولد خللاً في الذاكرة التاريخية و في وعي الامة. واستدامة الركود على الصعيد المعنوي. ثم يشمل جميع أوجه الحياة في المجتمع. وعلى الجيل الجديد أن يمتلك الشجاعة ويواجه الحقائق وتعميمها. ويقوم بالمهمة رغم المخاطر. وفي إعتقادي ان النضال السياسي والثقافي في السنوات الأخيرة من أجل تطوير الحياة الديمقراطية في كوردستان سوف يغير ولو ببطء أراء الجماهير الكوردستانية. وأملي أن يسهم هذا الكتاب في معرفة أحداث التاريخ قيد البحث بشكل أكثر واقعية. خاصة فيما يتعلق بمسؤولية القيادات الكوردية في القتال الداخلي والنكسة عام 1975. وفيما بعد "حرب الزعامات" الى 1998.

يقول الكاتب الأمريكي Henry Miller (1891 – 1980) : "جميع الأشياء التي نغمض أعيننا عنها حتى لا نراها. وكل الأمور التي نهرب منها. ننفيها ونقلل من أهميتها أو نحتقرها. تلحق بنا الهزيمة في النهاية. والأشياء التي تبدو مقرفة. مؤلمة. ومسيئة. يمكن أن تصبح مصدراً للجمال والسعادة والقوة. إن واجهناها بعقلية منفتحة." لقد اعترفت ألمانيا بالجرائم التي إرتكبها القادة النازيون. فتحرر عقل الأمة الألمانية من عبء الماضي الكابح لعقلها المبدع. ولاتزال تركيا تتجاهل ماحصل للأرمن والكورد من مذابح. فبقيت في مستنقع الركود المتجاهل لوقائع التاريخ الضاغطة. فالأمانة مع الشعب التركي تقتضي وضع الحقائق أمامه كاملة غير منقوصة. وهذا ما أخفقت فيه العقلية الكمالية المتحجرة. وهناك تحرك ثقافي يتراكم داخل بعض أوساط المجتمع التركي ترى في العقلية الكمالية عائقاً أمام تقدم المجتمع. نيكيتا خروتشوف فضح ما ارتكبه ستالين من جرائم بشعة. وواصل الشعب الروسي فض غبار الماضي ليرى الحقائق بعد الحقبة الشيوعية فحرر عقله من أخطائها وليجدد إنطلاقته نحو مستقبل موعود. في كل ذلك دروس وعبر لنا نحن أمم الشرق.

صدر الكتاب الأول من هذه السلسلة عام 1980 تحت عنوان "بارزان وحركة الوعي القومي الكوردي 1826 - 1914" ثم الكتاب الثاني عام 2002 بعنوان "المقاومة الكوردية

للاحتلال 1914 - 1958". وترددت في عنونة الكتاب الحالي. بين (الطريق الى الكارثة 1958 – 1975) أو (زعامات الكوارث) وكلاهما ينطبقان على محتوى الكتاب. أخيراً اخترت له عنواناً "الحركة التحررية الكوردية وصراع القوى الاقليمية والدولية 1958 – 1975". ليس الهدف من هذا الكتاب. ولا من اللذان سبقه الانشغال بخصومات أو إثارة مسائل شخصية مع أياً كان. فالهدف هو سرد حقائق لشعبنا الذي حرّم من حقه المشروع في معرفة تاريخ قادتهم وكيف تصرفوا في لحظات التاريخ الحاسمة. هذه الوقائع التاريخية الهامة طبعت بصماتها العميقة على جميع مناحي الحياة الكوردية ولأجيال متعاقبة وتعرضت لتشويه واسع ومستدام. وتأخر كشف هذه الحقائق كثيراً. هذا الكتاب يتناول الفترة بين 1958 - 1975. وهي الفترة التي شهدت اندلاع الحركة الكوردية. صعودها وهبوطها وانهيارها. وقد ركزت في الجزء الأول من الكتاب على التطورات الداخلية للانتفاضة الكوردية المسلحة. وفي الجزء الثاني منه ركزت على العلاقات الدولية في أوج الحرب الباردة وعدم تناغم علاقات الحركة الخارجية ومتطلبات الوضع الداخلي. حيث يدور الصراع بين موسكو و واشنطن على مصادر الطاقة في الشرق الأوسط. وصراع مكمل بين عواصم الدول الإقليمية بغداد وطهران وتل أبيب وكيف تصرفت الزعامة الكوردية وسط هذه الصراعات ومع إدارة اللاعبين الرئيسيين دولياً واقليمياً: ريتشارد نكسون. بريجنيف. صدام حسين. وشاه إيران وآخرين ممن أسهموا في بلورة هذا الصراع الذي انعكست أثاره على الحركة التحررية الكوردية بقيادة ملا مصطفى. وكل هذا مبني على أرشيفات حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بشكل رئيسي وعلى ما تيسر لي من مصادر سوفيتية. ايرانية. عراقية. إسرائيلية وكوردية وشهادتي الشخصية على الأحداث في تلك الفترة.

أبرم صدام حسين ثلاث إتفاقات. محلية ودولية واقليمية: بيان 11 أذار عام 1970 مع ملا مصطفى. المعاهدة العراقية السوفيتية للدفاع المشترك في 9 نيسان 1972. ثم إتفاقية الجزائر مع شاه إيران في 6 أذار عام 1975. هذه الاتفاقيات كانت تهدف حماية نظام البعث وتقوية مواقعه داخلياً وخارجياً. وبعد ان شعر النظام بأنه في مأمن. تبنى سياسة توسعية عدوانية. في حين لاذت القيادة الكوردية بالخارج وهدمت المناعة الداخلية. واندفعت نحو تحالفات غير مكنونة ومثيرة للجدل. فالشاه هو الذي أمر بإعدام قاضي محمد ورفاقه عام 1946. وظل معادياً للحقوق القومية للشعب الكوردي في كوردستان الشرقية طوال فترة حكمه وعندما سحب الشاه دعمه لقيادة الحركة الكوردية. لم تتواجد اعمدة داخلية تتكأ عليها الحركة لمواصلة الكفاح. ورغم غياب هذا السند الداخلي وصعوبة الظروف السياسية واللوجستية كان الشعب الكوردي على استعداد لمواصلة الكفاح بعزم وهمة. لكن القيادة الكوردية كما سنرى تخاذلت وفرضت على شعبنا قرار الاستسلام.

تعود جذور العنف في العراق الى حد كبير لتصميم استعماري تمثل في فرض عملية إلحاق كوردستان بالعراق وصوغه لتركيبة الدولة وهويتها وحدودها المصطنعة وتهميش شرائح هامة من السكان وحرمانهم من التمتع بالحقوق والامتيازات التي يوفرها البلد من ثروات طبيعية هائلة. واعتبر العراق بلداً يعاني من عدم استقرار مزمن وغير جدير بالثقة حتى من قبل الدول العربية نفسها. لقد تحجرت القيادة العراقية بأيديولوجيتها القومية المتطرفة داخل العقلية العسكرية وظلت عاجزة عن تقديم الحلول السلمية للمشاكل الداخلية إلا من خلال العنف. فالعنف القومي ضد الشعب الكوردي أبقى البلاد في حالة تقيح سياسي واجتماعي شديد وتصاعدت وتيرة العنف بين المركز بغداد وشعب كوردستان. وانعكست في عمليات قتال دامت عقوداً من القرن العشرين. أدى فيها الجيش العراقي دور المحتل وقام بما وصفته المنظمات المدافعة عن حقوق الإنسان بجريمة الإبادة الجماعية. مال البريطانيون في مناسبات عديدة نحو العنف في حل النزاعات الداخلية. وأخذتها منهم النخب العربية السنية المختارة من قبل البريطانيين. هذه النخب العربية لم تكن ناضجة سياسياً لحكم الشعب العربي. فما بالك بوضع الشعب الكوردي في عهدتها. لقد كان لبريطانيا دور هام في نفخ الروح القومية العدوانية في هذه النخب وتأليبها ضد الشعب الكوردي. وضد العقيدة الشيوعية ونفوذها في الشرق الأوسط..

تصدر اسم (العراق) منذ عام 1980 صدارة الصحافة وقنوات التلفزة العالمية. كما أصبح موضوعاً تتناوله مراكز الدراسات الاستراتيجية بتحليلاتها في كثير من الدول. والظاهرة الأكثر بروزاً هي "العنف المجاني". حروب متتابعة. داخلياً حروب مستمرة ضد الشعب الكوردي. الى جانب القمع الوحشي ومصادرة الحريات للشعب العربي وبالأخص من منتسبي الحزب الشيوعي العراقي ومن منتمي المذهب الشيعي. كما إن النخب السنية المناهضة للحكم الشمولي عانوا من الاضطهاد ولم ينجو من الإرهاب والتصفيات شعوب أخرى: الآشور- كلدان والتركمان والمنتمون لديانات أخرى غير إسلامية مثل الإيزدية وخارجياً حرب ضد إيران وغزو الكويت. ثم التدخل العسكري الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لتحرير الكويت وتم غزو العراق واحتلاله عسكرياً عام 2003.

كم عدد الذين ماتوا في السجون وتحت التعذيب ؟ وكم عدد الاغتيالات التي نفذها عملاء النظام ضد المعارضين؟ وكم هم ضحايا حرب كوردستان؟ وعدد القتلى والجرحى في حروب صدام حسين من قادسيته الى غزو الكويت ؟ وأم المعارك حسب تسمية صدام حسين لها. وأيضا كم عدد الضحايا أثناء هجوم القوات الغربية لتحرير الكويت و غزو العراق عام 2003 وما تلا ذلك من عنف أعمى في المدن أوقع آلاف الضحايا؟ بلا شك لايمكن إعطاء رقم دقيق. لكن يمكن حساب مئات الآلاف.

فكل ما كان يجب تفاديه من عنف وكراهية وقمع. قد حصل. وكل ما كان يجب ان يتحقق من الرخاء الاقتصادي والتقدم العلمي والتجانس الاجتماعي والعيش المشترك في ظل القانون لم يحصل. لم يكن هناك مبرر للعنف لو كان هناك التزام بالديمقراطية ومبادئ حقوق الانسان. لكن العنف ساد الحياة اليومية لهذا البلد المنكوب بنخبه السياسية خلال معظم عقود القرن الماضي. وعاش المواطن العادى في ظل الخوف والشعور الدائم بانعدام الأمن.

وان بلداً يملك هذه الثروة الطبيعية الهائلة. إن لم تتفاهم نخبه وأحزابه السياسية لحل مشاكل شعوبها بالطرق السلمية الديمقراطية. يصبح فريسة للانقلابات العسكرية الدموية ويتعرض لتمزق داخلي يقضي على الوحدة الوطنية. ويتعرض البلد برمته للتدخلات الخارجية المغرضة فكلما حلت المشاكل عن طريق التفاوض وبروح الحرص على مستقبل الأجيال القادمة وبالمساواة في حق الشعوب في تقرير مصيرها. كلما تقلصت فرص التدخلات الخارجية المعادية لمصالح البلاد.

فلقد بقي العراق مايقارب القرن بمرحلتيه الملكية والجمهورية. تحت حكم نخب "غير ناضجة سياسياً" . و"دكتاتورية شمولية" في مرحلة حكم البعث. هذه النخب لم تتمكن من الارتقاء الحضاري في مجال علاقة "الحكم" ب "المجتمع". لقد إستخدمت مؤسسات الدولة المسلحة: الجيش والشرطة والأجهزة الأمنية ضد المجتمع. ولم يتطور المجتمع المدني. وازداد تراجع السلطة عن "قيم الحضارة" نحو "قيم البربرية". فقد أصبحت النخبة البعثية الحاكمة 1968 – 2003 أول حكومة في تاريخ البشرية تستخدم السلاح الكيمياوي ضد سكانها المدنيين من مواطنيها. (الشعب الكوردي الشقيق!..) ولا يمكن مقارنة عنف العهد الملكي في العراق بالعنف الذي مورس في العهد الجمهوري. وبالأخص حكم حزب البعث العربي الاشتراكي بزعامة صدام حسين. فقد كان دموياً بامتياز. فرغم الهيمنة السنية العربية في العهد الملكي. تقلد العديد من الشخصيات الكوردية مناصب رفيعة في الدولة. مدنية وعسكرية. وكان للبعض دور مرموق في وضع حد للمظالم التي كان يرتكبها الاقطاعيون الكورد ضد القرويين. سعيد قزاز. الذي اعدم بعد انقلاب تموز 1958 واحد من الشخصيات البارزة التي حازت على إحترام طبقة الفلاحين في مناطق بادينان.

افتقرت النخب السياسية الحاكمة في بغداد. بالأخص بعد انقلاب تموز 1958 إلى نخبة حضارية متزنة تعرف كيف تمارس "ديمقراطياً" السلطة السياسية لأجل تقدم المجتمع وازدهاره بكافة مكوناته الدينية واللغوية والقومية وتؤمن بتداول السلطة سلمياً.

وعانى الشعب الكوردي من نفس المرض النخبوي. لقد تشكلت أحزاب يقودها أفراد سرعان ما انقلبوا الى مستبدين بإسم القومية ودفاعاً عنها!. وأستغلوا قضايا وطموحات مجتمعاتهم لمنافع شخصية وعائلية بينما قادوا شعوبهم نحو الدمار والتبعية والذل.

فبإلقاء نظرة سريعة على نشوء الاحزاب وتطورها في العراق وكوردستان، كحزب البعث العربي الإشتراكي والحزب الديمقراطي الكوردستاني. نجد كيف نشأت وفق مبادىء التحرر الوطني وتحقيق المساواة الإجتماعية وخدمة الطبقات الفقيرة من فلاحين وعمال. ثم إنتهت الى أحزاب تابعة لإرادة الفرد الدكتاتور وبطانته وابتعدت عن المبادئ الاستراتيجية التي نشأت من أجل تحقيقها. فنشرت الظلم والفساد بدل تحقيق العدالة الاجتماعية المنشودة.

وفي سبعينات القرن العشرين، شهد المسرح السياسي الكوردي الإيراني العراقي، بروز ثلاث شخصيات رئيسية أسهمت في صنع الأحداث المأساوية في المنطقة: شاه إيران محمد رضا بهلوي، ملا مصطفى وصدام حسين. هؤلاء القادة، ساهموا في مآسي شعوبهم. فقد انتهت الحركة الكوردية بقيادة ملا مصطفى الى كارثة وطنية عام 1975. إذ تفرّد بالموارد والقرارات الداخلية والخارجية. وهو الذي حدد مسارات الحركة الكوردية وتوجهاتها الى ان أوصلها الى حالة التردي والهزيمة. وأقحم صدام حسين العراق في حروب مدمرة إنتهت بتدخل امريكي- بريطاني- اسباني للعراق عام 2003. ولاذ هو بجحر تحت الأرض. أخرجه الجنود الأمريكان، ثم حوكم وأعدم. كما سقط من قبل عرش الشاه في عام 1979 وطُرِدَ "الإمبراطور" تاركاً البلاد ذليلاً بفضل ثورة الشعوب الإيرانية على حكمه الدكتاتوري الفاسد.

فنزعة قوية من "جنون العظمة" ركزت إهتماماتهم على الذات، وتضخم الـ "أنا" الغارقة في الأنانية مقابل تقزيم الآخر. لقد تجاوزت مصالح الزعماء مصالح الشعوب والأوطان. ونشأ لديهم فقدان الإحساس بمعاناة أممهم والمخاطر التي ستواجهها جراء التفرد بالسلطة المطلقة. كانت رغباتهم الشخصية تمثل سياساتهم وخلطوا عمداً بين ما هو "مال شخصي" وبين "المال العام". والثلاثة استغلوا طموحات شعوبهم، و إحتكروا السلطة السياسية كل بطريقته، ووفق ما لديه من إمكانات، تصرفوا بالأموال العامة لشراء الذمم وافساد مجتمعاتهم بهدف إطالة حكمهم، وعمل الثلاثة على توريث الثروة والسلطة لأبنائهم بدوافع شخصية محضة، دون كثير مبالاة بمصائر الشعوب.

كانت أوضاع الشعب الكوردي تختلف كثيراً عن أوضاع الشعوب المجاورة. فقد كانت لدى هذه الشعوب حكومات ودول. في حين كان الشعب الكوردي مسلوب الإرادة ومحروماً من حقه في تقرير المصير. لابل كانت هويته مهددة. فالجيش العراقي يشن حملات عسكرية متعاقبة لحرق وهدم حقول وقرى كوردستان. وكان الشعب الكوردي يناضل من أجل نيل حقوق بسيطة للحفاظ على هويته الثقافية. وحتى لذلك لم يتسع صدر حكومات بغداد. لذا كان أمراً في غاية الخطورة أن تتصرف القيادة الكوردية مع شعبها بنفس أسلوب دكتاتوريات الشرق الأوسط. وقد عانى الشعب الكوردي الويلات من جراء سلوك قيادة غير مؤهلة في أداء دورها الثوري والنضالي في عملية الصراع الشعبي المسلح الذي طال حوالي 14 عاماً. ثم جاء الورثاء. قادة صغار النفوس. لاحدود لجشعهم. مهووسون بما توفره السلطة لهم من نرجسية وملذات. وتحول "الثوريون" بسرعة هائلة الى "مقاولين" وبدلاً من أن يضعوا أنفسهم حرّاس المال العام. نراهم وبنهم مشهود له وضعوا أيديهم على أموال شعوبهم فوزعوا الشركات والعقود على عائلاتهم ورجال حاشيتهم. وتملكوا المعروف وغير المعروف من المباني والحسابات البنكية والمشاريع التجارية الضخمة داخل الوطن وخارجه.

فالثلاثة. محمد رضا بهلوي. صدام حسين وملا مصطفى. في فترات مختلفة كانوا يتحاربون أو يتفاوضون أو يتحالفون أو يوقعون اتفاقات لكسب الوقت لاغير. وهذا الكتاب يتناول كل ذلك عبر أحداث تاريخية هي حصيلة علاقات محلية وإقليمية ودولية نشأت وتطورت بضغط من مقتضيات الحرب الباردة بين القوتين العظميين النوويتين. الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية. وإشارتي إلى الأشخاص بالاسم. هو أيضاً تعبير عن غياب الإرادة الجماعية. مجلس وطني منتخب. جهاز تنفيذي (حكومة ديمقراطية) تنفذ سياسة معينة وتتحمل جماعياً نتائج أعمالها أمام البرلمان المشرف على أداء الحكومة. ونظام قضائي عادل ومستقل. نحن أمام الحاكم الفرد المطلق الصلاحيات الذي يحدد كل مسارات الصراع أو إنهائها. ليس للشعوب كلمة في كل ذلك غير الطاعة والتضحية دون مقابل. وفي كثير من الأحيان تذوق الشعوب الذل. فقد تخلت القيادة الكوردية عن شعبها بقرار الهرب خلسة الى إيران عام 1975. مسلمة الشعب الكوردي الى أقسى طاغية عرفه العراق الحديث. كما اضطر الباقون الى الاستسلام لنظام الشاه الذي توصل الى اتفاق مع صدام حسين في قمة الجزائر في آذار عام 1975.

ويكتشف القارىء خلال قراءته لفصول الكتاب. ماهية الفريق الذي قاد الحركة التحررية الكوردية بقيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة ملا مصطفى. وعلى عكس ما حصل في كثير من الثورات التحررية لدى الشعوب المستعمرة. إذ قادت البرجوازية الوطنية العناصر الإقطاعية في الصراع الشعبي التحرري المسلح. في حين

انعكست المعادلة هذه لدى قيادة الحركة الكوردية التحررية سلطة (أغوية في منطلقها الأيديولوجي). ونرى بوضوح قلة الالتزام بالثوابت القومية والوطنية لدى الاثنين. البرجوازية الصغيرة النامية وعناصر الإقطاع الكوردي. كانت النخبة القيادية الكوردية التي هيمنت على الحركة الكوردية مشكلاً من أعضاء المكتب السياسي. تلقوا ثقافتهم في جامعات عراقية. وقلدوا النمط القومي العربي بكل ما فيه من تعارض مع القيم الديمقراطية أو تبنوا الماركسية اللينينية تقليداً لطلائع الشيوعيين العراقيين. وفي النهاية تحكمت في الحزبين (حزب البعث العربي الاشتراكي -عراق- والحزب الديمقراطي الكردستاني) إرادة الفرد الواحد. في الحالة الكوردية. كان الفارق كبيراً في العمر بين رئيس الحزب وأعضاء المكتب السياسي. كذلك في مستوى التحصيل العلمي. كان ملا مصطفى ذكياً لكن بلا تحصيل علمي عصري. يعرف كيف يستخدم القوات العشائرية ويهزم خصومه المحليين في القتال. والخلافات بين الإثنين. أعضاء المكتب السياسي لـ (حدك) ورئيسه. لم تكن خلافات عادية بين مناضلين وطنيين حريصين على مصلحة شعبهم ومتسامحين يُحِلّون خلافاتهم بالوسائل الديمقراطية والرجوع الى دستور الحزب وعلى ضوء مصلحة الشعب الكوردي. بل لجأ الاثنان وبسرعة فائقة الى لغة الرصاص وبعصبية هستيرية.

انحدر الخلاف بين الطرفين في مراحل معينة الى مستوى من الإنحطاط في القيم الوطنية أدهش المراقبين. دون إعتبار لما تسببه من مخاطر على أقدار الشعب الكوردي.. ولعل أكثر مايبعث على الأسى هو السماح للكراهيات بالتحكم في المواقف السياسية للجانبين على حساب حقوق الشعب الكوردي الذي كان يخوض غمار حرب ظالمة تشنها الحكومات العراقية. كانا يدخلان في هدنة مع بغداد او التحالف معها بقصد التفرغ لتصفية الحسابات الداخلية فيما بينهما... كما لجأت القيادات الكوردية الى نقل "الكراهيات الحزبية" بشكل مبرمج الى اوساط الجماهير. بتستر أحياناً ومعلن أحياناً أخرى. للإبقاء على وحداتها المسلحة في بيت الطاعة وتغذيتها بالروح العدوانية لخوض حرب الاقتتال الداخلي الكوردي – الكوردي. رحبت حكومات الجوار استخدام الكراهيات الحزبية في كوردستان لإشغال المنظمات الكوردية في حروب استنزاف داخلية. ولكي لا يكون لدى هذه الأحزاب من الوقت والصفاء الذهني للإصرار على الحقوق القومية. في فترات معينة ومتتابعة فرض هؤلاء القادة "أبطال الحرب الداخلية" على الشعب الكوردي حربين في أن واحد. حرب كوردية كوردية. مع استمرار المقاومة الكوردية ضد حملات قوات حكومات بغداد. وقد شهدت كوردستان المحررة من نفوذ صدام حسين بعد طرد القوات العراقية من الكويت 1991"حرب الزعامات" "حرب لإحتكار مصادر المال" بين مسعود ملا مصطفى الذي سيطر على واردات جمارك إبراهيم الخليل - بدعم من صدام حسين- ورفض تقاسمها مع جلال الطالباني الذي حرّم منها. مكلفة الشعب الكوردي آلاف

الضحايا. في ظروف عادية كان من الممكن ان يفقد القادة كل رصيد من الاحترام الشعبي وينتهوا كسياسيين متقاعدين فاشلين اوعلى الأكثر يساقوا الى المحاكمة. لكن مأساة الشعب الكوردي تكمن في كونه غير حرٍ في اختيار قادته. ولكونه شعباً مسلوب الإرادة بفعل الاحتلال المزمن والمتعدد المناحي. لذا لا يهتمون بمشاعر جماهير كوردستان طالما هم في منأى عن المساءلة.!

لقد أعاقت أمراض النخبوية الاحتكارية وتفشي ثقافة الكراهية. بروز جيل قيادي جديد ومتحرر من عقدة التعالي والكراهية المستترة وظاهرة "أنا" أو بالكوردية (Ez) أو (Min) والتي تنعكس في تصرفات القادة. وبغرور واصل معظم أفراد الفريق السياسي الكوردي الذي ظهر على مسرح الحركة الوطنية في كوردستان الجنوب منذ النصف الثاني من القرن العشرين والى يومنا هذا. وضع الاعتبارات الشخصية أو الحزبية قبل مقتضيات المسألة الوطنية. كانوا أصغر بكثير من قضايا شعوبهم. وبتميز هذا الطراز من القادة بروح حزبية محلية ضيقة. ومنهمكين في حزازات شخصية سممت الأجواء السياسية لعقود طويلة. ومارسوا القتل والتعذيب في مجتمعهم. ولديهم ميل شديد نحو شخصنة القضايا الوطنية. ومصابين بداء الكبت العصبي بدرجة عالية. تراكمت لديهم عقد الخوف وانعدام الأمان وهيمنة الشك في نوايا الأخرالتأمرية. وروح التعالي التي تولدت لديهم كمعوض لمعاناتهم من الشعور بالذل والمهانة على يد الدولة الباغية. مما أنتج في أعماقهم شحنات العنف والكراهية المقنعة بالمجاملات. تنفجر عندما يثار موضوع "المقام السياسي أو الإجتماعي" أو "الرئاسي" أو "تقاسم المال". وعرف عن بعض الزعماء الكورد الهيام المرضي بلقب "الرئيس" (Serok) ومرحب به حتى وان أسهم في صنعه صدام حسين بمنحه المالية السرّية وبدباباته وحرسه الجمهوري. بروز هؤلاء القادة على المسرح السياسي الكوردي لأكثر من ستة عقود ومن إنتاج -- جنوب كوردستان – هؤلاء لم يتمكنوا من الارتفاع فوق الغايات الشخصية والعائلية والنهم المرضي لجمع المال والسلطة بعيداً عن كل شرعية أو محاسبة قانونية. كما إنه يعكس ضعف الوعي السياسي في المجتمع الكوردستاني وضعف الروادع فيه لمنع استهتار القيادات الكوردية بأقداره. وقد نتج عن السلطة المطلقة القمعية والمتخلفة. انسداد سياسي عميق ومزمن في مجتمعنا. معيقاً بناء سلطة حضارية وشرعية. مما فتح الباب لأنماط كثيرة من العنف الفكري والسياسي والجسدي.

تدهور القيم الوطنية والقومية لدى النخب التي قادت الحركة الكوردية في النصف الثاني من القرن الماضي ظاهرة ملفته للإنتباه. تماماً على عكس النخب التي قادت الانتفاضات الكوردية في النصف الأول من القرن العشرين. فهؤلاء دفعوا حياتهم لقضية شعبهم. كالشيخ عبدالسلام بارزاني الذي قاد انتفاضتين. الشيخ سعيد بيران. الشيخ رضا

ديرسمي وقاضي محمد وأخرون. الشيخ محمود الحفيد لم ينحن أمام الضباط السياسيين البريطانيين أنذاك وهو جريح وأسير. وإحسان نوري باشا ردّ على اقتراح من قائد فرقة الخيالة التركي الكولونيل فرهاد بگ بعد هزيمة الأخير في معركة (kanikewirk) حيث اقترح مبارزة إحسان نوري باشا شخصياً في ميدان القتال. وكان ردّ الأخير: "إن كان الأمر بهذه البساطة، أن يقتل احدنا وتنتهي المسألة. في هذه الحالة الرئيس التركي بالذات ينبغي منازلتي، أنت لست مساوياً لي. وعليك أن تعرف لو قتل إحسان نوري، فهناك بين أبناء شعبنا الآلاف من الذين يوازنوني لا بل يفوقونني، وسيعوض دوري بسرعة"[1]. بهذه العبارة يجسد إحسان نوري باشا إعتزاز امة بذاتها. وكان هدف ثورة (خويبوون) - حيث شغل إحسان نوري منصب قائدها العسكري - هو "تحرير كوردستان وانشاء دولة كوردية مستقلة.

ومما يجدر ذكره هو أن الغالبية الساحقة من قيادي (حدك) في فترات مختلفة عادوا أو انضموا الى نظام بغداد. وحتى بعد ترحيل وإبادة عدد كبير من الفيليين الكورد بداية الثمانينات وحملة إبادة البارزانيين عام 1983 وقصف شعبنا بالأسلحة الكيماوية 1987 – 1988، وعمليات الأنفال الواسعة. هرع القادة الكورد الى بغداد لتقبيل صدام حسين بثتها أجهزة الإعلام المختلفة مما أدهش العالم![2] وفي 6. 5. 1991 كتب المؤرخ عصمت شريف فانلي إلى قادة الجبهة الكوردستانية معاتباً: حقاً ان التدخل الدولي كان "إنسانياً" ومع هذا فهو يتضمن بالتاكيد بعداً سياسياً. ولو كنتم قد صبرتم أسبوعا او أسبوعين وطلبتم من المجتمع الدولي حلاً سياسياً كشرط لعودة الأكراد لبيوتهم لكان العالم سوف يجتاز مرحلة "التدخل الإنساني" الى مرحلة "التدخل السياسي" وربما العسكري. إنني واثق بأنه كان من الأفضل أن تطالبوا مجلس الأمن والدول الكبرى بحل سياسي وعدم المفاوضة مع السفاح وحكمه ولا مع البعث." ويقول في نفس الرسالة :" وقد جعلت العالم يقول: إذا كان مسؤولي

---

[1] LA REVOLTE DE L'AGRIDAGH (ARRARAT) GENERAL IHSAN NOURI PASHA. P 103 - 104. 1986. Genève.

[2] مشهد تقبيل صدام حسين بعد الإنتفاضة الكوردستانية عام 1991 ملئ برموز ودلالات محبطة ينم عن حالة سيكولوجية مزمنة. محاصرة بأوهام قيود السلطة الدكتاتورية المتهاوية في بغداد. هذه النخبة السياسية التي تعطلت حاستها في إيجاد مسلك دبلوماسي جديد. تجاهلت كرامة الامة وأختارت العودة الى حكم السفاح. هؤلاء كانوا: جلال الطالباني. مسعود ملا مصطفى. نيجيرفان إدريس. محمد محمود عبدالرحمن. فريدون عبدالقادر. نوشيروان مصطفى أمين. روز نوري شاويس. ملا بختيار. سعدي بيره. فاضل ميران. أزاد نجيم . رسول مامند. أرسلان بايز. كوسرت رسول. علي بابير. وفيما بعد أقحموا شعبنا في حرب أهلية بدعم من إيران للطرفين المتحاربين حيث لا منتصر. والمهزوم الوحيد هو الشعب الكوردي. وخلال تحالفات مع صدام حسين سفاح شعبنا. سقط في معارك القادة الكورد آلاف القتلى من أبناء كوردستان. وشذّ مسعود ملا مصطفى عن الاخرين فكان الأكثر إلتصاقاً بصدام حسين حتى إنهيار نظامه عام 2003.

الأكراد في العراق أنفسهم يتفاوضون معه فلماذا نتعب أنفسنا في التفكير بحل دولي لمسألتهم". لا بل وصل فقدان النخوة والكرامة الوطنية والشخصية الى نشدان التحالف العسكري مع صدام حسين لضمان المركز الشخصي![1] كما إن مشهد الهرع إلى بغداد يكشف أن النخبة القيادية الكوردية بقيت تصوراتها محدودة في الحقل الدبلوماسي ودون إستراتيجية. رغم أن هزيمة 1975 كانت اولاً انعكاساً لفشل دبلوماسي تطور إلى هزيمة عسكرية. لكنها لم تدرس وتحلل لاستقاء الدروس والعبر منها.... بدبلوماسية العناق والقبلات أمام عدسات التلفزيون. ساعدوا صدام حسين في الخروج من أزمة دولية خانقة! وحرموا شعبهم من اهتمام دولي فائق بمصيره وحقوقه المشروعة. كما إن التحالفات الإقليمية للحركة الكوردية - ملا مصطفى مع شاه إيران - كانت على حساب "العلاقات الكوردستانية" والإساءة الى وحدة الأمة الكوردية.

ولكي نبني مجتمعاً نصان فيه كرامة وحرية الفرد. ونتقدم حضارياً. يتطلب تغييراً جذرياً في موقف المجتمع من النخب الحاكمة في بغداد وكوردستان. وينبغي ان ننتهي تبعية المجتمع العمياء للقادة. وكل ما أمكن يجب ان يكون من خلال الممارسة الديمقراطية وعن طريق الاقتراع الحر. النزيه ... إن تاريخ الحكم الدكتاتوري في العراق ونكران حقوق الشعب ومصادرته للحريات الديمقراطية. يعطينا الدروس والعبر من مأمي نجمت عن هذه السياسة الهوجاء خلال قرن من الزمن. هذه السياسة ساعدت وعززت استمرارية النمط الإستبدادي في مقدرات البلاد. وفي واقع الأمر. كانوا أقرب الى عصابات وأمراء حرب. واوجدت المحسوبية والمنسوبية وتفشي مرض الانتهازية والفساد في المجتمع العربي والكوردي بشكل خطير وعلى نطاق واسع. كما دمرت الكثير من القابليات العلمية والتقنية التي كان يزخر بها أبناء وادي الرافدين. وأمسى العنف المنطق الوحيد. تلجأ إليه السلطة الفاقدة للشرعية الحقيقية للخروج من أزمتها.

خلال الأعوام الثلاث الاولى تمتعت الثورة الكوردية بعنصر النقاوة والاعتماد التام على القوى الشعبية الثورية. ثم دب فيها الفساد والتناحر على الزعامة والمال مما أفقدها الطهارة الثورية وتحولت الى أداة بيد النخبة القيادية تحركها كيفما تشاء ودون التزام بالقيم الوطنية. ولذا استخدمت في أكثر الأحيان اصطلاح (حركة) بدل (ثورة). أما الثورة

---

[1] كان عصمت قد طلب من دول مجلس الامن الكبرى بحق تقرير المصير لأكراد العراق بعد فترة مرحلية تحت الحماية الدولية مدتها خمس سنوات وسافر بمروحية فرنسية الى كوردستان. حيث هبطت في العمادية. وهدفه كان الالتقاء بالزعماء الكورد لإقناعهم بالمسعى الدولي. لكن لدهشته وهو لايزال في كوردستان. وصله نبأ وجود هولاء القادة في بغداد ووضعت القبلات على وجنتي صدام حسين نهاية مساعي حل دولي للمسألة الكوردية. وعاد عصمت بعد هذه الخيبة على متن نفس المروحية الفرنسية الى دياربكر وثم الى سويسرا.

فهي تغيير جذري بعيد الأثر بعيد بناء النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي من جديد. بقيت القيادة الكوردية تقليدية المنحى وكابحة للقيم الثورية لدى الجماهير الكوردستانية. ولم تتمتع الزعامة بالصفات الثورية المطلوبة للتحولات الكبرى في المجتمع. الشعارات التي رفعتها كانت في كثير من الأحيان للاستهلاك المحلي وليس للتطبيق. وعندما واجهت الشعارات: "الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان"، أو "إما كوردستان أو الموت" لحظة الحقيقة بعد اتفاقية الجزائر عام 1975. تخلت عنها القيادة دون رادع أخلاقي. فمن ميزات القيادة الكوردية: احتكار وجمع أموال الشعب الكوردي في يد شخص رئيس الحزب، والاحتفاظ بها داخل الأسرة ولم يتغير هذا الوضع لا خلال فترات الحرب أو مراحل السلام النسبي ولا بعد الهزيمة. ويعتبر هذا شذوذاً عن جميع الثورات التحررية في العالم الثالث. ولم يكن لأحد من أعضاء المكتب السياسي الجرأة في طلب الشفافية ووضع حدّ لهذه الحالة اللاشرعية والشاذة ووجوب وضعها تحت تصرف قيادة جماعية خاضعة لرقابة صارمة كأمانة ومسؤولية أمام الشعب والتاريخ.

رئيس الحزب ينتمي الى الجيل القديم. والمهمة القومية التي تحمل مسؤوليتها كانت بمثابة ظلم له لأنها كانت بوضوح فوق طاقاته. ومكانه الأنسب كان القرن التاسع عشر، فإذا به يصبح قائداً في النصف الثاني من القرن العشرين. كان غير مهتم بنشر العلم والثقافة في المجتمع، وشكّل ذلك عائقاً أمام تقدم الحركة التحررية. وفهمه للتحرر القومي مرتبط باسمه وتحت نفوذه وقد يعاديه إن تحقق الهدف بإسم حزب أو شخص آخر. فرض ولديه على مقدرات الحزب وهما في سن المراهقة وينقصهم فهم تعقيدات الوضع السياسي الداخلي والإقليمي والدولي، وتمتعا بكل الصلاحيات وفوق جميع أعضاء المكتب السياسي. ولأول مرة أنشأ نظام حزبي وراثي مبني على العاطفة الشخصية. اعتمد رئيس الحزب على الإقطاع الكوردي، وساند المرتزقة وعزز نفوذهم وهيمنتهم على الفلاحين، بدل تحرير الفلاح من استغلالهم. كان الفلاحون يشكلون العمود الفقري لقوات الأنصار، ورغم فقرهم قدموا بسخاء ما لديهم من محاصيل لتموين قوات الأنصار الكوردية. وضحوا في الجبهات بفخر واعتزاز مشهود لهم.. لكن القيادة الكوردية كانت تدعم الإقطاع بقيمه وظلمه وعاداته وعملت على فرضهم على الحزب الديمقراطي الكوردستاني. استخدم قائد الحركة المال للرشوة وفساد المجتمع. وما أن تطورت العلاقات مع إيران في النصف الثاني من عقد الستينات، ثبت رئيس الحزب مقره وحاشيته على الحدود الإيرانية (حاج عمران) حيث سيطر على النافذة التي من خلالها تأتي المساعدات المالية والعسكرية كما احتكر العلاقات الخارجية. وابتعد تماماً عن حياة الجبهات وشظف العيش وترك العمل العسكري والحزبي والسياسي لأتباع هم في الواقع (حاشية سلسة) ولم يأبه بالفوضى والانحرافات والمظالم، التي ازدادت بوتيرة سريعة في كوردستان. ولم يتمسك بمبادئ العدل والمساواة،

وفي ظل حكمه حصلت تجاوزات خطيرة من اعتداءات على حقوق المواطنين وخصوصاً حقوق المرأة. كما غابت جميع إجراءات المساءلة فيما يخص الاختلاسات والسرقات حتى أمست أموراً عادية. ومن خلال قراءة الكتاب سيمز القارئ بجميع هذه المحطات. في واقع الأمر كانت الهوة عميقة بين سلوك القيادة الكوردية والتطلعات الثورية للجماهير. فقد كان الشعب يكافح ويضحي من أجل التمتع بحقوقه القومية وتحرير الفلاح من ظلم الإقطاع ومن قيود الرجعية الكوردية. ومن هذا المنطلق كانت هناك ثورة على مستوى الجماهير. لكن القيادة الكوردية قامت بإجهاض الروح الثورية للشعب وظلت تعادي تطلعاته التقدمية وتعيده الى الوراء. كما سيرى القارئ في الفصول القادمة. ويعبر عصمت شريف فانلي عن شديد استغرابه من الطريقة الشاذة التي أنهت القيادة الكوردية الحركة عام 1975 فيقول: "لا أجد مثالاً آخر لحرب شعبية تنتهي بمثل هذه المأساة. انصياعاً لقرار القيادة في وقت كان الشعب مصمماً على القتال ولديه الوسائل للاستمرار فيها....."[4]

وكما نوهت، اعتمدت في هذا الكتاب على العديد من أرشيفات الحكومة الأمريكية، والتقارير المتعلقة بالقضية الكوردية الصادرة عن وكالة المخابرات المركزية الـ C. I. A بعد رفع الحظر عنها حديثاً. كذلك ما كتبه الصحفيون والمؤرخون عن أحداث هذه السنوات الهامة من سبعينات القرن الماضي، واللاعبون الذين كان لهم دور في صيرورة الأحداث، سواء من اللاعبين المحليين أو الإقليميين أو الدوليين. وفيما يخص الأرشيفات الكوردية فلا وجود لها تقريباً. هل ذلك نابع من الإهمال أو إنه مقصود! ففي كل الأحوال فإن عدم وجودها يعطي لقادة الحزب والحركة الذين تخاذلوا ساعة الحقيقة حجة التنصل من المسؤوليات التاريخية وإلقاء اللوم على بعضهم البعض. فمن الاجحاف ان يضحي الشعب الكوردي ومن ثم تسلب قيادته منه حق معرفة الحقائق التي تكتنف سقوط الحركة الكوردية عام 1975. فقد ذكر الدكتور محمود عثمان وهو قيادي قريب من ملا مصطفى عن عدم تدوين المحادثات مع ممثلي الدول التي كانت تقدم العون للحركة الكوردية: "[5]..... كنا نتجنب تدوينها. وأعتبر الآن ذلك خطأً فظيعاً." بالفعل انه خطأ فظيع للغاية. إن هذا اعتداء على حق الشعب الكوردي في معرفة ما جرى في الماضي والاستفادة من الأخطاء في الحاضر والمستقبل.

بدايات الحركة الكوردية انطلقت من تذمر القوى الرجعية الكوردية ومناهضتها للإصلاح الزراعي وارتباطها بالسافاك الايراني. وانخرطت فيها الزعامة الكوردية دون دراسة وافية رافعة شعارات تعبّر عما يخالج ضمير الشعب الكوردي من آمال مشروعة. مما أدى

---

[4] People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed 1978 p 192

[5] مجلة الوسط حوار مع الدكتور محمود عثمان 1997/10/13.

الى تأييد هذه الجماهير ووقوفها موحدة خلف هذه القيادة تضحي بسخاء زهاء أربعة عشر عاماً الى أن قررت القيادة الكوردية التخلي عن الشعب الكوردي وإنهاء الحركة. لكن دون التخلي عن الزعامة.

ويجد القارئ في هذا الكتاب نظرة داخلية للأحداث. حيث كنت شاهداً عليها. وندر التطرق اليها. والسبب ربما يكون الخوف والحرص على السلامة الشخصية لم أبال بذلك فليس من طبعي السكوت عن المظالم.

هذا الكتاب لاينسجم مع النمط الفكري السائد حالياً في المجتمع الكوردي والذي هو نتاج الدعاية الحزبية المضللة. ولا أستغرب ردود فعل عنيفة بسبب نشره. يقول Dersden James : "عندما تباع بالتدريج الأكاذيب الملفقة تلفيقاً جيداً وعلى مر الأجيال. تبدو الحقيقة وكأنها منافية للمنطق. والمدافع عنها يبدو كمجنون يهذي...." وتلك تماماً حالة المجتمع الكوردي اليوم. لكنني على يقين من أن شعبنا المناضل سيستيقظ من تأثير الأدوية المخدرة "الدعاية المضللة" ويكتشف الحقائق التي أثرت سواء سلباً أو إيجاباً على حاضر ومستقبل نضاله التحرري وهذا ضروري لا تغفل عنه الشعوب الحية. ويبدو أن شعب كوردستان ليس متخلفاً عن موكب الثورات التي تجتاح الشرق الأوسط منذ بداية هذا العام (2011) حيث كسر جدار الخوف. فقد إنتفض ضد فساد الحكم العائلي ذو الصورة السلبية عند الأغلبية الساحقة من أبناء الشعب مطالباً بتغيرات جذرية في كوردستان.

ايوب بارزاني جنيف سويسرا اذار 2011

أعوام الركود
1958-1947

إنكب الحلفاء على مناقشة أوضاع الحرب العالمية الثانية وطبيعة نظام مابعد الحرب في مؤتمرات: طهران عام 1943. يالطا في فبراير| شباط من عام 1945 وفي بوتسدام في تموز- أب من عام 1945.

في شهر فبراير/ شباط من عام 1945 كانت هزيمة المانيا النازية أمراً حتمياً. فالجيش الروسي المؤلف من 12 مليون جندي كان قد احتل بولندا كاملة وعلى وشك الوصول الى حدود المانيا ماقبل الحرب ومهيأ للزحف على برلين. بينما كانت جيوش الحلفاء الغربيين المؤلف من 4 مليون جندي مرابط غرب نهر الراين. وفي طريق تقدمه نحو الشرق.

تلقى الجيش الروسي الأوامر من جوزيف ستالين بالبقاء في مواقعه لفترة اسبوع. من 4 الى 11 فبراير/ شباط. كان خلالها الثلاثة الكبار: فرنكلين روزفلت، ونستون شرشل وجوزيف ستالين في بلاط لافيديا يناقشون كيفية انهاء الحرب، وعرف هذا بمؤتمر يالطا، هدفه كان إعادة هيكلة الأمم المقهورة التي سحقتها جيوش المانيا النازية. فبولندا يعاد اليها الاستقلال اثر انتخابات وتتشكل حكومة مستقلة جديدة. أما يوغوسلافيا فتعاد الى حكومتها القديمة في ظل نظام جديد. في الحالتين يتم اقصاء الزعماء النازيين والفاشيين. واتفق على تقسيم المانيا الى مناطق نفوذ بين الثلاثة الكبار الحاضرين في المؤتمر.

وافق جوزيف ستالين الدخول في الحرب دون شروط ضد اليابان خلال شهرين او ثلاث من استسلام المانيا ونهاية الحرب في اوروبا. وقعت الاتفاقية في 11 فبراير/شباط. في الواقع انتهت الحرب ضد اليابان في 8 اغسطس اي قبل موعد دخول روسيا الحرب والذي كان مقرراً في 18 اغسطس. لقد قصفت مدينة هيروشيما بالقنبلة النووية بعد أيام قليلة من مؤتمر بوتسدام. وكان هاري ترومان قد أعلن للمؤتمرين عن وجود هذا السلاح الفتاك مظهراً تفوق الولايات المتحدة الامريكية.

ولّد التفوق العسكري الامريكي مخاوف لدى روسيا. فكان الرد السوفيتي التوجه نحو التسابق في مجال التكنولوجيا النووية.

لم يسمح ستالين باجراء انتخابات حرة في بلدان اوروبا الشرقية. انما فرض حكومات شيوعية في بولندا، جيكوسلوفاكيا، هنغاريا، رومانيا و بلغاريا.

شكلت الحرب الباردة مرحلة جديدة لامثيل لها في تاريخ البشرية. اذ لم يسبق ان شهد العالم هذا الاستقطاب وتواجد اسلحة الدمارالمتطورة. وشمل الصراع السياسي العالم كله.

لم يكن التوسع السريع للنفوذ الامريكي منذ نهاية الاربعينات على حساب الاتحاد السوفيتي - سياسة احتواء الشيوعية - إذ تمكن الاخير تقوية مواقعه على جميع الاراضي التي احتلها في نهاية الحرب العالمية الثانية. انما جاء هذا التوسع على حساب بريطانيا وفرنسا وقد خرجتا منهمكتين من أثار الحرب. ففي نهاية عام 1945 تميزت الامبراطوريتان في ذات الوقت بالقوة والضعف، كان ضعفهما نابعاً من نقص نسبي في القوة العسكرية واعتماد اقتصادهما على الولايات المتحدة الامريكية. لكنهما كانتا قويتان بسبب امتلاكهما لقواعد عسكرية واسعة الانتشار في العالم. وكان هذا مفيداً لامريكا فيما بعد. اذ انها حتى بعد عام 1945 كانت تفتقر لشبكة قواعد منتشرة على نطاق الكون.

لقد كان السؤال المهم بالنسبة لباريس و لندن هو الى اي مدى يمكن الاحتفاظ بقوة مستقلة في عالم يهيمن عليه الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية، خاصة انهما يعتمدان في أمنهما الاوروبي على الاخيرة. وفي النهاية قررتا التخلي عن دور القوى العظمى بسبب تكاليفه الباهضة، وكانت النتيجة ان خسرتا بسرعة مابنتاه من نفوذ خلال العقود الماضية لحساب الامريكان. فقد أخذت الاخيرة دور البريطانيين في اليونان وتركيا عام 1947، وتم وسعت دورها في مناطق واسعة من الشرق الاوسط. وتخلت فرنسا عن سوريا ولبنان، وتقلص النفوذ البريطاني في ايران ليحل محله النفوذ الامريكي.

وأخر محاولة لاظهار القوة الامبراطورية دون تأيد من واشنطن، كان في عام 1956، عندما اتفقتا باريس ولندن مع تل ابيب لمهاجمة مصر، وذلك بعد تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس. اخفق الهجوم وساد لندن وباريس شعور بالمهانة. أعقب ذلك توسع كبير في النفوذ الامريكي في المنطقة و خاصة بعد الاطاحة بالنظام الملكي في العراق عام 1958. اما في دول الخليج فلم يتعدى زمنياً نفوذ بريطانيا فيها اعوام السبعينات. ورغم ان بريطانيا وفرنسا اصبحتا دولتين نوويتين، الا انهما اعتبرتا قوتين عظميين من المستوى المتوسط.

كما انحسر نفوذ الدولتان في افريقيا. فقد تحررت غانا في عام 1957، وغينيا في عام 1958 . وبحلول 1960 نالت معظم المستعمرات الفرنسية في الغرب الافريقي وفي افريقيا الاستوائية استقلالها. في منتصف الستينات انتهت الامبراطوريات الاوروبية في افريقيا، وبحلول السبعينات نالت معظم المستعمرات الباقية في العالم استقلالها.

لم تكن هناك خبرة لدى البيت الأبيض في كيفية التعامل مع الإتحاد السوفيتي ودوافع زعماء الكرملن. لكن George F. Kennan الذي شغل منصب القائم بالأعمال في السفارة الأمريكية في موسكو طور عام 1947 استراتيجية سميت بـ "استراتيجية الإحتواء". وبموجبها يكون هدف السياسة الخارجية للولايات المتحدة تقديم المساعدة لإنشاء مراكز مستقلة في أوروبا وآسيا من التأثيرات السوفيتية وتوطيد عوامل الثقة بالنفس لدى الامم المهددة بالتوسع السوفيتي واستغلال الخلافات ضمن المعسكر الشيوعي. يوغوسلافيا والصين. وثم تغير السياسة الأممية الخارجية السوفيتية. ووفق هذا المنطق كانت الأبواب موصدة أمام دعم الشعب الكوردي حتى من أجل نيل أبسط الحقوق الثقافية. إن معارضة النفوذ الشيوعي في الوسط الكوردي دفع البعض من سفراء الولايات المتحدة عرض اقتراح بموجبه "بث راديو صوت امريكا برنامجاً باللغة الكوردية للتصدي للدعاية السوفيتية من محطة خفية. وتوصي البرقية : 1. تجنب البث الصريح المعادي للشيوعية لحساب هجوم مهذب قوي ضد أوجه القصور والتضليل في الشيوعية. 2. تجنب تشجيع القومية السياسية الكوردية و 3. تشجيع دعم الحكومة المركزية الإيرانية....." 6

بث برامج باللغة الكوردية كان يلقي معارضة أنقره بشدة. رغم أن الهدف كان التصدي للتأثير الشيوعي على الشعب الكوردي، ففي برقية من أنقره الى الخارجية الأمريكية، تشير الى أن الأتراك أبلغوا السفارة الأمريكية:

"1. "المسألة الكوردية" ليس لها وجود في تركيا ويعيش الأكراد بكامل المساواة مع كافة المواطنين الأتراك.

2. جميع الجهود لخلق "مشكلة كوردية" هي خارجية المنشأ.

3. الدعاية السوفيتية الموجهة للأكراد الترك تعتبر مؤذية وهناك ضرورة لمحاربتها في تركيا.

4. ليس لدى تركيا أي شك أن الدعاية الأمريكية ستدار بسرّية. لكن مثل هذه الدعاية سيكون لها تأثير معاكس إذ ستؤجج مشاعر التحرر في الوسط الكوردي وسيستغلون البث كمؤشر على الدعم الأمريكي لهم.

---

[6] From Tehran to Secretary of State. August 6, 1951

5. ولذا لا أشاطر رأي وزارة الخارجية فيما يخص فوائد مثل هذا البث.
6. وبما أن إيران والعراق لاتعارضان البث باللغة الكوردية، نقترح على صوت أمريكا العمل ضمن محطات تحت سيطرة هذان الحكومتان وبتعاون أمريكي في حالة الضرورة. السفير Archibald Roosevelt ذو الخبرة والمعلومات فيما يخص هذا الشأن، يتفق مع الرأي أنه طالما يتمسك الترك بهذا الموقف من الأفضل لنا عدم البث باللغة الكوردية في صوت أمريكا، بل العمل على نشر دعايتنا خلال محطات البث العراقية وان أمكن الإيرانية.[7]

بقيت العقلية التركية الرسمية متحجرة، عنصرية وفي غاية النرفزة عند ذكر كلمة كوردستان، وقد فهم الأمريكيون هذا الموقف الصريح. ففيما يخص مبادرة بث صوت أمريكا برامج باللغة الكوردية: "أن شن المبادرة في أي وقت كان في المستقبل القريب سيكون حاسماً في علاقاتنا مع تركيا، وهذا ما أوضحته لنا وزارة الخارجية التركية بدون لبس أو غموض."[8]

لم يتأثر الشرق الاوسط بالحرب العالمية الثانية كما تأثر بالحرب العالمية الاولى، والسبب الرئيسي يعود لموقف تركيا، التى بقيت على الحياد. فى حين تعرضت ايران فى الحربين الكونيتين الى الغزو الروسى البريطاني. وفيما يتعلق بكوردستان، فانها بقيت كما خطط لها فى معاهدة لوزان، دون تغير فى التقسيم الكولونيالي الذي جزئها الى اربعة اجزاء، ولم تتجاوز الجمهورية التي قامت فى مهاباد عامها الاول، اذ سقطت دون مقاومة. وبقيت الدول المحتلة لكوردستان، حلفاء للغرب ومعادية للسوفييت.

ونري من الضروري هنا القيام بعملية استطلاع سريعة للمجتمع الكوردى اثناء الحرب الباردة، وذلك من اجل فهم التطورات البطيئة في الحياة السياسية والاجتماعية فى كوردستان.

فاول مايلفت الانتباه ونحن نتفحص التركيبة الاجتماعية المدينية فى كوردستان، نرى البرجوازية التجارية – لم تتواجد برجوازية صناعية – الناشئة، تتطور ببطىء، هزيلة، مترددة فى العمل الثوري وقليلة العدد، وتتركز فى المدن مثل كركوك والسليمانية واربيل وبعض الاقضية الكوردية. وانتقل عدد من الملاكين الى المدن وأرسلوا اولادهم للدراسة. ويعود الفضل لهذه البرجوازية الهزيلة في تشكيل الاحزاب والتنظيمات الكوردية التى لعبت

[7] From Ankara to Secretary of State. September 5,1951.

[8] From: NEA- Mr. Berry to NEA/P – Mr. Jones. Subject: VOA Broadcasts in Kurdish.

دوراً هاماً في النصف الثاني من القرن العشرين. ولشعورها المفرط بالضعف. فقد قبلت الانقياد تحت زعامة قبلية قوية.

وان دققنا النظر في ريف كوردستان عموماً نراه يتألف من ألاف القرى المتناثرة في وديان وسفوح جبال كوردستان. وهذه القرى يحكمها المئات من الأغوات الكورد. وبكلمة أدق. كان المجتمع الكوردي مؤلفاً من عدد كبير من العشائر والبطون والافخاذ. معظم قراه منعزلة في الجبال وخطوط المواصلات البرية نادرة جداً وحتى الموجودة تتعطل في فصل الشتاء. جراء الاوحال وتعتمد القرى على مزيج من الزراعة والرعي. ونفوذ الاغا الكوردي يهيمن على الريف. ويمارسون الظلم ويستغلون الفلاحين. ومستولين على معظم الاراضي الخصبة. عدد منهم امتهنوا السطو والسرقة والقتل. في حين كان أخرون أقل شراسة. وفي منطقة بادينان كان نفوذ الاغوات طاغياً ومهيمناً والروح العشائرية متأصلة. وفي مناطق سوران كان نفس النموذج مهيمناً. كانت قيم الامس هي السائدة. ووتيرة حياة اليوم والغد هي تكرار للأمس. كان دخول الجديد والتماس معه عملية في غاية البطئ في ريف كوردستان المنغلق.

في كوردستان الجنوب – عراق - يمكن تقسيم الاغوات الكورد الى قسمين. الأغوات في الريف الجبلي الوعر. والأغوات في السهول المنبسطة. وبصورة عامة. الأخيرين هم أكثر غنى ويعتبرون من الملاكين الكبار واكثر عرضة لتأثير المدن الكوردية الكبيرة والى حد ما أقل عنفاً من أغوات الجبال. في حين وفيما عدا بعض الاستثناءات. فان العديد من أغوات الجبال تصرفوا كقطاع طرق ولصوص ومجرمين اعتدوا على الفلاحين والرعاة واغتصبوا أراضي الفلاحين وساموهم الذل. وهذه الفئة من الأغوات انخرطت بسهولة في سلك القوات غير النظامية "مرتزقة" بعد اندلاع الحركة الكوردية عام 1961.

ولابد من الاشارة الى اهمية التزاوج بين الوجهاء القبليين في كوردستان. فهي في مضمونها تتعدى تكوين عائلة لتشمل حلفاً سهاسياً بين الاغوات. والمرأة الذكية قد تلعب دوراً حاسماً من وراء الكواليس في تسيير الشؤون السياسية والعامة. كما كان لعادة تعدد الزوجات بين الوجهاء أثر كبير في اشعال نيران الفتن العائلية والصراعات على الميراث. فهو في الوقت ذاته صراع ضرّات. على من يخلف الأب من الابناء. فكل زوجة تسعى تقديم ابنها للخلافة والارث المالي.

ثم كان هناك العديد من المشيخات. والمشيخة الكوردية تتألف من عدد من القبائل تعترف بالزعامة الروحية لمرشد الطريقة. قادرية أو نقشبندية. منتشرة في كوردستان.

وتختلف درجة الولاء للمرشد من مشيخة الى اخرى. وعندما تطاع كلمة الشيخ بحذافيرها، تزداد مهابته ومقامه الروحي والسياسي.

لقد تطورت المشيخات في كوردستان بأساليب مختلفة. معظمها أخذت مسلكاً سلمياً في حين شذت عنها بارزان بمواجهتها صراعا مريراً ضد الاقطاع الكوردى المتحالف مع قوى الاحتلال. ومشيخات اخرى جنحت نحو الهدوء والحياد وجمع الثروات. أو انحازت الى جانب الحكومات المحتلة لكوردستان.

كان الشيخ والاغا في كوردستان يعيشان جنباً الى جنب وفي تناغم. عدى مشيخة بارزان. التي واجهت حملات مسلحة مشتركة جمعت الاغوات والحكومات العراقية المتعاقبة في جبهة مشتركة. بل يمكن اعتبار جزء كبير من تاريخ بارزان تاريخ حروب وصراع متواصل ضد الاقطاع الكوردي المتحالف مع الحكومات المحتلة.

ان جميع شرائح المجتمع الكوردى المذكورة تمثلت في الحزب الديمقراطى الكوردستانى بشكل واضح. وبما انه كان مجتمعاً قبلياً في غالبيته الساحقة فان هذا تمثل في قيادة الحزب الديمقراطى الكوردستاني وبشخص ملا مصطفى. فقد وجد زعيم قبلي وشريحة محددة من البرجوازية التجارية الهزيلة المترددة (أعضاء المكتب السياسي) ان مصالحهما تتطابق. فكان هناك مسايرة مادامت المصالح متطابقة. وعندما شعرا ان مصالحهما تتناقض. كان يحصل انفصام وخلافات دموية. فهاتين الفئتين بوجه عام كانتا تتمسكان بمصالحهما. ونعني بها مصالح البرجوازية التجارية ومصالح الاقطاع الكوردي. واتسم الخلاف الدموي بينهما بغطاء ثوري ووطني، وبهذا تأثرت الثورة الكوردية سلباً بهذا الصراع المدمر. ورغم ان الصراع الرئيسي والأخطر بالنسبة للشعب الكوردي كان بين الحكومة العراقية و الجبهة الكوردية. - كان الجيش العراقي يشن حملة عسكرية شرسة على الشعب الكوردي منذ عام 1961 - الا ان القيادة الكوردية كانت تؤجل هذا الصراع للتفرغ للصراع الثانوي الداخلي الكوردي الكوردي. وهذا مؤشر على ضعف القيم الوطنية والقومية في المجتمع وبالأخص لدى الفريق القيادي. وانفصل المكتب السياسي عن رئيس الحزب الذي انفرد بالسلطة المطلقة علي الثورة الكوردية. مكبلاً إياها بقيود الأغوات الرجعيين والمرتزقة وانضم المكتب السياسي الى حكومة بغداد ليشن مع الجيش العراقي حملات عسكرية ضد رئيسهم السابق. وهذا الرئيس هو الذى انهى الثورة الكوردية بقرار شخصي بعد إتفاقية الجزائرفي اذار عام 1975 .

ونتيجة لتركيبة الحزب الديمقراطي الكوردستاني فقد اختلفت القيادة الكوردية عن قيادات الحركات التحررية التي حققت الاستقلال لشعوبها. اذ بقيت القيادة الكوردية تتسم بمسحة قوية من القبائلية العنيدة لاتقبل الخروج الى افق عصرية اوسع.

وتسلطت العصبيات الريفية والقبلية والعائلية على الحكم والإدارة والحزب وقوات البيشمركه. وبرجوازيتها الصغيرة الهزيلة كانت عصبية المزاج. ذات ردود افعال متهورة ولاتعير اهتماماً بالقيم الوطنية في ظروف التصارع مع قيادة كانت هي مسؤولة عن اختيارها وإبرازها. والطبقة الفلاحية - العمود الفقري للثورة الكوردية كانت قليلة الوعي ومعتادة على الطاعة لظلم أغواتها. مما ادى الى خلق حالة نادرة من بين جميع ثورات العالم. فالضحايا هم من الفلاحين. وثمرة تضحياتهم يقطفها الاقطاع الكوردى المدعوم من القيادة الكوردية نفسها ومن حكومات بغداد. وبما ان الحزب نشأ في دولة لاديمقراطية وبتغلب النشاط السري على عمل الاحزاب. فانه رغم تبجح القادة بالشعارات الديمقراطية. والدفاع عن الفلاحين والعمال. كان الواقع تماماً على عكس هذه الإدعاءات.

بدت الاوضاع بين اعوام 1947- 1958 في جميع اجزاء كوردستان راكدة من الناحية السياسية. ولاشك ان الممارسات القمعية من سجن وتهجير وتعذيب اوجدت حالة من الخوف العميق لدى أوساط واسعة من الشعب الكوردي ارغمته على الصمت.

ورغم الركود السياسي في المجتمع الكوردى. فإن الحكومة العراقية كانت وبشخص نوري سعيد على وعي من أن شعباً مستعبداً لابد أن يثور ويطالب بحقه المغتصب على أرضه. ومن هنا كان يبحث عن تحالفات خارج الحدود لإبقاء السيطرة على كوردستان وأيضاً محاربة الشيوعية. إذ يذكر الصحفي القومي العربي المعروف محمد حسنين هيكل في مسلسل بثته قناة الجزيرة بعنوان "مع هيكل" بقول. تاريخ الحلقة: 18/1/ 2007 وهو يتكلم باللهجة العامية المصرية. يتأسف لعدم فهمهم في ذلك الوقت موقف نوري باشا من الشعب الكوردي:

"..... منتصف 1954 جاء نوري السعيد باشا الى مصر ليلتقي بجمال عبد الناصر وأظن كان أول لقاء بينهم..... وهو يقول إن عصر الترتيبات الثنائية انتهى ونحن الان في صراع عالمي لا نستطيع أن ننأى بأنفسنا عنه..... ثم إن هذا الصراع العالمي بين شيوعية نحن لا نحبها وبين رأسمالية ممكن ان نرتب علاقتنا معها... لنا علاقات تاريخية معها ومكاننا معها ومستقبلنا معها... نوري باشا طلب خريطة. جاء الملحق العسكري ومعه خريطة كبيرة. نوري باشا وضع الخريطة على الأرض وقال لجمال عبد الناصر. هنا جبال راوندوز شمال العراق وبين جبال راوندوز وحدود الاتحاد السوفيتي ثلاثين ميلا.....أعتقد إن علينا خطر

من الاتحاد السوفييتي وانه لابد أن ننضم إلى حلف يقينا . اتفاق مع الإنجليز. الإنجليز موجودين في الحمانية وعندنا قواعد مثل ما عندكم في السويس ... لكنه رأينا إنه لابد أن يحل محل الاتفاقيات الثنائية القديمة معاهدة 36 في مصر ومعاهدة ثلاثين في العراق. لابد أن تحل محلها ترتيبات جماعية للأمن ونحن مقتنعين بهذا لأننا نشعر إن علينا خطر... جمال عبد الناصر قال له يا أخ نوري لن يهاجمكم الروس........ قال نوري باشا. ثلاثين ميل. قال له يا أخ نوري إذا اخترقوا الثلاثين ميلا وجاءوا على حدود العراق لن يبقى موضوع العراق... وقتها ستكون حرب نووية ... لن تحدث حرب واذا حدثت حرب في هذه المنطقة فالمعركة سوف تكون أكبر جدا من طاقتنا ومن قدراتنا لذا لا داعي لعمل خلط عنها. علينا ان نعمل خطة لاستقلالنا ونعمل خطط لتوحيد إرادتنا.... نوري باشا لم يقتنع.....

ويمضي محمد حسنين هيكل ليقول: نوري باشا بدأ يقول لجمال عبد الناصر... أنا الحزام الشمالي يهمني. الحزام الشمالي فيه تركيا و فيه العراق وفيه إيران وباكستان على جنب.... الحزام الشمالي يهمني لأنه وحدة العراق..... قال له أنا عندي مشكلة الأكراد.. مشكلة الأكراد لا أستطيع ضمانها إلا إذا تأكدت إن تركيا معي وتأكدت إن إيران معي. أنا أظن في هذه اللحظة نوري باشا كان يتكلم على مستقبل العراق أكثر مما هو على مستقبل الأمة.... إسرائيل لم تكن في باله..... أريد ان أقول إنه حق أي سياسي في أي بلد في الدنيا أن يؤمن وطنه أولا طبعا يؤمن وطنه." (نرى محمد حسنين هيكل الكاتب المشهور ينطلق من تفكير قومي. ولا يشير إلى حقوق الشعب الكوردي. فتأمين الأوطان لايتم بمعزل عن تأمين حقوق الشعوب في أوطانها. ولاضمان لأمن العراق عن طريق استعباد الشعب الكوردي - تعليق من الكاتب).

باختصار كان ناصر يري الخطر أتٍ من إسرائيل بينما نوري السعيد يرى الخطر أت من الشعب الكوردي ومن الشيوعية وشتان مابين الاثنين. فالموقف العربي تجاه الشعب الكوردي كان موقف قوة احتلال يستند على القمع والاستنجاد بالأحلاف مع قوى خارجية لديمومة احتلال كوردستان.

ان مايلفت النظر في الحرب الدعائية بين المعسكرين. الشيوعي والرأسمالي. في تلك الفترة. هو عدم استخدام الروس للاجئين الكورد من البارزانيين في بث الدعاية. فلم نسمع بياناً سياسياً من اجهزة البث الاذاعية لملا مصطفى. ميرحاج أحمد. شيخ سليمان او قادة آخرين ترى هل كان السبب انهم لم يتبنوا الشيوعية. اوغير مؤهلين للمهمة. ولا يرجى منهم خيراً للماركسية اللينينية. ام يعود سببه الى الخلافات الداخلية بينهم. ولذا تركوهم

لشأنهم؟ بينما استخدم المعسكر الغربي الكثير من المنشقين والهاربين من الاتحاد السوفيتي الى الغرب خير استخدام في الدعاية المناهضة للشيوعية.

هنا لابد من الاشارة الى النشاط السياسي والثقافي لعائلة بدرخان وفي شخص الأمير الدكتور كامران. كان له صدى ايجابي وان القضية الكوردية لم تمت. خاصة ان اخذنا بنظرالاعتبار. السياسة التي اتبعتها الدول المقتسمة لكوردستان والمتمثلة في الخنق الاعلامي للقضية الكوردية على الصعيد العالمي. أي (شعب مضطهد بلا صوت). فقد نشط الامير في كتابة المذكرات والبيانات للامم المتحدة وممثلي القوى العظمى واصدر بشكل منتظم نشرة باللغة الفرنسية تتعلق بالتاريخ والسياسة والاضطهاد لشعب كوردستان وألقي المحاضرات وأقام الندوات. كانت السفارات الغربية تتابع نشاطات الامير الكوردي ساعية الى معرفة مايكمن ورائها من تطورات في القضية الكوردية وبالاخص معرفة كل مايخص تنامي النفوذ الشيوعي في المجتمع الكوردي.



Kamuran Bedirkhan

فقد وجه الامير كامران مذكرة مفصلة الى الامين العام للامم المتحدة في 3 أذار/مارس 1956 يندد فيها بالعمليات التي يقوم بها الجيش الايراني ضد منطقة [جوانرو] الكوردية. مستغلاً حلف بغداد وضامناً تعاون الحكومة العراقية في هذه الهجمات. ويذكر:

"منذ فجر4 شباط/فبراير1956 ، تقوم قوات المشاة الايرانية مسندة بالدبابات والمدفعية والطيران بالهجوم على هذه المنطقة الكوردية".

وأشار الى تصريحات الكولونيل الايراني (جان) المشرف على العمليات العسكرية في منطقة جوانرو للوكالة الفرنسية للأنباء حيث قال:

"حتى الأن لم تتوج العمليات العسكرية في هذه المنطقة من كوردستان بالنجاح. لأن المتمردين كانوا يتجنبون القتال بالالتجاء الى العراق. لكن حلف بغداد عبر بشكل راديكالي هذا الوضع".

ويضيف:

"لقد ابتهجت اركان الحرب الايرانية بفعالية حلف بغداد. وهنا لايمكننا تجنب الاشارة الى ان هذه المعاهدة التي تشرف عليها بريطانيا العظمى. كأداة للدفاع ضد العدوان. نراها تطبق للمرة الاولى لقتل النساء والاطفال والشيوخ. وتسد امام الناجين من القصف طريق النجاة لدى اخوانهم من بني جلدتهم في كوردستان العراق". وزاد في مذكرته: "ان حق اللجوء حق مقدس ومعترف به في الاعلان العالمي لحقوق الانسان".

ثم ينتقد اميركا بسبب المقاتلات الجوية التي سلمتها الى الجيش الايراني والتي تستخدم في قصف القرى الأمنة. وتجاهلها للمذكرة التي قدمتها العصبة إلكوردية للجنرال مارشال، وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية الاسبق في 31 أذار /مارس من عام 1947 ملفتاً نظر الحكومة الامريكية للنتائج الوخيمة التي قد تترتب عن ارسال الاسلحة لايران وتركيا دون شروط مسبقة بشأن استخدام هذه التجهيزات.

تبرق وزارة الخارجية البريطانية الى سفاراتها في انقره وبغداد وطهران ودمشق وباريس بتأريخ 25 نيسان/ابريل 1956 فتقول:

(................)

2- استلمنا ايضاً نسخة من نفس المذكرة موجهة الى الامين العام للامم المتحدة. واكتشفنا ان مذكرات وجهت الى وفدنا فى الامم المتحدة عام 1948 والى وفدنا فى المجلس الاوروبى عام 1949 والى وزير الخارجية في ذلك الوقت اى عام 1950. وارسلت نسخة الى وفدنا فى نيويورك عام 1950.

3- هذا اسلوب الرجل الذى يوقع على هذه الرسائل. ونعني الدكتور كامران عالي بدرخان. نحن لانعلم عنه شيأ ولا عن نور الدين زازا الموقع هو الأخر على رسالة الوفد عام 1948. ولا عن شريف باشا. ويظهر انه كتب مذكرة عام 1948. لكننا نعرف ان شريف باشا: "كوردي طاعن في السن يعيش في روما".

4- نشاطات الوفد تتمحور عادة حول جور الحكومات التركية والعراقية والايرانية وبقدر كبير نذالة الحكومة البريطانية. لكن دون تعاطف مع الاتحاد السوفيتي."[9]

---

[9] Foreign Office. S.W I. April 25. 1956. To Chancery. British Embassy Tehran

يحصل تبادل رسائل حول نشاطات كامران بدرخان بين وزارة الخارجية البريطانية وسفاراتها في الشرق الاوسط. ففي رسالة موجهة من السفارة البريطانية من بغداد الى وزارة الخارجية البريطانية تذكر ان:

"الدكتور كامران يعيش لسنوات في باريس حيث يشرف على الجمعيات القومية و الثقافية الكوردية. من اهم نشاطاته هي كتابة الكوردية بالاحرف الاوروبية وطبع ونشر القصص والفولكلور الكوردى بالاحرف المذكورة . شقيقه جلادت عالى بدرخان نشط فى نفس المجال حتى وافته المنية في دمشق حوالى عام 1950. خلال اعوام الثلاثينات وبداية الاربعينات كانوا يطبعون مجلة (هاوار) لتحقيق هذا الهدف. كلا الشقيقان يملكان قابليات ثقافية و بالفطرة مثيري الاهتمام."[10]

وفيما يتعلق بالامير جلادت بدرخان. تبرق السفارة البريطانية فى دمشق الى الخارجية البريطانية فتقول:

" يعتبر جلادت بدرخان زعيماً لاكراد سوريا" و"انه كان معروفاً لدينا معرفة جيدة اثناء الحرب العالمية الثانية....." و: "انه كان يعمل لسنوات في اعداد قاموس كوردي- انكليزي، لكن وافته المنية قبل اكماله. ارملته كانت مهتمه بضمان طبعه وطبع الاحرف الخمسة الاولى المخطط باليد. ارسل مكتبنا للمعلومات القاموس الى معهد الدراسات الشرقية. لحد الأن لم يقرروا فيما اذا كانوا سيطبعونه. انه بالاحرف الرومانية ويعتبر الاكراد هنا ان نظام الالفباء المستخدم فيه افضل من الذي طوّره الروس. وحيث سمعنا انهم يعملون بجدية في مشروعهم كوسيلة لتوسيع مجال دعايتهم فى شمال العراق وأذربيجان الفارسية."

"مجلة [هاوار] التى كان يصدرها جلادت بدرخان توقفت عن الصدور فى سوريا بفترة قبل موته. كانت مناصرة للغرب ومعادية للشيوعية. إن كان شقيقه لا يزال يصدر مجلة مشابهة لها فى باريس. نعتقد انها تستحق التشجيع. وبمساعدتنا لها. قد تخدم هدف صدّ الدعاية الروسية فى الوسط الكوردي."[11]

لم توافق السفارة البريطانية في طهران على ماورد فى البرقية السالفة. وتذكر رداً على المقترح :

"اعتماداً على ماجاء في رسالتكم عن المطبوعات التى يصدرها الـ (الوفد الكوردى) للدكتور كامران بدرخان والتى تخص مظالم الحكومات العراقية والايرانية والتركية. فنحن

---

10 British Embassy Baghdad. May 2, 1956. Confidential 1026/7/56

11 British Embassy Damascus May 7, 1956. Confedential (1825/2/56)

نعتقد انكم ستوافقوننا في الرأي في ان هذا سيكون محرجاً لنا لو شجعناهم رغم كونها معادية للشيوعية كما هو واضح."[12]

ان هذا يوضح ان القضية الكوردية كانت محكومة بمقتضيات الحرب الباردة والتضحية بها من اجل ارضاء الدول الحليفة للغرب والتي تحتل كوردستان.

لقد دخل عامل جديد ذو ثقل كبير على موازين القوى السياسية المتصارعة في الشرق الأوسط الا وهو ولادة دولة اسرائيل عام 1948 . أظهرت الدول العربية معاداتها لاسرائيل وكانت ايضاً معادية لحقوق الشعب الكوردي على أرض وطنه ولم يتوانى الزعماء العرب وصف الحركات التحررية الكوردية بأنها تهدف الى خلق "اسرائيل ثانية". واضح ان الدكتور كامران بدرخان كان على دراية بالأخطار المحدقة بالشعب الكوردي. فقد كان شخصية سياسية متميزة وبعيد النظر وتمتع بصفات Statesman "رجل دولة". كان على دراية بتخلف مجتمعه فيما يتعلق بالتبلور الوطني الحديث وان المجتمع الكوردي تحكمه التقاليد القديمة المتوارثة والأطر القبلية الضارة وتقف حجر عثرة في طريق النضال التحرري.

"لقد علّم الواقع بدرخان ان العدل والتحمل والايمان والقدرة الثقافية ليست كافية لهز دول العالم". و "كان يتنبأ بشرق أوسط ممزق الى وحدات طبيعية. تحظى فيه كل مجموعة او طائفة عرقية بحق تقرير المصير في اطار حدود معقولة. تمكنها من تجذير استقلالها الحضاري." و "كان بدر خان يدرك ان هذا الحلم والنبوءة. لن يتحققا بين عشية وضحاها. لذا اقترح ان تحظى الطوائف والمجموعات العرقية في مسار مرحلي بالحكم الذاتي. في اطار الدول التي تعيش فيها.

وعلى المدى البعيد. كان بدر خان يؤمن بأن نهاية الحكم الذاتي ستحل في يوم ما. ان عاجلاً ام أجلا. وحينها سينشأ شرق أوسط جديد. متعدد الدول والتي ترتبط ببعضها في صورة اتحادات كونفدرالية. وكل دولة ستبدي قدرا كبيرا من الاحترام للدول الاخرى. وستسهم كل منها على حدة. وبالتعاون مع الاخريات في تطوير المنطقة باسرها."[13]

كان يوفال نتمان نائباً لرئيس شعبة الاستخبارات برتبة عقيد وكان مكلفاً بالتنسيق بين اذرعة الاستخبارات الاسرائيلية والفرنسية. عندما التقى بالأمير بدرخان وطرح الاخير عليه

---

12 British Embassy. Tehran May 23/1956

13 شلومو نكديمون الموساد في العراق ودول الجوار ترجمة بدر عقيلي دار الجليل للنشر 1997 ص 16-17.

"فكرة الاستقلال الكوردي. خيل ليوفال نئمان انه يري فيه صورة لبن جوريون. فهو رجل شديد الحماس. ويمتليء صدره بايمان لايعرف التهاون. ويخوض معركته بقوة هائلة."[14]

كان من نتائج نشاطات الأمير كامران ان سهلت إقامة علاقات مستقبلية مع الانتفاضة الكوردية في الستينات. فعندما زار باريس. شاؤول ابيجور رئيس الموساد السابق للهجرة الثانية. ورجل المهمات السرية لصالح الامن القومي. قام نئمان بترتيب اجتماع بينه وبين بدر خان.

ويقول نئمان: عقد الاجتماع في شقتي. وجاء ابيجور مثلما هي عادته باسم مستعار هو "مسيو بن ديفيد" وقد حدث لديه انطباع جيد جداً ووعد بعرض القضية امام بن جوريون. واوفى بوعده.

ويقول نئمان: انه يعتقد ان جميع الاحداث التي وقعت بعد ذلك. بما فيها الاتصالات مع الملا مصطفى البرزاني. ولدت في اعقاب لقاء ابيجور وبدر خان. مرت الاعوام. ووجد ملا مصطفى نفسه على رأس الحركة الكوردية في اعوام الستينات. وفي اول زيارة له لاسرائيل. في نيسان 1968. بادر رئيس الموساد اللواء مائير عميت. بتعريف ملا مصطفى على يوفال نئمان. وقال له: "هذا هو الرجل الذي مهد لكم الطريق لدينا".

ويقول مائير عميت عن كامران بدرخان: "كان بدر خان قد كرس كل حياته للقضية الكوردية. وهو الرجل الذي تمكن من نقل صرخة ابناء شعبه. لآذان الغرب. وهو اول زعيم نتعرف عليه. ويحاول دفعنا نحو تقديم المساعدات للثوار الاكراد في وطنهم."

اما كوردستان الشمال -تركيا- حسب رأي البريطانيين: "ان السياسة الداخلية للحكومة التركية منذ عام 1950 أثبتت نجاحها في دمج الاكراد بالامة التركية و ان شبح نهضة كوردية قومية في تركيا هو في الواقع يعود الى الماضي" وفي حالة ممارسة روسيا الضغط على تركيا، فان "الاكراد سوف يقفون وراء الحزب الديمقراطي الحاكم"[15] . ومن الخطأ الاعتقاد ان "للقومية الكوردية قوة ديناميكية داخل تركيا". كانت تلك وجهة نظر بعض البريطانيين حول زوال الروح القومية الكوردية في الجمهورية التركية ونجاح سياسة التتريك فيها. لقد أظهرت انتفاضة كوردستان الشمالية عام 1984 والتي قادها حزب العمال الكوردستاني خطأ هذا التوجه.

---

14 شلومونكديمون الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي دار الجليل للنشر 1997 ص 42

15 F.O. 37 130177) Septembre 23. 1957 From C.T. Brant

ورغم ان "عدداً كبيراً من العرب في الحدود الجنوبية لتركيا يشكون من ظروف معيشتهم، الا ان ذلك لايشكل مشكلة أمنية داخلية خاصة بالنسبة لتركيا". 16

"وتعتبر تركيا نفسها حامية الجناح الجنوب الشرقي لحلف الناتو وانها تبنت الموقف الغربي في قضايا الشرق الاوسط. وهي عضو في حلف بغداد. وليس هناك احتمال ان تتخلى تركيا عن الفوائد الجمة التي تجنيها من جرآء تواجدها في الحلف الاطلسي وتنضم الى الدول المحايدة وتعرض نفسها للعزلة والضغوط السوفيتية."

"وحتى الأن فشلت جميع التهديدات الروسية لحثها على ترك تحالفها مع الغرب. ولا ارى سبباً في ان تتكلل مناورات روسية اخرى فى تحقيق مافشلت في تحقيقه حتى الأن....."17

وفيما يتعلق بسوريا يشير ارشيف بريطاني مشوب بالقلق. الى تزايد النفوذ الكوردي في الجيش والسياسة السورية. فبالاضافة الى:

" خالد بكداش مؤسس الحزب الشيوعي السوري، وهو كوردي الاصل. الكولونيل سراج – يعني عبدالحميد السرّاج - كوردي ايضاً و الجنرال بزرى - يعني عفيف البزري - كما يبدو من ملامحه هو ايضاً كوردي.

وان الاقلية الكوردية تستمد اهميتها من تهريب البضائع فى المثلث التركي - السوري - العراقي. حيث تجري اتصالات مكثفة. وعبر الحدود المفتوحة الى حد كبير حيث تنشط قوافل العمال والجمال والأن سواق اللوريات. معظمهم من الاكراد. لقد جنّد خالد بكداش وبنى الخلايا الشيوعية من هؤلاء.

وبغض النظر عن المصالح العربية. فان الضباط والمثقفين الكورد في سوريا يميلون نحو الاتحاد السوفيتي لانهم يشعرون انهم يعملون من اجل تحرير وطنهم (بالاخص المناطق الكوردية في العراق وتركيا) . وبحق يمكن مقارنة هؤلاء الضباط الكورد في الجيش السوري باليعاقبة الايرلنديين الذين كانوا في خدمة فرنسا خلال القرن الثامن عشر."18

---

16 F.O. 37 130177) Septembre 23. 1957 From C.T. Brant

[17] C. T. Brant. September 23. 1957. FO. 371 130177 864

[18] A private letter from Co. Waterford to Lord Salisbury. Dated 27 August. 1957.

كان الغرب عموماً يعتبر نفسه مسيطراً على الوضع في الشرق الاوسط. وكان يواجه المد القومي الذى تزعمه جمال عبدالناصر وتزايد النفوذ الشيوعي بتقوية حلف بغداد ودعم الانظمة العربية التابعة له. في حين كانت فرنسا منشغلة بالثورة الجزائرية المتصاعدة. وعندما حصل انقلاب الضباط الاحرار في 14 تموزعام 1958 فى العراق. نزلت اعداد هائلة من الجماهير الى الشوارع تأيداً للاطاحة بالنظام الملكى الموالي لبريطانيا. مما فوت الفرصة على التدخل العسكري ضد الانقلابيين فى بغداد. ونظم الاتحاد السوفيتي مناورات أجراها على الحدود التركية الايرانية واعترف بالنظام الجديد فى العراق بعد اربع وعشرين ساعة من الانقلاب واعلن عن استعداد الاتحاد السوفيتي وحلفائه لتقديم الدعم العسكري للحكومة الجديدة إذا ماتعرض العراق لأي عدوان خارجي تقوم به الولايات المتحدة وبريطانيا والشركاء الآخرون في حلف بغداد.

اصيب الغرب بصدمة قوية في حساباته. فقد وجد نفسه منبوذاً من الشعب وايقن ان النظام الملكي الذي أقاموه كان هزيلاً وبعيداً عن الجماهير. ووجد ان للاتحاد السوفيتي وجمال عبدالناصر شعبية كبيرة في اوساط الشعب العراقي. وهذا ما اخل بالتوازن فى الحرب الباردة.

يظهر من عدد من البرقيات ان التشاؤم انتاب سفراء بريطانيا في الشرق الاوسط من جراء التغير في العراق. فالمهم بالنسبة لهم فى كوردستان هو النفط وليس البشر. فأشار السفير البريطاني في استنبول انه اذا ماتدهورت الاوضاع في العراق فانه يستحسن "اتخاذ مايضمن قيام تركيا باحتلال منابع النفط في الشمال وحرمان عبدالناصر على الاقل من هذه الموجودات الثمينة. واوصى السفير في نهاية تقريره بمراقبة الموقف بدقة وحذر."[19]

وكانت وزارة الخارجية البريطانية قد حثت سفيرها في طهران على تشجيع ايران وتركيا للتحرك فى نفس الوقت ضد العراق لاقتسام كوردستان العراق بينهما فى حالة قيام الجمهورية العربية المتحدة باقامة دولة كوردية تابعة لها فى الشمال كدولة حاجزة بينها وبين السوفيت.[20]

ورد السفير البريطاني فى تركيا بان الأخيرة لا تسمح بان تصبح كوردستان جزءً من الجمهورية العربية المتحدة. وان حصل هذا يمكن ان يميل الأتراك "نحو فكرة التدخل

19 الكورد وكوردستان في الوثائق البريطانية. دراسة تاريخية وثائقية. د. وليد حمدي 1991 لندن صفحة: 266

20 الكورد وكوردستان في الوثائق البريطانية. دراسة تاريخية وثائقية. د. وليد حمدي 1991 لندن. صفحة 267.

المباشر فى العراق وربما سوية مع الإيرانيين الا أنهم سوف لايتحركون دون ضمان الدعم الأمريكى سلفاً. يحتمل ان يأخذ الاتراك ألوية الموصل وكركوك تاركين الألوية الكوردية الاخرى لإيران."[21]

لقد أطلق الانقلاب كل القوى السياسية المحلية من عقالها دفعة واحدة. وهى قوى غير متجانسة. تتجاذبها الانتماءات الحزبية والعائلية والعشائرية والطائفية والشخصية. ولم يكن بمستطاعها بناء أسس دولة ديمقراطية تمثل عموم القوميات والاتجاهات الأيديولوجية والسياسية المختلفة. وظاهرة ضيق الأفق الفكري والسياسي كان امراً ظاهراً فى سلوك الاحزاب والشخصيات السياسية العراقية.

كما ان قادة الانقلاب انفسهم لم يكونوا متجانسين. فكراهيتهم للحكم الملكي كانت من اقوى دوافع اتحادهم واقدامهم على الاطاحة بالنظام الهاشمى. فعبدالسلام عارف -الرجل الثانى فى النظام- كان يجر العراق بقوة وعجالة لاتخلو من التهور نحو الاتحاد الفورى بالجمهورية العربية المتحدة في حين كان عبدالكريم قاسم برفض ذلك. وكان عبدالسلام عارف قومياً عنيداً ولايحمل وداً للشعب الكوردى ومطالبته بحقوقه. كما كان يكرهه للشيوعية بدائياً. في حين كان عبدالكريم قاسم متفهماً لحدود معينة لمعاناة الشعب الكوردى وبداري الشيوعيين فى البداية. كان دمث الاخلاق واكثر انسانية من عبدالسلام عارف ولم يتجه نحو ادخار المال. لكن الخلفيات الثقافية العسكرية لقادة الانقلاب طغت على شخصيتهم السياسية ولم ينتج الجيش العراقي سياسيين محنكين واسعي الافق كما كان الحال مع جمال عبدالناصر وقد ظهر المجتمع العراقى ممزقاً فى الاهداف السياسية بين القوميين البعثيين الشرسين القليلي العدد والشيوعيين الاكثر تنظيماً والموالين دون تحفظ للاتحاد السوفيتى. وكان القوميون الكورد اقرب الى موقف الحزب الشيوعي بالنسبة للوحدة الفورية والموقف من الاتحاد السوفيتي. وكان الصراع حاداً بين الجمعيات الفلاحية والملاكين. وللأسف لم تترسخ عادة الاحتكام الى الشعب عن طريق انتخابات حرة ونزيهة وتأسيس مجلس وطنى يقرر السياسات العامة ويجنب البلاد من النزعة الدكتاتورية. فالجيش بقي مصدر التغيرات السياسية. وكان ذلك بمثابة كارثة على الحياة السياسية وتراجع عن المسيرة الديمقراطية.

---

21 الكورد وكوردستان في الوثائق البريطانية دراسة تاريخية ووثائقية د وليد حمدى 1991 لندن صفحة 8-267

مابعد إنقلاب 14 تموز 1958

حتى قبل إنقلاب 14 تموز، كانت (حرب السويس 29 من تشرين الأول- أكتوبر من العام 1956) قد غيّرت من موازين العلاقات بين دول المنطقة والعالم. فقد نجم عن حرب السويس إنهيار النفوذ البريطاني والفرنسي في الشرق الأوسط وتقوى النفوذ السوفيتي في المنطقة. كما أدت الى إحداث تغييرات داخل ميزان القوى بين الدول العربية. فإلى جانب الحرب الباردة بين الشرق والغرب، كانت هنالك حرب عربية باردة وحامية أحياناً تدور بين القوى العربية الثورية والقوى المحافظة وشكلت حرب السويس نصراً حاسماً للمعسكر الثوري بقيادة مصر ضد القوى العربية المحافظة الموالية للغرب. ضمنها العراق والاردن والمملكة العربية السعودية. وبرز نجم جمال عبدالناصر كبطل شعبي بعد الحرب التي وُصفتْ بالعدوان الإمبريالي الصهيوني ضد الامة العربية..

كان الدرس الأساسي الذي تعلمه (بن غوريون) من حرب السويس هو أن إسرائيل لا تستطيع ان تضمن عمقاً إستراتيجياً خلال توسيع سيطرتها على أراضي جيرانها، لأن القوى العظمى لاتسمح بذلك. لذا إختار إستراتيجية "الردع" وكان هدفه منع الدول العربية إحداث التغيير بالقوة على الوضع الراهن. ولذا كان من الضروري تجهيز جيش الدفاع الإسرائيلي بالأسلحة المتقدمة للمحافظة على تفوقه النوعي على جيوش الدول العربية. لكن هذا لايكفي في نظره. فالبحث عن ضمان خارجي لأمن إسرائيل أمر ذا أهمية قصوى. كان بن غوريون واعياً لعزلة إسرائيل الدولية بعد حرب السويس وتزايد النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط. وخشي من تسليح السوفييت للدول العربية الأكثر عداوة لإسرائيل. فوجد أن ماتستطيع فعله إسرائيل لوحدها لدرء هذا الخطر محدود. فهنا إسرائيل أمام قوة عظمى، الإتحاد السوفيتي. لذا، لموازنة هذا التهديد، عليها أن تجد الى جانبها قوة عظمى تستند إليها. ومن هنا ركّز جهوده لإقناع أمريكا، المنافسة الأولى للسوفييت. بدعم دولة إسرائيل.[22]

ودعى بن غوريون الى بذل جهود ملموسة "لإقناع أمريكا بأنه من الممكن تحويل إسرائيل الى رصيد إستراتيجي في الشرق الأوسط. وإحاطة أمريكا بالعلم من أن هناك ربع مليون جندي كُتبَ عليهم القتال ومستعدون خوض غمار الحرب. ولايمكن تجاهل هذه

---

[22] Israel, the Great Powers, and the Middle East Crisis of 1958. Avi Shlaim. Journal of Imperial and Commonwealth History,12 2 May 1999.

الحقيقة بسهولة."[21] وكان يأمل الحصول من أمريكا على السلاح. الدعم السياسي و ضمانات لأمنها. هذه النداءات لم تلقي أذناً صاغية كما كانت تريدها إسرائيل من واشنطن. فالأخيرة كانت تعتقد أن إسرائيل أقوى من جيرانها ورفضت أن تكون المزود الأول بالأسلحة. كانت واشنطن بحاجة الى الدعم العربي في مجال سياستها العالمية لإحتواء الشيوعية. وكانت على قناعة من أنها ستحقق هدفها دون الحاجة الى تحالف مع إسرائيل.

عند الإعلان عن مشروع إيزنهاور في أذار 1957. والذي وعد بالمساعدات العسكرية والتعاون مع دول الشرق الأوسط. ضمنها إسرائيل. ضد العدوان الشيوعي أو من دولة تحت السيطرة الشيوعية. ساندت إسرائيل المشروع على أمل تطويره ليشمل ضماناً أمريكياً لأمن إسرائيل. لكن هذا المشروع كان ضد الشيوعية العالمية. ولم يكن معادياً للدول العربية الثورية المعادية لإسرائيل. وحاولت الأخيرة إشهار التحالف بين الدول العربية الراديكالية والإتحاد السوفيتي. لإقناع واشنطن بتبني وجهة نظر تل أبيب. لكن دون نجاح مرضي.

أبرمت صفقة سلاح بين دمشق وموسكو صيف عام 1957. وزاد التوتر على الحدود الإسرائلية السورية بصدامات مسلحة. شعر جرّائها بن غوريون بالخطر المزدوج من الشيوعية والقومية العربية الراديكالية. وعندما علم بأن واشنطن تشجع عملية إنقلاب في سوريا. سعى الى الإتصال بالأمريكان موضحاً إستعداد بلاده في المشاركة الفعلية. رفض الأمريكان المقترح: " كان الأمريكان على استعداد للإستماع الى الأراء الإسرائيلية واستلام المعلومات المخابراتية. لكنهم حريصون على تفادى أي تعاون فعلى مع إسرائيل بسبب علاقاتهم بالعالم العربي."[24]

وفي خريف عام 1957. قاد بن غوريون حملة دبلوماسية لنوع من الشراكة الإسرائلية في حلف شمال الأطلسي. مدفوعاً دائماً بهاجس ضمان "أمن إسرائيل" ولم يكن الهدف كما يذكر Avi Shlaim "عضوية رسمية. لأن ذلك غير وارد. لكن شراكة مقربة وتعاون في خطط الدفاع." ثم أرسل وزيرة الخارجية غولدا مائير للتباحث مع Allen Dulles مدير وكالة الإستخبارات المركزية. وأرسل مبعوثين الى باريس و بون ولاهاي. تعاطف الفرنسيون مع

---

[23] Ibid

[24] Ibid

المقترح. لكن في شهر ديسمبر/كانون الأول 1957. وبسبب ضغط مكثف من واشنطن. رفض مجلس [الناتو] طلب إسرائيل في المشاركة.[25]

إستمرّ بن غوريون في مسعاه رغم العراقيل. وكان يريد إقناع الأمريكان بأن يعلنوا أنهم سيهرعون لمساعدة إسرائيل حال تعرضها لهجوم سوفيتي أو من قبل طرف مساند من قبل السوفييت. وكان يقول للأمريكان: "نحن نعاني من عزلة. لذا يعتقد العرب ان القضاء علينا ممكن. ويستغل السوفييت هذا الوضع. لكن إذا ما وقفت قوة عظمى الى جانبنا، وعرف العرب بذلك وبأننا حقيقة قائمة لايمكن إزالتها. هنا ستوقف روسيا عدائها تجاهنا."[26]

وفي شهر كانون الثاني من عام 1958. إتحدت سوريا ومصر وشكلت الجمهورية العربية المتحدة. وهناك إعتقاد بأن النخبة السورية القومية الحاكمة أنذاك. بادرت الى الوحدة خوفاً من المدّ الشيوعي ولغرض إيقافه. لكن الأنظمة الشرق أوسطية المرتبطة بالغرب. وجدت في هذا الإتحاد تهديداً لأمنها. ضمنها الأردن والعراق. حيث بادرت الى إقامة إتحاد ثان فيما بينهما. والأسرتان الهاشميتان في بغداد وعمان كانتا ترتبطان برباط القرابة ومواليتان للغرب. إتحدتا للدفاع عن أنفسهما ضد إنتشار النفوذ الناصري في العالم العربي. كذلك إسرائيل. وجدت في الاتحاد المصري السوري كماشة تهدد وجودها.

إن التطور السياسي الجديد تجاه العالم العربي في الحقبة التي تلت حرب السويس. هو تبني إسرائيل سياسة أطلق عليها [تحالف الهامش] أو [التحالف مع الهامش]. كانت الفكرة الأساسية ترتكز على القفز على دائرة الدول العربية المعادية والتي تطوق إسرائيل. وعمل تحالفات مع الدول غير العربية مثل أثيوبيا وهي مسيحية. إيران وتركيا المسلمتين ولكنهما غير عربيتين. كان العامل المشترك بين هذه الدول هو تخوفها من المدّ الشيوعي والراديكالية العربية التي يقودها جمال عبدالناصر. كانت الخطة الإسرائيلية تهدف وقف النفوذ السوفيتي والناصري في أسيا وأفريقيا. هذه السياسة إستهدفت تقوية خطط الردع الإسرائيلية وتقليص عزلتها وزيادة نفوذها وأهميتها في المحافل الدولية. لم يكن هذا التحالف ضمن أطر التقاليد المعروفة ديبلوماسياً بين الدول. فلم يكن لدى إسرائيل علاقات ديبلوماسية طبيعية مع دول الهامش. بل شكل تحالف غير رسمي ومعظم العلاقة بقيت

---

[25] Ibid

[26] Israel, the Great Powers, and the Middle East Crisis of 1958. Avi Shlaim Journal of Imperial and Commonwealth History.12:2.May 1999

سراً. وانيطت إدارة هذه العلاقة بالموساد. ولم يكن دور جيش الدفاع الإسرائيلي ووزارة الخارجية غير الإسناد. ولعبت إسرائيل دوراً في تقوية الداخل لـ (دول الهامش) عن طريق تنظيم أمنها الداخلي وتوفير المعلومات وزيادة قدرات الجيش أو البوليس ليصبح قادراً على مواجهة أي إنتفاضة فجائية داخلية. أومحاولات خارجية تهدف تغيير النظام عن طريق إنقلاب.

إضافة الى مساعدة هذه الدول لدرء الأخطار الداخلية والخارجية عنها. إهتمت سياسة (تحالف الهامش) بالشعوب الأخرى في الشرق الأوسط مثل اليهود والمارونيين والأكراد والدروز والأقباط. فعن طريق التحالف معهم. تتمكن إسرائيل من تقليص عزلتها وتزيد من ضغطها على الدول العربية المهددة لإسرائيل إن سياسة القمع والإضطهاد القومي التي مارستها الحكومات العراقية المتعاقبة. هيأت عوامل إلتقاء الحركة الكوردية بسياسة إسرائيل في إطار (تحالف الهامش) في منتصف الستينات من القرن الماضي. كما سنرى فيما بعد.



بن غوريون الذي طور مع عدد من مستشاريه ستراتيجية التحالف مع الهامش

شهد عام 1958 سلسلة من الأزمات التي إجتاحت الشرق الأوسط.. شملت لبنان والعراق والاردن. ففي شهرمايس/ماي 1958 إندلعت حرب أهلية في لبنان بين المسيحيين من أنصار الرئيس كميل شمعون المناصر للغرب وبين الجبهة الوطنية الإشتراكية والتي نادت بالإنضمام الى الجمهورية العربية المتحدة. وفي 14 تموز من نفس العام قامت مجموعة من العسكريين العراقيين بالإستيلاء على الحكم في بغداد وأطاحوا بالنظام الملكي الموالي للغرب. وقتل الإنقلابيون الملك فيصل وولي العهد عبدالإله ورئيس الوزراء نوري

السعيد. ولكون العراق منتج هام للنفط وعضو رئيسي في حلف بغداد. فإن الاطاحة بالنظام الموالي للغرب شكل تهديداً بتغيير الخارطة الإستراتيجية للشرق الأوسط. وبمعنى اخر وجدت جميع الأنظمة الموالية للغرب في المنطقة أنها مهددة بالزوال. الاردن ولبنان بشكل خاص وشعر حكام البلدين بالخطر. فطلب الرئيس كميل شمعون مساعدة عسكرية من الولايات المتحدة تحت مظلة مشروع إزنهاور. كما ناشد الملك حسين الدعم من بريطانيا.

قرر البيت الأبيض إرسال البحرية الى شواطىء لبنان تأيداً لنظام كميل شمعون الهزيل خلال الـ 48 ساعة التى أعقبت الإنقلاب في بغداد. كما قرررئيس الوزراء البريطاني (هارولد مكمبلان) إرسال حوالى 1500 من القوات البريطانية من قبرص الى عمان. وطلب من إسرائيل السماح باستخدام أجوائها. كان الخبراء في جيش الدفاع اللاسرائيلي يرون الحفاظ على نظام الملك حسين ذا أهمية إستراتيجية لأمن إسرائيل. وكانت المخابرات العسكرية متخوفة من إنتقال عدوى الإنقلاب العراقي الى الاردن ومساندة الجمهورية العربية المتحدة لها. ونظراً لقرب الاردن من نقاط إستراتيجية إسرائيلية. فقد إرتأى بعض العسكريين الإسرائيليين إحتلال جميع الضفة الغربية أو أجزاء منها حال حصول إنقلاب ناصري في الاردن لكن دفيد بن غوريون عارض الفكرة.

لقد ظهرت أهمية إسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة وبريطانيا في مواجهة المخاطر التي تهدد الأنظمة العربية المناصرة لهما. وقد طلبت أمريكا مثل البريطانيين إستخدام الأجواء الإسرائيلية. بلغ عدد القوات التي أنزلت لحماية البلاط الملكي الاردني ونقاط استراتيجية أخرى 4000 عسكري مع الأسلحة والذخائر. بقيت هذه القوات عدة أشهر الا ان تقلص التهديد. وقد شكر الملك حسين بريطانيا وإسرائيل. فيما بعد إعترف العاهل الاردني بالعزلة التامة التي عانت منه بلاده بعد الاطاحة بالنظام الملكي في بغداد وانه لم يكن هناك مخرج غيراستخدام الأجواء الإسرائيلية للتزود بما تحتاجه. لقد ساعدنا البريطانيون والأمريكيون ونقدر ذلك بكل تأكيد. كما شكر إسرائيل للتسهيلات التي قدمتها في مجال سماحها بمرور المساعدات عبر أجوائها.[∴]

إستغل بن غوريون الوضع الجديد وأهمية إسرائيل في تسهيل مخططات الغرب في الشرق الأوسط. فجمع مستشاريه وقال لهم: "علينا الان العمل بكل طاقاتنا للحصول على

[∴] Israel, the Great Powers, and the Middle East Crisis of 1958. Avi Shlaim. Journal of Imperial and Commonwealth History.12 2 May 1999

السلاح من الولايات المتحدة. وطلب الإشتراك في المناقشات السياسية والعسكرية المتعلقة بالمنطقة. والعمل على تقريب دول الشرق الأوسط المعارضة لناصر." ومن النقاط الهامة التي أراد تحقيقها بن غوريون "ضمان الدعم الأمريكي لسياسة تحالف الهامش. والإعلان عن ضمان أمن إسرائيل."[28]

والجدير بالذكر أن الدكتور (الأمير كامران عالي بدرخان) كان على إتصال بمسؤولين بارزين إسرائليين منذ الأربعينات. أي حتى قبل إيجاد استراتيجية التحالف مع الهامش. وكان قد إلتقى بغولدا مائير وأخرين. وهو المبادر الأول في إقامة العلاقات مع إسرائيل واليه يعود الفضل في تسهيل اقامة قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني العراق - العلاقة بتل أبيب. حيث زارها إبراهيم أحمد. عصمت شريف فانلي. ملا مصطفى . إدريس ومسعود نجلي ملا مصطفى. الدكتور محمود عثمان. سامي (محمد محمود عبدالرحمن. مقدم عزيز عقراوي وأخرين. وقد إستمرت هذه العلاقة بين أعوام 1963 – 1975.[29] لاشك ان الصلات التي أوجدها الأمير كامران وطلب قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني من تل أبيب تقديم المساعدات لها. كانت منسجمة تماماً مع سياسة (تحالف الهامش) التي نوهنا عنها والتي طورها بن غوريون مع عدد من مستشاريه.

إن نقطة الضعف في هذه السياسة - فيما يخص الحركة الكوردية - كانت متأتية من الهامش الوسيط - ايران. المانح للمساعدة والمتآمر في نفس الوقت - ومن الهامش الثانوي - جهل قيادة الحركة الكوردية في ادارة العلاقات الدولية - فعن طريق الهامش الوسيط - إيران تعبر المساعدات من اسرائيل إلى معاقل الحركة الكوردية

شكّل إنقلاب 14 تموز نقطة إنعطاف إضافية هامة في تاريخ الشرق الأوسط وفي علاقات المنطقة بالغرب. إذ إنتهى الشكل القديم من علاقات الامبراطورية البريطانية. رغم إستمرار تواجدها في عدن والخليج. وبدأت حقبة تزايد النفوذ الأمريكي وحلوله محل النفوذ البريطاني والفرنسي. وقد نجم عن الوضع الجديد تحول في طبيعة العلاقات بين تل أبيب والغرب. وعلى وجه الخصوص مع الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد تمتعت مصر بقيادة عبدالناصر بعد ثورة 1952 بوضع متميز عن سائر الدول العربية الاخرى. فقد تصرفت كمحرك أساسي للوحدة العربية وكحامية "للأنظمة العربية

---

[28] Israel. the Great Powers and the Middle East Crisis of 1958 Avi Shlaim Journal of Imperial and Commonwealth History 12 2 May 1999

[29] الموساد في العراق ودول الجوار شلومو نكديمون ترجمة بدر عقيلي د ر الجليل للنشر عمان 1997 ص 8

التقدمية" ومعادية "للأنظمة الرجعية" ومارست نفوذاً كبيراً على سائر الدول والشعوب العربية. وكان جمال عبدالناصر الزعيم القومي بلا منازع. و في شباط/فبراير من عام 1958، هرع القادة السوريون الى القاهرة من أجل الوحدة. وفي 22 من نفس الشهر أيد الشعب السوري الوحدة من خلال الاستفتاء. وفي اليمن انعكس دور (الأخ الأكبر) عندما ارسلت مصر جيوشها لحماية الجمهوريين ضد الملكيين عام 1962. الا ان مصر لم تكن في الواقع دولة قوية اقتصادياً ومواردها لاتسمح لها بالقيام بدور قوة عظمى في المنطقة. في تلك الفترة بدا العالم العربى منقسماً على ذاته. رافعاً شعارات متضاربة وبتأمر الزعماء ضد بعضهم البعض. بحيث لم تسمح هذه الظروف لإمكانية تطور طبيعي للدول العربية نحو دول تسودها مؤسسات وفيها تراعى مبادىء الديمقراطية. انما دخل الحكام القوميون. بعد الاستيلاء على السلطة. في مواجهات مع شعوبهم فصادروا الحريات العامة ومارسوا القمع والاضطهاد وتبنوا المحسوبية والمنسوبية. وبقى مشروع بناء الدولة الحديثة غير مكتمل.

وفي العراق. مارس القوميون الضغط على عبدالكريم قاسم للانضمام الفورى الى الجمهورية العربية المتحدة. التي تشكلت بوحدة مصر وسوريا. بقصد احراجه. وكان البعثيون واضحين فى موقفهم العدائي أزاء الشعب الكوردى. فقد ورد في 4 شباط عام 1959 في مقالة لهم: "ان الشعب العربى الكريم قد اسبغ حمايته على كل هذه الاقليات....وترك لهم الخيار بالبقاء فى الوطن العربى او الهجرة الى بلادهم كالأرمن....القومية العربية تساند نضال الاكراد من اجل اقامة دولة كوردية. لكن اين حدود هذه الدولة؟ ان الحدود التى تحوى القومية الكوردية هى كوردستان التى تؤلف جزء من تركيا وايران. وستكون القومية العربية مسرورة بوجود جارها الصديق بلاد كوردستان الديمقراطية المتحررة ... الا انها ليست على استعداد لاقتطاع جزء من بلادها واعطائه للأخرين...." [30]

كان حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق قد شكل منظمة شبه عسكرية اصبحت نواة للحرس القومي فى عام 1963 بقيادة ضابط استخبارات. الرائد صالح مهدي عماش وزير الدفاع لاحقاً. وصدرت جريدة البعث اليومية (الجمهورية) فى 17 من تموز. صاحب امتيازها عبدالسلام محمد عارف. وفي صدر الجريدة الشعار البعثي الشهير. وحدة. حرية. اشتراكية . وبرأس تحريرها الدكتور سعدون حمادي.[31]

---

30 العراق فى عهد قاسم اوريل دان تاريخ سياسي 1958-1963 نقله الى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي والنص منقول عن جريدة الصحافة بيروت 4 شباط 1959 ص 179

31 العراق فى عهد قاسم اوريل دان تاريخ سياسي 1958 1963 نقله الى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي ص 94-95.

وبعد عشرة ايام من انقلاب 14 تموز بقيادة عبدالكريم قاسم، زار ميشيل عفلق السكرتير العام للقيادة القومية لحزب البعث العربي الإشتراكي والذي كان مقيماً في سوريا ومؤسس حزب البعث "شيخ البعثيين". زار بغداد، مشدداً على وجوب قيام الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة. لكن لم تكن لهذه الزيارة اهمية تذكر لضعف حزب البعث السياسي أنذاك.

وتم الاعتراف بشكل متبادل بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة، واعلن عبد الناصر ان اي اعتداء على الجمهورية العراقية هو اعتداء عليها. وزار عارف دمشق والتقى بعبدالناصر في 19 تموز 1958 والذي كان في زيارة لها. ووقعا إتفاقاً أمنياً وسياسياً. وحسب ماورد في عدد من المصادر فقد اكتشف جمال عبد الناصر انه امام رجل ذو ذكاء محدود ونسب اليه قوله فيما بعد: "انه لايعدو ان يكون طفلاً"[32]. ويروى في اول لقاء بين صديق شنشل وهو وزير الاعلام العراقي في اول وزارة بعد إنقلاب 14 تموز ومن قادة حزب الإستقلال أن عبدالناصر سأله عن رأيه في عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف، فأجابه: ان عبدالسلام عارف نصف مجنون وعبدالكريم قاسم نصف عاقل.

شعر قاسم ان عارف يتجه نحو الوحدة الفورية ويكرر بأنه هو بطل الثورة وانه [عارف] تسبب في شق وحدة المجتمع العراقي وهذا ما يتطلب إيقافه. في 7 أب 1958 خرجت في بغداد المظاهرة الاولى الحاشدة امام وزارة الدفاع وهي تندد بالوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة. لكن من جانبه كان عارف يشدد على الوحدة الفورية. في نهاية شهر أب صدر مرسوم جمهوري يقضي باعفاء عارف من منصبه كنائب القائد العام للقوات المسلحة، لكنه ظل وزيراً للداخلية. و"نحي ايضاً العقيد احمد حسن البكر من عضوية المحكمة العرفية العسكرية، وهو معروف بميوله البعثية القوية وواحداً من اوائل ضباط الجيش الذي صرح في مجلس خاص بان ليس ثم سبيل للعودة الى خط القومية العربية بغير انقلاب جديد."[33]

ازدادت شكوك قاسم بتصرفات عارف فأبعده سفيراً الى بون - المانيا - . لكنه عاد الى بغداد في 4 تشرين الثاني/نوفمبر 1958 وجرت مشادة كلامية بينه وبين قاسم الذي اصر

---

32 العراق في عهد قاسم اوريل دان تاريخ سياسي 1958-1963 نقله الى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي ص 97

33 العراق في عهد قاسم اوريل دان تاريخ سياسي 1958-1963 نقله الى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي ص 107

على ان المصلحة العامة تقتضي بقائه في الخارج. ثم اعتقل عارف وحوكم ووجهت اليه تهم تدبير انقلاب في ليلة 5/4 من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 1958 و محاولة اغتيال قاسم. فحكمت عليه المحكمة بالموت. الا ان قاسم رفض تنفيذ الحكم على صديقه القديم.

يتسائل الكاتب اوريل دان عن سبب هذا التعامل مع عبدالسلام عارف فيقول:

"مالذي دفع قاسم الى انتهاج هذا السبيل وهو يعرف [عارفاً] رجل افعال. قادراً على كسب الولاءات. قاسياً. ماكراً؟ لابد وانه ادرك بأن [عارفاً] سيظل دائماً بؤرة تجمع للقوى القومية المؤيدة [لعبد الناصر] في العراق. في الواقع لم يشارك [عارف] في مؤامرة مسلحة في حينه. الا انه كان قميناً بذلك في اول فرصة تعن له لو صفح عنه. وبعض التفسير قد نجده بلا شك في ثقة [قاسم] بنفسه وكرهه الطبيعي في سفك الدماء. بل ربما كان يحفظ في قلبه بقية ود [للعارف]. تلك المودة التي دفعته الى رفع معاونه هذا الى المقام الاول. ومن المحتمل ان [قاسماً] كان ينظر الى [عارف] نظره الى صبي مدرسة مشاغب لكنه ليس شريراً بطبعه. واحساسه بان [عارفاً] وقع تحت تأثير الآخرين تجلى في لحظة من التوتر العصبي حين قال له "سأبعدك عن رجال السوء."[34]

واودع عارف في السجن العسكري في معسكر الرشيد.

وكانت حكومة قاسم قد عملت على اعادة العراقيين الذين تركوا العراق لاسباب سياسية. منهم رشيد عالي الكيلاني الذى عاد الى بغداد في الاول من ايلول 1958 بعد غيبة طويلة. كان شخصية تكره الشيوعية ولابطيقها ومن الذين وعدتهم الجمهورية العربية المتحدة بالدعم لاسقاط قاسم. وكان من انصار الانضمام الى الوحدة مع ناصر. قام رشيد عالي بالاتصال بالموثوقين والمقربين له وكثف الإتصالات مع شيوخ العشائر والملاكين وضباط الجيش للقيام بانقلاب.الا أن استخبارات قاسم إكتشفت خيوط المؤامرة بكل ابعادها وفي اليوم الموعود للانقلاب مثل المتآمرون امام المحكمة اى في 10/9/ 1958 في جلسة سرّية يترأسها فاضل عباس المهداوي.

كانت مصر بتلك الفترة على علاقات سيئة بالدول الغربية الى جانب معاداتها للأحزاب الشيوعية في الشرق الأوسط وتعادي قاسم لموقفه من الوحدة مع مصر واحتضانه للقوى اليسارية.

---

34 العراق في عهد قاسم. اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله الى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي ص: 118

كذلك رأى الغرب ان تنحية عبدالسلام عارف ورشيد عالي الكيلاني في العراق هو توجه نحو تقوية التيار الشيوعي في العراق.

إلا ان الحقيقة إن قاسم لم يقم علاقات عميقة راسخة، مع الحزب الشيوعي العراقي او الحزب الديمقراطي الكوردي الموحد، رغم انهما كانا من القوى الداعمة له، وهكذا نجد ان قاسم لم يعرف كيف يتعامل لا مع أصدقائه ولا مع أعدائه، فظل يعيش وسط اعداء له في الجيش يتربصون به، ويتحينون الفرص للإنقضاض عليه.

تتالت محاولات القوميين العرب في قلب النظام بدعم من القاهرة، فكانت حركة العقيد عبدالوهاب الشواف. كانت مجموعة كبيرة من طاقم المتأمرين العسكريين ينتمون الى: "اسر عريقة مثل الراوي والشواف والطبقجلي والعمري وكثير غيرها، يدل دلالة لاتقبل الشك على ان طابع الحركة الحقيقي هو مكافحة الشيوعية، بل هو غير تقدمي. ولم تخطىء المحافل اليسارية هذه السمة بعدها فقد كان لاتهامها بالرجعية مبررات تزيد عن المطلوب عادة." [35]

كانت طبقة الملاكين التي تقلص نفوذها بعد المصادقة في أيلول/سبتمبر 1958 على قانون الاصلاح الزراعي من مؤيدي حركة الشواف والإطاحة بحكم عبدالكريم قاسم.

في هذا المناخ السياسي المشحون بصراع المصالح والأيديولوجيات والمؤامرات في الخفاء كان هناك شاب عانى من ضنك العيش ومن الجو العائلي المتشنج والخلافات على الاراضي وكان ذو أفاق ثقافية محدودة، لكنه يحمل في داخله بذور المكيدة والانتقام. ولد في قرية "العوجة" التابعة "لتكريت" جاء الى بغداد ليجد له مكاناً داخل خيمة حزب البعث العربي الاشتراكي.

ولنستشهد بمن كان في داخل خيمة حزب البعث وهو شاهد عيان، انه [حازم جواد] البعثي المعروف ووزير داخلية ابان حكم البعث في 1963، وكان معتقلاً في أواخر 1958 في مركز شرطة السراي في بغداد والى نفس المعتقل جيء برجلين، وتقول جريدة الحياة نقلاً عنه: "افتادت الشرطة شاباً نحيل القامة ورجلاً في منتصف العمر. لاحظ المعتقلون أن مدير المعتقل مهدي الرفاعي، وهو من تكريت، اعطى المعتقلين الجديدين غرفة منعزلة

---

35 :العراق في عهد قاسم. اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله الى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي ص:214

وأنهما حرصا على عدم الاحتكاك بسائر المعتقلين أو التحاور معهم. وبعد السؤال عن الرجلين جاء الجواب: انهما شاب اسمه صدام حسين وخاله خيرالله طلفاح. الأول متهم باغتيال الحاج سعدون التكريتي الذي يعتقد أنه شيوعي. والثاني متهم بتحريض الأول على ارتكاب الجريمة. وفي تلك الأيام لم يكن ثمة ما يدعو حازم جواد إلى التوقف عند اسم الشاب النحيل أو شخصه. فقد كان صدام حسين شاباً مجهولاً ولم ترشحه الأقدار بعد لمصير استثنائي."[36]

هذا الشاب كان يبحث عن سلّم ليتسلق نحو قمة السلطة ومركز صنع القرار. وقد زودته القومية بشعاراتها البراقة نقطة انطلاق. ولم يكن هناك أفضل من السلّم القومي "الحزب" الذي يعاني من الضعف والتشرذم والذعر من المد الشيوعي. ولم يكن المجتمع العراق واعياً جريئاً فيه من المناعة ما يكفي لصد النزعات الدكتاتورية ودحرها وهي في المهد، او القدرة على اكتشاف ماهية الاشخاص الانتهازيين المتلبسين بلباس القومية والوطنية وسدّ الطريق أمامهم. انما كان مجتمعاً ينتشي بسرعة بالشعارات البراقة ويعاني من التخلف. ومستنقع السياسة الآسن وفز للمغامرين والوصوليين مجالات واسعة للترقي والاستحواذ على مقادير مجتمعاتهم. وهذا يشمل المجتمع الكوردى أيضاً.

اضافة الى "سلّم" "العشيرة والحزب القومى". كان هناك "سلّم" أخر الا وهو"الجيش" لقد صعد طغاة الشرق الاوسط نحو الإمساك بلجام السلطة من خلال هذه السلالم وعبر الدماء وسموا انقلابهم أو حركتهم [بالثورة الوطنية العظيمة] فالضباط ذوي الرتب العالية والمتوسطة فى الجيش كانوا محدودي الثقافة العامة وكانوا مسيسين من دون ان تكون لديهم المام بالديمقراطية او تصور شامل لإدارة دولة عصرية. لقد تدخلوا فى السياسة دون معرفة كافيه بها، فتعسكرت الدولة على حساب ضمور المجتمع المدنى

هذه التشكيلات "الجيش"،"الحزب" و"العشيرة" فى النهاية مثلت الحكومة الظالمة - ليست حكومة بالمفهوم الغربي- ولجأت فى عملية الصراع السياسي فى الشرق الاوسط، نحو العنف والتصفيات الجسديه للخصوم وهذا مايتطلب تجنيد رجال من نوع خاص. وبكلمة ادق، وجد "الإنتهازيون الاذكياء والفساة" فرصتهم في العمل الحزبى، تحت شعار خدمة "الوطن العزيز" والتفانى من اجل "الشعب العظيم" ورفع "راية الكرامة القومية

---

36 الحياة 8/02/2004 مقالة بعنوان: الرجل الذي قاد البعث العراقي الى السلطة في 1963 يكسر عقوداً من الصمت ويمنح للحياة أسراره.

ثانياً: لقد استخدم حزب البعث العربي الاشتراكي صدام حسين في عملية اغتيال عبدالكريم قاسم. وكانت هذه ثاني خطواته في تسلقه سلم السلطة والهرب من البؤس.

هنالك. على صعيد "الاحزاب" و "الحكومات" في الشرق الاوسط. حالات عديدة تميز علاقات "المغامر" بـ "السياسي" في ظل التخلف السياسي والإجتماعي السائد. فالسياسي هو الى حد كبير "نظري" وقد يكون درس او تخرج من احدى الجامعات. اما "المغامر المتسيس" فهو "عملي" السياسي المثقف يكتب دستور الحزب ويرسم سياساته ويحدد اهدافه البعيدة والقصيرة الامد. وهذا السياسي المثقف يؤمن باستخدام القوة في عملية الوصول لسدة الحكم. لكن غياب الثقافة الديمقراطية والقيم الحضارية لدى النخب السياسية. كان يدفعهم نحو التماس عون "القوميون القتلة" في محاربة الخصوم. وهكذا كان صدام حسين وامثاله يسدون فراغاً مهماً في النشاط السياسي لحزب البعث العربي الاشتراكي. كما كان بإمكانه ان يأتي من بين عشيرته وأقرانه بأعضاء جدد يحملون نفس الميل نحو القسوة. وفي مجرى عملية التبادل بين "المثقف السياسي الضعيف" و"المغامر المتبنى للقومية". ترجح بالتدريج كفة الأخير على كفة المثقف السياسي المتردد والخائف والانتهازي. وفي النهاية يستسلم المثقف السياسي الى المجرم. بعد ان اصبح المجرم بطلاً قومياً. اثر تحقيقه لعدد من الانتصارات للحزب. ان "النزعة السادية" الواضحة في عدد من أعمال الجيوش وأجهزة الامن والمخابرات والاحزاب في بعض بلدان الشرق الاوسط (المجتمع الكوردي لايستثنى) هي نتيجة لخلل في ثقافة النخب السياسية التي لاتتوانى بإستخدام القاتل وتوفر له مكانة سياسية مرموقة ولاتنشأ العراقيل لمنع صعوده الى الحكم. يضاف الى ذلك وجود "ثقافة الإنبطاح" في الأوساط الشعبية أمام الحاكم الطاغي. هذه الثقافة المتخاذلة. عندما تصطدم بالطاغية. تنبطح وتنتج نمط من السلوك الوثاني من خلال عملية تحويل "خوف الجماهير". الى انصياع و"ولع هستيري بالمستبد والافراط في تعظيمه وتبجيله"

ولنعد الى ما اتى به النظام الجمهوري من مكاسب للشعب الكوردي. فقد نصت المادة الثالثة من الباب الاول لدستور 27 تموز 1958 المؤقت: "... ويعتبر العرب والاكراد شركاء في هذا الوطن ويقر هذا الدستور حقوقهم القومية ضمن الوحدة العراقية." في حين تنص المادة الثانية من نفس الباب الاول من الدستور: "العراق جزء من الامة العربية."

في واقع الامر هذا الاعتراف الدستوري رغم كونه لايتعدى الاطار النظري. كانت له اهمية سياسية. فلا النظام الملكي ولا سلطة الانتداب اعترفت دستورياً بالشعب الكوردي. ناهيك عن حكومات انقرة وطهران ودمشق. لم يحدد الدستور نوعية هذه الشراكة. حكم

ذاتي ام فدرالي. لكن استمرارية تحكم الادارة الاحادية الملكية القديمة في ظل الجمهورية والتي كانت الوصاية البريطانية قد فرضتها، ادى الى بقاء هذا النص حبراً على ورق. لكن في كل الاحوال استبشر الشعب الكوردي بالنص ووقف داعماً النظام الجمهوري بحماس كبير. ولاشك ان المادة الثانية تناقض المادة الثالثة عندما تنص على ان العراق جزء من الامة العربية. ان هذا يعطي مفهوم ان الشعب الكوردي ليس الا اقلية في الوطن العربي وهذا مخالف للحقائق الاثنية والتاريخية والجغرافية.

كما اعيد الاعتبار في 1 أذار 1959 الى الضباط الكورد الاربعة الذين شاركوا في انتفاضة بارزان عام 1945 والذين اعدمتهم السلطات العراقية الملكية في عام 1947. وليس من شك ان قاسم كسب الكثير من الدعم الشعبي الكوردي جرّاء هذه الاجراءات وكان بالفعل محبوباً من الجماهير الكوردية لفترة من الزمن انتهت بتراجعه عن معظم الوعود وترسيخ حكم دكتاتوري عسكري.

يقول اوريل دان: "فقصد [قاسماً] في 17 تموز وفد تهنئة برئاسة [ابراهيم احمد] وطلب الوفد منه ان يمنح المنطقة الكوردية درجة من الادارة الذاتية. فأبى [قاسم] . ورغم هذا يعتبر الكاتب ان المقابلة مع قاسم كانت ناجحة ومرضية. ويضيف: "ففي اليوم التالي اذاع راديو بغداد برقية الى الامين العام للامم المتحدة موقعة من اعضاء الوفد نيابة عن خمسة آلاف كوردي موقع باسم "القومية الكوردية في العراق". تعرب عن تضامن الكورد التام "مع اخوتنا العرب في الدفاع عن جمهوريتنا الفتية". وعلى اثر ذلك اظهرت الحكومة حسن نيتها باطلاق سراح [الشيخ أحمد البارزاني] الأخ الأكبر [الملا مصطفى] وبقية الاشخاص ذوي العلاقة بالثورات البارزانية في الأربعينات." [37]

في يوم نشر الدستور المؤقت قابل قاسم وفد كوردي كان من ضمنه ابراهيم أحمد للتهنئة بالحدث. المحامي ابراهيم احمد كان سياسياً وشاعراً وروائي. ذاع صيت احدى اشعاره : "شيرين بهاره" "شيرين انه الربيع" غناها المطرب الكوردي المعروف طاهر توفيق. كما ألف رواية "جراح الامة" وكلها تحمل طابع وطني كوردي تدور حول المعاناة والاضطهاد والغربة والتي يعاني منها الشعب الكوردي. نشط في فترة الغليان السياسي التي اعقبت الانقلاب. ذهب لاستقبال ملا مصطفى مع عدد من الرفاق ضمنهم صادق بارزاني وعبيدالله بارزاني ، الابن البكر لملا مصطفى في جيكوسلوفاكيا.

---

37 العراق في عهد قاسم. اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله الى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي. ص: 172-173

وثم واصل ابراهيم احمد مساعيه وكان هدفه الحصول على مكاسب ملموسة للشعب الكوردي. فقابل في 19 أب 1958 مع عضوان من الحزب الديمقراطي الكوردي الموحد عبدالسلام عارف. والاخير كان وزيراً للداخلية وطلب منه اجازة باصدار صحيفة للحزب. فرفض ونصحهم بالاستفادة من جريدة الجمهورية. ورفض عارف ايضاً الاعتراف الرسمي بعيد نوروز. وذكر ان القانون يجعل 21 أذار "يوم الشجرة" كما طلب الوفد الكوردي منح الجنسية العراقية للكورد الفيليين البغداديين. لم يوافق عارف على ذلك ايضاً.[38]

وفي 6 من شهر تشرين الأول وصل ملا مصطفى بغداد وفي اليوم التالي زار قاسم برفقة ابراهيم احمد. ويظهر ان قاسماً كان يخشى من اندلاع النزاعات القبلية بعودة ملا مصطفى فأشار الى الخصومات :"القديمة بين القبائل الكوردية واعرب عن امله بحلول التصافي والوئام والتحلي بحسن النية."[39]

تأخر عودة البقية من البارزانيين من الاتحاد السوفيتي الى شهر نيسان/ابريل من عام 1959 ووصلوا ميناء البصرة في 1959/4/16 وتم نقلهم الى اربيل والبقاء هناك لفترة لترتيب امور السكن والعمل لهم. كانت الخلافات بين ملا مصطفى والشيخ سليمان. قد اندلعت اثناء اقامتهما في الاتحاد السوفيتي. وذكر ل (كاتب هذه السطور) شخصياً المسؤول عن رعاية شؤون العائدين من البارزانيين. انه تلقى الاوامر الواضحة من ملا مصطفى مباشرة بوجوب تشتيت انصار [شيخ سليمان] وعدم السماح له و[السليمان بگ ده رگه له] بالسكن قريبين. انما يجب ابعاد احدهم عن الأخر. ان هذا الاجراء يكشف حرص ملا مصطفى في التضييق على من يعتبرهم معارضين لسياساته نزولاً الى حدود السكن وخلق صعوبات الاتصال بينهم. في حين يبقى هو مختفياً وراء الستار. لكن يجب التنويه ان الخلافات بين الرجلين لم تسبب انقساماً لدى البارزانيين وذلك بفضل وجود شيخ بارزان حيث كان يمثل رمز الوحدة البارزانية.

طلب قاسم عند اللقاء بملا مصطفى تجاوز الخلافات القديمة والبدء بفتح صفحة جديدة. وحسب ما ورد في كتاب [اوريل دان] نقلاً عن ابراهيم احمد. ان ملا مصطفى أجاب: « انه مع احترامه العميق [لقاسم] يقرّ بان الصفح عن اعدائه الكورد أمر لايقوى

38 العراق في عهد قاسم اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله الى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي. ص: 174

39 العراق في عهد قاسم اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله الى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي. ص. 175

عليه وليس الأمر بيده لأنهم "مجرمون" ولا مراء في ان رواية [ابراهيم احمد] هي الصحيحة."[40] عندئذ طلب قاسم من ملا مصطفى الإقامة في بغداد. والسكن في منزل نوري سعيد القديم مع راتب بمبلغ (500) دينار عراقي شهرياً. ليس من شك ان الأعضاء القياديين في الحزب الديمقراطي الكوردي الموحد اندهشوا من طريقة التعامل التي تعامل بها ملا مصطفى مع عبدالكريم قاسم. فقد كانوا يعتقدون ان سنوات المنفى في الاتحاد السوفيتي غيرته. ولدهشتهم وجدوه انساناً لايأبه بهم ويستمر في اسلوب تعامله القديم أزاء الأقوياء. ويذكر سعد جواد في اطروحته ان ملا مصطفى "خضع كلية لقاسم والذي رأى في الحزب – يعني حدك الموحد – وقائده أداة مفيدة لمواجهة الضغوط النامية من القوميين العرب وفيما بعد مواجهة المدّ الشيوعي."[41]

كان جلال الطالباني كثير النشاط وكان الناطق الصحفي لملا مصطفى ويكتب خطاباته، ويقول بشأن المشكلة الساخنة والتي تمثلت في المواقف المتباينة للاحزاب والجماعات والاشخاص تجاه الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة. فالحزب الشيوعي تبنى شعار الاتحاد الفدرالي في حين تبنى القوميون العرب (البعثيون) شعار الوحدة الفورية." فانقسم الحزب الديمقراطي الكوردستاني الى اتجاه موال للحزب الشيوعي العراقي وأخر استقلالي. وقف سكرتير الحزب الاستاذ ابراهيم احمد موقف الوسط. في حين كنت على رأس الموقف الاستقلالي. اما الاتجاه الموالي للحزب الشيوعي فمثله الاساتذة حمزه عبدالله والمرحوم نزاد احمد نزاد وخسرو توفيق وحميد عثمان وصالح الحيدري." [42]

لم تكن شعارات القوميين في مسألة الاتحاد الفوري جدّية انما اريد بها احراج عبدالكريم قاسم. والشيوعيين ايضاً في الواقع لايريدون الوحدة الفدرالية. في حين يذكر جلال الطالباني عن الموقف الكوردي: "ان شعوب الوطن العربي لها حق تقرير مصيرها بنفسها وان الشعب العربي في العراق له الحق في تقرير نوع العلاقة التي يفضلها مع بقية شعوب الوطن العربي. ونحن كأكراد لايحق لنا الجزم في هذا الموضوع. ونؤيد في الوقت نفسه مايجمع عليه شعب العراق ضمن شروط. اولاً تحقيق الديمقراطية وثانياً ضمان حقوقنا القومية."[43]

---

40 العراق في عهد قاسم. اوريل دان. تاريخ سياسي 1958-1963 نقله الى العربية وعلق حواشيه جرجيس فتح الله المحامي. ص: 175

[41] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. By Sa'ad Jawad. P. 44,45. Ithaca Press London. 1981.

42 مجلة الوسط الاسبوعية. 23/11/1998. حوار مع جلال الطالباني . ص. 28 - 33.

43 مجلة الوسط الاسبوعية. 23/11/1998. حوار مع جلال الطالباني . ص. 28 - 33.

يمضى جلال الطالبانى الى القول: "ترك اشتداد الخلاف داخل حزبنا تأثيراته على نشاط اللجنة المركزية. فقد كانت اكثرية المكتب السياسى تميل الى موقف الحزب الشيوعى، فى حين كانت اكثرية اللجنة المركزية تميل الى الموقف المستقل. ما دفعنى وحميد عثمان الى الخروج من المكتب السياسى، بشرط اجتماع اللجنة المركزية خلال شهر من ذلك. ولكنه للأسف لم يعقد. استغلت الكتلة الموالية للحزب الشيوعى، حادثة فشل حركة الشواف، وزيادة المدّ الشيوعى وتصوير عبدالكريم قاسم شيوعياً، وان الشيوعيين سيأخذون الحكم. فانضم ملا مصطفى اليهم. وبالتالى استحصلوا على قرار بتجميد نشاطى الحزبى وبتوقيع من ملا مصطفى، وهو امر يخالف قواعد نظامنا الداخلى."[44]

لم يكن الحزب الديمقراطى الكوردستانى بمنأى عن العقلية الاستئصالية رغم اسمه ورفعه شعار "الديمقراطية». ففى الشرق عموماً اسماء الاحزاب وشعاراتها هى الى حد كبير اسماء تجميلية ولاينطابق الاسم مع النهج الفعلي. ويذكر جلال الطالبانى حادث ذا مغزى كبير. فبعد ان نال شهادة البكالوريوس فى القانون عاد من بغداد الى اهله فى كويسنجق بعد غيبة طويلة. فيقول: "تسلمت برقية من ملا مصطفى يبلغنى فيها بضرورة حضورى الى بغداد. وسافرت الى بغداد ووجدت ان ملا وحراسه احتلوا مقرّ الجريدة وهو فى حال عصبية. سلمنى مفتاح الجريدة وطلب منى اصدارها. وقد حظى القرار بموافقة ابراهيم احمد ...."[45]

ان هذا يكشف كيف كانت الخلافات السياسية تحلّ فى قمة السلطة الحزبية. أخذ "المفاتيح" وطرد الفريق العامل. واعطاه نفس "المفاتيح" الى "فريق" أخر فى صالة الانتظار. وهناك دائماً فريق "ثورى" يرضى بأخذ المفاتيح. الى ان يأتى دور مجموعة اخرى فى الانتظار لتلقف "المفاتيح" من نفس اليد وهكذا الى مالانهاية. وتبقى القمة التى يحتلها "القائد" هى هى لاتتغير.

ويعلق الصحفى الفرنسى كريس كوتجيرا على شخصية ملا مصطفى بعد العودة الظافرة من الاتحاد السوفيتى بما يلى:
"فقد سيطر على أقدار الشعب الكوردى فى العراق، فارضاً سلطته على الحزب الذى كان هو "الرئيس المؤسس" طارداً المناهضين له وجلب الاعتراف لشخصه من الجميع. من

---

44 مجلة الوسط الاسبوعية 23/11/1998. حوار مع جلال الطالباني. ص 28 - 33

45 مجلة الوسط الاسبوعية 23/11/1998. حوار مع جلال الطالباني. ص 28 - 33

الجماهير الكوردية. من الجنرال قاسم. من السوفييت. كممثل وزعيم وطني لجميع أكراد العراق.

وكان يحبذ كثيراً أن يكون زعيماً لجميع الأكراد. لكنه هنا لاقى الفشل. وكان فشله الأساسي.

ولم يكن هو الوحيد في هذا المجال.

فللجنرال بارزاني عيب أساسي: فهو لايعرف ماهو الحزب!... يجد فيها "وسيلة" فتفكيره يتركز على "التسلط" ويجهل معنى "النقاش" و "المشاركة" وبديهي إنه يجهل "الديمقراطية".

وخلال سنوات النشوة الثورية. لم يكن على وفاق مع (حدك)....وعند عدم الارتياح للسياسة التي يتبعها الحزب. يحيل السكرتير العام للحزب جانباً ويعين بدله شخص أخر وهكذا دواليك. لكن رغم هذا المشهد أو ربما بسببه. وبوضوح فقد كان هناك تعثر بين هذا الحزب الثوري ورئيسه.

وهنا تكمن بذور أزمة 1964 وبعدها السقوط النهائي في عام 1975."[46]

ازدهرت الحياة الثقافية في جوٍ نسبي من الحرية في كوردستان. فقد اجيزت الصحيفة اليومية السياسية الكوردية "خه بات" النضال. وكانت لسان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني. ثم ظهرت «أزادي» الحرية. اصدرها الحزب الشيوعي العراقي فرع كوردستان. وتتالت المجلات والكتب والاعمال الادبية. "هه تاو" الشمس. jin . الحياة . هيوا. الامل. Roje Neuy . اليوم الجديد. في السليمانية. " روناهي" النور بالكورمانجية كانت تصدر في بغداد. «شفق» الغسق كانت تصدر باللغتين الكوردية والعربية في كركوك و "ده نگى كورد" صوت الكورد. تصدر في بغداد بالكوردية والعربية. لاشك ان سنوات الكبت السياسي ادى الى تراكم مادة ثقافية غنية وجدت فرصة التعبير عن نفسها في العهد الجمهوري الاول القصير. فوجد العديد من الكتاب والمؤرخون والشعراء المجال لطبع مؤلفاتهم.

طلب ملا مصطفى وابراهيم احمد من وزارة الداخلية اجازة الحزب في 9 كانون الثاني/جانيري 1960 وارفقوها بالبرنامج الحزبي لعام 1959 وموقع من قبل 15 مؤيداً. في نهاية الشهر ذهب ابراهيم احمد لتسلم الاجازة ومقابلة وزير الداخلية. استغرب ابراهيم احمد عندما ادرك ان الوزير سلمه برنامجاً يختلف عن الذي سلموه قبلاً. وادعى الوزير ان البرنامج الحالي كتبه قاسم نفسه. وان الاجازه منحت وفق البرنامج الجديد. وعند معارضة احمد نصحه الوزير لقاء قاسم.

[46] Le Mouvement National Kurde. Chris Kutschera. Flammarion.1979. page.212-213

لقد تغير الاسم الى الحزب الديمقراطي الكوردستاني. وحل محل عبارة "ونناضل" بـ "يسعى الحزب" وحذف اسم كوردستان من البرنامج. واستبدل "الشعب الكوردي" بـ "إخواننا الاكراد". كما ان المادة المتعلقة بالحصول على الحكم الذاتي وتبني النظرية الماركسية اللينينية حذفت من البرنامج.

يقول سعد جواد في كتابه (العراق والمسألة الكوردية 1958-1970) مايلي:

"أثناء لقاء بين قاسم وأحمد وملا مصطفى وزعماء أخرين من الحزب. ذكر قاسم ان كلمة "الحكم الذاتي" ممكن ان يستخدمها الأعداء ضده والثورة لاتزال طرية العود." فالحكم الذاتي قد يعطي لهؤلاء الاعداء فكرة فقدان الارض العربية " وقال انه متعاطف مع حق الاكراد في الحكم الذاتي لكن ليس الى حد تضمين هذا الحق في البرنامج. "يمكن الاشارة الى ذلك في صحافتكم " قالها لأحمد.. وفيما يخص النظرية الماركسية اللينينية ذكر شارحاً انه مادام قد رفض منح الاجازة للحزب الشيوعي العراقي بسبب ذلك، فانه من المتعذر عليه قبول ذلك من حزب أخر. لقد ظفر قاسم في كسب الوفد الكوردي وتم قبول التغيرات حتى اسم الحزب تغير وفق نصيحة قاسم الى الحزب الديمقراطي الكوردستاني (حدك).

كان هذا اللقاء هاماً ليس فقط بسبب التغيرات التي جرت على برنامج الحزب الديمقراطي الكوردستاني انما أظهرت مدى نفوذ قاسم على الحزب وضعف إنتماء الحزب العقائدي وكانت مؤشراً على تدهور العلاقات بين قاسم وحدك . فأثناء النقاش الطويل الذي حصل اتهم عبدالكريم قاسم، إبراهيم أحمد وعدد من رفاقه بالتعاون مع العناصر المعادية لإزاحته من السلطة، مشيراً الى تعاون أحمد مع القوميين العرب في بداية الثورة، وقد قبل ابراهيم أحمد وجماعته التهم على مضض من أجل الحصول على الإجازة. إلا أنه أثناء المؤتمر الخامس عام 1960 رفض الحزب تعديلات قاسم بينما أبقى على الاسم الجديد."[47]

[47] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. By Sa'ad Jawad. P. 49,50. Ithaca Press London. 1981

يبدو ان قاسم لم يطمئن جانب أحمد وهذا ما أكده الوزير الكوردى فى حكومة قاسم عونى يوسف.[48] وأيضاً كان أحمد شاكاً فى نوايا قاسم. وقد ازدادت شكوك قاسم نحو أحمد و(حدك) اثر توزيع عدد كبير من الخرائط فى بغداد وكوردستان بعد الثورة شبيهة بتلك الخرائط التى قدمت فى مؤتمر السلام فى باريس عام 1919 تمثل "كوردستان الكبيرة". جيء بنسخ منها الى قاسم واتهم الأخير حدك بتوزيعها.[49]

ولنعد الى كوردستان حيث المشاعر المناهضة للأغوات الذين قاموا بأعمال إجرامية ضد البارزانيين وبتواطىء مع النظام الملكى كانت جامحة وقدمت شكايات تدعوا الى محاكمتهم من قبل السلطة الثورية لكن دون جدوى. وكان شقيقان من الاغوات مسؤولين عن معظم اعمال الجرائم والسرقات والسطو. هما محمود أغا الزيبارى صهر ملا مصطفى وأحمد أغا زيبارى. وكان ملا مصطفى واعياً لمشاعر الثأر المتفشية عند البارزانيين ضد هذين الشقيقين من الاغوات. لكنه كان شديد العاطفة نحو صهره فعمل بكل مالديه من دهاء ونفوذ الى انقاذ صهره لمنع الانتقام منه وتحويل مشاعر العداء نحو أحمد أغا الزيبارى فقط.

تهيأ عدد من البارزانيين للقضاء على أحمد أغا الزيبارى منهم:

ملا حسن بابيزدين. قتل الاغوات والده الهرم وهو لايزال فى المنفى الروسى. "كنا قد اشرنا فى كتابنا السابق (المقاومة الكوردية للإحتلال 1914 – 1958) الى هذه الاحداث"

حاجكى جه مى (Hajke Cemi) هو الأخر علم بمقتل شقيقه بعد عودته من المنفى الروسى

عيسى سوار

ورابعهم هو سعيد ملا عبدالله

هؤلاء جميعهم كانوا ضمن المجموعة البارزانية التى التجأت الى روسيا.

كان أحمد أغا الزيبارى يتردد على مدينة الموصل لزيارة عدد من الموظفين الحكوميين الناقمين على بارزان. هؤلاء كانوا يساندونه ويثيرون الخلافات. وكان عدد من المتعاونين يأتون بالمعلومات حول تنقلات الأغا. فرصدوه فى 1959/11/4 فى احد شوارع مدينة الموصل وتابعوا خطى الأغا بعد خروجه من احدى المبانى الحكومية. وعندما شعر بالخطر من دنو البارزانيين منه وهم يفصحون له علناً عن هويتهم. حاول الهرب. لكن البارزانيين تعقبوه

---

[48] Ibid. P: 59.

[49] Ibid. Page : 70 - 71

و:طلقوا عليه النار من مسدساتهم الى ان وقع ميتاً في الشارع. لم يدافع عنه احد من مرافقيه، انما تخلوا عنه قبضت السلطات على البارزانيين الاربعة واقتيدوا الى السجن. كانت عملية قتل علنية واسبابها معروفة. فالسلطات العراقية الجمهورية لم تتخذ اية اجراءات ضد هؤلاء الاغوات ولم تعر اهتماماً لما قام به هؤلاء من ظلم مفرط.

ولابد من ذكر ان المدّ الشيوعي الذي رافق الانقلاب وسن قانون الاصلاح الزراعي ادخل الرعب في نفوس الاغوات الكورد والملاكين العرب. فقد عبّر شيخ رشيد لولان وهو من المتنفذين في مناطق برادوست المحاذية للحدود الايرانية عن رفضه التغير في بغداد بابداء المقاومة ضد النظام الجديد. ولايستبعد انه تلقى التأيد من نظام الشاه، اذ كان الاخير قلقاً من خروج العراق من المعسكر الغربي نحو تقوية العلاقات مع الاتحاد السوفيتي وبروز المدّ اليساري بقوة وتقرب الحكومة الجديدة من الشعب الكوردي وبروز احتمالات الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة. ولمواجهة تمرد شيخ رشيد لولان في ايار/مايس عام 1959، هرع الحزب الشيوعي العراقي (بمقاومته الشعبية) والحزب الديمقراطي الكوردستاني الى حشد القوات لمواجهة شيخ رشيد لولان، حماية للنظام الوطني.

بعد هزيمة قوات شيخ رشيد لولان، حصل خلاف بين الحزب الشيوعي العراقي والديمقراطي الكوردستاني، اذ ادعى كل طرف في بياناته بأهمية دوره والإنتقاص من دور الطرف الأخر، خاصة ان فاخر محمد أغا ميركه سوري هو الذي تولى قيادة القوة الشيوعية، والاخرى قادها ملا مصطفى نفسه. وكان فاخر شيوعياً ولم يكن على وفاق مع ملا مصطفى. لم تصمد قوات لولان طويلاً اذ انسحبت الى داخل حدود ايران، وبذلك تم اعادة السيطرة على المنطقة. وكان ذلك موضع تقدير من عبدالكريم قاسم للحزبين. وبعد فترة منح قاسم العفو عن شيخ رشيد لولان وعاد الى موطنه، وربما أراد قاسم من وراء ذلك سحب اى ذريعة قد يلجأ اليها النظام الايراني ضد العراق. او ربما لاستخدامه ضد بارزان في وقت لاحق.

لقد كان قادة الشعب الكوردي المتمثلين في الحزب الديمقراطي الكوردستاني قد عرفوا منذ الايام الاولى للثورة نيات الحكومة غير الحسنة تجاه الشعب الكوردي وحقوقه القومية وعرفوا كذلك طبيعة قاسم الميالة للدكتاتورية والسيطرة واستهانته بالشعور القومي الكوردي. لقد تحدث الأستاذ ابراهيم احمد سكرتير البارتي مجمل هذه الحقائق للجنة المركزية للحزب المذكور بعد اجتماعه مع قاسم.[50]

---

[50] الحركة القومية التحررية الكوردية في كوردستان العراق. 1958-1964. البروفيسور د. كاوس قفطان. تموز 2004. وزارة الثقافة - المديرية العامة للطباعة والنشر سليمانية. ص: 122

.

قد يتساءل المرء، لماذا في هذا الجو السياسي المواتي المليء بشعارات التآخي العربي الكوردي الآشوري الكلداني التركماني والاجماع على حماية الجمهورية الفتية، لماذا لم تطور الحلول الديمقراطية لحل المسألة القومية بشكل يكفل الاستقرار والمساواة في العلاقات بين الشعوب؟

لاشك ان جو التآخي كان على النطاق الشعبي ولم يشمل المسؤولين الرسميين الحكوميين. فالقوميون العرب كانوا معادين للحقوق الكوردية ولا يخفون عدائهم. وبهذا الصدد يذكر الدكتور كاوس قفطان: "..... فالكتل القومية وجناحها في السلطة وبمثلها عارف ارادت فرض وحدة فورية على العراق من دون اعطاء أي اعتبار لوجود الشعب الكوردي ودون أي حساب لحقوقه ومصيره وظهر كذلك في معارضة هذا الجناح لعودة البارزانيين الى وطنهم. فعارف الذي كان القائد الثاني بعد قاسم – عبر عن معارضته لعودة البارزانيين – فأنه قد قابل الشيخ احمد البارزاني في مكتبه بوزارة الدفاع والذي جاءه مهنئاً بالثورة، قابله بالاهانة والتهديد حيث هدده امام جمهرة من الضباط والمسؤولين بان الحكومة سوف تهدم بيوتهم وتبيدهم من الوجود اذا فكروا في مقاومة السلطة او اذا لم تخلدوا الى السكينة."[11]

كالعادة تتجاهل القوى السياسية المهيمنة في بغداد جذور القضية التاريخية والارث الاستعماري الذي بقي دون تغير في ذهن القادة في بغداد. فتم تجاهل حقيقة ان كوردستان الحقت قسراً بالعراق. ويشهد تاريخ الإنتفاضات الكوردية رفض الشروط الإستعمارية التي فرضت عليهم. فالثورات المتلاحقة منذ بدء تكوين الدولة العراقية وحتى انهيار نظام صدام حسين ، تعكس واقع الرفض الكوردي للمخطط الاستعماري البريطاني. في حين يرى القادة القوميون العرب الحاق مايقارب 75000 كيلومتر مربع من ارض كوردستان الغنية بالنفط بالعراق توسع في النفوذ العربي جغرافياً وسياسياً واقتصادياً. وهكذا اصبحت الحدود الاستعمارية حدوداً مقدسة والويل لمن يمسها ولمن يبغي تغير الارث الاستعماري. فخلال القرن الماضي لعب الجيش البريطاني والعراقي دور المحتل لكوردستان وقضوا على كل مقاومة او حركة تحررية كوردية بقوة السلاح.

وبدل مواجهة الأسباب التاريخية للقضية الكوردية لجأت النخب العراقية الحاكمة استخدام لغة "المجاملات" مثل "اخواننا الاكراد" و "شمالنا الحبيب" ووصفت الانتفاضات

---

[11] الحركة القومية التحررية الكوردية في كوردستان العراق . 1958- 1964 . البروفيسور د . كاوس قفطان . تموز 2004 . وزارة الثقافة – المديرية العامة للطباعة والنشر. سليمانيه. ص: 122

الكوردية بالانفصالية وتكوين "اسرائيل ثانية" وسافت الجيوش مرتكبة مجازر وصلت في النهاية مرحلة الإبادة الجماعية.

"في المرحلة الاولى من عمر الجمهورية كان نظام قاسم مهدداً من قبل القوميين العرب الملتفين حول عبدالسلام عارف. واعتمد قاسم في مواجهتهم على الحزب الشيوعي العراقي والكورد. وفي المرحلة الثانية والتي بدأت في 14 تموز 1959 حاول قاسم بشتى الوسائل كبح جماح الحزب الشيوعي العراقي والذي ازعجه تنامي نفوذه الهائل. وفي مواجهتهم اعتمد على عناصر انتهازية مدنية وعسكرية وعلى الجناح المعادي للشيوعية في الحزب الوطني الديمقراطي. ونجح قاسم في تقسيمهم (حشع) الى ثلاث مجموعات متنافسة. وفي حالات اخرى استخدم حتى عناصر قومية عربية. اعدائه في الماضي القريب. وايضاً على الاخوان المسلمين وبقايا النظام السابق.

كان قاسم بسياسة فرق تسد تجاه الاحزاب. ومساعيه في شقها داخلياً. يحفر قبره بنفسه. ويهيء الفرصة لاعدائه الحقيقيين من البعثيين في الانقضاض عليه من داخل مؤسسة الجيش المغامرة. وبشكل عام في هاتين المرحلتين بقيت علاقات قاسم جيدة مع الكورد. وقد حاول قاسماً ممارسة نفس السياسة ضد الحزب الديمقراطي الكوردستاني وذلك قبيل عقد المؤتمرفي بغداد. ويقول جلال الطالباني بهذا الصدد: "بعث قاسم رسالة نقلها المرحوم عوني يوسف. وزير الاسكان والعضو في قيادة حزبنا. مفادها ضرورة ترك ملا (يعني ملا مصطفى) خارجاً لأنه رجل عشائري وانتم حزب مدني. وواضح ان الهدف احداث انشقاق في صفوف الحزب. تماماً كما فعل مع الحزب الوطني الديمقراطي بين الاستاذين المرحوم كامل الجادرجي ومحمد حديد طبعاً إنتبهنا الى ذلك. واخبرنا الوزير باننا لن نمشي في انشقاق وان الطلب غير مقبول."[52]

انتبه الحزب الشيوعي العراقي الى النزعة الدكتاتورية المتنامية لدى قاسم فطلب سلام عادل سكرتير الحزب مقابلة قاسم في شهر ايار عام 1959. «ومن خلال المناقشات التي استعرض فيها الوضع السياسي والمخاطر التي تواجه الجمهورية والأساليب المتجددة التي يلجأ اليها الاستعمار وعملائه وبالاخص تفرقة صفوف القوى الوطنية ودق اسفين بينها وبين السلطة الوطنية لاضعافهم جميعاً وتمرير مؤامراته. ان ذلك يتطلب بالضرورة احياء جبهة الاتحاد الوطني واطلاق الحريات الديمقراطية للعمل السياسي. ضحك قاسم ورد على سلام عادل بسؤال هو. لماذا يحتاج حزب المليون؟

---

[52] المجلة الاسبوعية (الوسط) العدد : 357. جلال الطالباني يتذكر: ص : 26. 6 كانون الاول 1998.

(يقصد مظاهرة أول أيار التى قدر عدد المساهمين بمليون متظاهر! وأردف بسؤال أخر هو "ثم من من الاحزاب يمكن ان ينضم اليها! هل تقصد الحزب الوطنى الديمقراطى! هذا الحزب الذى كان كلما اشتد الارهاب على الشعب يتركه ليتدبر بنفسه ثم ينسحب من الساحة. أما حزب البارتى فالملا مصطفى البارزانى ذهب الى الاتحاد السوفيتى وبقى هناك سنين طويلة مرتاحاً. أما نحن فقد كنا معرضين للخطر فى كل الأحوال. هل انت تعول على هؤلاء لصيانة الجمهورية !

وهكذا حاول قاسم أن يدس على الأحزاب الوطنية وعلى القوميين الأكراد ساعياً لكسب تأيد حزبنا ضدهم. وتصديع جبهة الشعب لهذا عرج بمكر على الأحزاب التى تستحق حرية العمل المشروع. أجابه سلام عادل بلهجة قاطعة: «لانريد هذه الحرية حق وان اقتصرت على حزبنا..... نريد حرية للجميع... لجميع الأحزاب والقوى الوطنية المخلصة".[53]

ولعل من أكبر نقاط ضعف قاسم تتجسد فى عدم الشروع بانشاء تنظيم شعبى جديد موال له. فقد كان يعتقد انه مقبول شعبياً ك "زعيم أوحد" ولم يعى مدى كراهية القوميين العرب له ولم يسلح القوى المناهضة للشوفينية العربية والعناصر البعثية الحاقدة. انما ناهض الحزب الشيوعى العراقى وحارب الاكراد. فدمرّ نظامه فى النهاية وقضى على أمال من أحبوه وأيدوه.

كان الحزب الشيوعى العراقى يسعى الى تغير سياسة الحكومة ببطء هائل من خلال سياسة سماها بـ (الضغط من الاسفل) وبتمثل فى تحريك الشارع العراقى واقناع قاسم على تبنى مطالب الشارع العراقي. بينما كان القوميون العرب والبعثيون يعملون بسرعة خارقة من خلال "الضغط من الاعلى" اى السعى الى استلام السلطة عن طريق انقلاب عسكرى. ففشل الشيوعيون رغم كونه أكثر الأحزاب شعبية ونجح البعثيون فى استلام السلطة من خلال انقلاب دموى رهيب فى 8 شباط عام 1963 رغم أنه كان حزباً صغيراً .

لقد اتسمت تصرفات عبدالكريم قاسم بسمة اخلاقية. فقد كان ينتظر من الذين احسن لهم تبني مواقف ولاء تجاهه. ففي نظره ان السماح لملا مصطفى والبارزانيين

---

53 سلام عادل سيرة مناضل . الجزء الثانى ثمينة ناجى و نزار خالد ص 17 . 18 . الطبعة الاولى 2001 . دار المدى للثقافة والنشر.

بالعودة الى الوطن واطلاق سراح شيخ بارزان من السجن هي من الفضائل الكبيرة التي لاتنسى. وان كل ذلك سيضمن له ولائهم الدائم بغض النظر عن التقلبات السياسية. وعندما اصطدم بواقع التحولات السياسية وحصل الفراق. اتهمهم "بنكران الجميل".

ولابد من القول بان شيخ بارزان احتفظ بالاحترام والتقدير لشخص عبدالكريم قاسم وتألم كثيراً لمقتله وكان يذكره دائماً بالخير في مجالسه.

الإنعطاف
1960/10/23
عصمت شريف فانلى

هنالك منحى واضح ومتعمد لدى مسؤولي (حدك) في تقليل أهمية الدور الذي لعبه عصمت شريف في الساحة السياسية الكوردستانية. فقد كان عصمت أكثرهم ثقافة ومبعثاً على الإحترام ولديه رؤية سياسية واضحة فيما يخص حق الشعب الكوردي في تقرير مصيره. ومن الأهمية هنا ان نشير الى ملاحظات دونها هو عن هذه الفترة التي أعقبت إنقلاب 14 تموز ونشاط جمعية الطلبة الأكراد في أوروبا. ولنمضي مع ملاحظاته:

"قدمت في 1958 أو 1959 طلباً لكي تصبح الجمعية – جمعية الطلبة الأكراد في أوروبا – عضواً مشاركاً في (اتحاد الطلبة العالمي) وكلمة "مشارك" تشير الى اننا نقبل قسماً من أهداف الاتحاد العالمي وان الجمعية تحتفظ بحريتها فيما يتعلق بأهدافها وتحرير كوردستان من الاستعمار. وفي شهر اكتوبر من عام 1960 عقد (اتحاد الطلبة العالمي) مؤتمره السنوي في بغداد بحضور وفد الجمعية الذي كنت اترأسه والى جانبي كاك كمال فؤاد وكوردي عراقي أخر هو، محمد أمين هاورامي. كما انفقت مع صديقي (بليكان Pelikan)[54] بان تفصل هذه الكونفرانس في قضية انتماء جمعيتنا الى اتحاد الطلبة العالمي، بصفة (عضو مشارك) ام لا. سافرنا جواً من براغ الى بغداد. ونزلت الوفود في دار خاصة للطلبة. واتصل وفدنا رأساً بحدك) وكانت علاقاتي قوية مع مام جلال. وكان (اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية) وفد الدولة العراقية المضيفة ويسيطر عليه الحزب الشيوعي العراقي، وكان يترأسه شيوعي عراقي اسمه مهدي الحافظ. واخذنا الوفد العراقي لزيارة معرض اثنوغرافي عراقي قبل بدء المؤتمر. فوجدت في المعرض صوراً لازياء قومية عراقية، منها ازياء وطنية كوردية كتب عليها "ازياء شمال العراق" واخرى عربية كتب عليها "جنوبي العراق" فقلت لمهدي الحافظ مؤنباً لماذا لاتكتبون "ازياء كوردية" او "ازياء عربية" كما يفعلون حتى في الاتحاد السوفيتي حيث يعترفون بالقوميات سواء أكانت روسية أم ارمنية ام أذرية ام تركمانية وغيرها؟

وقبل بدء المؤتمر كتبت نص الخطاب الذي ألقيته باسم الجمعية. وبعد تحية الثورة العراقية (14 تموز) والجنرال عبدالكريم قاسم والدستور العراقي المؤقت لاعترافه في المادة الثالثة بوجود الاكراد كقومية الى جانب القومية العربية وشريكتها في العراق، انتقدت المادة الثانية من الدستور القائلة بأن "العراق كدولة هو دولة عربية وجزء من الامة

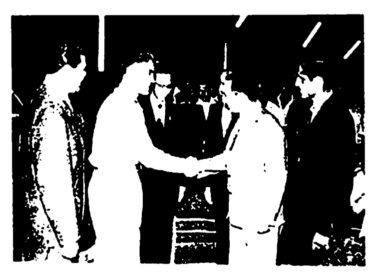
---

[54] من أصل تشيكي من براغ وكان رئيساً لإتحاد الطلبة العالمي.

العربية" فقلت هنالك تعارض في الدستور المؤقت علماً بان العراق العربي فقط هو جزء من الامة العربية. في حين ان كوردستان العراق هي "جزء من الامة الكوردية التي قسمها الاستعمار" وذكرت لكمال فؤاد ومحمد امين ما كتبته بالفرنسية عن هذه النقطة قبل القاء الخطاب. فقال كمال فؤاد "ان الحزب الديمقراطي الكوردستاني (حدك) لم يبحث حتى الان هذه النقطة الاساسية" ولكن فكره كان في الواقع مثل فكري. وقال الاثنان: "اترك الخطاب كما تعتقده صحيحاً" وهكذا كان.

وفي اليوم التالي لدى بدء المؤتمر قرأت خطاب الجمعية بالفرنسية .... وكان كلامي يترجم للعربية (التي كانت احدى لغات المؤتمر).واحتج العراقيون الشيوعيون من الخطاب لانني كتبته بالفرنسية وليس بالعربية. وبصورة اخص هاجموني لانتقادي لدستور الجمهورية العراقية المؤقت. ولطلبي ان تنتمي جمعيتنا كعضو مشارك في الاتحاد العالمي للطلبة. فقلت لهم "انني لست مجبوراً لأن أكتب خطاباً باسم منظمة كوردية وتحوي اعضاء غير عراقيين باللغة العربية". في الواقع كان بين الوفود الاجنبية الممثلة في المؤتمر نحو عشرين وفداً يمثلون مستعمرات فرنسية في افريقيا وغيرها واصبحوا من اعز اصدقائنا اذ كنت اتكلم معهم بالفرنسية. وخلال مدة يومين تقريباً انقلب المؤتمرالى ساحة عراك وخصام بين وفدنا ووفد الجمهورية العراقية. الذي مانع ممانعة شديدة في انتماء الجمعية لاتحاد الطلبة العالمي بصفة "عضو مشارك". وكانت أخبار المناقشات تنشر في الجرائد ومنها (خه بات). ولما علمت الجماهير في كوردستان ماذا يحدث داخل المؤتمر وموقف (اتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقيه – وهو موقف الحزب الشيوعي) قامت بمظاهرات صاخبة وحطمت مراكز الحزب الشيوعي في كوردستان الذي كان يسيطر على ماكان يسمى "بالمنظمات الشعبية" أي منظمات الطلبة والشبيبة والمرأة والكتاب وما الى ذلك من المنظمات المهنية. كلها كانت بيد الحزب الشيوعي وليس بيد حدك أي واحدة منها. وبسبب هذه القضية تحول الرأي العام في كوردستان لصالح حدك لأول مرة. ووصلتني من كوردستان اكثر من 50 برقية كلها تؤيد موقف جمعيتنا. وجاءتنا دعوات لزيارة كوردستان بعد نهاية المؤتمر. وقبل نهاية المؤتمر ترجمت بنفسي نص خطابي من الفرنسية للعربية واعطيته للسيد ابراهيم احمد سكرتير المكتب السياسي في حدك والمشرف على (خه بات) فنشره فيها اثناء وجودي في بغداد مع مقدمة صغيرة بعدة أسطر قال فيها "بأن الحزب لم يشأ حتى الان بحث القضايا التي يثيرها الدستور المؤقت حفظاً لمكاسب ثورة 14 تموز" مما يعني ضمنياً بأن حدك يؤيد ماجاء في خطابي باسم الجمعية حول تعارض المادتين الثانية والثالثة من الدستور المؤقت.

وحدث أنذاك أن دعيت كافة الوفود الحاضره في المؤتمر لأمسية في حديقة عامة وكان الطقس جميلاً وجاء الجنرال عبدالكريم قاسم شخصياً لاستقبال الوفود والترحيب بها، وكان رئيس اتحاد الطلبة العالمي، صديقي Pelikan. يقدم رؤساء الوفود لرئيس الجمهورية العراقية وفدا بعد وفد. وقدمني لعبدالكريم قاسم والى جانبي الأخين كمال فؤاد ومحمد امين هاورامي.



بلهكان يقدم عصمت شريف لرئيس الدولة العراقية عبدالكريم قاسم بغداد 1960

وفي اليوم التالي جانني ضابط أمن عراقي لمقر وفود الطلبة وأخبرني بأنه يجب "ان أغادر العراق بأمر الحاكم العسكري في 24 أو 48 ساعة" وكان مؤدباً. فقلت لكمال فؤاد ومحمد أمين بأنني لاأرغب بمغادرة العراق بل أريد "زيارة كوردستان التى لا اعرفها الا في الكتب ولدى وفدنا مئات الدعوات من المنظمات الكوردستانية لزيارة الوطن". وفي الواقع ان الفكرة خامرتني بعدم الامتثال لأمر الحاكم العسكري تلبية لدعوة الجماهير الكوردستانية. وكان هذا الأمر لي فقط ولايخص كمال فؤاد ومحمد امين بصفتهما عراقيين. فعقد المكتب السياسي لحدك اجتماعاً طارئاً واتخذ القرار بأنه يجب ان امتثل لأمر الحاكم العسكري. وجاءنى مام جلال لاخبارى بالقرار قائلاً" اذا خالفت الأمر وذهبت لكوردستان فسوف تأتي الشرطة للقبض عليك واخراجك من العراق بالقوة. وبذلك تضع حدك في موقف محرج، واذا ماحاول الحزب الدفاع عنك فمعناه بدء ثورة كوردية ونحن لسنا في وضع للقيام بثورة الأن". ثم أضاف: "كاك عصمت. لقد ربح حدك خلال هذا الاسبوع في كوردستان، أكثر مما ربحه خلال عشرة سنوات ماضية". فقلت لجلال الطالباني بأن الجماهير الكوردية تفضل السياسة الواضحة والأهداف الوطنية الثابتة. *-الرجاء قراءة نص خطابه في ملحق لهذا الفصل* - وقبل مغادرتي للعراق في اليوم التالي زرت ملا مصطفى بارزاني في داره في

بغداد. وكان اول لقاء به لاستودعه وقدمت احترامي له. فأشتكى من دكتاتورية عبدالكريم قاسم ومن توزيعه السلاح على أغوات اكراد من زيبار للإعتداء على بارزان. وقال: "لم اعد آمناً على سلامتي في بغداد وافكر بالرجوع الى بارزان". وبعد عودتي لسويسرا قدم ابراهيم احمد للمحاكمة لنشره في (خه بات) نص الخطاب الذي قدمته في المؤتمر. وفي نظر الدولة كان هذا النص بمثابة "تحريض للتمييز العنصري بين العراقيين". وبدأ عملاء قاسم في الصحف الموالية للحكم بالدعوة "لصهر الاكراد". وكل ذلك كان من أسباب بدء ثورة أيلول بعد عدة أشهر.

في عام 1960 أو 1961 عقد مؤتمر الجمعية في برلين ودعونا لحضوره الجنرال احسان نوري باشا من طهران. فجاء واحتفينا به. وقال لنا بأن حكومة طهران لم تسمح له بالمجيء لبرلين الا برفقة ضابط من المخابرات - السافاك - في لباس مدني. ولم يأتي هذا الضابط لقاعة المؤتمر انما بقي في فندقه. وأضاف احسان نوري: "لم تسمح الحكومة الايرانية بمجيء زوجته معه. ولولا بقائها في طهران - كشبه رهينة - لما رجع لطهران بل طلب اللجوء من المانيا والبقاء في اوروبا".



إحسان نوري باشا وعصمت شريف فانلي وطلبة أكراد برلين. 1961

لدى بدء ثورة أيلول 1961 بدأت أعمل في المجالات الدولية ليس باسم الجمعية الطلابية، بل باسم (لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي. أو بالأصح الامة الكوردية)

وكنت في الواقع الوحيد الذي كان يعمل بهذا الاسم واتصل بالمنظمات الدولية ولاسيما في جنيف تحت هذا الاسم من تلقاء نفسي (ولهذا تركت التدريس في باريس).[55]

في صيف عام 1962 جائني خبر من المرحوم عبدالله اسحاقي (كان سكرتير حدك ايران) الذي كان في بيروت وسألني فيما اذا امكنني ان اسافر الى بيروت لرؤيته وان عنده اخبار من طرف مصطفى بارزاني والثورة. فاتفقنا على ان اسافر وسافرت بحراً وكان الأخ اسحاقي وبعض اكراد بيروت في انتظاري في المرفأ. وكان قد استأجر شقة صغيرة وبدأ بالإتصال بالأوساط الصحفية الغربية في بيروت. فنزلت ضيفاً في شقته وبقينا سوية نحو اسبوعين. ولم يكن يحمل اية رسالة لي من طرف الثورة بل قال ان البارزاني تسائل لماذا لا اعمل مع الثورة؟ فقلت له هذا مابدأت به من تلقاء نفسي باسم (لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي) . ثم رجعت لأوروبا ورجع هو لكوردستان العراق مع مسؤول مكتب صحيفة (نيويورك تايمز) للشرق الأوسط Dana Adams Schmidt الذي اجتمع بالبارزاني في مركز الثورة وكتب عنها كتاباً في عام 1964 نال به جائزة صحفية اميركيه. كان اسحاقي الملقب (بأحمد توفيق) في خدمة البارزاني وشديد الاخلاص له وانساناً شجاعاً وذكياً وجريئاً. وكان مقتنعاً بأن من مصلحة كافة احزاب الامه الكوردية العمل لنجاح ثورة كوردستان العراق. أي ان افكاره كانت قريبة جداً من أفكاري. علمت بأن البعث قد قتله.[56] لا أدري متى. رحمه الله.

في عام 1963 تركت رئاسة الجمعية وانتخب الاخ كمال فؤاد رئيساً لها. وذلك رغبة مني العمل باسم (لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردى) أكثر فأكثر."[57]

ما قرأناه يظهر مدى تعاضد وتأثير مثقفي الامة الكوردية على الحركة التحررية في جنوب كوردستان، فعصمت شريف فانلي هو من اكراد شمال كوردستان، بالأصل من قرية Zîvike المطلة على مدينة (وان)، كان جده قد هاجر أواخر القرن التاسع عشرالى الشام وعاش في حي الأكراد بدمشق حيث ولد عصمت... وعبدالله اسحاقي ـ سكرتير الحزب الديمقراطي الكوردستاني (إيران) ولد في مهاباد، وجميل محو الذي اصبح فيما بعد (سكرتيرعام الحزب الديمقراطي الكوردي في لبنان) من الاكراد المهاجرين الى لبنان من شمال كوردستان. والأمير كامران بدرخان من أكراد شمال كوردستان، وقد لعب دوراً كبيراً

55 فتحت الحكومة الفرنسية فرعا خاصاً لتعليم حضارة كردستان في جامعة السوربون. وكان ذلك لأول مرة في العالم لتعليم حضارة وتاريخ كردستان. وباقتراح من الدكتور كامران بدرخان عينت وزارة المعارف الفرنسية عصمت شريف كمحاضر في هذا الفرع الجديد (المصدر: مذكرات عصمت شريف فانلي غير مطبوعة)

56 تعليق من المؤلف. قتل احمد توفيق في بغداد عام 1972 على يد عملاء جهاز الأمن البعثي

57 من مخطوطة يدوية كتبها عصمت شريف فانلي بتاريخ 30 اذار 2005 - لوزان - وفيها نبذه عن حياته

في إقامة الحركة الكوردية العلاقات مع الخارج. وكان قد التقى بعدد من المسؤولين الاسرائليين ضمنهم Golda Meier.

وكان عدد من المثقفين الكورد ومن جميع أجزاء كوردستان، يسعون الى اسماع صوتهم في أوروبا. فقد تأسست (جمعية الطلبة في أوروبا) في Wiesbaden سنة 1956. ويذكر عصمت شريف فانلى : "وكنا فقط 17 أو 18 من الطلبة كلهم من أكراد العراق أو سوريا ومعظمهم كانوا شيوعيين أو تحت تأثير الأحزاب الشيوعية وكان هؤلاء لايرغبون بتأسيس اية جمعية كوردية. نظراً لوجود جمعيات طلبة عراقية او سورية او ايرانية...الخ. ثم قبلوا نظراً لاصرارنا. انما حصلوا في الانتخابات على اكثرية صوت واحد – لأنني لم أصوت بنفسي – وبقيت الجمعية حبراً على ورق. الاحظ ان المرحوم عبدالرحمن قاسملو لم يحضر الاجتماع من براغ (لميوله الشيوعية) . وبعد ثورة عبدالكريم قاسم وانهيار الملكية العراقية نظمنا اجتماعاً عاماً في لندن عام 1958. وهناك عدلنا دستور الجمعية. وانتخبني الاخوان رئيساً لها. كان المرحوم نورالدين زازا قد أخذ المبادهة في الدعوة لتأسيس الجمعية. ولكنه رجع الى سوريا مباشرة بعد مؤتمر فيسبادن في 1956.

ومنذ 1958 بدأت بالأسفار باسم الجمعية في اوروبا. وكان من أوائل أسفاري عام 1959 عبر المانيا ثم السويد وفنلندا الى روسيا السوفياتية. لينغراد وثم موسكو. وهنالك تعرفت على المرحوم البروفسوركردونيف والأخوان جليلى جليل وأورديخان. كنت أكتب عن أسفاري كلمات كانت تنشر في (خه بات). رأيت جلال طالباني في عام 1959 في زيارة له في أوروبا وأصبحنا مقربين لبعضنا.

نظراً لنشاط الجمعية وارتفاع اسمها في كوردستان بدأ الطلبة الشيوعيون بالإلحاح للإنتماء لها (وهم الذين كانوا قاطعوها ولم يرغبوا بوجودها) ولكننا كنا نرفض قبولهم الا قليلاً . كانت أكثريتنا الكبرى من مؤيدى (حدك) والبارزاني بطل شعبنا.

عندما حصل الخلاف بين قيادة ملا مصطفى والمكتب السياسي. واستخدم العنف بين الطرفين. اقترح كمال فؤاد على عصمت شريف السفر الى كوردستان لرأب الصدع الذي حصل داخل الحزب. وكان ابراهيم أحمد وجلال طالباني وأعضاء أخرين قد التجئوا لإيران إثر مصادمات مسلحة مع قوات ملاّ مصطفى. يقول عصمت : "كان ذلك في شهر سبتمبر... وسافرت وكمال فؤاد لطهران في طريقنا لكوردستان العراق. ونمت عدة ليالي في المنزل الذي كان يقطن فيه الاخوان من أعضاء المكتب السياسي في حي شمال المدينة. كانوا أيضاً اخوانا لي. ولاسيما مام جلال. تعرفت هناك على المرحوم المقدم عزيز شمزيني. وكنت أقدره لكتابة اطروحته في الاتحاد السوفياتي عن القضية الكوردية باللغة الروسية. وقرأت

ترجمة لها في (خه بات) بالعربية. ثم غادرت والأخ كمال الى كوردستان العراق (بمساعدة السافاك) اجتمعت بالبارزاني في بيته في رانيه. ولي صورة معه (إثنتان) في الجبال القريبة من رانيه."



عصمت شريف في زيارة لملا مصطفى في مسعى لحل الخلافات مع المكتب السياسي عام 1964

هذه الجهود لم تثمر للأسف. ويضيف فانلي : "قال لي البارزاني "لابأس حاول ذلك" في الواقع لم يكن ملا مصطفى متحمساً لهذه الوساطة.

"ورجعت والأخ كمال مرتين لطهران. كل مرة في ضيافة الاخوان. او بالأصح ضيافة الحكومة الايرانية (ولدينا صورة سوية مع الاخوان م. س. على بلكون منزلهم) . لم تنجح المحاولات أنذاك في اصلاح البين بين قيادة البارزاني و م . س . (السابق) بل كان البارزاني قد عين الاخ حبيب كريم كسكرتير (حدك) الجديد."



عصمت مع فريق المكتب السياسي طهران 1964



ومع جلال الطالباني عام 1964 في طهران

لعل مايبعث على الدهشة هو رغم ان الحركة الكوردية كانت مهددة على الدوام من قبل حملات الجيش العراقي. فقد تقاتل الطرفان الكوردبان دونما اعتبار للمخاطر التي سيواجهها الشعب الكوردي. كانت الخلافات تحل بالقوة وبروح من العناد والإصرار. وليس بالحوار والتنازلات المتبادلة لصالح شعب مصيره في الميزان. وشكل هذا المنحى في سلوك الزعامة الكوردية والذي دام لعقود. واحد من العوامل المعرقلة لتقدم الحركة الكوردية نحو النصر كما كلف الشعب الكوردي أعباءً إضافية صعب عليه تحملها. إذ كيف يمكن له أن يخوض حربين في أن واحد. حرب ضد حكومة تشن حرباً ظالمة

لديمومة احتلال وطنه وانكار حقوقه وتدفع ثمن حرب أهلية أشعلها زعمانه لمطامع شخصية.

ولنمضي مع عصمت شريف:
"زرت في طهران برفقة مام جلال احسان نوري باشا في بيته. فطلب ان نتكلم بصوت خافت "لأن الجدران لاشك ملأى بالميكروفونات" للتجسس عليه. وتكلم لنا همساً عن رغبته في كتابة مذكراته عن أغرى داغ. واخذنا في بيته صورة سوية (1964)."

ثم من جديد عاد عصمت الى رانيه. يذكر: "رجعت لرانيه وطلب الاخوان المسؤولون في الثورة أن أشاركهم في الاجتماعات الشعبية والحزبية لوضع (مجلس قيادة الثورة) وقوانين لها. وأصبحت عضواً في "مجلس قيادة الثورة" انما غير حزبي. وبطلب من البارزاني أصبحت ناطقاً باسمه خارج الوطن وممثل الثورة في الخارج."

أثناء وجود فانلي في كوردستان لاحظ الحاجة الملحة لتوفير السلاح حتى تتمكن الحركة الكوردية من الدفاع عن النفس أمام هجمات جيش عصري ومتفوق. فيقول: " أثناء وجودي في رانيه في صيف وأوائل خريف 1964 وجدت ان الثوار الاكراد ينقصهم السلاح اللازم لمجابهة جيش بغداد. عدى بندقية (البرنو) التشكوسلوفاكيه التي لاتكفى. وعملت تحقيقاً شخصياً مع بعض العسكريين الكورد عن حاجاتهم. وذات ليلة كنت وحيداً مع البارزاني تحت خيمته. فسألته: هل يرغب أن أذهب لإسرائيل بغية الحصول على مساعدة؟ فقال : "نعم" واكتفيت بهذا الجواب. ولم أتكلم لأحد عن تحقيقاتي الشخصية حول حاجات الثورة.

وبعد يومين رجعت لطهران ونمت الليلة في فيلا. م . س . ثم زرت الجنرال باكرفان ، رئيس السافاك (الذي أخذ هذا المنصب بعد الجنرال بختياري) . كان باكرفان إنساناً طيباً ويحب الحديث معي باللغة الفرنسية التي كان يتقنها (وقد أسفت كثيراً عندما سمعت عن اعدامه من قبل الثورة الاسلامية). كنت أزوره كل مره امرّ بطهران. وبعد الحديث هذه المرة سألني فيما اذا كان لدي أي طلب؟ فقلت له "نعم أريد زيارة إسرائيل". فقال : حسناً. سأعمل اللازم لكي تسافر غداً."

كان يوجد أنذاك في طهران سفارة غير رسمية لاسرائيل تحت ستار مكتب تجارة. وكما قال الجنرال باكرفان سافرت في اليوم التالي على متن هليكوبتر من طهران لاسرائيل. وكان بانتظاري في المطار الاسرائيلي مسؤول مخابرات اسرائيلي برتبة عقيد في لباس مدني. إنسان

مهذب ويتقن الفرنسية. وذهبنا أولاً لبيته وتعرفت على زوجته. ثم عمل لي برنامج لقاءات غير علنية. انما رسمية مع كبار الدولة الاسرائيلية. وسألني اذا كان البرنامج جيداً فقلت " إنك اعلم" (كان اسمه العقيد ألوف).

بين كبار المسئولين الذين رأيتهم هناك كان رئيس الوزراء (لفي أشكول : من حزب العمال). شيمون بيريز الذي مازال رئيس حزب العمال وحالياً نائب رئيس وزراء في حكومة شارون)[58] وكان أنذاك وزير تموين الجيش بالسلاح وأخذنا الطعام سوية مع بيريز و ألوف في منزل قائد سلاح الطيران الاسرائيلي. وكان منهم المدير العام لوزارة الخارجية واسمه حسب ذاكرتي هرزوك (واذا ما صحت ذاكرتي اصبح فيما بعد رئيس الجمهورية. وهو منصب افتخاري فقط) كما عمل لي السيد ألوف برنامج شبه سياحي (حيث كان اسمي السيد (كوهن) وزرنا القدس. والبحر الميت وبحيرة طبرية. والبرلمان ومزارع جماعية وبناء تحت الأرض لذكرى ملايين اليهود الذين ذهبوا ضحية للنازية الهتلرية. وتل أبيب وشاطئ البحر الأبيض. وكانت طلباتي. التي قدمتها للكولونيل ألوف. تنحصر في ارسال مساعدات لثورة أيلول بالمدافع والأدوية والرشاشات الثقيلة واذا أمكن بعض المال. وإيجاد علاقة مباشرة مع قيادة الثورة. واذا أمكن تهيئة بعض الاسفار لي للتكلم باسم الثورة في الخارج.

"أرسلت إسرائيل بعد رجوعي لرانيه رجل للإتصال المباشر بين قيادة الثورة والسلطات الاسرائيلية كان مجهزاً بوسائل الاتصال التكنيكيه. ويعيش خارج البلدة. وكنا نسميه "بالصديق العزيز". انني لم اطلب هذه المساعدة ضد العرب. انما دفاعاً عن الشعب الكوردي المظلوم ومساعدة له. وأن الفلسطينيين أنفسهم وقيادتهم حالياً لها علاقات تعاونية مع إسرائيل بغية احلال السلام ووضع حد لظلم الشعب الفلسطيني ولي لنضاله كل احترام. بل ان هذا ما كتبته في رسالة الدكتوراه التي جاء ذكرها (كوردستان العراق كيان وطنى...) وأكدت بها على حق الشعبين الاسرائيلي والفلسطيني في تقرير المصير واقامة دولتين متجاورتين في ظل السلام والتعاون لمصلحة الطرفين. بل وكنت رأيت هذا الحل قبل ان يؤمن به الشعبان المذكوران – وهذا ما أقوله ايضاً منذ أربعين سنة وأكثر لحل القضية الكوردية في ظل الاخاء والتعاون بين الامة الكوردية والأمم المجاورة مع المساواة الكاملة والجماعية بين الكورد والعرب والعجم والترك. كل شعب مع حق تقرير المصير وسيداً على ارض بلاده. وهذا أيضاً ما كررته مراراً في كافة كتاباتي ومحاضراتي.[59]

---

58 منذ عام 2005 ترك شمعون بيريس حزب العمال وانضم الى حزب كاديما (الى الأمام) وهو الآن(2011) رئيس دولة إسرائيل.

59 مذكرات عصمت شريف فانلى – غير مطبوعة .

في واقع الأمر كان إبراهيم أحمد قد سبق فانلي في الإتصال بالإسرائيليين. ويذكر فانلي: "عندما كنت في وزارة الخارجية قال لي مديرها العام: "ان حدوث الخلاف داخل الثورة الكوردية بين القيادة العليا و المكتب السياسي كان شيئاً مؤسفاً. فقد زارنا الأستاذ ابراهيم أحمد ومعه العقيد عزيز شمزيني، ووجدناه انساناً عاقلاً. فقلت له اننا نعمل لحل هذه الأزمة الطارئة.

كان ابراهيم احمد مركزاً جهوده على أ- جهاز اعلامي للبث على الأثير. ب - توفير السلاح لوحدات الانصار(بيشمركه). ففي شهر تموز 1963 وبناء على طلب ابراهيم احمد وطلب من (ر) تم تدريب اول كوردي كفني راديو وأطلق عليه "المهندس" وقد انتقل هذا المهندس من معسكر ابراهيم احمد. الى معسكرالبرزاني وأدار محطة راديو من هناك حتى انهيار التمرد الكوردي في أذار 1975."[60]

"لقد كان ابراهيم احمد ذا علاقة ايضا بتلقي او ارسالية سلاح اسرائلية لكوردستان. وكانت الارسالية الاولى مؤلفة من عشر راجمات بازوكا وذخيرتها. وقد وصلت الى هدفها في 18 تموز 1963."[61]

في حين كان مهندس هذه العلاقة هو الدكتور كامران بدرخان. وكان قد سبق إبراهيم أحمد وفانلي في تمهيد العلاقة منذ أعوام الخمسينات. يقول شلومو نكديمون عن بداية إقامة الاتصالات مع طهران وتل أبيب: "عقد اجتماع بين موظفين رفيعي المستوى، أحدهما اسرائلي والثاني ايراني في 30 حزيران 1963 في باريس. وذكر الاول للثاني ان الاكراد يطلبون المساعدة منا ومن مصلحتنا مساعدتهم، الا اننا لا نعتزم القيام بذلك دون موافقتكم. وثم قدم الاسرائيلي تفاصيل المحادثات التي جرت مع الأمير كامران بدرخان. بدا الايراني مرتاحاً من هذا الدعم، ونتج عن اللقاء اتفاق من خمس بنود بين تل ابيب وطهران. لم تكشف بعد فحوى الاتفاقية. ويقول مدير الموساد مائير عميت: "كانت هناك مشاعر متضاربة تتنازع الشاه، فهو من ناحية كان يشعر بالرضي جراء اثارة القلاقل للعراقيين، ومن الناحية الاخرى كان يشعر بالخوف جراء التأثير المحتمل لنجاح الاكراد في العراق في تشكيل حكم ذاتي، على ملايين الاكراد في بلاده."[62]

---

60 الموساد في العراق ودول الجوار. شلومو نكديمون. دار الجليل للنشر. عمان. 1997. ص : 101

61 ن. م. س. ص 101

62 الموساد في العراق ودول الجوار. شلومو نكديمون. دار الجليل للنشر. عمان. 1997. ص : 99

وهكذا توطدت الصلات بين طهران – تل أبيب وقيادة الحركة الكوردية. ولكي تشمل العلاقة الولايات المتحدة الامريكية، فقد أقتضى الانتظار الى بداية السبعينات وبطلب من شاه إيران، استقبل مدير وكالة المخابرات المركزية في واشنطن (ريتشارد هيلمز) وفداً كوردياً مؤلفاً من الدكتور محمود عثمان وادريس نجل ملا مصطفى في 5 تموز/يوليو 1972. بقي أن نفهم كيف تم استخدام المساعدات الخارجية من قبل القيادة الكوردية فيما بعد.[63]

---

[63] ملحق خطاب عصمت شريف في مؤتمر إتحاد الطلبة العالمي المنعقد في بغداد 1960/10/23 نشرته خه بات عدد 344 يوم الثلاثاء في 1960 – 10 – 25.

"سلام الى اولئك الذين وضعوا البند الثالث من الدستور العراقي المؤقت، البند القائل بشراكة القوميتين الكبيرتين في الجمهورية، العرب والأكراد، في ظل الحقوق المتساوية والإحترام المتبادل."

"أيها الاخوان قد يوجد بينكم ممن لايعرفون جيداالمسألة الوطنية الكوردية واوضاع الطلبة في كوردستان. ان وفدنا قد وزع على الوفود الحاضرة هنا قسماً من مطبوعات الجمعية. ولكن أرجو مع ذلك ان تسمحوا لنا بإعطائكم بعض المعلومات الأساسية عن هذه المسألة.

ان الشعب الكوردي يعد حالياً بأكثر من -12- مليون من البشر ويسكن بلاده وهي كوردستان.. وان كوردستان اسم مؤلف من كورد، و ستان وهذا التعبير الأخير يعني بلاد او أرض في اللغات الهندية الإيرانية. ان كوردستان هو وطن مقسم بين عدة دول، تركيا والعراق وإيران، قسم منها ملحق بشمال سوريا، ان كوردستان هي بلاد شاسعة جبلية متحدة الأوصال وتشكل وحدة جغرافية واثنوغرافية واضحة ومحددة، وهي بلد غني بالثروة الطبيعية من كل نوع ومنها البترول والتبغ، ولكن كوردستان بلد مجزء، تمزقه الحدود السياسية وان الأكراد موزعون الى:-

نحو ستة ملايين في المقاطعات الشرقية من تركيا التي تشكل كوردستان تركيا، ونحو أربع ملايين في كوردستان إيران الذي يحتل القسم الغربي من ايران ومايقرب من مليونين في كوردستان العراق المؤلف من المناطق الشمالية والشمالية الشرقية في هذه الدولة، ونحو 400 ألف في شمال سوريا يعيشون في مناطق متصلة بكوردستان تركيا. ان أكراد تركيا يشكلون مايقارب 25% من مجموع سكان هذه الدولة، وهكذا الأمر في إيران، ويشكل الأكراد في العراق 28، 30 بالمائة من مجموع السكان وفي سوريا نحو 10 بالمائة من مجموع السكان.

ويوجد نحو 150 الف كوردي في الاتحاد السوفيتي يعيشون في مجموعات صغيرة على هامش كوردستان في جمهوريات أرمينيا وجورجيا واذربيجان السوفيتية، جغرافياً ان كوردستان اقليم يربو مساحته على – 450 – الف كم مربع ويمتد من الحدود السوفيتية القفقاسية في الشمال حتى نقطة تقرب من الخليج الفارسي في الجنوب ومن ملاطيا وسيواس في الغرب حتى بحيرة اورميا في الشرق وكان في العهد الاقطاعي مقسما الى نحو – 40 – امارة كوردية مستقلة ولكن هذه الامارات سقطت الواحدة تلو الاخرى في

.

يد سلاطين ال عثمان وشاهات ايران اعتباراً من موقعة - جالديران – عام 1541 . أما اللغة الكوردية فهي من فصيلة اللغات الهندية الاوروبية ولها علاقة اكيدة مع الفارسية والسانسكريتية القديمة من جهة ومع معظم اللغات الاوروبية الحديثة . ولكنها لغة مستقلة ولها تطورها الخاص وادبها الخاص.

وبعد الحرب العالمية الاولى جاءت معاهدة سيفر المعقودة بين الحلفاء وتركيا العثمانية عام 1923 تعترف في بنودها 62. 63. 64 الباب الثالث المسمى كوردستان بحق كوردستان في انشاء دولة كوردية مستقلة ان هذه المعاهدة لم تطبق ابدا وان كوردستان بدلا من ان تبقى مقسمة الى جزئين بين الامبراطورية العثمانية اصبحت مقسمة الى اربعة اقسام بعد معاهدة الصلح ورسم حدود دول جديدة في الشرق الاوسط مثل العراق وسوريا. ذلك هو المصير الذي لاقاه الشعب الكوردي على ايدي الشاهات والسلاطين. مصير قاس تفرضه الان الرجعية الشرقية بمساعدة الامبريالية العالمية.

ان الشعب الكوردي بشكل أمة بالمعنى العلمي لهذه الكلمة. فنحن أمة مؤلفة من جماعة كبيرة ومستقرة من البشر. مكونة تاريخياً وقائمة على وحدة عوامل الارض واللغة والروابط الاقتصادية والحياة النفسية المتمثلة في الثقافة الوطنية.

إننا لسنا أقليات قومية تعيش ضمن اطار الدول التي تقتسم كوردستان. اننا امة قد تكونت في كوردستان وبناء على الظروف الاقتصادية والتاريخية والثقافية القائمة في كوردستان. ولكننا أمة مقسمة سياسيا ومضطهدة قوميا ما عدا العراق.

وفي فترة مابين الحربين العالميتين قامت الحكومة التركية التي كان يرأسها عصمت إينونو بمحاولة تنفيذ برنامج محكم يهدف الى تتريك شعبنا بالقوة والى القيام بمذابح وبترحيل اجماعي لابناء الشعب الكوردي من كوردستان الى الاناضول التركية كما كانت قد حاولت ان تفعل تركيا السلاطين مع الارمن والعرب والبلغار واليونان والصرب ولكن شعبنا دافع عن نفسه بوسائله الخاصة ضد محاولات هذه الاقطاعية والبورجوازية التركية العسكرية الحاكمة المتشبعة بالفاشستية والتي تتغذى من نظرية قومية اعتدائية تجعل من الطورانية فكرة فوق الانسان وتنكر حتى وجود القومية الكوردية في الجمهورية التركية. ان الشعب الكوردي في تركيا قد قام بثلاث ثورات كبرى عام 1925 ومن عام 1927 الى 1931 وعام 1937 واذا لم ينجح في تحرير نفسه فانه قد تغلب على محاولات تتريكه. فقد حافظ ومازال على كيانه كشعب خاص ولكنه بقى ومازال شعبا مضطهدا ساءت احواله المادية وحرم في بلاده من كل حق وطني وثقافي. فلا يسمح له باية مطبوعات اوصحافة كوردية ولامدارس له بلغته القومية. وفي خلال هذا الوقت كانت البورجوازية العسكرية التركية الحاكمة تسعى جهدها لاقناع العالم بان تلك الثورات التحررية الكوردية انما كانت عبارة عن ثورات رجعية تهدف الى ارجاع السلطنة في تركيا. ولكن جميع الناس يعلمون الان بانها كانت عبارة عن مظاهرعفوية في الحركة التحررية الكوردية وان الشعب الكوردي في تركيا مازال يعيش مضطهدا من قبل الطغمة الحاكمة التركية وان هذه الطبقة قد زجت بتركيا في احلاف عسكرية مع الاستعمار العالمي والحكومات الشرقية الرجعية المتفسخة مثل حكومة شاهنشاه ايران والحكومة الملكية العراقية المقبورة. ان الطبقة الحاكمة التركية قد دعت الاستعمار الاجنبي لانشاء قواعد عسكرية في كوردستان تركيا

ولاختزان الاسلحة النووية وانشاء قواعد الانطلاق للصواريخ. بغية تهديد السلام العالمي وسلام الشعوب المجاورة وذلك في تلك الأمكنة منها التي كان الشعب الكوردي قد خاض فيها غمار الحرب ضد تركيا الفاشستية لانتزاع حقوقه وحريته المغتصبة.

وبهذه المناسبة فاننا نشكر المؤتمر الخامس لاتحاد الطلبة العالمي الذي عقد في بكين عام 1958 لاتخاذه قراراً صحيحا يدعو فيه الحكومة التركية الى الاعتراف بالحقوق القومية والثقافية لـ - 5 - ملايين كوردى في تركيا. لجعل التعليم باللغة الكوردية في المناطق الكوردية فيها. ولكن جميع الناس لم يفهموا مع الاسف ادراك حقيقة الوضع وهكذا رأينا هذه الحالة الشاذة المؤلمة في تركيا الكمالية التي كان يحكمها الفاشست والتي كانت دول العالم كافة تتودد اليها وتطلب صداقتها. بينما كان الشعب الكوردي الذى كان مهدداً بخطر الفناء، والذى كان يدافع عن نفسه وحيدا وبوسائله البسيطة منعزلا عن القوى الديمقراطية في العالم لرد هجمات الطورانية الفاشست

ويجدر الا ننكر هذه المأساة.

ان نظام عدنان مندرس الفاسد قد وضع في السجن قبل انهياره، خلال شهر كانون الاول 1959 مئات من المواطنين الديمقراطيين الاكراد والاتراك وقد احتجت جمعيتنا في حينه لدى لجنة حقوق الانسان في الامم المتحدة

وبعد الانقلاب العسكري الذي حدث في - 27 - مايس الاخير قام النظام العسكري الجديد برئاسة الجنرال كورسيل باطلاق سراح السجناء السياسيين الاتراك ومنهم الطلبة. ولكن هذا النظام مع الاسف الذى كان يدعي احترام لائحة حقوق الانسان العالمية لم يطلق سراح السجناء السياسيين والطلبة الاكراد. بل على العكس فان عدد الموقوفين الاكراد ومنهم قسم كبير من الطلبة قد ارتفع بصورة مقلقة جدا في الاشهر الاخيرة. وان لدى جمعيتنا قائمة تحوى على - 70 - اسم من هؤلاء المساجين الاكراد السياسيين وهي قائمة جزئية ولا تحوى الا اسماء القليل من هم في سجن استانبول العسكرى وغيره من السجون حيث يعيشون في جومن التعذيب وبدون محاكمة

وقد صرح الجنرال كورسيل في مناسبات ثلاثة بصورة رسمية وامام المراسلين الاجانب بانه لايوجد في تركيا مسألة كردية ولا اكراد - اقرأ جريدة التايمس اللندنية - واذا ماقرأتم الجريدة التركية المسماة - حريت - عدد - 14 - تموز 1960 فسوف ترون مقالاً بعنوان مفضوح اسمه - لايوجد اكراد بل فقط اتراك - ويتكلم هذا المقال عن محاضرة القاها استاذ التاريخ السيد ف. كرس اوغلو في جامعة انقره وامام الجنرال فخرى - اوزولك - الذي هو السلطة الخفية في النظام العسكرى التركى الحاضر وقد تكلم هذا الاستاذ مدعيا بصورة غير علمية بان الاكراد هم من اصل تركي وانهم قد غيروا لغتهم فقط وان الامة الكوردية غير موجوده وان الاتحاد السوفيتي فقط يتكلم عن وجود امة كوردية. واذا ماقرأتم جريدة - جمهوريت - عدد - 14 - تموز 1960 فسوف تجدون ايضا مقالا تحت عنوان - الكورد والترك - ويتحدث المقال عن محاضرة القاها الاستاذ نجاتي اكتر استاذ التاريخ في جامعة انقره وكذلك مدير معهد عارفيه كوى وقد القيت هذه المحاضرة في جامعة استانبول في لجنة الاتحاد الوطني التركية وقد تكلم فيها هذان

المحاضران عن نظرية مشابهة وبنفس المعنى وهل من حاجة لان نقول بان هذه النظرية المستوحاة من نفس القومية الاعتدائية المتعصبة ليست لها اية صبغة علمية وانها بالعكس تشوه التاريخ والعلم وتتحدى مبادىء العدالة والحريات الديمقراطية في عصرنا الحاضر. وانها تتجاهل تجاهلا تاما الحقائق التاريخية والجغرافية والاثنولوجية المعروفة جيدا والمتعلقة بشعبنا الكوردي وانها تمهد الطريق للقيام بمحاولات جديدة لتتريك الملايين من ابناء شعبنا في تركيا. ولكن هذا لايمكن ان يحدث لان الشعوب لاتموت ابدا ولن تموت في عصر النضال من اجل التحرر الوطني ومن اجل السلام العالمي ضد الفاشستية وضد القوميات الاعتدائية العمياء التي تتفوه بها الاوساط الرجعية وضد الاستعمار والامبريالية.

لقد قال الماندبت نهرو في كتابه لمحات من تاريخ العالم بان الحركة التحررية الثورية الكوردية لايمكن ان تخمد. وما أحق ماقاله.

وفي جريدة – تريبون دي جنيف – عدد – 14 – ايلول 1960 كتبت مراسلة الجريدة من استانبول السيدة – رين جوفرت – مقالا عن الوضع في تركيا وذكرت بان مجمعا من اللغويين الاتراك قد ادعوا مؤخرا بان اللغة الكوردية ما هي الا فرع من اللغة التركية وتضيف المراسلة قائلة : انها لفكرة تبعث القشعريرة في اجسام اللغويين المطلعين في العالم لبعدها عن الحقيقة واذا ماحدث لكم وركبتم الباص في هذه الايام في مدينتي انقرة واستانبول فسوف تجدون لافتات تدعو السكان الى التكلم باللغة التركية فقط.
وفي المدارس الثانوية القليلة الموجودة في كوردستان تركيا. وحيث يجري التعليمطبعا باللغة التركية. يسأل الأساتذة الأتراك طلابهم علنا فيما اذا كانوا أتراكا... اما الطلاب الذين يجاوبون بشجاعة بانهم أكراد فيطردون حالا من المدرسة...

قولوا لنا أيها الأصدقاء الذين أتيتم من بلاد مستقلة او غير مستقلة قولوا لنا رجاء اذا كان ذالك يختلف عن الفاشستية.

واخيرا ايضا قررت السلطات التركية بان الطلبة الذين يقدمون من المقاطعات الشرقية اي من كوردستان تركيا يجب عليهم قبل ان يقبلوا في الجامعات ان يقدموا فحصا ناجحا في مادة جديدة تدعى اثبات ان الاكراد هم اتراك.

ولا أعرف اذا ماكان يوجد في هذه القاعة وفد تركي قادم من تركيا. اننا نود ذلك كثيرا لان وفدنا سيسر في هذه الحالة ان يدعو هذا الوفد مع الوفود الاخرى الراغبة لزيارة كوردستان العراق لكي تتاح الفرصة للجميع لكي يروا كيف يعيش الشعب الكوردي حرا في بلاد كوردستان العراق وكم تختلف اللغة الكوردية عن التركية.

ان لغتنا تختلف عن التركية اختلاف الفرنسية التي اتكلم بها الآن عنها - ولكن شعبنا هو صديق الشعب التركي

يجب ان يكون معلوما بان الشعب الكوردي هو اول من يهمه ان تتحرر تركيا من قبضة الاستعمار وان ينشأ فيها نظام ديمقراطي يستجيب الى رغائب ومصالح شعب هذه الدولة بقوميتيه الكبيرتين التركية والكوردية. ولكن هذا النظام يجب ان يكون ديمقراطيا حقا.

لقد ذكرنا في مؤتمرنا الاخير في - برلين - وسوف نكرر ماذكرناه دائما: بانه لاحل للمسألة الكوردية بدون الديمقراطية ولكن الديمقراطية لن تتحقق في الشرق الاوسط قبل ان تحل المسألة الكوردية الوطنية حلا جذريا صحيحا وان نظاما لايعترف بوجود قومية مؤلفه من ستة ملايين من الاكراد لايمكن ان يكون نظاما ديمقراطيا.

ان الشعب الكوردي لايضمر اي شيء ضد الشعب التركي بل على العكس تماما - فان مصلحة هاتين القوميتين الكبيرتين هي ان تتّحد لانقاذ تركيا من قبضة الاستعمار ولاجل انشاء حكومة ديمقراطية تعترف بكافة الحقوق الوطنية الكوردية. وان القوى الديمقراطية لهاتين القوميتين متفاهمتان حول ذلك. وان واجب ديمقراطي العالم ومنهم الطلبة هو ان يساعدوا بوسائلهم الممكنة لحدوث مثل هذا التطور وان يساعدوا شعب تركيا للتخلص من الاستعمار والطبقة الحاكمة التي تدعى الديمقراطية وهي غير ديمقراطية - ان واجب هؤلاء الديمقراطيين هو ان يساعدوا الشعب الكوردي في تركيا ومنهم الطلبة - في نضاله من اجل حصوله على حقوقه المشروعة. ان هذا لهدف هام. اما مساعدة حكم الجنرال - كورزيل - والعمل في الحقل الدولي لتقوية نظام عسكري يضطهد بشكل فاضح ستة ملايين من الاكراد ومازال خاضعاً للإستعمار العالمي. فهذا هدف أخر ويختلف عن الاول تمام الإختلاف.

ومن هذا المؤتمر السادس لاتحاد الطلبه العالمى وبواسطه الحركه الطلابيه العالميه ونشاطات المنظمات الطلابيه الوطنيه فاننا نطلب من ديمقراطيى العالم اجمع ان يحسبوا في مواقفهم وسياساتهم تجاه تركيا الحاضره تركيه الجنرالات ان يحسبوا حساباً لوجود ستة ملايين من الاكراد وضرورة مساعدتهم لنيل حقوقهم الوطنية والثقافية المشروعة من اجل مصلحة الديمقرطية ومصلحة كافة سكان الجمهورية. ان السلام العالمي والديمقراطية لهي حاجات تهم العالم اجمع ويجب ان تتحقق لصالح كافة الامم والشعوب كبيرها وصغيرها ولكافة الشعوب المستقلة وغير المستقلة ومنها شعبنا الكوردي المظلوم.

ان شعبنا ليس مستعداً لان يضحي حتي بوجوده القومي لكي تحقق امم اخرى على حسابه ديمقراطية لن تكون من الديمقراطية وسلاماً لايمكن الا ان يكون ظالماً.

إن شعبنا لابود ان يموت لكي يعيش غيره على أنقاضه.

أن شعبنا يود ان يعيش وينعم بنعم الديمقراطية والسلام كجميع الامم والشعوب كبيرها وصغيرها.

أن شعبنا سيحارب كل ديمقراطية لن تكون من الديمقراطية في شيء. وسوف يثور ضد كل سلام الفليحي. مثل السلام الذي ولدته معاهدة لوزان الجائرة التي تتجاهل حتى وجوده ان شعبنا يود ان يعيش بسلام وأخوة مع جميع الشعوب ولاسيما الشعوب المجاورة في ظل المساواة والاحترام الكامل لحقوقه القومية والثقافية المشروعة.

أيها الاخوة الاعزاء نرجو ان لاتفكروا باننا متطرفون ولكن وجود شعبنا مهدد بالخطر في تركيا فماذا نستطيع ان نعمل سوى ان نعرفكم بهذه الاوضاع ونناضل من اجل تحقيق الديمقراطية ونطلب من الديمقراطيين ان يعبروا عن تضامنهم معنا.

اننا ندرك جهداً الدور الايجابي الذي لعبته الحركة الطلابية التركية باسقاط حكومة عدنان مندرس الظالمة ولكننا وبكل صداقة ومن اجل مصلحة الديمقراطية والسلام نطلب من الطلبة الاتراك ان يكونوا ديمقراطيين حقيقيين . ان يعملوا من اجل حرية وسعادة تركيا، من اجل رفاة كافة سكانها، من اجل الاخوة والمساواة في الحقوق القومية والثقافية بين الشعبين التركي والكوردي العائشين في الجمهورية التركية وكذلك من الاقليات القومية مثل الأذريين واليونان والعرب والشركس الجراكسة وغيرهم.

اننا نطلب من الطلبة الاتراك ان يعملوا لكي يكون التعليم باللغة الكوردية في كوردستان تركيا، من اجل اطلاق سراح السجناء السياسيين الاكراد ومنهم الطلبة كما حدث ذلك بالنسبة للأتراك.

أما في ايران الشاهنشاهي الذي تحكمه طبقة منفسخة فان الوضع ليس احسن بكثير مما هو عليه في تركيا بالنسبة للاكراد وبالنسبة للفرس ولا للاذريين لا للتركمان ولا للأقليات الوطنية المختلفة، وكلهم من اخواننا.

في عام 1946 قامت الحكومة الايرانية بمساعدة الامبريالية العالمية بالقضاء على الجمهورية الديمقراطية الكوردية في مهاباد كما قضت على الجمهورية الديمقراطية الأذربيجانية وان الـ – 4 - ملايين كوردي الذين يعيشون في كوردستان ايران- بالمعنى القومي وليس بالمعنى الاداري الضيق – فانهم محرومون حالياً من كل الحقوق القومية والثقافية وان لغتهم لاتعتبر رسمية في بلادهم وليس لديهم مدارس ولا مطبوعات كوردية. هنالك مئات من الديمقراطيين الاكراد في السجون واربعة منهم:- عزيز يوسفي، غني بلوريان، رحمتي شريعتي والطالب اسماعيل قاسملو وهم محكومون بالاعدام، ومن الممكن اعدامهم في كل لحظة . اننا نشكر جميع المنظمات الطلابية التي احتجت على هذا الحكم . ومنها اتحاد الطلبة العالمي واتحاد طلبة عموم الصين واتحاد الطلبة العام في الجمهورية العراقية وهنالك مئات أخرين من الفرس والادربايجانيين وغيرهم من ابناء الأقليات الصديقة في السجون ايضاً. فنعبر في هذا المؤتمر عن تضامننا جميعاً وان وضع الديمقراطيين ومنهم الطلبة بصورة عامة والاكراد بصورة خاصة هو ايضاً سيء مع الأسف في الجمهورية العربية المتحدة اننا نطلب منكم أيها الإخوان ان تعبروا عن تضامنكم مع الاخوان العرب والاكراد والمسجونين ظلما في الجمهورية العربية المتحدة مثل المواطن اللبناني فرج الله الحلو والمفكرين والطلبة الاكراد الذين يضمهم حاليا سجن – المزة – العسكري بالقرب من دمشق بدون اي محاكمة ومنهم الدكتور نورالدين زازا عضو شرف في جمعيتنا واحد مؤسسيها والأديب عثمان صبري والشاعر قدري جان والطالب مجيد حاجو اننا نطلب منكم ان تعبروا عن عواطف الصداقة تجاه 400 الف كوردي يعيشون في سوريا لكي يستطيع اطفالهم ان يدرسوا باللغة الكوردية ولكي تتاح لهم الحرية لاصدار المطبوعات والجرائد بلغتهم الوطنية ولكي يتحرروا من كل اضطهاد قومي."

ثم يتناول فانلي أكراد الإتحاد السوفيتي:

- لايتجاوز عددهم 150 الف نسمة كما ذكرنا أنفاً لكنه يعيش بحرية وحقوقه محترمة. وان الفلهم لاكوز بالقرب من اريفان عاصمة أرمينيا السوفيتية. هي منطقة قومية كوردية يحكم الاكراد فيها انفسهم بانفسهم حسب الدستور السوفيتي. وان الاكراد السوفيت لهم مدارسهم ومطبوعاتهم الكوردية ويعيشون بشروط مادية سعيدة. واننا نرجو من زملائنا الذين يمثلون لجنة الطلبة السوفيات في هذا المؤتمر ان يبلغوا السلطات السوفيتية شكر الجمعية والطلبة الاكراد. لكل هذا ولأجل تشجيع السلطات السوفيتية لتقدم الدراسات الكوردولوجية في المعاهد الشرقية المتخصصة في لينينغراد وموسكو واريفان وبالو. اننا نشكر السلطات السوفيتية لتقديمها الضيافة خلال سنوات عديدة لبطل الشعب الكوردي الوطني السيد مصطفى البارزاني ورفاقه الشجعان الذين كانت تلاحقهم قوات الامبريالية والرجعية الشرقية المجتمعة. ان اسماء العلماء السوفيت من روس واكراد وغيرهم الذين يهتمون بالدراسات الكوردية من امثال اوربيلي ونلجلمسكي وبكايف وكوردوييف هي اسماء معروفة ومحبوبة في سائر انحاء كوردستان. اننا نعبر عن املنا في ان تقوم السلطات السوفيتية باجابة رغبتنا في ان نطبع على الاقل قسماً من المطبوعات الكوردية في الاتحاد السوفيتي بالاحرف اللاتينية وذلك لكي تصبح مفهومة لابناء الشعب الكوردي في كوردستان. كما نود ان يقوم راديو موسكو بفتح برنامج خاص للاذاعة الكوردية. منذ ثورة 14 تموز العراقية المجيدة بقيادة الرئيس عبدالكريم قاسم فان جمعيتنا كما يعرف الجميع لم تألو جهداً في الدفاع عن الجمهورية العراقية بكافة وسائلها الطلابية ضد المؤامرات الامبريالية واعوانها. وان الشعب الكوردي بأجمعه، الشعب الكوردي المجزأ وطنه ظلماً، وليس فقط اكراد العراق. كان ايضاً يدافع عن الجمهورية. وان هذا الموقف كان له سببان رئيسيان: من جهة البند الثالث من الدستور العراقي المؤقت الذي يعترف بشراكة القوميتين الكبيرتين في الجمهورية بحقوقهما المتساوية. ومن جهة اخرى هنالك الديمقراطية التي كانت تتصف بها الحياة السياسية في هذا البلد وان الديمقراطية والحقوق الوطنية للشعب الكوردي هما ناحيتان تتعلقان ببعضهما كثيراً. وهنا ايضاً نردد ماذكرناه في اماكن اخرى وهو: لاحل للمسألة الكوردية بدون ديمقراطية ولاديمقراطية في الشرق الاوسط بدون حل جذري للمسألة الكوردية.

ومن النتائج الهامة للثورة العراقية. يجب ان نظهر حرية التعبير والصحافة وتقوية الصداقة العربية الكوردية تحت ظل الديمقراطية والمساواة في الحقوق وفيما يتعلق بالاكراد. تقدم الصحافة الكوردية والاداب الكوردية ورجوع ابطالنا البارزانيين واجازة الحزب الديمقراطي الكوردستاني اجازة رسمية لاول مرة في تاريخ شعبنا. وتوطد حركة التحرر الوطني الكوردي. اننا نشكر مرة اخرى حكومة الرئيس عبدالكريم قاسم لاجابتها بصورة ديمقراطية لرغبات شعبنا

ولكن اذا كان يحلو لنا ان نعدد ماينشرح له الشعب الكوردي في العراق. فليسمح لنا ايضاً ان نعدد بصورة سريعة بعض المسائل والاوضاع التي يشكو منه شعبنا الكوردي. مع العلم انها موروثة من العهد المباد. فهنالك اولاً البند الثالث من الدستور العراقي الذي تكلمنا عنه والذي بقي بنداً نظرياً لدرجة كبيرة. فالتعليم الابتدائي لايجري بالكوردية الا في بعض مناطق كوردستان العراق والتعليم الثانوي يجري بالعربية

فقط في كافة كوردستان العراق. اما التعليم العالي ففير موجود بالمرة في كوردستان ولذا يجب اصلاح هذا الوضع باسرع وقت. ولاسيما بوضع اسس جامعة كوردستان العراق منذ الآن وان اللغة الكوردية ليست لغة رسمية في الدوائر الحكومية والقضاء في مناطق كوردستان. ويجدران تكون رسمياً

وان كوردستان العراق التي هي اكبر بمرتين ونصف من سويسرا. واغنى منها كثيراً في الثروات الطبيعية. انها مازالت مجزأة الى مقاطعات بدون اي علاقة عضوية بينها سوى شعور سكانها الاكراد بانتمائهم لامة واحدة. ان هذه انما هي بقايا مكروهة تركها الاستعمار والانتداب البريطاني والعهد الملكي المباد ويجدر ازالتها. ويجدر توحيد كوردستان العراق اداريا ومنحها الحكم الذاتي داخل اطار الجمهورية العراقية حسب ارادة الشعب الكوردي التي عبر عنها مئات المرات وبناء على وعود رسمية متكررة اعطيت بصورة خاصة ابان دخول العراق عصبة الامم وبقيت مع الاسف حبرا على ورق.

وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية فاننا نود ان تقوم الحكومة العراقية بمساندة الحركة التحررية الكوردية خارج العراق كما تفعل ذلك بالنسبة للحركة التحررية العربية. فمن متطلبات الشراكة مثلاً. ان تقوم الحكومة العراقية بعرض المسألة الكوردية في تركيا على انظارهيئة الامم المتحدة كما فعلت ذلك بالنسبة لقضايا الشعب العربي المكافح بحق في الجزائر وعمان وغيرها.

وهنالك ايضا تلك المسألة الهامة الناجمة عن البند الثاني من الدستور العراقي القائل بان العراق – اي بالجملة – هو جزء لايتجزأ من الامة العربية.

ان رأينا كما ذكرناه في مؤتمر جمعيتنا الخامس في برلين هو ان العراق العربي فقط او الشعب العربي في العراق هو جزء من الامة العربية. اما كوردستان العراق والشعب الكوردي في العراق. فهو جزء لايتجزأ من الامة الكوردية. اننا واثقون بان الحكومة العراقية بما لديها من حكمة فانها ستعمل على ازالة هذه الاسباب التي يشكو منها الشعب الكوردي في العراق والتي هي موروثة من العهد المباد.

وان جمعية الطلبة الاكراد في اوروبا ستستمر في الدفاع عن الديمقراطية وعن الجمهورية العراقية وعن الصداقة التاريخية الموجودة بين الشعبين العربي والكوردي في العراق وخارجه.

ان شعبنا الكوردي بما فيه الطلبة هو صديق الشعب العربي في العراق وسوريا وصديق الشعب التركي في تركيا وصديق الشعب الفارسي في ايران. ومن متطلبات الصداقة الاخلاص والمساواة في الحقوق والواجبات القومية

ان العمل من اجل تحرر الوطن الكوردي هو بنفس الوقت عمل من اجل السلام والديمقراطية وهو من اجل تهديم كل ماتبنته الرجعية الشرقية وكل ماتسانده الامبريالية العالمية الحالية من ظلم وتفسخ في الشرق الاوسط

ان الشعب الكوردي له حق دائم في تقرير مصيره بنفسه وانه سيمارس هذا الحق عندما يصبح ذلك ممكنا

ان الشبيبة والطلبة الاكراد جنبا الى جنب مع شعبهم سيسيرون قدما الى امام في خدمة هذه الاهداف المذكورة.

ان جمعية الطلبة الاكراد في اوروبا هي منظمة طلابية تحظى بتأيد وحب شعبنا في كل اجزاء كوردستان ان جمعيتنا هي منظمة طلابية خارج الوطن وتضم الطلبة الاكراد في اوروبا سواء أكانوا في كوردستان تركيا او ايران او العراق او سوريا وانها تعبر عن مشاعر وامال كافة طلبة كوردستان. وتوصل صوت شعبنا الى العالم الخارجي. ولاسيما ان الظروف السياسية لوطننا كوردستان لم تسمح بعد لانشاء منظمة طلابية كوردية شاملة داخل الوطن ولجمعيتنا 12 فرعا في الدول الاوروبية الاشتراكية منها والغربية

انا قد جئنا الى المؤتمر السادس لاتحاد الطلبة العالمي وكلنا رغبة في ان نعقد صداقات جديدة وان نتعاون لأبعد حد من اجل نجاح هذا المؤتمر الطلابي الكبير

ان جبال كوردستان ووديانها الضاحكة الخضراء ليست بعيدة كثيرا من هنا. ومن مدن كركوك والسليمانية واربيل حتى الحدود السوفيتية. ومن ملاطيا ودياربكر ووان ومهاباد وكرمنشاه فان شعبنا ذا التقاليد الثورية العريقة يوجه انظاره نحوكم. انه يعلم بان طلبة العالم مجتمعون في بغداد في دار السلام. لكي يساهموا في بناء عالم سيكون اجمل واكثر عدالة. عالم متحرر من الفاشستية والحقد

ولهذا السبب فان جمعيتنا قد قدمت طلب الدخول الى اتحاد الطلبة العالمي ونود ان يدرس المؤتمر ذالك بديمقراطية

ان مهمتنا نحن الطلبة الاكراد هي جدا صعبة. ان اعداء شعبنا الذين هم اعداء السلام. لارحمة عندهم. وفي نضالنا فاننا سنحتاجكم انتم طلبة الشعوب الاخرى كما تحتاج اية منظمة لمساندة المنظمات الصديقة الاخرى

وقبل ان نختم هذه الكلمة نود ايها الاصدقاء ان نشير مرة اخرى الى النقاط التالية:

اولاً. اننا نشكل امة بالمعنى العلمي الكامل لهذه الكلمة

ثانياً. ان امتنا مضطهدة وبلاد كوردستان مجزأة. وان الرجعية الشرقية تهدد سلامة شعبنا وسلامة الشعوب المجاورة بسبب القواعد العسكرية والذرية الاجنبية التي انشأت في كوردستان خلافا لرغبة سكانها

ثالثا. ان جمعية الطلبة الاكراد في اوروبا هي منظمة تتوفر فيها كافة الشروط اللازمة للعضوية وذلك بموجب النقطة الرابعة من البند الخامس من دستور اتحاد الطلبة العالمي. اذ لايوجد في كوردستان منظمة طلابية كوردية شاملة وان منظمتنا خارج الوطن لها اكبرقوة تنفيذية بالنسبة لأمال وحاجات طلبة كوردستان انفسهم. وان اتحاد الطلبة العالمي قد قبل اتحاد الطلبة الجزائريين المسلمين وطلبة بورتوريكو ومنظمات طلابية لبلدان اخرى غير مستقلة او مجزأة ومن جهة اخرى فان اتحاد الطلبة العالمي يقبل عضوية اكثرمن منظمة واحدة بالنسبة لبلد واحد. كما هو الامر بالنسبة لأصدقائنا الطلبة في المكسيك الذين عندهم منظمتان عضوتان واخيرا فان اتحاد الطلبة العالمي يقبل منظمات تمثل بلاد متعددة ايضا مثل منظمة اتحاد طلبة افريقيا الغربية وافريقيا الشمالية

رابعا. يجب ان ناخذ بعين الإعتبار بان منظمتنا هي المنظمة الطلابية الوحيدة تحمل اسما كورديا وان لشعبنا المؤلف من اكثر من 13 مليون من البشر الحق في ان تكون لهم منظمة ممثلة في أ.ط.ع.

خامسا . اننا نود الدخول في أ.ط.ع . لإعتقادنا بان ذلك هو في صالح جمعيتنا وصالح الحركة الطلابية وان لم ندخل فسوف نستمر ايضا في العمل الى الامام كما فعلنا في السنوات الماضية في خدمة الحركة الطلابية ومن اجل تحرر شعبنا الوطني.

ان شعبنا مستعد ان يخوض كافة معارك الحرية كما يفعل منذ عدة قرون. كما فعل في أرارات وبارزان ومهاباد وكما يفعل الأن الشعب الجزائري الشجاع. ونحن جزء من شعبنا. ان عدم قبولنا في أ.ط.ع سيكون معناه التخلي عن المبادىء الديمقراطية لبعض الاعتبارات السياسية والانتهازية والرضوخ لضغط بعض الاوساط الشوفينية.

ليعيش اتحاد الطلبة العالمي ولنأمل في ان ينهي مؤتمره السادس في ظل الصداقة وفي صالح طلبة كافة البلدان ومنهم الطلبة الاكراد ومن اجل توحيد الحركة الطلابية العالمية ومن اجل ديمقراطية التعليم. في خدمة التحرر الوطني لكافة الشعوب المستعمرة وشبه المستعمرة ومنها شعبنا الكوردي في خدمة السلام ومن اجل نزع السلاح النووي واندحار الامبريالية والاستعمار.

وقبل ان انهي هذه الكلمة فان وفدنا الكوردي لسعيد جدا بان يخبر المؤتمر السادس لاتحاد الطلبة العالمي بان شعب كوردستان العراق يود كثيرا ان يراكم جميعا ايتها الوفود الطلابية بين ظهرانيه. كما ويسر الجمعية ان تتعاون مع اتحاد الطلبة العام في الجمهورية وشكرا.»

ركوب الموج الإقطاعى
(نحو المجابهة المسلحة)

يعيد الدكتور عصمت شريف وانلى اسباب تدهور العلاقات بين الاكراد وحكومة قاسم الى الاسباب التالية:

منح قاسم السلاح والاموال للاقطاعيين الزيباريين والبرادوستيين وهم جيران لبارزان. وهؤلاء كانوا قد تعاونوا مع السلاح الجوى البريطانى فى عام 1945 لضرب الكورد وارغامهم على الالتجاء الى كوردستان ايران. وفى شهر تشرين الاول/اكتوبر 1960 طلب عصمت شريف من ملا مصطفى شخصياً الذهاب الى الزيباريين والطلب منهم وقف هذه الاعمال فردّ ملا مصطفى« لاتتعب نفسك. لافائدة ترجى من هذه المحاولة.»[64] ففى الاشهر الاخيرة من عام 1959 كانت عصابات من الزيباريين مصحوبة - بعض الاحيان - بقوات من الشرطة العراقية تهاجم مناطق بارزان لسرقة الماشية واغتيال المواطنين.[65]

زيارة ملا مصطفى الى موسكو فى شهر تشرين الثانى/نوفمبر1960 بدعوة من الحكومة السوفيتية بمناسبة ذكرى ثورة اكتوبر وقد استقبل بحفاوة وكان اقرب الى خروتشوف فى حفلة التكريم من عدد من اعضاء الوفد الحكومى العراقى الرسمى. ان هذه الزيارة ازعجت قاسماً. وعاد ملا مصطفى الى بغداد بداية عام 1961."

اما جلال الطالبانى فيذكر انه بعد مقتل احمد أغا الزيبارى بدأت العلاقة بين قاسم وملا مصطفى تتردى. «وبدأت العشائر الكوردية من الزيباريين والبرادوست والسورجية تزور بغداد وعبدالكريم قاسم وتتشكى. وفى احيان تدعى اشياء غير صحيحة رغبة فى اثارة الفتنة ضد ملا مصطفى . مما اضاف عوامل اخرى لسوء الفهم ووتّر العلاقة بين الاثنين. وهنا سأكشف شيئاً فقد تصاعد التوتر بين الرجلين وعرف السوفيات بذلك. كان لنا ضباط فى الجيش العراقى وبالذات فى الاستخبارات العسكرية. سربوا خبراً مفاده ان عبدالكريم قاسم. قال فى احدى اجتماعات قادة الفرق. ان على ملا الهدوء والا سأنشر الوثائق. وهى مجموعة رسائل متبادلة بينه وبين الضابط السياسى البريطانى والحكومة البريطانية وهى موجودة فى ملفات وزارة الداخلية العراقية. وحال وصول هذا الخبر الينا

---

[64] Ismet Cheriff Vanly. Le Kurdistan Irakien Entité Nationale. Etude de la Révolution de 1961. Page : 81-85. Editions De La Bacconnière 1970. NEUCHATEL.

[65] Ibid. Page :89.

وشعور ملا ان علاقته بعبدالكريم قاسم لم تعد كما كانت. دعا السوفيت ملا مصطفى لحضور احتفالات ثورة اكتوبر 1960 لتحاشي اصطدام الرجلين. وكانت الخطة السوفيتية لقاء ملا. كما فعلوا مع القادة الشيوعيين الذين تنافروا مع عبدالكريم قاسم.»[66]

ويمضي جلال الطالباني الى القول: «استقبل ملا استقبالاً جيداً في موسكو ودفع له تعويض عن الاسلحة التي كان قد اخذها معه عندما ذهب الى الاتحاد السوفيتي.....»

كان ملا مصطفى يخشى ان لايجيز له السوفييت العودة السريعة فاتصل بجلال الطالباني لكي يقوم بتوجيه رسالة الى السفارة السوفيتية في بغداد يطلب باسم الحزب ضرورة عودته الى بغداد. فيقول جلال: «وكان من المفروض ان ارافقه _ يعني الى موسكو _ لكنه اتصل بي وطلب ان ابعث الى السفارة السوفيتية في بغداد رسالة مفادها ان الامور في الحزب وكوردستان تتطلب عودة ملا الى العراق. وترافق هذا مع تولي صحيفة حزبنا انتقاد الاجراءات الخاطئة والمطالبة بتحقيق الوعود التي جاءت بها الثورة وانهاء الاوضاع الاستثنائية في العراق. كانت رغبة السوفيت ابقاء ملا في موسكو. وبعد ارسال الرسالة عبر السفارة السوفيتية في بغداد واقناعهم بضرورة عودة ملا وافق السوفييت على عودته شرط تحسين العلاقة مع عبدالكريم. وبالفعل جاء ملا والتقى مباشرة عبدالكريم وابلغه حتى بموضوع الأسلحة المعوضة. وعلى رغم عدم اعتراضه على هذا الموضوع بدا البرود واضحاً على وجهه.[67]

ولنعد الى ملاحظات عصمت شريف حول أسباب تدهور العلاقات مع قاسم:

3- شمل الامتعاض العام كوردستان ايضاً. فقد طالت «فترةالانتقال» رغم تكرار الوعود بانهائها. رفض قاسم حرية الصحافة والأحزاب واقامة النظام البرلماني وكان قمينآ ان يضع ذلك حداً للنظام الدكتاتوري. فالاغتيالات السياسية تفشت بوتيرة شبه يومية في شوارع المدن العراقية ضد العديد من الديمقراطيين تقوم بهاعصابات مسلحة تعمل تحت اعين الشرطة المتواطئة. لقد حلت فترات كانت الصحيفة «خه بات» الوحيدة المسموح لها بالظهورضمن كل المعارضة. وحتى آخر أيام ظهورها نددت بشجاعة بالاغتيالات السياسية والفوضى التي عمت العراق وبعبارات عنيفة. داعية الحكومة وضع حد لها. وطالبت باطلاق الحريات وانهاء «الفترة الانتقالية.»

---

66 جلال الطالباني المجلة الاسبوعية الوسط. العدد 357 . 30 تشرين الثاني- 6 كانون الاول. 1998. ص: 22-23-24-25-26-27.

67 ن. م. س

4- بقيت المادة الثالثة من الدستور غير دقيقة ومجرد حبر على ورق، رغم طلب الاوساط الكوردية منح الشراكة العربية الكوردية صيغة عملية مؤثرة.

5- مثلت المادة 2 من الدستور المؤقت نقطة المجابهة المباشرة بين الحركة الكوردية ونظام قاسم. فحتى حلول شهر اكتوبر من عام 1960 لم يثر الكورد الاشكالية القائمة في المادة المذكورة.»[68]

كان عصمت شريف برأس وفد جمعية الطلبة الاكراد في اوروبا في المؤتمر الخامس لاتحاد الطلبة العالمي المنعقد في بغداد بين 18 الى 19 من شهر اكتوبر عام 1960. وهو الذي أثار هذه النقطة الحساسة من الدستور المؤقت.

ولنمض مع مايقوله هو بهذا الصدد:

«عند وصولنا بغداد كان يسودها جو من التوتر. فمدرعات الجيش تجوب الشوارع والمجابهات تحدث بين مجموعات من القوميين العرب والشيوعيين. وحال وصولنا - سمحت السلطات لنا بالدخول في اللحظة الأخيرة - حللنا ضيوفاً على المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني. كان وفد اتحاد الطلبة الاكراد مؤلفاً من كمال فؤاد السكرتير العام، تحسين هاوراماني محرر (مجلة كوردستان) وانا الذي لم يكن مواطناً عراقياً. وصل الزميلان قبلي الى بغداد ورفضت تأشيرة الدخول العراقية اليهما. وكانت القنصليات العراقية في اوروبا قد تلقت تعليمات من هذا النوع، وقد اكد لنا هذا ضمن أخرين جلال طالباني. ورغم ذلك توجهنا نحو الطائرة المؤجرة من قبل اتحاد الطلبة الدولي، وفي بغداد منحت «تأشيرة جماعية» لجميع اعضاء الوفود الذين وصلوا. واثناء العشاء الذي اقامته الحكومة قدمنا رئيس اتحاد الطلبة الدولي الى الجنرال قاسم. لم يبدو عليه اطلاقاً انه مسرور بوجودنا في عاصمته.

القى قاسم خطاباً في افتتاحية المؤتمر. وفي الخطاب الذي القيته باسم وفدنا، عددت «المنجزات الايجابية لثورة 14 تموز» للعراقيين وللأكراد قبل الاشارة الى «نقاط معينة ليس شعب كوردستان راض عنها» وعلى رأس هذه النقاط اوضحنا التناقض بين المادة 2 و 3 من الدستور. بكلمات واضحة وبأسلوب موضوعي ذكرنا ماسبق في هذا الكتاب. فالعراق العربي هو فقط جزء من الامة العربية في حين كوردستان هي جزء من الامة الكوردية. هذا الخطاب الذي قرأته بالفرنسية نشر بكامله باللغة العربية في جريدة خه بات والتي كانت تصدر في ذلك الوقت.[69]

---

[68] Ismet Cheriff Vanly. Le Kurdistan Irakien Entité Nationale. Etude de la Révolution de 1961. Page : 81-85. Editions De La Bacconnière. 1970. NEUCHATEL

[69] أنظر الى نص خطاب عصمت شريف فانلي في مؤتمر اتحاد الطلبة العالمي المنعقد في بغداد في 18 - 19/10/1960 في الفصل المعنون بـ "الإنعطاف".

أثناء المناقشات التى جرت بعد القاء الخطاب. حصلت مناقشات حامية بين وفدنا ووفد الدولة المضيفة، اى الاتحاد العام لطلبة الجمهورية العراقية والذى كان يعرف تحت شعار UGERI وكانت تسيطر عليه العناصر الشيوعية. رئيس هذا الوفد اكّد ان المادة 2 والتى تنص على ان الدولة العراقية فى حدودها الحالية هى جزء لايتجزأ من الامة العربية، وان هذه المادة قد اعترفت بها جميع الاحزاب السياسية العراقية بما فيها الحزب الديمقراطى الكوردستانى. هذه التأكيدات تسببت فى اندلاع مظاهرات عارمة فى جميع المدن الكوردية ضد الحكومة العراقية. وفى بعض هذه المظاهرات حصلت مشادات وهوجمت بعض اللجان المحلية التابعة لاكراد شيوعيين هم أعضاء فى الاتحاد العام لطلبة الجمهورية العراقية. وانهالت على وفدنا برقيات التأيد من كوردستان بعثت بها شخصيات كوردية ومنظمات الشباب والطلبة والكتاب والمعلمين والنساء والفلاحين ومن اللجان المحلية للحزب الديمقراطى الكوردستانى.

وعلى أثر تصريحات رئيس وفد الاتحاد العام لطلبة الجمهورية العراقية اضطر (حدك) ان يتخذ موقفاً. فبتاريخ 19 اكتوبر 1960 نشرت خه بات مقالاً افتتاحياً بعنوان : « الامة الكوردية والمادة 2 من الدستور» قدم الحزب الديمقراطى الكوردستانى اطروحة مطابقة تماماً لوجهة نظرنا. وشرح بانه ان كان (حدك) لم يثر سابقاً عيوب المادة 2 من الدستور فيعود سببه الى انه كان ينتظر نشر المشروع النهائى للدستور وايضاً لأن الدفاع عن الجمهورية كانت من أولويات نشاطه.

أدى نشر هذه المقالة الافتتاحية الى تقديم رئيس تحرير خه بات وهو سكرتير عام حدك السيد ابراهيم أحمد يوم 1960/11/19 الى المحكمة العسكرية العراقية بتهمة «خرق الدستور ونشر الخلافات والاحقاد بين المواطنين العراقيين ودفعهم نحو التطرف» لكن القضية انتهت «بتصالح» وافرج عن ابراهيم احمد لأن وقت الاقتتال لم يحن بعد. وفيما يتعلق الأمر بنا فقد أخبرتنا السلطات العسكرية يوم 1960/10/24 بأن نغادر مع الوفد فى حين كنا ضيوفاً لدى حدك وكان من المفروض ان نزور كوردستان و تلقينا أوامر بمغادرة الأراضى العراقية فى أول طائرة تغادرالمطار. بعد ان زرنا الجنرال بارزانى وبالاتفاق مع قيادة حدك وحيث كان مكتبه السياسى يعقد اجتماعاً عاجلاً وسرياً فى بغداد، فضلنا ان نترك العراق كى لانكون سبباً فى تأزيم الوضع أكثر.

اذا كنا قد شرحنا باسهاب هذه الفترة ليس فقط لاهميتها فى تطور الاحداث التى أدت الى الاقتتال بين الحكومة العراقية والحركة التحررية الكوردية، لكن ايضاً لأنه فى هذه

الفترة تمكن حدك ولأول مرة من اخذ زمام المبادرة السياسية والدور الطليعي من الحزب الشيوعي العراقي في المدن والقرى الكوردية.

يجب ان نذكر بأن كوردستان كانت ممزقة بسبب الصراع السياسي بين تيارين متنافسين. فالكوردستانيون من جهة كانوا ملتفين حول حدك. ومن جهة اخرى «انصار الانصهارفي البوتقة العراقية» كانوا ملتفين حول الفرع الكوردي للحزب الشيوعي العراقي. ومن الملاحظ ان هذا التيار الانصهاري في عام 1959 كان مسيطراً على كوردستان لدرجة ان تأثيره وصل احياناً الى اضطرار كوادر حدك العيش في شبه خفاء. ففي السليمانية واربيل وكركوك كما في المدن العربية من بغداد الى البصرة كانت الجماهير تدعم الحزب الشيوعي العراقي وتطيع أوامره. وبفضل التأثير المفاجيء الذي احرز عليه (حشع) وتأييد الغالبية له بعد ثورة 14 تموز داخل اللجان والمنظمات الكوردية للشباب والطلبة والكتاب والمعلمين والمهنيين والنساء وأخرين. جميع هذه المنظمات حلت ودمجت -أرادت أم لم ترد- في المنظمات العراقية العامة. حصل ذلك بتشجيع من قاسم وطبق القانون الجديد الذي سنّ من قبل نظامه. لم يقبل الاعضاء القدامى في هذه المنظمات هذا الدمج وانما عملوا ضدها بعد ان كانوا قد قبلوا بها وهم في غمرة «نشوة ثورية وتأخٍ كوردي-عربي». كان قد اعيدت هيكلة هذه المنظمات الكوردية والتي لم يعد فيها غير أعضاء حدك وكان ينقصها التأيد الجماهيري. فالجماهير كانت وراء المنظمات العراقية العامة والتي فتحت فروعاً لها في كوردستان. كانت العواطف من القوة بحيث أن شيوعي كوردي كان يعتبر من قبيل «الاستفزازالرجعي الشوفيني» إن سلّم عليه أحد الكوردستانيين باللغة الكوردية. وكان يجيبه بالعربية بأسلوب ساخر وتحدٍ. حقيقة لم يشهد هذا الوضع اللامعقول من قبل. ونشرت خه بات عدة مقالات عرضت بوضوح «المخاطر» التي يسببها«فرع كوردستان للحزب الشيوعي العراقي» للحركة التحررية الكوردية ودعت الصحيفة الى حلّ هذا الفرع نهائياً.

ان تبني الوفد الكوردي في جمعية الطلبة الاكراد هذا الموقف في مؤتمرالاتحاد العالمي للطلبة والموقف المطابق للحزب الديمقراطي الكوردستاني، قلب الوضع في أقل من أسبوعين، فقد كسب حدك تأيد الجماهير الواسعة على حساب الإنصهاريين في الحزب الشيوعي العراقي. فأدارت الجماهير الكوردية ظهرها لـ (حشع) والتفت حول (حدك). وذكر لنا عضو المكتب السياسي جلال الطالباني وذلك قبل ان ترغمنا الحكومة على مغادره بغداد : «أن حزبنا كسب في عشرة أيام عدداً من الأعضاء والمؤيدين أكثر مما كسبه خلال العشر سنين الأخيرة.» فبالنسبة لهذه الجماهير ان (حشع) والاتحاد العام للطلبة العراقيين مسؤلين عن قرار المؤتمر السادس للاتحاد العالمي للطلبة تأجيل دراسة طلب الانضمام

الذى قدمته جمعية الطلبة الأكراد فى أوروبا. لقد اتخذ هذا القرار رغم صداقة الوفود الافريقية تجاهنا وبالاخص من أفريقيا الفرنكوفونية والانتيل..

كسب (حدك) المبادرة السياسية خلال شهر اكتوبر عام 1960 على حساب العناصر(العراقية) من (حشع) والتى كانت تمثل عقبة أو عنصر شر فى طريق الحركة التحررية الكوردية. ومنذ ذلك الوقت اصبحوا أقلية فى كوردستان. إن هذا عامل جدّ مهم. ففى الواقع أتاح هذا ليقوم (حدك) بدور طليعى فى دفع الحركة الكوردية الى أمام ووفر الحرية فى تنظيم الدفاع عن الشعب الكوردى فى الحرب التى كانت تقترب تحت قيادة الجنرال بارزانى.

إن هذا يشكل دليلاً ملموساً فى كون الشعب الكوردى يضع كوردستان فى مقدمة كل شيء. وانه من غير الممكن أن يضمن أى حزب سياسى ولمدة طويلة تأيد الجماهير الكوردية له الا إذا كانت سياسته تهدف بوضوح وصراحة وعزم الى تحرير كوردستان.

7- لقد بقيت معظم مشاريع الاصلاح فى كوردستان حبراً على ورق. فأعضاء مديرية التعليم الكوردية كانوا موظفين لاغير فى وزارة التعليم العامة. لم تكن لديهم صلاحيات وكانوا دون نشاط. ولم تهتم الحكومة بتوصيات المؤتمرين اللذين عقدتهما مديرية التعليم الكوردية. ورفضت الحكومة تشكيل الأكاديمية الكوردية بذريعة وجود ألأكاديمية العراقية. مع ان الأخيرة اقتصر نشاطها على الثقافة العربية. ولم يرَ النور لا الاوتونومى ولا المتحف ولا المعهد الكوردى

8- وفى نهاية عام 1960 تم اغلاق الصحف الكوردية الثلاث: هه تاو. زين و ده نگى كورد. ونفى المحررون الى جنوب العراق.

9- وفى مجال التخطيط الاقتصادى العراق. اهملت كوردستان كلية رغم وجود الثروة الطبيعية فيها بوفرة. وخلافاً لرأى الخبراء السوفيت والذين كانت بغداد تشاورهم. فقد قرر قاسم انشاء مصنع الصلب فى العاصمة بغداد. هذا رغم توفر المواد الخام فى كوردستان. وينطبق نفس الشيء على الطاقة الكهربائية والتى ينتجها سدّ دوكان ودربندخان وهما فى كوردستان. وليس للأكراد أى نفع منها. فالطاقة الكهربائية نقلت الى الجنوب فى المناطق العربية لغرض تشغيل المصانع والتى هى الأخرى تحتاج الى المواد الأولية المستوردة من كوردستان. ومن حيث الإرواء فان المياه المحبوسة خلف السدود تروى المناطق العربية حيث الأراضى أكثر انخفاضاً من الاراضى الكوردية. علاوة على إغراق

عشرات القرى الخصبة في سهل شهرزور. وتحول القرويون الكورد الى عاطلين وبائسين بسبب فقدانهم لأراضيهم. فلم تقدم الحكومة لهم غير النزر اليسير كتعويضات. وسرق الموظفون الفاسدون نصف هذا المبلغ المخصص لهم. كما إن مصفاة النفط في خانقين والتي ساهمت في رخاء هذه المدينة، هي الأخرى نقلت بأمر من قاسم الى الجنوب. وفيما يخص معمل الدخان في السليمانية والتي افتتحت في ظل نظام قاسم. في الحقيقة كان النظام السابق قد بدأ بانشائها وكان المعمل على وشك الانتهاء عندما سقط النظام الملكي.. كما إن الطرق المعبدة العامة الضرورية لنقل الفاكهة من كوردستان لم يعر لها أي إهتمام من قبل الحكومة. لذا فسدت الفاكهة. هذا عدا الاشارة الى المشاكل الخطيرة التي كانت تواجه محاصيل التبوغ..

10- أما السياسة الخارجية العراقية فإنها لم تعر أي إهتمام لثنائية الدولة. لقد ضحت بالمصلحة الكوردية.

11- أما الأكراد الفارين من تركيا وايران وسوريا والذين التجؤوا الى كوردستان فقد رفض قاسم منحهم حق اللجوء رغم احتجاجات جريدة خه بات وطلبات الأكراد كما تنص عليها المادة 19 من الدستور المؤقت. أعيد البعض منهم الى الحكومات التي فروّا منها. أو لقوا معاملة فظة من الموظفين العراقيين.

12- ازداد خوف وقلق أعضاء اللجنة المركزية لحدك على حرياتهم وعلى سمعتهم بسبب الموقف الحكومي. فقد اتهمت الحكومة السكرتير العام للحزب ابراهيم أحمد بتهمة القتل المتعمد لاحد الإقطاعيين الكورد وهو بريء من هذه التهمة. أما عمر مصطفى، عضو المكتب السياسي فقد اعتقل ونفي الى مدينة عربية لكنه هرب من المنفى في بداية العمليات والتحق بالثورة.

13- في 1961/2/17 نشرت جريدة الثورة القريبة جداً من قاسم وكانت تعبر صراحة عن آرائه مقالاً تحت عنوان«القومية العربية ومشكلة الأقليات» دعت بصراحة الى صهر الاكراد. وتساءلت «من هو العربي؟» أجابت الصحيفة«جميع اولئك الذين ارتبط قدرهم بالوطن العربي أياً كان أصله سواء كان كوردياً أو ارمنياً او من السود» انطلاقاً من فكرة ان العراق بحدوده السياسية هو جزء من الوطن العربي وتحدد الصحيفة ان قدر «الأقلية الكوردية في العراق» مرتبط بقدر الامه العربية وأن «هذه الأقلية يجب صهرها»! لكن

لاتذكر الصحيفة كيف يتحقق هذا الصهر. هل بالقوة؟ وتعبر الصحيفة عن ندمها لأن عملية الصهر لم تنفذ في الماضي بسبب الامبريالية البريطانية.»[70]

كان (قاسم) يهدد (ملا مصطفى) بالكشف عن وثائق تدينه. وهي مجموعة رسائل كان ملا مصطفى قد بعثها في أعوام 1943- 1945 الى الممثلين البريطانيين في بغداد كتبها بخط يده. وهي رسائل لم يكن على علم بها أعضاء المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني. فأنبرى جلال الطالباني يدافع عن ملا مصطفى ويتحدى السلطة لنشر هذه الوثائق. في مقالة كتبها في صحيفة الحزب.[71]

كان لنفوذ الأغوات أثر كبير في مجرى الأحداث في كوردستان وكانوا يخشون الاصلاح الزراعي وتوسع نفوذ الحزب الشيوعي العراق. فقد تجمع عدد من الأغوات واتباعهم وهم من مناطق رانيه وبشدر في تموز عام 1961 واجتمع رؤساء العشائر في دار الشيخ حسين بوسكين وهم من الملاكين «وقرروا قطع الطريق بين رانيه وكويسنجق والسليمانية وعدم السماح للقوات الحكومية بالتنقل» [72]

«وفي عين الوقت قامت العشائر في منطقة السليمانية وهي(هماوند وشوان وشيخ بزين وسماين عوزيري والجاف) بقطع طريق بازيان ودربندخان بعد جمع مسلحهم وبذلك انتشرت اخبار الثورة في المنطقة وكانت تلك العشائر تتصور بأنها الجهة الوحيدة المسيطرة على كوردستان وكانوا يقولون بأنه في حالة عدم رضوخ الحزب الديمقراطي الكوردستاني لمقاصدهم وعدم خضوع أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب الهاربين من السلطة المركزية لأوامرهم فانهم سيقفون ضدهم أيضاً.» [73]

من الواضح ان رؤساء العشائر سبقوا الحزب الديمقراطي الكوردستاني الى الإنتفاضة وورّطوا الاخير في خططهم. وهذاخبر مؤشر على بدايات الثورة الكوردية المفتقرة الى

---

[70] Ismet Cheriff Vanly. Le Kurdistan Irakien Entité Nationale. Etude de la Révolution de 1961. Page : 81-85. Editions De La Bacconnière. 1970. NEUCHATEL.

71 جلال الطالباني. المجلة الاسبوعية الوسط. العدد 357 . 30 تشرين الثاني- 6 كانون الاول. 1998. ص: 22-23-24-25-26-27.

72 عبدالله بشدري. اندلاع ثورة ايلول المجيدة 1961 الجزء الاول . عبدالله أحمد رسول البشدري. مطبعة الثقافة . اربيل 2001 ص: 20 . (المؤلف شاهد عيان)

73 عبدالله بشدري. اندلاع ثورة ايلول المجيدة 1961 الجزء الاول . عبدالله أحمد رسول البشدري. مطبعة الثقافة . اربيل 2001 ص: 21

التخطيط. والمنطلق العشائرى لازمها حتى النهاية. ونلجأ الى شهادة إثنين من المشتركين فى الحركة هما (جلال الطالبانى) و(عبدالله احمد رسول پشدرى) ولنبدأ بشهادة الأخير:

«ومع ان موقف العشائر كان بهذا الشكل إزاء الحزب الديمقراطى الكوردستانى الا ان الحزب لم يكن يرغب فى قطع الصلة بالعشائر والجماهير الكوردية وخلق هوة بين طبقات المجتمع الكوردستانى لذا التجأ جميع أعضاء المكتب السياسى واللجنة المركزية والصادر بحقهم أوامر القبض الى كوردستان وانخرطوا بين صفوف تلك العشائر وبدأوا يعملون على احلال نوع من الانسجام بينهم وبين رؤساء العشائر لأنه لم يكن أمامهم خيار غير هذا فأصدر الحزب المذكور أوامره الى كافة أعضائه ومناصريه القادرين على حمل السلاح الالتحاق بقوات تلك العشائر(وأنا كنت واحداً منهم حيث تلقيت أمراً حزبياً بوجوب التحاق فوراً والتوجه الى وادى خلكان والانخراط فى صفوف الحركة العشائرية المذكورة)...[74]

كان جلال الطالبانى موجوداً أثناء انعقاد هذا التجمع العشائرى وعارض قرارهم بقطع الطريق بين رانية والسليمانية وكويسنجق واعتبره عملاً خطيراً وغير مقبول. واقنعهم جلال بالانتظار الا ان يذهب الى بارزان ويأخذ رأى ملا مصطفى بهذا الشأن. فقبلوا. وهكذا غادر الطالبانى الى بارزان والتقى بملا مصطفى. ....»[75] ويذكر(جلال الطالبانى) بهذا الصدد:

"وبعد دراسة الموقف فى حزبنا تولد اتجاهان. الأول على رأسه الملا (يعنى ملا مصطفى) وكنت أنا أقوده. وأخر قاده الأستاذ ابراهيم أحمد والدكتور عزيز شمدينى والدكتور نورى شاويس ومالت أكثرية المكتب السياسى الى اعتبار ان هذه الحركة عشائرية مشبوهة ترتبط بإيران والتاريخ أثبت أن كل الحركات العشائرية فاشلة ولا مستقبل لها لذا على الحزب الابتعاد عنها. فيما كان الاتجاه الأول الذى يمثله ملا وأنا والاستاذ عمر مصطفى دبابة والشهيد على العسكرى وملا عبدالله اسماعيل. يرى ان هذه الحركة تستغل المشاعر القومية الكوردية واخافة عبدالكريم وما علينا سوى العمل ضمنها من اجل افراغها والسيطرة على قيادتها واخراج عناصرها وبالتالى نحن الذين نتولى العمل المسلح الحقيقى ضد عبدالكريم قاسم.(.......)

---

74 عبدالله پشدرى . ن م. سابق ص: 21

75 ن م. سابق ص: 21

«....وقد سعى (ملا) الى تشجيع هذا الإتجاه العشائرى وكان يعتقد بأن دفع هذه العشائر الى التجمع فى مناطق وادى خلكان بهدينان ورانيه ودربندخان ودهوك ستدفع عبدالكريم قاسم الى الرضوخ والمصالحة مع الحزب وملامصطفى....»[76]

بعد ان عاد جلال الطالبانى من زيارته الى بارزان إجتمع برؤساء العشائر واخبرهم بعدم موافقة ملا مصطفى على خططهم متذرعاً بعدم وجود دعم خارجى ونصحهم بضرورة قيادة كل أغا لمجموعته المسلحة والقيام بحرب عصابات ضد السلطة لإرغام نظام قاسم على التفاوض وتلبية المطالبب الكوردية.[77] لكن عباس مامند أغا وشيخ حسين بوسكين وأغوات بشدر لم يأخذوا النصيحة.

كانت العشائر من القوة بحيث كلفوا جلال الطالبانى وعبدالله أغا بشدرى بالتجوال فى مناطق بنجوين وجوارتا وحث العشائر الى الانضمام للحركة. ولنمض مع مايقوله شاهد عيان الا وهو (عبدالله بشدرى) :

«بدأنا بالجولة (يعنى مع جلال الطالبانى) فقصدنا دار قادر تيگرانى فى السليمانية وقد دخلناها سراً ثم توجهنا الى بنجوين

وأقلنا الأخ كمال حاجى فرج الى بنجوين بسيارته ليلاً فشاهدنا قرب الدار شيخ عبدالكريم الموجود فى قرية (لوبان) قرب بنجوين مجموعة من (الدراويش والصوفية) حاملين بنادق برنو فأعترضوا سبيلنا وبعد ان تعرفوا علينا استقبلونا استقبالاً غير ودى وسمحوا لنا بالذهاب الى مضيف الشيخ عبدالكريم وعندما حضر الشيخ فاتحنا حول مشاركته فى الحركة العشائرية وأيد الحركة وأبدى استعداده الكامل للمشاركة فى القتال وفرحنا بهذا الموقف كثيراً وصدقناه فى كل ماقاله وكنا متصورين بأنه سيصبح قائداً بارزاً فى الثورة الكوردية وبتنا يومنا عنده. وعلمنا بمقدم الشيخ لطيف الشيخ محمود الى بنجوين وفى ضيافة حاجى رشيد ولم يكن يرغب جلال الطالبانى زيارته لكون العلاقة بين الشيخ لطيف والحزب الديمقراطى الكوردستانى أنذاك كانت غير جيدة وكان الشيخ المذكور محسوباً على الحزب الشيوعى لذا كلفنى جلال الطالبانى بزيارته والتحدث اليه باسم رؤساء العشائر وطالبته بالانضمام الى الانتفاضة وتبوأ مركز والده الشيخ محمود الحفيد وباستغلال هذه الفرصة وقيادة الحركة وقلت له ان جميع الناس فى كوردستان

---

76 جلال الطالبانى المجلة الاسبوعية الوسط. العدد 357 . 30 تشرين الثانى- 6 كانون الاول 1998. ص: 22-23-24-25-26-27

77 عبدالله بشدرى. اندلاع ثورة ايلول المجيدة 1961 الجزء الاول . عبدالله أحمد رسول البشدرى. مطبعة الثقافة . اربيل 2001. ص 22

يقبلون بزعامتك لكونك نجل الشيخ محمود. الا انه لم يكن مقتنعاً وطلب منى امهاله فرصة للتفكير في هذه المشاركة وبعدها سيخبرنا بالنتيجة واني بدوري ودعت الشيخ لطيف وعدت الى جلال الطالباني وذكرت له مادار بيننا بالتفصيل فكان رأى جلال هو نفس رأيي وهو عدم قناعة الشيخ لطيف بهذه الحركة ولكونه كان ينفذ تعليمات الشيوعيين.........» [78] .

وفى هذه الجولة التقى المبعوثان بحه مه رشيد خان وحه مه صديق خان ومحمود بگ گولى وشيوخ (نزاره) و أحمد مينه رندان و حاج ابراهيم چه رمه گا وأخرين. وبعد عودة المبعوثين الى وادى خلكان عرضا على رؤساء العشائر النتائج الموفقة لجولتهما. [79] .

ويضيف عبدالله پشدرى:

«..... وبسرعة البرق ثارت معظم مناطق ألوية السليمانية واربيل وبدأ أعضاء الحزب الديمقراطى الكوردستانى بالانخراط فى صفوف الثورة بعد ترك المدن وقاموا بنشاط ملحوظ وخاصة فى منطقة شقلاوه لأن معظم مسلحى تلك المنطقة كانوا من أعضاء ومؤيدى ومؤازرى الحزب الديمقراطى الكوردستانى وهم أنذاك بقيادة محمود كاوانى وحميد كاوانى وشمس الدين مفتى وملا عبدالله إسماعيل الملقب ب (ملا ماطور).. [80] .

ويذكر جلال الطالباني لمراسل الاسبوعية العربية (الوسط) أمراً ينبغي الوقوف عنده بتمعن إذ يقول : "في كانون الاول (ديسمبر) 1961 عقدنا اجتماعاً للجنة المركزية بمن حضر. وكان عددنا 12 عضواً، والموضوع المطروح هل نقاتل أم لا ؟ وقررنا تشكيل حركة الانصار الدفاعية المسلحة على ان تمارس الكفاح المسلح على طريقة حرب الانصار، وان لاتتخلى عن الحوار والتصالح، ورفعنا شعار الديمقراطية للعراق والحكم الذاتى لكوردستان. وعارض هذا القرار اثنان من اعضاء اللجنة المركزية أحدهما الأستاذ علي عبدالله، وهو الآن نائب رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني، اذ قال ان قرار الثورة خطأ وان عبدالكريم قاسم سيعود الى توجهاته الديمقراطية تحت ضغط القوميين بحكم قلة خياراته. اما الشخص الثاني فهو المرحوم المقدم نوري أحمد طه . أحد الضباط الذين ساهموا في جمهورية مهاباد . وقال في ضوء تجربته الشخصية ان كل حركة مسلحة

---

78 عبدالله بشدري، اندلاع ثورة ايلول المجيدة 1961 . الجزء الاول . عبدالله أحمد رسول البشدري ،مطبعة الثقافة اربيل، 2001. ص 24

79 ن.م سابق ص. 21

80 ن.م سابق. ص. 25

بقيادة ملا مصطفى سيكون مصيرها الفشل. وهكذا بدأت عمليات الكفاح المسلح في أواخر العام 1961 . على شكل حرب عصابات ومن بعدها توسعت.

هنا لابد وان ننظر الى المقطع السابق بدقة. فالبدء بشن ثورة هي عملية معقدة تتطلب استراتيجية ومعرفة بالموازين بين طرفي الصراع وبالأخص التأكد من أهلية القيادة ووحدتها لضمان أداء دورها التاريخي. وهنا يبرز للعيان الموقف العقلاني لنوري أحمد طه للقضية الوطنية الكوردية. فقد كان واضحاً في توجهه من أن مكمن الخطر هو ملا مصطفى نفسه وأن قيادة غير مؤهلة ستودي بنضال الشعب الى كارثة محققة. لكن القادة الأخرين لم يعيروا لرأي نوري أحمد طه الاهتمام اللازم فركبوا الموج ولم يمض وقت طويل حتى تعثرت المسيرة النضالية وثبت أن توجه نوري أحمد طه كان صائباً. لكن بعد فوات الأوان.

وفى رسالة مطولة مؤلفة من 24 صفحة موجهة من جلال الطالبانى وهو عضو المكتب السياسى والقائد العسكرى لمنطقة السليمانية. موجهة الى عصمت شريف فانلى ومؤرخة فى 9 تموز 1962 يتناول الاوضاع فى كوردستان بتفصيل دقيق وجاء فيها:

«إجتمعت اللجنة المركزية لـ (حدك) فى شهر نيسان/ابريل 1961 لاتخاذ قرار أزاء استفزازات ونوايا قاسم العدوانية. هل ينبغى «اعلان الثورة أو اتخاذ موقف دفاعى حالة هجوم قاسم على بارزان بشكل خاص وعلى كوردستان بشكل عام» … كان سكرتير الحزب ابراهيم احمد يعتقد ان كوردستان ليست مهيأة لشن حرب ضد الحكومة وان الاستعدادات العسكرية الدفاعية الكوردية هى فى درجة الصفر وانه حتى بارزان حيث هناك الجنرال بارزانى، ليست فى وضع عسكرى مناسب. وان توقعات الدعم الخارجى للأكراد هى ايضاً فى مستوى الصفر. لذا يجب اتخاذ موقف الحيطة والحذر والتأهب للدفاع. هذا الا اذا قرر البارزانى اعلان الثورة مبتدءاً ببارزان. لكن واثناء حالة الانتظار ينبغى اتخاذ اجراءات دفاعية تقوم بها لجنة ستتشكل وعليها واجب تنظيم نواة من الانصار وتوفير مستودع للسلاح والمؤنة.»[81]

وفي رسالته الى عصمت شريف يذكر الطالباني: "وفي شهر أب (أوائله حسب ما أتذكر) حدثت تجمعات عشائرية مسلحة في منطقة خلكان (قضاء رانية) تحت قيادة وبتحريض عباس مامند أغا واغوات بشدر وشيخ حسين وقد أيدت اللجنة المحلية لحزبنا في رانيه هذا

[81] Ismet Cheriff Vanly. Le Kurdistan Irakien Entité Nationale. Etude de la Révolution de 1961. Page : 99-100. Editions De La Bacconnière. 1970. NEUCHATEL

التجمع واشتركت فيه وكان قد حدثت تجمعات عشائرية في سورداش (السليمانية) وفي منطقة شقلاوة كانت هناك تجمعات فلاحية (بارتية في غالبيتها) تحت قيادة عضو اللجنة المركزية لحزبنا المناضل ملا عبدالله اسماعيل. ثم توسعت التجمعات العشائرية في قضاء جوارتا ومنطقة شهرزور.

ان الموقف الرسمي للحزب تجاه هذه التجمعات كان كما يلي:

الاشتراك فيها بغية توجيهها ..... وقد كلف الحزب الاستاذ عمر مصطفى المحامي (عضو المكتب السياسي الذي كان قد فرّ من السجن لتوه. كلف بتمثيل الحزب ضمن مسلحي منطقة خلكان كما كلف جلال الطالباني المحامي الذي كان مختفياً عن الانظار الحكومية بتمثيل الحزب في قضاء جوارتا وكادرين أخرين في سورداش وشهرزور وخلال شهر أب تطورت التجمعات المسلحة تطوراً عجيباً إذ بدأ رجال العشائر يفرضون رأيهم أكثر من اللزوم ودون عقل او تدبير او حساب لمستقبل الحركة او موقف الحكومة او اي حساب معقول للوضع السياسي والعسكري المتوقع. وهكذا احتلت قوات العشائر المسلحة (دربندي بازيان ودربندي خان) وهما بابي السليمانية باعتبارهما مضيقين يفصلان السليمانية عن كركوك وديالى.

وكان قاسم يعد العدة لشن هجوم مسلح على كوردستان بينما كان الحزب الديمقراطي الكوردستاني يعمل لتحاشي تصادم مسلح (وفق قرارات لجنته المركزية) وقدم مذكرة الى الحكومة طالباً انهاء الاوضاع الاستثنائية واطلاق سراح المعتقلين واطلاق الحريات الديمقراطية وعدم عرقلة صدور جرائد الحزب الموقوفة عن العمل بصورة لاقانونية. ومن ثم اجراء انتخابات حرة لانتخاب المجلس الوطني ومن ثم وضع الدستور الدائم وضمان حقوق الشعب الكوردي القومية وغيرها من مطاليب الشعب. كما استنكر الحزب مواقف الحكومة الرجعية وتعاونها ودعمها للعناصر الاقطاعية الخائنة وتموينها اياها بالمال والسلاح.

لقد خطا الحزب خطوة أخرى اذ دعا في 6 أيلول 1961 الى اعلان اضراب عام في كوردستان (في ذكرى حادثة 6 أيلول 1930) لتأييد مذكرة الحزب الأنفة الذكر. وقد نجح الاضراب نجاحاً منقطع النظير. اذ اغلقت السليمانية وهلبجه وبنجوين ودربنديخان وجوارتا وماوه ت ورانية وقلعه دزه وكركوك وكويسنجق وجمجمال ودهوك وزاخو والعمادية وشقلاوة وراوندوز وخانقين اغلقت أسواقها واوقفت اعمالها اي كان الاضراب ناجحاً نجاحاً رائعاً جداً. ونجح الاضراب في اربيل نسبياً وكذلك في طوزخورماتو وكفري وبردى.

ان الاحداث كانت تمر بسرعة وكانت اللجنة المركزية قد دعيت الى اجتماع في 14 ايلول 1961 لتقرير موقف الحزب من جديد. الا ان الهجوم القاسمي الوحشي حدث في 9 ايلول على دربنديخان ودهوك وفي 11 ايلول على بارزان وبقية مناطق كوردستان. وكان هجوماً وحشياً قاسياً. استعمل العدو فيه اثقل واحدث وافتك الاسلحة من طائرات ودبابات ومدافع ورشاشات.

لقد قرر سكرتير الحزب وعضو في المكتب السياسي وعضو احتياط فيه يوم 11 أيلول مايلي:

تنظيم فصائل الانصار الوطنية من التجمعات الموجودون بسرعة لتهيئتها لشن حرب الانصار (خلاف رأي العشائر التي كانت تميل الى تجمعات جبهوية علنية . بدلاً من اسلوب حرب الانصار – بارتيزان)

ارسال عضو المكتب السياسي الاستاذ عمر مصطفى لمعرفة موقف الملا مصطفى من الثورة. ومعرفة ما اذا كان وضعه في بارزان (التي كانت خارج الثورة حتى هجوم قاسم عليها يوم 16 و 17 أيلول) يساعد على اشتراكه في الحركة ام لا؟ وحينما علم السكرتير وبقية اعضاء اللجنة المركزية ان بارزان مشتركة (منذ 18 أيلول) صدر بيان حزبي لشن حرب فصائل انصار وطنية على نطاق كوردستان كلها؛ اذ كانت الاوامر الحزبية قد صدرت قبل 11 أيلول لمنطقة شقلاوة بتأديب عصابات الشقاة الاقطاعيين وفي 14 ايلول لمنظمات الحزب في بهدينان ببدء الحركة الثورية. وهكذا دخل الحزب في الثورة. وكان أعضاء المكتب السياسي (بسكرتيره واعضائه) من المندفعين للثورة وعملوا (بكل طاقاتهم) لتوسيعها وتقويتها وانجاحها.

ولكن حدث مالم يكن متوقعاً فقد انهزمت العشائر في لواء السليمانية ولم يبق في الميدان الا الحزبيون (وكانوا قليلين جداً لقلة سلاح الحزب).

أما في لواء اربيل فقد كان المئات من الانصار البارتيين يقودهم عضو اللجنة المركزية ملا عبدالله اسماعيل يخوضون ببطولة معارك عنيفة ضد قوات الجيش والشرطة و(الجحش بوليس) - الشرطة غير النظامية – في منطقة شقلاوة. وكان التفوق في البداية لنا إذ حررت الفصائل البارتية أغلب مناطق شقلاوه واحتلت ناحية هيران ومراكز الشرطه في (هرتل) و (باليسان) و قه لاسنج. وبذلك اسر الانصار الشرطه ومدير الناحيه (رقيب حسين ملا) ومعاون مدير شرطة اربيل (عبدالقادر النجدي) وحصل الانصار على مئات

البنادق وعلى عدة رشاشات ومدافع هاون. وظلت هذه العناصر الثورية الهارتية تقاتل العدو الاكثر عدداً وعدة) وعصابات الاقطاعيين الخونة. وظلت تقاتل ثلاثة أشهر حتى نفذ عتادها وانسحبت الى منطقة (بشت كلى) من قضاء خوشناو أي بعيداً عن القضاء."[82]

في الواقع كانت بارزان تعاني من الضغوط قبل اندلاع الحركة الكوردية بعام. فقد كان التوتر في شهر تموز على أشده بين بارزان والعشائرالمعادية التي تطوقها من الجهات الثلاث عدا الحدود الدولية مع تركيا. إذ كان قاسم قد سلح روءساء الريكان و الزيبار والسورجي والبرادوستيين وشجعهم على مهاجمة بارزان. وبهذا الشأن كتبت اليومية الكوردية خه بات في افتتاحيتها في 7 تشرين الاول 1960 عدد 331 مايلي:

واجب إخواننا العرب حيال العدوان الرجعي على بارزان

تتعرض بارزان منذ مدة الى اعتداءات متكررة تقوم بها حفنة من الاقطاعيين الاكراد والخونة من حملة اوسمة فيصل ونوري السعيد. ومن ايتام العهد الملكي المندثر . ولايخفى على احد المغزى الحقيقي لهذا العدوان الاجرامي الذي تشنه قوات الاقطاعيين المتأمرين الخونة. اعداء الجمهورية والديمقراطية. ضد بارزان التي كانت على الدوام قلعة حصينة للحرية وللجمهورية الديمقراطية العراقية. خاصة اذا اخذت بنظر الاعتبار حقيقة محاولة المستعمرين واذنابهم لخلق جو من القلق والارهاب في البلاد تمهيدا لامرار المؤامرات المعادية لشعبنا ولجمهوريته.

انهالت ألاف البرقيات حاملة ألاف التواقيع للاحتجاج على اعتداء اعوان الاستعمار الخونة على بارزان الابية ولمطالبة السلطة بالضرب على ايدي المعتدين بشدة تنفيذا لواجبها في صيانة ارواح وممتلكات المواطنين. واحتراما لمشاعر الشعب الكوردي. ومنعا لحدوث ما لا يحمد عقباه اذا استمر التحشد الرجعي المسلح.

استنكر الشعب الكوردي استنكارا شديدا هذه المحاولة الجديدة للاعتداء على بارزان. لانه يدرك جيدا مغزاها هذا ولأنه تعلم من تجاربه الخاصة ان المستعمرين واعداء القومية الكوردية يبدؤون ببارزان في توجيههم الضربات الاولى اليها في كل معركة يريدون خوضها ضد الكورد وكوردستان.

وبالاضافة الى ماتقدم. المصلحة الوطنية ايضا تتطلب الاسراع في توطيد الاستقرار ووضع حد نهائي لمثيري القلاقل والشغب والضرب بأيد من حديد على اعوان الاستعمار الذين لايخفى على السلطة الوطنية نشاطهم التامري. ويعلم الشعب كله خيانتهم وجرائمهم العديدة ضده.

---

82 رسالة بخط يد جلال الطالباني الى عصمت شريف فانلي مؤرخة في 1963/7/9. كوردستان الجنوبية -بهاله ك.

ان اخواننا العرب، على اختلاف احزابهم الوطنية وافكارهم السياسية الديمقراطية، مدعوون الى ادراك خطورة العدوان الرجعي على بارزان ونتائجها السيئة جدا على سلامة الجمهورية والوحدة الوطنية، وهم مدعوون ايضا الى اداء واجبهم الوطني اولا والقيام بما تستلزمه الاخوة العربية الكوردية ثانيا.

وذلك برفع اصوات الاحتجاج والاستنكار على هذه المؤامرات الاجرامية الجديدة التي تحيكها القوى الرجعية المتامرة ولمطالبة الحكومة الوطنية بايقاف المعتدين عند حدهم وتأديبهم، اذ اثبتت الوقائع ان التساهل مع المتامرين والاقطاعيين الخونة لايزيدهم الا اصرارا على ارتكاب الجرائم والتمادي في الخيانة والتامر.

وقيام اخواننا العرب بواجبهم هذا سيؤدي حتما الى تقوية الاخوة العربية الكوردية وتعزيز الثقة بين القوميتين العربية والكوردية من جهة والى وضع حد لنشاط تأمري خطير من جهة ثانية.

فالى اداء هذا الواجب الوطني ندعو جميع اخواننا العرب الحريصين على الاخوة العربية الكوردية ومصالح الجمهورية الديمقراطية."

أما الطالباني في رسالته الى عصمت شريف فيذكر:

«شهد شهر أب/اغسطس حالة هيجان وتجمع للعناصر العشائرية المسلحة في مواقع مختلفة من البلاد، في خلكان ورانية بقيادة عباس مامند أغا والشيخ حسين بوسكيني وفي منطقة سورداش التابعة للسليمانية وفي (ورتي) وأماكن اخرى، وتظاهر الفلاحون ومعظمهم أعضاء في (حدك) وشملت المظاهرات مدينة شقلاوه تحت امرة عبدالله اسماعيل..[83]

وبشأن إيفاده من قبل الحزب لنقل مادار من نقاش الى ملا مصطفى في بارزان فيقول: « لم يكن رئيسنا راغباً في اعلان الثورة اطلاقاً» ثم يمارس الطالباني النقد الذاتي فيقول «لقد أثبتت الأحداث بشكل واضح أن التحليل العلمي للأغلبية كان صائباً». اذ كان هونفسه مع الأقلية الراغبة في شن العمليات الثورية.[84]

وفيما يتعلق بنفس الموضوع يقول الدكتور سعد جواد:

---

[83] Ismet Cheriff Vanly. Le Kurdistan Irakien Entité Nationale. Etude de la Révolution de 1961.Editions De La Bacconnière. 1970. NEUCHATEL. Page . 99-100.

[84] Ibid. Page : 99-100.

" في اجتماع عقد في شهرتموز 1961 انقسمت اللجنة المركزية الى قسمين. الغالبية التي يترأسها إبراهيم أحمد أصرت على أن الأوضاع غير ناضجة لشن الثورة وانه من الافضل التحضير لها تحت قيادة (حدك) وفي نفس الوقت الابقاء على صلة بالحكومة. ومن رأيهم ان على (حدك) اعلان الثورة في ثلاث حالات: عند عدم ادخال حق الحكم الذاتي في الدستور الدائم. منع الحزب من العمل و في حالة الهجوم على بارزان. وكان من رأيهم ان ايران هي التي تستخدم القوى العشائرية خدمة لأهدافها ضد ثورة تموز. وانه خلال الوقت المناسب سيتمكن الحزب من شن ثورته "التقدمية" دون الاعتماد على القبائل.

أما الاقلية ويترأسها جلال فكانت تحبذ اعلان الحرب على الفور وكانت خشيتها هي تولي زعماء العشائر قيادة الحركة الكوردية وكان الهدف هو أخذ زمام المبادرة منها."[85]

" فقد اتفق الطرفان على أخذ النصيحة من ملا مصطفى. وانتدب عمر مصطفى عن الأكثرية وجلال عن الاقلية وهما من المكتب السياسي. غادرا للقاء ملا مصطفى. بينما أرسل نوري أحمد طه للقاء قاسم لكسب الوقت. وفضل ملا مصطفى رأي الغالبية لكنه أبلغ المبعوثين ان على الحزب اعلان الحرب أيضاً في حالة هجوم تقوم بها الحكومة ضد عشيرة (أكو) التي يترأسها عباس مامند أغا......"[86]

هنا يظهر بوضوح ضعف توجه الطرفين ومن خلالها هزالة البرجوازية الكوردية الناشئة والمترددة وقلة ثقتها بالذات وغياب وجود أية خطة استراتيجية.

وفي رأي سعد جواد أن قاسم نفسه في النهاية دفع (حدك) نحو الحرب في 24/9/1961 عندما منع نشاطه السياسي.[87]

ويذكر سعد جواد عن النتائج التي ترتبت على موقف حدك هذا فيقول: "ان قرار حدك الانضمام الى ثورة ذات قاعدة عشائرية كان من الاسباب الرئيسية في تدهور سمعته. على الاقل بين اوساط المثقفين. لو بقي (حدك) صادقاً في التصاقه بالآمال الوطنية الكوردية. لما استسلم للزعامة القبلية للثورة وبذلك حطم فرص قيادته للحركة. وقد فطن القادة لهذا

---

[85] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970 By Sa'ad Jawad P 80-81. Ithaca Press London. 1981.

[86] Ibid. P. 80-81

[87] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970.By Sa'ad Jawad. Ithaca Press London 1981P: 81

العمل في عام 1964. عندما طردهم ملا مصطفى بالقوة ليرسخ سطوته ويوقع اتفاقاً مع الحكومة."[88]

ويقول القيادي الدكتور محمود عثمان بهذا الصدد:

«...الا ان هنالك نقطة قمينة بالاشارة وهي ان اندلاع الثورة لم يأت بعد التخطيط اللازم والدراسة الموضوعية للوضع في الداخل والخارج أنذاك بل فرضته الاوضاع والظروف الاستثنائية في تلك الفترة...»[89]

يتضح مما سبق أن الملاكين والأغوات هم الذين جرّوا الحزب وليس العكس الى ميدان المجابهة مع نظام قاسم. ولم يكن أمام قادة الحزب غير ابداء ردود أفعال. إذ كان قد صدرت أحكام بالقاء القبض على معظم القادة الرئيسيين: ابراهيم أحمد وجلال الطالباني . واختفى معظمهم أو وصلوا الى جبال كوردستان. أي بالأحرى كان هناك ضغط من الملاكين الكورد ومن حكومة قاسم على قادة الحزب ودفعهم نحو المقاومة المسلحة. كان موقف المكتب السياسي بين ضغوط العشائر الكوردية والحكومة العراقية بمثابة "متلقي للأفعال" وابداء "ردود أفعال". ولهذا كان موقفه هزيلاً دائماً. ومن هذا الضعف نتجت انحرافات خطيرة سببت قبل كل شيء تقوية المنحى القبلي والفردي في قيادة الحركة الكوردية وفساد ادارتها وسقوط الثورة في عام 1975.

هنا لابد من كلمة حول تركيبة القيادة الكوردية. فالمجتمع الكوردي كان مشكلاً من الأغوات والشيوخ ومن البرجوازية الكوردية التجارية الصغيرة وهي في بدايات نموها. وكان هناك تداخل وترابط في داخل الانسان الكوردي. فالانتماء العائلي، والعشائري والطائفي والصوفي والقومي والحزبي كانت متداخلة في ذات الفرد. وعندما تتناقض المصالح ينحاز الفرد الى المكونات الاقتصادية والثقافية الأقوى في ذاته. فقد يتخلى عن قوميته لصالح العشيرة أو الطريقة أو ينحاز الى قوميته أو الى عائلته. وبصورة عامة لم يكن هناك حدود واضحة المعالم لاتسمح بتداخل المكونات الاجتماعية الرئيسية في المجتمع، فلم يكن هناك قومي بحت أو عشائري أو صوفي بحت. لكن بشكل عام كانت القوة الرئيسية في المجتمع الكوردي هي القوة العشائرية - ملاكون مستغلون وفلاحون مضحون يناصرون طغاتهم - واكثرها تماسكاً. والحزب الديمقراطي الكوردستاني كان يعكس هذه الحقيقة بقوة في نخبته

[88] Ibid P: 82.

89 الحزب الديمقراطي الكردستاني اللجنة التحضيرية تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها 1977. ص 10

القهادية. فقوى الريف المتمثلة في شخص ملا مصطفى وقوى المدينة المتمثلة في المكتب السياسي لم تنسجم بصدد كيفية ادارة دفة الحركة التحررية. ففي مجرى الصراع الريفي-المديني ، كانت الغلبة للريف وانكسار المدينة طوال فترة حياة الحركة .

ولابد من الاشارة الى قضية هامة لاتزال غامضة. الا وهي كيف تم تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني. هل فعلاً بمبادرة من ملا مصطفى؟ أم ليس لها أساس من الصحة؟ المشكل ان المصادر الحزبية غارقة في الطابع الدعائي بحيث لاتتوفر فيها مايكفي من المصداقية للاعتماد عليها. فقد وجدت اثناء قراءتي لكتاب (جرجيس فتح الله. زيارة للماضي القريب. وقد كتبها في السويد بعيداً عن ضغوط الساسة في كوردستان ومغرياتها) يذكر ماهو مخالف تماماً للشائع من ان ملا مصطفى هو الذي اسس الحزب. فيقول بوضوح: " في أول مؤتمر للحزب أب 1946 انتخب (ملا مصطفى البارزاني) رئيساً وهو بعيد عن الوطن (كان موجوداً في جمهورية مهاباد) ويضيف في تعليق في الحاشية : "كان ذلك بمبادرة الهيئة المؤسسة. فقد بعثت بمندوبها (حمزه عبدالله) المحامي الى مهاباد لحمل ملا مصطفى على القبول برئاسة الحزب." . فإن صح هذا، فهو يعني ان المثقفين المؤسسين للحزب لم يكونوا واعين لحقيقة مهمة وهي انه من غير الممكن مواجهة مشاكل العصر وتحدياته بعقلية قديمة مثل ايجاد تنظيم سياسي عصري وقضايا الديمقراطية والتقدم الاقتصادي والثقافي. إن هذه المبادرة منهم فرضت حالة سياسية خطيرة على عاتق الحركة التحررية الكوردية وفي قلب قيادة الحزب هوت تحت ثقلها مرات عديدة ولاتزال تشكل عائقاً أمام تقدم المجتمع الكوردي وانفلاته من القبضة العشائرية والعائلية. وهم يتحملون جزءً مهماً من المسؤولية فيما آلت اليه الاوضاع الكوردية من تمزق واقتتال داخلي وسقوط الحركة في النهاية.

لم يعد لقاسم أصدقاء مخلصين فقد أدت النزعة الدكتاتورية لديه الى محاولة تهميش دور الأحزاب مما أضعف مركزه. وأخذ يوزع الأسلحة على العناصر المعادية لبارزان ويمول أغوات الزيبار والريكان والسورجية.[90]

أختار قاسم أهم شخصيتين في الحزب الديمقراطي الكوردستاني ليوجه اليهما الانتقادات، وهما ملا مصطفى وابراهيم أحمد. ففي شهر تشرين الثاني 1960 قدم ابراهيم أحمد الى المحاكمة بوصفه صاحب امتياز " خه بات " بتهمة اثارة النعرات القومية وبث

---

90 جلال الطالباني المجلة الاسبوعية الوسط. العدد 357 . 30 تشرين الثاني. 6 كانون الاول. 1998. ص: 22-23-24-25-26-27.

التفرقة. لكن المحكمة برأته "[91]. وفي 3 أذار 1961 صدرت مذكرة توقيف ثانية بحق ابراهيم احمد لابتهمة سياسية بل بتهمة المشاركة في حادثة مقتل (صديق ميران) رئيس عشيرة خوشناو واحد مؤيدي قاسم وكان قد قتل في شهر شباط بالقرب من شقلاوه. نفى ابراهيم احمد هذه التهمة بشدة. ثم الغيت مذكرة التوقيف في اليوم التالي. لكن ابراهيم احمد اختفى عن الانظار وبقي في بغداد."[92]

ثم وجه انتقاداته الى ملا مصطفى. وقد عاد الى فترة هي مجهولة تماماً لدى السياسيين وكوادر الحزب وحتى مجهولة في الوسط البارزاني. هذه الفترة مهمة جداً لفهم شخصية ملا مصطفى وسيكولوجيته. أعني شبابه وحتى بداية عودته من السليمانية عام 1943. وهذا يغطي اكثر من 40 عاماً من الفراغ في حياته. ينبغي التعمق في هذه الفترة بشكل علمي مجرد من أي انحياز. وذلك لفهم شخصيته الحقيقية الخالية من الرتوش الحزبية المضللة.

ففي 23 من شهرأيلول 1961 دعى قاسم الى مؤتمر صحفي وادلى بحديث دام اكثر من ساعتين. ونورد هنا بعض ما كتبه جرجيس فتح الله حول هذا المؤتمر :

"خصص الجانب الاول منه لحديثه والجانب الثاني لأسئلة الصحفيين. وقد احتفظت ببعض اجزاء هامة من حديثه هذا اثبته هنا بنصه تاركاً للقارىء حرية الاستنتاج :

"طلبت منكم الاجتماع بكم اخواني الصحفيين. لابلغكم اننا تمكنّا بعون الله وبعون المخلصين من ابناء شعبنا المظفر. وبجرأة جيشنا المخلص ان نحطم أقوى مؤامرة استعمارية ضد بلدنا ."

ويقول جرجيس فتح الله عن الملف الخاص الذي فتحه عبدالكريم قاسم هو " ملف وقفت عليه شخصياً " وايضاً ملف أخر يعود الى وزارة الداخلية.

تناول عبدالكريم قاسم الرسائل التي وجهها ملا مصطفى الى المسؤولين البريطانيين بين أعوام 1943 - 1945 وهي مجموعة رسائل لم يكن قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني على علم بها. ولا حتى البارزانيون . هذه الرسائل تعكس العقلية التي كان يدير بها الشؤون

---

91 العراق في عهد قاسم اوريل دان ترجمة جرجيس فتح الله المحامي. دار نزللطباعة والنشر 1989 السويد: ص 414

92 ن م س ص: 415

السياسية. انها عبارة عن إلتماس ينزل الى مستوى غير معروف في عالم السياسة. فهو يقسم في رسالته بأغلظ الايمان "......انني لا ازال على وعدي معكم حتى الموت"[93].

في رسالة اخرى: " للكابتن هولت " إذا امرد فانه يشعل ناراً ويرمي نفسه فيها......" عرف هذا الاسلوب من الكثير من الأغوات الكورد وهم يلتمسون عطف الموظفين الحكوميين من أجل امتيازات تغدق عليهم مقابل الولاء غير المشروط. وفيما بعد مارس نفس الأسلوب مع شاه إيران في السبعينات من القرن العشرين.

ويضيف جرجيس فتح الله: " بعدها انتقل الى حياة ملا مصطفى في العشرينات فقرأ في المؤتمرالصحفي عريضة معزوة الى (ملا مصطفى) في اواخر العشرينات يطلب فيها تعينه حارساً للغابات بمرتب لايتجاوز 4 دنانير شهرياً. ثم قرأ على الحضور تقريراً جاء فيه ان [ملا مصطفى] في شهر كانون الاول 1933 تصدىّ مع بعض رجاله الى مدير ناحية بارزان في الطريق العامة. وطلب من الحكومة ان تدفع له اماً مائتي دينار او عشرين دينار شهرياً. والاّ فانه يهدد بالعودة الى الشقاوة وتكليف الحكومة أضعاف هذا المبلغ !"[94]

تقع المهمة على عاتق المؤرخين الكورد في كشف صعود نجم ملا مصطفى من شاب لايعرف الكثير عن القومية والوطنية الى رئيس بلا منازع للحزب الديمقراطي الكوردستاني. انها عملية معقدة تقتضي الكثير من البحث والتحليل والجرأة في كشف المراحل الخفية والمنعطفات التاريخية في المجتمع الكوردي. وقد يكون مفيداً من وجهة نظر تاريخية واجتماعية، عمل دراسة مقارنة مع حزب البعث العربي الاشتراكي وصعود نجم صدام حسين - وهو محدود الثقافة - ليصبح رئيساً بلا منازع لحزب البعث ويحكم العراق لأكثر من عقدين من الزمن.

****

هنا لابد من كلمة عن الوضع فى كوردستان – ايران – إذ فى عام 1958 التجأ العديد من الكوادر المتقدمة لحدك الى كوردستان الجنوب. هؤلاء لعبوا دوراً هاماً فى الحركة التحررية الكوردية تحت قيادة ملا مصطفى - فبعد سقوط جمهورية مهباد نهاية عام 1946 ، وما تلا ذلك من اعدامات ، وتحكيم قبضة الجيش الايرانى وأجهزة السافاك فى كوردستان، اضطرت الحركة الكوردية الى العمل السرى. وكما هو الحال فى العراق، توسع

93 العراق في عهد قاسم . جرجيس فتح الله . دار نبز للطباعة والنشر. السويد . 1989) ص : 580.

94 ن . م . س . ص . 851.

نفوذ الحزب الشيوعي العراقي في كوردستان واصبح القوة المهيمنة. كذلك الحال مع حدك - ايران- إذ هيمن نفوذ حزب توده واصبح حدك منذ عام 1948 بمثابة الفرع الكوردستاني لحزب توده.

وبوصول مصدق الى الحكم عام 1951 ساد ايران جو نسبي من الحرية. نشط فيه الحزب الديمقراطي الكوردستاني. وفي عام 1951 انتفض الفلاحون في مناطق مهاباد ضد ظلم الاقطاعيين. وفي شهري مايس وحزيران من عام 1953 شهدت مهاباد مظاهرات تعرض لها البوليس الايراني. لقي احد المتظاهرين حتفه كما اعتقل البوليس عدداً من المتظاهرين. وفي أغسطس 16 من عام 1954 قامت مظاهرة جماهيرية حاشدة تأيداً لمصدق وهي ايضاً مناسبة لإحياء ذكرى تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني في عام 1945. القى فيها الشاعر المشهور هيمن احدى اشعاره. وهي المرة الاولى التي يظهر فيها الشاعر هيمن ملقياً شعره بعد سقوط جمهورية مهاباد.

لم يدم حكم مصدق طويلاً إذ عاد الشاه بعد انقلاب خطط له الـ C.I.A. واضطرأعضاء قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني الى الاختفاء، فالتجأوا الى القرى النائية. وخاب ظن القيادة الكوردية في الحزب الشيوعي الايراني الذي تراجع عن موقف شن الصراع المسلح فبدأت القطيعة مع (توده) وهذا بدوره ادى الى استقلالية الحزب فكرياً وعملياً. خلال سنوات الضغط والاضطهاد الشديد بعد عودة الشاه، لم تعد هناك قيادة كوردية موحدة لكل كوردستان. انما كانت هنالك لجنتان رئيسيتان، لجنة مهباد التي أشرف عليها شخصيات فعالة: عزيز يوسفي، غني بلوريان، عبدالرحمن قاسملو، رحيم سلطانيان، كريم وبسي وعبدالله اسحاق (أحمد توفيق) أما لجنة الحزب في سنندج فقد تولى إدارتها السيد شريعتي ومناضلون أخرون.[95]

تمكن غني بلوريان من اصدار صحيفة كوردستان بين أعوام 1954-1955 لكنها توقفت بعد ان اكتشف السافاك اجهزة الطباعة في تبريز وتم مصادرة العدد 5 من صحيفة كوردستان. ومن جانب أخر انحدت لجنة مهاباد وسنندج وناهز عدد أعضاء الحزب عدة ألاف عضو. كما أنشأ الحزب روابط مع قوى اليسار في العراق وسوريا وايران.

---

[95] - Chris Kutscera Le Mouvement National Kurde 1979 Flammarion Paris P 186,187,188.

لابد من ذكر أن أحمد توفيق ومنذ باكورة شبابه انضم الى حركة التحرر الكوردية ولعب دوراً كبيراً في دفع التنظيم الحزبي الى الأمام في ظروف سياسية قاسية. بإخلاص وهمة نادرة متحدياً جبروت القوى الفاشية المعادية للحركة التحررية الكوردية. وفي واقع الأمر كانت حالة السقوط واليأس والخوف في المجتمع الكوردي في ظل نظام الشاه قد وصلت الى درجة يتطلب مواجهتها التحلي بإرادة وعزم لايلين. تنهض بالامة من كبوتها وتمزق جدار الخوف وتشيع الأمل من جديد في أوساط الأمة الكوردية. وكان أحمد توفيق من مناهضي حكم الشاه وخدم بشكل رئيسي الثورة التي قادها ملا مصطفى. ولد من اسرة دينية في مهاباد عام 1932 ولم يتسلق الى أعلى الوظائف الحزبية من خلال عشيرة أو واسطة. إنما بإخلاصه لقضية تحرير الشعب الكوردي وتفانيه وذكائه.

وعندما ضيّق السافاك الايراني الخناق على نشاط حدك-ايران- التجأ عدد منهم الى كوردستان بعد 14 تموز 1958. وللحقيقة نقول ان هؤلاء لم يضنوا بخدماتهم سواء في كوردستان – العراق أو ايران- فقد كانت كوردستان بالنسبة لهم وطناً واحداً لايتجزأ. وتصرفوا وفق هذا المنطق تماماً كما سنرى. ففي رسالة وجهها أحمد توفيق الى ملا مصطفى مؤرخة في 1960/5/5 يشكو فيها الحالة المزرية التي يعيش فيها اللاجئون من كوردستان ايران في مناطق السليمانية وقد تراكمت عليهم الديون. ويقول:

« لو سارت الامور كما هي الأن. فأعتقد أن وضعاً سيحدث من شأنه أن يستاء كل كوردي مخلص». [96]

وفي رسالة اخرى مؤرخة في 1960/5/26 ينبه الى المخاطر التي قد تحدثها نزعات ال (عراقي) و ال (ايراني) ال (قبيحة) هنا ايضاً يكشف عبدالله اسحاقي اولوية الانتماء الكوردي وتغليبها على جميع الانتماءات الحزبية الاخرى. فهو ينتقد «التصرفات الحالية للإخوان (البارتيين) حيال 200 – 250 شخصاً من الذين تشردوا للنضال في سبيل الكورد وكوردستان.» [97]

ويضيف:

«ولكن الأهم من مسألة اللاجئين هو موضوع العلاقة بين الحزبين. هذه العلاقة لم تتوضح فحسب وانما لم يجر بصددها حديثاً ولم يعقد من اجلها اجتماعاً.......» ويقول في

---

96 مسعود البارزاني. البارزاني والحركة التحررية الكردية. 14 تموز 1958- 11 ايلول 1961. وثيقة رقم 26 مكتوبة بخط يد أحمد توفيق ص 261 - 262 . سنة 1990 .

97 ن.م. س. ص 266.

نهاية رسالته: «ان العلاقة القوية والمتينة بين كوردستان ايران وهنا (يعني كوردستان الجنوبية- عراق) هو واجبنا التاريخي والقومي وهو ايضاً كرامتنا وعزة وطنيتنا.»[98]



من اليمين أحمد توفيق (عبدالله إسحاقي) وحسن إسحاقي

رغم مضى ثمانية أعوام على تشرد أحمد توفيق فقد ظل نشطاً ويتصل بزعماء العشائر في جنوبي كردستان لاقناعهم بالانضمام الى الصف الوطني.[99]

وبمناسبة احتفالات ثورة اكتوبر، حاولت اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني المشاركة في السفر الى موسكو مع «الرفيق القائد مصطفى البارزاني ....» وايفاد وفد يضم (قاسم سلطانيان) و (سليمان معيني - ابن وزير الداخلية السابق في جمهورية مهاباد) وعبدالله اسحاقي لكن هذه الزيارة لم تتم.[100]

كانت الاوضاع المالية لأعضاء (حدك) ايران، في هذه الفترة صعبة جداً. ومع هذا بقي أحمد توفيق ورفاقه يتحملون المصاعب ولايلوون عن درب النضال.

وفي واقع الامر أصبحَ (أحمد توفيق) واحداً من المناضلين البارزين الذين خدموا انتفاضة الكورد ضد نظام قاسم وكان قريباً جداً في السنوات الاولى من ملا مصطفى، أي قبل تطور علاقات الاخير بنظام الشاه محمد رضا بهلوي.

---

98 ن. م. س. ص: 267

99 ن.م. س. وثيقة رقم 28. ص: 261- 270

100 ن م س ص 270

إحتلال أراضي بارزان 1961

لابد من كلمة مع بعض التفصيل حول خصائص الحياة في ريف بارزان بعد 14 تموز عام 1958. وبامكاني هنا التكلم كشاهد عيان على ما كانت عليه الاوضاع الحياتية في الاعوام الأربعة التي فصلت بين انقلاب تموز وبداية الانتفاضة الكردية عام 1961. وقد ينطبق هذا الى حدٍ كبير على عموم اوضاع الريف الكوردي الفقير. مهد الانتفاضة، باستثناء الآثار السياسية والاجتماعية والاقتصادية المأساوية المتميزة لمناطق بارزان.

بعد اطلاق سراح شيخ بارزان من السجن وعودة اللاجئين من الاتحاد السوفيتي بعد إنقلاب 14 تموز 1958، اجتمع شمل البارزانيين على ارض الوطن. وتم تعيين عدد من البارزانيين في وظائف في المدن مثل اربيل والسليمانية والموصل.

بعد تموز 1958 سمح لجميع المنفيين البارزانيين بالعودة الى موطنهم. ولأول مرّة شاهدت منطقة بارزان. – كان بيتنا في بارزان لايزال مهدماً بعد انتفاضة 1945 - فاختار والدي السكن في قرية ريزان وهي تبعد عن بارزان مسافة ما يقارب ثلاث ساعات مشياً بالأقدام. وبما انه لم يكن لدينا بيت في قرية ريزان فقد تخلى مختار القرية (محمد زادو) مؤقتاً عن بيته لنا واختار السكن في دار احد القرويين. لقد كانت القرية مؤلفة من ثمانية عوائل لايربو عدد سكانها عن 40 شخصاً. كان الوضع العائلي يحمل آثار العنف والاضطهاد والموت. لم تكن هناك عائلة واحدة تطورت ونمت بشكلها الطبيعي الا فيما ندر. كانت العوائل غير متكاملة من حيث تركيبتها جراء تفتيت شملها بالحروب والمنفى والموت والظلم والدمار. لم تكن عين المراقب لتخطيء في كون المنطقة هي "منطقة منكوبة" وكأن زلزالاً قوياً عصف بها

كانت زوجة مختار القرية قد توفيت تاركة خلفها ولد وبنتان وكان ربّ العائلة، المختار(محمد زادو) يقوم بامور الطبخ والاعتناء بالاطفال لوحده.

(به ندى) أرملة لها ولدان وبنت، كانت ترعى الغنم. وابنها (نه بو) يعمل يومياً كساقي لمركز الشرطة. كان يحمل المياه من النهر الى مركز الشرطة الذى يطل على النهر والقرية. لم يستلم أي راتب من مركز الشرطة طوال ستة أشهر. كانت عملية شاقه، صعوداً وهبوطاً كل يوم مع دابته لتزويد طاقم الشرطة بالماء.

وعائلة اخرى (احمد فقو) مكونة من أخوين وأ خت وكان الوالدان قد توفيا.

(حسن أيشى) الذى عاد من الاتحاد السوفيتي كان قد تزوج هناك وعاد مع طفلين وكانت زوجته البارزانية قد ماتت اثناء لجوءه في روسيا. خلفت زوجته الاولى بنت كانت الجدّة أيشى (والدة حسن) تعتني بها لوحدها، اذ كان والد حسن قد فارق الحياة.

(حفصه خانم) ارملة الشهيد (ولى بگ) قتل الأغوات ابنها (احمد) كما ذكرنا في المجلد 2 وابنها (سعيد ولى بگ) كان قد التجأ الى روسيا. كانت (حفصه خانم) تعيش مع اخت ولى بگ (حليمه) و زوجة سعيد (أيشى) وابنتهاالصغيرة. لم يكن بينهم ذكور. هؤلاء كانوا ايضاً يعيشون في نفس القرية.

عائلة ميرخان ميرو كانت مؤلفة من الوالدين وأربعة أولاد وبنتان .

عائلة حاجي به سى كانت مؤلفة من الوالدين وستة أطفال ذكور.

ذاكرة القرويين كانت محشوة بصور الحروب والتشتت والموت والرحيل وظلم الاغوات واضطهاد الحكومة العراقية. كانت كل معلوماتهم التاريخية لاتتعدى ما اودعه الكبار الذين ماتوا الى احفادهم واولادهم، ولم يكونوا على علم بما يجري خلف حدود المنطقة من احداث. ولم يكن أي من القرويين ليملك حتى راديو ترانزيستور. وما يحصل خلف الهضاب المحيطة بمثل عالماً أخر. كانت دهشتي كبيرة لهذا الحرمان من ابسط وسائل الحضارة . نسبة الامية كانت 100%. عاش الاطفال في جوٍ من الحرمان والخوف الشديد من البوليس، والظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عاشوها أنضجتهم قبل الاوان وارغمتهم على العمل في سن جدّ مبكرة في الحقول تحت أشعة الشمس الحارقة، لسد رمقهم. لكن يجب الاشارة الى أن قوة الرابطة النقشبندية بين معظم البارزانيين هي التي مكنتهم من تحمل المصائب والمظالم واوجدت الثقة بالنصر في النهاية. الواقع ان ثقافتهم كانت ثقافة بارزانية (ثقافة نقشية) وكانوا رغم الوضع المأساوي يعيشون على أمل النصر المقبل.

مايلفت النظر هو عدم وجود أي أثر ملموس للخدمات الحكومية. لاتوجد في طول مناطق بارزان وعرضها خدمات للمياه أوالكهرباء او المدارس او المستوصفات[101] . كانت القرى معزولة وتعيش ظروف القرون الماضية. لايوجد شيء اسمه نقود الا فيما ندر. الناس يعيشون على قوتهم اليومي من محاصيل الحبوب وما تجود به الطبيعة. أثار سوء التغذية كانت واضحة على ملامح القرويين. كان النظام الملكي ومن بعده النظام الجمهوري لايعيران اي اهتمام بهذه القرى ولم يعملا على تنمية موارد المنطقة الزراعية كما لم تمول اية مشاريع ثقافية او اقتصادية ذات شأن.

---

101 تم بناء مدارس إبتدائية في ميركه سور، بارزان وبلى وشيروان في العهد الملكي في حين بقيت غالبية قرى بارزان بلا مدارس

هنا لابد من الاشارة الى دور الحزب الشيوعي العراقي في الاعداد للثورة داخلياً وخارجياً. تنظيم الفلاحين في نقابات وجمعيات سرية وتبني مطاليبهم في الارض واعدادهم للثورة في عدد من مناطق العراق العربي. مثل الفرات الاوسط. وركز الحزب نشاطه من اجل تحقيق «المناصفة» في المحصولات والانتفاضة بوجه الاقطاعيين المسندين من الحكومة. وكان الحزب الشيوعي يرى قبل انقلاب 14 تموز 1958 امكانية القيام بثورة يقوم الفلاحون بانتفاضة تساندها المدن وينضم اليها الجيش.[102]

إختلفت التركيبة الفكرية للريف الكوردي عن تركيبة الريف العربي. فقد كانت الافكار السائدة في ريف كوردستان متجذرة في التقاليد الموروثة والفكر الصوفي عميق الجذور وسط العديد من القبائل الكوردية يمنع الى حد كبير تغلغل الافكار الجديدة وسط تلك القبائل. فرغم العيش في الاتحاد السوفيتي قرابة 12 عاماً. عاد البارزانيون وهم محتفظون بكامل معتقدهم. ومع هذا كان للحزب الشيوعي تأثيراً محدوداً في قضاء ميرگه سور كما اشرنا الى ذلك في كتابنا السابق.

خلت معظم قرى مناطق Mizori Jeri, Mizori Bala, Sherwani Dera, Seremeznaa من المدارس والمستوصفات في العهد الملكي والجمهوري على حد سواء . لكن في السنوات الثلاث الاولى من حكم عبدالكريم قاسم. شعر سكنة المنطقة بالأمان. اذ تقلص نفوذ الاغوات كثيراً كما وضع حد لاعمال البوليس المجحفة بحق الاهالي.

اضافة الى جمع شمل البارزانيين في ارض الوطن. طرأ تحسن نسبي في الانتاج الزراعي. فالبارزانيون الذين عادوا من المنفى السوفيتي اكتسبوا خبرة في تلقيح وتطعيم وانماء الاشجار واستثمار الاراضي والمياه. وأتوا باصناف جديدة من الفاكهة وزرعوها في بساتين وحقول بارزان.

في الواقع كان الفلاح مهملاً في هذه الاصقاع النائية. ولم يكن موضع اهتمام رجال الدولة المترفين في بغداد. رغم ان الطبقة الفلاحية كانت تشكل الغالبية العظمى من السكان. فقد ندر ان زار هذه المناطق رجال الدولة. والزيارات التي قاموا بها كانت خاطفة ولأغراض الدعاية لاغير. فبقيت المنطقة في حالة من التخلف والفقر. كانت الفروق كبيرة بين حياة الريف الفقير وحياة المدن. لم تكن المشاريع والقوانين المتعلقة بالاصلاح الزراعي جدّية بما فيها الكفاية. وهكذا بعد عقود من تأسيس الدولة العراقية لم يصل شيئ من

102 سلام عادل . سيرة مناضل مجلد 1 . ثمينة ناجي يوسف و نزار خالد . دار المدى للثقافة والنشر . 2001 قبرص ص 202 . 203 . 205

خبرات الحكومة العراقية الى هذه المناطق. إن طالبوا بحقوقهم اشتركت القوات البريطانية والعراقية في ضرب وتدمير القرى. وإن سكتوا اهملوا وسلطت عليهم حكم المخافر وسوط الأغوات الظالمين. في حقيقة الامر كانت كردستان "مستعمرة داخلية مهملة" فيما تستغل ثرواتها النفطية لاغناء بغداد وتمويل مشاريع في مدن عربية سنية على الاكثر.

سبق وان نوهت الى جمع شمل البارزانيين على ارض الوطن بعد العودة من المنافي اثر الاطاحة بالنظام الملكي. إختار والدي قرية ريزان للسكن اذ كان بيتنا في بارزان مهدماً منذ عام 1945. - ورغم زوال نظام صدام حسين بقي منزلنا في ريزان حتى ساعة الإنتهاء من هذا الكتاب مهدماً. إذ تم تفجيره بالديناميت من قبل المرتزقة عام 1987 - شيخ بارزان عاد الى مسقط رأسه بارزان مع الاكثرية من العائلة البارزانية. وسكنوا في منازل مؤقته ريثما تبنى لهم منازل جديدة. بينما سكنت مؤقتاً عائلة ملا مصطفى في ميركه سور. اذ تخلى محمد أغا ميركه سوري وشقيقه عبدالله واولادهم عن منازلهم لهم.

خصصت حكومة عبدالكريم قاسم اموالاً كافية لبناء منازل لجميع أفراد العائلة البارزانية. وكانت حصتنا 6 غرف مع مرافق. ثم انتقل جزء من عائلة ملا مصطفى الى ريزان وبنت الحكومة لهم منازل في القرية ريزان. وفي الصيف ذهبت برفقة ادريس ملا مصطفى الى معبر في بلى لاستقبال عقيلة ملا مصطفى الثالثة. حيث كانت هي وابنها مسعود لدى والدها محمود أغا الزيباري طوال فترة وجود ملا مصطفى في المنفى السوفيتي. شاهدنا في الطرف الأخر من النهر قافلة من البغال تقترب. إيذاناً بوصولهم الى مناطق بارزان. لم تكن هناك طرق سيارات تربط القرى المتناثرة في هذه الجبال.

كان انقلاب 14 تموز قد أزال كابوساً مؤلماً على عامة السكان: عرب وكورد وأشوريين وكلدان وتركمان. وخلقت حالة من النشوة والإبتهاج الشعبي ظل سائداً لسنوات. وبقي عبدالكريم قاسم بطلاً محبوباً من الجماهير.

نجح قاسم في تقليص نفوذ معظم الاحزاب العراقية ضمنها الحزب الشيوعي العراقي الذي كان من أقوى الأحزاب قاطبة. لكن دون ان يتقوى هو من ضعفها. وفيما يخص سياسته في تقليص نفوذ الحركة الكوردية فقد أدت الى الحرب عام 1961. واحياء نفوذ المرتزقة الكورد. واستغلت هذا الصراع. القوى المعادية للحقوق الكوردية وللحزب الشيوعي العراقي ولقاسم. وفيما كان الجانبان يتقاتلان كان البعثيون يستعدون للانقضاض على السلطة ومن ثم شن حربين "إبادة" ضد الحزب الشيوعي العراقي وفيما بعد الهجوم على

كوردستان بمساعدة حزب "البعث الشقيق" السوري الذى استولى على السلطة فى دمشق عام 1963.

في بداية الستينات كانت ثلاث مجموعات ذا نفوذ سياسى فى كوردستان :

- بارزان
- التجمعات العشائرية الكوردية

ويمكن تقسيم الأخيرة الى قسمين: (أ)- عشائر موالية لبارزان والحركة الكوردية. (ب) - عشائر معادية لبارزان. وهي العشائر التى انضمت الى الحكومة العراقية كمرتزقة.

- الحزب الديمقراطى الكوردستاني: وينقسم الى تيار ملا مصطفى، وتيار المكتب السياسي. والحزب كان ساحة صراع بين الرئيس وأعضاء المكتب السياسي.

كما كانت منظمة (كازيك) نشطة، لكنها لم تتحول الى منظمة جماهيرية واسعة، وبقي نشاطها محصوراً في السليمانية حيث نشأت. وعند حصول الإنشقاق بين ملا مصطفى ومكتبه السياسي، أيد تيار (كازيك) ملا مصطفى، وأصبح يشكل تياراً داخل الحزب الديمقراطي الكوردستاني.[103]

وجدت بارزان نفسها وسط عشائر معادية لها وممتعضة من تنامى النفوذ البارزانى اثر ثورة تموز، وكانت أيضاً معادية للاصلاح الزراعى وفقدت امتيازاتها بسقوط النظام الملكى ومكروهة من قبل المثقفين والوطنيين الكورد . ومن هذه العشائر ريكانى، زيبارى، سورجى وبرادوستى ولاتحمل مشاعر وطنية فى صفوفها[104] وهذه العشائر تمثل الطوق الجغرافى الذى يحيط ببارزان ويحاصرها تماماً بحيث لايبقى لبارزان غير الحدود التركية الى أقصى الشمال.

واستطاع صادق بارزانى ويصحبه سعيد ولي بگ، تخفيف العداء بين بارزان وجارتها الغربية المتمثلة في عشائر برادوست وقائدها الروحي شيخ رشيد الساكن في (لولان)، اذ توجه شخصياً لمقابلة شيخ برادوست وأقنعه بأن بارزان لاتكن له العداء بل راغبة فى اقامة علاقات حسن الجوار معه . كما شدد على منحى أهمية الوحدة الكوردية وما تجلبه من خير واستقرار للجميع. وكان حتى محمد ابن الشيخ رشيد حاضراً أثناء الاجتماعات. ثم

---

103 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. ص 168 – 169

104 Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. By Sa'ad Jawad P 53. Ithaca Press London. 1981.

واصل صادق بارزاني مساعيه وفق خطة تهدف الى كسب ودّ العشائر التي هي خلف الخط المعادي لبارزان. واعتبر عبدالعزيز حجي ملو وهو من وجهاء عشيرة المزوري ومن أصدقاء بارزان الأوفياء، وارتبط بصادق بارزاني بروابط حميمة. كما وسع صادق دائرة علاقات بارزان الودية مع العشائر البعيدة، في بادينان وسوران على حدٍ سواء.



صادق بابو بارزاني وملا أحمد بهخشانى وحلفهما الزبرانة في سجن الموصل1953

وفي الداخل البارزاني استمرت الخلافات بين أسعد خوشفي ومصطفى ميروزي. وهي خلافات ممتدة جذورها الى فترة منفاهما في الاتحاد السوفيتي وبقيت دون حلّ. وفي النهاية ترك مصطفى ميروزي قريته ميروز وأقام في المنطقة التي كانت تحت النفوذ الحكومي.

لقد تمتع صادق بشعبية كبيرة ليس فقط بين البارزانيين، انما بين الاوساط الكوردية المثقفة. فقد ذكر جلال الطالباني لعدد من الشخصيات وفي مناسبات عديدة، كما سمعت منه شخصياً يقول: "لو بقي صادق على قيد الحياة لما حصل خلاف بيننا وبين ملا مصطفى ولما حصل الإقتتال الداخلي ولما انتهت الثورة بهذا الشكل المأساوي..."

ولابد من ذكر انه كان في بارزان توجه واضح فيما يتعلق بدورها في قضية التحررالوطني. فقد كان من رأي صادق أن الأقدار فرضت على بارزان دوراً ومسؤولية تاريخية تجاه مقاومة الظلم وقضية التحرر الوطني. وكان يصرح بهذا لمن يثق بهم. ان لبارزان رسالة تاريخية تؤديها. وما أن يتم ذلك عليها أن تنسحب وتترك المجال للسياسيين المخلصين لكي يقوموا بدورهم. وليس من القيم البارزانية الاستفراد بالحكم وتوظيفه

لخدمة مصالح فردية وأن هذا ليس من إختصاصها بل يبعدها عن دورها الطبيعي. ثم انه لايجوز المخادعة والتضليل فى امور جوهرية فى حياة الشعوب كقضية التحرر من الظلم والعبودية. ولايجوز استخدام هذه الأهداف النبيلة لهدف شخصى أولربح مادى.



ملا مصطفى وصادق بابو بارزاني. بغداد 1959

كانت قوة شخصيته تنبع من روح الخدمة المخلصة وتمسكه بالمبادىء والفهم القومية والوطنية والمنحى التقدمى للنضال الشعبى وكان يدرك ان العلم اساس تقدم المجتمعات ولابد من الاعتماد عليه فى النضال وتحريك الجماهير. ويريد تغير القبائل عن طريق دفعها نحو قيم الانتماء الى الامة الكوردية بدل الانتماء القبائلى. وكانت نظرته الى الحزب تختلف تماماً عن نظرة ملا مصطفى. فهو يرى فى الحزب أداة نضال وخدمة وقوة للحركة التحررية الكوردية وتقدم المجتمع وليس أداة للتسلط والدكتاتورية.

التركيبة الداخلية البارزانية كانت منقسمة الى مجموعتين رئيسيتين:

المجموعة التى تسكن قرية (شرى) وهو "تجمع روحى" عن اقتناع. اختاروا نمط حياتهم المتميز. وخلبط من كافة القبائل والقرى البارزانية ولهم أتباعهم فى القرى النائية. وينوب عن شيخ بارزان فى الارشاد (شيخ خورشيد) وهذه المجموعة محصنة كاملاً من كل ماهو خارج عن فضائها الروحى. وكانت تقيم لـ (ملاى ملا محمود) مرشد بارزان الذى أغتيل فى 1927/9/1 فى بارزان مع اثنين من المريدين - سبق وان تناولنا هذا الموضوع فى كتابنا السابق تحت فصل معنون بـ (ملاى ملا محمود. إغتيال المرشد). - تقديراً فائقاً وتعتبره رمزاً للحق والعدل وترى الاغتيال عملاً فى منتهى الاجرام. ولم تكنّ للقتلة فى العمق

غيركونهم "مجرمين" و"محتالين". هذه المجموعة مرتبطة بشيخ بارزان مباشرة ولاتثق بغيره من أفراد العائلة البارزانية.

والفئة الثانية كانت مؤلفة من مجموعة اخرى من المريدين والاتباع تدين بالولاء لشيخ بارزان لكن دون نبذ البقية من أفراد العائلة البارزانية. وكان من بينها شخصيات ذا منزلة رفيعة في الوسط البارزاني. ضمنها: (نبي زراري. شيخ أمير زراري. محمد دوري. حسن حاجي دوري. حسو بيداروني. محمد صالح بيداروني. مامل ليربيري. سعيد محمد ليربيري. سيفدين ليربيري. ره شوێ خال همزه. عبدالله ملا شين.محمد كوركه ى المعروف بـ حه مى كوركه ى) . محى تاتكي. نه بي تاتكي. ره شو بيخشاشي وأخرون بالعشرات إذ ندر أن تخلوا قرية من واحد من هذه الشخصيات الروحية العميقة الايمان بتعاليم الطريقة. وكانوا بمثابة ملجأ لمن عانى من ضيق أو كآبة. - كان ملا مصطفى يتقرب منهم ويظهر احتراماً لهم ويعتمد عليهم في تجنيد المقاتلين وسدّ حاجات الجبهات- وقام هؤلاء بدور كبير في الحفاظ على الوحدة البارزانية خلال الأعوام التي قضاها شيخ بارزان في المنفى. كان شيخ بارزان يخشى من التأثيرات السلبية من جراء اختلاط هذه الطائفة وطاعتها لأفراد من "العائلة البارزانية". وكان واضحاً في تعليماته ويحذرهم من مغبة الثقة بهم. ففي نظره انهم يتقمصون شخصية المريد والتابع للطريقة زيفاً ولا مفرّ من الحذر منهم. وكان يقول ان هؤلاء أخطر من العدو المعلن. لأنهم يعيشون بيننا ويستخدمون لغتنا ويعرفون عاداتنا وبهذا يتمكنون من سدّ الضربات القاتلة كلما سنحت لهم الفرصة وينخرون على مهل في الجسم السليم الى ان يهلكوه.

كان لشيخ بارزان خمسة اولاد :

محمد خالد، جمال، عثمان، نذير وصانع، والأخير كان أصغرهم ولد بعد عودة شيخ بارزان الى مسقط رأسه بعد الافراج عنه عام 1958. وبشكل عام كان محمد خالد يميل نحو التفاهم مع الحكومة العراقية ولايرغب في محاربتها وكان يسكن في ميركه سور حيث تتواجد ادارة حكومية (قائمقام) ويعتبر وسيطاً بين بارزان والحكومة العراقية. بينما كان عثمان يميل الى المقاومة الكوردية. يسكن بارزان وفي خدمة والده، ولا يحب التقرب من الحكومة العراقية وكان قريباً جداً من ملا مصطفى ومتفاهم معه حتى عام 1970.

كان من اهم الادوار التي ارتبطت بشيخ بارزان هو (الدور الموحّد) للبارزانيين. كان يعرف ان في بارزان تيارات مختلفة ولكنه لم ينحاز لطرف ضد الأخر. انصب اهتمامه على توحيد المجتمع البارزاني ابتداءً من الخلية الصغيرة (العائلة). وعند اشتداد الخلافات كان يسعى للتوصل الى تفاهم بين المتنازعين ومصالحتهم. وقدّر تقديراً عالياً اهمية الوحدة البارزانية. وكان يذكر ويكرر اننا بدون اتحادنا سنصبح لقمة سائغة لأعدائنا. لافائدة من

المقاومة بدون اتحاد ورص صفوفنا. ولم يكن شيخ بارزان على وفاق مع محمد صديق وملا مصطفى فقد كان يرى فيهما مايعارض قيم بارزان ونزعة من الأنانية. ولم تتغير نظرته الى ملا مصطفى حتى بعد احرازه لعدد من الانتصارات العسكرية وتوسع نفوذه في كوردستان. فقد كانت نظرته واقعية وبعيدة المدى وكان يذكر "ان أي عمل يقوده ملا مصطفى لامحال سينتهي الى الفشل بسبب دوافعه غير السليمة."

أما أولاد ملا مصطفى فقد كانوا من ثلاث زوجات :
عبيدالله ولقمان وصابر من ام شيروانية. ادريس من ام بارزانية (من نفس قرية بارزان) ومسعود ونهاد وأشقائهما هم من الزوجة الثالثة من (قرية نباخي) وهي ابنة محمود أغا الزيباري. والزوجة الاخيرة كانت تصغره بأقل تقدير 28 عاماً .

كان عبيدالله يمثل تياراً خاصاً. فقد دخل السجن وعانى مع اخوته المنفى العراقي ويعتبر نفسه أحق بالوراثة وكان داهية يملك كل صفات والده وأكثر ثقافة منه. أما ادريس فقد كان ذكياً وتلميذاً لامعاً. هدفه في الحياة هو إرضاء والده كما كان يقول مراراً رغم ماله عليه من نقد لاذع لمواقفه العاطفية "الهدامة" حسب تعبيره. في حين كان مسعود أقرب الى والده عاطفياً ومدللاً وعلى الدوام ملتصق بالمال. لم يكن من طبيعة ملا مصطفى التوفيق بين التيارات المختلفة داخل اسرته لصيانة وحدتها. انما كان شديد الإستبداد في تعامله مع أفراد عائلته وعلاقته بهم مبنية على تطويعهم بشكل أعمى وعن طريق المال والإبتزاز لضمان تسلطه. وفرض موقف (دوني) على ادريس أزاء مسعود بالرغم من ذكاء الأول المتفوق وذلك بشهادة مسعود نفسه. وقد انعكس هذا في المهام المناطة بادريس. ونجح ملا مصطفى في مسعاه في تطويع ادريس بينما فشل في فرض نفس (الدونية) على عبيدالله ولقمان وأدت ممارسته للضغوط عليهما الى خصومات وأحقاد مدمرة بين الوالد والأولاد واستغلها نظام بغداد لصالحه. وكان لهذا الموقف تأثيره على مجرى الحركة الكوردية وحالة عائلته وثم هدم بارزان. كما سيتضح لنا خلال رحلتنا في هذا الكتاب الذي يشمل ماينهاز 14 عاماً (1961 - 1975) . والجدير بالذكر ان الفضل في عدم انقسام وتفشي العداء بين أفراد عائلة ملا مصطفى بالشكل الذي ظهر للعيان بعد 1970. يعود الى موقف شيخ بارزان والذي ردع ملا مصطفى من تمزيق عائلته طالما كان حياً كما سنرى.

ويذكر المحامي والمؤرخ جرجيس فتح الله عن البارزانيين انهم يتمتعون بميزتين بارزتين: "أولهما معرفتهم الجيدة بمنطقة الحركات العسكرية والثانية. ولاؤهم المتوارث للشيوخ والزعماء الروحيين البارزانيين وهو ولاء نابع عن علاقة روحية ودينية وصوفية نادراً ما تجدها في مجتمع أخر معاصر. ان مثل هذا الولاء عند العشائر الكوردية الاخرى بصورة

عامة وما خلا استثناءات قليلة اخرى كان مهترئاً او لاوجود له بسبب الصراعات على النفوذ والزعامة بين رؤوساء العشيرة الواحدة ولان بعضهم كان يحارب فى مناطق اخرى بعيدة عن مواطن نفوذه. وليس ادلّ على هذا الرأى من ان (عباس آغا مامند) اقوى رؤوساء العشائر فى منطقة السليمانية (قبيلة آكو) لم يجد بداً من الاستنجاد بقيادة الحزب فى أواخر عام 1961 طالباً عدم سحب الاعضاء الحزبيين المسلحين الذين كانوا يعملون لديه لاجل حمايته بسبب عدم اطمئنانه الى ولاء قبيلته وخاصة فى حالة رفضه العفو الذى عرضه عليهم (قاسم) مقابل القاء سلاحهم بدون قيد او شرط. وقبلت لجنة الحزب المركزية طلبه وزودته بأخرين. ولم يكن حظ غيره من زعماء العشائر بأسعد من حظه فى هذا الباب.[105]

ويقول الدكتور سعد جواد: "معظم الأغوات كانوا مناهضين للاصلاح الزراعى ومن هنا التفافهم حول ملا مصطفى الذى كان قريباً منهم فكرياً رغم كونه (البطل القومى) "لم تكن لديه (يعنى ملا مصطفى) أيديولوجية معينة. لذا لجأ الى مناورات معقدة ومصحوبة باستخدام القوة للحفاظ على سلطته. كان هذا واضحاً خلال الثورة عام 1961. إذ نجح فى كسب تأيد مجموعات مختلفة تشمل الشيوخ والاقطاعيين الملاكين ووجهاء دينيين وشيوعيين وفلاحين وعمال. وقد رأى فيه الشيوخ والملاكين والزعماء الدينيين كحامٍ لمصالحهم ولهيبتهم لأنه بشكل رئيسى يعارض المنحى التقدمى داخل الحركة الكوردية ومعارض للاصلاحات الحكومية.[106] ملا مصطفى نفسه ينتمى الى هذه الطبقة لكنه يختلف عنهم فى كونه اقترن بالمعتقدات القومية ولديه أملاك أقل حتى يخشى عليها".[107]

كان البارزانيون أقوى مجموعة ضمن الحركة الكوردية الوطنية. اضافة الى جغرافية المنطقة الشديدة الوعورة والصعبة الإحتلال. وبتطور الحركة أصبحت الفئة الوحيدة التى تنال الاهتمام والتعاطف الخارجى. ومن هنا استلامها للسلاح والمؤونة والتأيد المعنوى والمادى. ففى بداية الثورة من عام 1961 كانت قوات ملا مصطفى عشائرية بحته. سيئة التنظيم والى حد كبير دافعها الولاء العشائرى. فرغم هيمنة التأثير العشائرى لكن حصل لديها تغير كبير بمرور السنوات فيما يخص التدريب والتنظيم. وفى النهاية تمتع ملا مصطفى ضمن الحركة القومية الكوردية بالمصداقية فى إدعائه بأن مجموعته هى المجموعة

---

105 جرجيس فتح الله. زيارة للماضى القريب. ص: 31) ستوكهولم – السويد . دار الشمس للطباعة والنشر. 1998

106 Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. By Sa'ad Jawad. P. 51. Ithaca Press London. 1981.

107 Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. By Sa'ad Jawad. Page 53.

الشرعية التى تمثل الشعب الكوردي."[108].. ولابد من القول ان قيادة الحزب الديمقراطى الكوردستانى ابتداءً من حمزه عبدالله وابراهيم أحمد والطالبانى سخروا جهاز دعاية الحزب لتعظيم ملا مصطفى وجعلوا منه المادة الرئيسية فى دعايتهم. وهكذا وقعوا فى الفخ الذى ساهموا هم انفسهم فى نصبه عندما طردهم رئيسهم من الحزب. إذ كان الجميع يتسائل كيف نصدقكم بعد كل هذا المديح والتعظيم. ففى أسوء الأحوال كان السؤال الوجيه: هل خدعتمونا فى المرة الأولى؟ أم تخدعوننا الآن؟ فإن كنتم تصدقون الآن فالوقت متأخر. لأن سفينة الثورة أبحرت والرجعة الآن غير ممكنة.

كان من السهل على عبدالكريم قاسم استغلال زعماء العشائر ضد بارزان واعتبروا حلفاء دائميين للحكومة. وفى عام 1963 شكلت منهم السلطة قوات غير نظامية اسمتها ب (الفرسان) "لكن دوافعها بقيت عشائرية ومادية وعدائها للبارزانيين كان عاطفياً نقلوا عدواه الى اتباعهم المطيعين. وبمعزل عن ذلك لم يملك أى من رؤساء العشائر هذه تنظيماً سياسياً ولم يكونوا متحدين انما كانوا يتعاملون مع الحكومة بشكل منفصل وكانوا مسيطرين على الريف..."[109]

لابد من ذكر انه كان هناك تداخل عاطفى شديد بين العديد من رؤساء العشائر عن طريق التزاوج فمعظمهم كانوا «متعددى الزوجات». وكانت تلك هى حالة رئيس الحزب الديمقراطى الكوردستانى. فقد تزوج للمرة الثالثة عام 1944 من ابنة محمود أغا الزيبارى، والد زوجته الأخيرة من الفرسان العريقين وجدّ مسعود رئيس حدك الحالى ومربيه. وكانت العلاقات العائلية وارسال المال والهدايا لاتتأثر بمجريات الثورة وتصان سراً بين رئيس الحزب وصهره محمود أغا الزيباري فيما كان البيشمرگه والمرتزقة يتقاتلان فى جبهات القتال المتعددة. وقد أكد لي عدد من الحراس الشخصيين لملا مصطفى عن هذه الحقيقة. هذا التداخل العاطفى أضعف القيم الثورية وأنعش الروح الانتهازية وأساليب التضليل والتحايل على الشعب الكوردي. ونرى فى كثير من الاحيان ان أولاد كل زوجة يمثلون "مصلحة خاصة متميزة" تحسب حسابات الوراثة. وفي مجرى التنافس بين أبناء الضرات يتولد جو مشحون بالتآمر والتجسس والضغينة والمكر. وتشترك فيه الحاشية المباشرة من خدم وخادمات ويبذر المال فى هذا الصراع الخفى لكسب الأنصار ضد بعضهم البعض. ويقول John Keegan فى كتابه القيم The Iraq War وهو يتناول موضوع السلطة فى المجتمعات الاسلامية: "السلطة الدينية والدنيوية فى العهد العثمانى كانت وراثية. فالأبناء

[108] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. By Sa'ad Jawad . Page. 52.

[109] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. By Sa'ad Jawad. . Page 54.

ورثوا السلطة عن أبائهم، لكن الزوجة المفضلة كثيراً ما نجحت في تفادي مبدأ حق البكر في الإرث " Primogeniture " وهكذا يتمكن السلطان الجديد تبوأ السلطة بقتل جماعي لإخوته...."[110]

ثم يمضي الى القول :

" عند موت السلطان، يشن المتنافسون من الجيل الاول من اولاده حرباً اهلية لارحمة فيها، مهددة بعنفها بقاء الامبراطورية بالذات. ماهو الحلّ ؟ يكمن الحل في القضاء على العائلة. لانقاذ المملكة، وعندما يقترب السلاطين من الموت، يقومون بعمليات قتل منظمة لأولادهم ويحتفظون بابن واحد – الذي سيقلد رسمياً. او حتى يقوم الابن الذي تبوأ الحكم حديثاً بقتل اخوته. اصبح قتل الاخوة في الامبراطورية العثمانية جزءً من تقاليد المؤسسة، صادق عليها علماء مسلمين. وفي عام 1400 اورد السلطان محمود مثل هذا القتل في القانون: " من اجل سلامة الدولة، يجوز لإبني الذي منّ الله عليه بالسلطنة ان يحكم على اخوته بالموت شرعاً. وأعتبر غالبية العلماء مثل هذا العمل جائزاً. "[111]

كان هذا المنحى متوفراً بوضوح في عائلة ملا مصطفى كما سنرى فيما بعد.

أما في مناطق سوران فقد عاد بعض الأغوات من ايران والتي فرّوا اليها بعد ثورة تموز. عادو الى كوردستان بعد ان ظهر التوتر عام 1961 بين بغداد والكورد، وبدأوا بتنظيم المقاومة ضد حكومة قاسم. ولكي يمنحوا أنفسهم بعض الشرعية أسسوا حزباً باسم (حزب الثورة = پارتی شورش) إنه لمن المفارقات العجيبة سهولة إستخدام المصطلحات، فهذه الطبقة الإقطاعية الأكثر رجعية في المجتمع الكوردي تلجأ الى مصطلح (شورش = ثورة) لتمرير نواياها المعادية للثورة خلال تبني هذا المصطلح البعيد عن دوافعها الحقيقية المخبئة، وكان الاعتقاد السائد ان ايران هي التي تدعمهم.[112] لكن في كل الاحوال يظهر هذا الموقف قدرة رؤساء القبائل الكوردية التحايل على الاوضاع وتبنيهم زيفاً للآمال الكوردية الوطنية للحفاظ على نفوذهم في مجتمع مكبل بأغلال تدني الوعي السياسي الى حد كبير.

---

[110] The Iraq War. John Keegan.Hutchinson. London. 2004. p: 33

[111] Edwin Black . Banking on Baghdad . Inside Iraq's 7,000 – Year History of War, Profit, and Conflict. John Wiley & Sons, Inc. 2004. Page :63

[112] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. By Sa'ad Jawad. P: 57. Ithaca Press London. 1981.

لقد كان عباس مامند أغا واحد من الأغوات الاثرياء ومن أكبر مؤيدي ملا مصطفى وقد جمع قوات عشائرية كبيرة تحت قيادته منذ حزيران من عام 1961. وكان يحظى بمنزلة خاصة لدى ملا مصطفى.[113]

وهنا لابد من كلمة حول قدرة رؤساء العشائر الكوردية على التأقلم مع التغيرات الجديدة وغير المؤاتية لمصالحها. فهؤلاء تمكنوا بفعل الصراع الشديد بين قوى الحركة التحررية الكوردية والحكومات المتعاقبة في بغداد من التفلفل وتأمين بقائهم وتفادي انحلال نفوذهم بفضل مواقف حكومات بغداد المشجعة لهم وأيضاً ضمان دعم ملا مصطفى المطلق لهم عن طريق دحر القوى التقدمية والمناهضة للأغوات في المجتمع الكوردي وفي الحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي تحول تدريجياً الى قلعة حصينة لحماية نفوذ الأغوات بعد سيطرتهم التامة على قيادة الحزب وتحويله الى حزب وراثي (أغوي). فهناك مالايحصى من الأغوات انقلبوا من مهنة الارتزاق الى وطنيين قياديين في الحزب متبنين الشعارات الوطنية السائدة. وهذا يفسر بقاء نفوذ الأغوات وهيمنتهم على جزء كبير من المجتمع الكوردي معيقين تطوره وتقدمه نحو الحياة الديمقراطية الحقيقية والمساواة في فرص التقدم في مجالات الحياة الاجتماعية والإقتصادية.

واختلفت بارزان عن بقية العشائر المحيطة بها بماض وطني يبعث على التقدير ويشمل المقاومة في العهود الثلاث المتعاقبة: العثماني حيث دفع شيخ بارزان [عبدالسلام] حياته. وفي العهد البريطاني والعراقي. قدمت عدداً كبيراً من الشهداء وكان لها دور رئيسي في الدفاع عن جمهورية مهاباد. وذاق البارزانيون صنوف الهجرة الى تركيا وايران والاتحاد السوفيتي وسجنوا ونفوا الى المناطق الجنوبية من العراق وماتوا بأعداد كبيرة في الشتات. و قصفت وهدمت واحرقت بيوتهم وحقولهم مرات عديدة. والبارزانيون شديدي التعلق بمرشدهم الروحي الذي خرج من السجن بعد نجاح ثورة تموز. كما ان (البطل القومي) ملا مصطفى ينتمي اليها ويستمد قوته ونفوذه من اخلاص وتفاني البارزانيين في سبيل العدل ومناهضة الظلم. واستفاد ملا مصطفى من الميزات العسكرية التي يتحلى بها البارزانيون. وهذا ما لم يكن موجوداً في أية بقعة أخرى من كوردستان.

وكما ذكرنا في كتبنا السابقة فان وحدة البارزانيين تستمد وشائجها من مبادىء الطريقة النقشبندية وحيث تنتظم علاقات المجتمع الداخلية وفق اسسها وكان لديها الكادر الكافي لمراعاة مسيرة بارزان ومنعها من الانحراف وصيانتها من الإغراءات المادية. وأهم

[113] Ibid.Page: 79.

رادع هو شيخ بارزان نفسه وأتباع الطريقة الملتزمين وسيرة الأجداد الغابرين والظلم المشترك الذي عانوه.

في ذلك الوقت كانت الجهة البارزانية الداخلية متينة ولايخشى عليها. وفي مثل هذه الحالة قد يأتي الخطر من الداخل. أي العمل على ادخال "حصان طروادة" الى داخل القلعة البارزانية. أو إختهار هذا الحصان من الداخل. لقد نبه شيخ بارزان مراراً من الخطر الداخلي الذي لم يؤخذ مأخذ الجدّ. وهذا الكتاب سوف لن يغفل هذه العملية التدريجية المبرمجة والتي نخرت بارزان من الداخل ودفعت بها وبالحركة الكوردية نحو الفواجع والذل والدمار. والألة الرئيسية لبلوغ ذلك هو قائد الحركة نفسه (ملا مصطفى).

والتركيبة الثالثة. الحزب الديمقراطي الكوردستاني. وهو عبارة عن تجمع للمثقفين الوطنيين الذين أرادوا الحصول على الحقوق الشرعية للشعب الكوردي داخل اطار الجمهورية العراقية وهي اصلاً لاتقبل بذلك. وكانوا متأثرين بالموجة القومية التحررية التي اجتاحت منطقة الشرق الاوسط وبالحركة الاشتراكية العالمية بقيادة الاتحاد السوفيتي. ومنطقهم في العمل هو النقاش واتخاذ القرارات السياسية بشكل جماعي. فالأغلبية هي التي تقررما يجب اتخاذه من اجراءات. والصلاحيات والواجبات محددة كل يعرف حدوده وما عليه من حقوق وواجبات وفق دستور الحزب.

كان الحزب الديمقراطي الكوردستاني (حدك) قد أمسى بعد سنوات القمع التي تلت سقوط جمهورية مهاباد. بلا قيادة. حاول بعض من الكوادر في بداية شهر سبتمبر 1950 إعادة تنظيم الحزب فتم عقد كونفرانس في مارس/ أذار عام 1951 وبرز فيه نجم ابراهيم احمد متبوءاً منصب السكرتير العام لحدك. وكان قد خرج من السجن قبل ذلك بشهرين. ثم عقد المؤتمر الثالث في كركوك في شهر كانون الثاني/جنيوري 1953 . تبنى الحزب برنامجاً يسارياً معلناً انه "حزب ماركسي لينيني" متبنياً الكفاح المسلح ومطالباً بنظام فدرالي ضمن جمهورية عراقية. لكن الأولوية منحت للكفاح ضد الرجعية والامبريالية. وكان هذا الاتجاه السياسي السائد في معظم دول العالم الثالث. ويذكر نوري شاويس انه بالنسبة لنا هناك الامبرياليين والاشتراكيين. أما الذين في الوسط فانهم يخدمون الامبريالية."[114]

"لكن النزاع ظهر بسرعة بين ابراهيم أحمد وحمزه عبدالله. وتولد اتجاهان. إتجاه يترأسه ابراهيم أحمد وإتجاه ثان دعي بـ "الجبهة التقدمية" يترأسه حمزه عبدالله .لم ينجو

---

[114] Chris Kutscera. Le Mouvement National Kurde. 1979. P : 197 Flammarion. Paris

الحزب منذ تأسيسه من الحيرة المتمثلة في منح الاولوية للقضية القومية أو للقضية الاجتماعية ؟ فقد كان الحزب مهدداً باستمرار من قبل السلطات من جهة، ومن جهة ثانية كان عليه أن يدافع عن نفسه أمام الحزب الشيوعي العراقي. وكان يدير الحزب قادة ماركسيين أومتبنين للماركسية، لذا لم يكن بمقدوره معرفة ما يميزه عن الحزب الشيوعي العراقي.

بعد مضي عشر سنوات من تأسيسه بقي الحزب بلا عقيدة (أيديولوجيا) .... في عام 1955 طلب الاتجاهان، القومي والتقدمي تحكيم حدك - ايران ، الأخ الأكبر عمراً . ورأى الأخير ان القضيتان متلازمتان ويجب حلهما في الوقت ذاته وان على الاتجاهين ان يندمجا ويتحدا.!"[115]

وفي عام 1956 اندمج الاتجاهان من جديد ودعي الحزب بـ "الحزب الديمقراطي الكوردستاني الموحد" وسكرتيره العام حمزه عبدالله وقام الاخير بطبع (خه باتي كوردستان) أي (نضال كوردستان)..

لقد عانى الحزب بقوة من التناقضات الحادة الداخلية مما أضعف أدائه في النضال التحرري . فرئيس الحزب قبلي في توجهاته السياسية وفردي، والمكتب السياسي تقدمي وعصري لكنه من فرط ضعفه قبل الانقياد تحت زعامة قبلية وقد جسدت هذه بدايات خطأ قاتل ظهرت نتائجه فيما بعد، والقاعدة الشعبية كانت محدودة الوعي وتنتشي بالشعارات التي رفعها الحزب.

وهنا لابد من الاشارة الى عامل هام من عوامل ضعف الحركة السياسية الا وهو الافتقار الى عامل (التراكم الثقافي). لقد تثقف السياسيون الكورد ثقافة يغلب عليها طابع "الشرق الإستبدادي" وباللغة العربية، محامون ومعلمون ومهندسون درسوا في بغداد أومدن عربية اخرى. حمزه عبدالله، ابراهيم أحمد، علي عبدالله، نوري شاويس، صالح اليوسفي، جلال الطالباني ....الخ . يمكن تسميتهم بـ " منقفي الداخل " . عدي شوكت عقراوي الوحيد الذي تخرج من بريطانيا كمهندس كهربائي. أي انهم تمتعوا بثقافة جيدة نسبة الى تخلف مجتمعهم، لكن رغم ذلك بقيت ثقافتهم ثقافة محاصرة والى حد كبير ترجمة للنظرة العربية الى القومية والأيديولوجيات التي كانت رائجة في ذلك الوقت، لقد عاشوا في مجتمع شرقي متخلف ويغلب عليه نظام سياسي قمعي. كما ان مهمة تشكيل حزب سياسي عصري متفهم لواقع مجتمعهم وللعلاقات الدولية المعقدة خلال الحرب الباردة كان خارج نطاق مداركهم. علاوة، كانت "عملية بناء الحزب" بمثابة تحدٍ لهم وكانوا

[115] Chris Kutscera. Le Mouvement National Kurde. 1979. P : 197. Flammarion. Paris .

مبتدئين فى هذا المجال البكر أما رئيس الحزب (ملا مصطفى) فقد كان محدود الالمام بالتاريخ والثقافة وبالتنظيم السياسى وفي أعماقه يكره الثقافة والمثقفين. يستمد نفوذه من قوة بارزان العسكرية وذكائه في استخدام هذه القوة .... كان تماس هذه النخبة السياسية مع الحضارة الغربية قليلاً [مركز تصدير جميع الأيديولجيات السياسية والإتجاهات الثقافية المختلفة وتأسيس الأحزاب والنقابات والمنظمات]. هنا كان الفشل فى بناء حزب سياسى طليعى يقود حركة التحرر الوطنية بعيداًعن التوافه القبلية والتسلط الفردى والخلافات الشخصية التافهة. لقد بقيت القيادة الكوردية مكبلة بقيود التخلف الاجتماعى وتصرفت ضمن تلك الأطر الثقافية المتناقضة. كما ان تبنى الماركسية اللينينية – في الظاهر فقط - عمق التناقض بين أقوالهم وأفعالهم.

أما فيما يخص قادة الحركة التحررية الكوردية فى كوردستان– ايران - فنفس القيود الثقافية التى كبلت قادة الحركة التحررية الكوردية فى كوردستان الجنوب، كبلتهم أيضاً. وتأثر الحزب الديمقراطى الكوردستانى –عراق و ايران– على التوالى بالحزب الشيوعى العراقى والحزب الشيوعى الايرانى (توده) وفى بعض المراحل خضعا لنفوذ الحزبين الماركسيين خضوعاً يكاد يكون كاملاً.

وعلى عكس هؤلاء، نرى المثقفين الكورد الشماليين (مثقفى الخارج) شريف باشا، جلادت بدرخان، كامران بدر خان، نورالدين زازا وعصمت شريف فانلى، مثقفين عصريين تثقفوا فى أوروبا، وتحديداً فى فرنسا وسويسرا ولبنان، معظمهم عاشوا فترة من حياتهم فى كوردستان الغربية والتى كانت تحت الوصاية الفرنسية. هؤلاء لم يعيروا للماركسية أهمية كبيرة. وكانوا أقرب الى "رجل دولة" Statesman من سياسيين عاديين او قادة احزاب، وقدموا خدمات مهمة فى مجال تطوير الثقافة واللغة والتاريخ الكوردى فى أصعب مراحل مرّ بها الموروث الثقافى الكوردى، وأعنى تعرضه للأبادة المبرمجة على يد النخب القومية التركية الحاكمة في كوردستان الشمال منذ عام 1923. وكانوا متحررين من "النوبات العصبية" و "الأحقاد الشخصية" و "التنافس غير الشريف" والذي ميّز المواقف السياسية لقادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني في كوردستان الجنوب . كان (مثقفي الخارج) أكثر توازناً ووقاراً ومبعثاً على الإحترام من (مثقفي الداخل) .

ومجموعة اخرى من المثقفين الكورد بقوا في بغداد، هؤلاء كانوا يتمتعون بمواهب ثقافية، أغدق عليهم النظام البعثي بعض الامتيازات مثل الوظيفة والسكن والرواتب الجيدة، فتركز نشاطهم على الكتابة والبحوث الأكاديمية أو التدريس في جامعات الحكومة العراقية.

ولنعد الى بدايات الحركة الكوردية. ففي 11 ايلول1961 قام السلاح الجوي العراقي بقصف تجمعات العشائر في (دربند بازيان) و (دولى خه له كان) ومواقع اخرى. رافقه هجوم عسكري للمشاة لفتح طريق كركوك - سليمانية حيث كانت القوات القبلية قد استولت عليه .

أما في مناطق بارزان فقد كانت معارك عنيفة تدور منذ 15 تموز 1961. معارك كانت بارزان تواجه الطوق المعادي من برادوست والزيبار والريكان. وكانت القوات البارزانية متمركزة على جبهات واسعة : برادوست. خط رواندوز – ميرگه سور. خليفان – شاندر . جبهة بيرس وجبهة أميدي. اذ لم يكن ممكناً اتساع رقعة الحركة الأ بفك الطوق القبلي الذي يقطع تواصل بارزان مع القوى المؤيدة للحركة خلف الخط القبلي المعادي. كان رؤساء هذه القبائل قد استلموا اسلحة واموال من قاسم لضرب بارزان. وباطراد كان يتزايد عدد القوات الحكومية المشتركة في القتال الى جانب المرتزقة الكورد كلما عانت الاخيرة الهزائم. خاصة بعد انهيار مقاومة الأغوات وفك الحصار. الى ان اصبحت المواجهة مباشرة بين البارزانيين والجيش العراقي.

كنا قد عدنا من بغداد لقضاء العطلة الصيفية في كوردستان على امل العودة الى بغداد لمواصلة الدراسة بعد نهاية العطلة. وفي1961/9/15 وصلت أنباء تقول ان ثلاث مواقع اختيرت للقصف: بارزان. حيث شيخ بارزان. وجالي في أعلى جبل شيرين حيث يقضي ملا مصطفى فصل الصيف. وأيضاً ريزان. ستتعرض هذه المواقع الى قصف جوي. وفي الصباح الباكر غادرت النساء والاطفال منازلهم الى وادٍ محصن يبعد عن القرية بأقل من كيلومتر. والدي فضل البقاء في القرية وبالذات في البيت. كنت معه ومعنا (سليمان فقو ايسومري) و(احمد ايسومري) الملقب بـ (كابتن) - لا أعرف لماذا لصق به هذا الاسم منذ ان كان لاجئاً في الاتحاد السوفيتي- وايضاً فيض الله عقراوي (فيزو) . وكان لقمان ملا مصطفى موجوداً في القرية الا انه كان أكثر حذراً منا فقد غادر البيت الى حفرة قريبة من القرية. اما المختار (محمد زادو) فقد إختار البقاء خلف صخرة على مشارف القرية لأنه كان يخشى نشوب حرائق في المنازل – وهي عادة أكواخ طينية سريعة الالتهاب مصنوعة من اخشاب واغصان جافة متكدسة - وسيكون في وسعه اطفاء النيران إن نشبت في منزل من منازل القرية أو في التبانات المتناثرة على مشارف الأكواخ- لم يكن احد على علم بالتطور الهائل في قدرات الطائرات الحربية الحديثة. فقد كانت تجاربهم مع قصف السلاح الجوي تعود الى اعوام الاربعينات- بينما غادرت قبل الفجر قطعان الابقار والماعز بعيداً عن القرية حيث تختفي تحت الأغصان الكثيفة لاشجار البلوط في الهضاب المطلة على ريزان.

لم تكن هنالك تعليمات عن كيفية مواجهة هذه الحالة من القيادة! حماية الاطفال من الصدمة المخيفة! كيفية الاحتفاظ بالحبوب والطعام ومواجهة الحصار الإقتصادي وحرق المحاصيل الخ. الجميع: نساء حاملات، الأطفال، العجائز، شباب وشابات يتكيفون ذاتياً حسب ظروفهم الشخصية والعائلية وعلى ضوء تجاربهم السابقة.

كنت لاأزال نائماً في الصباح الباكر يوم 1961/9/16. عندما أفاقتني أمي من النوم وهي تلح على أن أصحبها الى الوادي القريب توقياً من ضربة جوية محتملة. لكنني رفضت ذلك وأصررت على البقاء مع والدي. فغادرت مكرهة وهي قلقة لبقائنا. بدت ملامح الصباح تبان وشيئاً فشيئاً ترائت أشعة الشمس على قمم الجبال وثم توضحت الرؤية في الوديان. وإذا بسرب مؤلف من ستة طائرات تظهر من خلف جبل بيرس. كل إثنتان تختاران إتجاهاً مختلفاً في سماء بارزان الصافية ولها أهداف محددة: قصف بارزان حيث شيخ بارزان، وأعالي جبل شيرين في موقع محصن (جالي) حيث ملا مصطفى. والهدف الثالث كان قرية (ريزان). قبل هذا القصف كانت الطائرات العراقية قد قامت بجولات استطلاع في سماء المنطقة لتحديد الأهداف.

لم نكن بعد واثقين من حدوث القصف. كنا في باحة البيت الذي لم ينتهي بعد بنائه بإعانة حكومية. عندها مالت إحدى الطائرات متجاوزة سماء القرية ثم عادت وأخذ الطيار يعود نحو القرية بإنخفاض متزايد. ونحن لانصدق بعد نبأ القصف. أنظارنا مشدودة نحو القاصفات العراقية. فإذا بالطيار الذي دار متوجهاً صوب القرية. يطلق الصواريخ التي أحدثت دوياً هائلاً هزت الأرض بشدة من تحت أقدامنا جراء إنفجارها بمسافة لاتتعدى العشرة أمتار من البيت. ويظهر الآن لي أن جدار المنزل الصخري هو الذي حمانا من شظايا الصوارخ المتطايرة في كل إتجاه والتي سقطت خلف جدار البيت. فتساقطت الأوراق وأغصان الشجر المحيط بالمنزل. ثم علت الطائرة لكن دون ترك فرصة كافية لنا كي نبتعد عن البيت الذي كان هدفاً مباشراً للقصف. إذا بالطائرة الثانية تسلك نفس خط الطائرة الأولى. تنخفض وتتقدم ثم تنقض على القرية وتطلق صواريخ اخرى. في هذه اللحظات ووسط الدخان والحرائق. كان (سليمان فقو) يحتفظ بكامل هدوئه. وبإحترام ظاهر طلب من والدي:

"لنبتعد عن المنزل لأنه هدف للقصف. لابد أن نغادر الآن قبل الشروع بدوران الطائرات نحونا من جديد.

غادرنا البيت بانجاة النهر. لكننا لم نتمكن من الابتعاد أكثر من حوالي عشرين مترا حتى عادت الطائرة الأولى بإعادة القصف. فإنبطحنا على الأرض لتفادي الشظايا التي تطايرت في كل حدب وصوب.

الطائرتان، كانتا تتناوبان عملية القصف بشكل منظم حيث لاتتركان لنا مجالاً للإبتعاد عن وسط القرية المتلاصقة المنازل. فما ان تنتهي إحداهما من القصف بالصواريخ او الرشاشات محدثة هديراً وإنفجاراً مخيفاً، تعلو الى السماء بعد الإنقضاض، حتى تصل الطائرة الثانية الى نقطة الهجوم، وتطلق النيران من منخفض. ثم تعلو محدثة هديراً مرعباً، ويأتي دور الطائرة الأخرى. وفي الواقع لم نتمكن من الابتعاد عن منزلنا سوى مايقارب الخمسين متراً طوال فترة القصف التي دامت مايقارب عشرين دقيقة. وبقينا في موقع القصف المباشر تحت شجرة (بيوك) الصفصاف وينهال علينا نيران الرشاشات المكثف. وثم تعتمت الرؤية بسبب الحرائق والنيران التي التهمت منزل يحيى إسماعيل وهو ابن عم لي. وقد قرر بعد نهاية المنفى العراقي، السكن في ريزان، وبنى بيته عام 1960، وكان يقع الى يمين منزلنا بحوالي عشرة أمتار. كانت النيران تلتهم السياج الخشبي المحيط بمنزله والدخان الكثيف يخرج من نوافذ المنزل بقوة وهنا وهناك الأعشاب الجافة تحترق. فقد أطلقت الطائرات قنابل حارقة لإتلاف المحاصيل والحبوب.

هنا لابد من ذكر أن المقاتلات العراقية كانت سيدة الموقف. فهي تقصف مواقع لاوجود فيها لأية مضادات للطائرات، وضد أناس لايملكون حتى البنادق القديمة الا ما ندر. كما ليس للأهالي خبرة لحماية أنفسهم من هجوم المقاتلات العصرية. كان عملاً همجياً يخلو من الانسانية تجاه النساء والشيوخ والأطفال يعيشون في قراهم المهملة من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة. كان وقع القصف على الأطفال شديداً رغم إحتمائهم بالكهوف. فهدير الطائرات ودوي الإنفجارات كان يملأ الوديان ويصم الأذان وكأن القصف لايبعد عنهم سوى أمتار. فيما بعد رأيت أطفالاً كورد يبكون لمجرد سماع صوت الطائرات من بعيد.

بالنسبة لي ول فيض الله عقراوي (فه يزو) كان تلك أول تجربة قصف نشهده في حياتنا، فيما كان والدي وسليمان فقو و(كابتن) أحمد إيسومرى، قد خبروا القصف، لكن كانت خبرتهم تعود الى حقبتين مضت، وما شاهدوه من قصف الطائرات السوفيتية الصنع كان شيئا جديداً، يشهد على التطور الهائل في القابليات الهجومية لسلاح الطيران والتصويب الدقيق ولايمكن مقارنته بعمليات القصف التي نفذها السلاح الجوي العراقي والبريطاني في الثلاثينات ومنتصف الاربعينات من القرن الماضي.

بعد إنهاء الطائرات مهام القصف غاب السرب خلف جبل بيرس. والتجأنا الى الوادي القريب من القرية. تغيرت حياة الناس كلية. رحب رؤساء المرتزقة الكورد بالقصف ضد مناطق بارزان وأجزاء أخرى من كوردستان واعتبروا ذلك دعماً وإحياءً لنفوذهم من قبل الحكومة العراقية. وتم حشد قوات كبيرة من المرتزقة وبدأت قوات المشاة. الجيش والمرتزقة الكورد. لاحتلال أراضي بارزان على شكل كماشة. من جبل بيرس حيث يتقدم الجيش العراقي مجموعات مسلحة من المرتزقة الكورد تحت إمرة أغوات الزيبار والريكان والسورجية. ومن الغرب عشائر البرادوست. هؤلاء المرتزقة كانوا أكثر فعالية من الجيش العراقي لدرايتهم بالتضاريس والحرب الجبلية ولعدائهم المزمن لبارزان.

تقدمت القوات العراقية من محور راوندوز لإحتلال ميركه سور ومن محور جبل بيرس تقدمت لاحتلال بارزان. أحرقت العديد من قرى المنطقة. تم إحتلال جزء كبير من مناطق بارزان بجهود مضنية وتضحيات كبيرة من قبل الجيش والمرتزقة مما أرغم بغداد توخي هدنه مع بارزان. وحصل إتفاق بين قاسم وشيخ بارزان. بموجبها تنسحب القوات العراقية من أراضي بارزان وتبقى بارزان محايدة. ألقت السلطات العراقية القبض على لقمان ملا مصطفى وألقته في سجن معسكر الرشيد. كما قبض على عدد أخر من البارزانيين والقوا في غياهب السجون. ولم يفرج عنهم الأ بعد إنقلاب شباط 1963.

تكتيكان في الصراع المسلح

ولكي نفهم المشاعر الوطنية التي اجتاحت صفوف الشعب الكوردي ودفعته الى المقاومة الوطنية بحماس كبير غير مبال بالمخاطر والمصاعب الى درجة التفاني والتضحية بكل شيء، لابد من اللجوء الى أمثلة حيّة. وهنا لامفر من القول ان ماكتبه مسؤولون على مستوى الزعامات الكوردية لايخلو من المبالغات. لذا تجنبت الاعتماد عليها. عوضاً عنها إستشهدت بذكريات أناس صادقين من القاعدة الشعبية والتي شكلت قوى المقاومة الكوردية الحقيقية بالأخص الطبقة الفلاحية وأفراد الشرطة والجنود - هؤلاء تحملوا عبئ التضحيات كاملاً حتى النهاية المأساوية. - نبهني صيف عام 2007 المؤرخ والباحث عبدالرقيب يوسف لكتاب عريف سليمان وأهداه لي. إنه كتاب ميداني ويتضمن سرد حقائق عاشها المؤلف في فترة زمنية محددة. فمن جانب سيرى القارئ ان الشعب الكوردي تحمل التضحيات وبإخلاص مشهود له. أما الزعامة الكوردية في بداية الحركة فقد كانت كفوءة وبدأت تكسب خبرة في حرب العصابات وتنظيم المجتمع وكانت تعيش مع الشعب وتتحسس آلامه وأمانيه. لكن للأسف أعاقت الخلافات الداخلية الشخصية مسار الحركة التحررية الكوردية. وبسرعة تدنى مستوى أداء القيادة لدورها الطليعي في قيادة النضال التحرري لشعب كوردستان.

يقول (عريف سليمان) وهو من أوائل المقاتلين الذين تركوا المدينة (أربيل) الى الجبل (سفين) في مذكراته بعنوان (من البذرة الى سنابل القمح) والكتاب هو باللغة الكوردية طبع عام 1999 في كوردستان ويسرد فيه سنوات نضاله داخل (حدك) وبدايات تكوين وتطور الحركة التحررية الكوردية المسلحة فيذكر:

" الأغوات والملالي والبعض من رؤساء العشائر بشكل عام واينما كانوا هم متغطرسين ومتكبرين ويعملون من أجل تثبيت نفوذهم ودائماً يتوخون الدعم من الأجنبي ويظلمون من حولهم كلما سنحت لهم الفرصة. إن أغوات بلادنا، وبسبب تدني المستوى الثقافي لشعبنا وتخلف مجتمعنا وسياسات الدول المحتلة لوطننا جعلت من السهل انسجامهم مع السلطة التي أتت بعد ثورة تموز ولم يكن للحزب الديمقراطي الكوردستاني، الحزب الكوردي الوحيد، برنامج لمواجهة نفوذ الأغوات الكورد. وكان شيوعيوا كوردستان حسب مفهومهم السياسي قد بدأوا بالعمل ضد تصرفات الأغوات .

في ربيع عام 1961 خطط الأغوات للتقرب من الحكومة الجمهورية. فذهب (صديق ميراني) مع عدد من الأغوات الى بغداد لمقابلة (عبدالكريم قاسم) والذي كان صديقاً شخصياً لـ صديق ميراني . ونظراً لخصوصياتهم وطموحاتهم الفردية المختلفة فقد وعدوا عبدالكريم قاسم والحكومة بحمل سلاح الارتزاق (جاشايه تى) وكانت الحكومة تتراجع عن وعودها فيما يخص الكورد وسادت البرودة بين عبدالكريم قاسم وملا مصطفى. واعتبرت أن هذه فرصة جيدة لتسليح الأغوات ووعدوهم بأمور أخرى. خلال تواجد الأغوات في بغداد روجت لهم الحكومة بانهم يمثلون الوفد الكوردي وفي الخفاء كانوا يتعاملون معهم كمرتزقة (جاش) لقد بدأوا بنشر بذور الارتزاق (جاشايه تى) .*

---

* كانت مهنة الارتزاق (جاشايه تى) أنذاك عيباً وعاراً. ولذا قامت مجموعة من أعضاء الحزب المنتمين للكاوانيين الى نصب كمين (عند عودة صديق ميراني من بغداد الى شقلاوه في موقع بين (حوجران – كاوانيان) وباقتراب سيارة صديق ميراني فتحت عليها النيران وقتل على أثرها صديق ميراني) .

كان لمقتل ميراني صدىً كبيراً بين قبائل المنطقة ونشرت الرعب بين الأغوات الذين ذهبوا لاستلام سلاح الارتزاق من الحكومة العراقية ومن عبدالكريم قاسم بالذات. ومن اجل انقاذ ماء الوجه صدرت الاوامر للقبض على المنفذين. لكن الذين قاموا بهذا العمل لم يعيرو لهذا القرار وتهديدات الحكومة اية اهمية ولم يستسلموا للسلطة المركزية. التجاؤا للجبال وقرى المنطقة ووعدوا بمقاومة الحكومة معتبرين ان ماقاموا به هو انتصار للشعب الكوردى.

ولفترة كان القرويون يأوون ويشجعون هذه المجموعة والحزب كان يدعمهم ويخبرهم مسبقاً بخطط الحكومة ويعطيهم التوجيهات حول الهرب والاختفاء. وكان الحزب يقوم بذلك لأن:

1 - الذين قاموا بهذا العمل كانوا أعضاء في الحزب .
2 - لم يكن الحزب راغباً في ان تعتاد الحكومة على اعتقال ومطاردة ومضايقة اعضائه
3 - كانت هذه المجموعة تمثل ورقة لتذكير الحكومة بالتجاوزات التي تقوم بها بحق الشعب الكوردي والحزب ومن نتائج الضغط التي تمارسه الحكومة يتولدالانفجار .

وللقبض على الكاوانيين لجأت الحكومة الى استخدام "مفارز قوات الشرطة الاحتياط" لكن الشرطة في هذه القوة وكما أشرنا سابقاً. فان 95% منهم كانوا على اتصال بتنظيم بوليس اربيل. وكانوا يبلغون الحزب كلما تقرر اخراج مفارز وذلك قبل وصولها الى الموقع المعين. والكاوانيون كانوا يتركون الموقع. ولكي لاتفطن الحكومة الى هذه الخطة. فانهم كانوا يطلبون من الكاوانيين اطلاق الرصاص ثم الفرار أو احداث معركة من بعيد. كان كلا الطرفان ينفذان اوامر الحزب. والحكومة كانت راضية.

أخيراً شعرت الحكومة بإنعدام نفوذها في المنطقة وبتعاطف الجماهير مع الحزب وهنا بدأت بمحاربة (حدك) فطلبت من الحزب تسليم هؤلاء العصاة. ثم بدأت بخطة اعتقال الاعضاء والانصار والمسؤولين القياديين في الحزب. فقبضت على عمر دبابة وهو عضو قيادي في الحزب. وصدر قرار باعتقال على عبدالله وهو عضو في المكتب السياسي. وشمس الدين مفتي العضو الاحتياطي في اللجنة المركزية للحزب. ونازاد عمر وهو عضو في لق اربيل. هؤلاء لم يستسلموا انما اختفوا في المدن الكردستانية. ظهر التشنج في العلاقة بين الحزب والحكومة الى العلن. استمر هذا الوضع عدة أشهر.

شهدت كوردستان توتراً بسبب الاعمال المعادية لكلا الطرفين وأصبحت المواجهة بين الحزب والحكومة امراً وارداً .

ففي تموز 1961 قام البعض من رؤوساء العشائر المتعاطفين مع معاناة الكورد والذين تمتعوا بشعور وطني. وبموجب أوامر من البارزاني قاموا بتجميع عشائرهم في عدد من الاماكن ضد الحكومة. دعي هذا التجمع بـ "التجمع المسلح" واحتشد هؤلاء في الاماكن التالية :-

1- Derbendikhan. 2- Azmer. 3- Derbendbazyan. 4- Dolikhelekan. 5- Cinarok. 6- Degele

لم يؤيد الحزب هذا التجمع العشائري اذ لم يكن لديه برنامج للبدء بالثورة المسلحة وكان اعتقاد الحزب هو انه يمكن تحقيق اهدافه عن طريق العمل السياسي ولأن الحكومة التي جاءت اثر ثورة 14 تموز ضعيفة ومهزوزة ...."

كانت الحكومة العراقية في تلك الفترة تولي اهتمامها بملا مصطفى أكثر من الحزب ولذا لم تعر اية اهتمام بموقف الحزب. كانت الحكومة تعتقد ان الحزب ليس الا ألة بيد البارزاني. ونتيجة لهذا الموقف الخاطىء فقد كانت الفوائد تذهب لملا مصطفى والخسائر من نصيب الحزب ومستقبل الشعب الكوردي.

أثناء هذا الوضع المتوتر والخطير كانت قيادة البوليس في اربيل قد شعرت بنشاطات الحزب داخل سلك البوليس ولذا وعن طريق وزارة الداخلية تبنت سياسة نقل وتبديل البوليس. فكانت تصدر قرارات بنقل افراد من البوليس او كل اثنين الى مدن اخرى. وكانوا يبلغون عن أماكن نقلهم وان يكونوا بانتظار التنفيذ. وبنشر هذا القرار وجد البوليس أنفسهم امام مشاكل جدّية.

فبالنسبة لمصادر العيش سبب ذلك مشكلة لهم. فقد كانوا يعيلون عوائلهم بالراتب المخصص لهم. وكانوا قد اعتادوا العيش في المدينة ولم يحبوا ان يتركوها الى مدينة غريبة. ولذا كانوا يسعون الى تعليق قرار النقل.

ونحن المجموعة التالية كان قرار النقل هو كالأتي :

1- أنا، الى مدينة الناصرية (المقصود عريف سليمان)

2- عبدالرحمن ملا قادر و رشيد شيره الى مدينة العمارة.

3- أنور جوخين الى البصرة.

4- تاهير حاجي الى (سيبا في البصرة)

وبعد الكثير من التفكير والنقاش بيننا. كل كان يعبر عن حيرته وكيفية تمويل عائلته فقلت لقد تعقد وضعنا فبالنسبة لي (كلماعدت الى البيت تبكي والدتي وتقول، ابني سليمان لاتذهب الى (المنطقة العربية فقد يفنى اولادك او يموتون جوعاً لايجوز ان تغادرنا) هذا الوضع لايحتمل هيا لنتخذ قراراً جماعياً ونجد حلاً (الجميع وافقوا وقالوا لنجتمع باخواننا الباقين ونتحدث معهم . وبعد يوم او يومين التقينا جميعاً وقررنا كتابة تقرير للحزب).[116]

تشرح هذه المجموعة في تقريرها الموجهة للحزب، الاهداف التي تتوخاها الحكومة العراقية من وراء ضرب تنظيم الحزب في سلك الشرطة في مدينة اربيل وان ضربات اخرى ستتبع ضد التنظيمات الجماهيرية واحدة تلو الأخرى، وتضمن التقرير اقتراحاً بعدم تنفيذ اوامر النقل بل المغادرة مع السلاح والانضمام الى التجمع العشائري المسلح الذي كان موجوداً أنذاك وثم القيام بالثورة... وبعد ايام من الانتظار ردّ الحزب بما يلي:

"لايرى الحزب في التجمع العشائري أمراً ايجابياً. ولم يقرر الحزب القيام بثورة مسلحة. لايزال الأمل في النضال الفكري والسياسي للجماهير وقدرتها على نيل الاهداف

---

116 له دد بكهود بؤكوله كه‌نمه‌كان عه ريف سليمان به شى به كه م 1949 - 1961 . لاپهر 85 (من الندرة الى سنابل القمح عريف سليمان 199 مطبعة اسا ص 85)

الكوردية. مقر الحزب لايزال في بغداد وفي المدن الكبرى. وان الحكومة لم تعادينا كلية. ان هؤلاء المسلحون الذين التجأوا الى الجبال هم بلا برنامج. نطلب عدم القيام بأية اعمال تلفانية. نفذوا قرار النقل. 1961-8/5 "[117]

تخلت المجموعة عن اقتراحها وكانت تهم بتنفيذ توجهات الحزب عندما عدل الحزب في آخر لحظه عن رأيه فتوقف عريف سليمان عن تسليم بندقيته الى المسؤول الحكومي. وعلى عبدالله (عضو المكتب السياسي لحدك) الذي كان مختفياً في اربيل قد بّلغ لكي يطلب منهم التهيؤ ومغادرة (المدينة) الى (الجبل) وهؤلاء - مجموعهم أربعة رجال شرطة - شكلوا المفرزة الاولى التي غادرت (هه ولير) المدينة الى (سفين) الجبل.

يعطينا (عريف سليمان) صورة حية عما انتابه من صراع داخلي بين العاطفة والواجب فيذكر:

" كان موضوع نقل وظيفتي من اربيل الى الناصرية قد اوجد قلقاً لدى عائلتي و قرار الالتجاء الى الجبل جعلني افكر في عدد من الاحتمالات. في مقدمتها مصير أطفالي السبعة وكيف ستكون حياتهم بغياب عاطفة الأب. كيف سيعيشون بلا مصاريف. فكرت في والدي ونحن نعيش معاً لسنين حيث أساعدهم. وان صارحتهم. هل سيتحملون خبر مغادرتي الى الجبل . كيف سيكون ردّ فعلهم ."[118]

" وبعد تفكير طويل تذكرت شعبي . ف 80% منهم متخلفون ولايعون شيئاً عن التغيرات والاوضاع الصعبة التي يعيشها وطنهم. وتذكرت خطواتي الاولى عن انضمامي الى الحركة الوطنية وقد مرت سنوات وها هي الفرصة تحين لنا الآن ".

في كل الأحوال غادر (عريف سليمان) مع ثلاثة من رفاقه بحماس الى جبل سفين ليشكلوا نواة المقاومة في المنطقة.

إندلعت الحركة التحررية الكوردية في مجتمع داعم لها بقوة. فقد بدأ الأفراد (أعضاء) الحزب الديمقراطي الكوردستاني بالأخص في سلك البوليس بمغادرة مخافرهم مع سلاحهم والإلتجاء الى الجبال بأمر من قيادة الحزب. والجدير بالذكر أن مجموعة الكاوانيين كانوا موجودين في جبل سفين منذ شهر نيسان عام 1961 بعد مقتل صديق ميران. كما غادر

---

117 له ده نكەوه بؤكوله كەنمه‌كان عه ريف سلیمان ص 87

118 له ده نكەوه بؤكوله كەنمه‌كان. عه ريف سلیمان ص 89

مجموعة من البوليس من أربيل الى الجبل في شهر أب من عام 1961 وألتقوا بشمس الدين مفتي وأخرين من قادة الحزب. وهؤلاء شكلوا قاعدة المقاومة الأولى في منطقة سفين.

ندرك ان الفريق الذي تولى قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني من حمزه عبدالله الى ابراهيم أحمد، كانوا قد قاموا بجهود ناجحة في تكوين القاعدة الشعبية للحزب خلال الاعوام الصعبة من 1947 – 1958 . حيث نشاط الحزب سري، وكان المنضمون الى الحزب كما هو واضح من خلال مذكرات (عريف سليمان) ناضلوا عن إيمان واخلاص الى حد التفاني من أجل قضية التحررالوطنية الكوردية. ونستشهد بما ذكره عريف سليمان في كتابه القيم "من الحبة الى سنابل القمح" .

وصلت المجموعة من رجال البوليس الى قرية Gerote في نفس ليلة مغادرتها أربيل. وأتصلوا على الفور بشمس الدين مفتي الذي كان ينتظرهم. وهناك وضع لهم أسماء سرّية. ولم يكن لدى الحزب سلاح لتوزيعه على أعضائه للدفاع عن أنفسهم، إنما كان لديهم ثلاث بنادق فقط. شمس الدين مفتي كان قد إشتري بندقيته بماله الخاص. هذه المفرزة كانت تخرج من القرية في النهار وتعود اليها في المساء. أهالي القرية كانوا أسخياء في بذل المساعدة والإهتمام بهم. وبدأ بعض الأهالي بشراء السلاح. فتوفر السلاح قليلا وهو في كل الأحوال سلاح قديم الطراز.

تم التخطيط في 1961/8/18 لنقل مستودع السلاح من مركز سراي اربيل بنجاح، إذ كان معظم أفراد البوليس هم أعضاء في الحزب. وتم نقل 55 قطعة سلاح مع الطلقات وثلاث رشاشات الى الجبل. وعقد إجتماع بعد نجاح العملية حضرها ملا عبدالله وشمس الدين مفتي ومام طه شه قلاوه يي وتقرر تسليح الملتحقين وتشكيل وحدات المفارز وتنظيمها، كما تقرر تشكيل قاعدة حزبية في كاني شيلان.

إضافة الى تزايد عدد المسلحين نتيجة الإستيلاء ونقل السلاح من مستودع سراي أربيل، إنضمت اليهم القوه المؤلفة من الكاوانيين الذين لجأوا الى الجبل بعد مقتل (صديق ميران) وكان عددهم 30 مسلحاً بقيادة الأخوين حميد ومحمود كاواني.

لقد تطورت بسرعة قوة مسلحة ومنظمة ومنضبطة ومتفانية، قارب عددها المئة مسلح، ويقول (عريف سليمان) كان الهدف من هذه التشكيلة إنماء شعور بالتمايز بين (التجمع العشائري) وبين (التجمع الثوري). وكان القرويون هم الذين يزودون بسخاء هذه القوة بالمؤونة ويدعمونها بإخلاص[119] .

---

119 له ده نكاوه بؤكوله گهنمهكان. عه ريف سليمان. ص 107 - 108 - 109 - 110

قررت القوة القيام بعملية لإظهار النضال الثوري المسلح للحزب وافشال خطط المرتزقة. فتقرر الهجوم على مرتزقة (عوسمان بك) والذي كان في قرية (Spedare) ففي يوم 1961/8/21 هوجمت القرية وتقدمت القوات الثورية نحو القرية واحتلالها. وتم الاستيلاء على عدد من البنادق والعتاد. ولاذ المرتزقة بالفراروانستسلمت غالبيتهم للقوات الثورية. يمكن إعتبار العملية الأولى التاريخية المظفرة للحزب في هذه المنطقة.[120] .

عمدت الحكومة لمواجهة القوة الثورية المتمركزة في (كاني شهلان) بارسال قوة فوج احتياطية من البوليس في أربيل. لكن الفشل كان ينتظرها. فـ 75% من أفراد هذه القوة كانوا من الحزبيين وعلى اتصال بالقيادة. وكانوا راغبين في الالتحاق بالثورة مع أسلحتهم. كانت القوة بإمرة (عبدالوهاب الأتروشي).[121] أرسلت الحكومة العراقية العدد الأكبر من هذه القوة الى (شقلاوة) وقسم أخر أرسل الى (قه لا شيخ). ولكي يهاجموا قوة (كاني شيلان) من الجهتين. كانت المشاعر القومية متأصلة بين البوليس. ففي عصر يوم 1961/8/23 تحركت قوة البوليس من شقلاوة وقررت الالتحاق بفصائل المقاومة. إعترض أمر القوة عبدالوهاب الأتروشي. أين تذهبون دون أوامر؟ كان الرد: "لن نخون شعبنا ولن نحارب قواته".[122]

هذه القوة المؤلفة من 80 مسلح مع مدفع هاون عقده (2) إنضمت الى الفصائل الكوردية في موقع (Heware Kheje)

وتم فتح مقرّ أخر للحزب في (Kani Guze) في جبل سفين. ثم التحق 25 بوليس من مخفر (Qela Senkh) بهم. وبلغ عدد القوات الثورية في كلا المقرين 200 مسلحاً.[123] .

لقد مثل ذلك ضربة قوية للحكومة العراقية وانتصار هام للحزب الديمقراطي الكوردستاني.

بدأ أهالي مناطق أربيل بتضخيم قوة الفصائل الكوردية وانتشرت أخبار الثورة المسلحة بشكل واسع.

ويعلق (عريف سليمان):

"لم يكن الواقع بتلك الصورة. فالأمر الواقع هو الذي فرض إسم الثورة المسلحة على الرفاق. إذ لم يكن للحزب برنامج للقيام بثورة مسلحة. كان الهدف من إنشاء المقرات وتعيين إثنين من القياديين في المنطقة (هو أولاً منع التجمع العشائري تبوء القيادة والنطق باسم الشعب الكوردي. فقد قاموا بالعصيان المسلح ضد قانون الاصلاح الزراعي رقم 30

---

120 له ده نكهوه بۆكوله كهنمهكان. عه ريف سليمان . ص .111. 112. 113 .

121 له ده نكهوه بۆكوله كهنمهكان. عه ريف سليمان . ص 114

122 له ده نكهوه بۆكوله كهنمهكان. عه ريف سليمان ص 116

123 له ده نكهوه بۆكوله كهنمهكان. عه ريف سليمان . ص 120

لعام 1959. إذ سيكون هذا بمثابة تخلف الشعب الكوردي أمام هذا الإصلاح الهام) وفي الوقت ذاته لإستيعاب أولئك الذين يختفون بسبب إدانة الحكومة لهم."

ويضيف:

"........في تلك الأيام كان الهدف من تجمعاتنا الحزبية في (Kani Shilan) و (Kani Guz) هو منع الضغط الحكومي على الأعضاء في المدن والتخلي عن فكرة مطاردتهم وملاحقتهم. إذن لم يكن هدف اللجوء الى الجبل هوالنضال السياسي والجماهيري. في حين كانت الجماهير تردد الثورة ولم تكن تميز بين التجمع العشائري والثوريين. كانوا ينظرون الى الأثنين نظرة متساوية كوطنيين أكراد.[124]"

ويزيد عريف سليمان:

"........لم يكن لدينا في ذلك الوقت برنامج للنضال المسلح. وعندما توجه الملتحقون الى المناطق الواقعة تحت سلطة الحزب ومقراته. كانوا يقبلونهم وينظمونهم إذ لم يكن هناك حل آخر. وماكان ممكناً الطلب منهم البقاء في بيوتهم الى إشعار آخر. فقد كانت بوادر إنتفاضة جماهيرية في الأفق بسبب دعاية التجمع العشائري."[125]

"فخلال الفترة الفاصلة بين 25-28 /8/ 1961 ألتحق أكثر من 600 شخص من مناطق (Sefin. Doli Khoshnawetí. Doli Simaqoli. Deshti Hewler) إتصلوا بنا وبلغ مجموع قوتنا 800 الى 850 شخصاً في المنطقة.

في نهاية شهر آب من عام 1961 التحق أعضاء البوليس من مخفر باليسان بالثورة. وكان عدد المناصرين أكثر من عدد الحزبيين. كلهم كانوا يحملون روحاً كوردية عالية. لم يميز الحزب بين أعضاء الحزب والمناصرين له. إجتمعت سكرتارية المنطقة وتقرر بعد الاجتماع فتح مقر ثالث وتشكيل قوة أخرى وارسالها الى منطقة جديدة. وكان الهدف من ذلك هو تخفيف أعباء إدارة القوات عن القرى الممولة لها وتوسيع مناطق النفوذ السياسي والتهيؤ للتصدي للعدو واستيعاب الملتحقين الجدد وتوزيعهم في المناطق التي هم خبيرون بها.[126]

124 له ده نكەوه بۆكوله كەنمەكان. عه ريف سليمان . ص 121

125 له ده نكەوه بۆكوله كەنمەكان. عه ريف سليمان ص : 122

126 له ده نكەوه بۆكوله كەنمەكان. عه ريف سليمان . ص : 123 – 124

عقد إجتماع خاص حضره مسؤولي المنطقة القياديين. شمس الدين مفتي وملا عبدالله وعدد من كوادر الحزب منهم مجيد كاواني. كويخا عزيز حاجي. أمين سماقولي وعريف سليمان. وذكر المسؤولون أنهم إختاروا Derbendi Goma Span للقوة الجديدة المؤلفة من 50 مسلحاً وتم تعين عريف سليمان مسؤولاً عنها. وقبل المغادرة أعطى شمس الدين تعليمات لعريف سليمان: "ما ان تصلوا المنطقة عليكم الحذر الشديد. أنتم ذاهبون لفتح مقر للحزب والبقاء هناك. ينبغي إظهار الإنضباط العسكري في المنطقة حتى تتمكنوا أداء دور سياسي وحزبي جيد. هناك مخفر بوليس في القرية مع أسلحة وذخيرة جيدة. من المحتمل أن يشعر المخفر بوجودكم ويتصدوكم. وفي الوقت نفسه مرتزقة (كمال خورشيد بك قه لا سنجى) الموالون لعائلة (عثمان ميران شه قلاوه ى) سيساندون الحكومة عند إندلاع القتال ويشتبكون معكم. لذا ما أن تصل المنطقة يجب فتح النيران على المخفر من مواقع (ده ربه ند) العالية حتى لايتمكنوا من ممارسة ضغط عليكم. وتثبتون بذلك قوة الحزب العسكرية." [127]

تحركت القوة المشكلة حديثاً يوم 1961/8/29. كانت قوات المرتزقة قد لاذت بالفرار خوفاً وبقي المخفر دون حماية المرتزقة. وقامت القوة بتنفيذ خطة الهجوم. ولم يكن أمام المخفر سوى الإستسلام لو إستمرّ القتال. لكن لسوء الحظ. وصلت رسالة من ملا عبدالله يؤنبهم على الهجوم على المخفر ويأمرهم بوقف القتال. تضايق عريف سليمان من فحوى الرسالة ويقول بهذا الصدد:

"كثيراً ما يفسد خطط القوات الثورية الناجحة قرارات القيادة العليا.... ففي منطقة صغيرة وفي نفس المقر لايعرف الرفيق القيادي مايصدر عن الآخر من قرارات فردية. ولو تحولت كوردستان الى مناطق ثورية ونضالية منفصلة كيف يمكن التنسيق بينها" [128]

في كثير من الأحيان يؤدي فقدان التنسيق. لأي سبب كان. بين المسؤولين القياديين للقوات الثورية الى إرباك عمل القوات الثورية المسلحة لدى المستوى الأدنى. وفي النهاية ينقذ المسؤول نفسه بينما الثوريون يدفعون الضريبة بأجسادهم ودمائهم ثمن هذا الخطأ." [129]

---

127 له ده نكەوه بۆگوله گەنمەكان. عه ريف سليمان . ص 125 - 126

128 له ده نكەوه بۆگوله گەنمەكان عه ريف سليمان . ص 127 - 128

129 له ده نكەوه بۆگوله گەنمەكان. عه ريف سليمان . ص 128

وأثناء إجتماع أعضاء اللجنة المسؤولة بخصوص ما ورد في رسالة ملا عبدالله بوقف القتال. وصل رسول أخر من القرية وقال إن أمر المخفر وهو عربي أرسله ويطلب وقف إطلاق النار والبدء بحوار. تواصل الحوار عن طريق الرسول من القرية ثم وافق الطرفان الإجتماع في زاوية القرية.

قدم عريف سليمان مطالبيه وهي: تطبيق قانون الاصلاح الزراعي رقم 30 لعام 1959 ، تطبيق المادة 3 من الدستور العراقي واطلاق سراح السجناء السياسيين كافة. وعليهم مغادرة المخفر. وعد أمر المخفر بإرسال هذه المطالب الى الجهات الحكومية المعنية وتفارقوا.[130]

فتح مقر في Goma Span وكان دعم الأهالي للحزب قوياً ومخلصاً. هنا لايفصلنا غير 11 يوماً عن بدء قصف الطائرات للتجمع العشائري. وخلال هذه الفترة كانت الطائرات العراقية تقوم بشكل منتظم بعمليات إستطلاع للمنطقة ومواقع تحشد قوات العشائر.

قام الحزب بالإعلان عن إضراب عام، شمل كوردستان برمتها، مدن وأرياف، في 1961/9/6 ليثبت لقاسم دعم الجماهير الكوردية لمطاليب الحزب والدخول في حوار بدل القوة. لكن للأسف الشديد كانت عقليات السياسيين بعيدة عن العمل على توطيد أواصر الإتحاد الأستراتيجي بين الشعبين بروح الحرص على المصالح العليا وديمومة النضال المشترك. فتبخرت ما نتج من ديناميكية شعبية هائلة إثر سقوط النظام الملكي فيما يتعلق بالتعاطف والتعاضد الأخوي الحقيقي بين العرب والكورد. وهكذا سار الطرفان نحو التناحر والهدم. ولايزال الذهن السياسي العراقي رغم كل مامر عليه من محن، سجين عقلية سلطوية ضيقة عنيفة وانتقامية.

كانت الإخبار تصل القوات الكوردية بشكل منظم عن نهات الحكومة العراقية. فكانت على علم مسبق بخطة الهجوم الجوي والبري للجيش والمرتزقة على جميع مواقع القوات العشائرية. مع تركيز خاص ضد مواقع: Kani Guz, Kani Shilan, Derbendi Goma Span بسبب تواجد مقرات الحزب فيها كان واضحاً منذ البداية أن الحزب لايثق بقوات العشائر لذا كانت الواجبات الأساسية هي على عاتق الحزبيين المنظمين.[131]

صدرت التعليمات التالية لمجابهة الهجوم الوشيك:

---

130 له ده نكموه بؤكوله كەنمەكان. عه ريف سلیمان ص: 130 - 131

131 له ده نكموه بؤكوله كەنمەكان. عه ريف سلیمان ص· 139

من الغد لايجوز عمل تجمعات مكشوفة ويجب الإختفاء عند قدوم الطائرات
وعند القصف لايجوز التحرك
عدم اطلاق النيران ضد الطائرات
عند الهجوم البري لايجوز ترك المواقع. وعند إنكسار الخط الأمامي تقوم القوات نخفية بمساندتها.[132]

في صباح 1961/9/11 حصلت القطيعة. إذ شنّ السلاح الجوي العراقي حملة واسعة ضد المواقع الحزبية والعشائرية. يقول عريف سليمان:

"في الساعات الأولى من القصف خلقت حالة من الخوف. فنزول القنابل وأزيز لطائرات وصداها في الأودية كانت تهز المنطقة ولم يسبق لنا أن شاهدنا وضعاً خطيراً كهذا وتكون قوتنا تشكلت حديثاً ومعظمها عشائرية ولاتتمتع بالمبادىء الحزبية فقد دبّ الذعر في صفوفها بمواصلة القصف وتكثيفه...... لم يعطي القصف المتواصل في ذلك اليوم أية مهلة للتحرك... وكانت القنابل الفسفورية النازلة على الصخور والوديان تحرق ماتقع عليه وأكثرها مبعثاً للخوف..... كنا قد تهيأنا للتصدي لهجوم قوات المشاة وقناعتنا أن هذا القصف يجري لتسهيل مهمة الهجوم البري على مواقعنا."[133]

"......تحرك اللواء في الساعة العاشرة وأخذ يقترب من تقاطع الطرق الثلاثي...... ثم ساروا في طريق (Degele-Koye) ووجهتهم Degele لكن كان التجمع العشائري الموجود هناك بقيادة بعض الأغوات قد ترك الموقع أثناء القصف. واصل اللواء تقدمه فأجتاز وسط مدينة كوى وأخذ معارج طريق هه يبت سلطان نحو جناروك... التجمع العشائري بقيادة محمود أغا ومن عشائر البلباس كانوا قد تركوها... واصل اللواء تقدمه الى رانيه دون خوف..... تواصل قصف الطائرات دون توقف حتى حلول الليل."[134]

ولدهشة العناصر الحزبية وجدوا أن القوة المؤلفة من 300 شخص حتى الأمس. لم يبقى منها سوى 18 شخصاً فقط وهم من أعضاء لجنة المنطقة ومن رجال البوليس. ويقول عريف سليمان:

"إكتشفنا أن هؤلاء في الحقيقة لم يأتوا لمحاربة الحكومة. كانت لهم أهدافهم الخاصة. وحتى نحن. لو لم نكن متشربين بالروح الحزبية. لما كنا نصمد أمام هذه الهجمة الشرسة

---

132 له ده نكهوه بؤكونه كهنمهكان عه ريف سلهمان ص 140
133 له ده نكهوه بؤكونه كهنمهكان عه ريف سلهمان ص 143 - 144
134 له ده نكهوه بؤكونه كهنمهكان عه ريف سلهمان ص 146 - 147

الوحشية والتي لم يشهدها تاريخ المنطقة"[135] إستمر القصف في الأيام التي تلت. وبعد ثلاث أيام قرر الباقون ترك Derbendî Goma Span واللجوء الى موقع أكثر حصانة. وعندما التقوا بملا عبدالله قال لهم. من بين 2400 شخص لم يبقى معنا غير 200 شخص وكلهم أعضاء في الحزب. أما رجال العشائر فقد تركونا دون إعلامنا. وأجتمع الجميع ففرروا تشكيل قوة من الباقين في جبل سفين.

كانت الاذاعات الأجنبية تورد أنباء تشل معنويات القوات في جبل سفين. في الفترة بين 19 . 29 / 9/ 1961 منها ان ملا مصطفى ترك المقاومة وانه مع مسلحيه توجهوا نحو الحدود التركية وقد يطلب اللجوء من الحكومة السورية"[136]. لقد كان وقع هذه الأنباء مثبطة لعزيمة ماتبقى من القوات في جبل سفين. وفي 1961/10/1 وصل (حه ميد بانامي) الى سفين واكد لهم مغادرة ملا مصطفى منطقة بارزان.

من الأهمية بمكان ذكر روح المقاومة وصلابة العود لدى ملا عبدالله ففي ساعات المحنة والإنهيار. وقف صلباً بذكر القلة الباقية بالمبادىء الثورية وشرف المقاومة والتضحية من أجل كرامة الشعب والوطن. ويذكرهم بالفرق بين من يخوض غمار المصاعب وبين الإنتهازي الذي يصل ساعة إقتطاف الثمار. وأن شرف المقاومة هو الآن على عاتق القلة الباقية وسيأتي يوم يشهد لكم التاريخ بدوركم البطولي. فقد إنهارت المقاومة في العديد من المناطق وبقيت قوة سفين تحمل شرف المقاومة. لقد أعاد الثقة والأمل الى القوات الثورية القليلة العدد كلما عاكستها الظروف الصعبة ونمو حالات البأس.

وذكر لي السيد شمس الدين مفتي في مكالمة من هولنده: "كانت الاتصالات في ذلك الوقت بطيئة ولم يكن ممكناً الاتصال مباشرة ببغداد أو أربيل. وكان عدد من الموظفين في شقلاوة وهم من أعضاء الحزب وعلى إتصال بنا في الجبل. فأرسلوا لنا برقية مؤرخة في 1961/9/12 موجهة من ملا مصطفى الى عبدالكريم قاسم يعرض فيها أستعداده للتوسط بين الحركة المسلحة وعبدالكريم قاسم. لكن لم نسمع أي ردّ من عبدالكريم قاسم على الرسالة."[137]

ترى هل كان يريد إنقاذ الوضع وإجراء مصالحة مع النظام ؟

---

135 له ده نكه‌وه بۆكوله گه‌نمه‌كان. عه‌ريف سليمان . ص 147

136 له ده نكه‌وه بۆكوله گه‌نمه‌كان. عه‌ريف سليمان . ص 162

137 مكالمة تلفونية مع شمس الدين مفتي جرت في 2006/9/19

لكن في كل الأحوال وكما يشهد عليه تاريخ العراق الحديث. فإن الروح العسكرية كانت طاغية على عقلية الساسة وهم من العسكر. فقد إعتمدوا على إستخدام القوة لحل المسألة الكوردية رغم الفشل المتكرر والباهض الثمن.

تعرضت قوات الحزب الباقية في مواقعها الى هجمات برية واسعة بدأت في 1961/9/21 إشترك فيها الجيش العراقي والمرتزقه الكورد بهدف محاصرتهم. وكانت تنقص القوات الثورية الطلقات فتقرر. جمع ما أمكن من القارورات الفارغة واعادة ملئها بالبارود من قبل أحد المختصين وهو (وه ستا حمه د نه مين باليساني) لقاء ثمن لكل طلقة.[138]

وفي شهري أكتوبر ونوفمبر إستطاعت قوات سفين أن تقوم ببعض العمليات ضد قوات المرتزقة بتبني أسلوب حرب العصابات وأثبتت جدارة في المعارك رغم النواقص اللوجستية الكبيرة.

ويذكر عريف سليمان:

"في 1961/11/15 ذهبنا الى قرية Betwate لزيارة أنور بگ. كان المشار إليه في ذلك الوقت مشهوراً ومن الأكراد المخلصين. وكما هو الحال مع عباس مامند أغا يعتبر واحداً من رؤساء العشائرالمخلصين. عند وصولنا الى الديوان خانه (دار ضيوف) كان هناك عدد من وجهاء المنطقه ضمنهم (عباس مامند أغا. شيخ حسين. هه مزه أغا منكور. سمايل سوار أغا) وكلهم برفقة عدد من المسلحين يناهز عددهم على المائة شخص. أظهر الجميع إحتراماً فائقاً لنا..................."[139]

"وفي 1961/11/19 عدنا الى قرية (دوله ره قه) وحلت فترة مؤقته من الهدوء. تمكنا من الراحة واستعادة قوانا بعد أن نال التعب من وحدتنا.

وفيما يخص المؤونه وحاجاتنا. فقد كانت تأتي من أهالي المنطقة ومن عباس أغا بالذات. ومن المدن تعاون معنا الكورد المخلصون. فعلى سبيل المثال: حسين حاجي تاهير. كان عضواً في لجنة رانيه. وأرسل لي رسالة معتبراً إياي ممثلاً عن البوليس يقول فيها. إنه يريد خدمة المخلصين من شعبه. وأنتم اليوم مناضلي الحزب قد رفعتم السلاح في الجبال لتحقيق أهداف شعبنا السياسيه.

وأرى من واجبي ونسبة الى إمكاناتي أن أرسل لكم بعض الأشياء بالأخص للبوليس.

شكرناه في جوابنا له لإخلاصه. بعد يومين وصلتنا الأشياء التاليه:

خمسين زوج حذاء من اللاستيك

خمسين يشماخ

خمسين قميص متنوع

---

138 له ده نكه‌وه مؤكوله كه‌نمه‌كان عه ريف سليمان به شي يه كه م. 1949 - 1961. لاپهر 154

139 له ده نكه‌وه مؤكونه كه‌نمه‌كان عه ريف سليمان ص. 169

بقينا في منطقة (Dolereqe) حتى 1961/12/21 . إستمرت القوة بالنمو وأصبحت قاعدة للثورة."[140]

ثم يصف وصفاً دقيقاً شيقاً تحرك مفرزته في 1961/12/22 والقرى التى مروا بها وطبيعة كوردستان الخلابة وعبور النهر. وكان (عمر دبابه. على عبدالله. ملا عه ولا وشمس الدين مفتي. قد تلقوا نبأ وجوب حضورهم للإشتراك في إجتماع قيادة الحزب والذي سيعقد لأول مرة في الجبال في قرية "هه والان". وطلبوا قوة للحراسة بالأخص من البوليس.

"عندما وصلنا وسط قرية (هه والان) استقبلنا جلال الطالباني بحرارة. إستقبل أولاً الإخوة من المسؤولين ثم صافحنا وعبر عن سروره بوصولنا. بعد نيل قسط من الراحة. شعرت بأن جلال كان لوحده بصحبة عدد قليل من الرجال. بقوا في جه مى ريزان. ولم يتمكنوا في تلك الفترة غير حماية أنفسهم. وظهر لي أننا وحدنا في جبل سفين أبدينا المقاومة وتمكنا الحفاظ على قوتنا.

وفي 1961/12/24 أنيط بنا مسؤولية حراسة قرية هه والان والممرات المختلفة المحيطة بالقرية. وتقرر عقد اجتماع القيادة في اليوم التالى. لقد كان هذا الواجب شرف كبير لنا وقد إنتهى الإجتماع بسلام. وعلمت بأن إستدعائنا من (دولى ره ق) كان من أجل حراسة الإجتماع ولأنهم علموا بمدى تفانينا واخلاصنا. إذ لم يكن في جه مى ريزان قوة ذات تجربة مثل قوتنا."[141]

وصل في يوم الاجتماع هذا أعضاء المكتب السياسي المختفين في المدن ومنهم على سبيل المثال: الأستاذ إبراهيم أحمد. عبدالرحمن زبيحى ونوري أحمد طه......الخ

---

140 نه ده نكه‌وه بۆكوله كه‌مه‌كان عه ريف سلێمان ص 197 - 198

141 له ده نكه‌وه بۆكوله كه‌مه‌كان عه ريف سلێمان ص 201



جلال طالباني. علي عسكري. ابراهيم أحمد. كاكه زياد وعمر مصطفى

إستمر إجتماع هه ولان من 25 - 29 /12/ 1961 كنا بحكم وجودنا في الحراسة نجتمع مع أعضاء المكتب السياسي . نأكل سوياً وعلاقاتنا كانت جيدة مع أكثريتهم.

في إحدى الأيام. أثناء تناول الشاي. ذكر إبراهيم أحمد. سكرتير الحزب: "في عام 1958 ذهبنا من العراق لإستقبال مصطفى البارزاني. لم نتمكن من الذهاب الى الاتحاد السوفيتي لعدم موافقته. فانتظرنا في براغ... نزلنا في دار ضيافة كبير. وفي القسم الذي نزلنا فيه. كان خالد بكداش موجوداً. وهو سكرتير الحزب الشيوعي السوري. ومن معارضي النظام السوري. وأيضاً كان معه في نفس القسم. عدد من الجنرالات السوفييت. حصل تعارف بيني وبين خالد بكداش وتعاهدنا خلال هذه الزيارة على التعاون المتبادل.

ولإنجاز شيء خلال الزيارة. رأيت أن التعرف على أحد الجنرالات عن طريق خالد بكداش شيء جيد. لكي أشرح له حالة الشعب الكوردي المستعبد.

قلت: أريد منك أن تعرفني على هذا الجنرال لكي أحيطه علماً بحالة الحزب ب د ك وحركة التحرر الكورديه لكي نضمن مساعدة السوفييت.

أجاب: أنا سكرتير الحزب الشيوعي السوري. حليفهم الأول حتى كنت أعمل نيابة عنهم ضد الحكومة السورية. فمصر وسوريا دولتان بورجوازيتان إتحدتا. والسوفيت إرضاءً لهما أبعدوني عن وطني ويتعاملون معي مثل موقوف.

قلت : ولأي سبب؟

قال: لأن لديهم السلطة والقوة حتى وان كانوا من البورجوازية. أنا لاأملك القوة وليس لدي الإمكانات. يريد السوفييت بناء العلاقات على حسابي مع الطرفين. فإذا تصرفوا معي بهذا الشكل فكيف يكون موقفهم منك. صدقني إن تكلمت معهم حول الشعب الكوردي. لايستمعون لك فحسب إنما قد يسخرون من كلامك.

قلت: إذن أي عمل تفضل ؟

قال: أرى أن تعودوا الى مناطقكم الجبلية الوعرة وتعملوا على تشكيل مفارز مسلحة. قوموا ببعض العمليات هنا وهناك لإرباك الحكومه العراقيه الى ان تتحولوا الى قوة ثورية في المنطقة. عند ذاك. لست أنت الذي يبحث عن لقاء جنرال سوفيتي إنما الجنرال السوفيتي وغيره سيأتون إليك ويتقربون منك. بإختصار ان عالم اليوم هو مع القوة. فكل شعب يملك القوة يحسب له حساب وان لم يكن له قوة لا أحد يبالي به.

هنا إلتفت إبراهيم أحمد نحو أعضاء القيادة وقال: "لقد حان الأن تطبيق أقوال (خالد بكداش) علينا بناء قاعدة الثورة المسلحة وبعد هذا الإجتماع نبدأ بالنضال المسلح في الجبال. لكن أرى وضع إسم مناسب للفرد الذي ينتمي الى هذه (القوة) أوجدوا إسماً كوردياً له وأتركوا الإسم العربي لي. سنطلق عليه إسم (فصائل الأنصار الثورية) لكي نمنح للإخوة العرب فرصة المساهمة معنا في النضال الفكري ضد ديكتاتور العراق."[142]

يظهر أن جلال الطالباني كان يتلقى المعلومات عن تحركات الحكومة من شتى المناطق عن طريق خلايا الحزب السرية المنتشرة بصورة واسعة. فبيوم قبل إنهاء الإجتماع في (هه ولان) أي في 1961/12/28 أبلغ قوة البوليس بالتهيأ لعمل هام معه. لكن دون إعطاء تفاصيل. إنه جزء من العمل السرى في ظروف النضال المسلح.[143]

ويذكر عريف سليمان خبر ورد في عصر يوم 1961/12/30. "إنتشر خبر مفاده أنه تم ضرب خزينة كويه في (شيخ خه روان) والحكومة مرتبكة وقد أرسلت قوات كبيرة ضد أولئك الذين استولوا على الميزانية. ودارت شائعات بأن القوة كانت مؤلفة من أعداد كبيرة. وقتل في الهجوم إثنين من رجال البوليس الذين كانوا يحرسون السيارة التي تحمل الميزانية.

142 له ده نكەوه بۆكوله كەنمەكان عه ريف سليمان. ص 203 - 204

143له ده نكەوه بۆكوله كەنمەكان. عه ريف سليمان ص 207

وعند سماعي النبأ ظهر لي أن جلال والرفاق قد نصبوا كميناً ونجحوا في العملية. سررت جداً بالنتيجة.[144]

ثم يروي أحد أصدقاء عريف سليمان ماسمعه من أخبار طيبة من قادة الحزب: " لقد تقرر إستدامة الثورة وإطلاق إسم "بيشمه ركه" على القوات الثورية.

وتقرر أيضاً وحسب إمكانات الثورة

تأمين إدارة البيشمر كه

وبتوفر الإمكانات. سيتم تحسين معيشة عوائلهم

وعندما تتوفر إمكانات أكثر. سيجري تأمين معيشة عوائل السجناء السياسيين الحزبيين

هذه الكلمات أدخلت سروراً عميقاً على قلب عريف سليمان كما يشير الى ذلك في كتابه.[145]

ثم يذكر حادثة تدل على عدم تأصل القيم الثورية لدى أحد أفراد المفرزة بعد أن إستحوذ على المال فيقول:

"بعد ظهر يوم 1961/12/31 تحركنا سيراً ووصلنا قرية Rezine وقد وصلها لتوه جلال. وبعد تناول قسط من الراحة. طلب جلال جمع المال وعدّه وكانت النقود عند أفراد البوليس التاليه أسمائهم (ع. صمد. عه باس جبرائيل. عه لي حه مه د ره سول. ته وفيقه ره ش) كل واحد منهم كان يحمل 6 آلاف دينار. كاكه حه مه بولقاميش كان يحتفظ بستة ألف دينار وقال انه تعب كثيراً ولن يسلمها حتى يأخذ نصف المبلغ.

ما أن سمع جلال حتى إنتابه الغضب وصاح:

لسنا قطاع طرق نحن نعمل من أجل الثورة. هذه النقود تعود للثورة وليس ملكاً لأحد.

لا أبالي بذلك. اريد نصف المبلغ. ردّ كاكه حه مه.

ليس لأحد الحق في إمتلاك فلس واحد. صرخ جلال. ...حاصروه.. إن لم يسلم المبلغ عاقبوه أشد عقوبة..إنه لص ..قاطع طريق...

كنت في تلك اللحظات أستمع الى جلال. عرفت كم كان مخلصاً ويضحي بالصداقة من أجل الثورة ولايتخلى عن مبادئه مهما كان الثمن. قلت:

---

144 له ده نكه‌وه بۆكوله كه‌نمه‌كان. عه ريف سليمان . ص 207

145 له ده نكه‌وه بۆكوله كه‌نمه‌كان. عه ريف سليمان . ص 208

أرجوك لاتقم بذلك. إن قتل. في نفس هذا اليوم سيصل الخبر الى الحكومة وسيقال إن مسؤولي الثورة يتقاتلون على المال. وسيؤثر ذلك على سمعة الثورة ولايبقى فرق بيننا وبين المرتزقة.[146]

رغم ان جلال تعرف عليّ في تلك الأيام. لم يعارض إقتراحي. قال: تفضلوا قوموا أنتم بحل المشكلة..انه يتمرد ولايقبل إعادة النقود..

قلت: جيد. سنأخذ المبلغ منه بالكلام الطيب. وبعد قليل أستعدنا من (كاكه حه مه بولقاميش) المبلغ وانتهت الأزمة.

وفي نفس تلك الليلة أرسل من هذا المبلغ 13000 دينار الى ملا مصطفى وقد استلمه بعد عدة أيام. فقد ارسل أولاً الى رانيه ليد (باقي حاجي جه لال) وكان تاجراً مشهوراً في رانية وكردياً مخلصاً. ثم وصل المبلغ الى أربيل وسلم ليد (ميرزا كوبي) وكان كاتباً في عدلية أربيل وعضو في الحزب. وأرسل المبلغ الى (كاكه على عسكري). مسؤول لق بادينان الذي كان يرافق ملا مصطفى. وأستلمنا خبر وصول المبلغ ليد ملا مصطفى. كما وصلنا نبأ المعركة التي خاضتها قوات بادينان بقيادة ملا مصطفى في زاويته ضد اللواء الخامس ومرتزقة المنطقه وكانت معركةهامة.

وبعد هزيمة القوات الحكومية في هذه المعركة إضطرت الى الانسحاب نحو دهوك. وتقدمت قوات بادينان نحو سرسنك وسوارد توكا وأقامت المقرات فيها.

دارت هذه المعركة بعد أن رفضت سوريا وتركيا منح حق اللجوء للبارزاني. فبقي في تلك المناطق. وعندما تحرك نزولاً اصطدم بتلك القوة الحكومية في زاويته. هذه المعركة رفعت من معنويات قوات سوران وبادينان.[147]

واضح أن المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني إتخذ قرار مواصلة القتال وتبني أسلوب حرب العصابات (أضرب وأهرب) في إجتماع (هه والان) وقد رأينا كيف أن جلال الطالباني قاد إحدى هذه الوحدات لنصب كمين. وهذا التكتيك من القتال ناجح عندما يكون هناك تجاوب مخلص من قبل السكان القاطنين في منطقة العمليات. وهذا العامل كان متوفراً بقوة.

بدأت الحركة الكوردية عموماً تتحرك على محورين . فأعضاء المكتب السياسي بدؤا حشد المثقفين واناطة المسؤليات بهم. ومن جهة ثانية كان ملا مصطفى يجمع

---

146 له ده نكه‌وه بۆكوله كه‌نمه‌كان. عه ريف سلیمان ص 209

147 له ده نكه‌وه بۆكوله كه‌نمه‌كان عه ريف سلیمان . ص: 210 - 211

العناصر الاقطاعية الوطنية من الأغوات حوله وبنيط بهم المسؤليات. وهنا تشكل اتجاهان متناقضان لا ينسجمان. فالاثنان كانا يبحثان عن الانتصار كل حسب مفهومه الخاص دون مساومات..

هنا نرى أسلوبين: أسلوب تبناه المكتب السياسي في المناطق الجنوبية من كوردستان. فالبعض من أعضاء المكتب السياسي تحولوا الى قادة عسكريين. يتجولون في القرى ويحشدون تأيد القوى التقدمية والمثقفة في المجتمع الكوردي. وبالأخص الفلاحين وهي الطبقة التي وقع على كاهلها عبأ القتال وتقديم التضحيات وتمويل قوات الانصار. فقد قامت الحركة في الريف الكوردي. والمدينة الكوردية متحالفة معه. وقد قرأ قادة الحزب - أعضاء المكتب السياسي - تجارب الثورات التحررية في العالم . ضمنها كتب ماو تمي تونغ الشهيرة عن حرب العصابات وتجربة الثورة الكوبية وثورات أخرى. لم يكن لدى قادة الحزب "القيادة المدنية" عشائر موالية. كانوا مدينيين ونفوذهم مستمد من وظائفهم في الحزب. لقد بدأ أعضاء المكتب السياسي مهامهم الثورية من نقطة الصفر. ونجحوا في عمل تشكيلات ثورية مسلحة بعقيدة التحرير وجهدة التنظيم ذات معنويات عالية. والتزام أخلاقي بقضية الحرية وكرامة الشعب الكوردي وحقوقه. تضاعف عدد الوحدات المسلحة حتى غطت مساحات واسعة من أرض كوردستان الجبلية' في حين ظلت المدن الكوردية نشطة سياسياً وتدعم الحركة الكوردية مالياً ودعائياً وارسال الأخبار عن تحركات الحكومة العراقية. (راجع مقالات الصحفي الفرنسي أريك رولو)

أما ملا مصطفى . فقد إختلف أسلوبه تماماً عن أسلوب المكتب السياسي. تبنى أسلوب نطلق عليه (الحامية العسكرية المتحركة) . فبعد مقاومة بارزان للهجوم المشترك الجهوي - الجيش العراقي بقوات المشاة والمدفعية والطائرات وتتقدمه قوات المرتزقة الكورد - أدرك نظام بغداد صعوبة القتال. فأضطرت الحكومة العراقية على التفاهم مع شيخ بارزان لوقف العمليات. بعد الإحتلال الباهض الثمن لبارزان. هنا غادر ملا مصطفى بصحبة مايناهز 600 مقاتل بارزاني منطقة بارزان لكن سرعان ما التحق به معظم رجال عشيرة نيروه المجاورة لبارزان.

التشكيلة العسكرية تضع ملا مصطفى في الوسط مع حرسه الخاص حيث يؤلف الدائرة الأولى. وتأتي الدائرة الثانية من القوات التي تحيط به على مسافة أبعد. ثم الدائرة الثالثة أكثر بعداً والرابعة وهكذا حسب المتطلبات الأمنية. وحيث تشمل الأراضي المحمية عدة كيلومترات أو العشرات. فالقوات البارزانية تحيط به من جميع الجهات محتلة جميع

المرتفعات المحيطة بالمواقع التي يمرّ بها. وهذا ما جعله في مأمن من محاولات القبض عليه، وعندما ترك مناطق بارزان كان في نيته الإلتجاء الى سوريا.[148]

كان من بين القادة: حسو ميرخان دولمري، حاجي بيروخي، محمد أمين ميرخان ميركه سوري، عمر آغا دولمري، نه سعه د خوشه ڤي، عه لى خه لهل، عيس سوار، عارس بيداروني، حاجكى جه مي، ملا عه بدالله زبوه يي، مه لا شهني بيداروني، ميره دوله ري، عوزه ير محمد خه لانى دوله مه رى، حسين جرجيس بيندرويي، هاشم ميروزي... وآخرين ممن كانت لهم تجارب في القتال. وهذه الحامية المتحركة شكلت قوة ضاربة لاتتمكن القوات الحكومية من السيطرة عليها. وبالنسبة للعشائر المعادية في مناطق بادينان، لم يكن ممكناً مقاومتها عندما تهدد بإجتياح قراها. أما القرى المتجاوبة فقد رحبت بالقوات البارزانية وزودتها بما تحتاج من غذاء. وقد بلغ ملا مصطفى جميع أفراد قواته عدم الإعتداء أو سلب الممتلكات من القرويين. إنما الطلب منهم بلطف تزويدهم بالطعام الضروري لا أكثر. لقد إنضمت كلية عشيرة نيروه الى القوات البارزانية. وأصبح أولاد صالح خانى قادة، منهم حه جي صالح و مصطفى شفيقه. وكانت عشيرة مضحية في سبيل ديمومة الحركة الكوردية. ثم أستمر زحف (الحامية المتحركة) نحو قرى برواري بعد عبور نهر الزاب في 1961/10/24، وفشلت المقاومة التي أبداها محسن بگ برواري، وتمت السيطرة على مناطق برواري بالا. وأستمرّ إلتحاق المواطنين والعشائر بالقوات البارزانية.

كان صالح اليوسفي من العناصر النشطة وقد أدخل الى الحزب العديد من الشخصيات الكوردية ورفع من الوعي الشعبي بعدالة القضية الكوردية والنضال في سبيلها. وكان على عسكري في مناطق بادينان نشطاً في العمل الحزبي والعسكري. عانى من مطاردة القوات المعادية من المرتزقة الكورد والجيش. أنضم العديد من أفراد الشرطة الى قوات الحركة الكوردية مع أسلحتهم واصبح لهم دور مرموق في صفوف الحركة. كانت المخافر رمزاً للاحتلال والظلم. وتتالت بسرعة تخلية المخافر والإلتحاق بالحركة الكوردية وبسهولة.

انتظمت قوات المرتزقة في وحدات تحت قيادة الأغوات في بادينان، فقد أصبح العديد من رؤوساء العشائر قادة كل واحد لمجموعه من المرتزقة. فمحمود أغا الزيباري كان له مجموعته وإبنه زبير كذلك – جدّ وخال مسعود – تولوا عمليات مطاردة قوات البيشمركه بالتعاون مع أبناء شقيق محمود أغا الزيباري (أحمد أغا زيباري) أرشد أغا ولطيف أغا، هؤلاء أيضاً كانت لهم مرتزقتهم، وكانت الحكومة العراقية تعتمد عليهم وتبدي لهم إهتماماً

148 البارزاني والحركة التحررية الكردية . مسعود البارزاني الجزء الثالث . أربيل 2002 ص : 34 - 35

خاصاً لكونهم من أقرباء قائد الحركة ملا مصطفى. فمحمود أغا كان صهر ملا مصطفى. والأخير يحتفظ له بمنزلة خاصة. وتشكلت قوات مرتزقة من معظم العشائر في بادينان.

تركيبة قوات المرتزقة

يتلقون الأوامر من قادة الجيش العراقي
أو من دوائر الأمن

قيادة الجيش العراقي

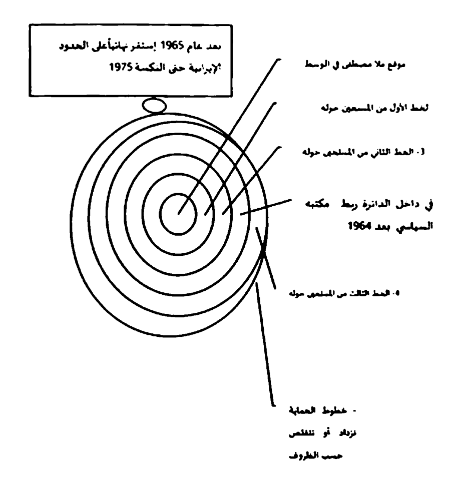
الاغا وأبنائه واخونه وأقاربه
يتقاضون رواتبهم من الحكومة
كمرتزقة وهو الوسيط بين
عشيرته وحكومة بغداد

قادة هم أقرباء للاغا أو من المفضلين لديه
يقودون القوات العشائرية في الجهات يستلمون
رواتبهم من أغا القبيلة. هناك عدد كبير من
الأغوات إنضموا الى القوات الحكومية في
محافظات الموصل واربيل والسليمانية

رجال القبيلة وهم مادة القتال ويحدد رواتبهم أغا القبيلة كيف مايشاء

ويتقدمون الجيش العراقي في الهجوم على مواقع الحركة التحررية
الكردية وهم بالآلاف. خدمت هذه القوات في جميع مناطق كردستان .
إذ تنقلهم السيارات العسكرية الى جبهات القتال حسب الحاجة .ولاء
قبلي للأغا ومستوى التخلف والجهل واضح .

الحامية العسكرية المتحركة (ح.ع.م) يناهز عددها الألف مسلح



بعض الخصائص الملازمة لتكتيك الحامية العسكرية المتحركة:

يمكن أن تحقق الحامية العسكرية المتحركة النجاح في فرض نفوذها عندما تقوم بالعمليات في تضاريس وعرة، يؤيدها الشعب تأيداً قوياً وحزب عصري داعم لها وكان هذا هو الحال عام 1961، فقد كان لنشاط كوادر الحزب الديمقراطي الكوردستاني في الأعوام الماضية في وسط الريف الكوردي والمظالم التي ذاقها سكان الريف الجبلي الوعر على يد الإقطاع الكوردي المسند من قبل حكومات بغداد، قد ساعد على تعبأة الجماهير وراء الحزب تعبئة جيدة، فقد أوجد الأمل من ان الحزب سوف ينقذهم من البؤس والحرمان والإذلال. هنا العنصرالأهم في سيادة نفوذ (ح.ع.م) لكن في غياب هذه العناصر فقد

شاهدنا فشلها أثناء مقاومة البارزانيين عام 1923 – 1936 . بقيادة خليل خوشفي وأحمد نادر وعبدالله كلكه موي. فقد أبيد غالبيتهم لأن المحيط العشائري وقف مع الحكومة العراقية. ولولا التفاف البارزانيين وعقيدتهم لما تمكن ملا مصطفى من تحقيق نجاحات عسكرية بين أعوام 1961 – 1975. ضد كافة خصومه في هذه الفترة الحساسة جداً.

1- موقع القائد محصن في الوسط. وهو بمثابة [الحاكم المدني والعسكري العام المطلق الصلاحيات] لم يكن له منافس في نفس الموقع. ومن حوله مباشرة بعض الخدم للسهر على حاجاته الشخصية. نفس الحامية العسكرية المتحركة التي وصلت خلال أسبوعين الى أذربيجان السوفيتية عام 1947.

2- أصبح هذا الموقع مصدر جميع القرارات من حيث ساعة التحرك والإتجاه وتحديد الأهداف للهجوم أو الراحة

3- ومن هذا الموقع تم إحتكار كل الأموال التي تأتي لمساعدة الحركة الكوردية سواء من الخارج أو الداخل وتحديد أوجه صرفه أو منعه. وبكلمة أخرى تم إحتكار السلطة العسكرية والمالية وهو أمر في غاية الخطورة كما هو معروف فيما يخص فساد السلطة في كل زمان ومكان.

4- كانت هذه القوة عند مرورها. أكبر من أن تقف في وجهها أية قرية كوردية تمنع تقدمها، إنضمت بسرعة قبيلة النيروة الى الحامية العسكرية المتحركة في نهاية عام 1961 وتبعتها قبائل أخرى، كان النشاط الحزبي قد أنمى في أوساط الريف الكوردى الروح القومية والشعور بالغبن من تعامل حكومات بغداد. بالأخص في سلك الشرطة، فقد إنضم الى الحركة معظم رجال المخافر مع أسلحتهم من ذوى أصول كوردية.

5- عندما أيقن ملا مصطفى أنه لاتوجد فرصة للجوء خارج الحدود سواء الى تركيا أو سوريا. وفي ذات الوقت أيّد الشعب الكوردي الانتفاضة غيّر من توجهه. فأخذ يتحرك مع الحامية العسكرية المتحركة داخل كوردستان. سيطر أولاً على المناطق الوعرة النائية المحاذية للحدود التركية. لم يكن الجيش العراقي مهيأ لمقاتلة الشعب الكوردي ومعرفته بمعارك الجبال كانت بدائية الى حد ما . وكان هَم المرتزقة الكورد هو بالدرجة الأولى الحصول على المال.

6- ما أن يسيطر على منطقة معينة حتى يعين واحد من أمنائه في تلك المنطقة. تعين أسعد خوشفي كمسؤول أول في مناطق بادينان. ذكي ويفهم حياة الريف وطموحات سكانه. وتعيّن ملا حمدي كاتباً له. إضافة. عيّن عيمى سوار مسؤولاً في منطقة زاخو وعلى خليل في برواري، كان على خليل شخصية ملتصقة بأماني الفلاحين ويناهض ظلم الأغوات، فأصبحت له شعبية كبيرة. وكان قد درس في الإتحاد السوفيتي وتمتع بروح متواضعة ونزيه. حسو ميرخان دولمري عين في عقره وشيخان وهو أيضاً لم يفسده المنصب أو المال ومن المحبين خدمة شعبهم بإخلاص. جميع هؤلاء موالين لملا مصطفى موالاة غير مشروطة.

وهم حكام عسكريون ومدنيون في نفس الوقت. ولهم صلاحيات مطلقة ولايحاسبون على أعمالهم.

7- وما أن تم له تعين المسؤولين في بادينان، حتى بدأ بالزحف على مناطق سوران لدحر القوات الحزبية إذ لم يكن مرتاحاً لإستقلاليتها وكان الهدف تطويع الحزب وجعله تحت إمرته. وفعلاً وبعد أن هزم مكتبه السياسي فريق [إبرهيم – جلال] وعيّن مكتب سياسي أخر، حدد مكان إقامته ضمن دائرة الحامية العسكرية المتحركة، وقد أصبحت ثابتة. وبذلك فقد المكتب السياسي الجديد استقلاليته. وكانوا بمثابة "موظفين" لدى قائد الحركة ويستلمون منه الأموال. ولعب المثقف الحزبي دور أداة السلطة، والذي يبرر الاستبداد. فتشكلت بمرور السنين داخل الحامية بطانة السلطة وقد تشعبت، منها المباشرة كالندماء، والأقرباء، والمخبرين، وغير المباشرة كالإعلاميين، والكتاب والشعراء، يقومون جميعا بخدمة القائد. ويبررون الاستبداد باسم الأمن العام، والمصلحة العليا للوطن والحفاظ على الثورة.

8- ضخمت الدعاية الحزبية هيبة القوة الكوردية، موجدة لدى الحكومة ومناصريها من المرتزقة، الخوف الشديد. أما قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني فلم يفطنوا الى نوايا ملا مصطفى بخصوص نيته في الهجوم عليهم وتطويع الحزب بالقوة، لقد استمروا في تعظيمه أمام الجماهير الكوردية، قد يكون مصدر ذلك هو الشعور بالخطر المباشر الذي يولد في السيكولوجية حاجة البحث عن شعور بنوع من الأمان وإن كان أماناً وهمياً... ومن هنا الحاجة الى "المنقذ".. ومن هنا تضخيم صورة ملا مصطفى وتقديمه في الخيال الشعبي بالبطل الذي لايقهر... دفع المكتب السياسي نفسه ومعه الشعب الكوردي إلى الفخ الذي صنعه... فقد قادت تلك الدعاية الى تكوين نظرة غير واقعية عن ملا مصطفى ترسخت في المخيلة الشعبية، للتعويض عن واقع هش... أي الهرب من واقع مخيف الى حالة من الشعور الوهمي بالقوة والأمان عن طريق صناعة الدعاية للقائد المنقذ في الخيال الجمعي المتنرفز نتيجة عوامل الخطر المحدقة.

9- لم تكن داخل الحامية العسكرية أقسام للتثقيف السياسي وتهيئة الكوادر، فقد كانت الروح العشائرية ومافيها من تعاون وتعاضد تفي بالغرض. ولم يكن بين البارزانيين حزبيين غير ملا مصطفى نفسه كان رئيساً للحزب الديمقراطي الكوردستاني، فقد كان يحتاج إلى هذه القوة غير الحزبية لضرب الحزب وتطويعه. جميع القادة الذين رافقوه بداية خروجه من بارزان، كانوا يحملون العقيدة البارزانية والمتمثلة في مناهضة الظلم وبالأخص ظلم الأغوات المتحالفين مع الحكومة. كل القادة من المنتمين لقبائل بارزان. لم يكن ولاواحد من هؤلاء حزبياً.

10 - في موقعه وسط الدائرة المحصنة. تعامل ملا مصطفى مع كل ماهو خارج الحامية من موقع القوة. كان يهدد ويفرض شروطه أو يأمر بالتصفية الجسدية لمن يعتبرهم مناوئين. ومن داخل الدائرة كان الزائر يشعر بوضوح بكبريائه وترفعه الشخصي.

11- لكن ما أن يصبح خارج "موقع الحصانة البارزانية". حتى يتغير سلوكه كلية وبشكل منذهل. ويتحول الى عكس شخصيته المعروفة في كردستان. لقاءاته بالشاه والمسؤولين الإيرانيين كشفت عن الإنقلاب الكلي في شخصيته. أذهلت مرافقيه مثل الدكتور محمود عثمان. فكان يقبل يد الشاه ويعلن انه تحت إمرته وفي خدمته.....الخ. وما أن يعود من سفراته الى داخل موقع الحصانة البارزانية تعود اليه شخصيته الصارمة المتعالية.

12- تتمتع الحامية العسكرية بالمرونة وسهولة التكيف لبعض الوقت وفي الظروف العسكرية والسياسية والموقع الجغرافي المحدد. لكنها كانت تميل باطراد الى خوض"حرب جبهوية" وفقدت في النهاية ملكة التأقلم مع التطورات السياسية والعسكرية المستجدة في الشرق الأوسط.

13 - نظراً لإستطلاع السلاح الجوي العراقي اليومية وتوقع الغارات. فقد لازم (ح.ع.م) التحرك السريع وتغير المكان والمواقع لتفادى القصف الجوي والكتمان الشديد لمنع تسرب الأخبار الى الطرف المعادى عن تحركاتها.

14 - من نقاط ضعف (ح.ع.م.) إنها لاتستطيع البقاء الا في المواقع الجغرافية الطبيعية الحصينة مدعومة بإسناد جماهيري واسع. حيث انعدام الطرق لتحرك الدبابات والمدرعات.. فهي ليست مؤهله لحرب عصابات فعالة وراء خطوط العدو. ولاتتمكن من القيام بعمليات في السهول المكشوفة. فأسلحتها خفيفة.

15 - تم إستخدام (ح ع م) ضد قوات المرتزقة والجيش العراقي. كما استخدمها رئيس الحزب ضد قوات الحزب الديمقراطي الكوردستاني – القيادة المدنية - وتغلب عليهم في المعارك التي دارت في مناطق سوران.

16 - اقتصرت على الحرب الجبهوية وإهمال حرب العصابات في السنوات الأخيرة. وانتابها الجمود و عدم مسايرة التطورات السياسية والعسكرية المحلية والدولية..

17 - بقي المكتب السياسي (القيادة المدنية. فريق إبراهيم أحمد وجلال الطالباني) خارج الحامية العسكرية المتحركة حتى عام 1965 . بينما تم وضع المكاتب السياسية اللاحقة بعد عام 1965 داخل إطار (ح ع م) وبهذا تم تدجين أعضاء المكتب السياسي. وفقدوا استقلالية القرار الجماعي وأهمل العمل بدستور الحزب.

18 - ومنذ عام 1965 أصبح وضع الحامية العسكرية المتحركة مختلفاً. تغير موقع ملا مصطفى فيها. فقد ترك وسط الدائرة وأستقرّ الى أقصى الهامش على الحدود الدولية مع إيران في حاج عمران، بعيداً عن الجبهات وشظف العيش. حيث يدير علاقات الحركة مع

العالم الخارجي ويستلم المساعدات من الشاه ومن دول اخرى، ووضع مكتبه السياسي قريباً منه في جومان، أي داخل الحامية. هنا إستقرت الحامية وتحولت طبيعة المجابهة العسكرية مع حكومات بغداد الى عمليات جبهوية. لاطاقة بها للشعب الكوردي، وأهملت حرب البارتيزان، ولم يكن هذا في صالح الحركة الكوردية على المدى البعيد.

19- كما حقق نجاحاً بارزاً تكتيك حرب الأنصار الذي تبناه المكتب السياسي – جلال طالباني، عمر دبابة وأخرون - في مناطق سوران في أعوام 1961 – 1962 – 1963 – 1964 ضد الحكومة العراقية، رغم أنهم بدأوا من نقطة الصفر. لكنهم لم يتمكنوا الصمود أمام هجوم الحامية العسكرية المتحركة لرئيسهم عندما هاجمهم وهزمهم وتعقبهم الى ان التجأوا إلى الأراضي الإيرانية .

20- كان أحد أسباب استقرار رئيس الحزب بعد عام 1965على أقصى هامش الحامية العسكرية المتحركة على خط الحدود مع إيران (قصبة حاج عمران) هو الابتعاد عن القوات الحكومية وهجمات الجيش العراقي الى أبعد نقطة ممكنة. ولضمان سلامة عائلته واتخاذ الحيطة من التغيرات السياسية والعسكرية الغير متوقعة للنجاة. تحولت الـ "الحامية العسكرية المتحركة" الى "ثابتة". وكان مركزه "القائد" على الحدود الإيرانية مما يسمح له سهولة المرور عبر الحدود الى إيران، وبالفعل منها أعلن نهاية الحركة الكوردية في شهر آذار عام 1975 وأخذ بهدوء طريقه الى إيران.

21- من الميزات الهامة ان هذه الحامية شكلت حكم عسكري في جميع مناطق تواجدها. وأضيف اليها جهاز الهاراستن (الأمن) فزاد من تسلطها على رقاب المجتمع الكوردي وتحولها الى جهاز مناوئ للحريات المدنية وترهيب المواطنين. كما تحولت مهمتها الى حام لنظام الفرد الواحد المتمثل في قائد الحركة، وفي ظلها حصل شلل في ديناميكية المجتمع بالأخص في باديناان، وتقهقر ثقافي وسياسي وتم فرض الطاعة المطلقة على الجميع. وخلال عمر الحركة لم يبدل قائد بآخر، ولم يعاقب قائد لقصور في أداء المهام أو الفساد. كان هؤلاء القادة فوق القانون. وبعد بيان آذار عام 1970، وضعت مناطق عقره – شيخان وبشدر تحت نفوذ قادة مرتزقة خلافاً لكل مبادئ الحركة الكوردية والتزاماتها الوطنية. لقد تجمعت بفضل الحامية العسكرية صلاحيات واسعة مكنت قائد الحركة ممارسة الحكم بلا مبالاة أو خوف من أحد، وأينما ساد نفوذها قامت بنشر فهم الطاعة والإذعان لشخص القائد وقلصت مجالات الحرية والنقد.

1962 عام التوسع والمبادرات

بروح ثورية عالية وبلا إمكانات مادية كان الشعب الكوردي يلتف حول حركة التحرر ويحقق الإنتصارات على جيش قاسم وتزداد هيبة الحركة الكوردية في الداخل. نرى من جانب أخر دعم كوردستاني واسع للحركة من كافة أجزاء كوردستان. بالأخص من (پارتي ديموكراتي كوردستان - سوريا - إيران). كامران بدرخان قام بنشاط ديبلوماسي كبير في الخارج. ومن الأهمية ذكر رجلين من أبطال الحركة الكوردية الحقيقيين هم موضع فخر وإعجاب يستحقون كل التقدير لما قدموا من خدمات مرموقة وبكفائة عالية للأمة الكوردية. كلاهما تجاوزا الحدود الاستعمارية المصطنعة. فأعتبرا كوردستان وطناً واحداً. هذان الرجلان هما (عصمت شريف فانلي) و (عبدالله اسحاقي) اسمه المستعار (احمد توفيق) سكرتير الحزب الديمقراطي الكوردستان – ايران – الأخير من أكراد مهاباد والأول من أكراد شمال كوردستان. نزح جده من مناطق (وان) ليسكن في حي الأكراد في دمشق حيث ولد عصمت. كلا الرجلان كانا يحملان أفكار قومية تحررية وتوحيدية شاملة لجميع أجزاء كوردستان. كلاهما تمتعا بقدر هائل من الطاقات الثورية وخدما بسخاء مشهود له. وكلاهما كانا محكومين بالإعدام من حكومة دمشق ومن حكومة طهران. حاول صدام حسين القضاء على الإثنين من خلال عمليات الإغتيال. نجح فيما يخص القضاء على أحمد توفيق عام 1972 في بغداد حيث قتل تحت التعذيب. وأرسل صدام حسين عميلاً له لاغتيال عصمت داخل شقته في لوزان – سويسرا صيف عام 1976- حيث يسكن. نجح عميل صدام اصابة فانلي برصاصتين في رأسه، إذ صوب نيران مسدسه من مسافة لاتتجاوز 20 سنتمتراً. سقط فانلي على الأرض مغشياً. فغادر عميل صدام وهو متأكد من مصرع فانلي. وفي نفس اليوم أقل الجاني طائرة وهرب من سويسرا عائداً الى بغداد. نقل فانلي الى المستشفى وقضى أياماً وهو بين الحياة والموت في ردهة العناية المكثفة في مستشفى مدينة لوزان. لقد أسعفته العناية الإلهية. فنجا من عملية الاغتيال.

كلاهما عصمت وأحمد توفيق أمنا بالنضال الشعبي المسلح (حرب العصابات) وحشد طاقات الأمة على اسس عصرية لنيل حق تقرير المصير للأمة الكوردية المستعمرة والمجزأة. بذلا جهوداً ديبلوماسية كبيرة وبإمكانات محدودة من أجل تعريف القضية الكوردية بالعالم الخارجي وكسر الحصار الإعلامي الإقليمي المفروض على الانتفاضة الكوردية.

كان احمد توفيق يؤيد ملا مصطفى في جميع خطواته ويعظمه إلى حدّ المغالاة. وقد تعّرض لنقد شديد من قبل رفاقه في المكتب السياسي لحدك -ايران – بسبب خضوعه الكلي لملا مصطفى دون مراعاة لإستقلالية الحزب على المدى البعيد. بينما احتفظ فانلي

باستقلاليته الفكرية وتمسك بقناعاته على ضوء مصلحة الشعب الكوردي وحركته التحررية بصورة شاملة.

كانت القضية الكوردية قد تعقدت أكثر من أن تكون على شاكلة النمط التقليدي كباقي المستعمرات الأوروبية في العالم الثالث. فالبلدان العربية كلها عانت من الإحتلال، لكن بقيت أوطاناً لها إسم، في حين، إضافة الى التجزئة، أزيح عن كوردستان الإسم التاريخي للوطن "كوردستان". كي يشار اليها باسم أوطان أخرى الحقت كوردستان بها قسراً. وهذا إجحاف مضاعف بحق الأمة الكوردية. ففي ظل التجزأة الإستعمارية المولدة لشلل النضال السياسي الموحد للأمة الكوردية، إضافة، أنشأت الدول المحتلة لكوردستان، الأحلاف العسكرية والسياسية وتعاونت لسحق المقاومة التحررية الكوردية. ومما اقترحه أنذاك عصمت شريف يوحي تماماً بأنه كان مدركاً لتعقيدات الحالة الكوردية وتشتتها والصعوبات الحتمية التي ستضعها الدول المحتلة امام تشكيل حركة وطنية موحّدة، بل ستحاول الدول شرذمة الحركة الكوردية أكثر فأكثر. هذا التفهم لم يكن بالمستوى المطلوب ضمن أوساط قيادي (حدك).

بعد أن أمّن أحمد توفيق العديد من المساعدات خلال الحزب الديمقراطي الكوردستاني – إيران – للإنتفاضة الكوردية وجد ضرورة بناء علاقات خارجية فسمح له ملا مصطفى القيام بالسفر الى لبنان عبر سوريا سراً. وكانت له علاقات جيدة مع الأحزاب السياسية الكوردية في كوردستان الغربية – سوريا – وما أن وصل لبنان حتى بادر الى إجراء إتصالات واسعة مع الأوساط الصحفية الأجنبية والشخصيات الكوردية المرموقة. ومن ضمن الشخصيات التي إتصل بها كان عصمت شريف فانلي، والأخير كان نشطاً سياسياً حتى قبل اندلاع الثورة الكوردية في جنوب كوردستان عام 1961. كان على أحمد توفيق الحذر الشديد فوجوده في لبنان من ناحية، كان غير قانوني، ومن ناحية ثانية كان عليه الاتصال بالأوساط الصحفية الاجنبية والمحلية في لبنان بشكل واسع ونشر البيانات.

نلقي نظرة على رسائل بعثها فانلي عام 1962، وهو عام حشد الطاقات والمبادرات السياسية، وربما تنشر لأول مرة مقتطفات من هذه الأرشيفات التي احتفظ بها عصمت.

أهمية هذه الأرشيفات هي أنها تشكل إطلالة عميقة على المستقبل وتتطرق الى سبل تحقيق الثورة لأهدافها المشروعة عبر النضال الشعبي المسلح. وفيها إشارات واضحة بأن انتصار الثورة مرهون بما تستطيع ان توفره من عوامل القوة الذاتية والضغط المؤثر على الطرف المعادي. إن ما عبّر عنه عصمت من قناعات لاتزال مؤثرة إلى يومنا هذا. من يقرأ هذه الأرشيفات يدرك ان فانلي تمتع بنظرة ثاقبة ومبكرة على المخاطر القادمة في الأفق البعيد وسعى الى تفاديها. لم تكن هذه المخاطر قد بانت عام 1962، لكنها ظهرت فيما بعد

وأثرت تأثيراً خطيراً على مجمل حركة التحرر الوطنية في جميع أجزاء كوردستان والى يومنا هذا.

أثناء وجوده في بيروت في شهر حزيران من عام 1962 ومعه أحمد توفيق. وقد أمّن أكراد تابعين لأحزاب كوردية من كوردستان - سوريا - مصاريف البقاء في بيروت. كتب عصمت تقارير ومذكرات هامة تتعلق بتقوية الانتفاضة الكوردية المسلحة عن طريق تبني إستراتيجية واضحة. تنسيق النضال والتعاون بين المنظمات والأحزاب الكوردستانية في جميع أجزاء كوردستان وتعريف القضية الكوردية في المحافل الدولية. وذكر عصمت" بينما كنت في بيروت. جاء والدي وأمي لرؤيتي وكان ذلك أخر لقاء لي معهما في حزيران عام 1962".

شكّل العامل الجيوستراتيجي لكوردستان وضعاً يستدعي استراتيجية خاصة تأخذ بنظر الإعتبار الظروف السياسية لجميع أجزاء كوردستان :-

كان من الضروري حماية العلاقات الكوردستانية من التدهور والانزلاق نحو التناحر الداخلي. أي ترصين الوحدة الكوردية ضد محاولات المحتلين الهادفة الى تمزيق العمل الكوردي المشترك والمنسق.

أن لاتشكل الحركة التحررية الكوردية المندلعة في جزء من أجزاء كوردستان المحتلة. عائقاً أمام تطور الحركة التحررية في الأجزاء الأخرى.

تطوير الإقتصاد الداخلي وبالأخص القطاع الزراعي لتقليص أثار الحصار الاقتصادي المضروب على جنوب كوردستان الاعراق -.

ونظراً للمخاطر المحدقة بالشعب الكوردي وحركته التحررية في جنوب كوردستان. كانت الظروف ضاغطة لإيجاد "هيئة عليا" تتمتع بصلاحية إتخاذ القرارات المصيرية. وفيها تتمثل ديمقراطياً قيادات من جميع أجزاء كوردستان لتنسيق العمل النضالي التحرري المشترك. كانت الحكمة تقتضي عدم السماح لحزب واحد أو لرجل واحد التحكم بأقدار الامة المصيرية. فربما في لحظة ضعف أوبسبب الضغوط الإقليمية أو لغايات الزعامة الشخصية قد تلجأ القيادة أو رئيس الحزب الى تنازلات خارجية خطيرة. أو يتخذ موقف يمس صميم مصالح الأمة والوطن. يتلمس المراقب ان عصمت سعى مبكراً الى سدّ هذه الثغرات الخطيرة والتي لابد ان تبرز مع الوقت على طريق النضال التحرري الكوردستاني. فنراه يراسل ملا مصطفى ومكتبه السياسي ويحذر من مغبة الخلافات. في حين ينكرها الجانبان رغم وجودها.

لم يلجأ القادة الى الأسلوب الديمقراطي السلمي لحلّ الخلافات. فالقادة لم يكونوا في مستوى المهام التاريخية لمواجهة التحديات التي تواجه شعبهم. إذ ساد التناحر بشكل مدمر مسيرة الحرب التحررية. ظهر الإنشقاق للعيان عام 1963 بين جناحى ملا مصطفى

وابراهيم أحمد وشعر بذلك معظم الصحفيين الذين زاروا كوردستان في تلك الفترة وكتبوا عنها. ثم استمر الصراع الداخلي في السبعينات والثمانينات والتسعينات. شاملاً جميع أجزاء كوردستان تقريباً والتي ظهرت فيها انتفاضات مسلحة. أي إنخرط في الصراع الداخلي (حدك . ينك – عراق) (حدك – ايران) حزب العمال الكوردستاني (PKK) وأحزاب أخرى. بتدخل وتحريض عراقي – إيراني – تركي وسوري. كان ينقص القادة الكورد الحكمة والنضوج السياسي. لقد حرّف هؤلاء الزعماء المهام الوطنية لقوات الأنصار الكوردية من دفاع عن الحقوق القومية للشعب الكوردي الى اقتتال داخلي لتصفية حسابات الزعامة فيما بينها. والخلافات الداخلية تجرّ معها حتمية طلب المساعدة من دولة محتلة لكوردستان لمواجهة الخصم المحلي. وتقع الحركة الكوردية في لعبة التداول الاقليمية القاتلة. لقد دفع الشعب الكوردي ثمناً باهضاً لمثل هذه السياسة الخاطئة.. عصمت أراد تجنيب الحركة التحررية الكوردستانية هذه المخاطر..

أدرك عصمت أهمية التحالفات الكوردستانية مقابل الأحلاف الاستعمارية الإقليمية والدولية المعادية للأمة الكوردستانية. فكتب رسالة موجهة الى هيئة السكرتارية للحزب الديمقراطي الكوردستاني- ايران – باسم "لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي" وكانت هذه اللجنة قد أسسها قاسملو مع رفاق آخرين. وكتب دستورها ثم عرضها على الشخصيات والأحزاب الكوردستانية للموافقة عليه أو إبداء الملاحظات حوله. فيقول في مذكرته:

" ان لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي سعيدة جداً لما حدث من تعاون وثيق بين حزبكم وبينها. في المدة الأخيرة في الحقل السياسي الخارجي لخدمة المسألة الوطنية الكوردية. ونشكركم بصورة خاصة على رسالتكم المؤرخة في 1962/5/10 والمرسلة لنا بالإشتراك مع (بارتي ديموكرات كوردستان – سوريا) من أجل توثيق التعاون وتنظيمه بين هذين الحزبين وبين اللجنة. ونشكركم على الثقة الغالية التي وضعتموها في لجنة الدفاع وسكرتيرها بناءً على تفويض رسمي من قبل ممثلكم الرفيق عبدالله اسحاقي. في تمثيل حزبكم المجيد والتكلم باسم خمس ملايين من ابناء شعب كوردستان – ايران – في كافة الفعاليات والإتصالات السياسية التي تقوم بها لجنة الدفاع لدى الأوساط الدولية للدفاع عن القضية الكوردية. ان هذا التمثيل شرف كبير للجنة الدفاع وسكرتيرها وكان اصدار البيان الثلاثي من قبل حزبي (حدك –ايران) و (پارتي- سوريا – ولجنة الدفاع في مساندة ثورة كوردستان – عراق – من الأعمال الإيجابية الهامة التي حدثت في ميدان التعاون".

ويمضي الى القول:

"واننا نسجل بسرور بالغ موافقة حزبكم بتاريخ 20 حزيران 1962 على الدستور المؤقت للجنة الدفاع، وبعد مذاكرات وتعديلات حدثت بالاتفاق بين ممثلكم (عبدالله اسحاقي) وسكرتير لجنة الدفاع."

"ومن جملة الاعمال الهامة التي قام بها حزبكم ولجنتنا بصورة مشتركة كان ارسالنا مذكرة لجناب يوثانت U Thant سكرتير عام الامم المتحدة بتاريخ 1962/6/25 لمساندة نداء پيشه فا جنرال بارزاني الذي يدعو الامم المتحدة للتدخل في النزاع القائم بين شعبنا وحكومة قاسم الدكتاتورية واجراء استفتاء تحت اشراف دولي لمعرفة رغبات شعب كوردستان – عراق."

"كما انها تسجل بسرور بالغ بأن المذاكرات بين سكرتيرها وممثل حزبكم قد برهنت على وحدة أرائنا التامة وأدت الى إتفاقيات حول نقاط هامة معينة وستعرض هذه النقاط على جناب پيشه فا جنرال بارزاني والأحزاب الكوردستانية الأخرى الشقيقة. ولنا وطيد الأمل بأنها ستؤدي الى توثيق نشاطها وتوحيد قيادتها في مجلس أعلى تحت رئاسة جناب الجنرال بارزاني ولما فيه صالح شعبنا الكوردي وحركته التحررية الصاعدة."[149]

كتب سكرتير (لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي) عصمت وهو في بيروت، تقريراً مفصلاً موجهاً الى ملا مصطفى رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني والقائد العام للحركة الكوردية المسلحة، فيها تتضح لنا أكثر رؤية عصمت الإستراتيجية.

كان العائق الأساسي متمثلاً في النمط الفكري للقيادة الكوردية والعقلية التى تدار بها حركة تحررية في ستينات القرن العشرين. كان التخلف أمراً واضحاً، من هنا ولسوء الحظ يجد شخصية هو موضع فخر لأمة مهمشاً والأراء التي يبديها لاتعمل بها القيادة لأسباب تعود الى تخلفها وعدم فهمها للعلاقات الدبلوماسية أنئذٍ. لقد شعر عصمت في وقت مبكر بالمخاطر المحتملة على طريق وحدة الصف ووحدة القيادة الكوردية، لذا نراه شديد الحرص ويقدم حلولٍ لتفادي التمزق في المستقبل.

ونجد في رسالته الموجهة الى ملا مصطفى والمؤرخة في 27 حزيران 1962 وهو في بيروت، يقترح عليه وعلى القيادة الكوردية، وبصفته سكرتيراً لـ "لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي" Komitey Parezgari Mafi Netewey Kurd عدداً من المقترحات الهامة ويستهل رسالته: "بناء على التعليمات التي تفضلتم باعطائها لكاك أحمد توفيق فقد جئت الى بيروت للمذاكرة والقيام ببعض المهمات بالاشتراك مع كاك أحمد. ولم يتمكن الأخ العزيز دكتور وريا رواندوزي من المجئ لهنا ولكننا نحن على اتصال مع بعضنا وان الأخ وريا يقدم لكم ايضاً احتراماته وسلامه والى كافة الأبطال المحاربين. وعندما وصلت الى بيروت بتاريخ

149 رسالة من سكرتير لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي الى (حدك) ايران بواسطة عبدالله اسحاقي عضو هيئة السكرتارية بتاريخ 1962/6/25

14 حزيران وجدت ان كاك أحمد وبمساعدة المسؤولين في (پارتي- سوريا) وبعض الاكراد المستقلين الوطنيين. قد قام بنشاط كبير في سوريا ولاسيما في بيروت وأهمها طبع نداء جنابكم الى الرأى العام العالمي بالعربية وطبع منشورات أخرى متعددة منها (ديسان بارزاني) والعدد الأخير من (خه بات) وتوزيع ذلك. ومنها الإتصال بالأوساط الصحفية الاجنبية في بيروت. ومنذ وصولي الى هنا تابعنا العمل معاً. ولاشك أن كاك أحمد عندما يرجع سيقدم لجنابكم تقريراً مفصلاً ويسرد كافة الأعمال ويخبركم عن الأوضاع في سوريا ولبنان وأوضاع المنظمات الكوردية في أوروبا. أود أن أشكر جنابكم للثقة الغالية جداً التي تتفضلون بوضعها في شخصي كما أفهمنا كاك أحمد. كما انني أشكركم نيابة عن أخي وريا. اننا نفتخر بهذه الثقة وكما في الماضي سوف نستمر دوماً في النضال في الطريق الصحيح واضعين مصلحة شعبنا الكوردي وتحرره الوطني وتحرير كوردستان فوق أي إعتبار أخر ونكون بذلك أهلاً لهذه الثقة."

نختصر مقترحات عصمت كما يلي:

قضية أسرى الحرب العراقيين.

أهداف الثورة الكوردية .

الخلافات الداخلية في الحزب الديمقراطي الكوردستاني.

التنسيق في العلاقات الكوردستانية.

الإعلام في الخارج.

شروط الحكم الذاتي.

ويتناول قضية أسرى الحرب فيقول:

أود قبل كل شئ أن أشير الى انني كنت قد أرسلت لجنابكم من سويسرا رسالة تحمل تاريخ 18 نيسان 1962 رقم A/1266 كما كنت قد ارسلت على دفعتين (150) "بطاقة أسير حرب" من طرف (الصليب الاحمر الدولي) وكنت قد ارسلتها بواسطة (پارتي ديموكراتي كوردستان - سوريا) وواسطة مندوبكم في سوريا ولبنان الأخ العزيز المناضل كاك أحمد توفيق. فعساها تكون قد وصلتكم. واننا مازلنا ننتظر وصول بطاقات أسرى الحرب المذكورة الى لجنة الدفاع بعد ملئها من قبل الأسرى العراقيين لدى القوات الكوردية لكي نرجعها إلى الصليب الأحمر الدولي."

يسرني جداً ان اخبر جنابكم بهذا الخبر السار: ان المحادثات الرسمية التي كنت اقوم بها مع الصليب الأحمر الدولي، بصفتي سكرتيراً للجنة الدفاع ونيابة عن قيادة الثورة وباسم قائدها العام جنابكم، قد تكللت بالنجاح: ففي تاريخ 6 حزيران 1962 وافق الصليب الأحمر الدولي رسمياً على التدخل في النزاع بين شعبنا وبين قاسم، حسب مبادئه الإنسانية

والبند الثالث من اتفاقيات جنيف الاربعة في قوانين الحرب الدولية. ففي هذا التاريخ ايضاً أخبرنا الصليب الاحمر الدولي في رسالة موجهة لسكرتارية لجنة الدفاع عن قبوله وكتابته للسلطات العراقية، بواسطة الهلال الاحمر العراقي، عارضاً وطالباً تدخل الصليب الاحمر الدولي في مسائل القتال واسرى والجرحى لاسباب انسانية حسب نظامه. وفي هذا التاريخ ايضاً أخبرنا الصليب الاحمر الدولي في رسالة موجهة لسكرتارية لجنة الدفاع عن قبوله وكتابته للسلطات العراقية. أرسل لجنابكم رسالة الصليب الاحمر هذه (بالفرنسية) مع ترجمتها العربية (وقد احتفظنا بصورتها لغرض الاتصالات القادمة).

أود بهذا الخصوص أن أوضح مايلي: بما أن أهداف الثورة لا تتعدى حدود الحكم الذاتي لكوردستان العراق ضمن الحدود العراقية، كما وضحتم ذلك في ندائكم، فإن الثورة بالنسبة لكافة الأوساط الدولية تعتبر لغاية الآن مسألة داخلية في العراق.

ان دستور الصليب الأحمر الدولي يسمح له أيضاً بالتدخل في الحروب الداخلية بشرط أن يقبل الطرفان المتحاربان هذا التدخل. وهذا يعني بالنسبة للثورة ان تدخل الصليب الأحمر عملياً لايمكن ان يحدث إلا بقبول وموافقة السلطات العراقية (قاسم) وقبولكم، وبما أن قبولكم متوفر ينبغي الآن الانتظار لمعرفة جواب الحكومة العراقية.

إن هذا السبب هو الذي حمل الصليب الأحمر الدولي يتردد خلال أشهر طويلة في الكتابة للسلطات العراقية على أساس أن قاسم سيرفض هذا التدخل. وهذا ما شرحه لي مندوب الصليب الأحمر في مقابلة حدثت في لوزان في شهر ايلول 1961 وكذلك في 19 مايس 1962 ولهذا السبب كان الصليب الأحمر يصرّ على الحصول على قائمة بأسماء الأسرى العراقيين لدى قيادة الثورة الكوردية لكي تكون حجة بيده للتأثير على الحكومة العراقية (بحيث يستطيع في هذه الحالة عرض خدماته لتبادل الأسرى وغير ذلك). ولكن الصليب الأحمر الدولي قبل بالكتابة الى السلطات العراقية قبل وجود لائحة أسماء الأسرى العراقية نظراً للحملة التي نظمناها مؤخراً للتأثير عليه ولاسيما بعد الضجة التي أحدثها ندائكم في الأوساط الصحفية العالمية. ومع ذلك فإن الصليب الأحمر الدولي في رسالته الأخيرة لنا مازال يطلب اللائحة بأسماء الأسرى العراقيين (اي بطاقات اسرى الحرب) لكي يزيد تأثيره على قاسم، فإرسالها ضروري.

وقد تباحثت مع الصليب الأحمر الدولي حول هذه النقطة: طلبت منهم ماذا سيكون موقفهم في حالة تغيير أهداف الثورة وتأسيس حكومة كوردية في كوردستان الجنوبي (أو الأقسام المحررة منه) تحت رئاسة جنابكم؟ فقالوا في هذه الحالة فإن قوانينهم تسمح لهم بالتدخل والاتصال مباشرة بالحكومة الكوردية بدون موافقة الحكومة العراقية، وهذا ممكن أيضا حتى في حالة عدم اعتراف أية دولة أخرى حقوقياً بالحكومة الكوردية لأن

مجرد وجود الحكومة الكوردية كسلطة عملياً موجودة ومسيطرة على قسم مهم من الأرض يكفي.

حول سياسة الثورة تجاه الأسرى العراقيين: إننا نقدر الأسباب التي تجعل قيادة الثورة تطلق سراح الأسرى حالاً بعد تجريدهم من السلاح والاحتفاظ فقط بعدد قليل جداً منهم من المجرمين أو ذوي المراكز المهمة. ونحن نعرف ان أسباب هذه السياسة هي أولا إنسانية جنابكم، ثم الدعاية داخل العراق ثم عدم توفر الإمكانيات لتغذية عدد كبير من الأسرى ولاسيما خلال الشتاء الماضي. اعتقد بأنه من اللازم إعادة النظر في أساس هذه المسألة. وإن رأي (وكذلك رأي وريا) هو ضرورة اتخاذ التدابير للاحتفاظ بأكبر عدد من الأسرى العراقيين، وذلك للأسباب التالية وحسب الخطة التالية:

أولاً : قتل أكبر عدد ممكن من الضباط والجنود القاسميين اثناء المعركة وفي نهايتها بغية تحطيم جيش قاسم تدريجياً.

ثانياً : الإحتفاظ بالأسرى الباقين وعدم اطلاق سراحهم وتنظيم معسكرات اعتقال لهؤلاء الأسرى.

ثالثاً : بخصوص مسألة تغذية الاسرى فقد تباحثت في هذه النقطة مع الأخ أحمد توفيق، وهو يقترح اصدار بيان على الشعب العراقي من قبل جنابكم تعلنون فيه عن تغيير سياستكم تجاه الأسرى وانكم ستحتفظون بهم في معسكرات اعتقال وتعاملونهم باحترام ولكن نظراً لأن قاسم يدمر بطائراته مزروعات كوردستان وتأخر الحالة الإقتصادية فانكم تطلبون من أبناء الشعب العراقي الكريم أن يرسل الاغذية والألبسة بكافة الطرق الممكنة لكوردستان لتغذية الأسرى.

رابعاً : إذا وافقتم على هذه الخطة في الإحتفاظ بالأسرى يكون ذلك في يد الثورة وسيلة ضغط قوية على قاسم ودعاية مهمة جداً في الأوساط الدولية يمكن إستغلالها لأكبر حدّ. مثلاً إذا وافقتم على ذلك سأكتب الى الصليب الأحمر الدولي من جديد ضمن فعاليات لجنة الدفاع وأخبرهم عن إحتفاظكم بمئات (أو آلاف) الأسرى، وانه نظراً لسوء الحالة الإقتصادية في كوردستان بسبب القصف الجوي فان جنابكم تطلبون من حكومة قاسم نفسه ارسال المأكل والملابس والادوية للأسرى ولكن عن طريق الصليب الأحمر الدولي. ان الصليب الأحمر الدولي سيكون بدون شك مسروراً جداً من ذلك اذ ان مركزه وامكانية الضغط على قاسم دولياً ستكون أقوى ويصبح قاسم في مركز حرج، فإما ان يقبل تدخل الصليب الأحمر الدولي رسمياً وارسال بعثة صليب لكوردستان والعراق واما لايقبل ولكنه اذا رفض يتحمل أمام الرأي العام العالمي والعراقي مسؤولية موت مئات الأسرى العراقيين من الجوع. وبالإضافة الى هذا ستحدث دعاية دولية ضد تدمير قاسم بطائراته لمزروعات كوردستان .

الفكرة ان مساعدات الشعب العراقي للأسرى ليس من الضروري أن تحدث عن طريق الصليب الأحمر (واذا حدثت عن طريقه وهذا ممكن أيضاً فأحسن) أما مساعدات قاسم الرسمية للأسرى فيجب ان تحدث بواسطة الصليب الأحمر الدولي.

طبعاً لكي ينجح المشروع من اللازم أن تقوم القوات الكوردية بهجوم وتأخذ بضعة مئات من الأسرى عملياً وتحتفظ بهم. وحال وصول هذا الخبر لي مع عدد الأسرى وأسمائهم ورتبهم سأقوم بالاتصال بالصليب الأحمر الدولي كما هو مذكور أعلاه.

أهداف الثورة

أولاً : إن قاسم، بالرغم من نجاحات الثورة العسكرية، مستمر في عناده الأحمق وفي غاراته الجوية وافتراءاته الكاذبة ولايبدو ابداً بانه مستعد للتنازل والاعتراف بالحكم الذاتي. انه يعرف إن اعترافه بذلك معناه فشله التام وهذا يؤثر على مركزه وربما يؤدي – على الأكثر – الى انهيار حكمه الفردي وهو لا يريد ذلك. وطالما استمر هذا الوضع: قاسم يحكم باسم العراق في بغداد والثورة مسيطرة على أجزاء هامة من كوردستان فإن حلّ المسألة معقد جداً وربما يدوم اشهر عديدة بل سنوات. لذلك ينبغي فحص كافة الإمكانيات لعدم إطالة الوضع الحالي كثيراً.

ثانياً : ان الرأي العام العربي المعارض في العراق لايعتمد عليه كثيراً بنظري لإجبار قاسم على التراجع. فالحزب الشيوعي العراقي، بالرغم من كافة مناشيره، مازال يؤيد قاسم عملياً وله سياسة ذات وجهين لا تخدع أحداً. أما جماعة الجادرجي فهم أكثر اندفاعاً ضد قاسم ولكنهم ضعفاء. لذلك ينبغي على الثورة أن تعتمد على قوتها فقط لحل المسألة.

ثالثاً : ان البلاد الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي، لمصالحها الإستراتيجية والتجارية، مازالت تؤيد قاسم مادياً أو على الأقل سياسياً ومعنوياً في المجالات الدولية، وكذلك اقتصاديا.

رابعاً : إن البلاد الرأسمالية لا تحب قاسم ولا تؤيده ولكن عندها مصالح بترولية في العراق وهي لذلك لا تتدخل مطلقاً في المسألة ولا تعطي مساعدات لا الى قاسم ولا إلى الثورة. ومن جهة ثانية ان البلاد الرأسمالية هي حليفة لتركيا وايران وليست مستعدة للتدخل في المسألة الكوردية أو مساعدتها سياسياً. أمام الأمم المتحدة لأن الأتراك والإيرانيين لايريدون ذلك ويخافون من الحركة الكوردية .

كل ما في الأمر ان الأوساط الصحفية فقط (صحف راديو، تلفزيون) في البلاد الغربية تدافع عن الثورة الكوردية لكراهيتهم لقاسم (وللعرب بشكل عام) ولان قسماً منهم عندهم عطف طبيعي على الحركات القومية (إذا كانت غير شيوعية الاتجاه بل مستقلة فقط.)

خامساً : هذا لايعني مطلقاً أن الأبواب ستبقى مسدودة ومغلقة أمامنا. فكل شيء يتوقف بالدرجة الرئيسية على قوة الثورة وصمودها وتوسعها. ومثال الصليب الأحمر

الدولي خير دليل. فبعد تردد دام منذ بداية الثورة قرروا التدخل بعد ان رأوا ان الثورة مستمرة وناجحة وبعد ان أعطيت مقالات الصحف الأوروبية والغربية بشكل عام نتائج ملموسة في إيجاد رأي عام عالمي لصالح الأكراد. إن هذا الرأي العام العالمي مازال بحاجة الى التغذية والدعاية لكي ينمو ويؤثر على الدول والحكومات نفسها. وتغذيته ليست الا اخبار الثورة واستمرارها في اتصالاتنا الدولية على ضوء ذلك واذاعتها. وان لجنة الدفاع ستستمر في اتصالاتها ودعاياتها وتزيد منها.

سادساً : بالإضافة الى قوة الثورة نفسها واستمرارها وتوسعها هنالك مسألة أساسية مهمة أيضاً للتأثير على الأوساط الدولية: الا وهي اهداف الثورة السياسية وقالبها التنظيمي.

لقد أعطيت أعلاه مثالاً عن موقف الصليب الأحمر الدولي تجاه الثورة في حالة تأسيس حكومة كوردية.

ان هذا صحيح ايضاً ولاشك بالنسبة للأمم المتحدة. بالنسبة للأمم المتحدة، ان هذه الثورة مازالت مسألة داخلية عراقية طالما ان هدفها هي الحصول على الحكم الذاتي ضمن العراق. ان هذه السياسة تضعف موقفنا كثيراً في المجالات الدولية. لأن الامم المتحدة والدول الأجنبية مهما كانت لاتتدخل في مسألة إذا كانت داخلية ولاسيما في مسألتنا المعقدة. إننا نقدر الاسباب التي تجعلكم تقتصرون على طلب الحكم الذاتي فقط ضمن العراق. واعتقد انها كما يلي:

أسباب عراقية داخلية لكسب المعارضة الديمقراطية العربية في العراق لهذا الهدف.

وربما هناك معارضة كوردية داخلية من قبل بعض اليساريين النظريين لجعل أهداف الثورة تتعدى الحكم الذاتي الى مجال المطالبة بالاستقلال حسَبْ مبدأ تقرير المصير.

أعتقد إن الفوائد التي يمكن ان نحصل عليها من الرأي العام العراقي بالاقتصار على الحكم الذاتي لا تساوي أبدا الفوائد التي نحصل عليها، في حالة تأسيس حكومة كوردية، من الأوساط العالمية الدولية.

فالفوائد في المجالات الدولية أهم من عطف بعض العراقيين العرب. ومن جهة ثانية من المؤكد ان قاسم والعرب كلهم بشكل عام وكذلك الإيرانيون والأتراك يعرفون تماماً إن الحكم الذاتي لكوردستان لن يكون الى مرحلة قصيرة قبل الخطوة التالية نحو تأسيس دولة كوردية. لذلك فان قاسم والاوساط العربية بشكل عام لايعجبهم ولايريدون حتى الموافقة على حكم ذاتي، بل فقط على بعض الحقوق الكوردية واعتبار كوردستان العراق جزءً من البلاد العربية وهذا شئ يرفضه شعبنا.

هناك شئ من التناقض بين المطالبة بالحكم الذاتي من جهة وبين المطالبة باجراء استفتاء تحت اشراف الامم المتحدة لاستشارة شعب كوردستان العراق حول مطاليبه ورغباته. اذ من المؤكد ان الاستفتاء سيؤدي الى انفصال كوردستان حسب آراء شعبنا.

إن توسيع أهداف الثورة السياسية وتوسيع الأهداف من مرحلة المطالبة بالحكم الذاتي الى المطالبة بحق تقرير المصير دولياً يجب ان تتماشى مع قوة الثورة العملية.

وأعتقد ان الظروف الدولية والمحلية وقوة الثورة قد وصلت لدرجة تسمح بها للشروع في المرحلة الجديدة، بل ان ذلك ضروري ولازم. اعتباراً من اليوم الذي شكل فيه الجزائريون الوطنيون الحكومة الجزائرية الموقتة قد ازدادت أهمية الحركة الجزائرية في المجالات الدولية، هذا مع العلم ان الثورة الجزائرية لم تتمكن من الاستيلاء على مقاطعات جزائرية بل ان الحكومة الجزائرية موجودة في الخارج (قاهرة ثم تونس) في حين ان الثورة الكوردية تسيطر عملياً على مقاطعات وأراضي واسعة. أي ان وضع الثورة الكوردية من هذه الناحية فقط هو أقوى من الثورة الجزائرية قبل ثلاث أعوام مثلاً. طبعاً ان الثورة الجزائرية كانت تستفيد من المساعدات المادية والمعنوية والسياسية التي تقدمها البلاد العربية والحكومات الإفريقية – الأسيوية. من هذه الناحية ان وضع الثورة الجزائرية قبل عدة سنوات كان أقوى من وضع الثورة الكوردية. مع العلم ان الوضع العسكري للثورة الكوردية هو أفضل من وضع الثورة الجزائرية في ذلك التاريخ. ولكن المساعدات المعنوية والسياسية للثورة الكوردية ستزداد في الحقل الدولي ابتداءً من اليوم الذي تعلن فيه قيادة الثورة بكل صراحة وجرأة انها تعمل لتحرير كوردستان (العراق) حسب مبدأ تقرير المصير.

ولهذه الأسباب ولكي لانغلق الباب نهائياً أمام امكانية تحقيق الحكم الذاتي، أقترح على جنابكم الخطة التالية:

أولاً: القيام بتأسيس أو تأليف "الحكومة المؤقتة لجمهورية كوردستان العراقي ذات الحكم الذاتي" (يكون الاسم بالفرنسية كما يلي:

Le gouvernement Provisoire de la République Autonome du Kurdistan Irakien

ثانياً: ان انشاء هذه الحكومة الذاتية الموقتة يجب ان تكون برأستكم ورئاستكم فقط انتم الذين عندكم ثقة وتأييد الشعب الكوردي ومنظماته في كل كوردستان، والمعروفون دولياً.

ثالثاً: ان تأسيس هذه الحكومة يجب ان يكون حالاً أو بأقرب وقت بعد أخذ الاستشارات اللازمة لتأليفها بدون أي تردد، وأن الأكراد الذين لايوافقون على تأليف الحكومة سينظر اليهم شعبنا بإزدراء ويفقدون كل أهميتهم (إذا كان مازال عندهم أهمية). ومن المستحسن قبل اذاعة خبر تأسيس هذه الحكومة وصول الإذاعة الصغيرة لإذاعة ذلك.

رابعاً: من الضروري ان تكون هذه الحكومة ليست حكومة على الورق بل عندها نواة ادارة لحكم المنطقة التي تسيطر عليها الثورة. ومن الضروري بصورة خاصة أن تقوم الحكومة الكوردية بجباية الضرائب وتعيين قوات جندرمة أو شرطة مرتبطة بقيادة الثورة.

إن خبر تأسيس هذه الحكومة ولاسيما بواسطة اذاعة ستلهب حماسة الشعب الكوردي وتتضاعف قوة الثورة في أيام. ويجب على الإذاعة ان تطلب من الضباط والمهندسين والمثقفين الالتحاق بقيادة الثورة التي هي رئاسة الحكومة للمساهمة في الثورة والإدارة.

خامساً: أرى ان تاريخ أول آب او 15 (وفي آخر تقدير اول ايلول) هو تاريخ مناسب لاعلان تأسيس الحكومة المؤقتة.

سادساً: (هام) عندما تعلن الحكومة المؤقتة عن تأسيسها تصدر بلاغاً رسمياً موجهاً بشكل إنذار الى قاسم تطلب منه فيه الاعتراف بالحكومة الكوردية المؤقتة والحكم الذاتي في فترة ثلاث أشهر فقط (من أول آب الى أول تشرين الثاني) ويكون في البلاغ نداء موجه الى الرأي العام العراقي لإجبار قاسم على الاعتراف بذلك حفظاً للوحدة العراقية وصداقة العلاقات الكوردية العربية. ويقول البلاغ في حالة عدم اعتراف قاسم بالحكومة الكوردية المؤقتة والحكم الذاتي خلال هذه الفترة، أو عدم اعتراف أية حكومة عراقية أخرى بذلك (في حالة طرد قاسم خلال فترة ثلاث أشهر) فإن الحكومة الكوردية المؤقتة ستتخذ التدابير اللازمة حالاً لعرض المسألة الكوردية امام الأمم المتحدة وحلّ المسألة الكوردية دولياً حسب مبدأ تقرير المصير ويكون قاسم مسؤولاً عن إنهيار الوحدة العراقية. انني متأكد بأن العرب وقاسم سيخافون من تأسيس الحكومة المؤقتة وهناك احتمال كبير في أن يعترفوا بها ويتراجعوا، ولاسيما اذا سبق أو رافق تأسيس الحكومة المؤقتة نجاحات عسكرية كوردية، واخذ أسرى والاحتفاظ بهم، وهذا ضروري.

سابعاً: (هام) اذا مرت فترة ثلاثة أشهر بدون اي اعتراف عراقي بالحكومة الكوردية المؤقتة والحكم الذاتي، تذيع الحكومة بلاغاً جديداً تعلن فيه انها غيرت اسمها واصبح اسمها كما يلي: (الحكومة المؤقتة لجمهورية كوردستان الجنوبي) وترفع العلم الكوردي وتعلن استقلالها وترسل وفداً حالاً للامم المتحدة لمحاولة عرض المسألة الكوردية امام الامم المتحدة وحل المسألة الكوردية دولياً حسب مبدأ تقرير المصير.

من المحتمل كثيراً في هذه الحالة ان لايتمكن الوفد حالاً من عرض المسألة الكوردية امام الامم المتحدة، لكن هذه مسألة وقتية فقط، فإذا لم يتمكن في الشهر الأول سيتمكن في الشهر الثاني او الثالث عل الأكثر. إنها مسألة وقت فقط وتتعلق بقوة الثورة الكوردية وبالوعود التي يمكن ان يعطيها الوفد في النواحي الاقتصادية لبعض الدول الأجنبية. وعلى

كل حال ان ذهاب الوفد إلى مقر الأمم المتحدة سيثير ضجة صحفية عالمية وهذه تساعد جداً على عرض المسألة رسمياً بعد مدة قصيرة على الامم المتحدة.

ثامناً: من المستحسن ان يسبق ذلك أو يترافق مع نجاحات عسكرية جديدة. اذا امكن رسم خطة للقوات الكوردية للاستيلاء فجأة على منشئات النفط في بابا كركر وعين زالة فسوف يؤدي ذلك بالتأكيد إلى جعل المسألة الكوردية حالاً دولية وفتح أبواب الامم المتحدة أمامها.

ومن اللازم في حالة الإستيلاء على منشئات البترول عدم مسها واصدار بلاغ بأن الحكومة الكوردية لن تؤمم النفط الكوردي بشرط ان تدفع الشركات موارد نفط كوردستان الجنوبي الى الحكومة الكوردية وليس الى حكومة بغداد.

أما إذا ماطلت شركات البترول ولم يفتح باب الأمم المتحدة حالاً فيمكن إصدار بلاغ يهدد بنسف منشئات البترول إذا لم يحدث ذلك.

تاسعاً: إن منصب رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة في دولة كوردستان الجنوبي في حال تأسيسها، يجب ان يكون منصباً واحداً (أي حكم رئاسي) ويكون كل ذلك في يد جنابكم ويكون في يدكم طبعاً قيادة القوات الكوردية: ان هذا التركيز ضروري ولاسيما في حالة حرب. أما اذا قبل قاسم او أية حكومة عراقية أخرى بالحكم الذاتي لكوردستان العراق خلال فترة ثلاثة أشهر، فيمكن اعتبار رئيس الجمهورية العراقية (أو مجلس السيادة) كرئيس لجمهورية كوردستان العراق ذات الحكم الذاتي، وتكون رئاسة الوزارة في يد جنابكم (أقصد رئاسة الوزارة الكوردية ذات الحكم الذاتي).

عاشراً: من الضروري في كل من الحالتين (حكم ذاتي او إعلان الاستقلال) احترام الأقليات ولاسيما التركمان وفتح مدارس لهم بلغتهم لكي لا تتخذ تركيا من ذلك حجة لمهاجمة كوردستان الجنوبي.

الخلافات الداخلية للحزب الديمقراطي الكوردستاني

حول الأوضاع السياسية الداخلية للحركة الكوردية في كوردستان العراق:

كنت قد سمعت [150] عن وجود بعض الفوضى وبعض الاهمالات في خدمة الثورة من قبل عدد من الاخوان العاملين في المكتب السياسي البارتي ديموكراتي كوردستان – عراق)

---

150 لاتشك ان (أحمد توفيق) هو الذي ذكر لعصمت موضوع الخلافات بين ملا مصطفى والمكتب السياسي .وقد رد جلال الطالباني والمكتب السياسي على رسالة عصمت بالنفي التام لمثل هذه الشائعات. واتهم جلال الطالباني (أحمد) بإثارة الخلافات عمداً. كما يدحض تهمة "تخاذل" المكتب السياسي في القيام بدوره في الثورة خلافاً لما أشاعه (أحمد توفيق) ويصفه بـ "العنصر المخرب" في رسالته المؤرخة في 1963/7/9 والموجهة الى عصمت وبشأن الخلافات مع ملا مصطفى. يكتب جلال الطالباني: "لاريب ان في رسالة البطل البارزاني المكرم الجواب الشافي الكافي على هذه المزاعم

ولاسيما خلال فصل الشتاء الفائت. ولعل ذلك كان ناتجاً عن الاستعداد غير الكافي للثورة أو عن قلة تجارب أولئك الإخوان في مسائل التنظيم الثوري والقيادات العسكرية. وكنت تكلمت عن هذه المسألة في رسالة الى جنابكم وفي رسالة اخرى موجهة للمكتب السياسي لپارتي – عراق وقد أبديت فيها بعض الملاحظات الانشائية وبعض الانتقادات الأخوية الإنشائية تجاه المكتب السياسي (عراق). وقد اطلع كل من المكتب السياسي (لپارتي سوريا) وعضو الهيئة السكرتارية (لحزبي ديموكراتي كوردستان) – ايران، كاك أحمد توفيق، على تلك الرسالة ووافقوا على محتوياتها وأيدوها.

ولا ادري الآن تماماً ما هو الموقف من هذه الناحية. بعد حملة الربيع الظافرة التي قامت بها الثورة فيما اذا كان أولئك الإخوان المسؤولين في المكتب السياسي لپارتي– عراق قد تداركوا الموقف المذكور واشتركوا بشكل كاف في توسيع الثورة؟

ان العدد الأخير من (خه بات) عدد جيد في إتجاهه وصموده وصراحته ويدل على ان أولئك الاخوان قد تداركوا الموقف:

أ _ فاذا كان الامر كذلك فهذا هو المطلوب. وان وحدة الصفوف تحت قيادة واحدة هي قيادتكم الحكيمة شئ لازم ولاسيما في ظروف الثورة والنضال ضد العدو. وفي هذه الحالة فإن لجنة الدفاع، التي ينص دستورها على العمل لتوحيد الصفوف والجهود لصالح الحركة التحررية الكوردية، تعرب عن ارتياحها الشديد لذلك.

ب – أما اذا كان الوضع ليس كذلك وكان التزام أولئك الاخوان في الثورة ضعيفاً وكفائتهم قليلة وكانت الإهمالات مستمرة ولاسيما تجاه قيادة الثورة العليا الموجودة بين يديكم، فهناك ثلاثة حلول ممكنة لهذا الوضع:

الحل الأول : عقد مؤتمر أو على الاقل كونفرانس للپارتي العراقي بحضور جنابكم في احدى المناطق التي تسيطر عليها الثورة واجراء انتخابات جديدة للمكتب السياسي ومحاسبة الاخوان الذين اهملوا أو أخطأوا بالعدل وبقدر إهمالاتهم.

التي يروجها الاعداء ويحلمون بتحقيقها بل وسعوا لايجاده وتوسيعه وخلقه. ولكن ياترى ما موقفنا قادة الحزب من ذلك؟! خلاصة موقفنا:

لاصحة لمزاعم الأعداء ابداً.

اننا لانسمح بوجود خلاف بيننا وبين البارزاني مهما كلف من ثمن.

اننا مستعدون لترك القيادة لعدم اعطاء المجال لاي خلاف مع البارزاني

اننا لاندافع عن انفسنا وأشخاصنا ابداً بل عن الحزب واهدافه ومبادئه.

اننا نسعى لتوحيد الاجتهادات المتعددة التي تحدث عادة في الاحزاب الديمقراطية سواء كان مع البارزاني أو مع الآخرين من اللجنة المركزية والمكتب السياسي نفسه.

الحل الثاني : بدلاً من الحل الأول: حل البارتي لنفسه في مؤتمر او كونفرانس واستبداله بـ "جبهة تحرير كوردستان العراق" (مثل جبهة تحرير الجزائر) وتكون هذه الجبهة فعلاً جبهة متكونة من كافة العناصر الكوردستانية المخلصة سواء كانوا أعضاء في البارتي المحلول أم مستقلين مخلصين عاملين في خدمة الثورة. إن هذا الحل الثاني يستوجب ايضاً تغيير أهداف الثورة رسمياً من الحكم الذاتي الى المطالبة علناً بممارسة حق تقرير المصير بما فيه الاستقلال وجعل المسألة الكوردية دولية. كما ورد سرد ذلك في اعلى هذه الرسالة. وذلك لأن جبهة التحرير لايمكن ان تعني الحكم الذاتي بل حقاً تحرير كوردستان العراق. ولكن حل البارتي لنفسه أمر غير صحيح أو مناسب في الظروف الحالية.

الحل الثالث : ان هذا الحل هو حل وسط ويجمع بين الحلين السابقين. أي
اولا: عقد مؤتمر او كونفرانس للبارتي وانتخاب مكتب سياسي جديد له!
ثانيا: المحافظة على البارتي ذي القيادة الجديدة وفي الوقت نفسه تأسيس (جبهة تحرير كوردستان العراق). ودخول البارتي في الجبهة كحزب بالاضافة الى دخول العناصر المستقلة الكوردستانية الوطنية فيها.

جناب بارزاني: نرجو ان يكون معلوماً لدى جنابكم ولدى الاخوان الثوار الابطال بان الاكثرية الساحقة من ابناء الشعب الكوردي في كل كوردستان وان (حزبي ايران) و (بارتي سوريا) والهيئات الكوردستانية في كوردستان تركيا ولجنة الدفاع وقاعدة البارتي العراقي هي كلها معكم والى جانبكم وتضع ثقتها في شخص جنابكم كقائد عام للثورة ورئيس الحركة التحررية الكوردية بشكل عام. ولذلك. اذا كان الوضع لم يتغير. فاننا نعتقد بأنه ليس لكم الحق في ان تترددوا في تنفيذ الحل الذي يبدو لكم صحيحاً وقابلاً للتنفيذ بسرعة بدون ان يحدث انقسامات داخل الحركة الكوردية. إن مصلحة الثورة هي فوق كل اعتبار ويجب تطهير الاحزاب والمنظمات الكوردية من كافة العناصر الضعيفة أو غير الكفوءة أو المتذبذبة اذا كان حقاً موجودة وجنابكم ادرى بالاوضاع وبمصلحة شعبنا وحركته الثورية.

أما أموال الثورة التي غنمتها من الحكومة (ثلاثين ألف دينار) بمساهمة البطل الثائر كاك محمود كاواني والتي اخذت الى السليمانية وبقيت الثورة في لواء الموصل محرومة منها طوال فصل الشتاء القاسي. فمن الضروري ان تأمروا بارجاعها الى صندوق الثورة لدى جنابكم وان يحدث صرفها بعلمكم وحسب حاجيات الثورة والثوار وبالعدل بين كافة المناطق الثورية. (وقد أخبرني كاك أحمد توفيق بهذه المسألة)

كما اشار عصمت الى الخلافات داخل المنظمات الكوردية في كوردستان - سوريا .

ان الأوساط الكوردية في سوريا تريد مساعدة الثورة وقد أمنوا مصاريفنا هنا في بيروت. ولكن الذي يؤسف له توجد خلافات متعددة بينهم وهذا من شأنه عرقلة مساعداتهم للثورة وتنظيم الاتصال بين جنابكم وبين لجنة الدفاع في الخارج. وقد حاول الأخ أحمد توفيق أثناء مروره في سوريا إصلاح الخلافات ولم ينجح في المرة الأولى. وقد استفدت من وجودي في بيروت وكتبت عدة رسائل فيها مقترحات لجمع الصفوف الى كل من الإخوان دكتور نورالدين وقدري بك وحسن أغا وعثمان صبري. وعندما سيرجع الأخ أحمد عن طريق سوريا سيحاول من جديد مصالحتهم على أساس تلك المقترحات وإذا لم ينجح فسوف يدرس ويؤمن الاتصال بالشكل المناسب.

<u>تنسيق العلاقات الكوردستانية</u>

(11) حول انشاء (مجلس أعلى لقيادة الاحزاب والمنظمات الكوردستانية):

أعلمني كاك أحمد توفيق عن محادثات سابقة جرت بعلمكم لانشاء قيادة مشتركة سياسية للاحزاب الكوردستانية وعن جهود الأخ أحمد لإقناعكم بترأس هذه القيادة. وعن اتفاقات جرت بصورة خاصة حول هذه النقطة بين (حزبي .. - إيران) و (پارتي .... سوريا) وعن عدم إجابة البارتي العراقي على هذا المشروع. إن عدم إجابة المكتب السياسي للبارتي العراقي على هذه المسألة الحيوية شئ مؤسف وخطأ.

وقد تباحثت في المسألة مع كاك أحمد وتوصلنا الى هذه النتيجة:

اولا : ضرورة انشاء "مجلس أعلى لقيادة الاحزاب والمنظمات الكوردستانية"

ثانياً : يكون هذا المجلس تحت رئاسة جنابكم

ثالثاً : بالاضافة الى جنابكم يتألف المجلس من ممثلين اثنين أو ثلاثة لكل من المنظمات والاحزاب التالية:

الحزب والمنظمة الكوردستانية في كوردستان - تركيا.

حزبي ديموكراتي كوردستان ي- ايران.

الحزب الديمقراطي الكوردستاني- عراق.

پارتي ديموكراتي كوردستان -سوريا.

لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي.

رابعاً : ان المجلس الأعلى المذكور هو أعلى هيئة تنظيمية في الحركة التحررية الكوردية لكل أجزاء كوردستان. وهو الذي يدرس ويقرر السياسة الكوردية العامة وستراتيجيتها ولايحدث اي شئ هام من شأنه التأثير على الحركة الكوردية ومصير شعبنا في أي جزء من أجزاء كوردستان إلا بعلم المجلس وقرار منه. وبذلك تتوحد الحركة الكوردية تنظيمياً

بالإضافة الى وحدتها العاطفية الحالية. وهذا طبعاً لايعني ان السياسة الكوردية يجب ان تكون واحدة بالنسبة لكل جزء من أجزاء كوردستان، فلكل جزء ظروفه. ولكن القرارات تحدث بعلم المجلس مهما كانت الاوضاع في أي جزء من أجزاء كوردستان.

إن تأسيس هذا المجلس ضرورة تاريخية.

خامساً : بالإضافة الى رئاستكم للمجلس الاعلى المذكور أرى من الضروري أن تتفضلوا بقبول رئاسة (على الأقل الرئاسة الشرفية) لكافة الاحزاب والمنظمات الكوردية المشتركة في المجلس الاعلى المذكور ولا ان تقتصر رئاستكم فقط على البارتي في كوردستان عراق. فأنتم لكل الشعب الكوردي ولكل كوردستان وليس فقط لكوردستان العراقي.

(12) – لقد تكلمت في رسالتي السابقة لجنابكم عن (لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي) واهدافها بشكل عام. أقدم لجنابكم في هذه الرسالة (الدستور المؤقت) للجنة الدفاع. وكانت سكرتارية اللجنة وضعت مشروع هذا الدستور في سويسرا قبل مجيئي لهنا. وبعد مجيئي لبيروت ناقشته مع كاك أحمد توفيق باعتباره ممثل (حزبي ديموكراتي كوردستان) ايران. وأجرينا عليه بعض التعديلات بالاتفاق واعتبرناه دستوراً موقتاً. وسيصبح دستوراً دائماً بعد موافقة جنابكم عليه وبموافقة أكثرية الاحزاب الكوردستانية.

رجاءً أن تتلطفوا بالاطلاع على هذا الدستور الموقت ونأمل من جنابكم ان توافقوا عليه. واذا كان لجنابكم ملاحظات تعديلية عليه فالرجاء ابداءها لكي نستفيد منها ونحسن الدستور بالتالي في مؤتمر لجنة الدفاع. وبإعتباري سكرتير لجنة الدفاع وباسم سكرتاريتها. وكما ينص على ذلك الدستور المؤقت. أتشرف أن أعرض على جنابكم الرئاسة الشرفية للجنة الدفاع. راجياً من جنابكم التفضل بقبول ذلك.

ان قبول جنابكم لرئاسة الشرف هذه لن يكون له فقط تأثير معنوي على أعمالنا بل سيكون ايضاً من شأنه زيادة وزن وأهمية لجنة الدفاع في اتصالاتها السياسية والدولية لخدمة المسألة الكوردية. وفي هذا فائدة لشعبنا وحركته التحررية. فنرجو لذلك بأن ننال هذا القبول من طرفكم.

الاعلام الخارجي

حول نداء جنابكم الى الرأي العام العالمي والمنظمات الدولية: كان الأخ كاك أحمد طبعه بناءً على تعليماتكم باللغة العربية في عدة صفحات وكان الطبع جهداً والأسلوب ممتاز. وقد وزعه الأخ أحمد حالاً في بيروت على الهيئات الصحفية وأرسل لنا في أوروبا

نسخاً منه. واستناداً الى تعليمات جنابكم وثقتكم بنا نحن الثلاثة. ونظراً لوجود (لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي)، وبناءً على إقتراح كاك أحمد توفيق. فقد قمت في سويسرا بصفتي سكرتيراً للجنة الدفاع بإرسال ندائكم الى كافة الجهات الدولية التي يتوجه إليها النداء مع رسائل إيضاحية من قبل لجنة الدفاع. وكل هذه الرسائل مسجلة وقد أرسلت الوصولات قبل مجيئي لهنا لكاك أحمد مع نسخ من الرسائل الايضاحية يحدث إطلاعكم على ذلك. وقد أرسلت رسالة إيضاحية الى السيد U Thant سكرتير عام الامم المتحدة بتاريخ 3 حزيران من لوزان. وبتاريخ 4 حزيران أرسلت النداء مع رسالة إيضاحية من قبل لجنة الدفاع الى (الصليب الأحمر الدولي) في جنيف. وبتاريخ 5 حزيران أرسلت النداء مع رسالة إيضاحية ايضاً باسم لجنة الدفاع الى (لجنة حقوق الإنسان). وفي نفس التاريخ أرسلت النداء ايضاً مع رسالة ايضاحية الى (السكرتارية الدائمة لمؤتمر الشعوب الإفريقية الأسيوية). وفي نفس التاريخ ارسلت نفس النئ الى (جمعية الحقوقيين الديمقراطيين العالمية). وطبعاً لم نرسل النداء بالنص العربي الى الجهات الدولية بل طبعناه بالفرنسية للجهات الدولية. وان كافة اتصالاتنا الخارجية من اوروبا تجري بالفرنسية واحياناً بالانكليزية. وإن لجنة الدفاع بالإضافة الى طبع النداء وتوزيعه بالفرنسية حالاً. تقوم الأن بطبعه بالالمانية والانكليزية واعادة طبعه بالعربية أيضا. وأعتقد إن الطبع قد انتهى او سوف ينتهي قريباً بهذه اللغات الأخرى.

وقبل مجيئي لبيروت كان التعاون مستمراً ووثيقاً بين لجنة الدفاع في اوروبا وبين الأخ أحمد في بيروت بحيث كنا نتبادل اخبار اعمالنا وننشرها في الصحف عن طريق وكالات الأنباء. سواء في أوروبا أو في بيروت (وبواسطة أوروبا وبيروت الى مصر والبلاد العربية) فان نداء جنابكم قد أحدث دوياً كبيراً في العالم واهتمت به محطات الاذاعة العالمية ونشرته وكالات الأنباء المختلفة في مختلف بلاد العالم. مثلاً ان الراديو السويسري خلال ليلتين متتاليتين كان يخصص ركناً هاماً في تعليقه السياسي عن الوضع الدولي الى الثورة الكوردية وندائكم ومحاولات المنظمات الكوردية الناطقة باسمكم في الاتصالات الدولية. وقد أرسلت وكذالك الاخ وريا بعض المقالات التي ظهرت عن الثورة في الجرائد الاوروبية. وأكثرية هذه المقالات سواء في فرنسا ام سويسرا ام انكلترا أم نمسا واحياناً أميركا تعطف على الثورة وتؤيد حقوق الشعبالكوردي وتهاجم قاسم وتستهزء به ولاتصدق أكاذيبه. أما الجرائد المصرية واللبنانية فتكتب كثيراً وفي الصفحات الاولى عن الثورة. حقاً ان الثورة معروفة ومشهورة في العالم أجمع وان ندائكم كان له صدى بعيداً في مختلف الأوساط. أما في البلاد الاشتراكية فاعتقد انها مازالت معتصمة بالسكوت التام حول هذه المسألة مع الأسف. بل ان الصحيفة الشبه رسمية الناطقة باسم حكومة المانيا الشرقية نشرت مع الاسف الشديد ادعاءات قاسم الأخيرة بأن الثورة قد حركتها المانيا الغربية (!!!) وانها ضد

الديمقراطية وان الحركة الكوردية رجعية !!! ألا قبحاً لهذا المنطق المفلوج ! ولكننا سنستمر في ارسال المذكرات للرفيق خروتشوف لإظهار الحقيقة.

حول شروط واشكال الحكم الذاتي:

قبل التكلم عن أشكال الحكم الذاتي سأبدأ بالشروط التي يجب توفرها في بدء أي اتفاق يتعلق بالحكم الذاتي. وبدون توفر هذه الشروط وتأمنها فإن الحكم الذاتي اذا اعترف به قاسم أو أية حكومة عراقية اخرى يكون مهدداً في كل لحظة بعد ذلك. ان هذه الشروط هي كما يلي:

أولاً طالما بقي الجيش العراقي قوياً (نسبياً) ومجهزاً تجهيزاً حسناً فانه يشكل خطراً على الحكم الذاتي اذ يمكن لأية حكومة عراقية في المستقبل أن تتراجع عن إعترافها بالحكم الذاتي أو تجعل تحقيقه مستحيلاً أو صعباً جداً. وبذلك يضطر شعبنا الى إعادة النضال مرة جديدة. لهذا السبب أرى من الضروري قبل الوصول الى أية إتفاقية مع الحكومة العراقية حول الحكم الذاتي أن تطبق قيادة الثورة الكوردية العليا سياسة عسكرية ترمي الى تحطيم أكثر ما يمكن من قطعات وكتائب الجيش والشرطة العراقية الموجودة في كوردستان. وهذه فرصة يمكن الاستفادة منها الآن ويجب ذلك. ان تحطيم هذه القطعات يقضي برسم الخطط اللازمة لمحاصرتها - كما يجري الآن ذالك- وقتل أكبر عدد ممكن من الجنود والضباط القاسميين خلال المعركة ثم الاحتفاظ بالأسرى حسب الخطة الواردة في مقدمة هذه الرسالة أو الإستيلاء على أسلحتها.

وأرى انه انسانياً وسياسياً يصبح تهديد قاسم بالكف عن غاراته الجوية وقتل السكان والنساء والأطفال وحرق المزروعات بتهديده بتحطيم قواته وقتل عدد من الأسرى لقاء كل غارة جوية تؤدي لقتل السكان الأمنين الاكراد وحرق المزروعات ووضع مسؤولية هذا العمل على قاسم إذا لم يعدل قاسم عن غاراته الجوية. أي سياسة السن بالسن والعين بالعين. واذا وافقتم على هذه الخطة يمكن للجنة الدفاع الاتصال من جديد بالصليب الاحمرالدولي وان نقول لهم بأن قيادة الثورة الكوردية ستصبح مضطرة لتطبيق هذه السياسة تجاه الأسرى اعتباراً من التاريخ الفلاني إذا لم يعدل قاسم عن غاراته الجوية ضد السكان الاكراد والمزروعات والمواشي.

فاذا عدل قاسم عن غاراته الجوية (وبذلك يفقد أهم سلاح لديه) اعتقد من الأصح الاحتفاظ بسيارات ومصفحات الجيش والشرطة العراقية وعدم حرقها عندما تقع في يد القوات الكوردية لكي تستفيد منها قواتنا.

ثانياً بعد اضعاف الجيش والشرطة العراقية لاكبر حد ممكن ينبغي ان تشترط اتفاقية الحكم الذاتي على انسحاب الجيش العراقي وكل الشرطة العراقية من كوردستان. وربما ابقاء فقط حامية جيش عراقي صغيرة وضعيفة في كركوك.

ثالثاً ينبغي انسحاب كافة قوات الشرطة العراقية من كوردستان. على أساس ان الشرطة التي مهمتها حفظ الأمن ستكون كوردية فقط وخاضعة لحكومة كوردستان ذات الحكم الذاتي. هذا شرط لايجب التساهل فيه والاّ فلا معنى للحكم الذاتي.

رابعاً (هام) المحافظة وابقاء فصائل الأنصارالكوردية وكافة القوات الثورية الكوردية في عهد الحكم الذاتي وتحويلها رسمياً من قوة ثورية الى قوة شرطة رسمية كردية مهمتها حفظ النظام في كوردستان وتكون خاضعة فقط لاوامرالحكومة الكوردية الذاتية. بحجة المحافظة على الأمن في كوردستان يجب ليس فقط المحافظة على فصائل الانصار بل يجب تقويتها وتسليحها رسمياً بأحدث الاسلحة واعطائها ألبسة عسكرية خاصة بها بحيث تكون في الواقع جيشاً وطنياً لكوردستان ولكن يطلق عليه اسم قوات الأمن الداخلي او الشرطة الكوردية. ان هذا الشرط أساسي لابد منه لان القوة الكوردية هي الضمان الوحيد لاحترام اية اتفاقية حول الحكم الذاتي. ودستورياً وقانونياً هذا صحيح لأن حفظ الأمن الداخلي في منطقة حكومة كوردستان العراقي الذاتية يجب ان يرجع قانونياً لهذه الحكومة فقط.

خامساً ان كافة قوات (الشته) و (الجحش) الكوردية الخائنة ينبغي استسلامها لقوات فصائل الانصار وتعطى اسلحتها لفصائل الانصار على اساس ان هذه قوات شرطة كوردية.

سادساً : من الضروري أيضا أن تطلبوا او تشترطوا في اتفاقية الحكم الذاتي تحويل الضباط الاكراد في الجيش العراقي (او على الاقل قسماً منهم) وكذلك قسم من الجنود الاكراد في الجيش العراقي (اذ لايمكن كلهم) وتحويلهم الى قوات الشرطة الكوردية (فصائل الانصار الحالية). فيما يتعلق بالضباط بحجة تدريب الشرطة الكوردية واعطائها الكادر العسكري اللازم لحفظ الأمن. وفيما يتعلق بالجنود لكي تكون الشرطة او قوات الامن الكوردية قوية بدرجة كافية لحفظ الأمن.

سابعاً : يجب عدم القبول بأي حال من الأحوال بتشتيت وتفريق فصائل الأنصار الكوردية الخاضعة لجنابكم. وينبغي الحذر من "الملاعيب القاسمية" وعملائه. اذ ربما يحاول قاسم بالمماطلة والاعتراف النظري بالحكم الذاتي تفريق فصائل الانصار الكوردية التي ليست هي جيش دولة نظامي في الوقت الذي يعيد فيه تنظيم جيشه وتقويته لضرب الحركة من جديد. ان فصائل الأنصار هي الضمان الوحيد.

ثامناً : بشكل عام في المفاوضات حول الحكم الذاتي وشروط الصلح ينبغي عدم الإطمئنان لأي وزير كوردي يرسله قاسم لإعطاء الوعود الكاذبة لكسب الوقت، كما حدث في عهد نوري السعيد عام 1943 مع ماجد مصطفى.

أما فيما يتعلق بأشكال الحكم الذاتي:

فليس هناك شكل معين ثابت ويرجع تعيين وتحديد نوع الحكم الذاتي لمصالح الطرفين ودرجة قوتهما. بالنسبة لكوردستان العراق والوضع ينبغي ان يكون هذا الحكم الذاتي حسب الخطوط التالية:

أولاً : ان الاعتراف بالحكم الذاتي لكوردستان العراق يستوجب بصورة اوتوماتيكية الاعتراف بتأسيس حكومة كوردية ذاتيةلادارة شؤون مناطق كوردستان العراقي المختلفة. فاالحكومة الكوردية أمر لابد منه ولامعنى للحكم الذاتي بدونها.

ثانياً ينبغي تحديد الارض من مقاطعات واقضية ونواحي التي سيسري عليها نظام الحكم الذاتي، ان هذه الارض يجب ان تكون كل كوردستان العراقي بما فيها مناطق بادينان وسوران وخانقين ومندلي وبدرة وكركوك طبعاً، والحد الفاصل الطبيعي هو سلسلة حمرين، ويستثنى من هذه الارض قضاء الموصل والاقضية العربية في لواء الموصل الحالي. أي إن هذا يستوجب فصل بادينان ادارياً عن مدينة الموصل العربية.

ثالثاً : ان الحكومة الكوردية الذاتية ستكون حرة في اعادة النظر في تقسيمات كوردستان العراق إلى ألوية وأقضية جديدة اذا ارادت لأن ادارة الاقليم الكوردي ترجع لها.

رابعاً : ان جهاز الاقليم الكوردي الاداري سيكون مؤلفاً من اكراد فقط فكل الموظفين فيه يكونون اكراد من المتصرف الى الجندرمه، وجهاز الأمن سيكون كوردياً وخاضعاً للحكومة الكوردية الذاتية التي ستشكل شرطتها الخاصة.

خامساً : ان اللغة الرسمية لاقليم كوردستان العراق ستكون اللغة الكوردية سواء في الشؤون الحكومية او التدريس في المدارس او المحاكم.

سادساً : كل مايتعلق بشؤون المعارف والدراسة يكون خاضعاً للحكومة الكوردية الذاتية. التي ستكون حرة في فتح مدارس جديدة وجامعة كوردية وستكون حرة في وضع منهاج التدريس الابتدائي والثانوي والعالي وتدريس الادب واللغة الكوردية وتاريخ وجغرافية كوردستان .

سابعاً : القضاء سيكون كوردياً في الاقليم الكوردي وخاضعاً للحكومة الكوردية الذاتية.

ثامناً : المالية والضرائب. سيكون للحكومة الكوردية الذاتية موازنتها وماليتها الخاصة بها. والضرائب في الاقليم الكوردي تكون على نوعين: النوع الاول ويشمل معظم الضرائب سيكون ضرائب كوردية تجبى من قبل وزارة المالية في الحكومة الكوردية الذاتية وتصرف من قبل هذه الحكومة على شؤون الاقليم الكوردي المختلفة. اما النوع الثاني فيكون "عراقياً" ويذهب مورده لوزارة المالية في بغداد لكي يصرف من قبل الحكومة العراقية على كل العراق بما فيه كوردستان العراق. اما تحديد هذين النوعين فيجب ان يحدث من قبل لجنة فنية خاصة. أما النقد في الاقليم الكوردي فيمكن ان يبقى بالدينار العراقي (على ان تضاف اللغة الكوردية الى العربية عليه).

تاسعاً : النفط : يجب ان يحدث اتفاق سلفاً ضمن اتفاقية الحكم الذاتي يبين كيفية صرف موارد النفط. ان موارد النفط الاتية من النفط المستخرج من أراضي الاقليم الكوردي يجب ان تصرف على الاقل بنسبة النصف في هذا الاقليم. تقبضها حكومة بغداد المركزية من الشركات وتعطى 50% منها للحكومة الكوردية الذاتية لكي تصرف على الاقليم.

عاشراً : الاشغال العامة: تكون تابعة للحكومة الكوردية الذاتية في الاقليم الكوردي، تفتح طرق وجسور واقنية.....الخ

احد عشر: الصناعة: معظم الصناعات يجب ان تكون تابعة للحكومة الكوردية الذاتية التي لها الحق في فتح مصانع جديدة واستثمار ثروة كوردستان لصالح كوردستان. ويمكن ترك بعض القطاعات الصناعية لحكومة بغداد في اتفاق خاص بعد دراسة من قبل لجنة اقتصادية مشتركة.

اثني عشر : الزراعة : وكل الأمور الزراعية في إقليم كوردستان تكون راجعة للحكومة الكوردية الذاتية، وبوضع نظام إصلاح زراعي خاص لكوردستان تشرف عليه الحكومة الكوردية .

أما التبغ فيجب ان يكون تابعاً لادارة كوردية خاصة ملحقة بالحكومة الكوردية الذاتية بشكل يضمن مصالح المزارعين والفلاحين الاكراد ويؤمن استهلاك التبغ في كل العراق من جهة ثانية، حسب اتفاق خاص مع حكومة بغداد.

ثلاثة عشر : مسائل اقتصادية اخرى: ايجاد مجلس اقتصادي مشترك لبحث وحل كافة المسائل الاقتصادية الاخرى على ضوء المصلحة المتبادلة.

اربعة عشر : شكل الحكم في اقليم كوردستان العراق: يكون ديمقراطياً ومؤلفاً من سلطة تنفيذية هي الحكومة الكوردية الذاتية. ومن سلطة تشريعية هي برلمان كوردستان العراقي لسن القوانين المتعلقة بالاقليم. ومن سلطة قضائية كوردية خاصة تشرف على القضاء والمحاكم (هذه النقطة الأساسية يستحسن وضعها رأساً بعد النقطة الاولى).

خمسة عشر: أما المسائل المتعلقة بالدفاع الوطني، والتمثيل الديبلوماسي الخارجي والسياسة الاقتصادية العليا، تكون تابعة لحكومة بغداد المركزية. بشرط ان تراعي هذه الحكومة في هذه النواحي الثلاثة الهامة مصالح الاقليم الكوردي.

تلك هي القواعد الاساسية لاتفاقية تتعلق بالحكم الذاتي لكوردستان العراق (كتبتها بسرعة وبدون دراسة سابقة وافية للمسألة) ولكنها قواعد عامة لازمة اذا أردنا ان يكون الحكم الذاتي حقيقياً.

واكرر ماذكرته أنفاً لا اعتقد ان قاسم سيقبل بمثل هذا الحكم الذاتي أو حتى بأقل منه، ولذلك أكرر ماذكرته في النقطة (8) من صفحة 6 حتى أخر صفحة 11 حول "خطة الثورة ومنهاجها السياسي".

أقدم السلام والاحترام لجناب الشيخ أحمد، والسلام لكافة ذويكم وأولادكم حفظهم الله، وتحيات عاطرة ملينة بالنضال لجميع الثوار الابطال قواداً وجنوداً، أخص منهم بالذكر كاك أسعد خوشه في وكاك حسو ميرخان وكاك حارس خانو وملا شني وملا حسن وكاك على عسكري وكاك جورج وكريمنه الثائرة الآنسة ماركريت وكاك عمر أغا وكاك

عباس مامند أغا وملا عبدالله وشيخ حسين بوسكهني وكاك عارف قه ره جه تاني وكل من يناضل لحرية الكورد و كوردستان. وكاك عبدالواحد وكاك صدقي.

سأغادر بيروت في 5 تموز واكون في سويسرا في 13 منه. حفظكم الله لقيادة الثورة الكوردية الى الظفر النهائي وشعبنا الى الحرية و كوردستان الى الوحدة والاستقلال.

مع تكرار السلام والاحترام. المخلص أبداً:

عصمت شريف وانلي. سكرتير (لجنة الدفاع عن حقوق الشعبالكوردي)

ملاحظة: ان كاك دكتور وريا رواندوزي كتب لي مؤيداً الاقتراح بتشكيل. الحكومة الموقتة لجمهورية كوردستان العراقي ذات الحكم الذاتي حالاً." [151]

فيما يخص حلّ الحزب يرد جلال الطالباني:

"وهنا أود ان الفت نظرك يا أخ عصمت الى نقطتين هامتين:

اولاهما ان فكرة حل الحزب ليست الى تدميراً للثورة وحركتها وللحركة التحررية الكوردية. وان فكرة جهة تحرير كوردستان ليست صحيحاً ولا واقعية. وانه ليس في كوردستان هيئات او جماعات سياسية متعددة يمكن دمجها في هيئة كهذه فضلاً عن أن الاحزاب الطليعية العقائدية لاتقبل الحل ابداً.

فالقوى الموجودة في الثورة. (بما فيها غالبية جنود البارزاني في بهدينان) ليست الى البارتيين ومؤازريهم. اما في سوران فالقوى الثورية هي بارتية صرفة. اما بعض العشائر المشتركة (على نطاق محدود) في الثورة فهي ليست الى قلة وقلة قليلة جداً. فضلاً عن ضعفها التاريخي والكيفي والسياسي. وفضلاً عن ضرورة اعطاء محتوى اجتماعي وديمقراطي للثورة كما تقول انت في رسالتك الى البارزاني والينا ايضاً. وهذا مالايمكن تحقيقه الى عن طريق الحزب وجعله طليعة وقائداً عاماً للثورة (هذا رغم ضرورة وجود مجلس قيادة الثورة. ورغم وجود قيام الحزب بدوره السياسي جيداً."

ثانيهما: ان خلق الخلاف بين البارتي وقيادته من جهة وبين البارزاني من جهة ثانية هو حلم وامنية الاعداء وهو من أخطر الاخطار على حركة شعبنا التحرريه وثورته. لذلك فكل

[151] مذكرة من لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي بتوقيع سكرتيرها عصمت شريف فانلي للا مصطفى مؤرخة في 27 حزيران 1962

مخلص للشعب الكوردي و كوردستان يجب ان يناضل ضد اي خلاف واذا وجد لاسامح الله فعلى كل كوردي شريف العمل بجد واخلاص ومثابرة للقضاء عليه."[152]

وفي ردّه على رسالة مؤرخة في 19 نيسان 1962 لعصمت شريف يؤكد المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني على عدم صحة الأخبار حول وجود خلاف بينه وبين ملا مصطفى: " وبهذه المناسبة يسرنا ان نؤكد لكم مرة أخرى عدم صحة ماسمعتموه من اخبار حول وجود خلاف وعدم انسجام بيننا وبين سيادة رئيس حزبنا البطل مصطفى البارزاني."[153] ثم تهاجم الرسالة بشدة على أولئك الأشخاص والجهات التي تنشر مثل هذه الشائعات.

وثم تشير المذكرة: "لقد اطلعنا بسرور بالغ على بعض نتاج الجهود التي تبذلها لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي في الأوساط الدولية ويسرنا أكثر لو أرسلتم الينا باستمرار صوراً من كل ماتنشرونه حول قضية شعبنا العادلة وثورته التحررية المباركة لكي نقوم بنشرها في كوردستان بعد ترجمتها وذلك لما له من أثر طيب فعال في تشجيع ورفع معنويات ابناء شعبنا المناضل. وكذلك نرجو تزويدنا بما تنشره الصحف والمجلات الاجنبية حول الموضوع ذاته ونكون شاكرين لو تفضلتم بارسال الترجمة العربية له مع النص. وقد كتبنا بدورنا الى الاخ المناضل كمال فؤاد ان يطلعكم على كل مانرسل اليه من بيانات ونشرات عن سير الثورة في كوردستان كما نحاول ان نرسل اليكم بنسخ منشوراتنا رأساً في المستقبل........"

وثم تمضي الرسالة الى القول:

"أما بصدد ماطلبتموه منا من ايضاح لاهداف ثورتنا فالظاهر ان نشراتنا لم تصلكم الى الآن اذ اننا قد اوضحنا بصورة لالبس فيها ولا ابهام مطاليب شعبنا واهدافه في ثورته الدامية هذه ولاهمية الموضوع سنستمر في اعلان وتوضيح هذه الاهداف بين حين وأخر بالوسائل المتوفرة لدينا وينحصر مطاليبنا بصورة موجزة في المطالبة بحكم ذاتي (اوتونومي) لكوردستان ضمن الدولة العراقية. وبنظام ديمقراطي برلماني جمهوري لهذه الدولة ولايخفاكم ما يتضمن هذين المطلبين من حقوق قومية ديمقراطية. وبهذه المناسبة نقترح عليكم كتابة رسالة عن نظام الحكم في الدول الديمقراطية ذات القوميات المتعددة وعن الحكم الذاتي بصورة خاصة وذلك باعتباركم قاطناً في اول بلد من هذا النوع من جهة واحد المدافعين عن حقوق شعبنا الكوردي الامر الذي يعطي لرسالتكم اهمية خاصة بالاضافة الى مالابد وان تتضمنه من معلومات قيمة وملاحظات حول هذا الموضوع الذي

---

[152] قيادة فصائل الانصار الوطنية في كوردستان - لواء السليمانية - جلال الطالباني كوردستان الجنوبية بالة ك 1962/7/9 مذكرة مطولة موجهة الى عصمت شريف من جلال الطالباني.

[153] بارتي ديموكراتي كوردستان المكتب السياسي (العراق) العدد 194 ز التاريخ 1962/7/10

يعتبر موضوع الساعة بالنسبة لشعبنا والذي يطالب بالحكم الذاتي كمرحلة من مراحل نضاله في سبيل تحرره التام العام."

وبخصوص مقترحات عصممت في تشكيل هيئة عليا لقيادة الثورة، تقول رسالة المكتب السياسي مايلي:

"لقد اطلعنا على ملاحظاتكم الانشائية الثمينة حول الثورة ومستقبلها وسوف نأخذ بنظر الاعتبار مافاتنا منها الى الأن حسب تطور الظروف والأحوال. فقضية القيادة الموحدة مثلاً او مجلس أعلى للثورة كما عبرتم عنها هي موضوع بحثنا منذ زمن بعيد غير اننا نلاحظ ان الظروف لم تنضج بعد لتنفيذ هذه الفكرة خاصة لدى من لايمكن تنفيذها بدون موافقتهم علاوة على ان وجود بعض الثغرات في جبهة القتال وعدم وجود الاتصالات المنتظمة في جميع المناطق وبقاء عناصر اقطاعية متذبذبة قرب القيادة الى الأن واحترامنا لرأي الرئيس وملاحظاتنا عدم اثارة اي موضوع من شأنه خلق خلاف شديد في الرأي كل ذلك من مبررات قبولنا بتأجيل تنفيذ هذه الفكرة الصائبة الحيوية في الوقت الحاضر ونرجوكم بهذه المناسبة أن تؤكدوا دوماً على ضرورة تكوين مثل هذا المجلس للثورة وغيره من تنظيم موحد للقيادة الحربية للثورة وذلك في الرسائل التي توجهونها الى سيادة الرئيس والى غيره ممن يهمهم الأمر. ولايختلف الأمر عن ذلك فيما يتعلق بتصفية جميع العناصر الإنتهازية الاقطاعية في الثورة فبالرغم في كون ذلك هدفاً اساسياً من أهداف حزبنا والذي يجب ان نسارع الى تنفيذه خلال الثورة فإن هناك معارضة قوية تجاهنا في هذه المسألة واننا لانرغب في الدخول والنزاع بسبب هذه المشكلة في الوقت الحاضر خاصة وان الحزب يقوم بواجبه على الوجه الأتم من جميع القطاعات الخاصة به واننا معتقدون بأن هؤلاء الاقطاعيين سيفضحون انفسهم عملياً في القطاعات الأخرى التي هي خارجة عن سيطرة الحزب للسبب المذكور اعلاه. وهنا أيضاً نحتاج الى تأييدكم وتأكيدكم في الرسائل التي تكتبونها الى سيادة الرئيس فعسى ان يساعد ذلك في تسهيل مهمتنا فيما يتعلق بتصفية جميع العناصر الإنتهازية الاقطاعية في الثورة ولاسيما في قيادتها. وبخصوص اللجان المقترحة من قبلكم فإن بعضها قد شكلت فعلاً منذ مدة وسنباشر بتشكيل البعض الأخر منه عند سنوح الفرصة وملائمة الظروف."

"وأما بخصوص مساهمة البرجوازية الكوردية الديمقراطية في الثورة عملياً فإنه واجب شاق تماماً وذلك لضعف هذه البرجوازية الشديد غير اننا نرجو ان تؤدي سياسة المعاداة للشعب الكوردي ولكل ماهو كوردي تلك السياسة المتبعة من قبل حكومة قاسم نقول نرجو ان تؤدي هذه السياسة الى إيقاظ البرجوازية الوطنية الكوردية ودفعها الى المساهمة في الثورة أكثر مما عليه الأن. وبخصوص عدم اشتراك الضباط والمهندسين والاطباء والصيادلة والكيميائيين وغيرهم في الثورة الى الأن فمرده قلة هؤلاء من جهة

وتردد هذه الفئة وتذبذبها من جهى أخرى وكما تعلمون انه ليس بالإمكان ارغام هؤلاء على الاشتراك في الثورة بالإكراه ومن المؤسف ان تكون مساعينا معهم لم تعط ثمارها المرجوة الى الأن غير اننا نأمل في ان تؤدي استمرارية الثورة والانتصارات التي نحرزها يومياً وزيادة السيطرة والتنظيم الحزبيين الى جلب هذه الفئة الإجتماعية الى الثورة ايضاً.

أما ما ذكرتموه من ضرورة اعطاء الثورة مفهوماً وقاعدة اجتماعية اساسها جذب الفلاحين الاكراد للثورة ضد الاغوات الاقطاعيين فإن حزبنا كما تعرفون يمثل مصالح الفلاحين ضمن من يمثل مصالحهم بصورة اساسية وهذا يفسر عدم اشتراكنا بصورة عملية في الحركة التي حدثت قبل منتصف ايلول الماضي حيث كانت لها قيادة معظمها اقطاعية صرفة وكانت لها بعض الاهداف الرجعية الصريحة ايضاً. ومما يؤسف له ان عدم اشتراكنا في هذه الحركة وعدم تبنينا لها بل محاولتنا جذب الفلاحين وعزل الاقطاعيين عنهم ومحاولتنا اعطاء الحركة مفهوماً ثورياً اجتماعياً وطنياً ومحتوىً تحررياً ديمقراطياً نقول من المؤسف ان محاولتنا هذه قد فسرت من قبل بعض المغرضين والاقطاعيين ومن قبل بعض البسطاء المخلصين ممن ليس لهم علم بحقائق الامور على اننا نتخذ موقفاً انتظارياً انتهازياً في حين اننا كنا نناضل ضد اعادة الفلاحين الى سيطرة الاقطاعيين ونقاوم انعاش النظام الاقطاعي المتهري البغيض ولكن الحركة المذكورة قد لاقت الفشل المحتوم ككل حركة لاتبنى على اساس موضوعي وقوة حقيقية نامية مما سهل على حزبنا واثبت صدق أرائنا فتوجهت الجماهير الباحثة الى راية حزبنا الامر الذي كان عاملاً اساسياً في تمكيننا من النهوض وقيادة الحركة والسير بها قدماً لتحقيق اهدافها الوطنية الديمقراطية التحررية. ومع كل ذلك فاننا لم نتخلص بعد من العناصر الاقطاعية كلها بل وما نزال نجابه مقاومة عنيفة من لدنهم حتى داخل الثورة ايضاً غير اننا ماضون في نضالنا لاستئصال شأفة الاقطاعية ومؤمنون بالنصر الأكيد."[154]

أما ملا مصطفى فيرد على رسالتي عصمت المؤرخة في 16/ايلول/1962 وفي 5/تشرين اول/ 1962 فيقول:

"إننا نود ان يعمل الجميع كل حسب امكانياته لان الخدمة من اجل الشعب فريضة مقدسة على الكل وليست ملكاً خاصاً لفئة او جماعة. فحركتنا حركة شعب بأجمعه كما انها حركة تشمل جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية و ......الخ"

ثم يتناول اقتراحات عصمت فيقول:

[154] رسالة من پارتي ديموكراتي كوردستان . المكتب السياسي (العراق) العدد - 194 . التاريخ - 1962/7/10

"لقد درسنا أرائكم بشأن تشكيل جبهة تحرير كوردستان او مجلس ثورة، واننا في الوقت الذي نثمن فيه هذه الأراء نود ان نخبركم بان لكل عمل أوانه الخاص وسيأتي الوقت الذي نعمل فيه من اجل ايجاد نوع من التنظيمات الادارية والعسكرية، الا ان ذلك يتطلب المزيد من الحكمة والروية. ان اعمالنا تسير بصورة حسنة من النواحي الادارية والعسكرية ولابد لهذه الاعمال ان تتطور وتنتظم وتأخذ شكلها النهائي وطابعها الخاص. يجب ان تأخذ الامور سيرها الواقعي ومن المستحيل ان تنضج الثمرة مالم تمر بادوارها المعينة ونموها الطبيعي، قصتنا مع الواقع هي نفس قصة الثمرة ولا اعنى ان نترك الثمرة وشأنها بل من الواجب ان نبحث عن احسن الوسائل والشروط الملائمة لانضاجها جهداً. وسنستعين بأرائكم في هذا الشأن."

وفيما يتعلق بالعلاقات الكوردستانية تشير الرسالة:

"..........إن الطريق الصحيح الواقعي هو ان تتعاون جميع الأحزاب والمنظمات واللجان الكوردستانية في الداخل والخارج. لابد ان يتعاون جميع الاكراد في جميع الاجزاء على انجاح حركة الجزء الملتهب من كوردستان العراق وعلى الجميع ان يوحدوا نضالهم من اجل انجاح هذه الحركة. علينا ان نرفع هذا الشعار [توحيد جهود الشعب الكوردي بكافة طبقاته وأحزابه ومنظماته من أجل إنجاح حركة الشعب الكوردي في كوردستان العراق]

وثم يطلب ملا مصطفى من عصمت شريف:

"ادعوك ايها الأخ الى ترسيخ هذه الفكرة في اذهان الجميع ونحن من جانبنا سنعمل على ذلك. على الشعب الكوردي في تركيه وايران وسوريا ان يعمل فقط لأجل نجاح حركة شعبنا في العراق ويترك الامور الاخرى الى وقت أخر."[155] كان لهذه السياسة سلبياتها المدمرة على العلاقات الكوردستانية كما سنرى فيما بعد.

في واقع الأمر لم تلقى مقترحات عصمت القبول رغم الترحيب الحار برسائله من قبل المكتب السياسي ورئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني. لقد سعى عصمت دوماً - كما ذكر لي [156]- أن تكون الحركة الكوردية أكثر إصراراً على أهدافها القومية وأكثر شجاعة وطموحاً في المطالبة بتحقيق أهداف أوسع من الحكم الذاتي. إذ ردّ ملا مصطفى على ماحدده عصمت من أهداف بما يلي:

"اطلعنا على رأيكم بشأن هدف ثورتنا وجعله [ممارسة حق تقرير المصير من قبل شعب كوردستان العراق تحت اشراف الامم المتحدة] كما اطلعنا على الأسباب التي استندتم اليها في تكوين هذا الرأي، واطلعنا أيضاً على الحل الوسط بين هدف الحكم الذاتي وهدف ممارسة حق تقرير المصير بتأسيس جمهورية كوردستان موقته وامهال عبدالكريم قاسم

---

[155] رسالة من بارتي ديموكراتي كوردستان . المكتب السياسي (العراق) العدد - 194 . التاريخ - 1962/7/10

[156] لقاء مع عصمت في لوزان 13 تموز 2010

ثلاثة أشهر وانذاره بالاعتراف بهذه الجمهورية الموقته ذات الحكم الذاتي خلال هذه المدة والاّ فممارسة حق تقرير المصير.

أرجو منك أيها الأخ ان ترجع معي قليلاً الى الوراء حين اضطررنا الى حمل السلاح بوجه قاسم دفاعاً عن حقوقنا. لقد كانت مطاليبنا حينذاك بسيطة جداً. كنا نطالب بإعادة الجيش من مناطقنا وتسريح الجاش وتطبيق القوانين بصورة عادلة وسوق الموظفين الاداريين والعسكريين ورؤساء العشائر الذين تسببوا في خلق المشاكل الى المحاكم ومنحنا حق التعليم في مدارسنا بلغتنا الخاصة وغير ذلك.

الا اننا تجاوزنا هذه المطالب البسيطه الاوليه حينما تمادى قاسم في غيّه وجبروته وحينما سالت دماء شهدائنا الابرار. وحينما اندفعت حركتنا الى الامام بفضل هذه الدماء الطاهرة وجعلنا هدفنا الحكم الذاتي الذي لايمكننا بدونه الاعتماد على قاسم ونواياه الشريرة لان الحكم الذاتي يضمن لنا الحفاظ على حقوقنا تجاه مايضمره لنا عبدالكريم من سوء. واليوم بعد ان احرزنا انتصارات اكثر جعلنا هدف الحكم الذاتي الحد الادنى بحيث لايمكن التنازل عنه مطلقاً. وغداً حينما نحرز انتصارات أكثر وأروع وحينما تنتظم اعمالنا ويمد الينا العالم اياديه لمساعدتنا وحينما يتدهور عبدالكريم الى هاوية السقوط اكثر حين ذاك يمكننا اعادة النظر في هدفنا.

ان السياسة هي امكانية كما قلتم في احدى رسائلكم واني اضيف بأن القوة مصدر الحق وعلى هذا الاساس يمكننا تعيين اهدافنا وتطويرها بالشكل الذي يتفق ومصلحة شعبنا العليا. كل شئ جائز في عرف السياسة اذا توفرت الامكانيات."[157] ثم يطلب من عصمت ارسال صحفيين ومندوبي وفرق التلفزيون لتصوير واقع الشعب الكوردي ومايلاقيه من الام........الخ.[158]

وفي رسالة جوابية لعصمت لكل من ملا مصطفى والمكتب السياسي، مؤرخة في 5 تشرين أول 1962 يتطرق الى مايلي:

كما ذكرت في رسالة 1509 فإنني أشكر المكتب السياسي الموقر على رسالته القيمة رقم 194 وتاريخ 1962/7/10، واود مرة أخرى أن أعبر عن كبير ارتياحنا وسرورنا لعدم صحة

---

[157] من مقز مصطفى البارزاني في 1963/1/19. رسالة الى عصمت بتوقيع ملا مصطفى مكتوبة بخط اليد

[158] لقد استغلت قيادة الحركة الكوردية -عراق - تعاون الأجزاء الاخرى معها الى حدّ ان لعبت دور شرطي مرور أمام نشاط الأحزاب الكوردستانية في الأجزاء الأخرى من كوردستان. فقد أرسلت قواتها - البيشمركه- الى داخل كوردستان -إيران - لملاحقة قوات الأنصار لبارتي إيران وبالتعاون والتنسيق مع القوات الإيرانية. وكلما زادت المساعدات الإيرانية لقيادة الحركة الكوردية تضاعفت الضغوط على بارتي ديموكرات-إيران. الى حد قتل وتسليم جثة عضو المكتب السياسي سليمان معيني الى السلطات الايرانية. والتضييق على أحمد توفيق حتى هرب واستسلم الى السلطات العراقية وقتل على يد نظام البعث عام 1972 (التعليق من المؤلف).

وجود أية خلافات داخل الثورة ولحرص المكتب السياسي على وحدتها بقيادة الرئيس المناضل جنرال بارزاني الحكيمة. وأشكر الاخوان الأعزاء المحترمين اعضاء المكتب السياسي المناضل لعدم زعلهم من الملاحظات التي كانت وردت في رسائلي المؤرخة في شهر نيسان الفائت. وكنت متأكداً من رحابة صدرهم وتفهمهم الواسع نظراً لمعرفتنا السابقة وللثقة التي لايمكن ان تنفصم بيننا. كما وانني قد اطلعت بكل رحابة صدر على عتابهم الاخوي لي بسبب شكوكي السابقة في بعض النقاط - والتي زالت الأن تماماً - شكوك وملاحظات تولدت بسبب القلق الناشئ عن عدم ورود أخبار خلال بضعة أشهر أو عن وصول بعض الإشاعات غير الصحيحة التي وضعت أمامها أنذاك إشارة استفهام. وانني اعتبر بأن كل مايمكن قد حدث من سوء تفاهم في هذا المضمار قد تلاشى....... إننا نفخر بنضالكم ولن تحلو لنا الحياة بعدكم أو بدونكم-لاسامح الله - اننا معكم والى جانبكم ونشكل جميعاً أسرة واحدة والدها مصطفى بارزاني وهدفها النضال حتى تحرير كوردستان وانقاذ شعبنا البطل من براثن أعدائه."

فيما يتعلق بصورة خاصة بالنقطة الواردة في رسالتي المؤرخة في شهر نيسان لجناب الجنرال بارزاني حول "مسألة حل البارتي واستبداله بجبهة تحرير كوردستان العراق" فأرجو ان يكون لديكم واضحاً مايلي:

أولا: انني كتبت تلك الرسالة في وقت كانت وصلتني فيه الاشاعات عن انحصار الثورة في منطقة لواء الموصل وهدوئها في الألوية الاخرى بحيث كنت قلقاً جداً على مصير الثورة وأخشى إنعزالها وأتسائل عن أسباب ذلك ومدى اشتراك المكتب السياسي في الثورة وقيادتها. ومن جهة أخرى فانني لم أطلع على رسالتكم السابقة الموجهة لي وللأخوين كمال ووريا. وانني لم أرى هذه الرسالة لغاية الأن وكان الأخ كمال قد تكلم عن وصولها في احدى رسائله وكتب موجزاً عنها و أتذكر جيداً ان رسالة الأخ كمال المذكورة قد وصلتني بعد كتابتي لرسالة شهر نيسان.

ثانياً: انني قدمت ذلك الاقتراح لجناب بارزاني بشكل شرطي قائلاً: إذا صح ذلك أقترح كذا وكذا.

ثالثاً: إنني كنت قد غيرت رأيي من تلقاء نفسي وبعد بحث المسألة مع المكتب السياسي الموقر للبارتي في سوريا. وذلك على الصعيد النظري ومباشرة بعد كتابتي لرسالة نيسان وكتبت للبارتي السوري موافقاً على وجهة نظرهم في خطأ فكرة حل البارتي العراقي حتى في حالة عدم اشتراك مكتبه السياسي عملياً في الثورة وقيادتها. وبالتالي تولدت لدي القناعة باشتراككم ايها الإخوة الأعزاء في الثورة وقيادتها ولاسيما بعد اطلاعي على عدد (خه بات) السري رقم 465 الذي سررت منه كأي كوردي شريف. ونتيجة لهذا الاقتناع بنضالكم

فإنني كتبت لجناب بارزاني رسالة ثانية - من بيروت - في شهر حزيران - تموز وذكرت فيها بضرورة عدم حل البارتي العراقي. وكان ذلك قبل وصول رسائلكم الأخيرة بعد أشهر.

رابعاً: والأن بعد ورود رسائلكم ورسالة كاك جلال وسردها التاريخي للحوادث فإن المسائل أصبحت أيضاً أكثر وضوحاً بالنسبة لي والقناعة مطلقة. وكما ذكرا أعلاه فانني أعتبر هذه المسألة منتهية وانني متأكد بان هذا هو شعوركم ايضاً. ومن جهة أخرى فأننا نقدر ونفهم الصعوبات الكبيرة التي اعترضت طريقة تنظيم الثورة ولاسيما في الأشهر الاولى بالنسبة لألوية سليماني وكركوك واربيل ومنطقة خانقين.

فيما يتعلق بفكرة إنشاء "جبهة تحرير كوردستان الجنوبي (أو العراقي) برأسة الجنرال بارزاني. تكون الجبهة مؤلفة من الحزب الديمقراطي الكوردستاني والى جانبه ممثلين عن الأوساط الكوردية الأخرى غير البارتية والمشتركة في الثورة. وهي الفكرة التي عرضتها على جناب بارزاني في رسالتي من بيروت وتطرقت الها ايضاً في رسالة رقم K/1509. فإن الأسباب الداعية لهذه الفكرة أوضحها كما يلي:

أولاً : ان الثورة هي ثورة الشعب الكوردي بكامله (عدى الخونة طبعاً) وليست فقط ثورة البارتي.

ثانياً: لذلك من المستحسن تمثيل كافة الأوساط المشتركة في الثورة في هيئاتها القيادية من سياسية او عسكرية بنسبة اشتراكها تقريباً. على ان يترك المكان الاول والأكبر والممثل للأكثرية في هذه الهيئات القيادية الى البارتي وعلى رأسه جناب جنرال بارزاني بصورة تعكس اشتراك البارتي الواسع في الثورة وقيادتها وبشكل يضمن المحافظة على صحة اتجاه الثورة السياسي.

ثالثاً: في حالة انشاء هذه الجبهة (سياسي) او مجلس الثورة (عسكري) وعدم تمثيل الاوساط غير البارتيه في هذه الهيئات يخشى حدوث ثغرات في الثورة وانقسامات داخلية.

رابعاً: ليس من الصحيح معاملة العشائر ورؤسائها المشتركين بشكل فعال في الثورة كما يعامل الخونة من الإقطاعيين الأكراد فهذا ليس في صالح الثورة ولا من باب الانصاف.

خامساً : إن الاحزاب الشيوعية نفسها في ساعات الضيق والايام الشديدة تقوم بعقد محالفات مع هيئات سياسية أقل تقدمية وحتى مع الاحزاب البرجوازية ومع كل عنصر مستقل شريف فلماذا لايكون صحيحاً قبول البارتي بعقد مثل هذه الجبهة الكوردية مع الاوساط الكوردية الاخرى المشتركة في الثورة والعاملة لإنجاحها ؟

سادساً : ان اشراك الاوساط الكوردية الاخرى غير البارتية والمشتركة في الثورة أقول إن اشراكها الى جانب الحزب الديمقراطي الكوردستاني في هيئات الثورة من سياسية أو عسكرية. بالإضافة الى الأسباب المذكورة اعلاه. يتماشى مع المبادئ الديمقراطية للبارتي نفسه.

سابعاً : ان أهم أسباب فشل الثورات الكوردية السابقة كان عدم وحدة الشعب الكوردي وبما أن الثورة الآن شعبية وشعبنا مجمع على النضال فينبغي عدم عمل أي شئ من شأنه إضعاف هذه الوحدة. وهذا هو رأيكم أيضاً أيها الإخوان الأعزاء كما كتبتموه في الرسالة.

ايها الإخوة الأعزاء، إن هذه الأسطر ليست الآ أراءً أقدمها للدراسة لجناب القائد العام بارزاني وإليكم. وأنتم أدرى بالوضع ولاشك انكم ستتخذون ماترونه مناسباً من مقررات بعد إستشارة رئاسة الحزب وقيادة الثورة العامة. واذا كانت قيادة الثورة ترى ان إنشاء مثل هذه الهيئات التنظيمية للثورة ستسبب بعض المشاكل فيمكن أيضاً تأجيل ذلك.

أدرك عصمت مخاطر تحزيب كل شيء. لذا أراد إبعاد الشعب الكوردي من دكتاتورية الحزب الواحد. فكان يصرّ على الإبقاء على لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي مستقلة" لجنة الدفاع (التي هي وليدة الثورة في الخارج من أجل الإتصالات والخدمات الخارجية) هي لجنة مستقلة غير حزبية في حد ذاتها بالرغم من أنها تحوي ويجب ان تحوي على ممثلين للاحزاب الكوردستانية الديمقراطية أو أن تكون على الأقل على اتصال وثيق مستمر مع المكاتب السياسية للاحزاب الديمقراطية الكوردستانية والهيئات الوطنية الشريفة لكي تكون سياستها صحيحة ومنسجمة مع سياسة هذه الاحزاب في الوطن. إن لجنة الدفاع لايمكن ان تكون تابعة لحزب كوردستاني واحد بل انها تتعامل مع جميع الاحزاب الكوردستانية في الأجزاء المختلفة من كوردستان وتسعى دوماً إلى أخذ وجهات نظر كافة هذه الأحزاب بعين الإعتبار والى تقريب وجهات النظر هذه إذا إختلفت. وإن وجود لجنة الدفاع في الظروف الحالية هو ضرورة تاريخية تدركونها ولاحاجة للرجوع لذلك."[159]

---

[159] رسالة في نسختين من سكرتير لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي عصمت شريف فانلي لجناب الجنرال بارزاني والى المكتب السياسي الموقر للحزب الديمقراطي الكوردستاني مؤرخة في 5 تشرين الأول 1962

التطور الطبيعي للحركة الكوردية
(مرحلة أولوية الكفاءات)

بدت الحركة الكوردية في عهد عبدالكريم قاسم تنتظم بالتدريج وبإنفصال الطرفين. المكتب السياسي في مناطق سوران. وملا مصطفى في مناطق بادينان. ويعود الفضل الى الدعم الريفي والمديني الهائل للحركة الكوردية التي أثارت أمالاً كبيرة في تحقيق بعض الحقوق القومية للشعب الكوردي. فتمكن الطرفان من تحقيق بعض الإنتصارات العسكرية كل على حدة. ويظهر أن العمل وفق زعامتين وفي منطقتين منفصلتين. كان يتقدم بشكل جيد. ولم يحصل الإنهيار الى بعد محاولات التسلط لدمج الزعامتين وتوخي كل طرف فرض وجهة نظره في إدارة الحركة وقيادتها.

لابد من متابعة تطور النضال الكوردي المسلح لكي نرى كيف تدهورت العلاقة بين ملا مصطفى والمكتب السياسي. فبعد هجوم الطائرات العراقية على مواقع القوى العشائرية، تفرق شملها بسرعه بعد شهر أيلول من عام 1961 وبقي فقط في الجبال الأعضاء الحزبيون. وبعد تفاهم قاسم مع شيخ بارزان وقبول الطرفين الدخول في هدنة، خرج ملا مصطفى بصحبة حوالي 600 مسلح من منطقة بارزان .ومن هذه القوة تشكلت (الحامية العسكرية المتحركة) وبتقدمها في أوساط عشائر بادينان. بإتجاه الحدود السورية. إنضم اليها أفراد من شتى القبائل الكوردية. وعدل ملا مصطفى عن فكرة الإلتجاء الى سوريا، فقد نهض الشعب الكوردي يؤيد الحركة وترك الجنود الكورد سلك الجيش والشرطة وأنضموا الى الحركة. وحققت قوات الحركة في بادينان وسوران إنتصارات عسكرية مشجعة.

المناخ السياسي الدولي والشرق أوسطي المحيط بالشعب الكوردي كان شديد الصعوبة والحركة يحاصرها الأعداء من كل جانب. فالقوات المسلحة العراقية. المشاة والقوات الجوية والشرطة وأعداد كبيرة من المرتزقة الكورد تهاجم أرياف كوردستان. تركيا معادية وحدودها مغلقة. سوريا وإيران كذلك. يرى الغرب أن الحركة الكوردية محرضة من قبل السوفيت. والدعم السوفيتي كان محدداً وسرياً. فالإتحاد السوفيتي كان المجهز الأول لنظام قاسم بالأسلحة والذخيرة والطائرات. بينما موقف القوى القومية العربية كان شوفينياً وعدوانياً. ففي نشرة بعثية نعبر عن عدم رضاها من تهاون قاسم في محاربة الشعب الكوردي. فتدعو علناً تبني أسلوب الطورانيين في محو الشعب الكوردي عن طريق صهره بالقوة وتهجيره من وطنه.

"عندما تمرد الاكراد في عهد عبدالكريم قاسم واعلنوا العصيان وأرادوا أن يكون لهم وطنهم الخاص بهم يريدون اقتطاعه من ارض عراقنا العربية" ونشر البيان "ان الاكراد في ذلك الوقت لم يكن هدفهم التخلص من قاسم بل ان هدفهم كان سياسياً ضد العروبة بأجمعها. ان مشكلة الأكراد هي مشكلة الأمة العربية بأكملها، فواجب الشباب العربي ان يعي هذه المشكلة لأنها لاتخص السلطات الحاكمة في العراق لوحدها او حزب البعث لوحده بل هي مشكلة الوطن العربي بكامله وعلى الشعب بجميع قواه ان يساهم في حلها وان يقف منها الموقف الصلب الإيجابي للقضاء على هذه العصابات التي تريد ان تخلق من وطننا العربي اسرائيل ثانية. واننا نؤمن إيماناً لايداخله الشك بأنه يجب إذابة وصهر جميع الأقليات المختلفة التي تعيش على أرضنا العربية في اطار القومية العربية ومن لايعجبه ذلك فعليه ان يرحل عن وطننا ويختار له وطناً لآخر".

إن جماهيرنا العربية تطالب بعد القضاء على العصيان ان تتم عملية الاسكان وذلك بتوزيع الأراضي في المناطق الكوردية على مواطنين عرب وبهذا نقضي على أهم المسببات التي من اجلها نادوا بوطن لهم وهو كونهم يسكنون هذه المنطقة لوحدهم وفي المستقبل يعمل على ترحيل الأكراد الى جميع أجزاء الوطن العربي حتى لايكون لهم اي تجمع قد يسبب خطراً على الدولة العربية..."[160]

هؤلاء تولوا السلطة بعد إزاحة قاسم ونفذوا مخططهم المتمثل في سياسة التصفية العرقية في كوردستان خلال العمليات العسكرية. كذلك في سوريا، حيث كتب طالب هلال كراسه العنصري في كيفية القضاء على الشعب الكوردي خلال "الحزام العربي".

كما وصفت نشرة الجبهة القومية في بيانها والثورة الكوردية في بداياتها في شهر أيلول 1961: "ان الجبهة القومية تدين قاسم بجريمة جرّ العراق الى هذه الأحداث وتهيب بالجماهير الى أن حكم قاسم والمثلث الذي يدعمه ممثلاً في الرجعية والاستعمار والشعوبية انما تشكل العدو الرئيسي والمباشر لحركة التحرر القومي وأن استمرار هذا الحكم من

---

[160] الفجر الجديد بغداد 1961/9/19 ، ص 194 .الحركة القومية التحررية الكردية في كردستان العراق 1958 1946 . تأليف البروفيسور د . كاوس قفطان .تموز 2004 سليمانية.

شأنه تجدد المأساة وتكرار الأحداث ولذلك وجب انهائه بأقرب وقت أي تصفية قاسم وقمع الحركة الكوردية."[161]

واتهمت جريدة العهد الجديد[162] الاستعمار والشيوعية معا في خلق الثورة الكوردية. أما جريدة الفجر الجديد فقد إتهمت الدول الاشتراكية في خلق أحداث كوردستان. كذلك رابطة القوميين العرب وقفت ضد الحركة الكوردية. وفي سوريا ومصر ولبنان هاجم القوميون العرب في نشراتهم وصحفهم قاسم والثورة الكوردية ونعتوا الاخيرة بالاسرائيلية والصهيونية. وذكرت الانوار البيروتية: "ان الحركة الانفصالية الكوردية قد بينت بجلاء تصميم الطامعين بالعرب على مقاومة الوحدة ومحاربتها بجميع الوسائل. ومن هنا وقف العرب جميعاً ضد الحركة الكوردية الأخيرة ومن هنا ايضاً سيقفون ضد أية حركة مماثلة"[163]

كان الموقف الرسمي العربي معادياً لطموحات الشعب الكوردي. رغم أن مصر كانت أكثر مرونة في لهجتها فقد نشرت جريدة الاهرام الرسمية " ان القلاقل في شمال العراق تحمل طابع اشتراك الشيوعيين فيها مستغلين البارزاني كما ان هناك معلومات تؤكد بان شركة البترول العراقية ليست بعيدة عما يجري في المنطقة."[164] كما ذكرت روز اليوسف المصرية: " ان الاكراد والشيوعيون هم بالذات يتطلعون الى اقامة دولة كوردية مستقلة.... ويمكن لهذه الاضطرابات ان تحقق فوائد كبيرة لبريطانيا ايضاً"[165] وذكرت مجلة آخر ساعة "ان قاسم هو الذي غذى النعرات الانفصالية واعاد الى اذهان الاكراد اطياف الحلم القديم – كوردستان العظمى...."[166]

كان الشعب الكوردي وحيداً في نضاله. ولم يكن له في الواقع العملي أصدقاء. فالحزب الشيوعي العراقي وهو أقربهم للشعب الكوردي. يندد بحرب نظام قاسم في كوردستان ويتمسك بموقفه من أن نظام قاسم وطني وصديق للاتحاد السوفيتي وضد الامبريالية

---

[161] الحركة القومية التحررية الكردية في كردستان العراق 1958 1946 . تأليف البروفيسور د . كاوس قفطان .تموز 2004 سليمانية عن . ص: 190 .الرقيب النشرة السرية لرابطة القوميين العرب في العراق. 1961/10/15)

[162] الحركة القومية التحررية الكردية في كردستان العراق 1958 1946 . تأليف البروفيسور د . كاوس قفطان تموز 2004 سليمانية . ص:195

[163] ن م س . ص: 196

[164] ن م س . ص: 198

[165] ن م س . ص: 198

[166] ن م س ص: 199

وليس صحيحاً رفع السلاح ضده. لقد بقيت الشعوب العربية خاضعة للدعاية الرسمية المضللة طيلة عقود وبصدقها. ولايزال عموم الشعب العربي غير متفهم لواقع الشعب الكوردي وحقه في تقرير مصيره على أرضه. هناك عدد قليل جداً من المثقفين العرب أظهروا تفهماً وأيدوا حق الشعب الكوردي في بناء دولته المستقلة على أرضه التاريخية، لكنهم إستثناء عن القاعدة. ولاتزال هذه النزعة الهدامة عائق أمام الإستقرار في الشرق الأوسط.

لقد قدمنا لمحة قصيرة عن حالة العداء التي تحيط بالشعب الكوردي وخطورة تعرضه لمجازر واسعة. إضافة ليس لفصائل الأنصار مصدر للسلاح والمؤونة والعتاد. شعب فقير في حالة حصار إقتصادي محكم ومحاصر من كل الجهات يقاتل دون دعم خارجي ويعتمد على قواه الذاتية فقط. وهذا حسب المنطق العقلاني يقتضي تنامي جميع الخلافات الشخصية وصيانة وحدة القيادة الكوردية لمواجهة المخاطر الفورية التي تهدد مجتمعهم. لكن من الملفت للنظر ان القيادة الكوردية لم تعر أي إهتمام بهذه المخاطر، إذ إنغمست في قتال داخلي دموي، كلف الشعب الكوردي الكثير من التضحيات والمعاناة، وبقي هذا المنحى يسبغ تصرفات النخبة القيادية طيلة خمس عقود.

بقيت العلاقة بين رئيس الحزب والمكتب السياسي طوال حكم عبدالكريم قاسم تتسم بنوع من الإيجابية والسلبية معاً. فقد تولى الطرفان إدارة منطقة نفوذه كل على حدة، وفي مواجهة حملات شديدة من الجيش والمرتزقة. كان الدعم الجماهيري قوياً للمقاومة الكوردية طوال حكم عبدالكريم قاسم. وتمكن رئيس الحزب والمكتب السياسي ترسيخ قواعد المقاومة وتوسيعها في مناطق دهوك والسليمانية وأربيل..

في واقع الأمر كان حكم قاسم يقترب من نهايته، وقد تسارعت وتيرة هذه النهاية بحربه في كوردستان، وفي الوقت ذاته تفوت الحركة الكوردية بفضل تأيد الجماهير لها وبالأخص في ريف كوردستان. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تتوقع سقوط نظام قاسم، ويذكر أرشيف أمريكي مؤرخ في 1962/5/3 بهذا الصدد:

"كان هدف المعارضة العراقية لرئيس الوزراء عبدالكريم قاسم هو الإطاحة بحكمه، لكن هذه المحاولات احبطت بسبب الخوف من سلطاته الواسعة على جميع أجهزة الحكومة، تواجد وتشابك شبكة مخابراته وسيطرته على الجيش.............................."

قاسم منشغل بحملة عسكرية، يستخدم فيها القوات والمدفعية والطائرات ضد التمرد القبلي الكوردي (المدعوم من قبل الحزب الديمقراطي اليساري الكوردستاني ومن قبل

سكان المدن) في الشمال وفي شمال شرقي العراق بمحاذات الحدود التركية الإيرانية.
.... إن هذه الحملة العسكرية مضرة سياسياً ذلك لأن قاسم أصرّ على ان العراق بلد التآخي بين العرب والأكراد والأقليات الأخرى. كما إن المقاومة الكوردية تظهر نفور جميع العراقيين من قاسم. ان قوات الأنصار الكوردية مشهورة بالصرامة والتملص. كما إن الجهد المفروض على الجيش خلق الإمتعاض ضمن القوات العراقية."

ثم يمضي نفس الأرشيف الى القول: "هنالك الآن تقارير عن محاولة جديدة بعثية للإطاحة به في شهر نيسان أو مايس:

"قد يكون النظام الذي سيخلف قاسم من القوميين العرب أو محايدين أو من أطياف سياسية أخرى. الحكومة المقبلة ربما تكون أقل عداء للغرب في خططها ومظهرها. لكن في كل الأحوال فإن سياسة الولايات المتحدة هي عدم التدخل بأي شكل كان مع المعارضة ضد قاسم، حتى مع العراقيين الذين يظهرون روابط الصداقة مع الولايات المتحدة."

وينصح الأرشيف حكومة الولايات المتحدة في حالة زوال نظام قاسم، وفي كل الأحوال وجوب التشاور عن قرب مع المملكة المتحدة وتركيا وإيران قبل الإقدام على أية خطوات.[167]

وفيما يتعلق بموقف الولايات المتحدة أزاء التغيير، يقول الأرشيف السري:

"1. إن كانت المجموعة التي تأخذ زمام الحكم تمثل العراقيين عموماً وقوميين ويبدو انهم يسيطرون تماماً على الوضع، على الولايات المتحدة في هذه الحالة الإعتراف الفوري وأن تتجاوب فوراً بعرض المساعدة. وعلينا عدم تشجيع التدخل من جانب أي من الدول الجارة للعراق إن كان هناك ميل للقيام بذلك.

2. في حالة كون المجموعة التي أطاحت بحكم قاسم، ممثلة لحزب البعث (حزب البعث العربي الإشتراكي وهي منظمة ممزقة بنزاعات داخلية جدّية) على الولايات المتحدة تأخير الإعتراف حتى التأكد من أن المجموعة تسيطر تماماً على الحكم. في هذه الحالة أيضاً علينا عدم تشجيع التدخل من قبل الدول المجاورة للعراق.

3. وعند إمتناع الأكراد دعم الحكومة الجديدة في حالة إستمرار الحيرة بعد الإطاحة بقاسم، ويطالبون بالحكم الذاتي ضمن مناطق معينة من العراق، على الولايات المتحدة الإعتراف بالحكومة الجديدة على أساس نفس المقياس الذي تستخدمه في أماكن لاتتواجد فيها تعقيدات كوردية، وبهذا ننأى بأنفسنا عن الإظهار بدعم المطالب الكوردية.

---

[167] File 611.87/6-2062. Washington, May 3, 1962. Contingencies in Iraq

4. وفي حالة إستمرار الصراع بين الشيوعيين وغير الشيوعيين، علينا التشاور مع الدول المجاورة للعراق ومع المملكة المتحدة، والبحث عن كيفية مساعدة العناصر غير الشيوعية ونصرتها دون تدخل سافر من قبل الولايات المتحدة أو من قبل أية دولة غربية ضمنها تركيا وإيران. ومن المصلحة أن يبقى الصراع عربياً كل ما أمكن.

5. ونفس الشئ، وهذا مستبعد، في حالة نجاح مفاجئ للعناصر الشيوعية المسك بزمام الحكم في العراق، علينا ان نتوصل الى أفضل وسيلة لتوجيه أو تشجيع ردّ الفعل العميق والخطر لجارات العراق. علينا أن نكون مستعدين لعرض الموضوع أمام مجلس الأمن للأمم المتحدة حسب المتعارف عليه، بهدف منع السوفييت وربما أخرين عن التدخل في الشأن الداخلي وماينجم عنه من ردور فعل تجاه السيطرة الشيوعية.[168]

في الفصول السابقة شاهدنا عفوية تطور الحركة الكوردية والتفاف الجماهير حولها وتقديمها للتضحيات في سبيل تقويتها. وفيما بدى للعالم الخارجي ان الحركة في مسارها الصحيح وتناضل من أجل حقوق مشروعة، كانت قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني في أزمة داخلية عميقة، شعر بها جميع الصحفيين الأجانب الذين زاروا كوردستان بين أعوام 1961الى 1964 وكتبوا عنها.

كيف حصل هذا التدهور في العلاقة بين الرئيس وأعضاء المكتب السياسي؟ وفي وضع يواجه الشعب الكوردي خطر الحرب الظالمة من قبل حكومات بغداد؟ لابد من التذكير لم تكن العلاقة طبيعية بين الإثنين في أي وقت من الأوقات.

أين تكمن بذور الأزمة؟ هل كان يمكن تفاديها؟ أم إنها كانت حتمية؟ هل لها عوامل خارجية أم إن أسبابها تكمن في رحم المجتمع الكوردي وفي تباين طبقاته وإختلاف توجهاتها السياسية والمصالح الاقتصادية المتناقضة؟ أي بالأحرى المواجهة بين البرجوازية الكوردية الصغيرة النامية والإقطاع الكوردي الذي يأبى الخضوع للبرجوازية الكوردية النامية ؟

ما يعنينا هنا، هو فهم ماحصل قدر ما تسعفنا الوقائع التي نستند عليها في تحليلنا لهذا الإنشقاق الداخلي والذي أضعف نضال الشعب الكوردي وكان سبباً في نكسة عام 1975.

[168] File 611.87/6-2062. Washington, May 3, 1962. Contingencies in Iraq

ولنبدء بقادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني.

ملا مصطفى، رئيس الحزب، ربما ولد عام 1901 أو عام 1902 لكننا نجهل في الحقيقة يوم أو شهر مولده ولذا ماقلناه لايعدو أن يكون تقريبياً. شاهد بين أعوام 1900 و 1932 إنحسار النفوذ العثماني ووصول محتلين جدد، بريطانيا بالدرجة الأولى وثم فرض سيطرة حكومات بغداد على كوردستان بالقوة. إشترك في حمل السلاح ومحاربة المحتلين. لم يتمكن من متابعة حياة هادئة فقد كانت المنطقة عرضة للحروب سواء مع الحكومات أو في حروب قبلية مزمنة. لقد تعلم تجربته من واقع الحياة القبلية وفهم سيكولوجية الريف الكوردي وأهمية القوة في التعامل مع الصديق والعدو.

أما اعضاء المكتب السياسي، فقد كانوا أصغر منه سناً وأبناء مدن ينتمون الى البرجوازية الصغيرة النامية، فقد ولد ابراهيم احمد عام 1913، جلال عام 1933، عمر مصطفى 1921، نوري شاويس 1918، علي عبدالله 1922. فارق العمر كبير بين الرئيس وأعضاء المكتب السياسي. فجلال الطالباني يصغر رئيس الحزب بـ 31 عاماً، والأقرب اليه هو إبراهيم أحمد ويصغره بـ 11 عاماً. الخلفيات الإجتماعية والثقافية مختلفة تماماً. فملا مصطفى نشأ في الريف المنعزل وبقي في كنف خاله أحمد أغا شيرواني، تزوج من إبنته، وهي اولى زوجاته. وكما يظهر أنه لم يأخذ تعاليم الطريقة مأخذاً جدياً بقدرما كان يستغلها لتقوية نفوذه في الوسط البارزاني. فقتله لمرشد الطريقة في 1 أيلول عام 1927 وهو إبن عم له مع إثنين من شخصيات الطريقة كانت بداية تسلقه السياسي وبداية استخدام أسلوب الإبتزاز الناجح لتطويع السكان. وشديد الحرص على تحسين حالته المادية مع خطاب الزهد والترفع عن المال. كانت له حساسية سياسية مرهفة، فقد توصل الى قناعة أن البريطانيين، الأسياد الجدد في كوردستان والعراق، هم الذين يملكون مستقبلاً زمام المبادرة في كل الأمور. فحاول التقرب منهم بشتى الوسائل، منها وسائل غريبة جداً. ومن هنا اهتدائه الى فكرة إشاعة دعاية التحول من الإسلام الى المسيحية واحلال تناول لحم الخنزير. وقد أشار الى ذلك عدد من الصحفيين الأجانب كذلك تقارير وزارة المستعمرات البريطانية، لكنها كانت تعزوها الى "الأطوار الغريبة لشيخ بارزان" زوراً. وعندما قصد عدد من البارزانيين شيخ بارزان وأستفسروا عن هذا المنحى الغريب، نهاهم بشدة، وكان في هذا الوقت منعزلاً وممتعضاً جراء إغتيال مرشد الطريقة ملاى ملا محمود. وقد لعب ملا مصطفى دوراً في المعارك التي دارت لإحتلال مناطق بارزان في أعوام 1930 ، 1931 وعام 1932 . كان يضخم دوره ويبالغ فيه، لكن دعاياته :كانت مؤثرة في وسط مجتمع لايفرق بين الحقائق وأغراض الدعاية، يشذ عن هذا عدد من الذين بقوا مرتبطين بشيخ بارزان مباشرةً.

لم تنجح مساعيه في الماضي التقرب من البريطانيين ولا في المنفى العراقي. وعندما حلّ في السليمانية مع البقية من العائلة البارزانية كمنفيين. وجد المدينة في غليان قومي والجميع يتوقون الى التغير. فهي المركز الثقافي والنضالي للنشاط الكوردي. عانى ملا مصطفى كبقية أفراد العائلة البارزانية من ضنك العيش. وكان شديد الإمتعاض من وضعه. فكثف صلاته مع النشطاء الكورد وتبنى موقفهم القومي. وزوده ذلك بنقطة انطلاق نحو لعب دور الزعيم القومي. الشخصيات النشطة في المدينة كانوا يتوقون الى القيام بعمل من أجل نيل الحقوق الكوردية من خلال استغلال فوضى الحرب العالمية الثانية وهذه كانت تنذر بإحداث تغيرات كبيرة في العالم. لكن البرجوازية الكوردية الهزيلة والفاقدة الثقة بذاتها. وجدت أن بالإمكان إستخدام قابليات البارزانيين العسكرية وذلك من خلال التحالف مع ملا مصطفى في عمل مشترك. فالبارزانيون يؤلفون كياناً عسكرياً بالفطرة ووزنهم مؤثر في ممارسة ضغط عسكري على بغداد وسلطات الاحتلال البريطانية. كان هناك شعور عميق بالغبن والظلم على يد حكومات بغداد وسلطات الاحتلال البريطانية.

كانت الحاجة متبادلة بين الإثنين. فملا مصطفى من خلال هؤلاء المثقفين يخرج من قوقعته الضيقة ويسبغ على عمله منحى قومي ويقوم هؤلاء بالدعاية له كما يزودونه بالمال والمعلومات والدعم المعنوي وتعريف القضية الكوردية ومظلومية الشعب الكوردي داخلياً وخارجياً ويبرز هو كزعيم وطني محاط بالأغاني والمديح وهذا ما استهواه. فمن شدة فقدان الثقة بقدرتها، دأبت هذه البرجوازية الكوردية الصغيرة، الهزيلة والإنتهازية الى البحث عن بطل، لاضير حتى وإن ساهم في صنعه الإعلام الفائض بالمديح والأساطير والأشعار والأغاني. ومن هنا فإن ملا مصطفى هو الى حدٍ كبير هدية هذه الرجوازية الهزيلة الى الشعب الكوردي.

وجهة نظر الإثنين للحزب كانت متناقضة تماماً. فقد ظهر فيما بعد أي نوع من الحزب يجب ان يكون عليه حدك لكي يرتاح له ملا مصطفى. فهو يريد حزباً ينصاع لرغباته الشخصية. خاضعاً وخنوعاً ينفذ أوامره دون تردد. وقد فهم جوهر البرجوازية الكوردية الهزيلة وردود فعلها المتهورة ونجاح سلاح الابتزاز أو المال لتطويعها. فهو لاينتمي الى الحزب إنما على الحزب ان ينتمي اليه. وهو لاينتمي الى بارزان إنما على بارزان ان تنتمي اليه. وإن تعذر ذلك يجب صوغهما من جديد لكي تلائم رغباته. ويريد أعضاء المكتب السياسي كحاشية وليسوا رفاق نضال لهم حقوق في إتخاذ القرارات المصيرية. لقد عمل على صياغة

حزب ينخر في جسده الفساد والمحسوبية كما سلّط عليه نفوذ المرتزقة فيما بعد وأصبح حدك بتأثيره وبالأخص في عهد وريثه (إبنه مسعود) مطية للأغوات وحامٍ لشبكات مصالح عائلية وإقطاعية واسعة .

أما أعضاء المكتب السياسي فخلفياتهم تختلف كثيراً عن خلفيات ملا مصطفى. فهؤلاء يعتبرون أنفسهم يساريين واشتراكيين وينتمون الى البرجوازية الصغيرة أوالمتوسطة المدينية. كلهم درسوا في الجامعات[169] وعلى قدر جهد من الثقافة بالنسبة لتلك الحقبة الزمنية. لكنهم كانوا الى حد كبير نظريين ولم يدركوا أو ربما تجاهلوا عمق الهوة الفكرية التي تفصلهم عن رئيس الحزب كما لم يعوا مدى قوة ورسوخ العقلية القبلية في المجتمع الكوردي ومدى بعد ملا مصطفى (رئيسهم) عن (التقدمية) التي يبشرون بها. فحسب ما كتبه جلال الطالباني عن نظرته الى الإقطاعيين حيث يعتبرهم ملا مصطفى عماد قوته يقول: "ان الموقف الرسمي للحزب تجاه هذه التجمعات - يعني التجمعات العشائرية - كان كما يلي: الاشتراك فيها بغية توجيهها وجهة شعبية وسلمية أي ابعادها عن التصادم المسلح مع الحكومة، ومن ثم بث الدعاية الحزبية بين جماهيرها، لأنه لا يجوز مبدئياً اعطاء المجال للعناصر الاقطاعية باحتلال مركز الصدارة في الحركة التحررية لان الحزب يؤمن بحقيقة تطور الحركة التحررية الكوردية وصيرورتها حركة جماهيرية ثورية ذات طليعة (حزب) منبثقة من صميم الشعب لتنظيم قوى جماهيره وقيادة نضاله، فضلاً عن الماضي الاسود للاقطاعية الكوردية ودورها المشين في النضال التحرري الكوردي منذ القديم."[170]

هؤلاء يريدون حزباً ثورياً عصرياً، قراراته تخضع لقيادة جماعية بأكثرية الأصوات، يجري في الإجتماعات نقاش ديمقراطي حرّ وعلى أساس المساواة التامة بين الأعضاء والتقيد ببنود الدستور الحزبي، والترقي في المناصب الحزبية مرهون بقابليات الأعضاء وليس لرابطة القرابة صلة بذلك. كان هذا الخلاف هو السائد بين أعوام 1961 - 1964 بين رئيس الحزب وجميع أعضاء المكتب السياسي. وكان المكتب السياسي من أنصار تشكيل جيش ثوري منظم خاضع للإنضباط والقوانين التي تتحكم في الفصائل الثورية التي تقود نضال التحرر الوطني كما كان الحال في العديد من البلدان المستعمرة والتي شنت حروب تحرير وطنية من الهيمنة الاستعمارية في أفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية. في حين كان ملا مصطفى يريد قوات خاضعة له مباشرة وليس مهماً عملية التنظيم على أسس جيش ثوري

---

169 Le Kurdistan Irakien Entité Nationale. Ismet Cheriff Vanly. Editiond de la Braconnière Neuchatel 1970. P:117

170 رسالة من جلال الطالباني الى عصمت شريف فانلي مؤرخة في 1963/7/9 كردستان الجنوبية. باله ك.

وعصري، وزيّ موحد، منضبط ومتمسك بالقوانين التي تنظم واجبات وحقوق أعضاء هذا الجيش. وتبني تكتيك حرب عصابات منظمة. كان خوف ملا مصطفى أن هذا النمط من القوات منفلت من سيطرته ولا يتمكن التحكم بها كما يشاء، لذا وقف ضد التنظيم الحزبي للقوات الثورية، وعمل على إنماء الولاء لشخصه وحارب الولاء الحزبي.

ماضي ملا مصطفى كان يكشف حقيقة صعوبة التعامل معه، فنزعة الإنفراد بالزعامة من أهم ميّزات شخصيته. فقد تذمر الضباط الكورد عزت عبدالعزيز، مصطفى خوشناو، خيرالله عبدالكريم، محمد محمود قودسي ونوري أحمد طه، من سوء تعامله معهم أثناء إلتجائهم الى إيران حيث ساهموا في خدمة جمهورية مهاباد 1946. واختلف مع العديد من رفاقه القياديين أثناء تواجدهم في الاتحاد السوفيتي كلاجئين بين أعوام 1947 – 1958 منهم ميرحاج أحمد وشيخ سليمان وأخرين. وطرد عام 1959 حمزة عبدالله، صالح الحيدري و نجاة أحمد عزيز وهم من بناة الحزب الحقيقيين (الثلاثة هم أعضاء المكتب السياسي)، وعدد من رفاقهم في الحزب، منهم حميد عثمان وخسرو توفيق عضوي اللجنة المركزية، الى جانب بعض الكوادر المتقدمة ضمنهم الدكتور محمود عثمان رئيس اتحاد طلبة كوردستان، وهؤلاء كانت لهم نظرتهم السياسية ولم يكونوا مجرد تابعين له أنذاك.

رغم عملية طردهم بالقوة – حمزة عبدالله ورفاقه – وإحلال فريق – إبراهيم احمد – محلهم، كان الفريقان قد عملا في ظروف الخطر الداهم وأثبتا جدارة في العمل الوطني وقابليات الصمود وفن العمل السري. وبالأحرى لم يتبوؤا القيادة عن طريق المحسوبية والمنسوبية حيث أصبح الحزب فيما بعد فريسة لذلك بشكل مفضوح، إنما تسلقوا المناصب الحزبية في مرحلة معينة، بنضالهم وشجاعتهم وكفاءاتهم الشخصية.

وكان المكتب السياسي يراعي دستور الحزب والأعضاء يتولون مهامهم الحزبية وفق قوانين التصويت الحزبي، وبعد عودة ملا مصطفى من الإتحاد السوفيتي إنتهى احترام الدستور الحزبي، فأصبح التعيين او الطرد أموراً عادية بالنسبة للرئيس، وفقد الحزب أصالته والتزاماته بنصوص دستور الحزب، الا من الناحية الشكلية.

لم يقف طويلاً أعضاء المكتب السياسي الجدد- إبراهيم أحمد ورفاقه - موقفاً متروياً من ماضي ملا مصطفى، ولم يعطوا لوصية الضباط الأربع أية قيمة، حيث كتبوها قبل شنقهم عام 1947 . إنحصرت طريقة تعاملهم مع رئيس الحزب في ثلاث مسارات:

- العمل معه وفق منهاج الحزب. لكن رئيس الحزب لم يكن يؤمن بالحزب ولم يهمه نصوص الدستور. فالتنظيم الوحيد الذي يعرفه هو تنظيم القبيلة وكل شيئ في القبيلة خاضع لرئيسها. أموال وأرواح وصلاحيات. فالحزب الذي يحل محل القبيلة مرحب به. حيث لامساءلة ولامحاسبة لزعيم القبيلة ولايرد له طلب. لكن مبدأ القرارات الجماعية وإشراك أخرين في الصلاحيات والمال. أمرغير مقبول البته. وهذا ما لم يرغب أعضاء المكتب السياسي فهمه أو أخذه بعين الإعتبار. لقد فضلوا الأوهام على الحقائق. وصدقوا دعاياتهم المضللة التي نشروها حول رئيس الحزب وتعظيمه على أوسع نطاق بين جماهير كوردستان الغير واعية لواقع الحال. وعندما إصطدم المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني بالحقيقة المرة قاموا بردود أفعال متهورة زادت من العناد وشخصنة الصراع. وقرر ملا مصطفى عدم التنازل عن الرئاسة أياً كان الثمن. وليكن مايكون.

- الخضوع له كموظفين يسيرون الأمور وفق مشيئته. وهذا ماحصل بعد طرد أعضاء المكتب السياسي القديم. وتعيين أعضاء جدد مكان القدامى. ومن هنا أصبح الحزب موضع ترحيب وتقدير أي بعد أن حلّ الحزب محل القبيلة وبكل ما يعني ذلك من طاعة وخضوع.

- أو المعاداة التامة. إذ بانضمام المكتب السياسي القديم الى حكومات بغداد وشن حملات مع الجيش العراقي ضد زعيمهم القديم. انتزعوا عن أنفسهم كل شرعية ثورية. وهذا ما عزز الزعامة الفردية لملا مصطفى في الوسط الشعبي الكوردي. ومن أهم ملامح المرحلة التي أعقبت عام 1966 هو طغيان دور الفرد – ملا مصطفى – في مقابل تراجع فاعلية المؤسسات – الحزب ومختلف أنشطته - وفي كل الحالات فقد الحزب أصالته وديناميكيته الثورية. وتقوقعت الحركة الكوردية في إطار الفكر القبلي ولم تخرج منه الى يومنا هذا.

وفي واقع الامر كان واضحاً خلال عام 1962 ان رئيس الحزب يميل الى القوى الاقطاعية ويعمل على تسيدها في المجتمع وفي قيادة الحركة والحزب. وقام بضرب القوى التقدمية والقيم الثورية وتشويه مفهوم العدالة في المجتمع الكوردي.

برزت الخلافات الى العلن بعد الإعلان عن الإتفاقية بين المشير عبدالسلام عارف وملا مصطفى في 10 شباط 1964. فقد تجاوز ملا مصطفى الحزب ولم يعر في إتفاقه أية أهمية للمكتب السياسي. ووقف الأخير ضد الإتفاقية. وأرسل ملا مصطفى برقية تهديد مباشرة الى المكتب السياسي يطلب إعادة المناطق المحررة من كوردستان الى القوات الحكومية: "برقية رقم 87 بتاريخ 1964/3/2" يأمر فيها المكتب السياسي: " 1. إذا أرادت القوات الحكومية العودة الى المواقع التي أنتم فيها أطلب منكم السماح لها بذلك. 2. عندما تأتي

القوات الحكومية الى مناطقكم أطلب منكم تخليتها والإنسحاب الى الوراء. 3. وإن كانت مواقعكم ضيقة إنسحبوا الى حيث أنا. 4. إن حصل قتال بينكم وبين الحكومة سيكون سبباً في حصول القتال بيني وبينكم. أخبروني على عجل إستلام البرقية. لم يهضم المكتب السياسي هذا الموقف الفردي في قضية مصيرية. وإعتبر الإتفاق بين عارف وملا مصطفى لايلبي الحد الأدنى من المطالب الكوردية. ويعلق على سنجاري على الإتفاقية: " الا ان المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني وقف ضد تلك الإتفاقية بشدة لانها في حقيقة الأمر لم تتضمن أية مبادئ تنسجم والحقوق القومية للشعب الكوردي والتضحيات التي قدمها من اجل نيل تلك الحقوق المشروعة. وغدت الخلافات بين البارزاني والمكتب السياسي تزداد تطوراً وتتدهور بإستمرار."[171]

حصل تعاون بين جناح ملا مصطفى والحكومة العراقية في عدد من المجالات ضد جناح المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني والشيوعيين بحسب ما ورد في برقية حكومية مؤرخة في 1964/3/28: "برقيتكم 44 في 1964/3/21 راقبنا تنفيذ إيعاز الملا مصطفى الى ممثليه في قاطعنا. طلبنا اليه الاتصال بنا عند زياراتنا لقاطع شيخان فوافق وتمت المقابلة يوم 1964/3/27 وتم وضع حل المشاكل التالية: منع التجول المسلح. مراقبة البارتيين والشيوعيين. منع أوراق عدم التعرض الممنوحة من قبل البارتي. تسهيل إعادة المواطنين الى مناطق سكناهم وتصفية العلاقات العشائرية. التعاون على مكافحة المناشير والدعاية الشيوعية والبارتية وادامة التماس بين ممثلي الملا مصطفى والموظفين الاداريين في المراكز والاقضية والنواحي لتسوية المشاكل المحلية واعادة الإجراءات من قبل السلطات الحكومية لقطع دابر الانتهازيين والمتصيدين في الماء العكر. منع جميع التبرعات والتهديدات لدفع الاتاوات والقاء القبض على من يقوم بذلك. التعاون على إلقاء القبض على المجرمين المعادين المطلوبين أمام العدالة. أظهر ممثل الملا مصطفى المواطن حسو البارزاني اخلاصاً وتحمساً لتنفيذ ذلك وبهذه المناسبة لايسعنا الى ان نشكر الملا مصطفى البارزاني وممثليه على عزمهم وتعاونهم المطلق مع السلطة في اعادة الاستقرار والحياة الطبيعية في شمال الوطن."[172]

كانت غالبية فروع ومؤسسات الحزب الديمقراطي الكوردستاني من مؤيدي موقف المكتب السياسي في هذه المرحلة. فقد كانت أربعة من فروع الحزب من أصل خمسة فروع

---

[171] الحركة التحررية الكوردية مواقف وآراء. على سنجاري. أيلول 1996. ص: 47

[172] ملف جامع للوثائق والبيانات التي أصدرها جناحي المكتب السياسي و ملا مصطفى. جمعه شازين هورش و نزار محمد وتشمل أعوام 1964 – 1970 . نص برقية. الى قائمقام العقرة وشيخان وزاخو. الى فق 2 مكرر (ر.ا.ح) مكرر حركات. مكرر الاستخبارات. مكرر متصرفية السليمانية. ..س فن رتبس الموصل... في 1964/3/28. ص:68.

تؤيد المكتب السياسي[173]. لكن الأكثرية ليس لها وزن في هذه الحالة. فالقوة وحدها تقرر، وهي سيدة الموقف.

ملا مصطفى كان يؤمن بالقوة والمال. وتمكن من مهاجمة مكتبه السياسي وملاحقتهم الى إيران. وعين أعضاء آخرين مكانهم، وأصبح أعضاء المكتب السياسي الجديد أشبه بموظفين يؤدون أدوارهم وفق أوامر ملا مصطفى وتحت سيطرته التامة، وإنتهى دورالقرارات الجماعية وإحترام الدستور الحزبي. إضافة الى كونه رئيس الحزب والقائد العام لقوات الأنصار وممثل الشعب الكوردي إحتفظ ملا مصطفى بجميع أموال الحركة الكوردية داخل الاسرة. وبهذا أصبحت هيمنته مطلقة على جميع مناحي الحياة في المناطق الواقعة تحت سيطرته، وأزداد نفوذه بفعل الأخطاء الفاضحة التي قام بها أعضاء المكتب السياسي في مجال الصراع على الزعامة وفي النهاية إنضمامهم الى نظام عبدالسلام عارف في شباط 1966. من المدهش حقاً هؤلاء القادة الفخورين بالنضال الى حد الغرور، إنضم 13 عضواً[174] من أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية الى نظام البعث بعد أن قرر رئيس الحزب نفسه تصفية الحركة الكوردية عام 1975 واتخاذ قرار اللجوء الى إيران.

هناك شيئ من عنصر العناد الكثيف المصحوب بالضغينة يسبغ مواقف قادة الحزب، وهو من نفايات الغرور القبلي، فبفعل تحكم العناد الشخصي، يلجأ القائد الى التهديد بالقضاء على الحركة الكوردية برمتها لكنه لن يقبل التنازل الى الطرف المعارض من بني قومه. ومن هنا المهادنات مع بغداد لتصفية حسابات الزعامة. وليس لكل هذا أدنى صلة بالحقوق القومية للشعب الكوردي وإزالة الظلم عن كاهله، وفي وقت كان نضال الشعب الكوردي في أمس الحاجة الى قيادة موحدة متفانية، والتفرغ الى مقاومة الحملات العسكرية الشرسة التي تشنها الحكومات العراقية. كانوا زعماء بلا مبادئ أو ثوابت وبلا أدنى شك لم يكونوا في مستوى المسؤولية التاريخية لقيادة حركة تحررية ثورية لشعب يعانى من الظلم والإضطهاد القومي. فعندما تطغى الكراهيات الشخصية في قضايا الشعوب المصيرية على أولويات مقاومة العدو الخارجي، تدفع القضية القومية برمتها الثمن الباهض ويفقد الشعب الذي يخوض غمار حرب التحرير الثقة بتضحياته بينما يستغلها العدو المتربص لصالح ديمومة تسلطه.

---

[173] الحركة التحررية الكوردية مواقف واراء. على سنجاري. أيلول 1996 ص 53

[174] الحركة التحررية الكوردية مواقف واراء. على سنجاري. أيلول 1996 ص 63

يانرى، هل أن خطر حكومات بغداد المباشر على الشعب الكوردي وضغوطاتها العسكرية ووحشية أجهزتها القمعية في العامين الأولين للحركة، جعل كل تفكير القادة والشعب الكوردي منصباً على الصراع الرئيسي الداهم والغير متكافىء مع حكومات بغداد. أي أن الخطر الآتي من بغداد أصبح هاجساً رئيسياً أدى الى إهمال وحدة وكفاءة القيادة الكوردية، فهيمن التغاضي عن خطورة السلوك القيادي الكوردي وتوسع الشرخ بين القيادة الجماعية لحدك ورئيسه، لحساب العدو الخارجي. فتعقيدات نضال الشعب الكوردي الجيوستراتيجية هي من الخطورة بحيث إستحوذت كلية على تفكير الساسة الكورد في مرحلة أولوية مواجهة العدو الخارجي – بدايات الحركة الكوردية - لكن في مجرى تفاقم الخلافات الكوردية الداخلية تم التحول من مرحلة (أولوية مواجهة العدو الخارجي) الى مرحلة (أولوية تصفية الحسابات القيادية الداخلية). ومن هنا جاءت (مهادنة العدو الخارجي والتفرغ لتصفية حسابات الزعامة). هذا التحول الخطير برز الى العلن بعد إنقلاب عبدالسلام عارف على رفاقه من البعثيين في 18تشرين الثاني 1963 وكان مؤشراً واضحاً على تدهور القيم الوطنية ضمن القيادة الكوردية.

وبعد لجوء المكتب السياسي الى إيران إثر معارك مخزية بين جناحي ملا مصطفى والمكتب السياسي، دعا ملا مصطفى في "بيان الى المواطنين الأعزاء" ورد فيه تهديد مباشر لمن يتعاون مع المكتب السياسي:

"................................."

"وفي هذا الوضع الدقيق الذي تقوت فيه ثورتنا المباركة وزادت إمكانيتها واوقف القتال مع الحكومة لأجل التفاوض للحصول على أهدافنا القومية (الحكم الذاتي الكوردستاني) بشكل سلمي نرى ان جماعة من عديمي المبادئ والفضوليين يرومون محاربة الثورة والبارت الديمقراطي الكوردستاني حسب المخطط الموضوع لهم من قبل الأجنبي لإضعاف الثورة والبارتي.

"........................."

"أيها الأخوات ايها الإخوة المناضلون نحن على علم بأنكم المخلصون للثورة وتدركون مدى المخاوف من جماعة ابراهيم أحمد وتعلمون بان هؤلاء هم ضد الثورة والشعب الكوردي وبلا شك انكم لاتتعاونون مع حركتهم هذه ونحن نكرر عليكم ثانية بعدم التعاون مع هؤلاء اعداء الثورة وان لاتاويهم لان في ذلك ضررا كبيرا للحزب البارتي والثورة والكورد وسوف نضطر الى إنزال اشد العقوبات ضد أي شخص او مكان اية قرية عند عدم الاخذ بهذه التعليمات الاخوية. ومد يد المساعدة الى اعداء الثورة.

"......................."

.اخوكم بارزاني مصطفى. رئيس الحزب البارتى الديمقراطي الكوردستاني والقائد العام للجيش الثوري الكوردستاني .1964/7/21 .[175]

بقيت هذه القيادة رغم عدم أهليتها تقود الشعب الكوردي الى يوم تخليها عن الحركة الكوردية عام 1975. في حين إنضم جناح المكتب السياسي القديم الى حكومات بغداد يقاتل مع الجيش العراقي قوات رئيسهم السابق من عام 1966 الى عام 1970.

لكي نفهم مجريات الأحداث الواقعة بين عامي 1963 و 1964 من الضروري قراءة مقالات الصحفي الفرنسي (ارك رولو Eric Rouleau) عن بدايات الحركة الكوردية وزياراته الشخصية لقادتها وهم في معاقلهم . كمصدر يمكن الاعتماد عليه . أصبح Eric Rouleau فيما بعد سفيراً لفرنسا في تونس من عام 1985 – 1986 وهو من الناطقين باللغة العربية. ثم عين سفيراً لبلاده في تركيا 1988 – 1992 وهو الذي هيأ مروحية فرنسية لتسهيل سفر عصمت شريف وانلي ومرافقيه الى كوردستان اثناء النزوح الجماعي لشعب كردستان ربيع عام 1991. وهو صحفي معروف دولياً وواحد من المختصين في علاقات اوروبا بالشرق الاوسط. كماعمل كمراسل خاص لـ Le Monde Diplomatique .. التقى رولو شخصياً بقادة الثورة الكوردية. وكان قد دخل سراً الي معاقل الانصارفي جبال كوردستان. ووصف وصفاً دقيقاً الجو العام الذى شاهده اثناء وجوده بين الثوار. وكان قد زار كوردستان بعد الاطاحة بحكم قاسم اثر انقلاب شباط الدموي عام 1963 ثم في تموز عام 1964 بدعوة من الحكومة الجديدة بعد ان ازاح عبدالسلام عارف نظام حزب البعث العربي الاشتراكي عن السلطة . ونقتطف بعض ما رأيناه هاماً من مقالات (رولو) في اليومية الفرنسية لوموند[176]:

---

[175] ملف جامع للوثائق والبيانات التي أصدرها جناحي المكتب السياسي و ملا مصطفى. جمعه شازين هيرش و نزار محمد وتشمل أعوام 1964 – 1970 . ص: 205

176 على قفى المهربين. جريدة لموند 1963/4/10

اثناء سيرنا في الطريق أراني مبعوث الجنرال بارزاني قرى تعرضت للقصف والحرق من قبل القوات العراقية. فمن مجموع 10000 قرية كوردية في كوردستان. تم هدم 1500 منها. ولاقى 2000 شخص مصرعهم. وأضاف "ان الجنرال قاسم هو أفضل صديق للحركة القومية الكوردية. إذ ساهم بظلمه الوحشي وسياسة الابادة التي اتبعها في تحويل انتفاضة محدودة الى ثورة شعبية كبيرة»

في كل مراحل سفرنا باتجاه مقرّ الثوار شاهدت سخاء الفلاحين الفقراء الرائع. إذ زودوني باللحف والمأوى رغم فقرهم المدقع. فكانوا يملئون قطع الخبز الجاف في الشاي ليأكلوا. لكنهم كانوا يطعمونني وجبات من الدجاج المشوي ولحم الضأن مع الرز والبيض واللبن وابنما نزلت. كان مضيفي يقول: «رغم السفر المتعب جئت الينا وهذا دليل على صداقتك لنا»

(..................)

وبشكل عام لم يلجاء ثوار كوردستان العراق الى تعميم ثورة فلاحية. في الحقيقة أبقى الجنرال بارزاني حركته ذات طابع «قومي» وأقصى كلياً صراع الطبقات الذي يضعف المقاومة ضد الحكومة المركزية في بغداد.....» .

والتقى الصحفي الفرنسي بـ علي عسكري في مقره فيذكر:

الأنصار

كركوك. يسود نشاط محموم دائرة (كاكه علي عسكري) القائد العسكري لمنطقة ماوه ت. قبل عدة أشهر كانت هذه الدائرة مركزاً لامر الشرطة العراقي في هذه المنطقة. إنها الآن موقع هام في الأراضي التي يسيطر عليها البيشمركه.
في احدى الزوايا يتشاور عدد من الضباط القوميين حول مائدة وعلى ضوء مصباح زيتي كانوا يتفحصون وثائق وينظرون الى خارطة عسكرية كبيرة ملصقة على الجدار. لتوه دخل شاب من الثوار ليسلم رسائل بعد حلّ شفرتها والتي التقطت أثناء تبادل الاتصالات بين بغداد والقيادة العسكرية العليا العراقية المرابطة في شمال البلاد. « لم تواجهنا مشكلة طوال الاشهر الثمانية عشر المنصرمة في حلّ كل ما يخص الشفرات الحكومية. لايستعصي شيء على أخصائيينا» قالها مبتسماً احد هؤلاء الضباط.

إن «الاخصائيين» هم عموماً من موظفي اللاسلكي كانوا سابقاً لدى حكومة بغداد التحقوا بالانتفاضة. وهؤلاء لديهم رفاق في الحكومة المركزية وبهذا يكون الجنرال بارزاني مطلعاً بشكل يومي على تحركات القوات العراقية ومشاريعها الهجومية ومشاكلها اللوجستية...

أما الثوار من جانبهم فهم حريصون على السرية التامة ولايستخدمون الا نادراً أجهزة التلغراف ويستخدمون نظام بريدي قديم اذ تكتب الرسائل على ورق ثم يطوى عدة مرات الى ان يتقلص حجمه ويصل الى حجم قطعة سكر صغيرة يحملها السعاة إما سيراً على الاقدام أوعلى ظهر حصان.

"الحكومة الاقليمية" لماوه ت

ولعدة مرات في اليوم يأتي هذا «الساعي» الغريب مغطى بالوحل الى مكتب علي عسكري. وبعد ان يقرأ الأخير محتوى الرسائل يدعو معاونيه ويعطيهم تعليمات مختصرة. يبلغ علي عسكري 27 عاماً فقط. وهو عضو في اللجنة المركزية في (حدك). انضم للحزب وعمره 17 عاماً. كان يريد ان يتخصص في عمل هادىء عندما طلب منه الحزب التخلي عن الدراسة والتفرغ الى النشاط السري - مناضل وهداف مرموق اشتهر ببسالته في القتال - أوامره تطاع دون نقاش من قبل رجاله المعجبين به الى حد كبير.

ومع هذا، علي عسكري ليس «الربان» الوحيد انما يلتف حوله خمسة أخرين . يشكلون "لجنة المنطقة" لماوه ت حيث مبدأ العمل الاساسي هو «القيادة الجماعية» وهذا المبدأ يطبق بصورة دقيقة . واحد منهم يدعى كمال غريب وهو موظف مدني سابق في مقاطعة فرعية من قضاء پنجوين. أقنع في شهر مايس/ماي المنصرم 180 جندياً في الحامية المرابطة في المدينة - كلهم كانوا من أصلول كوردية - كي يتبعوه ويلتحق الجميع بالثورة. وحمل معه كمال غريب الميزانية التي كانت في عهدته وفيها 12.000 دينار أي حوالي (17 مليون من الفرنك القديم) سلّم هذا المبلغ للبارزاني.

أما الملازم أحمد فهو مسؤول الشؤون اللوجستية في لجنة المنطقة. عمره لايزيد عن 22 عاماً. هرب من وحدته المرابطة في البصرة وانضم الى الثوار بعد أسابيع من السير.. ابراهيم المسؤول الادارى هو موظف سابق في بنك السليمانية وبعد ان خدم فيها لمدة سنوات محاسباً وجد له الآن مهنة الشاعر. انه صغير الجسم مدور كالكرة ويعلو رأسه الاصلع عمامة. يستغل سهر أصدقائه في الليالي الطويلة لقراءة أبيات من شعره ونثره.. أما «الضابط السياسي» فهو حزبي «جدّي»... ومسؤول التموين هو أحد العمال السابقين في شركة النفط العراقية والأخير يتذوق بشكل خاص أشعار ابراهيم الثورية.
هؤلاء الرجال الذين جاؤوا من خلفيات مختلفة يشكلون عملياً حكومة اقليمية مسبقاً. ولاتقتصر مهامهم على الجانب العسكرى انما يمثلون بديل حكومة بغداد. فهم يديرون شؤون 50000 من المواطنين. وأكدوا لي ان هناك لجان مشابهة يربوا عددها على 15 لجنة محلية شبيهه بلجنة ماوه ت. وهؤلاء مجتمعين يتولون إدارة شؤون مليون مواطن.

إنجازات رائعة

مدهش حقاً ما أنجزه الثوار خلال 18 شهراً . فقد قام قاسم بقصف مكثف لكوردستان في شهر سبتمبر 1961 لتخويف الناس ولتحيلولة دون توسيع رقعة المقاومة التي اندلعت في ربيع العام نفسه. وكانت عدة مجموعات فلاحية تشن حرب عصابات لكنها تعاني من نقص في العتاد والسلاح والقادة وكانت المؤشرات توحي بأنه سيقضي عليها بسرعة. وأكد لنا سكرتير الحزب الديمقراطي الكوردستاني (ابراهيم أحمد) انه في ذلك الوقت كان لايؤمن بجدوى ابداء مقاومة جدّية أمام قوة الجيش العراقي.. وعلى عكس الجزائر. كوردستان محاطة بدول معادية لاينتظر منها أي دعم للثوار...«نوعاً ما. فرض علينا الفلاحون حرباً كنا نعتقد مسبقاً أنها خاسرة». وأضاف ابراهيم أحمد» عندما حلّ شهر ديسمبر من عام 1961. بالضبط آنذاك اتخذ الحزب رسمياً قرار تولي مسؤولية العمليات.» وذكر لنا الجنرال بارزاني من جانبه انه كان بحوزته في ذلك الوقت660 مسلحاً.
لكن مقابل هذه القوة الصغيرة كان قاسم يملك عدداً من وحدات المشاة والدبابات والمدفعية الثقيلة وطائرات الميغ السوفيتية فهوجمت القرى « قصفت و ازيلت » بمجرد ورود معلومات عن تواجد الثوار فيها...وعند القصف المكثف أعلن راديو بغداد في ذلك الوقت عن «نصر كبير» وان النهاية وشيكة.

لكن على عكس هذه التوقعات توسعت الثورة كما تتوسع النار في الهشيم. وانضم الفلاحين من الريف والمثقفين من المدن والجنود من الاصل الكوردى في الجيش العراقي (بلغ عدد الجنود الملتحقين 3000) وانضموا الى الثورة التي يقودها الجنرال بارزاني وفي المدن قام الانصار والمؤازرون بجمع الاموال وهرّب الموظفون الكورد أموال الحكومة وقدموها الى الثورة. ونظموا عمليات مباغته للاستيلاء على الاموال ومنحها للثوار

اصيب جيش قاسم في ربيع عام 1962 بهزائم كبيرة. فالثوار المنتظمين في مجموعات مختلفة: 10 مسلح بسغى (ده سته) و 50 مسلح (په ل) 150 مسلح (سه ر په ل) 359 مسلح (لق) هذه القوات استطاعت هزيمة قوات أكثر عدداً. متخلية عن اسلحتها ومعداتها على الارض.

مقاومة نموذجية

كان القادة العسكريون العراقيون يشتكون من حقيقة ان بغداد لم تزودهم بقوات كافية لتقليص حجم المقاومة. فأرسل قاسم المزيد من القوات والاعتدة العسكرية الأكثر تطوراً. هذه الجهود باتت بالفشل.. وفي لخطة الانقلاب العسكرى في 8 شباط كان مايقارب الثلثين من الجيش العراقي - أي 30000 جندى متواجداً

في شمال البلاد دون أن ينهي الانتفاضة الكوردية - وقتل خلال الاشتباكات مايقارب 2000 من الجنود العراقيين والمرتزقة (جحوش) بينما بلغت خسائر قوات المقاومة الكوردية حوالى 172 قتيلاً.
استذكاراً لاحداث الماضي يتضح انه لاغرابة في هزيمة جيش الجنرال قاسم. فقد كان جيشه مدرباً لمواجهة حرب كلاسيكية وليس حرب عصابات من الطراز الثوري تدور في جبال وعرة. في حين كان الاكراد يقاتلون على أرضهم، ويتنقلون بسرعة ونجحوا في هزيمة الجيش العراقي كونه جيشاً يتحرك بأعداد كبيرة مما يضعف أدائه.
أما قوات المقاومة فقد كانت متفوقة نوعياً على قوات الخصم. فالقبول في سلك الـ «بيشمه ركه» الجيش الثوري الكوردستاني، على المرشح ان يكون نظيف السمعة ويزكيه اثنين من الحزب الديمقراطي الكوردستاني كشاهدين على صفاته الجيدة وماضيه السياسي. فقبل قبوله رسمياً يجب التأكد من ولائه للقضية الوطنية والتزامه التام بشروط الانضباط وتحمله الجسدي وشجاعته كل ذلك ضروري لقبوله.

كويسنجق ليلاً

وحتى على الصعيد السيكولوجي لم تكن الموازين متعادلة. فرجال البارزاني يقاتلون من أجل مُثل: من أجل كوردستان تتمتع بالحكم الذاتي حيث يحصلون على مكاسب اقتصادية واجتماعية وثقافية كانت بغداد ترفضها. بينما كان الجيش العراقي يشن حرباً تندد بها معظم الاحزاب السياسية العراقية كحزب «طللة». في الواقع كانت المعارضة تستغل هزائم قاسم في كوردستان للاسراع في اسقاط نظامه.
كان الثوار يشعرون بأن لديهم القوة الكافية للسيطرة على جميع المدن الكبيرة في كوردستان بالاخص كركوك والسليمانيه واربيل. كما ان دعم سكان تلك المدن يسهل السيطرة عليها. لكنهم لم يقدموا على هذه الخطوة الهامة لتفادي قصف هذه المدن التي لاتملك وسائل الدفاع عن نفسها. إضافة ان مراكز هذه المدن كانت تزود الثواربالمواد الغذائية والمال والعتاد.
«عملياً» في مايخص هذا الجانب قال لي جلال الطالباني وهوواحد من القاده الرئيسيين للثوار: «الطريق مفتوح أمامنا الى معظم المدن الكبيرة» ولكي يؤكد صحة ما يقول أخذني معه الى مدينته الاصلية كويسنجق حيث ترابط فيها حامية عسكرية من الجيش العراق. دخوله كان مفاجئة. إتسمت بالانتصار.
ففي خلال دقائق خرج نصف سكان المدينة البالغ عددها 15000 نسمة الى الطرقات للترحيب به. نساء واطفال وشيوخ وكل الشباب التموا حول سيارة الجيب التي تقلنا الى ان وصلنا الى مقر الحزب الديمقراطي الكوردستاني. وبدأ خط متواصل مئيرمن الشخصيات المحليه يتوافدون للترحيب وتقبيل زعيمهم. لم نشهد جندياً عراقياً واحداً .. ولدهشتي همس رئيس البلدية في أذني « بحلول الليل، نمنع القوات النظامية من الخروج من معسكرهم... وهذا من مصلحتهم..»

الطريق الثوري. جريدة لموند 1963/4/13

وكتب الصحفي الفرنسي اريك رولو بصدد لقائه بملا مصطفى:
"على بعد 20 كيلومتراً من سرسيان، شمال شرق كركوك، التقيت لاول مرة بالجنرال بارزاني. لم يشك أي انسان بوجوده في الأماكن المجاورة . لكن عند اقترابنا من سرسيان شعرنا باننا ندخل في العالم المغلق للزعيم القومي.
مئات من الرجال المدججين بالسلاح على حافة نهرصاخب وكان علينا عبوره فيما بعد لكي نصل الى "قديس القديسين" . البعض منهم منهمك في افراغ حمولة ثقيلة من سيارات جيب مصطفة واحدة تلو الاخرى على حافة النهر. والبعض الآخر المؤلف من عدة مجموعات يتحدثون بصوت منخفض وهم يوجهون نظراتهم الفضولية او المريبة نحو الغريب الذي وصل لتوه. اقترب أحدهم مني مفصحاً عن هويته كموظف في سلك الأمن الكوردي. وسجل اسمي وعنواني في دفتر جيب قبل الترحيب بي.

وبصحبة نوري شاويس المهندس المعماري السابق في بغداد وعضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني. عبرنا الهرسوية بواسطة معدية وصعدنا جناح الهضبة وصولاً الى حيث تقع ضاحية سرسهان.

(.........................)

وليس ببعيد عنا . تجري عملية غريبة حوالي مائة من الرجال تعلو أكتافهم الأسلحة الاوتوماتيكية. كل خمسة منهم يسيروا ببطء، وبخطوات متزنة. في المقدمة بحوالي عشرة خطوات رجل - وحيد - يبدو صغيراً نسبة الى العكازة التي يتكىء عليها يمشي باستقامة وبلامبالاة. اجتازنا دون ان يلتفت نحونا. مرافقي همس في اذني " انه ملا مصطفى " وبعد تردد اضاف: أعتقد انه من الافضل ان لانزعجه أثناء مشيته اليومية" وكان اول لقاء لي مع القائد الكوردي أثناء العشاء في تلك الامسية.

ما ان يدخل أحدهم الى غرفة ملا مصطفى. حتى ينهض من فرشه المبسوط على الارض لاستقبال الزائر على الطريقة التقليدية انه قصير وبدين لكنه يعطي انطباعاً بالقوة رغم سنه البالغ ستين عاماً. وحفرت وجهه الجبلي الخشن ندبتين عميقتين مثل الاخاديد. بنضب بالصحة. وحاجبيه الكثيفان يعززان من نظراته القاتمة. شارب أسود قصير يغطي شفته العليا (جميع الانصار الذين صادفتهم يربون نفس النوع من الشوارب) وذقنه الصارم حليق تماماً

مدّ الجنرال بارزاني يده الخشنه ذي الاصابع القصيرة والمليئة اليّ ودعاني الى الجلوس على مقربة منه جلسة متربعة. بينما الخدم يصبون الشاي. رافقني بشكل مطول وبهدوء. وانا أستغل الفرصة لالقي نظرة دائرية على الغرفة............"

وبعد ان يصف بشكل مفصل عما شاهده في الغرفة والجو العام المحيط بملا مصطفى من حراسة مشددة لسلامته وقراءة البرقيات الواردة ولفه للسيكاره على الطريقة الكوردية المعروفة . يتناول الصحفي الفرنسي شيئاً عن ماضي ملا مصطفى يبدو انه سمعها من الاخرين وهم قدموا له معلومات غير دقيقة. ثم يقول :

"ان الشيء الذي يصدم لأول وهلة بخصوص "ملا مصطفى" هو سلوكه المترفع عن جميع اولئك الذين يقتربون منه فهو"رئيس القوم" بالمعنى العشائري للكلمة وحيث لاتنافس سلطته النابعة من التجمعات الشعبية.

فهو لايختلط الا نادراً برجاله وأندر ان يوجه اليهم الكلام. ويقضي معظم وقته داخل غرفته حيث يلتقي بعدد معدود من مختلف المساعدين وعلى عجل. ولأسباب أمنية ينقل مقره العام من موقع الى أخر كل يومين او ثلاثة. فهو يرحل بشكل عام قبل الفجر على ظهر حصان مصحوباً بحرسه الخاص. كتيبة من مقاتليه مع حوالي خمسين سيارة جيب ولاندروفر تتابع السير في طريق مختلف للتلقي به في موقع اخر. حركاته تصان بأقصى درجة من السرية. وعند مروره بقرية ليس هناك من ينتظر لتحيته او التصفيق له.

«بلا شك من اصعب الامور جعله يتكلم عن حياته الصاخبة. اذ بقيت ثغرات في حياته لايزال الظل يكتنفها. لقد اقتضى الامر العودة عدة مرات حتى يستذكر في احدى الامسيات صباه ومعاركه ومفاوضاته المتعددة وهروبه الى الاتحاد السوفيتي والخصومة مع الجنرال قاسم بعد عودته في خريف عام 1958 الى العراق.

الجنرال بارزاني كتوم فيما يخص اقامته في الاتحاد السوفيتي. المقربين منه يؤكدون انه اصيب بخيبة أمل كبيرة من رفض ستالين تزويده حتى بالقليل من الدعم لمشاريعه في استعادة كوردستان. وعندما واجه السؤال بهذا الشأن. ابتسم الزعيم القومي ابتسامة غامضة وقال: لم يعدنا الروس بشيء ونحن لم نطلب منهم شيئا.. »

ملا مصطفى وفيّ لقيم العشائرالجبلية مثل الشرف والسخاء . قال: « أعود وأؤكد مرة اخرى سوف لن انسى ابداً الموقف الانساني الذي ابداه الاتحاد السوفيتي بمنحنا اللجوء السياسي...»

.

.

واصرّ البارزاني على ان الكورد حريصون على صداقة جميع الدول واتخاذ موقف الحياد وليس لدينا الرغبة او الامكانيه للدخول في حلبة الصراع بين الشرق والغرب..

وبعدها وجه نقداً عنيفاً للإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية: "انهم لم يرفعوا اصبعاً واحداً لنجدة الشعب الكوردي او الدفاع عنه ضد سياسة الابادة التي انتهجها الجنرال قاسم. عندما يفترس الذئب الحمل ولا تتدخل، فهذا يعني المساهمة عملياً في قتل الحمل».

ثم تابع حديثه: لقد زود الروس الجيش العراق بالاسلحة الفتاكة وزادوا في الاشهر الاخيرة تزويد نظام قاسم بالاسلحة. الامريكان والامم المتحدة مثل السوفيت اظهروا انهم لايهتمون بالمبادىء العظيمة كالحرية وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها.

ان الموضوع الذي يجب التحدث فيه بكثير من المداراة هو موضوع الحزب الديمقراطي الكوردستاني والذي شكله الجنرال بارزاني في عام 1946 لكنه اليوم ينكر حتى وجوده. في الواقع ان الزائر الاجنبي الملمّ بكوردستان يصاب بذهول اذ يكتشف بسرعة ان ازمة جدّية تسود العلاقة بين الحزب ورئيسه الى درجة يعتري الاخيرالغضب كلما ذكر امامه اسم P.D.K.

انّ التهم التقليدية متأصلة فيه. وقد دخل الجنرال بارزاني في مواجهة مع «القيادة الجماعية» العصرية والراديكالية للحزب الديمقراطي الكوردستاني. في الواقع انه قطع كل صلة بالحزب. «لم اكن ولن اكون رئيساً لهذا الحزب المزعوم والذي كان سبباً في الحاق الاذى بالقضية الثورية اكثر مما خدمها» قال ذلك بشكل اتسم بالغيظ والاشمئزاز الصبياني الى حد ما.. في نهاية النزاع، قال. سوف أعود الى فريقي لرعي الغنم. انا لست غير خادم الشعب الكوردي ولا أبحث عن السلطة او الشهرة..»

وعندما حاولت معرفة أرائه حول المسائل الاقتصادية والاجتماعية، يجيب ملا مصطفى والذي لم يحصل سوى على ثقافة بدائية. أجاب بسخرية فيها من المرارة «يقال عني انني لست مثقفاً بما فيه الكفاية لفهم هذه المسائل المستعصية: لذا استفسر من هؤلاء العارفين سياسيي الكهوف الذين تعرفهم...»

وكان الصحفي الفرنسي قد التقى بإبراهيم أحمد قبل الألتقاء بملا مصطفى في كهف اتخذه ابراهيم احمد مقراً له."

سياسيي الكهوف

"ان كان الجنرال مصطفى البارزاني رأس الانتفاضة. فإن الحزب الديمقراطي الكوردستاني يشكل روحها. فمن مجموع المقاتلين 75% منهم هم اعضاء في الحزب وما تبقى من المقاتلين هم انصار الحزب. فالوظائف القيادية للجيش الثوري كلها في أيدي "اخصائيين" من أعضاء حدك. فشبكاته وخلاياه تشمل البلاد مثل شبكة متماسكة الخيوط.

"البارتي" كما يلفظه أعضائه بنبرة عاطفية. يشكل المركز الاساس للتمرد. فهو يحشد الجماهير بالمعنى الكامل للكلمة بغية تكثيف جهود الحرب. يطبع ويوزع الصحيفة خه بات في "الأراضي المحررة" و في جنوب العراق سراً. ويضمن المؤونة للسكان الذين يعيشون تحت الحصار الاقتصادي لحكومة بغداد. ويملك جهاز مخابرات ويدير منظمة ارهابية في المدن واجها القضاء على "الخونة" ومهام التخريب. الخ.

تشرف مجموعة مؤلفة من خمسة أشخاص. هم من أعضاء المكتب السياسي. على جميع الأنشطة. يتولى اربعة منهم وظائف اخرى متنوعة. عسكرية وادارية. بينما الخامس منهم يركز على الشؤون الحزبية. ونعني به السيد "ابراهيم أحمد" السكرتير العام لـ حدك.

•

"......"مثقف رشيق" السيد ابراهيم أحمد محاط بالكتب......يبلغ من العمر 55 عاماً......يتكلم بفصاحة وبصوت متناغم واضح لايخلو من العاطفة التي تنعكس في عينين ذكيتين وهادىء جداً. وكأنه يلقي بموهبة عالية محاضرات لاتنضب داخل خيمة قائد في معسكر روماني قديم"

ويتناول الصحفي الفرنسي في مقالته عن منجزات السكرتير العام لـ حدك كما ذكره الأخير. ويشير الى ماكتبه حول العلاقات العربية الكوردية حيث قدم بسببها الى المحاكمة. وكان يطبع الدورية "Gelawej" حتى عام 1949. وهو العام الذي سجن بتهمة انتمائه للشيوعية _ مع ان الشيوعيون كانوا يعتبرونه "يميني" ورغم عقوبة ثلاث سنوات قضاها في السجن. الا ان ذلك لم يمنعه من النشاط السري في حدك. وقد أصبح سكرتيراً له عام 1952 . وعن موقف ابراهيم احمد من انقلاب قاسم عام 1958 يذكرمايلي:

" كان واضحاً لنا – أضاف ابراهيم احمد – من ان الانقلابيين سوف لن يتأخروا من اخراج العراق من حلف بغداد. بالنسبة لنا كان تحطيم هذا الحلف المعادي للكورد امراً جوهرياً. وكان يجمع أنذاك بغداد وانقرة وطهران"

ومقابل التأييد الثمين من القوميين الكورد. لبى قاسم مطالب حدك. فأطلق سراح المئات من السجناء الذين اعتقلوا في عهد نوري السعيد وأجاز عودة ملا مصطفى واللاجئين الاخرين من الاتحاد السوفيتي الى العراق. وقبل ادخال مادة في الدستور يعترف بمساواة الشعبين الكوردي والعربي في الحقوق. كانت هذه المادة قد صيغت سراً من قبل جميع الاطراف من شيوعيين وحتى من القوميين المحافظين"

لم يستمر شهر العسل طويلاً بين حدك والجنرال قاسم. فالدكتاتور السابق لم يعترف بوضوح بوجود الامة الكوردية. فبعد استخدام الشيوعيين والكورد للقضاء على تمرد الكولونيل شواف في الموصل. هاجم اليسار المتطرف وقام باجراءات ضد اعضاء حدك ووضع الجنرال بارزاني تحت الرقابة وأثار نزاعات مسلحة بين القبائل الكوردية وامر باعتقال ابراهيم احمد بتهمة كان هو بريئاً منها وتم. في النهاية. منع حدك من النشاط.

وبعد عدة أسابيع من التردد. في شهرديسمبر عام 1961 قرر رسمياً تولي قيادة الانصار من الفلاحين الذين شكلوا المقاومة في شمال العراق لمقاومة ظلم الجنرال قاسم. وذكر السيد أحمد: "أن هذا القرار شكل نقطة انعطاف اساسية لـ حدك. إذ استطاع خلال 18 شهراً من النضال العسكري تجاوز الحزب الشيوعي في جميع انحاء كوردستان – عدى – في عدد من المدن الكوردية الكبيرة حيث احتفظ اليسار المتطرف بمجموعة من الانصارفي اوساط المثقفين والعمال

افتح ياسمسم

السيد ابراهيم احمد فخوربحصيلة منجزاته خلال خمسة عشر سنة من الجهد المتواصل للقضاء على نفوذ الحزب الشيوعي في الوسط الكوردي . خلال السنوات الست الاولى من تأسيسه. أردف يقول: "أعتبر حدك كـ "مشتل" لاعداد كوادر الحزب الشيوعي. فمعظم رفاقنا الذين اصيبوا بالخيبة بسبب غياب أيديولوجية منسجمة. كانوا يتركوننا وينضموا الى الحزب الشيوعي. وأضاف ابرهيم احمد: "انه وضع حداً لهذا النزيف مباشرة بعد انتخابه سكرتيراً للحزب "كانت خطتي بسيطة كبساطة ماعمله كريستوف كولمبس لينثبت بيضة. فقد أعلنت أن حزبنا يهتدي بالماركسية اللينينية. كان لهذه الكلمات فعل السحر مثل "أفتح ياسمسم" لـ علي بابا. فأنفتحت لنا أبواب عالم الشباب الكوردي. والذين كانوا في ذلك الوقت مفتونين بالشيوعية. اتهمنا الرجعيون في كوننا عملاء الكرملين. لكن الشيوعيون لم ينخدعوا فقد وصفونا بـ "عملاء استفزازيين" وطلبوا منا في شهر سبتمبر 1959 حذف الاشارة الى الماركسية اللينينية من برنامجنا. وان هذا

الشعار "وقف" على الطبقة العاملة. ومنذ عام 1952 لم يلتحق أي من أعضائنا بالحزب الشيوعي العراقي. انما على العكس خسر (ح.ش.ع) بانضمام مؤيديه الى حزبنا.

وأصر ابراهيم احمد على انه : "لم يكن في نيتنا ابدأ العمل ضد الشيوعية" وانما الخلافات السياسية والتكنيكية فقط هي التي تفصلهم عن الحزب الشيوعي. في الواقع، كان الحزب الشيوعي قد أيد منذ وقت طويل المطالب القومية الكوردية فابتداءً من شهر شباط/فبرايرمن عام 1945 أعلنت الصحيفة الكوردية – لسان حال الحزب الشيوعي – نازادي – تأيدها لحق تقرير المصير للأمة الكوردية.

كون الامة الكوردية مقسمة بين العراق وايران وتركية. فكان تصور الحزب الشيوعي ان للحركة القومية الكوردية منحيين: احداهما تمثل البروليتاريا وحزبها الشيوعي والثانية تتمثل في البرجوازية الوطنية الكوردية متمثلة في حدك وفي نشرات مختلفة انتقد ح.ش. حدك لـ "نظرته القومية الضيقة". و"أساليبه الطائفية الخاطئة". و"منحاه الشوفيني" أحياناً

ظهر الخلاف بين التشكيلين بصدد التمرد الحالي في كوردستان وهل هو صحيح إذ عارضه أقصى اليسار. فالحزب الشيوعي يدعم المطالب الكوردية في الحكم الذاتي في اطار الجمهورية العراقية. لكنه يعارض استخدام حدك للسلاح لتحقيق أهدافه. فالى جانب نضال الحركة الديمقراطية العراقية ضد السلطة الفردية للجنرال قاسم، يقترح الحزب الشيوعي. كبديل للتمرد المسلح. تشكيل "تجمع شعبي سلمي واسع مبني على النضال المشترك بين الشعبين العربي والكوردي"

في الواقع يتجاوز الخلاف الاطار التكنيكي. فبالنسبة للقوميين الكورد. نظام بغداد غير مقبول البته ويجب القضاء عليه بكل الوسائل. أما الشيوعيون فهم على العكس. فمع تنديدهم بدكتاتورية الجنرال قاسم. كانوا يعتقدون انه " ينفذ سياسة معادية للامبريالية"
ولعدم توفر القدرة على توفير ضمان بديل للحكم والخوف من استلام الحكم من قبل الاعداء الالداء "البعثيين" فقد خشي الشيوعيون من ان يساهم التمرد الكوردي في اسقاط النظام قبل ايجاد البديل المرغوب مثل "تشكيل جبهة شعبية"

في كل الاحوال يرفض حدك أي تحالف ثاني مع اقصى اليسار"لو منحتنا بغداد الحكم الذاتي الذي نطلبه، أضاف ابراهيم احمد. فسوف لن نسمح للحزب الشيوعي استخدام كوردستان كقاعدة تخريب ضد النظام العراقي الجديد"
لكن برنامجكم يتضمن اعلاناً تؤكدون فيه انكم مع حرية العمل لجميع التشكيلات. بما فيه الحزب الشيوعي
هل عرفت حزباً سياسياً واحداً وصل الى الحكم نتيجة صراع مسلح. سمح بنشاط حزب منافس له؟ ".
سألني السكرتير العام لـ حدك بابتسامة ساخرة. مضيفاً: " في الواقع، نحن من انصار إيجاد الديمقراطية الموجهة. بالتأكيد لن تكون أقل شعبية من تلك التي تمارس في البلدان الشيوعية... "

بعد نيل الحكم الذاتي، سيكون من اولى مهام الحزب. قال ابراهيم احمد: "حل مشكلة الارض ومن اجل تفادي كل النزاعات الطبقية أثناء الانتفاضة. ورغم كراهية حدك للاقطاع ورغبته في القيام باصلاح زراعي راديكالي". قرر الحفاظ على الحالة الراهنة الى ان يجري استفتاء على هذا الموضوع. " لا أخفي شيئاً. أضاف الزعيم الكوردي: " نحن نخشى من حماس الفلاحين. بالتأكيد نحن لم نعدهم بشيء، واهمح المعالم. لكن كان لأثر كلمة الاوتونومي عندهم أن تخيلوا جنة على الأرض. ونحن لسنا في وضع يمكننا تحقيق مايتوقعونه منا حتى بعد عدة أعوام".

ان مستقبل العلاقة مع الجنرال البارزاني يشكل قلقاً رئيسياً لعدد من قادة حدك. إذ تراودهم الشكوك في ميله نحو "الأغوات والملاكين الإقطاعيين الكبار" وينتقدونه لكونه يعتبر نفسه الممثل الوحيد للشعب الكوردي".

اولئك الذين تسنى لهم محاورة الاثنين. الجنرال البارزاني والسيد ابراهيم احمد أحسوا بنفور عميق يفصل بين الرجلين. فالإنتماء الاجتماعي والثقافي والأخلاقي يجعل أحدهما نقيض الاخر الإثنين دون شك سيتجنبون اللجوء الى القوة مادامت الانتفاضة مستمرة لكن هناك مخاوف من ان عودة السلام الى كوردستان قد يكون بداية لنزاع سياسي اخر في قلب الحركة القومية بالذات لايعرف عواقبها. فالجنرال بارزاني له احترام هائل في البلاد ونفس الشئ بالنسبة لـ حدك. اذ له تأثير هائل على الجماهير. وأي طلاق بين الحزب ورئيسه ينذر بحلول مرحلة عدم استقرار خطيرة "

بدعوة من الحكومة العراقية الجديدة وصل الى العاصمة بغداد الصحفي الفرنسي أريك رولومراسل اليومية (لوموند) وهيأت له السلطات وسائل السفر الى كردستان ليشاهد بام عينيه عودة الامور الى مجاريها الطبيعية! لكن الواقع الذي يشاهده الصحفي مغاير للتمنيات الرسمية

وكتب المراسل الخاص في اليومية الفرنسية (لوموند) في 7 تموز 1964 :

استراحة قصيرة في كوردستان العراق
الثقة على المحك[176]

رانيه . تموز نحف ملا مصطفى البارزاني قسمات وجهه تنم عن التعب وتحيط بعينيه هالة زرقاء. إنه فريسة لغضب بارد : " سأغادر العراق نهائياً . لم اعد أتحمل " كرر ذلك بصوت خشن وبنبرة هادئة لكن بتصميم . وكعادته نطق بوضوح كل كلمة نعوه بها رؤساء العشائر. الأغوات (ملاكي الأراضي) البيشمركه (الأنصار) جالسين حوله يصغون الى كلامه بصمت عميق وأعينهم مطرقة نحوالأرض احتراماً لزعيمهم.

(...... ..)

ليس للحكومة العراقية حظ . فقد وجهت دعوة الى مراسل لوموند الخاص للمجيء الى كوردستان لكي يقف شاهداً على ان كل شيء قد عاد الى مجراه الطبيعي - سيارة وطائرة ذات مروحتين Dove ومروحية وضعت في الخدمة لسفره الى منطقة لاتزال "مدنية" ومجردة من وسائل الاتصال المناسبة . أعلن له الوزير العراقي للشؤون الخارجية السيد صبحي عبدالحميد : سوف يقول لكم ملا مصطفى مثلما قلنا نحن . انه تم تسوية المسألة الكوردية" محافظ السليمانية الجنرال محمود عبدالرزاق - الذي فاوض اتفاقية وقف اطلاق النار. وضع امامه مجموعة كبيرة من الوثائق تثبت في الواقع ان الجنرال بارزاني انضم كلية الى الحكومة المركزية . وماهو لدى اول اتصال بالصحفي (الملا) يشن حملة عنيفة ضد السلطة وان لديها نواياً خبيثة ويؤكد "لم يؤدي إتفاق وقف اطلاق النار الى أي تسوية "

صحيح ان الحظ ساهم في إثارة انفجار هذا المزاج السيء، إذ قبل هبوط مروحيتنا في رانية بدقائق . كانت إمرأة قد أتت من قرية مجاورة رامية نفسها على قدمي البارزاني منتحبة ملوحة بقطعة قماش مبلله بالدم . ابنها الوحيد قتل خنقاً لتوه من قبل "جاش" من الهركية الكورد لم تكن هنالك حاجة لأكثر من هذا كي يثور غضب الزعيم الكوردي والذي كان ينتقد الحكومة في كونها خرقت التزاماتها خلافاً لما اتفق عليه

شفهياً. كما ذكره لنا . فبغداد لم تحل الوحدات الاضافية ولم تسحب قواتها من مواقع القتال. آلاف الكورد يقبعون في المعتقلات والموظفين الملتحقين بالثورة والمتعاطفين مع الحركة الثورية لم يعادوا الى وظائفهم

وعلى رغم بعض الإيماءات السخية الساذجة والتي هي ثمرة أخلاقه القبلية. فالجنرال بارزاني لايثق في العمق. اذ لم يعرف خلال نصف القرن الأخير غير الإخفاقات وخيبات الأمل . فجميع محاولاته للحصول على وضع خاص لشعبه انتهت الى الإخفاق إما عن طريق القوة او الحيلة من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة. سواء في العهد الملكي او الجمهوري. فالجنرال قاسم خرق كل الوعود بصلافة عندما شن حرباً ضد اولئك الذين يطالبون باحترام الدستور. الأساس "لشراكة" فعلية بين الشعبين العربي والكوردي في العراق البعثيين الذين جاءوا بعد الدكتاتور المخلوع اعترفوا بشكل رزين في 9 مارس 1963 بـ "الحقوق القومية للشعب الكوردي على أساس اللامركزية" وذلك قبل شنه العمليات العسكرية بثلاث أشهر ضد "عصابات البارزانيين".

(..)

ما أن ندخل كوردستان حتى يأخذ بلبنا آثار الخراب الواضح. فجميع القرى المحاذية للطريق الرئيسي المؤدي الى السليمانية . قصفتها الطائرات وأحرقتها قنابل النابالم وتحولت الى رماد. لكن سرعان ماتعود الحياة رغم الدمار وتظهر من جديد المنازل على سواد الارض التي احرقتها النيران. تجدها متناثرة هنا وهناك "أكواخ" أقامها الناجون. خشنة ومسندة بأعمدة من جذوع الشجروسقوفها مغطاه بالأغصان .

أرادت الحكومة البعثية السابقة أن تكون أكثر "كفاءة" من الجنرال قاسم في تحقيق "الحل النهائي" للمشكلة الكوردية فهدمت حوالي 3000 قرية كوردية في ظرف خمسة أشهر- وتم ترحيل سكان مئات القرى الكوردية نحو مناطق تسكنها غالبية عربية

ومارسوا قسوة أشدّ في المدن الكوردية. ففي ليلتي 9 - 10 حزيران 1963 بعد ساعات من بدء شن عدوان حكومة بغداد. قتل من أهالي السليمانية - وهي مدينة هامة في ميدان المقاومة الوطنية الكوردية - مئة وست وسبعون من رجال ونساء وأطفال برصاصه في الرقبة . وقبلها كانوا قد أرغموهم على حفرمقبرة جماعية قبروا فيها فيما بعد وأغتيل في اليوم التالي مئة شخص أخر من أهالي نفس المدينة من قبل مليشيات البعث وفي نفس اليوم. في مدينة كركوك واربيل وأماكن أخرى أزيلت أحياء كاملة بذريعة "إختفاء المشاغبين" فيها كما هدمت آلاف المنازل باستخدام البلدوزرات الضخمة...

وفي مدينة كويسنجق. مسقط رأس جلال الطالباني. وهو واحد من ألمع القادة في الثورة الكوردية. عبث بها الجنود والقوات غير النظامية أحرقوا وهدموا منزل والده. وهو عبارة عن منزل ريفي رائع على الطرازالقديم. وكنت قد التقيت به العام الماضي في مناسبة. والرجل العجوز لم يتدخل في السياسة أبداً. انه رجل متعلم ومسلم ملتزم. حدثنا بشكل مطول عن ضرورة التآخي بين البشر. لقد فقد كل ماكان يملكه وهو الآن مشرد مع أقربائه في قرية على مقربة من رانية.

لقد أبقوا الشعب العراقي يعيش في جهل لايعرف شيئاً عن هذه المذابح. ومن المحتمل انه كان يرفضها. سألنا العديد من العرب ذوي الانتماءات والأحزاب المختلفة في البلاد. لا احد منهم عبّرعن ضرورة هذه الحرب ضد الأكراد. الجميع ندد بالحرب التي دارت رحاها في الشمال لكن بوضوح كانت نزعة الشوفينية المتشددة مبرة مؤسفة لعدد من القادة الرسميين .

ما أن إستلمت الحكومة الجديدة السلطة في شهر ديسمبر الماضي . حتى وضعت نصب عينها هدف إنهاء الحرب التي لايسندها الشعب اطلاقاً فالحرب وصلت الى طريق مسدود. وارتفع ثمن العمليات العسكرية الى حجم كبير – والتي أبقت في الشمال اكثر من خمسين ألفاً من الجنود بلا حراك – ومانجم عنها من

تقليص في الخدمات العامة والخاصة أدت الى شلل في اقتصاد البلاد. كما ان مستوى معيشة السكان كان يتدهور باستمرار وقد انعكس كل ذلك باشكال مختلفة في الرغبة في عودة السلام.

يبدو ان تعبأ مماثلاً يسود جانب الثوار الاكراد. هذا هو على الأقل رأي الجنرال بارزاني. ففي معرض تبريره لإتفاق وقف اطلاق النار الذي تفاوض بشأنه، ذكر لنا: اننا نواجه القاصفات والدبابات ومدرعات الجيش العراقي. ولايجوز نسيان اننا وبعكس جبهة التحرير الجزائرية على سبيل المثال - اننا نخوض صراعاً غير مسند من الخارج. ويقف ضدنا ليس فقط جيش حكومة بغداد انما أيضاً القوات التركية والايرانية. يعتقد الاميركان والانكليز انهم يدافعون عن مصالحهم النفطية والاستراتيجية بدعمهم للسلطات العراقية. والجنرال ديغول لم يصغي لمناشداتنا. والروس تخلوا عنا لنواجه مصيرنا. والصداقة التي يعبر عنها عموماً في الصحافة العالمية تجاهنا ليس لها فائدة اطلاقاً."

وحسب ماذكره البارزاني أن الوضع الغذائي في المناطق التي يتواجد فيها الانصار أصبح صعباً. وأضاف يؤكد: "لقد أحرق البعثيون محاصيلنا بالنابالم.

" ويتوجب علينا إضافةً، اطعام الالاف من اللاجئين الهاربين من عمليات الاضطهاد . بالتأكيد كنا قد قررنا خوض الصراع حتى النهاية. لكن عندما عبر المارشال عارف عن التزامه بالاعتراف بالحقوق القومية للأكراد، وعندما عبر الرئيس عبدالناصر عن تعاطفه التام معنا قررنا وضع نوايا خصومنا من جديد على المحك."

يبدو ان قرار الجنرال بارزاني – الذي اتخذه على مسؤوليته وحده – أثار فوراً أزمة خطيرة في قلب الحركة القومية الكوردية . فقيادة الحزب الديمقراطي – والتي تتمتع بنفوذ جماهيري قوي – رفضت بادىء ذي بدء تصديق هذا "الاستسلام" . وقامت بتوزيع نشرات، تعلن فيها ان وقف اطلاق النار لايمكن الا ان يكون ثمرة اتفاق سياسي يحتوي على ضمانات قوية. فبعد كل التضحيات خلال النضال. أضاف الاعلان، أن الشعب الكوردي ليس قبداً على استعداد لالقاء السلاح بناءً على وعود شفهية. وتتهم قادة الحزب الديمقراطي بالنزعة الانهزامية لـ " المستسلمين اليمينيين " والذين كانوا يشكّون في تطور الحركة الشعبية. وفضلوا التوصل الى مساومة مع "الرجعية".

الجنرال بارزاني ، ذي العقلية البطريركية Patriarcale متعود على الطاعة المطلقة له. قام - حسب قول قادة الحزب الديمقراطي – بنوع من "الإنقلاب " فأستولى بمساعدة الضباط الموالين له، على مراكز القيادات العسكرية والذين كانوا يريدون متابعة الصراع المسلح. وذهب الى حد توقيف عشرين شخصاً من الحزبيين ضمنهم اثنين من أعضاء اللجنة المركزية للحزب وهدفه كان تقليص نفوذ الحزب على الجماهير. وثم – ربما عن قناعة شخصية - قام بحل "لجان الفلاحين" المنتخبة في القرى وألغى إجراءات الاصلاح الزراعي في عدد من المناطق "المحررة".

الحزب الديمقراطي الكوردستاني فضل عدم الدخول في استخدام القوة مع رئيسه. " كنا نعلم، قالها أحد أعضاء المكتب السياسي، ان المستقبل سيكشف اننا على حق. ولهذا لاداعي لتحمل مسؤولية كبيرة لحرب أهلية ؟ "

في يوم وصولنا الى مدينة رانية في بداية شهرحزيران بدا الجنرال بارزاني عميق الخيبة للثمار الذي اقتطفها من مساومته مع الحكومة. وحصل لديه انطباع بأن الأخيرة حاولت استغلال المصاعب الداخلية للحركة القومية الكوردية لصالحها. وفي الوقت نفسه ينتظر زيارة رئيس المجلس العراقي الجنرال طاهر يحيى للبدء

معه بالمفاوضات منذ وقف اطلاق النار. قال الزعيم الكوردي سوف يكون موقف المسؤولين الحكوميين بمثابة "إختبار" حاسم يقرر اما الحرب او السلام في البلاد .

المقالة الثانية : استراحة قصيرة في كوردستان

وكتب المراسل الخاص اريك رولو في اليومية الفرنسية (لوموند) في 8 تموز 1964 :

سلام غير مؤكد

رانية تموز - عشرون سيارة لاندروفر تتقدم واحدة اثر اخرى على طريق محصىً مثيرة غيوماً من الغبار الكثيف. الأنصار الكورد محشورون داخل السيارات وهم يمسكون بصعوبة ببنادقهم واسلحتهم الاوتوماتيكية نتيجة القفزات العديدة المفاجئة لسياراتهم . لايبدو عليهم أي إهتمام بروعة الطبيعة الماثلة أمام أعينهم من حقول ومروج واسعة وجنان مفروشة بالأزهار البرية ذات الألوان الزاهية. وتتراءى خلفها المنحدرات الحادة من الجبال وقممها المتوجة بالثلوج .
القافلة تتقدم من رانية. حيث المقرالعام للثوار الأكراد متجهة نحو خلكان (على طريق السليمانية) حيث من المفروض إجراء الاتصالات الأولية مع وفد عراقي هام يترأسه رئيس المجلس الجنرال طاهر يحي . ملا مصطفى البارزاني كعادته صامت. يبدو قلقاً. بالأمس كانت تصريحات الزعيم الكوردي توحي بعدم التفاؤل حول امكانية الوصول الى اتفاق. أما اليوم فهو يقول لنا: "ان الجنرال طاهر يحي رجل منطقي. لكن هل يدرك الحاجة الملحة في كوردستان للتوصل الى حل؟ "

أراد الجنرال بارزاني ان يكون الوفد الكوردي ممثلاً بشكل واسع. فيرافقه مساعده الميداني الكولونيل عزيز عقراوي. انه ضابط قديم في الجيش العراقي ملتحق الآن بالثوار. ويرافقه أيضاً عدد من المستشارين السياسيين. رؤساء ووجهاء العشائر. أغوات وقادة في الحزب الديمقراطي الكوردستاني. لقد أراد حضورهم رغم انه أفسد معهم العلاقات. الجميع ضمن حاشيته.

الشيخ لطيف. ابن الشيخ محمود المشهور. والذي كان على رأس الإنتفاضة في أعوام العشرينات. محاط بحراسه وأنصاره. يبدو على ملامح وجهه ألماً شديداً متواصلاً في أسنانه. فالرجل العجوز منذ أشهر لم يراجع طبيب أسنان للمعالجة. اذ يعتقد ان وجوده في الانتفاضة امر لايستغنى عنه. والى جانبه. السيد صالح اليوسفي. ممثل القوميين الكورد في بغداد. طويل ونحيف شاحب وكأنه جثة. نظراته تعكس حزناً عميقاً. كان قد اعتقل في شهر حزيران الماضي أثناء قيادته للوفد الكوردي في المفاوضات مع الحكومة المعنية. وتعرض الى صنوف من التعذيب لاتزال واضحة عليه. يؤكد بعض الشهود ان الجلادين أنفسهم لم يضبطوا دموعهم أمام معاناته من التعذيب والتي تحملها بشجاعة.

حوار وسط العشب

الحزب الديمقراطي الكوردستاني ممثل من قبل ثلاثة من أعضاء المكتب السياسي : القانوني ابراهيم احمد والمهندس علي عبدالله والمحامي جلال الطلباني . الجنرال بارزاني يوجه كلامه فقط للأخير. وبنبرة فظه. متعمداً تجاهل حضور الإثنين الاخرين.

شكلت وحدة الصف الكوردي في مواجهة الخصم. وما ان وصلت طلائع المونوسيكلات التي تسبق السيارة ...سية اصطف الزعماء الكورد على حافة الطريق مجتمعين لاستقبال الجنرال طاهر يحيى ومساعديه. بعد انقضاء ساعة على الحوار العادي حول أكواب الشاي. أعلن الجنرال بارزاني بصورة ظاهرة دعمه ...دة الحزب الديمقراطي. مشيراً اليهم باليد قائلاً لنظرائه العرب "الآن انها السادة. حان وقت البدء بالحوار مع ممثلي الشعب" وثم غادر المكان بينما الطرفان المتفاوضان افترشا العشب على حافة المرج بصورة عدية.

بشكل عام بدأ الحوار بمزاج مرح على العشب. لكنه لم يدم اذ تحول الى نقاش ساخن وتعالت النبرة. أولئك الذين وجدوا أنفسهم على مقربة – بالأخص مراسل لوموند الخاص – لاحظ ان النقاش تحول الى حوار ...رشان فممثلي الحكومة كلهم عسكريون عدى الدكتور الفال فلوحي. مدير الصحافة في وزارة الخارجية كان قلقهم الرئيسي بلا شك هو محو الاثار التي خلفتها الحرب. وكانوا على اعتقاد ان المشكلة السياسية الأساسية قد حلت بصورة نهائية.

هاجس الإنفصال

بسعى أعضاء الوفد الكوردي دفع النقاش بإتجاه الواقع الأساسي والحصول على تعريف دقيق لمفهوم "الإدارة الذاتية" والتي تضمن لهم صلاحيات التحكم في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في "كوردستان".

ما ان نطقت الكلمة حتى غضب الجنرال طاهر يحيى "شمال العراق" لايمكن تسميته تحت اسم "كوردستان" دون فتح الطريق نحو الانفصال. أشار السيد ابراهيم أحمد ان نفس الاسم مستعمل رسمياً في ايران ولم يؤدي الى تمزيق المملكة البهلوية. وأضاف ان المعركة ليست معركة تسميات بل خلاف جوهري حول مستقبل الاكراد في العراق. والذين يتوقون الى نظام ديمقراطي يسمح لهم بإيجاد مجلس تشريعي منتخب خلال الاقتراع السري وسلطة تنفيذية مختلفة عن الموجودة في بغداد.

قال الدكتور فلوحي بصدد نفس الموضوع : "بوضوح يريد الكورد الحصول على وضع يكفل لهم جميع امتيازات الاستقلال دون ان يلزموا أنفسهم بما لايناسب" رئيس الوزراء كان أكثر تسامحاً. أعلن عن تأجيل المشكلة لحين انتخاب البرلمان العراقي والذي يفترض ان يجري انتخابه خلال 3 سنوات – أثار هذا شكوك الوفد الكوردي – استمر تبادل الاراء حتى الغروب دون التوصل الى تفاهم حول مبدأ "إدارة ذاتية" . كما لم يتفقوا على حل التشكيلات الحزبية والتي تريدها الحكومة: "حتى لو أردنا ذلك. قال جلال الطالباني. سوف لن يوافق الأنصار بحل الحزب الديمقراطي الكوردستاني" الجنرال هادي خماس مسؤول شعبة القيادة الثانية طلب تسليم الضباط الشيوعيين والتقدميين الذين التجأوا الى المتمردين أثناء عمليات القمع البعثية. أيضاً رفض القادة الكورد الطلب وأشاروا الى التزامهم "بتقاليد الضيافة لديهم" واقترحوا بالمقابل اعلان عفو عام في العراق واطلاق سراح جميع السجناء السياسيين. وثم جاء دور المتفاوضين العرب فرفضوا هذا الطلب قائلين ان اجراءً كهذا سيشجع "العمليات التحريضية" للشيوعيين والبعثيين.

إتفاقات جزئية

لم تنتهي المفاوضات بشكل حاسم. فأعلن الجنرال طاهر يحيى معبراً عن إمتنانه ومساعديه للجنرال بارزاني لحسن الضيافة. واستمر تبادل الآراء في رانية بعد انقضاء جزء هام من الليل. وفي صباح اليوم التالي انفصل الوفدان بعد الاتفاق على نقاط ثانوية نسبياً: حل المليشيات الكوردية الحكومية (الجاش) والاسراع في ذلك. انسحاب الجيش العراقي من بعض المواقع الحساسة. تطوير الدراسة باللغة الكوردية في المدارس المتوسطة. وحصل قادة الحزب الديمقراطي على قناعة حزئية بخصوص الدستور المؤقت. وهذا من غير ان

يشير الى مطلب الاوتونومي. ويتضمن الاعتراف بوجود "الشعب" الكوردي وضمان "ازدهاره جنباً الى جنب مع الشعب العربي" في العراق. الصيغة الاخيرة لاشك تهدف الى تهدئة المخاوف التي تثيرها الوحدة العربية التي لاتأخذ في الحسبان التطلعات القومية للأكراد.

هل المشكلة حلّت ؟ المراسل الذي تحاور مع العديد من المسؤولين العرب والكورد مضطر الى الإجابة بالنفي. في الواقع يسود عدم تفاهم عميق بين الطرفين. ففي الجانب العراقي هناك معارضة للمطالب الكوردية، سواء عن قناعة مخلصة أو متصنعة مفادها ان الاوتونومي الكوردي سيقود لامحال الى انفصال شمال العراق.

ليس سهلاً لقومي عراقي – أياً كانت قناعاته الديمقراطية – القبول بفكرة ان دولته هي دولة مصطنعة محكوم عليها بالتمزق في وقت قريب. عدد من الموظفين يعتقدون ان المصلحة الوطنية تقتضي الحفاظ على الوضع الراهن مع ادخال تحسينات عليه ان كان ضرورياً كسب تحالف الجنرال بارزاني وأصدقائه. وآخرين شوفينيين بما فيه الكفاية، يعرفون ان الأكراد ليس لديهم الإرادة ولا الإمكانات للإنفصال عن الدولة العراقية. لكنهم مع ذلك يلوحون بالشعار للتخويف وتتم المناداة بـ "استخدام القوة". هؤلاء يصنفون الكورد الى صنفين ويسعون الى خلق الفرقة بينهم. بالنسبة لهم هناك "الجيدين" وهي العناصر القبلية التي يأملون التفاهم معها – وهناك "السيئين" في الواقع ممن يعتبرونهم من "المحرضين" في الحزب الديمقراطي ويرغبون في القضاء عليهم.

الحرب لاتأتي بحلّ

في كل الأحوال، كلاهما لم يدرك حجم الثورة التي اندلعت في كوردستان. فالحزب الديمقراطي هو الأكثر تنظيماً من الناحية السياسية والعسكرية، الأقوى في الشرق الأوسط. فقد نجح في تشكيل الكادر الجدّي وفي تعبئة جماهيرالفلاحين الذين يتطلعون الى أشياء اخرى غير الإصلاحات الطفيفة على المؤسسات. فالسكان في الأعوام الأخيرة عانوا الكثير من حرب لارحمة فيها وسوف لن يتخلوا عن مطالبهم التي يعتبرونها حيوية. ان النتائج الهزيلة التي نتجت عن مفاوضات رانية، قد تؤدي الى إستئناف القتال. في الواقع لا أحد لا من هذا الطرف أو ذاك يريد الدخول في خصام من جديد. فالحكومة تعاني من عدة مصاعب داخلية ذات طابع سياسي واقتصادي وتريد استقرار الوضع. أما الجنرال بارزاني وأنصاره فهم يعتقدون سواء كانوا على صواب أو خطأ، ان عامل الوقت هو في صالحهم.

الواقع الذي هو أكثر إحتمالاً، ان المشكلة لن تحلّ بالحرب. فليس بمستطاع القوميين الكورد فرض ارادتهم على بغداد بقوة السلاح، كذلك ليس بمستطاع الحكومة العراقية اقلاع الثوار من جبالهم. التفاهم وحده بين الممثلين الحقيقيين للشعبين قمين بتحقيق تسوية راسخة تضمن الحقوق الشرعية للأكراد ضمن الكيان العراقي علاوة يقتضي أن تترسخ ديمقراطية حقيقية في البلاد. من الآن وحتى ذلك الوقت فإن السلام المسلح الحالي هو في الواقع مهزوز بقوة.

Eric Rouleau, Le Monde, 8 Juillet 1964.

الحرب البعثية الأولى على كوردستان 1963

لم يستسغ الغرب عموماً سياسات عبدالكريم قاسم وقضائه على النظام الملكي التابع لبريطانيا وبنائه علاقات صداقة مع الإتحاد السوفيتي. لكن العامل الأهم في قلق واشنطن كان بسبب تعاظم نفوذ الحزب الشيوعي العراقي وجماهيريته الواسعة. وعلى رغم تغيير موقف قاسم من الحزب الشيوعي العراقي ومن الأكراد، نهاية عام 1960، حيث أودع الشيوعيون في السجون والمعتقلات وبعدها شنّ حرباً دموية على كوردستان، الا ان موقف لندن وواشنطن بقي معادياً لنظام قاسم.

كان صدام حسين شاباً عندما اشترك في محاولة إغتيال قاسم. وذكر Miles Copeland وهو من موظفي الـ (CIA) انه بعد تبوأ قاسم الحكم إحتفظت وكالة المخابرات المركزية بـ "صلات وثيقة جداً" مع حزب البعث.[177] وكان صدام حسين يستخدم شقة في شارع الرشيد ببغداد غير بعيدة عن وزارة الدفاع العراقية. ويقول عادل درويش مؤلف كتاب (Unholy Babylon: The Secret History of Saddam's War) ان وكالة الـ CIA كانت تتلقى المعلومات كاملة عن كل مايتعلق بعملية الإغتيال. وان حلقة الإتصال بين صدام و الـ CIA كان طبيب أسنان عراقي، يعمل لصالح المخابرات المصرية أيضاً. وبعد فشل محاولة إغتيال قاسم، تمكن صدام حسين من الهرب بمساعدة الـ CIA والأمن المصري.

وفي شباط من عام 1963، ساعدت وكالة الـ CIA على تخطيط إنقلاب ضد قاسم و بغطاء من سفارة الولايات المتحدة. أعدم قاسم وأخذ الكولونيل عبدالسلام عارف مكانه. بدأ حكم البعث بحملة دموية شرسة ضد أعضاء الحزب الشيوعي. وقامت الـ CIA بتزويد نظام البعث بقوائم أسماء الشيوعيين وعناوينهم فلاقى الآلاف منهم ومن مؤيديهم مصرعهم.[178] وتدهورت العلاقات مع الإتحاد السوفيتي الى نقطة الصفر.

وبعد حملة الإبادة ضد الحزب الشيوعي العراقي وفرار الآلاف من أعضائه الى كوردستان، جاء دور الهجوم على شعب كوردستان بتعاون الجيشين، العراقي والسوري،

---

[177] Russia & the Arabs. Yevgeny Primakov. AMember of the Perseus Books Group, New York. P: 68

[178] Russia & the Arabs. Yevgeny Primakov. AMember of the Perseus Books Group, New York. P: 69

يقول عصمت شريف وانلي: "تم إقرار المساهمة العسكرية السورية دون شك اثناء الإجتماع الذي عقد في بغداد قبل شن الحرب بقليل بين قادة البعث السوري والعراقي. ويبدو ان هذا التدخل كان مقتصراً على السلاح الجوي السوري. وكانوا ينفون هذا التدخل. لكنها كانت حقيقة معروفة لقاطني كوردستان- عراق. فالطائرات السورية كانت تنطلق يومياً ليس فحسب من قواعدها السورية وانما أيضاً من المطارات العراقية التي وضعت تحت تصرفها لتقذف حممها وقنابل النابالم على المناطق الكوردية. أما قوات المشاة للجيش السوري فقد دخلت كوردستان من منطقة الجزيرة الكوردية عقب التدخل الجوي. ذكرت لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الكوردي في بيان نشر في مدينة لوزان في 1963/6/28 وتناولته الصحف. ندد البيان بهذا التدخل. ونوه بأن هذا التدخل يخلق بعداً دولياً للحرب. وناشد البيان "الحكومات الديمقراطية بالأخص في أفريقيا وأسيا العمل في مجلس الأمن لإثارة هذا النزاع. وبهذه المناسبة وجه مذكرة تنديد بهذا الصدد الى الأمين العام للأمم المتحدة ولمنظمات عالمية أخرى. وفي 1963/7/4 أشارت اليومية السويسرية Tribune de Lausanne الى التدخل العسكري السوري في الحرب على الكورد.[179]

وجاء في مذكرة سلمت للسفير السوري في موسكو في 1963/7/9 إتهمت الحكومة السوفيتية سوريا بتدخلها العسكري في أحداث شمال العراق. وكان ردّ فعل الحكومة السورية في مجلس الأمن في 7/12 /1963 في إتجاهين. فقد أكدت ان أية دولة عظمى لاتملك حق التدخل في الشؤون الداخلية للعراق وليس هناك أي تدخل من قبل القوات السورية في هذا النزاع:

2. ترغب الحكومة السورية التأكيد على انها تعتبر حركة البارزاني عصياناً وتمرداً عسكرياً. يهدد الأمن والإستقرار و من ضمن مهام وصلاحيات الحكومة العراقية أن تعالجها محلياً. وعلى الدول العظمى عدم التدخل في الشؤون الداخلية للعراق.

علاوة فإن أي تدخل أجنبي لاينسجم أبداً مع الفقرة 2 من المادة 7 لميثاق الأمم المتحدة (........)

2. وتعلن الحكومة السورية أنها لم ترسل أية وحدات من الجيش السوري الى العراق للقضاء على هذه الحركة. حيث تواجهها قوات الحكومة العراقية لوحدها.

---

[179] Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly.Editions De La Baconnière, Neuchatel 1970. P: 208

4. سوريا والعراق بلدان مستقلان وملتزمان بسياسة عدم الإنحياز وعلى أساس هذه السياسة والمبادئ المنبثقة عنها، فإنهما لايتعاونان مع بلدان تابعة لأحلاف في خدمة الإمبريالية.
وتؤكد الحكومة السورية العربية عزمها والتزامها بصداقة الإتحاد السوفيتي ومع كافة الدول الإشتراكية.

وفي 1963/9/30 نشر بلاغ في دمشق مؤكداً على الوحدة السورية العراقية والتي ستكون "دولة جماهيرية، اشتراكية و ديمقراطية" وفي 1963/10/8 تم تعيين الجنرال عماش، وزير الدفاع العراقي، كقائد للجيشين الموحدين السوري والعراقي.

حتى ذلك الوقت كانت الحكومة السورية تنفي تدخلها العسكري في الحرب على كوردستان. لكن في 1963/10/21 اعلن رسمياً في العراق ان المارشال عبدالسلام عارف ، رئيس الجمهورية، أنهى لتوه زيارة للقوات السورية التي كانت تقوم بالعمليات العسكرية في منطقة زاخو في كوردستان وهي غير بعيدة عن الحدود السورية.

وفي 10/28/ أعلن الكولونيل فؤاد الشاعر في الموصل، وهوقائد اللواء السوري الذي أرسل الى كوردستان، "ان قواتنا التي تعاونت مع القوات العراقية تمكنت من تطهير منطقة خابور حتى خيرى من المتمردين الكورد." وبعد ان عبر عن رغبته في رؤية "الوحدة العسكرية السورية العراقية وقد شملت جميع الجيوش العربية: أبدى الشاعر أسفه من "ان بعض الدول العربية المستقلة تهاجم هذه الوحدة مما يخدم أهداف الإمبريالية". هذا العسكري العضو في مجلس القيادة القومية السورية، كان قائداً للقوات السورية (اليرموك) بالقرب من الحدود الأسرائلية.[180]

إعترفت بغداد ودمشق بوجود لوائين سوريين فقط في كوردستان، يقارب عددهم ستة آلاف عسكري، لكن حسب مصادر أخرى بلغ مجموع هذه القوات حوالي سبعة عشر ألف من أفراد الجيش. جاء الإعتراف السوري بتدخله العسكري ودعمه لجهود الحرب العراقية بعد خمسة أشهر من إبتداء الحرب، التي وصفها العسكريون البعثيون العراقيون بـ "نزهة عسكرية" هذه النزهة تطلبت مساعدة القوات السورية لكنها لم تؤثر في تغير مسار الحرب.

---

[180] Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly Editions De La Baconnière, Neuchatel 1970. P: 208-209

وأشارت الصحافة اللبنانية الى مرور قطارات عسكرية من حلب نحو كوردستان محمولة بالجنود والأسلحة. وفي العودة تأتي بالجرحى والقتلى من جنود الجيش السوري. وتساءلت صحيفة النداء "فيما إذا كانت قوات اليرموك التابعة للجيش السوري هي قوات معتدية أم قوات تحرير؟" فهل بألنسبة للبعث تحرير فلسطين يبدأ بالهجوم على الشعب الكوردي؟ وفيما يتعلق بعوائل الجنود والرأي العام السوري فإن الجنود السوريون يموتون بلا فائدة في متاهات جبال كوردستان ولأمد طويل ستبقى هذه الذكريات معلقة في أذهانهم." لقد كانت الإنتصارات الكوردية معروفة في سوريا تتحدث بها الأوساط الشعبية المناهضة للبعث.[181]

بعد فشل الحملة. إنسحب الجيش السوري من كوردستان دون تحقيق أي نصر. بل العكس عانى من الخسائر في الأرواح والذخيرة. واستولت القوات الكوردية على كميات من الأسلحة ووقع في أسرها مجموعة من جنود الجيش السوري. ومع ذلك فقد جرى استعراض عسكري صاخب في دمشق في 1964/1/10 بمناسبة عودة القوات السورية. بحضور الجنرال أمين الحافظ رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس الدولة الى جانب الشخصيات الرئيسية للنظام. وأشارت الصحيفة الرسمية "الجندي" لسان حال الجيش السوري في مقالة مصورة. الى ان الكولونيل الشاعر وجنوده إستقبلوا إستقبال الأبطال. محاطين بمظاهر الأبهة والعظمة. ووصفت الصحيفة هذه المناسبة بـ "الأكثر عظمة من كل ما عاشه الشعب العربي السوري". وتتابعت الخطب الرسمية. وفي ردّه على أمين الحافظ. قال الشاعر مؤكداً أن قواته "طهرت مناطق واسعة من هذا الجزء العربي الخالد والذي هو شمال العراق من العصابات الإنفصالية العائدة للبارزاني.". وأن الأكراد في الوطن العربي يتمتعون بكامل حقوق المواطنة. لكن من غير الممكن ان يطالبوا بحقوق خاصة.".[182]

ردّ الفعل السوفيتي والدول الإشتراكية

حتى قبل الحرب البعثية. كانت الدول الإشتراكية تنتقد نظام قاسم لحربه في كوردستان. وكانت تطالب بإيجاد حلّ سلمي للنزاع والإعتراف بالحقوق القومية للشعب

---

[181] Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly.Editions De La Baconnière, Neuchatel 1970. P: 209

[182] Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly.Editions De La Baconnière, Neuchatel 1970. P:210

الكوردي. وكثير من هذه الآراء كانت من كتابات زعماء الحزب الشيوعي العراقي في الصحافة الدولية الشيوعية.

وبعد الإنقلاب البعثي وتصفية الشيوعيين والتقدميين في العراق. بدأت الصحافة السوفيتية المعروفة مثل برافدا، ازفيستيا، تنوه ومعها صحافة البلدان الإشتراكية الأوروبية، بدعم المطالب الأساسية للثورة الكوردية، الحكم الذاتي لكوردستان. وتهاجم في ذات الوقت نظام بغداد. وبعد إستئناف القتال تحولت الحملة الصحفية الى حملة ديبلوماسية لصالح شعب كوردستان والديمقراطية للعراق.

وبعد عدة أيام من إستئناف الحرب على كوردستان، أظهرت الحكومة السوفيتية عن موقفها المحدد في نشرة بثتها وكالة تاس:

"ليس بوسع الإتحاد السوفيتي تجاهل ما يجري اليوم في العراق. إذ تساهم السياسة الحالية للحكومة العراقية تجاه الأكراد في تقويض دعائم السلم في منطقة الشرق الأدنى."

وبعد التنويه بأن الشعب الكوردي يشكل أكثر من ربع سكان العراق، الا انه لاينوي الإنفصال عن العراق، بل يرغب في بناء نظام ديمقراطي مبني على التعاون بين العرب والكورد." وانه إنتفض "ضد خضوع العراق للدوائر الإمبريالية المعادية للشعب الكوردي." واتهم البيان السوفيتي نظام البعث "بالعمل وفق الطريقة الهتلرية" ضد الأكراد و"في كوردستان تقوم الحكومة العراقية بحملة إبادة جماعية ضد السكان".

وفي مقالة أشارت صحيفة برافدا الى موضوع المساعدات السوفيتية الإقتصادية والعسكرية والتقنية للعراق، من المحتمل تعليقها، فهذه المساعدات ليست للبذخ، ومن جهة ثانية لايرضى الشعب السوفيتي استخدام الدول الجديدة لهذه المساعدات بما يناقض مصالح شعوبها.

وفي 3 تموز 1963، طالبت جمهورية منغوليا الشعبية رسمياً إدراج موضوع "سياسة الإبادة التي تمارسها الحكومة العراقية ضد الشعب الكوردي" إدراجها في جدول أعمال الدورة الثامنة عشر للهيئة العامة للأمم المتحدة". وقامت الحكومة العراقية على الفور تعليق علاقاتها الديبلوماسية مع العاصمة اولانبطور.

وفي 9 تموز 1963، شهدت العاصمة السوفيتية نشاطاً دبلوماسياً مكثفاً، حيث إستدعى وزير الخارجيه أندرى غروميكو سفراء العراق، إيران، تركيا وسوريا، الى وزارته وسلّم تحذيراً شديداً، جاء فيه:

"تقوم الدول في الحلف العسكري الإمبريالي CENTO بإجراءات عسكرية، وهذا يشكل خطراً على صيانة السلم في الشرقين الأدنى والأوسط." [183]

" إن الإضطهاد الدموي ضد الشعب الكوردي، والذي يشكل أكثر من ربع السكان في العراق، سوف يضعف الدولة العراقية ويسيء الى سمعتها على الصعيد الدولي، ويتيح أيضاً للقوى الكولونيالية إستغلال هذه الأحداث للنيل من إستقلال العراق وتقوية مراكزها في الشرق الأدنى والأوسط.

"إن سياسة الحكومة العراقية تتيح للقوى الإمبريالية إمكانية التدخل في شؤون الشرق الأدنى والأوسط، وستترتب عليها نتائج جدية وخطيرة للغاية.

"إن تدخل القوى الخارجية في الأحداث التي تجري في الأراضي العراقية ليست مبعث إهتمام العراق فحسب، فدخول قوى ودول اخرى في النزاع، علاوة على وضع قوات أجنبية مرتبطة بالأحلاف العسكرية العدوانية على مقربة من الحدود السوفيتية، يشكل تهديداً لأمن عدد من البلدان، بالأخص للإتحاد السوفيتي."

وجاء في بيان الحكومة السوفياتية الموجه لإيران وتركيا وسوريا، ان الحكومة السوفيتية تعبر عن "خالص أملها من أن الحكومات الثلاث ستعمل كل ما في وسعها لتحديد سياساتها فيما يتعلق بالأحداث في العراق"."حسب المعلومات المتوفرة لدى الحكومة السوفياتية، يضيف البيان، عدد من الدول بالأخص إيران، تركيا وسوريا، قد بدأوا بالتدخل في الأحداث الجارية في شمال العراق الى حدّ إتخاذ إجراءات ذات طبيعة عسكرية." وبعد التذكير بحرب السويس ضد مصر عام 1956 ذكر البيان: "إن السياسة التي تبنتها بعض الدول العضوة في حلف السنتو تنذر بنتائج وخيمة، وان الحكومة السوفيتية إنطلاقاً من مبدأ عدم التدخل، لاتسمح لاحد ان يقوم بالتدخل في الشؤون

[183] Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly.Editions De La Baconnière, Neuchatel 1970. P: 210

العراقية." ثم أشار بيان الحكومة السوفيتية الى حالة "مذبحة دموية ضحيتها الأكراد"، قبل ان يختتم:

"لقد تحولت تراجيديا الأكراد الى مشكلة دولية. وان ذلك مبعث سخط شرعي لدى قطاع واسع من الرأي العام العالمي."

وفي نفس اليوم سلّم الممثل السوفيتي M. Nicholas Fedorenko مذكرة لرئيس مجلس الأمن تشير الى ان حكومة الاتحاد السوفيتي تحتفظ بحق تقديم المشكلة الكوردية الى المجلس:

"لقد خلق وضع خطير متمثل في الاحداث التي برزت في شمال العراق وتدخل عدد من الدول في العمليات العسكرية التي تشنها السلطات العراقية ضد الشعب الكوردي (..........)

"وحسب البيانات الصادرة من ممثلي الحكومات العسكرية والكولونيالية التابعة لحلف السنتو. فإن القمع الدموي ضد الاكراد كان موضع نقاش خاص أثناء كونفرانس الدول التابعة لهذا الحلف (.......)

"ان تدخل الدول الأجنبية في الأحداث الجارية على الحدود العراقية ليست فقط شأن عراقي. فواقع انخراط قوى ودول اخرى في هذا النزاع ووضعها في خدمة قوى عدوانية في مواقع قريبة من الحدود السوفيتية. تضع أمن عدد من الدول ضمنها الإتحاد السوفيتي في خطر (..........)

وفي حالة إطالة تدخل القوى الخارجية في أحداث شمال العراق. فقد تستدعي الضرورة عقد جلسة لمجلس الأمن بهدف تبني الإجراءات الضرورية لوضع نهاية لهذا التدخل."

ونقرأ في المذكرة التي قدمها M. Nicholas Fedorenko الى مجلس الأمن. مايلي:

".... ان المساعدة التي تقدمها الدول المجاورة الى الحكومة العراقية في عملياتها ضد السكان الكورد قد تدفع دول اخرى الى إتخاذ إجراءات لمواجهة هذا التدخل من أجل صيانة أمنها (.......)

"دول مجاورة ترسل الى العراق وحدات عسكرية وتشارك بشكل مباشر في العمليات الهجومية. وحسب ما أوردته التقارير الصحفية. فإن فوجاً من القوات السورية وطائرات

من السلاح الجوي السوري تشارك في العمليات العسكرية (...) هذا التدخل يهدد بتوسيع رقعة النزاع ويقوض أسس السلام المهزوز سلفاً في الشرق الأدنى."

وفي 1963/7/10 وجهت الحكومة العراقية مذكرة إحتجاج الى رئيس مجلس الأمن "ضد التدخل غير المبرر للإتحاد السوفيتي في الشؤون الداخلية للعراق" مشدداً على ان "المزاعم المتعلقة بإبادة السكان في شمال العراق عار عن الصحة" وان "التأكيد على وجود وحدات عسكرية أجنبية في العراق هو مخالف للحقيقة" وفي تحذيرها للسوفييت لوح ممثل الحكومة العراقية عدنان الباجچي، بسلاح التضامن العربي:

"ان التهديد العلني ضد استقلال ووحدة اراضي بلدي حيث تضمنتها رسالة الممثل السوفيتي الدائم . وتدخله المتواصل في الشؤون الداخلية للعراق، والذي أعلن على الدوام رغبته المخلصه في الحفاظ على علاقات صداقة مع الإتحاد السوفيتي، ولّد الكثير من الإضطراب والقلق في العالم العربي، يعتبر هذا مظهر من مظاهر العداء الصريح، كما ان هذا التصرف من قبل دولة عظمى عضوة دائمة في مجلس الأمن سيكون لها انعكاسات خطيرة جداً على السلم والأمن الدوليين....."

وسوريا بدورها ردّت على الموقف السوفيتي بمذكرة مؤرخة في 1963/7/12 موجه الى مجلس الأمن.

لم يهتم الاتحاد السوفيتي بهذه الردود، وفي 11 تموز تابع حملته هذه المرة خلال وفده حيث طلب من المجلس الإقتصادي والإجتماعي للأمم المتحدة، المجتمع في مدينة جنيف، أن يدرج في جدول أعماله قضية "سياسة الإبادة التي تمارسها حكومة الجمهورية العراقية ضد الشعب الكوردي". رفض الطلب هذا بعد مناقشة طويلة. (..............)[184] في نفس اليوم (1963/7/11) رفضت فرنسا، الولايات المتحدة الامريكية، بريطانيا، الهند، الاردن ودول اخرى المقترح السوفيتي في جنيف.

وفي 1963/7/17 سحبت جمهورية منغوليا الشعبية مقترحها بذريعة "الحفاظ على التضامن الأفرو- أسيوي وأخذاً بنظر الإعتبار الأراء التي عبرت عنها وفود تابعة الى دول

---

[184] Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly.Editions De La Baconnière. Neuchatel 1970. P:217-208

صديقة. فقد قرر الوفد عدم ممارسة الضغط لإدراج هذا الموضوع في جدول اعمال الدورة الثامنة عشر، في الوقت الذي يحتفظ فيه بحق إثارة الموضوع مرة أخرى في المستقبل إذا استدعت التطورات ذلك."[185]

حتى قبل الإعلان عن بدء العمليات العسكرية صباح يوم 1963/6/10 من راديو بغداد. إرتكب الجيش العراقي مجازر في مدينة السليمانية في1963/6/9. حيث سيطر على المدينة ومداخلها منذ الفجر. فأقتحم الجنود المنازل وأطلقوا النار. فقتلوا 267 من المدنيين وثم دفنوا في مقبرة جماعية خارج المدينة. وأعتقل أثناء الحملة مايقارب 5000 مواطن، ضمنهم وجهاء المدينة، مثقفين وموظفين من أصل كوردي. وفي كركوك وضواحيها تم طرد الألاف من الكورد وقصفت القرى والقصبات بقنابل النابالم، ثم أجهزت على ماتبقى منها الدبابات والبلدوزرات. لقد فاقت حملة البعث هذه في قسوتها حرب قاسم في كردستان أضعافاً. كما قبض خلافاً لكل الأعراف على الوفد الكردي المفاوض في بغداد وتعرض أعضائه للتعذيب طيلة أشهر، ضمنهم صالح اليوسفي وبدالله فيلي.

وكانت إذاعة وتلفزيون دمشق تبث برنامج يومية لتثقيف الجماهير العربية سياسياً بعنوان: "اعرف عدوك" طبيعي إنه الشعب الكوردي. ولم يتوقف تأيد الحكومة السورية عند حدّ الدعم العسكري والمالي - جمع التبرعات الشعبية – وارسال محاصيل القمح، بل قامت بحملة واسعة في الدول العربية لدعم موقف الحكومة العراقية. ففي بيان نشر في دمشق في 6/13/ 1963 بعد زيارة رئيس جمهورية اليمن المارشال عبدالله السلال، ذكر ان حكومتي البلدين تؤكدان على دعمهما الكلي للحكومة العراقية ضد الكورد وبناشدان العالم العربي "دعم العراق للقضاء على المتمردين الإنفصاليين". وخلال زيارة صلاح البيطار للجزائر في 6/24/ جاء في بيان سوري – جزائري مشترك: "يؤكد الطرفان دعمهما لشعب الجمهورية العراقية ولحكومتها الثورية ضد حركة التمرد التي يقودها حفنة من الإنفصاليين الكورد من عملاء الإمبريالية."[186]. من الجدير بالملاحظة ان الشعب الكوردي وقف بصلابة أثناء حرب التحرير الجزائرية الى جنب الشعب الجزائري وساهم في التبرعات المالية التي نظمتها الحكومة العراقية. كما ألفت القصائد والأغاني الكوردية تأيدا للشعب الجزائري. كانت علاقات ناصر سيئة بالبعثيين، والتزم بالحياد. وصرح لجريدة (لوموند) الفرنسية:

---

[185] حماية الأكراد أطروحة دكتوراة لجامعة فيينا عبدالمصور بارزاني ص: 68

[186] Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly.Editions De La Baconnière. Neuchatel 1970 P:198

"سنقاوم اية حركة إنفصالية. لكن بما أن الحكومة العراقية اعترفت بوجود الامة الكوردية وتوصل الطرفان، الجنرال بارزاني وحكام بغداد الحاليين الى اتفاق سري، لذا أعتقد انه كان من الأنسب تبني الحلول السلمية قبل اللجوء الى السلاح. وذكر لي جلال الطالباني، ممثل الجنرال بارزاني مؤكداً لي بشكل رسمي أن الكورد لن يكونوا البادئين بخرق الهدنة. لقد إستغربت كثيراً عندما علمت من بيان أذيع من بغداد بأن الحرب تجددت......"[187]

وفي مقالة إفتتاحية وردت في صحيفة "لسان الحال" البيروتية، كتب جبران هايك في 11 /1963/6:

"لانعرف كيف ستبرر الحكومة العراقية أمام الرأي العام العالمي إجراءاتها في القضاء على شعب بكامله يطالب بالحرية والحكم الذاتي. هذا الشعب عانى الكثير على يد النظام الرجعي السابق، وكان يأمل بأن أماله ستتحقق في عصر الإشتراكية والحريات. لكنه وجد نفسه أمام معاناة أشد. (.........)

"لانعرف كيف ستجد الحكومة العراقية المبررات الفلسفية والمعنوية والمبدئية لحرب إبادة جماعية حيث يتدل طبقها منذ 14 رمضان كحل لمشكلة الشعب الكوردي.

" ان القومية العربية بمفهومها الحديث والتي من المفروض انها لاعنصرية ولادموية، بل إنسانية، إشتراكية، تقدمية وتحررية.

" ومن هذا المنطلق كيف يسمح "العرب"حكام العراق لأنفسهم إبادة "الأكراد" في العراق؟

"وإن كان الجواب هو أن الأكراد يرفضون الإندماج بالقومية العربية والسير ورائها، فذلك حق من حقوقهم، فهم ليسوا عرباً وإن كانوا مسلمين.

[187] Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly.Editions De La Baconnière, Neuchatel 1970. P 199

"وإن كان الجواب كما يشير البلاغ الحكومي، هو أنهم متمردون ويشكلون خطراً على إستقرار البلاد، في هذه الحالة تنمي حكومة بغداد ان للأكراد حق التمرد ضد العرب لأن الأخيرين فعلوا كما فعل الترك، فلجميع الشعوب الحق في تحرير أنفسهم من عبودية الآخرين (.......)

"سيخسر العرب الكثير من الناحية المعنوية قبل خسارتهم لسمعتهم إن رضوا بإذلال شعب شقيق في وقت ملئوا الدنيا ضجيجاً بأغاني الحرية والعدالة.

"مطلوب من العرب أن يتطوعوا في محاولة إقناع الحكومة العربية في بغداد، بأنها جتازت الطريق الأسوء.

وفي إفتتاحية ثانية تحت عنوان "الحقيقة حول الأزمة الكوردية" بتاريخ 1963/6/12 وفي نفس الصحيفة، كتب جبران:

" (.........) تهمنا القضية الكوردية نحن اللبنانيين من زاوية إنسانية وأيضاً لأننا نريد أن لايساء لسمعة إخواننا العرب، ولذا نرى من صميم واجبنا جلب إهتمام مسؤولي الدول العربية بشأن حقيقة أنه ليس مبعثاً على الفخر أن تقوم دولة بحشد قواتها للقضاء على قطاع واسع من شعبها لانه لايريد التخلي عن قوميته (..........)

"إن العرب مذنبون في القضاء على المقاومة الكوردية بالحديد والنار والمال، فهم يريدون قتل زعيمهم حيث وضعت جائزة بمبلغ مائة ألف دينار لمن يأتي برأسه. لكن الإنتصارفي هذه الحالة سيكون إنتصار القوي على الضعيف، إنتصار الكبير على الصغير وانتصار الغني على الفقير، نصر مثل هذا ليس مبعث شرف."[188]

كما ندد كمال مروه بالحرب على الشعب الكوردي ودعا الى حلّها بالحوار، كما حذّر العرب من مغبة تكرار أخطاء الحكومة التركية القاتلة تجاه العرب في جريدة الحياة الصادرة في 1963/6/11.[189] وفي مقالة أخرى في الحياة في 1963/6/16 كتب يقول: " نحن لانرغب في إيجاد حالة صراع مماثلة بين الأكراد والعرب، نوجه إقتراحنا للعرب وللكورد بشكل عام، لكن بالأخص للمسؤولين عن تجدد الحرب، نقول لهم ان الدم الذي يسيل إن كان عربياً أو كوردياً سيمتد أثره من الكراهية طوال قرون مما يقوض مستقبلاً إمكانات

---

[188] Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly.Editions De La Baconnière, Neuchatel 1970. P: 203-204

[189] Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly.Editions De La Baconnière, Neuchatel 1970. P:204

التعايش بين الشعبين. حيث جمعهم الإسلام منذ 1400 عاماً, خلالها حققا مجتمعين معجزة صلاح الدين. نطلب منهم أن يفكروا ويحسبوا للغد. ندعوهم العودة للمفاوضات وحقن الدماء لقضية أنبل."

وفي جولة تفقدية في شهر تموز 1963 لقواته المرابطة في كوردستان، خطب فيهم المارشال رئيس الجمهوريه عارف فاضحاً "المناورات الإمبريالية وهجمات نيكيتا خروتشوف، أن تشكيل كتلة عربية واحدة موحدة في القريب "تمتد من الخليج العربي (الفارسي) الى المحيط الأطلنطي. بالضبط تشكيل هذه الكتلة هي التي تدخل الرعب في نفوس أعدائنا الغربيين والشرقيين" ثم توجه بخطابه الى الجنود المرابطين في كوردستان معترفاً بالدافع الحقيقي لاحتلال كوردستان. ألا وهو الاحتفاظ بثراء أرض كردستان. أوردت جريدة لوموند الفرنسية في 1963/7/14 ما قاله للجنود:

" إنكم تشهدون بأنفسكم ان المنطقة التي تحاربون فيها، أكثر غنى من المناطق الجنوبية للعراق والتي تعرفونها، ولهذا يريدون إنتزاعها منا، لكننا سننتصر على أعدائنا."[190]

كتب عصمت شريف فانلي:

"وفيما كان الأمير كامران بدرخان يندد بتزويد العراق من قبل بريطانيا بالسلاح، علمنا في 1963/8/28 بالتوصل الى اتفاق في بغداد، وان الولايات المتحدة الأمريكية ستزود العراق بقرض يبلغ 000 658 6 دولار................"

وفي 1963/9/11 وجه الحزب الديمقراطي الكوردستاني نداءً الى الأمم المتحدة، رؤساء الدول والحكومات، الصليب الأحمر، المنظمات الدولية والى وكالات الأنباء والرأي العام العالمي، يطلب من الحكومات عدم ارسال السلاح للحكومة العراقية حتى نهاية حربها القذرة. ودعى النداء المنظمات الدولية إرسال المساعدات الإنسانية الى الشعب الكوردي.

لقد خاب ظن البعث في النصر. فرغم التحالف مع دمشق وتوافد السلاح من بريطانيا وتأيد الصين الشعبية له. إنهار البعث تحت وطأة جرائمه البشعة ضد أبناء الشعب العراقي وفشله العسكري في كوردستان.

---

[190] Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly.Editions De La Baconnière, Neuchatel 1970. P: :215

عشنها. يبدو لنعود الآن الى الأحداث التي رافقت هجوم الجيش العراقي على مناطق بارزان. كما ان خطط الإستيلاء على مناطق بارزان عسكرياً، لم تتغير كثيراً منذ بداية القرن العشرين. فجيوش الدولة العثمانية عندما شنت حملتها العسكرية الواسعة ضد شيخ بارزان (عبدالسلام) في أعوام 1908- 1909 . تقدمت من نفس المحاور: من الغرب محور عقرة- بيرس- بارزان. ومن الشمال محور أميدى - بالندا- بارزان. ومن الجنوب محورين: خليفان - شانەدر - بارزان. و محور راوندوز- ديانا - هفديان - ميرگه سور- شيروان. وفي بعض الأحيان كان يضاف اليها المحور الشرقي. وسار البريطانيون على نفس هذا المخطط. كذلك الجيش العراقي في حملاته المتكررة تابع نفس محاور الهجوم السالفة. إتسمت الحملة البعثية والتى بدأت في 6/10/ 1963 بتنسيق مع طهران وأنقره ودمشق. بإستخدام كثيف لنيران المدفعية والطائرات. وبرفقة آلاف المرتزقة من العشائر الكوردية بقيادة أغواتهم. شاهدت كوردستان صيف عام 1963 أشرس هجوم في تاريخها حتى ذلك الوقت. كان هناك تركيز على إحتلال بارزان بأسرع مايمكن. إضافة الى الهجمات الواسعة في مناطق أخرى من كوردستان شملت (هيبت سلطان) حيث يتواجد عمر دبابة مع قواته. (مضيق كورى) شمال اربيل وجبل متين في بادينان بمشاركة الجيش السوري. إضافة الى عشرات الجبهات المبعثرة في أنحاء مناطق كوردستان الجبلية.

العامل السلبي العسكري كان يتمثل في ندرة السلاح حتى القديم لدى قوات الأنصار الكوردية في مواجهة جيش عصري يملك أسلحة متطورة. كان شيخ بارزان قد اعطى أوامره بان تشتري العوائل المتمكنة السلاح للدفاع عن النفس. وتعرفت على العديد من البارزانيين إشتروا سلاحهم عن طريق بيع عدد من رؤوس قطعانهم.

وهنا أركز على التغيير الذي جرى في بارزان عند بدأ الحملة العسكرية لإحتلال أراضيها صيف عام 1963. كان الفلاح الكوردي في مناطق بارزان يحرث حقله بمختلف المحاصيل: القمح، الشعير، العدس، الرز، ومختلف الفواكه. وقل أن تجد عائلة لاتملك مواشي أو قطيع من الغنم أو الماعز. الى حدّ ما كان هناك إكتفاء ذاتي والسكان متعودون على التقشف. ويبدو ان الحكومة البعثية إختارت شهر حزيران لبدء عملياتها العسكرية، في ظل الحصار الاقتصادي الشديد على كوردستان، ولحرمان آلاف القرى من الحصاد كانت الطائرات العراقية تحرق الحقول في طول وعرض كوردستان من أجل فرض سياسة التجويع ودحر المقاومة.

وعندما تبدأ الحرب، يضطر العديد من الرجال ترك الحقول والقطعان للقيام بواجباتهم في الجبهات، تاركين الأعمال اليومية للنساء والشيوخ والأطفال. وهذا يعني ان الفعاليات الإقتصادية الضرورية اليومية للبقاء تصاب بالشلل نوعاً ما بسبب غياب الرجال القادرين على حمل السلاح. ومن القواعد الهامة في الحياة القبلية العسكرية هو ان رجال أية قبيلة يقاومون بجدارة، عندما تكون عوائلهم في مأمن، فهم يتصدون للعدو عندما يكون بعيداً عن قراهم. لأن تقدم العدو لإحتلال أراضيهم وقراهم يعني حرمانهم من موارد الحياة. لذا ما أن تقترب قوات العدو من القرى، ينتاب المقاتل القلق لمصير عائلته، لأنها مرغمة على الرحيل بعيداً عن مصدر العيش، فيحصل خلل في عملية المقاومة في الجبهات.

دارت أعنف المعارك بهدف إحتلال بارزان، وسبق تقدم الجيش على الأرض، قصف مكثف ولعدة أسابيع من الجوّ. ولأول مرة في التاريخ قصف جيش البعث مسجد بارزان العريق وهدم، هذا المسجد، لم يمس بسوء خلال جميع الغزوات التي شهدتها المنطقة، فقد كان هناك حرمة له، والمتحاربون كانوا أكثر حضارة من عصابات البعث. هدم هذا المسجد الأثري سبب حزناً عميقاً لدى جميع السكان، لقد دارت معارك جهوية شديدة خلال شهر حزيران الى نهاية أيلول من عام 1963. وكان رأي كبار العسكريين في الجيش العراقي ان احتلال بارزان يعني نهاية الحركة الكوردية. رافق الهجوم أعداد كبيرة من المرتزقة الزيباريين والريكانيين وعشائر أخرى. لكن عشيرة السورجي، وبسبب إختطاف قوة بارزانية لأحد شيوخها البارزين (شيخ توفيق وولديه) والمجئ بهم الى بارزان، وقد عوملوا معاملة محترمة، وبقي في مناطق بارزان حتى توقف العمليات العسكرية العراقية، ثم أعيد سالماً الى مسقط رأسه، لهذا السبب لم تبدى عشائر السورجي أي حماس للإشتراك في العمليات المعادية لبارزان.

نفذ البطل (هرمز ملك جكو) مع قوة الأنصار تحت إمرته العديد من عمليات (حرب العصابات) الظافرة، كان إنساناً نبيلاً مناضلاً ومقاتلاً قديراً ذو أخلاق عالية، وقد نال احترام الشعب وذاع صيته، التقى بشيخ بارزان وأصبح موضع احترام خاص من الأخير. وكان هو مع قوته قد توجها الى طريق دهوك - نينوى واقترب من قرية (Zewe) وهو موقع بعيد عن الجبل ومكشوف، وحصلت في 30. 11. 1973 معارك مع القوات المدرعة والدبابات السورية القادمة من معسكر (ألوكا) حيث مقر لواء اليرموك السوري. ويذكر (حبيب تومي) وهو رفيق سلاح لـ (هرمز ملك جكو) وقد توجه مع قوة بعد عملية الهجوم على مخفر(ألقوش) الى قاعدتهم في قرين (سنان) : "وصل اثنان من البيشمركه المرافقين

لهرمز وأبلغونا بالكارثة وقد كان هناك خمس شهداء ما عدا هرمز. وأسير واحد اعدم بعد مدة في نفس المنطقة. توجهنا جميعاً مع (توما توماس). لنقل شهدائنا. دفن هرمز فيما بعد في قريته (Giregavana) وبقية الشهداء في (دير الربان هرمز)."[191] عمّ حزن عميق في قلوب كل من عرف (هرمز ملك جكو) أو سمع عنه. وقد حزن بشكل خاص شيخ بارزان وكان يذكره بالتقدير والإعجاب.



الثلاثة من اليسار صبحي من عنكاوه. هرمز ملك حكو ثم حبيب تومي مع مجموعة من قوات الأنصار(البيشمركه)

إتسم الهجوم المؤلف من الجيش والمرتزقة على عدة محاور، لإحتلال أراضي بارزان، بالنكسات العسكرية على عدة جبهات امام صمود المقاتلين في بارزان. لكن بعد كل إخفاق كانت القوات الحكومية تعيد تنظيم وحداتها وتهاجم من جديد على مواقع الكورد. فتمكنت من إختراق صفوف القوات الكوردية والتقدم نحو قلب مناطق بارزان. لكن بتضحيات وجهود مضنية. ومن جرّاء القصف المتواصل في جبل (سه رى أكرى) و(بيرس) لاقى البطل المعروف (ملاشيني) مصرعه مع عدد من رفاقه. وأتذكر جيداً مراسيم دفنه في (گركى جه وى) وهو تل صغير عند ملتقى نهري (روكوجك و رومه زن) ويحيط بالمقبرة جدار صخري على شكل دائرة. كان لقمان ملا مصطفى موجوداً وعدد من الرجال يناهز عددهم عشرين شخصاً يتولون مراسم الدفن. في هذا الجو الكئيب الحزين. كان طه زبتي جالساً على طرف جدار المقبرة. وفجأة بدأ يترنم بلحن حزين يحاكي التراب الذي سيلف جسد ملا شيني ورفاقه الأربعة. وقد أخذت كلماته المعبرة بلبنا جميعاً.

191 رسالة شخصية من (حبيب تومي) الى المؤلف مؤرخة في 25. 7. 2007 .

كانت جميع مناطق بارزان تحت القصف جواً وبراً. وعندما تقدمت القوات الحكومية مع طلائع المرتزقة نحو (بلى) في نهاية شهر تموز من عام 1963، حصل نزوح هائل من سكنة قرى هرني، صه فتى، إيسومرا، بيرا كه برا، زوره گفا، شرى، ده ربوتكى، آلكا، نيروان، بيكريس وكولكا. أخليت منطقة نزار برمتها في وقت كانت لاتزال مياه نهر رومه زن مرتفعة ولامجال للعبور عن طريق موقع ضحل المياه. آلاف من الرجال والنساء والأطفال مع القطعان والدواب وبصعوبات بالغة عبروا إلى الساحل الشرقي من النهر بعد تنصيب قوارب خاصة للطوارئ متجهين نحو هضاب (Seremezna) أو بإتجاه (Beroj) ووادي (Sul) ثم الدوران حول جبل شيرين بإتجاه الوديان المشجرة والتضاريس الوعرة وراء الجبل. لم تكن هنالك سلطة تشرف على عملية النزوح هذه. إنما كان القرويون ينظمون أنفسهم. فقد كانوا يعلمون ان عليهم الرحيل وترك كل شئ ورائهم. لكن كانت قوات حكومية أخرى مؤلفة من الجيش بطابور دبابات ومدرعات تتقدم في طريق (ميرگه سور – جه مى) بإتجاه (شيروانا مه زن) وقد أحرقت قرى عشيرة (دولمري) ومن بعيد تراءت نقاط سوداء. تلك النقاط كانت تشير الى موقع القرى العديدة التي تحولت الى رماد. وكانت تلك من المآثر البطولية لجيش البعث والمرتزقة الكورد!. طوابير طويلة مؤلفة من النساء والشيوخ والأطفال من الدولمريين يتقدمون نحو وادى زرارا بقطعانهم ومواشيهم. فأكتظ معبر زرارا بآلاف النازحين مع حيواناتهم. قوافل النازحين كانت تزداد وتكتظ في وادى (زرارا) كلما تقدمت الدبابات المسندة بالمرتزقة الكورد.

وفي هذا الوادي الشديد القيظ، تجمع النازحون من قبائل دولمرى، نزارى وشيروانيي (Seremezna) مع ماشيتهم. وبالطبع لم يكن البقاء ممكناً على ساحل النهر الى لعدة أيام بسبب خطورة القصف اليومي للطائرات. ولم يكن العبور سهلاً بسبب إرتفاع المياة. لذا إقتضى نصب شريط حديدي طويل مشدود من طرفي ساحل النهر. في موقع تنحصر مياه النهر في مضيق من الصخور المتقاربة على طرفي النهر. وشده على نتوؤات صخرية صلبة. ثم أضيفت حلقة حديدية شدت من الطرفين بحبال للسحب. فتنزلق الحلقة بسهولة الى كلا طرفي النهر حسب الرغبة.

كان مؤلماً رؤية شدّ العجائز من النساء والشيوخ والأطفال الخائفين. ثم سحبهم الى الطرف الآخر من النهر. فقد خاف الكثيرون من الوقوع في المياه من علو يبلغ عشرة أمتار. إذ ان الوقوع من هذا العلو في مياه شديدة التدفق كان يعني النهاية بالنسبة لمن يسقط من النازحين.

لقد إقتضى عدة أيام الى أن تم عبور معظم النساء والشيوخ والأطفال الى الطرف الغربي من النهر. وثم أصبح أسهل بعد ان إنخفض مستوى مياه النهر. فأستخدم النازحون نقاط العبور المعروفة مشياً.

في إحدى الليالي الحالكة، كنت أنزل من منحدرات (البربير) نحو قرية (زرارا) المهجورة، مع رفيق هو (آغا زراري)[192] لكننا تهنا في الطريق. إذ كانت الأخبار تفيد ان الدبابات العراقية قد وصلت مشارف قرية زرارا. وعندما وصلنا أسفل الوادي قرب القرية، بعد منتصف الليل، وهو مجرى لمياه الأمطار خلال فصول هطول الأمطار، وكان جافاً في هذا الوقت من شهر تموز، إذا بصوت غريب يصل أسماعنا، أخذنا الحذر، وثم حاولنا الاقتراب شيئاً فشيئاً من مصدر الصوت، وكلما زاد اقترابنا، توضح الصوت، كانت امرأة هرمة من قرية (Kuran) وقد تركها حفيدها بين أخاديد الصخور، وعاد هو الى مشارف القرية حيث يريد أن يأخذ حبوب الحنطة والشعير التي أخفاها، هذا في حالة تمكنه من تفادي قوات الاحتلال العراقية الموجودة على مشارف القرية، وكان قد رافق جدته إلى هذا الموقع لإنقاذها من السقوط في أيدي جيش البعث والمرتزقة، وقالت لنا السيدة، سيعود حفيدي حال الحصول على المحاصيل التي أخفاها بالقرب من القرية، وأضافت إنها تردد ذكر المريدين النقشبنديين، للحماية الإلهية وأيضاً سيهتدي حفيدها إلى موقعها حيث يصعب العثور عليها في ظلام دامس كهذا. وعندما عرضنا عليها الماء والخبز، ذكرت أن لديها الخبز والماء، وإن حفيدها سيعود قبل شروق الشمس، وسيتوجهون الى بيخشاش القرية الواقعة في الطرف الآخر من النهر.

كانت الجبهات بحاجة الى الطعام الذي ندر الى حدود خطيرة، فقد إقتضى إرسال عدد من الأنصار لحصاد حقول مهجورة على مشارف القرى المحتلة، مع حراسة شديدة، وكان ذلك الحل الوحيد في تلك الظروف لتوفير أرغفة خبز للجبهات. لكن إتضح بعد المجئ بسنابل القمح والشعير، إننا نحتاج الى إيجاد طاحونة، وفي معبر زرارا الذي غادرته العوائل والقطعان منذ حوالي اسبوع، وجدنا ضرورة لإعادة بناء طاحونة مائية مهجورة لعقود، فتجمع عدد من الرجال معظمهم من قرية زرارا، ضمنهم ميرخان نه بى زراري، حاجي نبى زراري شقيقه، ونزلوا في النهر، ثم شكلو في موقع ضحل المياه، جدار من الصخور الكبيرة يمتد من وسط النهر الى الحافة اليمنى من النهر، ثم نصبت بين هذه الصخور العائمة جدار كثيف من فروع الأشجار حتى حافة النهر، وبهذا زادت كميات المياة المتدفقة نحو

---

[192] لاقى حتفه مع آلاف البارزانيين في (قوشتبه) إثر مداهمة قوات صدام حسين للمعسكر في صيف عام 1983

الساقية التي تقود الى الطاحونة. فتنساب المياه بقوة كافية لدوران الطاحونة. إن هذا يكشف مدى معاناة الشعب وصعوبة تزويد الجبهة بأرغفة خبز والذي كان يشكل الطعام الوحيد تقريباً للمقاتلين في ظل الأوضاع السائدة أنذاك. وتجمع على الفور عدد من النساء كمتطوعات للعمل ليل نهار لسد حاجات الجبهة من الطعام. كان الشعب لوحده يقاوم ويوفر كل متطلبات الجبهة حسب ما كان متوفراً انذاك من إمكانات. إنها بطولة شعب وليست بطولة قيادة أو حزب. هذا ما وقفت شاهداً عليه.

قدم الدكتور محمود خدمات مشكورة للجرحى والمرضى لاتقدر بثمن. وهو الطبيب الوحيد في المنطقة. وأظن كان يكتب مذكراته. وحبذا لو قام بنشرها كما هي. إذ تلقي الضوء على جوانب هامة من الحياة اليومية للناس البسطاء وكيف عاشوا زمن الحرب والحصار الإقتصادي والرحيل عن القرى التي إلتهمتها النيران.

لقد اتضح بما لا يقبل الشك دفاع البارزانيين المستميت عن أرضهم. وبوسائل تعتبر بدائية أمام الأسلحة الحديثة للجيش العراقي. فالدبابات تتقدم دون خوف من المضادات. والطائرات تقصف دون خوف من سلاح مضاد. كانت كردستان ساحة مباحة لتجارب الجيش العراقي في فن القتل والحرق جواً وبراً دون أدنى رادع أخلاقي أو إحترام قوانين الحرب المتعلقة بعدم قصف المدنيين. كانت حرب لاتشرف جنرالات الجيش العراقي المأتمرين بأوامر عصابات في بغداد متعطشة للدم والثأر.

وفي إحدى الأيام وصل عمر دبابة وأحمد توفيق الى وادي (زرارا) مع عدد من الرفاق. وكانا يريدان لقاء ملا مصطفى. الذي كان في (سه رى ليربير) غير بعيد عن (وادي زرارا) كانت علامات الإعياء بادية عليهم. وقد أتوا بسلاح مضاد للدبابات. لكن القذائف محدودة. لذا لاينبغي ان تخطأ الهدف. لكنني لا أعتقد أنها لعبت دوراً كبيراً في إيقاف تقدم الدبابات العراقية نحو عمق أراضي بارزان. فالسلاح الجديد ينبغي التدرب عليه ومعرفة تفاصيل أدائه في الجبهة. وتجربة عدة قذائف للتأكد من مفعولها. ولم يكن هذا متوفراً. بقيت المقاومة الحقيقية من المقاتلين البارزانين أنفسهم ومدى تصميمهم على الدفاع المستميت. وفعلاً فقد شعر الجيش العراقي بصعوبة الإحتلال. وحتى إن نجح في عملية الإحتلال فإن أصعب شئ هو البقاء في هذه الأراضي خلال فصل الشتاء.

علمت أوساط مخابراتية بمجئ هذا السلاح. لذا بدأت الطائرات العراقية بقصف مكثف للوادي. لكن أحداً منا لم يصب بأذى.

كان المعاون شوكت - خبير شؤون اللاسلكي والشيفرات - قريباً حيث مقره في نفس الوادي. يرسل لي جميع الشفر التي إلتقطها من محطات اللاسلكي عن أوضاع العدو وتحركاته. وتم أكلف (بابير أكره ي) وهو شاب شجاع أثبت جدارة وإخلاص في أداء المهام المناطة به. مما أصبح موضع تقدير واعجاب الكثيرين. وكان يأخذ البرقيات ليسلمها الى مقرّ ملا مصطفى. وعن طريق المعاون شوكت كنا على علم بما يجري في جبهات كوردستان العديدة. وراديو الترانزستور الوسيلة الوحيدة لمعرفة مايجري في العالم.

في واقع الأمر. لم تتمكن القوات العراقية من تحقيق نصر حاسم في أي من المعارك. إذ لم تستسلم القوات الكوردية رغم التقهقر. وكان ممكناً إعادة الهجوم على المواقع الجديدة التي إحتلتها القوات العراقية في أي وقت تختاره الفصائل الكوردية. وقد تدنت معنويات القوات المحتلة إثر الخسائر التي تكبدتها أثناء تقدمها. كما كان من الممكن مهاجمة المواقع الخلفية للجيش ليلاً مما خلق الرعب بين صفوف الجنود. لقد ثبت ان إحتلال المنطقة لايعني النصر. وان القتال سيستمر الى مالانهاية. رغم كل المعاناة التي يتحملها الشعب الكوردي.

وفي بداية شهر أيلول وصلت القوات العراقية مع المرتزقة الى جبل (هه لبت) المطل على وادي زرارا. لذا أمكن قصف مناطق أبعد بالمدفعية. لكن المقاومة إستمرت وتكبد الجيش العراقي خسائر أكبر كلما توغل في المنطقة البارزانية. وفي 1963/9/17 وبإشراف اللواء فيصل الأنصاري شنت حملة كبيرة بلوائين مع عدد كبير من المرتزقة. وكعادتهم كانوا يتقدمون الجيش العراقي. الهدف من الحملة هو احتلال (جه مى) والعبور الى (شيروانا مه زن) وبعد التمهيد للحملة بتمشيط كثيف للمنطقة بالمدفعية والقصف الجوي. ظن الجيش والمرتزقة أنهم سيتقدمون بلا مقاومة. لكن ما أن إقتربوا من مواقع القوات الكوردية. حتى فتح النار عليهم. فوجئوا وذهلوا. ووجد المرتزقة أنفسهم أمام مقاتلين مصممون على دحرهم. وكان الهجوم من كل الجهات. فحصلت معارك بالأيدي. وأبلى البارزاني المعروف (أحمدى مصطى) بلاءً حسناً في المعركة. هاجمه عدد من المرتزقة. وكان من الممكن القبض عليه. لكنه تمكن من قتل المهاجم المباشر. ولاذ الأخرون بالفرار. فتعقبهم. لقد إنهار الجيش العراقي في هذه المعركة التي عرفت بمعركة (جه مى) وعلى أثرها تغيرت نظرة (إبراهيم الأنصارى) من خيار الإستمرار في القتال فكتب برقية بتاريخ 1963/9/20 الى طاهر يحي رئيس أركان الجيش العراقي. يذكر فيها. "أن الفرقة الثانية البطلة تمكنت من تطهير معظم منطقة بارزان (ميركه سور - شيروان من الخونة بعد

تضحيات جسام ... ودافع البارزانيون عن منطقتهم دفاعاً مستميتاً ولم يتركوا شبراً واحداً دون دماء... " وأقترح الأنصاري "عقد إجتماع بحضور وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش وجميع قادة الفرق لدراسة الموقف ...... " . ثم يقترح : " البحث عن حلّ سلمي لأني أتوقع أن يستعيد العصاة تنظيم قواتهم ومواصلة القتال.....ولا يجوز ان نزج بقطعاتنا في القتال في فصل الشتاء. ....." [193] وافق طاهر يحيى على الإقتراح.


أحمد مصطفى في المنفى الإيراني 1993

وبعد عدة أيام من (معركة جه مي) أي في 1963/9/22 راسل الأنصاري شيخ بارزان يعبر فيها عن رغبته في السلام، وردّ شيخ بارزان في 1963/9/23 على الرسالة بإلقاء اللوم على الحكومة العراقية:

"الى السيد قائد الفرقة الثانية[194]

بعد تقديم السلام والإحترام.

وصلنا كتابكم. إننا نشكركم على فكرتكم هذه. وأنتم تعلمون اننا بالأصل لم نكن البادئين بالقتال. بل أنتم الذين هاجمتم قرانا وأحرقتم بيوتنا وقتلتم نسائنا وأطفالنا. وقذائف مدفعيتكم وقنابل طائراتكم تنهال علينا ليل نهار فكان علينا أن ندافع عن أنفسنا. إننا سنوقف القتال شريطة أن توقفوا القتال من جانبكم، وتسحبوا قواتكم كافة من أراضينا. وقد أرسلت لهذا الغرض مع كتابي هذا كلاً من إبن أخي الشيخ سليمان وولديّ

193 البارزاني وحركة التحرر الكردية. مسعود البارزاني. ص: 114

194 نفس المصدر السابق . ص: 117

محمد خالد ونذير إليكم. أطلب من الله أن يرينا الطريق المستقيم وان يبعد عن العراقيين جميع المصائب والبلايا.

الشيخ أحمد البارزاني. 1963/9/23

وعندما إنسحب الجيش العراقي من أراضي بارزان. كان الحرق والهدم قد شمل معظم قرى المنطقة. وكنا على أبواب الشتاء. فلاذ الآلاف بالكهوف والوديان مع قطعانهم . إذ كان من المستحيل إعادة بناء القرى قبل حلول الشتاء.

كان (مه لى خشكه لى). شاعراً شعبياً محبوباً. من قبيلة دولمري. وقد شمل الحرق قريته كاملة. وعند عودته بعد الدمار. وقف على أطلال منزله. وألف قصيدة شعبية شيقة. فيها الكثير من الحنين والتعلق الشديد بالحقول والمروج التي تحيط بالقرية والحياة فيها. كان يغنيها في المجالس. وهي تروي مأساة النازحين زمن الحرب. حيث احتلال جحافل الغزاة البرابرة لموطنهم. واضطرارهم على الرحيل من أرض الأباء والأجداد. ويعبر عن مشاعر القرويين الحزينة الممزوجة بالشوق وهم يعودون الى قراهم القديمة وقد تحولت الى خراب ورماد. أما إعادة البناء فليس من يساعد غير الاعتماد على سواعدهم..

وقعت قنبلة مباشرة على منزل (خزالي كاني بوتي). وربما كان أفقر شخص في القرية. وكأن الفقر يجذب القنابل. فتناثر المنزل وهدم كلية. كما أحدثت القنبلة غوراً عميقاً في أرضية المنزل. وكانت زوجة خزالي قد توفيت منذ زمن. تاركة طفلاً واحداً اسمه (طاهر. ربما كان في العاشرة من عمره) وكانا وحيدين. في المساء عاد الوالد وابنه الى المنزل حيث كانا يختفيان نهاراً اتقاء من الغارات الجوية. وهنا أترك لخزالي العجوز. ليروي القصة: "عند اقتراب الغروب أخذنا سيرنا باتجاه القرية وثم الى منزلنا. لكن صعب التعرف على الموقع. وأن هناك في الصباح كان منزلاً. اندهش ابني وأخذ يلتصق بي منتحباً. لم أتحمل بكائه. قلت له وبنبرة تحدى وأنا أتصنع الابتسامة. لايهم أبداً أتدري إن منزلنا كان قديماً. لاتهتم. سأبني منزلاً أفضل. يحسدنا عليه كافة القرويين. وسيكون أفضل من الذي كان موجوداً بمرات عديدة. وسترى ذلك قريباً.في كل الأحوال كان علينا هدمه. أترى أن القنبلة سهلت مهمتنا." ثم نظر خزالي اليّ بحزن وأردف مكملاً: "في الحقيقة كان قلبي في تلك اللحظة ينزف دماً. لكنني لم أرغب أن يشعر ابني الوحيد بهول ما حصل. قلت له ذلك لكي أخفف آلامه."

الولاء المزدوج لرئيس (حدك)

مات عبدالسلام عارف في 13 نيسان/ابريل 1966 وفي 16نيسان/ابريل 1966 تم تعيين الفريق عبدالرحمن عارف – خلفا لشقيقه عبدالسلام عارف – رئيساً للجمهورية من قبل مجموعة العسكريين المتنفذين في الجيش العراقي. وأصبح الدكتور عبدالرحمن البزاز وهو مدني رئيساً للوزراء واللواء الركن شاكر محمود شكري وزيراً للدفاع.

لم يكن لعبدالرحمن عارف دور في القضاء على قوى اليسار. ونظراً لأهمية دور العراق في المنطقة فقد سعى الإتحاد السوفيتي إعادة العلاقات مع بغداد بداية عام 1966، وكان مفتاح هذا الإتجاه يتمثل في مسعى تحسين العلاقات بين بغداد والحركة الكوردية. وقد تمتع الإتحاد السوفيتي بعلاقات صداقة مع قائد الحركة الكوردية ملا مصطفى بارزاني لأمد طويل. وكان من مصلحة موسكو إيجاد حلّ سلمي لهذا الخلاف.[195]

بقليل بعد الإعلان عن بيان حزيران 1966، وحيث يسود سلام هش، طلبت جريدة برافدا عن طريق مكتبها في القاهرة من مراسلها يفجيني بريماكوف الذهاب في مهمة الى شمال العراق. يكتب بريماكوف: "لم يكن البارزاني معزولاً: كان يلتقي بالناس بينهم صحفيين، لكن كلهم كانوا يسافرون الى شمال العراق عن طريق إيران، لم أرغب في تجاهل السلطات العراقية، خاصة فيما يتعلق بمساعينا في بناء الجسور بين الحكومة العراقية والبارزاني، كان من الممكن ان تكون نتائجها عكسية إن لم أراعي ذلك. لذا ذهبت مباشرة نحو القمة. إلتقيت في 16شهر كانون الأول/ديسمبر 1966 مع الرئيس عارف. وكنت قد تلقيت أجوبته المكتوبة على أسئلتي لنشرها في البرافدا. ففي جوابه على سؤال حول الكورد. ذكر ان تحقيق الإستقرار في شمال العراق هو ضمن واحد من أهم الأولويات بالنسبة له. وذكرته بقوله هذا عند لقائي به وقلت انني أنوي مقابلة البارزاني. وقلت بما أننا في موسكو نعتبر المنطقة الكوردية جزءً من العراق. لذا ليس لائقاً بمراسل سوفيتي السفر الى كوردستان العراق خلال إيران. يبدو ان حجتي عملت الأثر المرغوب. فوافق عارف مبدئياً. وأرسلني الى وزير الدفاع لترتيب سفري و"تسليمي" للأكراد.[196] ثم يصف بريماكوف عند مروره لأول مرة في أرض كوردستان: "بأنها أرض ساحره بجمال أخاذ يقطنها

[195] Russia And The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York.2009. P: 325.

[196] [196] Russia And The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York.2009. P: 327

منذ ألفين وخمسمائة عام شعب فخور بعشق الحرية هم الكورد. أو كما يطلق عليهم أحياناً بـ "فرسان الشرق"..............."[197] إستقبله سامي (محمد محمود عبدالرحمن) عند وصوله مناطق الحركة الكوردية. ومعه ولدا ملا مصطفى إدريس ومسعود. يكتب بريماكوف: "كنت قد أتيت بساعتين يد من صنع سوفيتي نوع Poljot كهدايا لهما. لكن شعرت بنوع من الحرج حيث وجدت أنهم يحملون ساعات رولكس."[198] ثم يصف بريماكوف حياة الحرمان والفقر في كوردستان وإهمال الحكومة العراقية القيام بتقديم الخدمات. بقيت سياسة موسكو مركزة على إيجاد تفاهم بين بغداد والحركة الكوردية ومن خلال الحلول السلمية.

عاد جلال الطالباني ورفاقه من إيران الى صفوف الحركة في أغسطس 1965 وأشتركوا في المعارك التي جرت ضد القوات العراقية. لكنه غادر إثر تعثر التفاهم بين الجانبين. ملا مصطفى وجلال. وغادر الأخير خلسة الى بغداد في 28 كانون الثاني 1966. وفي شهر تشرين الثاني / نوفمبر 1966، عاد ابراهيم أحمد من طهران الى بغداد.

هنا إنقسم الطرف الكوردي الى أربعة أقسام: بارزان وقد بقيت في منأى عن التدخلات كل ما أمكن. أما الفرسان وهم رؤوساء العشائر الموالين للحكومات العراقية والحزب الديمقراطي الكوردستاني المتمثل في المكتب السياسي القديم والمعروف بجماعة ابراهيم أحمد وجلال الطالباني. فقد تعاونا مع الحكومة العراقية لضرب الحزب الديمقراطي الكوردستاني بقيادة ملا مصطفى. تدنت القيم الوطنية الى الدرك الأسفل. ودفع الشعب الكوردي ثمناً باهضاً لأطماع القادة الشخصية.! وإستغل نظام عارف وفيما بعد البعث خلال حكمه الثاني من الإنشقاق الكوردي، لبرمجة "تكريد الحرب" فكانوا يغذون هذا النزاع بالمال والسلاح، ويتنصلون من الوصول الى أي إتفاق لإحلال السلام في كوردستان. وللعلم كانت المعارك تجري على أرض كوردستان، والهدم والخراب لايصل المدن العربية. كان الشعب الكوردي هو الضحية والوسيلة لإدامة حرب ظالمة تبعده عن قيم النضال التحررية ونبل الحقوق القومية. كان هناك نوع من الإستهتار بمستقبل الشعب الكوردي ولامبالاة بمعاناته وبتضحياته.

---

[197] Ibid. P: 329

[198] Ibid. P: 329

وفيما كانت المباحثات نشطة بين الجانب الكوردي وحكومة عبدالرحمن عارف، برز حادث دو دلالة كبيرة يعكس ماهية شخصية رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني وينم عن "إزدواجيه" في التعامل بين نقيضين، البيشمرگه (قوات الأنصار الكوردية) و(الفرسان) قوات المرتزقة الكوردية المتعاونة مع الحكومة العراقية. ولكن هذا الجانب في شخصيته، وهو حقيقي، يُمنع الكلام عنه ومن الـ (محرّمات) ولن تجده في أدبيات الحزب الديمقراطي الكوردستاني. ولكن لابد من العودة الى بعض التمهيد للموضوع.

لقد نشط الحزب الديمقراطي الكوردستاني بجميع اجهزته في ميدان الدعاية للثورة الكوردية وتعظيم القائد - ملا مصطفى - وذلك لحث الشعب الكوردي على الانضمام للثورة والدفاع عنها. لقد كانت هذه الدعاية مؤثرة، فتركت اعداد كبيرة من الاكراد المدن والقرى وتخلوا عن أعمالهم ووظائفهم من فلاحين وكسبة وحرفيين وضباط وجنود وشرطة ومعلمين، وبينهم من خلف وراءه الزوجة والاطفال والوالدين وانضموا الى الحركة الكوردية للذود عنها والتضحية في سبيلها. وكانوا على اعتقاد ان هناك قيادة مخلصة جديرة بالطاعة وذو مبادىء راسخة، والحق يقال فقد كان الشعب الكوردي سخياً في العطاء والبذل دفاعاً عن أرضه وحقوقه.

ولأول مرة يشمل حكم ملا مصطفى مناطق خارج أراضي بارزان ويتمتع بمطلق الصلاحيات. اذن من المهم ان نعرف كيف مارس الحكم واي مجتمع اوجده في كوردستان؟

جغرافياً كانت هناك منطقتان منفصلتان تتغيران حسب نتائج الحرب الدائرة ومافيها من انتصار وهزائم لهذا الطرف او ذاك. تلك التي تسيطر عليها قوات فصائل الأنصار الكوردية، وهي المناطق الجبلية الوعرة والمتاخمة للحدود التركية والايرانية، والمناطق التي يسيطر عليها الجيش العراقي والمرتزقة الكورد. وفي العديد من القرى والقصبات والمدن الواقعة تحت السيطرة الحكومية، كانت عوائل كثيرة للبيشمرگه الكورد تعيش فيها تترقب الاحداث وتتطلع الى العودة الظافرة لذويها.

كانت الدعاية الحزبية تلصق بالمرتزقة الاكراد كل النعوت السيئة والمنحطة، وكان جدّ مسعود وخاله من بين طلائع المرتزقة المعروفين على نطاق كوردستان. في هذه الفترة العصيبة من عمر الحركة الكوردية، كان ملا مصطفى بحاجة الى ثقة البيشمرگة بشخصه وبالحركة الكوردية لكي يدافعوا ويضحوا في سبيلها وهي تواجه خطر حقيقي بالهزيمة أمام أعدائها. في تلك الفترة غالى ملا مصطفى في كيل المديح للبيشمرگة، فهم «أعزّ من أبنائه»

على قلبه. وانه سوف ينتقم من الجحوش المرتزقة وان كانوا «أخوال مسعود» وكان من عادته ان يشدد على اقواله بأغلظ الايمان. مكرراً قسمه بعصبية ظاهرة وبصوت جهوري ليسبغ عليها المصداقية والجدّية. ففي بيان لمجلس قيادة الثورة في كوردستان العراق (المكتب التنفيذي) مؤرخ في 1965/4/16 يلهم الحزب حماس الشعب ويحثهم على القتال وتتكرر كلمة "شرف":

. "يا أبناء الشعب الكوردي البطل

ليس الدفاع عن ارضنا وحقوقنا واهدافنا وامانينا من واجب الجيش الثوري الكوردستاني فحسب بل انه واجب مقدس على كل كوردي شريف. وان ضرب العدو الظالم من اولى واجباتكم دفاعاً عن شرفكم وكرامتكم واستناداً الى ماتقدم فقد تقرر مايلي :-

ان كل كوردي شريف سواء اكان من افراد الجيش الثوري الكوردستاني او غيره يتصدى للعدو (جيشاً كان ام جاشاً) فان جميع غنائمه تبقى ملكاً له سوى الاسلحة الثقيلة واجهزة اللاسلكي فانها تعود الى الجيش الثوري الكوردستاني لحاجته الماسة اليها فضلاً ان عمله هذا داعيا للاعتزاز والافتخار.

تصادر الثورة جميع الاموال والاملاك المنقولة وغير المنقولة والتي تعود الى الذين باعوا شرفهم وضميرهم الى الحكومة الظالمة ضد ابناء شعبهم وتوزع اراضيهم على الفلاحين القاطنين فيها.

والى الامام نحو ثورة عارمة للقضاء على العدو الغادر لتحقيق اهداف واماني ثورتنا المجيدة بقيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني ورئيسه البطل مصطفى."[199]

في ظرف تحيط بالثورة المخاطر من جميع الجهات، كان كل الامل في حماية الثورة مركزاً على المتطوعين الثوار. كان قائد الثورة قد تجاوز الستين من العمر وثقيل الحركة واستقرّ على الحدود الإيرانية (حاج عمران). وولداه ادريس ومسعود لم يكونا عسكريين ولم تكن لديهم خبرة في القتال. وعاشوا حياتهم كلها خلف الجهات. كانت المعارك تدار من

---

199 مجلس قيادة الثورة في كوردستان العراق المكتب التنفيذي 16/4/ 1965 وثائق عن الحركة القومية الكوردية التحررية. الدكتور عبدالفتاح علي يحيى البوتاني ص: 352 – 353 مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر 2001.

قبل قادة اما اكتسبوا الخبرة القتالية من التجارب المباشرة في ساحات القتال اوعسكريين تركوا الجيش العراقي والتحقوا بالحركة الكوردية.

ولننظر الى واقع الحال حيث يتبين على ضوئه الفرق الهائل بين "أقوال القيادة وأفعالها" وسط تطبيل وتزمير الدعاية الحزبية المضللة.

كما ذكرنا مات المشير عبدالسلام عارف إثر سقوط طائرته في 13 نيسان عام 1966 وخلفه شقيقه عبدالرحمن عارف. مال الأخير نحو التفاوض مع ملا مصطفى. فقد كان الجيش العراقي منهمكاً في حرب كوردستان. في تلك الفترة كانت مجموعات من مرتزقة أغوات الزيبار تعيش في مدينة عقرة. في الحقيقة كانوا حكام عقرة الفعليين. إذ كانت الحكومة العراقية قد منحتهم صلاحيات واسعة ولا يعاقبون لجرائم ارتكبوها بحق الاهالي . وبما ان العديد من ابناء عقرة كانوا مع بارزان تاريخياً ومشتركين في الثورة الكوردية. فقد كانوا موضع نقمة المرتزقة والحكومة العراقية. وكانت المضايقات المتعمدة تحصل بالأخص ضد ذوي الملتحقين بالثورة الكوردية. أو العوائل العريقة الولاء لبارزان.

كان شوكت عقراوي المهندس والذي مثل الحركة الكوردية في القاهرة وعلى صلات بمحمد حسنين هيكل وعن طريقه مع جمال عبدالناصر. ينتمي الى محلة (زيوكى) ومعادى لقوى الإرتزاق بالأخص من فرسان الزيباريين الذين ساموا أهالي عقرة صنوف المظالم. وقريب جداً من قيم بارزان ولم يكن هذا في صالحه. إذ كان ملا مصطفى يقيم الأشخاص في منطقة عقرة بمدى تقبلهم لأغوات المرتزقة من الزيباريين. ولذا كان شوكت عقراوي لايملك الحظوة لدى قائد الحركة الكوردية. وقد تعرض ذويه في محلة (زيوكى) في عقرة الى مجزرة وحرق منازل محلة زيوكى . يقول بهذا الصدد المحامي شكيب عقراوي:

""وفي شهر شباط/فبراير 1967 حدثت مجزرة في بلدة عقرة بسبب خصام بين بعض أهالي البلدة والفرسان الزيباريين. (وان معلماً في) إحدى المدارس الإبتدائية واسمه محمد شريف زيوكى أثناء ذلك قتل احد رؤساء الفرسان الزيباريون فأنتقم الفرسان الزيباريين بالهجوم على محلة (زيوكى) في البلدة وقتلوا أكثر من عشرين شخصاً من بينهم نساء واطفال. ووقفت السلطات الحكومية موقف المتفرج ولم تتدخل لوقف المجزرة او فض النزاع ولم تتخذ اجراءات للتحقيق في القضية بحق الجناة الذين ارتكبوا المجزرة. ولم

تتخذ السلطات الحكومية أية اجراءات للتحقيق في القضية ولم تقدم الجناة الى العدالة والمحاكم......"[280]

لم تكن الحكومة العراقية مهتمة اطلاقاً بحماية المواطن المدني من عصابات المرتزقة الذين أطلقت لهم العنان في أعمال إجرامية. وبما أن المقتولين كانوا أكراداً وبأيدي أكراد فهذا أمر مستحب ولامانع لديها.

وبما أن ذوي الضحايا من عقرة كانوا على قناعة بإنحياز ملا مصطفى غير المشروط الى المرتزقة الزيباريين، فإنهم جميعاً لجأوا الى شيخ بارزان الذي كان لايزال على قيد الحياة، وسكنوا في أراضي بارزان وقد رحّب بهم أهالي المنطقة ورغم فقرهم فقد أووهم في بلى وبارزان وحظوا بإحترام الجميع.

وفي نفس عام مجزرة (زيوكي) حصل حادث ذا مغزي عميق يتعلق بجوهر القيادة الكوردية و يدل على مدى غياب الإلتزام الوطني بقيم الثورة وازدواجية ولاء القائد نفسه بين نقيضين. إن ذكر الحادث هو من كبائر الذنوب ومن المحرمات. وبكلمة أدق الحادث يبرز الظلم الحكومي وظلم الزعامة الكوردية للمواطن الكوردي العادي.

فمن بين المرتزقة الزيباريين، إستغل سليم خان وهو خال زوجة ملا مصطفى الاخيرة، استغل فرصة غياب زوج احدى نساء البيشمركه في بلدة عقرة، اذ كان الزوج قد التحق بالثورة عن عقيدة وايمان، ويقاتل نفس هؤلاء المرتزقة الزيباريين تحت قيادة أخوال مسعود. _ لانريد ذكر اسم البيشمركه، اذ لايزال حياً برزق _ استغل سليم خان حرمان الزوجة من العيش مع زوجها، وأخذ يتردد عليها الى ان اقنعها بتلبية مطلبه بالزواج منه، وذكر لها ان ملا مصطفى سوف يتدخل لصالح طلاقها من زوجها البيشمركه وتزويجها به، أي بسليم خان. لم تصدق المرأة اول الامر باقوال سليم خان، لكنها اقتنعت بعد ان قال لها انه سيهربها الى ملا مصطفى وليس (لقائد الفرقة العراق) او (لمحافظ الموصل). اذ لم تستوعب المرأة هذا التناقض المذهل في الاوضاع.اذ كيف يتمكن مرتزق ينتمي الى جبهة الحكومة العراقية من تهريب (زوجة بيشمركه) ويلوذ (بقائد الثورة الكوردية) في المعسكر

---

[280] سنوات المحنة في كردستان اهم الحوادث السياسية والعسكرية في كردستان والعراق من 1958 الى 1980 . المحامي شكيب عقراوي. تموز 2007 مطبعة منارة - أربيل. ص221 - 222

المعادي للحكومة! كان هذا امراً غير منطقي ويجافي العقل. لكن المرتزق أفهمها ان ماتقوله هي، هو ظاهر الامر اما الواقع فهو مختلف تماماً . فأقنعت بالهروب معه.

لقد كانت ثقة المرتزق سليم خان بملا مصطفى (القائد العام للثورة الكوردية) مبنية على معرفته الصميمية بحقيقة ملا مصطفى. وكان على علم بمدى التعلق العاطفي لـ (رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني) بصهره (محمود أغا الزيباري) ومدى حرصه على إرضاء صهره (المرتزق) مهما كلف الثمن الوطني. بينما كانت معرفة البيشمركه "زوج المرأة المهربة" بملا مصطفى مبنية على الدعاية الحزبية المضللة.

ففي إحدى الأيام هرع بعض الحراس في مقر قائد الثورة الى تهيأة مكان خاص للخاطف والمخطوفة من عقرة. مع رعاية خاصة من حراسة وخدمات لراحتهما. كان في الدائرة المغلقة للعائلة الحاكمة ثلة من الخدم والخادمات يقمن ب «خدمات خاصة». ومن الذين اتصفوا بالخبث والنفاق. في الحقيقة هذه الصفات هي التي أهلتهم لهذا الدور المقيت. هؤلاء كانوا يعرفون خفايا «الدائرة المغلقة» وما يحاک في الخفاء من مؤامرات وفتن. كانت هذه «الحاشية المختصة» على دراية تامة بما هو مطلوب منها وتقوم بأداء دورها وفق المطلوب. ولايسألون عما فعلوا. كانوا يتمتعون بحصانة خاصة. هؤلاء كانوا في خدمة المرتزق خاطف زوجة البيشمركه. وبما ان البارزانيين في مقر ملا مصطفى كانوا لايزالون ملتزمين لحدود معينة بأداب الطريقة. فانهم كانوا غير مؤهلين في معرفة مايجري في «الدائرة المغلقة» وانحصر واجبهم في حراسة قائد الثورة وحاشيته الخاصة والقتال في الجبهات فقط.

أمر رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني والقائد الأعلى لقوات البيشمركه بإستدعاء الزوج «البيشمركه» من جبهة القتال. فتم الاتصال بالجبهة التي يقاتل فيها. وحضر الى مقرّ قائد الثورة وهو لايعرف ماحصل لزوجته. اذ كانت الاتصالات صعبة مع المدن التي تسيطر عليها قوات الحكومة العراقية. لكن احد اصدقاء «البيشمركه» هرع ليلتقي به ويخبره ماحصل وأعطاه بعض التعليمات قبل ان يأتي قائد الثورة ويأمره بطلاق زوجته للمرتزق. وهذا ما أخبرني به نفس الشخص الذي حضر جلسات "الفضيحة". هو الآخر لايزال حياً حتى هذا العام 2011.

نرى في هذا المثال الحيّ. أن رئيس الحزب لا يستنكف من النزول الى مستوى لا يليق بالمنصب الوطني الذي يحتله. فقد كان من الأفضل له على الأقل ان يتولى هذا الأمر

شخص ما من الحاشية ويبقى هو في الظل لكي لا يسيئ الى سمعته الشخصية أمام الناس والتاريخ. فقد كان هذا الأمر مبعث خجل ومجرد من كل نخوة (إعطاء زوجة بيشمركه الى جاش) لم يهتم بالسمعة ولابمشاعر (البيشمركة) هذا مثال حيّ ينم عن إزدواجية خطيرة في شخصيته.

هذا العمل كان يليق بمحافظ الموصل أو بمدير الأمن أو بقائد الفرقة العسكرية المرابطة في الموصل، فقد كان المرتزقة الكورد يأتمرون بأوامرهم ومنهم يتلقون المال والسلاح. أما أن يقوم رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني والقائد الأعلى لقوات البيشمركه بهذا العمل، فقد كان خارج كل التوقعات وطنياً، أخلاقياً ، دينياً، حزبياً وقومياً.

من أجل حماية (الجاش) من غضب (البيشمركه)، أمر ملا مصطفى «سليم خان» ان لا يحضر الاجتماع ولايتدخل حتى لايحصل اى ردّ فعل عنيف من قبل زوج المرأة «البيشمركه» فقد كان مدركاً انها مسألة شرف. فأمر سليم خان ان يترك كل شيء له، أي لملا مصطفى، فهو يعرف كيف يعالج وينهي المشكلة لصالحه.

كان لملا مصطفى عادة لازمته حتى النهاية، فهو عندما يريد الحصول على شيئ، يخطط لثلاث مراحل، ان فشلت الاولى فان الثانية قد تنجح، وان لم تنجح هذه فربما الثالثة.

المجاملات:

دخل ملا مصطفى على البيشمركه مبتسماً وبشوشاً وبعد برهة قال:

«ليس من شک، وهذا ماقلته مراراً والجميع يعرفون، ان ابنائي الحقيقيين هم البيشمركه، وليس هناک أب يريد لأبنائه غير الخير. قولوا لي أنتم هل يعقل لأب أن يريد الشرّ لابنه العزيز، هذا مخالف للمنطق، والجميع، حتى الأطفال يعرفون ذلک، وقد يحصل ان لايعرف الابن خيره من شره، فيعتبر الشر خيراً، أو قد يعتبر الخير شراً. لكن الاب يعرف خير أبنائه. والولد العاقل الذي يحسن الظن بوالده يكسب الدنيا والأخرة، والذي يسئ الظن يخسر الدنيا والأخرة. وطاعة الوالدين من رضا الله، ومعصيتهم هي معصية الله. وبعد ان فكرت بهذه المشكلة من كل جوانبها، ارى من الافضل ان تتخلص من شئ قذر، فهذه المرأة لاتليق بک.

كلا. لن أطلق زوجتي مهما كلفني هذا. قالها البيشمركه باصرار وكرر ذلك بعصبية مما دفع بقائد الثورة الى صمت. وبعد برهة نهض ورجع الى البيت لإنتشال السهم الثاني ليصوبه نحو البيشمركه «ابنه العاق»

الأغراء:

عاد ملا مصطفى الى البيت وامر قبل ان يلتقي من جديد بالبيشمركه بإهداء ملابس جديدة مع ظرف فيه نقود. حمل واحد من افراد "الحاشية الخاصة" الهدية لكن ما أن وضعت الهدية أمام البيشمركه. امتلكه السخط والغضب وأظهر اشمئزازاً من هذا التصرف ورفض قبولها قائلاً: "لن أقبل الرشوة."

الخادم الذى يحمل الهدية من الحاشية الخاصة ومكلف بالواجب. قال: هل جننت؟ كيف ترفض هدية الوالد؟ نظر اليه البيشمركه وهو حانق:

قلت لن أقبل الرشوة. عد من حيث أتيت مع هديتك.

وقفل الخادم الخاص ليخبر القائد والمحيطين به ماحصل.

لقد بدت مهمة قائد الثورة صعبة. لكنه لم يكن من ذلك النوع من الرجال الذين يتخلون عن مهمتهم أمام الصعاب. ما ان أخبر«الخادم» رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني بما جرى. حتى نهض الرئيس وهو متمنطق بخنجره وبندقيته واتجه الى حيث البيشمركه. جلس مكفهراً لترهيبه وانتقل رئيس الحزب الى المرحلة الثالثة:

التهديد:

هنا أخذ رئيس الحزب حجة اخرى ملزمة للجميع حسب رأيه: يجب ان اقول لك بوضوح. ان الفيصل في هذه الامور لست أنا ولا أنت. انما القرآن الكريم وهو كلام الله تبارك وتعالى.

واخذ يقرأ أيات من الذكر الحكيم على مسمع البيشمركه الذى اعتراه الذهول والخيبة من موقف قائد الثورة والذي كان يعتبره في السابق أباً وثورياً يناضل من اجل كرامة وحقوق الشعب الكوردي. فإذا به أمام واقع منهل. لايصدق مايراه ويسمع. استمرّ قائد الثورة في تكرارالأيات. يشدد على بعض الكلمات ويخفف على اخرى. وثم يعود ليشرح

هذه الأيات شرح المتبحر في علم التفسير. وانتهى الى الإستنتاج: "ما أقوله لك ليس من عندي. انها إرادة الله جلّ وعلا ولايمكن العمل الا وفق مشيئته". وخلاصة القول انه لامنجى من طلاق زوجته لكي يتزوجها مرتزق.

البيشمركه: بامكانك ان تقتلني الأن لكنني لن اطلق زوجتي. هاهي البندقية.. اقتلني.. لان ما تطلبه اسوء من القتل.

رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني: دعني أقول لك. انك لاتعرف خيرك من شرك. والحقيقة ان زوجتك مطلقة حسب الشرع الاسلامي. وحتى لاحاجة لطلاقها.

كنت اظن انك ستفهم الامور وتختار طريق الخير وما هو مطابق للحق والعدل والشرع. لكنك انسان جاهل. ولاينبغي الاستماع الى الجهلة.

بقي البيشمركه غير مهتم بما يقوله رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني وقائد الحركة الكوردية. بينما في داخله يغلي غضباً. وذكر له بوضوح: « بامكانك ان تقتلني الأن. لكنني لن اطلق زوجتي» و «كنت اعتقد انك بمثابة أب لي ولزوجتي. هل تقبل ان تفعل ذلك بابنتك ؟»

كان البيشمركه قد اكتشف ماهية القائد وعرف مصدر موقفه ودوافعه الحقيقية وكلها لاصلة لها بالكرامة والوطنية والشرع الاسلامي. ولم يسأله وهل بإمكانك ذكر أحاديث وأيات عن جزاء من يهرّب إمرأة متزوجة ؟ ولم يقل له وماذا عن كرامتي كبيشمركه أدافع عن وطني وكرامتي لسنوات ضد هؤلاء المرتزقة؟ وحيث نواجه يومياً في الجهات هؤلاء الأعداء يتقدمون الجيش العراقي وانت تطلب طلاق زوجتي لهذا المرتزق. لم يسأله: «مع من تقف في حقيقتك ؟» لكن ليس من شك ان ثقة البيشمركه وأخرون ممن علموا بالحادث. بقائد الثورة أصيبت في الصميم. لقد تناقل الجميع همساً أنباء الفضيحة. ولم يتدخل أحد من أبناء قائد الثورة ليثبت جدارة ثورية أو وطنية في قضية واضحة المعالم.

كانوا يرون.... ويتظاهرون بأنهم لم يروا.

وكانوا يسمعون....ويتظاهرون بأنهم لم يسمعوا.

وكانوا يعرفون ..... ويتظاهرون بأنهم لم يعرفوا.

لقد كانت أفة الفساد موجودة أصلاً. تنتظر فرصتها لكي تنمو بسرعة مذهلة من القمة نحو القاعدة السليمة والبريئة كسرطان سريع الانتشار.

في حين رفع مرتزقة الاعلام الشفهي في الحاشية صوتها مدحاً وتعظيماً للقائد الفذ والمنقذ في كونه الأب الروحي للشعب الكوردي ولولاه لما كان لنا وجود يذكر وكلنا له فداء.......

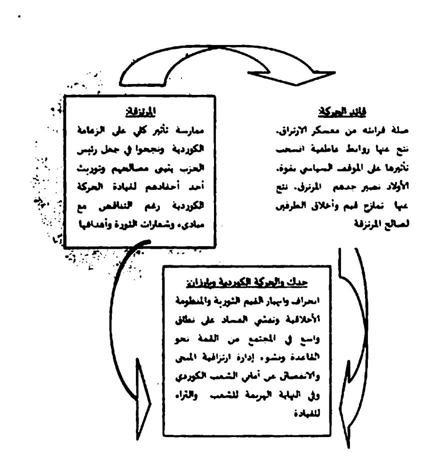
أما قائد الثورة فقد ظل فخوراً لم يبدو عليه ايّ ندم. ففي محيط اجتماعي تم إفساده وتطويعه وهدرت كرامته يبقى هو بطلاً بلا منازع مهما فعل. !

بالنسبة للبيشمركه لم يكن امامه غير البقاء مع "الحركة التحررية الكوردية" رغم الاهانة والطعن في شرفه وموت الثقة بـ "رئيس الحزب". اذ كانت باخرة الثورة الكوردية قد ابحرت بعيداً عن الشاطئ. والنزول منها كان يعني الانضمام الى نفس معسكر المرتزق الذي هرّب زوجته. لم يكن هناك خيار اخر غير البقاء مع "الحركة" مكرهاً. لقد استغل قائد قوات البيشمركه ورئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني، حالة "حصار الشعب الكوردي" أبشع استغلال لضرب كل من لم يرق له. وهو يعلم ان ليس أمامهم سوى اللوذ بالصمت وقبول الإهانة، أو ان يصبحوا مرتزقة. وهكذا نرى ان مظالم بغداد أثرت في زيادة الرضوخ لحكم ملا مصطفى. فبين النارين، فضل الكثيرون البقاء في كوردستان رغم وجود حكم متخلف وظالم.

كان رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني غير ملتزم بالقيم والمبادىء الوطنية، والعواطف الشخصية تهيمن على مواقفه بقوة غير عادية. ولم يكن هناك مكتب سياسي جرىء وملتزم بالقيم الثورية يردع "رئيس الحزب" من مثل هذه المواقف المناقضة لروح الثورة. كما كان الوعي السياسي لدى الشعب الكوردى هزيلاً وغير مبال بالانحرافات مهما كانت خطيرة. كانت الحركة الكوردية في واقع الامر بعيدة من ان تصبح " ثورة عصرية " ، وتفتقر الى عوامل النجاح من وعي سياسي والتزام أخلاقي من قبل النخبة القيادية. وغاب التنظيم الداخلي العصري لتتحكم «قيم الأغا وعواطفه» في إدارة حركة وطنية تقدمية تطالب بالحقوق القومية للشعب الكوردي. كان اللب شئ والظاهر شئ أخر. ولعبت الدعاية الحزبية دوراً مؤثراً في عملية تخدير العقل الكوردي وتضليله. و ظلت مكينة الحزب الدعائية تضخ بالالقاب الضخمة وتعظم القائد وتبجله ليل نهار دون مبالاة بالنتائج على الامد البعيد. هذه الظاهرة تكررت بشكل أقوى في ظل نظام صدام حسين الذي سخّر حزب البعث العربي الاشتراكي وكافة اجهزته الدعائية وموارد النفط لتجميل طغيانه وجبروته. منتهياً بدفع الملايين من البشر نحو الذل والدماروالموت.

كان ملا مصطفى في أعماقه وحقيقة عواطفه أقرب الى المرتزقة من أخوال مسعود من قربه من البارزانيين وقيمهم أو من الوطنيين الكورد المخلصين. كان يبتعد عن المجموعتين الأخيرتين بإطراد ويقترب بسرعة مذهلة من المرتزقة وبصورة يعادي كل من يذكره بوعوده وبقيم "الثورة" وبشخصيته القديمة. وكان قد تمرس في إخفاء نواياه الحقيقية عن الشعب وتغليفها بشعارات الحقوق القومية والحكم الذاتي وقيم التصوف والتزهد في المال والرئاسة.

إيضاح لتأثير القرابة على مجمل الحركة الكوردية وبارزان



كان الخطاب الرسمي للحركة الكوردية قومي وديمقراطي وتحرري بينما تنتهك في الممارسة بشكل واضح.

ففي الحالة الكوردية، تم توحيد مركزي السلطة والثروة في يد رجل واحد، وتوظيف الاثنين لمصالح عائلية. وهنا لامنحى من ان يصبح العنف والفساد الشكلين اللذين يكثفان توظيف واستعمال السلطة التنفيذية في إنتاج الحكم التعسفي، مع التشديد والمبالغة في الخطاب الرسمي على الكرامة والشرف والعدالة والتحرر. هناك حالة فصام تامة بين الكلمات والواقع في الحياة الفعلية. فالخطاب الرسمي يشكل الديكور الخارجي والحفاظ على الشكليات الضرورية لتغليف صلافة العلاقة بين المجتمع والسلطة في غياب أي شكل من أشكال الضبط والرقابة والمحاسبة والاعتراض. إضافة كان نفوذ المرتزقة الغير مرئي نشط وقد ترسخ بالتدريج في قمة الهرم القيادي

فالمعيار الصحيح في الحكم على الثورة الكوردية، وعلى جميع الثورات هو مقدار ما أنجزته في مجال إقامة العدل وترسيخ الحق والالتزام بالمبادئ التي قامت من أجلها الثورة. وعندما تنفصل القوة عن العدالة يكون مألها الظلم والاستبداد.

أحمد (شيخ بارزان)

وقد يكون من المفيد هنا ابراد ملخص عن شخصيات بارزان وخلفياتهم لتسهيل فهم الأحداث التاريخية اللاحقة:

شيخ بارزان، الرجل الذي قيل عنه الأقل في الإعلام والكتب. رغم إنه كان وراء الكثير من الأحداث التاريخية التي إجتاحت بارزان. هنالك منحى قوي بتسجيل السلبيات لشيخ بارزان وكل شيء إيجابي بإسم ملا مصطفى وما عداه قليل الأهمية. وحتى في الفترة التي شهدت فيها كوردستان انحسار حكم البعث بعد عام 1991 ونشاط الجامعات الكوردية في جو محدود من الحرية أرادوا الكتابة عن شيخ بارزان كموضوع لنيل شهادة ماجيستير في جامعة صلاح الدين.لكنهم لم يجدوا أي تجاوب . هذا ماورد لي من طالب يدرس في جامعة صلاح الدين.



شيخ بارزان (أحمد) عام 1932 في المنفى التركي

ولا أدّعي بأنني سأسد هذه الثغرة الكبيرة في تاريخه المعقد في هذا الكتاب. خاصة الجانب الروحي منه. لكنني سأسعى بإختصار. الى تناول دوره في تنظيم المجتمع البارزاني، الذي أمتاز في فترات معينة بقدر كبير من الإنسجام والإتحاد والتمسك بفهم العدالة وإيجاد نظام المساواة وترسيخ عقيدة المقاومة ضد الإحتلال الأجنبي.

من الصعب جداً تحديد يوم او شهر أو حتى عام مولده، لذا ما سنرده سيكون تقريبياً وهذا يشمل جميع إخوانه في العائلة البارزانية. فأكثر الظن انه ولد عام 1894 وهو الولد الثاني بعد عبدالسلام – شيخ بارزان الرابع. وكان والده قد تعرض لعداء شديد من

تحالف معظم الأغوات المحيطين ببارزان لكنهم اندحروا في النهاية إثر سلسلة من الحروب الظافرة خاضتها المشيخة البارزانية -- يجد القارىء التفاصيل حول عهد الشيخ محمد في كتابي المعنون "بارزان وحركة الوعي القومي الكوردي 1826 - 1914" ويبدو ان الشيخ محمد كان منظماً جيداً فقد بلغ البارزانيون مستوى عالي من الانسجام والاتحاد الروحي والمساواة مما ساعدهم على المقاومة أمام قوى معادية تفوقهم عدداً وعدّة . فقد اعتمد على قياديين متحلين بالإيمان والصبر على تحمل المشقات وفي عهده ذاع صيت بارزان نتيجة وقوفها ضد ظلم الأغوات. وبعد وفاة والده تكفله الشيخ عبدالسلام ويمكن اعتباره مربيه الأول، لكن إعدامه من قبل الترك عام 1914، جعله يلتصق بأتباع الطريقة المعروفين بإخلاصهم ونزاهتهم، والأكثر شهرة كان ملاى ملا محمود. والأخير كما أوضحنا في كتابنا السابق كان قد حظى على ثقة وتثمين شيخ بارزان الرابع لدوره الروحي البارز وشجاعته في التصدي للغزاة طيلة عقدين من الزمن.

إمتازت حياة شيخ بارزان الخامس بثلاث مراحل من الإحتلال ومقاومة بارزان لها. وهي على التوالى التركي - البريطاني - العربي. نظراً لصغر سنه ربما كان (أحمد) لايتذكر الا بصورة غامضة والده الذي وافته المنية على ما أظن بداية عام 1902 لكنه كان يتذكر عهد الشيخ عبدالسلام الذي أصبح شيخ بارزان الرابع . وشاهد تحالف الأغوات مع الجيش العثماني وشنهما الحروب ضد بارزان على جبهات ثلاث : عقره - دبنارته - بيرس ثم بارزان و (أميدى - بالندا - ثم بارزان) و (رواندوز - ميركه سور - شيروانا مه زن) وبهذا يتم احتلال وتطويق جميع مناطق بارزان وسدّ جميع مسالك الافلات على قواتها . تفاصيل عن عهد الشيخ عبدالسلام يجدها القارىء في نفس الكتاب الذي أشرنا اليه والمتعلق ببارزان في القرن التاسع عشر الى اندلاع الحرب العالمية الاولى. .

لعل أكثر ما يفيدنا هنا عن معرفة دوره في حياة البارزانيين هو تناول أعماله لأن الأعمال هي انعكاس شخصية الإنسان وحقيقته. فأول مايلفت النظر هو ترفعه عن الامتلاك. كان مايملكه لايتجاوز مايملكه أخرون في بارزان . وكان مقتنعاً بذلك.

وركّز على الثقافة الروحية الا ان اندمجت حياته بتعاليم الطريقة ويعمل على هديها. وقد اهتم بالشعب نزولاً عند الشؤون الصحية فقد سمعته يشجع البارزانيين الملتفين حوله وفي عدة مناسبات على عدم التدخين وتناول أقل مايمكن من مادة السكر. كما كان يوصي بأدوية طبيعية مستخرجة من النباتات البرية التي تنمو في جبال بارزان لمعالجة الروماتيزم، ألام المعدة والتخلص من الانفلونزا ومسحوق للمحافظة على صحة الاسنان

وتفوية اللثة. وشديد الحرص على حماية الحيوانات والطيور والأسماك والأشجار في جبال بارزان.

يمكن تقسيم مراحل حياته الى عدة أسفار:

أعوام طفولته والإختفاء والأشخاص الذين أثروا في تكوينه الروحي. وبدء سلسلة من عمليات الإحتلال المتعددة لبارزان 1894 - 1921.

إستيعاب مبادىء الطريقة وتنظيم المجتمع 1921 – 1927

العزلة 1927 - 1929

مقاومة الهجوم الأنكلو-عراقي لإحتلال بارزان 1930 - 1932

المنفى التركي والعراقي 1932 - 1944

مقاومة الهجمات العراقية والإيرانية 1945 - 1947

المنفى العراقي من جديد 1947 - 1958

العودة والمقاومة و"الحياد" 1958 - 1967

تنظيم مجتمع المساواة .1967 - 1969

من غير الممكن فهم شخصيته من دون فهم عقيدته النقشبندية. فهو اولاً وأخيراً رجل عقيدة وإيمان. وسنرى كيف انه سعى الي إيجاد المجتمع السليم في محيط فقير يحيط به الأعداء من كل جانب ومهدد على الدوام بإجتياح القوات الحكومية لأراضي بارزان. كما سنرى كيف ان تعاليمه المستمدة من تعاليم الطريقة خلقت انسجاماً في حياة الناس مع المحيط الطبيعي من مناخ قاسي وتضاريس جغرافية شديدة الوعورة وشحيح في الانتاج الاقتصادى حيث نمط الانتاج هو مزيج من (زراعي – رعوي) وسائل الانتاج بدائية لتوفير المحاصيل كالقمح والشعيروالعدس و- الرز في مناطق محددة صغيرة - وأنواع الكروم الديمية. والفاكهة التي تقتصر على القرى التي تتوفر فيها المياه. ورعي المعز والضأن والأبقار. وتربية النحل في قرى قليلة محدودة.

بادىء ذي بدء . كان يرى ان تنظيم المجتمع ينقسم الى ثلاث خلايا:

أصغر الخلايا هوالانسان الفرد وهو الأساس وكل شيء يبدأ منه.

ثم تأتي العائلة التي ينتمي اليها الفرد.

وثم القرية .

بعدها القبيلة وهكذا الى نطاق الأمة .

لقد انصب اهتمامه على الفرد. فالبحث عن الذات وفهمه هو طريق الحكماء . بينما من يغفل نفسه ويبحث عما في غيره فهو طريق الضلال. وكان يوصي بالإعتدال والتواضع والإخلاص في الفكر والقول والعمل. وأن يكون الفرد بشوشاً محباً للخير لايحقر من هم أقل منه شأناً وبهذا يبعث الاحترام فيمن حوله. لايغضب بل يفكر في هدوء وسط العواصف. وما ان ينسجم الجميع، الزوج مع زوجته، والأبناء مع الوالدين حتى يسود المجتمع السعادة ويعم الخير والعدل. ولابد من ان يكون المرشد وأعوانه قدوة يقتدى بهم قولاً وعملاً. وفق الحديث الشريف - الناس على دين ملوكهم - وعليهم ان يؤدوا واجباتهم بوقار وعطف ويقدموا الخيريين نحو مهام المسؤولية ويركزوا على تثقيف المعوجين الى ان يستقيموا. وأن الثروة ان وجدت يجب ان لايحرم منها احد. وان تراكم الثروة وحياة الترف عند البعض يؤدي الى الانغماس في الفساد و تشتيت وحدة الشعب وبروز التباين الإجتماعي ونزعة العداء والحسد في المجتمع. لذا ينبغي ازالة الفروق الإقتصادية. والكل: المسنين والكهول والأرامل والعميان والمرضى واليتامى وجدوا عناية بهم وصون كرامتهم. كان زيارة المرضى ومواساتهم أمراً في غاية الأهمية. فاطلق الناس على كل هذا بـ (حكم بارزان) ورغبوا العيش في ظله.

وكان شديد الحرص في عملية "إنتقاء" الأشخاص. فهو لايختار نائباً اليّ بعد التأكد من توفر الشروط الأساسية فيما يخص الحياة الروحية والاجتماعية واستيعاب الشخص لبرنامجه الروحي استيعاباً حقيقياً وليس ظاهراً فقط. كان يعبر للتربية الاخلاقية جل إهتمامه. من هنا، أي من شدة حرصه لم يختار أياً من إخوته أو أبنائه لتبوأ مركز"المرشد" لأنهم لم يكونوا كفوئين حسب المتطلبات الروحية. إنما أختار من أبناء الشعب المؤهلين. وعندما بدأ بنهضته الروحية الأخيرة في نهاية الستينات وأرسل رسله الى القرى، لم يكن بينهم ولا واحد من العائلة البارزانية، كلهم كانوا من أبناء الشعب دون امتياز اجتماعي و لكونهم مؤهلين لخدمة المجتمع باخلاص .

لقد بقيت ذكرى إغتيال مرشد الطريقة (ملاى ملا محمود) لاتفارقه ولذا نشط الى حد ما في السرّ لسنوات وبهدوء بعد عودته عام 1958 من المنفى العراقي، بدافع المحافظة على حياة الجبل الطلبعي من المريدين والمرشدين الجدد لتفادي تكرار عملية الاغتيال التي جرت عام 1927 في بارزان. والأمر الظاهر كان هناك عدد من الأشخاص يعيشون في مجموعات "واحات" مبعثرة في كل القرى البارزانية وشديدي التألف والتعاضد بحيث كانوا يحسدون على نمط حياتهم الاجتماعية والتي سادها التآلف والإنسجام.

ولابد من الاشارة الى نظام العمل داخل "المجتمع النموذجي" روحياً. ونختار نموذجين لغرض المقارنة: نموذج (ملا مصطفى. مقراته عكست نمط حكمه كما كان الحال في قرية ريزان) والحياة في قرية (شرى. نموذج شيخ بارزان) على هضبة مطلة على نهر (Rumezin). وتدار بنظامين مختلفين تماماً. فعلى سبيل المثال كان نموذج (ريزان) يسكن فيها أبناء ملا مصطفى. قائد الحركة الكوردية ورئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني. وحيث من المفروض انه يناضل من أجل حقوق الشعب الكوردي ويحرص على توفير العدالة للمجتمع. كانت المجموعة مكونة من حوالي 60 عائلة أي ما يناهز 430 نسمة . ويمر فيها طريق سيارات ولها أهمية سياسية نظراً لوجود أبناء ملا مصطفى فيها. ويتردد عليها الزوار من أماكن عديدة ولها صلات مباشرة مع ملا مصطفى نفسه. وما ينطبق على (ريزان) ينطبق على مقرّ ملا مصطفى. (ريزان) تمثل الإدارة التي أوجدها ملا مصطفى في كوردستان.

وفي مقابل (ريزان) في الضفة الغربية من النهر الفاصل بين القريتين . تقع قرية (شرى) النموذج الثاني المتمثل في سيادة تعاليم الطريقة النقشية. وهي النموذج الذى صاغ نظامه شيخ بارزان. كان عدد العوائل في القرية يقارب السبعين عائلة. أي مايقارب 490 نسمة. ومن ضمن الاسر عدد من الأرامل مع أيتامهم. القرية تقع جنوب نقطة التقاء نهري (Rukucik) و(Rushin) بحوالي 2500 متر. وتقع فوق مرتفع منبسط يفصلها عن النهر سهل واسع منخفض يوازي مياه النهر ولايرتفع السهل عن مستوى النهر الى قليلاً.

هذه القرية النموذجية كانت من الناحية الديمغرافية مزيجاً من أفراد ينتمون الى كافة قبائل بارزان ومن مختلف قراها. كانت بوتقه ينصهر فيها الناس ويتوحدون في الفكر. ففيها تجد الشيرواني والمزوري والدولمري وال Beroji . رابطة الانتماء الى الطريقة واستيعاب تعاليم شيخ بارزان بعمق هي التي دفعتهم الى اختيار العيش معاً كعائلة واحدة. تاركين قراهم الأصلية وقبائلهم وحتى أقاربهم. فالقرابة الحقيقية هي "قرابة المبدأ" وليس من شك ان الفضل الأول يعود الى تعاليم الطريقة التي أكسبت البارزانيين قوة أمكنتهم من النهوض من جديد بعد الكبوات التى منوا بها ومناعة ضد اليأس واسترداد طاقاتها إثر النكبات التاريخية المتلاحقة التي عصفت بهم خلال قرن كامل. تعاليم شيخ بارزان زودتهم بثقافة مستقرة. هادئة عميقة ومبعث طمأنينة لغالبية أبناء بارزان.

نزعة شيخ بارزان اللامادية سببت له الكثير من المشاكل حتى مع أولاده. فقد كان له نائبين روحيين. ملاى ملا محمود وخورشيد. وكلاهما لاقا حتفهما. الأول في بارزان على يد

ملا مصطفى ومحمد صديق عام 1927 والثاني على يد صدام حسين عام 1983. لم يعتمد شيخ بارزان على أبنائه في المهام الروحية لبعدهم عن فهم مضمونها.

الجدول التالي يوضح الفروق التي طبعت تركيبة الحياة الاجتماعية لمجموعتين "نموذجين في الحكم" ادعت نفس الانتماء لكن التطبيق إختلف كثيراً (نموذج شرى) و (نموذج ملا مصطفى) أو بكلمة أدق نمط شيخ بارزان و نمط ملا مصطفى :

نموذج ملا مصطفى وأولاده (مقراته وأينما ساد حكمه)	نموذج شيخ بارزان جماعة (شرى)
ركّز كل طاقاته لتوريث ولده بدافع عاطفي محض، دون إستشارة أحد، وتمتع بإمتيازات إقتصادية كبيرة وبأسلوب إحتكاري. وعند وفاته عام 1979 كان في حوزته عشرات الملايين من الدولارات	تفادى توريث أولاده لخلافته، وحذّر البارزانيين من الإنقياد الأعمى وراء من يدعي من العائلة تمثيل بارزان وقيمها الروحية زوراً. ولم يكن لديه إمتيازات إقتصادية، وعند وفاته عام 1969 لم يخلف أموالاً
إستغلال إقتصادي وأعمال السخرة وخطوط طبقية واضحة غني وفقير، ملاكين ومعدومين	إنعدام التميز الطبقي والإستغلال الإقتصادي.عمل جماعي لشق الترعة وارواء الأراضي وتوزيعها بالتساوي
ضرب الفلاحين وممارسة الظلم وتخويف الأهالي، بلغ مجموع القتلى سبعة من رجال ونساء من أبناء وبنات كوردستان على يد أبناء رئيس الحزب. وترك الجناة أحراراً	انسجام وتناغم اجتماعي لا مجال للكراهية والحسد
البيشمركه يتقاضون رواتب من قائد الحركة وتعتبر سخاء ومنحة من القائد	عند أداء الواجب الوطني رفض إستلام رواتب من قائد الحركة ملا مصطفى
القرارات تتخذ وفق المصلحة العائلية والحكم من خلال إفساد المجتمع، سياسة	المرشد يتخذ القرار على هدى مبادىء الطريقة ويستشيرهينة الحكماء، إهتمام

فرق تسد متبعة على جميع الأصعدة. ويعير اهتماما خاصاً للتجسس على المجتمع وعيّن ولده رئيساً لهذا الجهاز	فائق بالإتحاد والتعاون والإنسجام الإجتماعي وزرع الفضيلة والأخلاق العالية في المجتمع
نظرياً الزواج مبني على الرضا المتبادل لكن حصلت عملياً حالات العكس	الزواج مبني على الرضا المتبادل وضمن المجموعة
رابطة فردية الأرامل والأيتام يستجدون عطف الحاكم المطلق الصلاحيات	رابطة جماعية وضمان معيشة الأرامل والأيتام والمعالجة الصحية. الجماعة هي التي تتكفل من خلال ضمان اجتماعي
القبول بالزي الحديث وعدم الإلتزام بالزيّ التقليدي	الإلتزام بالزيّ البارزاني الأصيل ورفض ماعداه
سوق القرية بلا ضوابط والأسعار غالية نسبة الى القوة الشرائية	ليس في القرية سوق إنما يتفادون كل ما أمكن الإحتكاك بالسوق وينتجون كل ما أمكن مايحتاجونه ذاتياً
الإبادة في قوشتبه عام 1983 نجى العديد منهم بسبب إختفائهم. إذ كانت رابطة الجماعة بينهم أقل رسوخاً من جماعة شري	لم ينجو منهم خلال عملية الإبادة في قوشتبه الى ماندر بسبب (الرابطة الجماعية) وتفضيلهم الحياة أو الموت معاً فلم يختفوا أو يهربوا كأفراد
عديم الإلتزام لابمنهاج الحزب ولا بقيم بارزان ولا بالقيم الوطنية إنما إستغلها لتقوية نفوذه ومصالحه العائلية	ملتزم بمبادئ الطريقة النقشبية ويعمل وفق تعاليمها بنزاهة وإخلاص مشهود له
تسلط صعلوك على شخص نبيل لإهانته وتخويفه وتطويعه لسلطته	كان كثير الاحترام للجميع دون تمييز

كان شيخ بارزان متحرراً من عقدة التملك المادية كما أسلفنا. فقد كان مقتنعاً بما لديه ولا يصبو إلى المزيد. في حين كان ملا مصطفى متضايقاً أشدّ الضيق من حالته المادية ويعمل على الخروج منها بكافة الوسائل المتاحة له وتحت شعارات مختلفة ويخفي نواياه الحقيقة بمهارة فأحتفظ بسمعته كمتزهد في المال في الوسط البارزاني.

كانت المبادئ التي يرتكز عليها شيخ بارزان واضحة وشفافة فالعدل أساس كل شيء. فهو يعمل بشكل رئيسي على تثقيف الشعب لممارسة العدالة. فبين أعوام 1958 – عام اطلاق سراحه من سجن بغداد وحتى عام رحيله 1969 . شهدت بارزان أحداثاً تاريخية

هامة. فقد تعرضت أراضيها الى أول هجوم واسع براً وجواً في العهد الجمهوري - هجوم مشترك مؤلف من الأغوات المرتزقة الكورد والجيش العراقي في صيف 1961 - فأحرقت جميع منازل بارزان وأراد المرتزقة الزيباريون وهم في غمرة احتلال بارزان – كانوا من أخوال وأقرباء مسعود – رئيس الحزب الديمقراطي الحالي – هموا بنبش مقبرة بارزان. الا ان العميد حسن عبود عندما علم بنوايا المرتزقة. ذهب اليهم شخصياً وهددهم فخافوا من تنفيذ فعلتهم. وبقي البارزانيون يحتفظون لهذا العسكري العراقي – الإستثنائي الى حدٍ كبير في الجيش العراقي - بالتقدير والودّ.

كانت المواد الغذائية شحيحة. فمنطقة بارزان رغم تمتعها بنوع من الحياد الرسمي بين أعوام 1964 – 1969 الا انها كانت تتعرض الى القصف من قبل السلاح الجوي العراقي ولم تتزود المنطقة بالمواد الغذائية الضرورية من أسواق الحكومة العراقية. ففي احدى المرات والإستعدادات على وشك الإنتهاء لخوض ماعرف فيما بعد بمعركة (هندرين 12 مايو/أيار 1966) سافر عدد من التجار البارزانيون في 1966/4/17 وهم يقصدون أربيل. منهم يوسف مصطفى جوله. سعيد محمد سينم. سليمان ملا شيخ. عمر سليمان. مصطفى ملا زاده. حسين شه رو وأحمد هرني. اقلوا السيارات للتوجه الى اربيل لشراء السكر والشاي والصابون ومواد اخرى كان السكان في أمس الحاجة لها. وبوصولهم بين كيله كين وسبيلكى وهم في طريقهم الى اربيل كانت أفواج من المرتزقة الكورد تحت امرة أغوات الزيبار قد نقلت لشن هجوم للإستيلاء على جبل (هندرين) وعندما علم هؤلاء المرتزقة بوجود التجار البارزانيين في موقع مرورهم – لم يكن البارزانيون مسلحين - وانهم يتوجهون الى اربيل. نزلوا من سياراتهم وأحاط المرتزقة الزيباريون بالبارزانيين بالمئات. كل مرتزق يريد المساهمة في الضرب. ثم وجهوا فوهات بنادقهم الى صدورهم وبدئوا بالشتم والضرب المبرح بأخامص بنادقهم وهم ينوون قتلهم جميعاً ويقولون: "الجبهة تبدء من هنا." فكل مجموعة مؤلفة من حوالي عشرة مرتزق أنفردت ببارزاني واحد. بهدف قتله بأخامص البنادق. والأغوات يضحكون ويتمتعون بهذا المشهد. وبعد مضي فترة من الضرب الوحشي والحاقد. تمكن جماعة من الهركية تحت إمرة فتاح أغا هركي. تخليص البارزانيين من قبضتهم. وتدخل ضابط من الجيش العراقي: "كفاية ضرب" بعد ان اغمي على العديد منهم وهم مطروحون على الأرض كالأموات. وقد استولوا على ماكانوا يحملون معهم من أموال. بقي البعض في حالة شلل وعجز الى مماتهم. - ألتقيت شخصياً بأحدهم في "بلى" وهو صديق لي – يوسف جوله – كان عديم النطق ومشلول - بعدها تابع المرتزقه الأغوات سيرهم الى مواقع في راوندوز لإحتلال جبل هندرين.

سبب الحادث صدمة كبيرة لدى كل التجمعات البارزانية ولشيخ بارزان. ومن جانبه ، كان ملا مصطفى في هذا الوقت. قائداً بلا منازع للحركة الكوردية. ومن أجل إمتصاص النقمة الشعبية التي تولدت من هذا الحادث. كان يقول ويردف قوله بأغلظ الإيمان من انه: "سيلقن المرتزقة درساً لن ينسوه حتى وان كانوا أخوال مسعود." الكثيرون صدقوه ورفعوا قدره عالياً.!

لقد ادى الحادث المأساوي المذكور الى خلق شعور بالاعتماد على الذات أكثر من السابق وأن حالة العداء تجاه بارزان متأصلة في أوساط المرتزقة الكورد والحكومة العراقية وانه لا التزام بأية أخلاق. فهؤلاء التجار لم يكونوا مسلحين وانما مواطنون يكسبون حياتهم من عملهم. ان مجرد رؤية العمامة الحمراء وكونهم جائوا من منطقة بارزان. كانت كافية لاثارة النعرة العصبية العمياء ودفع المرتزقة الى الاعتداء عليهم بصورة وحشية.

فيما بعد قصد الكثير من التجار البارزانيون قصبة "كلاله" شمال راوندوز. حيث تتوفر فيها المواد المستوردة من ايران. وشراء مايحتاجونه هناك ثم نقله على ظهر الحيوانات الى مناطق بارزان. إذ كانت قيادة الحركة الكوردية قد طورت علاقاتها بإيران الشاه.

وجد ساكني قرية (شرى) ان هناك نقص في الزراعة المروية وقلة الفاكهة والخضروات. فالأراضي التي يزرعونها ديمية. فوجدوا ان بالإمكان حفر ساقية بما يعادل تقريباً 2500 متر طولاً. وهذه الساقية سوف تأتي بمياه النهر الى موقع مرتفع يساعد على إرواء أراضي واسعة تلبي حاجات جميع ساكني القرية من الرز والخضروات والفاكهة. هذه الأرض كانت أرض بوار غير مستغلة تغطيها الأحراش والأشواك. وهنا نقع على طريقة عمل هذه الجماعة التي تطبق حرفياً تعاليم شيخ بارزان. فقام البعض من ساكني (شرى) بمسح عام للأرض وقياس إرتفاع مستوى النهر الذي يجري بمحاذاة هذا الموقع. فأقتنعوا بالبدء بالعمل معتمدين على عضلاتهم والأدوات البدائية للحفروشق الترعة بعد إختيار نقطة بداية الساقية. لكن قبل البدء تمت الموافقة على برنامج "عمل جماعي" دقيق :

حوالي كل خمسة أمتار يحفرها خمسة أشخاص.المقياس لتحديد المسافة كان عبارة عن حبل مصنوع محلياً.

لايسمح بتجمع خمسة أشخاص أقوياء في مهمة عمل واحدة.

إنما يتم تقاسم حفر الساقية من رجلين قويين وثلاثة أقل قوة حسب توفر الأشخاص والظروف.

الخمسة أمتار هو عمل يوم واحد.

يحصل تعاون جماعي عندما يتعرض الحفر الى صلابة غير معهودة من جراء وجود صخور مستقرة في باطن الأرض.

وعندما تم بنجاح حفر الساقية وانسابت المياه فيها بدأت عملية تنظيف الأرض وتقسيمه الى قطع حسب العوائل وعدد الأشخاص في كل عائلة.

بدنوا بكتابة أسماء جميع العوائل على ورق صغير و وضعت في كيس.

تجولت "لجنة التوزيع" من أول الحقول الى أخر حقل حاملة معها "كيس القرعة". وعند سحب القرعة يناط الحقل لمن ظهر اسمه.

وهكذا تم توزيع الأراضي عن طريق القرعة ونالت العوائل التي فقدت معيلها حصتها كالبقية.

تولت الجماعة حرث وزرع وارواء وحصاد الحقول التي تعود الى العوائل التي فقدت معيلها.

كان الجميع فرحين بالنتائج ولم يحصل أي نقد أو لوم.

لقد مثل هذا اول نموذج ناجح للاستفادة من مياه النهر للري في أراضي بارزان حيث كانت هذه المياه الدفاقة تجري بلا فائدة. كما إن هذه الجماعة استطاعت ان تعيد الحياة الإنتاجية لأرض ظلت لقرون بواراً.

ومن ناحية أخرى طبق هؤلاء الإصلاح الزراعي على طريقتهم الخاصة دون دعم حكومي أو من قبل الأحزاب "الديمقراطية، الثورية، الطليعية" والتي تزاهت وتفننت برفع شعارات الإصلاح الزراعي في العراق وكوردستان ولم تطبق انما كانت مجرد شعارات، خدعت الفلاحين وعززت، في كثير من الحالات، ظلم الأغوات على الكادحين في الأرياف.[201]

كان شيخ بارزان سعيداً بهذا الإنجاز.

ولابد من ذكر تعاليم شيخ بارزان المتعلقة بالبيئة والحفاظ عليها، فبين أعوام 1958 الى 1969 كانت نتائجها ملموسة في مناطق بارزان. فكثرت قطعان العنز البرى في جبال بارزان وذهب عنها الخوف. كذلك الحجلى وأجناس أخرى من الطيور. وتمشياً مع التطورات فقد أضيف محظور استخدام الديناميت التي تقتل صغار الأسماك بأعداد هائلة، فكثرت الأسماك في الأنهر. وشقت عدة طرق في الجبال لتسهيل مرور الناس والدواب فيها. كما كثر

[201] الحركة القومية التحررية الكردية في كردستان العراق 1958-1964 . البروفيسور د. كاوس قفطان. تموز 2004 . حكومة اقليم كردستان. وزارة الثقافة. المديرية العامة للطباعة والنشر. تسلسل (266). ص: 59 .

النحل، وأشجار الثمار البرية. يعود هذا الى أن للأرض والأشجار والكائنات الحية التي تعيش في الجبال وفي المياه لها حق العيش والمراعاة. هذه التعاليم لم تراعى في مناطق تحت نفوذ قيادة الحركة الكوردية ولا تحت نفوذ أغوات المرتزقة الكورد. لقد كانت الحيوانات البرية والطيور في تلك المنطقتين الأخيرتين مذعورة من مشاهدة الإنسان. فكانت تختفي أو تهرب على عجل خوفاً من الطلقات التي تلاحقها.

راقب شيخ بارزان المجرى السياسي على الساحة الكوردستانية والعراقية بحذر شديد. فقد كان يرى أن الإستقرار النسبي في بارزان مرتبط بقوة الحركة الكوردية وأن هزيمتها هي هزيمة لبارزان. ولهذا فقد عمل، كلما أمكن، على تعزيز مواقع الحركة الكوردية بإرسال قوات من بارزان، عند تهديد جدّي من الجيش العراقي والمرتزقة الكورد أوعندما تفتح ثغرات في جبهة من جبهات الحركة الكوردية مثل جبهة عقرة، شهخان، أميدي، راوندوز. وفي احدى المرات أرسل التعزيزات حتى رانية. كانت القوات البارزانية تلك تحت إمرة مقاتلين من أمثال صالح كانيالنجي، محمد شكر بارزاني، مصطفى محو، نعمان بارزاني، زباب درى، فرامرز موكي، وكان ملا مصطفى يطالب بإرسال مثل هذه التعزيزات.

كان شيخ بارزان قد شخّص بدقة ملا مصطفى، لايثق بأقواله ومتخوف من كارثة يجلبها للشعب. ونفس الشيء ينطبق على الحكومة العراقية التي لايثق بمسؤوليها. ومن ضمن جميع الحكام الذين تولوا سدة الحكم في بغداد، كان يكن احتراماً خاصاً لعبدالكريم قاسم فقط.

راقب شيخ بارزان الحركة الكوردية وما تجلبه من خير أو شرّ للمجتمع، ومتألم للانشقاق الذي حصل بين ملا مصطفى والمكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني، وكان ذلك بمثابة نذير شؤم. لقد وجد تصاعداً في وتيرة الفساد والجريمة، وكان عدد من البارزانيين الموجودين مع ملا مصطفى من حراس ومقاتلين يأتون بالأخبار الى شيخ بارزان. لقد ظهر أن ملا مصطفى كان ورائها أو في أحسن الأحوال لايحرك ساكناً. فعلى سبيل المثال تم قتل عدد من الفتيات من قبل أولاد ملا مصطفى ولم يتحرك الأخير. كانت هذه أول مرة يحصل فيها حالات تعدي وقتل نساء في منطقة بارزان من قبل أبناء قائد الحركة الكوردية ورئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني. اقتصر هذا فقط على أبناء ملا مصطفى. وما زاد من المأساة ان عملية القتل نفذت بيد "البيشمركه". في حين كان من ضمن واجباتهم الدفاع عن الكرامة الكوردية وحماية الشرائح الضعيفة من السكان. وفي

واقع الأمر ان قتل النساء الذي استشرى فيما بعد عام 1991 كانت بداياته قد تكونت في الستينات من القرن الماضي.

في احدى الليالي جاء الى المنزل عند والدي "..............." وكان شديد التألم ويريد أن يفصح عما يقلقه بشدة. كان والدي قد فرغ من صلاة العشاء. بعدها دخل "..............." الغرفة وجلس قبالة والدي الذي رحّب به . كانت علامات الصدمة من الحدث بادية على ملامحه الحزينة. سأله والدي عن سبب مجيئه. بدأ يحكي تفاصيل القصة وأكتب هنا باختصار ماقاله لوالدي: "لقد أمروني بقتل (........) ولكنني لم أنفذ الأمر. تمردت على الأمر. إذ كيف يمكن الإدعاء بالدفاع عن حقوق شعب مضطهد ويكلفني (............) بقتل (...........) لم أنفذ الأمر ولن أبقى في سلك البيشمركه. إن المهمة التي كلفت بها هي مهمة قذرة ولن أعود لحمل السلاح. لكن بيشمركه أخرين نفذوا الأمر. وشاهدت كيف يقودون الضحية الى نهايتها وهي تستغيث وتتشبث بالحياة. إنني أحلم كل ليلة بهول ما شاهدته عيناي". هنأه والدى على قراره في عدم الإمتثال للأمر الظالم وظل يكن للرجل حرمة خاصة. وكنت شاهداً أستمع الى مايقوله لوالدي. كان شيخ بارزان على علم بما جرى. لقد أنهارت كل أمالي بالحركة الكوردية لكن من المستحيل إفهام الناس. ولم يعد من مفرّ سوى الإنتظار لتصطدم باخرة الحركة الكوردية بأول صخرة لتتحطم في حين يختلس القطبان طريقهم الى النجاة بقارب صغير يقودهم الى حافة الأمان متخلين عن الشعب في داخل الباخرة الغارقة. وحين يستفيق الناس من حالة التضليل، يكون الأوان قد فات..

وهنا أروى ماكنت شاهداً عليه، والحدث يدل على نمط الحكم الذي أقامه ملا مصطفى في كوردستان. فبعد الإعلان عن بيان أذار وماصحب ذلك من أفراح بالنصر، أصبح واضحاً ان ملا مصطفى يريد إخضاع بارزان لكامل سيطرته لتنفيذ خطط الوراثة فيما بعد. حل في إحدى القرى البارزانية، وكنت هناك، وكان من عادته أن ينام في وقت متأخر من الليل. فما أن إنفض الحضور، وبقي وحده في الغرفة، إقتحمت إمرأة الباب ودخلت الغرفة، وهي تبكي، أشار إليها ملا مصطفى على عجل بأن تخفض صوتها وتجلس، ففعلت ذلك، ثم بدأت تروي ماحصل لإبنتها من تعدى وانها حاملة من قبل رجل من صلبه. تابعت مراحل الحدث لكي أعرف موقفه وكيف يحلّ هذه المشكلة. لدهشتي، عيّن والد الفتاة المعتدى عليها، مسؤولاً عسكرياً وإدارياً في منطقة بعيدة عن بارزان، فإنتقلت العائلة الى هناك حتى يغلق الموضوع، ولكن تلك المنطقة التي نقل اليها العائلة كانت تحت إمرة قائد قدير وله دوره المشهود في النضال، ولدهشة الأخير الذي لم يعرف الأسباب الحقيقية من وراء عزله المفاجئ بقرار رئيس الحزب والقائد العام للقوات الثورية. بهذه

البساطة عالج مشكلة أخلاقية بإنزال عقوبة بقائد بيشمركه قدير ليس له أي دخل بالموضوع. وكان قد دخل السجن وحارب لسنوات وجرح عدة مرات في المعارك التي خاضها ضد المرتزقة والقوات العراقية. عُزِلَ هذا القائد. وانتشرت الشائعات بعدم أهليته للمسؤولية في تلك المنطقة! وعندما إلتقيت بالقائد المعزول أخبرته بحقيقة أهداف رئيس الحزب. إبتسم وقال لست مهتماً الأن بالتخلي عن الوظيفة بعد أن عرفت الدافع الحقيقي وراء عزلي. وأظن سيتم عزل أخرين لمعالجة مشاكل من هذا النوع!. هذا الإستهتار بكرامة الناس كان سبباً رئيسياً في تدهور روح المقاومة في المواجهة بين قوات الحكومة العراقية والحركة الكوردية عامي 1974-1975.

ثم كانت تأتي أخبار مؤكدة عن فساد الإدارة والبذخ والترف في مقر ملا مصطفى وصلاته الخفية ومساعداته المالية للمرتزقة. كان ملا مصطفى يهاجمهم أمام المقاتلين خشية إفتضاح أمره في وقت لايزال القتال جارياً بين البيشمركه والجاش الكوردي. لكن كان شيخ بارزان على علم بها. ولابد من الإشارة الى أنه في تلك المرحلة. كان يعتبر الإتصال بالمرتزقة خيانة كبرى. وكانت علاقات ملا مصطفى بالمرتزقة خفية. لكنها مكشوفة لعدد من البارزانيين. لوقام بها شخص أخر لإتهم بخيانه الحركة الكوردية وعلى الأكثر كان سيلقى حتفه. إن تراكم الثروة في بيت ملا مصطفى واستئثاره بها كشأن شخصي وعدم صرفها في الأوجه الصحيحة. زاد من شكوك شيخ بارزان في وجود حالة فساد ومظالم كفيلة بدفع المجتمع الى كارثة محققة. وكل مافي الأمر هو عامل الوقت.

وهنا أراد حماية بارزان من الفساد الذي ينخر جسد الحركة الكوردية. وأيضاً كان يرى من واجبه الروحي زرع الفضيلة على نطاق أعمق في الوسط البارزاني وتعين نائب له قبل المنية. وكان خورشيد بارزاني قد ثبت جدارته خلال تنظيم المجتمع النموذجي في شرى خلال السنوات الممتدة من عام 1959 – 1969 كما أسلفنا. وهو بطبعه شخصية مسالمة يكره العنف. ودود. بشوش ومتواضع في تعامله مع كافة الناس. فبدأ بالتحرك. يبدو أنه جرت عدة إجتماعات أو تبادل رسل بين شيخ بارزان ونائبه شيخ خورشيد. لكننا فوجئنا بصدور "أمر" من شيخ بارزان في 27 أذار من عام 1967. بالتوجه الى "مسجد بارزان" حيث في إنتظارهم نائبه "خورشيد" والإستماع الى مايقوله. ولكن لم يكن هناك "أمر إجباري" على الذهاب. وذلك لتفادي بروز حالات النفاق. تُرِك للناس حرية الإختيار. لكن بالنسبة للعضو المخلص "الأمر" هو للتنفيذ.

كنت أعيش في قرية (برزان) وشعرت ان هناك محاولة تمهيد روحي بدأت بالظهور التدريجي والمدروس بعناية وذلك خلال خلق (الجوّ الروحي المناسب) وكان هذا ضرورياً للبدء بشن الحركة الروحية للتغير. فمن أجل خلق هذا الجوّ يستوجب السيطرة على الفكر والتركيز على منحى روحي محدد. فالفكر بإمكانه خلق (المحيط أو الجوّ) وبحدد نظرتنا الى المكان. فإرتياد الأماكن المقدسة يخلق جواً من السلام والأمان العميقين. السبب يعود الى ان الإنسان يذهب اليها بروحية إيجابية مسالمة. لقد أوجد اللقاء بالمرشد والإستماع اليه في بارزان أو (شرى) جواً جديداً من الأمان والسلم والتآخي الحقيقي وقضى على الخلافات الشخصية ونزعة الكبرياء والغرور مما أوجد إنسجاماً كبيراً في المجتمع.

شخّص شيخ بارزان الوضع العام ووجد بأن حالة "الكبرياء" يمنع البعض من الترحيب بدعوته. فلو أمر بالذهاب الى "شرى" لربما أعتبر البعض من أبناء العائلة البارزانية أنها تنازل من جانبهم، أو ربما قبلوا دعوته على مضض. وهذا غير مناسب. فالتوجه يجب ان يكون صادقاً نابعاً من القلب. لذا أمر نائبه خورشيد أن يأخذ المبادرة بالتوجه الى بارزان وثم طلب من الشعب التوجه الى مسجد بارزان العريق. هنا نرى المرشد يأخذ في الحسبان الحالة السيكولوجية للمجتمع. بهذه الخطوة أجتاز بنجاح الحواجز النفسية ومهد الطريق الى حركة أوسع تشمل كل الراغبين في الانضمام الى الحركة الروحية. بعد هذا اللقاء عاد نائبه خورشيد الى "شرى" وثم إنهال المواطنون وحداناً وزرافات الى شرى مستمعين الى محاضرات نائب شيخ بارزان. بين عشية وضحاها تغير المجتمع البارزاني تغيراً جذرياً. لقد خلقت الحركة الروحية حالة فريدة من المساواة والتآلف والتواضع مما يعكس قدرة الطريقة النقشبية الهائلة في إنتاج رابطة الوحدة الفكرية والتماسك الإجتماعي المتين. لكن هذا ليس موضوع بحثنا، إذ يدخل ضمن المعرفة بالعلوم الصوفية النقشبندية، ولست من الملمين بها. وربما في المستقبل، عدت الى المنحى الإجتماعي للحركة الصوفية بشكل أكثر تفصيلاً.

لم يرتح ملا مصطفى لهذه النهضة الروحية فقد كان على الدوام يعتبر أخلاق الطريقة مناقضة لأهدافه الخفية. فهو غير متمسك بأية مبادىء، إنما يعمل على ربط كل شيء بشخصه، أي بعبارة أدق، كان يريد من المواطن إعتبار"شخص" ملا مصطفى تجسيداً لـ"المبدء" وهذا يتناقض مع فهم بارزان تناقضاً واضحاً. ومن هنا/التقلبات في مواقفه الى نقيض ماكان يدعيه كما سنرى.... لم يظهر علناً ملا مصطفى معاداته للنهضة الروحية عام 1967 لكنه كثّف علاقاته بعثمان إبن شيخ بارزان لإستخدامه. ومن ناحية أخرى حددت النهضة الروحية الصفات الأخلاقية التي ينبغي تبنيها في المجتمع السليم، من هنا أصبح

أولئك الذين قاموا بأعمال منافية للمنظومة الأخلاقيه البارزانيه شبه معزولين ومفضوحين في المجتمع الجديد وتقلص الاحترام تجاههم. كما حامت شكوك حول محاولة إغتيال صالح كانيالنجي وهو من الأتباع المخلصين للطريقة. وأن ملا مصطفى وراء المحاولة الفاشلة.

كان خورشيد بارزاني وكوادر الطريقة، سبق وان نوهنا عنهم، يقدمون أفكارهم بلغة مفهومة من جميع مستويات المجتمع، نساءً ورجالاً. وسرعان ما إتحد الناس وراء وعاظ الطريقة وتغيرت بعمق نظرة الناس الى الحياة والى العلاقات الإنسانية المتبادلة.

في هذا الأثناء حيث موجة روحية عارمة تجتاح اراضي بارزان، قصد أفراد من مدينتي حرير وباتاس شيخ بارزان، وعندما إجتمعوا بولده عثمان، ذكروا له أنه كما هو العادة في كل عام، جاءَ قبل حوالي الشهر، إثنين من رجالنا بقصد شراء الحيوانات من أهالي المنطقة، وثم يتم جمع القطيع وينزلون الى سهل حرير لبيعه من جديد الى تجار أخرين في المدن الكبيرة. وفي هذه المرة تأخر عودة ذوينا ولم تصلنا أخبار منهما. فنرجو مساعدتنا لمعرفة مصيرهم.

أجري تحقيق في القضية بشكل دقيق، وتحققوا في القرى والمسالك التي مرّ بها الرجلان ومن الرعاة الذين باعوا عدد من حيواناتهم الى شاري الغنم، ويسمى بالكوردية (Celebkir) فظهرمن نتائج التحقيق أن الرجلين ساقا قطيعهما الى أسفل من قرية "ريزان" ولكن لم تتواجد أثار على كونهما عبرا قرية "شانندر". أي ان أثار الراعيين وقطيعهما ضاعت بين القريتين المذكورتين.

تألم شيخ بارزان شديد التألم لأن هذا يمس مصداقية بارزان في الصميم، سَمِعته كما سَمِعَ المأت غيري وهو يشكو من إنحطاط هذا العمل المناقض لقيم بارزان. وكان يردد:

"لقد إشتهرت أراضينا بالأمان حتى للحيوانات والطيور الهاربة من المناطق المحيطة بنا والبعيدة عنا، أراضينا هي ملجأ لمن يهرب من البطش والظلم، لكن هذا الحادث شوه سمعتنا."

ثم إكتشف بما لايقبل الشك، أن أحد أولاد قائد الحركة الكوردية هو الذي لاحقهم في الليل مع حراسه المسلحين. كان الغنامان يصيبان قسطهما من الراحة بعد مسيرة

طويلة من النهار. وكانا ينويان التحرك باكراً مع القطيع في صباح اليوم التالي. نزولاً الى الوادي الذي يتواصل حتى مشارف خليفان. الرجلان (الغنامان) لم يحملا سلاحاً أو يؤجرا مسلحين لمرافقتهما. كانا لايشعران بأي خوف على حياتهما وهما يجتازان أراضي بارزان الآمنة.

إستغرب الغنامان من المداهمة ليلاً وهما ينويان النوم على شاطئ النهر وسط القطيع. توسلا ان لايقتلا وهم يهدون القطيع لإبن رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني. فقد عرفوه. لكن لم يجدي التوسل نفعاً. فلكي تخفى أثار الجريمة. فضل المداهمون قتلهما. فشدوا أيدي الغنامين وراء ظهورهما ثم تلاحقت الطلقات وقذفوا بجثتيهما الى النهر. واستولوا على القطيع. موزعين إياه على عدد من الرعاة كي لايعثر على أثر له.

لم يجرء أحد من البارزانيين الذين كلفهم إبن رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني. بالحفاظ على القطيع مؤقتاً. الإعتراف بحقيقة الأمر. خشية من إنتقام ملا مصطفى أو الموالين له. لكن إنكشف الأمر كله لشيخ بارزان. لم يكن من عادته تطبيق عقوبات بحق المخالفين. إنما كان بترك الأمر. كان يكتفي بالإعلان عن رفضه لأي عمل منافٍ للقيم الشرعية والإنسانية. ومن هنا رفض طلب مجيء الجاني أمامه – وهو إبن ملا مصطفى _. أما ملا مصطفى فقد تجاهل الحادث. وعين احد الجناة من الحرس الذي نفذ الجريمة. ضمن مرافقيه الخاصين. واصبح بيشمركه ذو راتب. لم يهتم ملا مصطفى ولم يندد حتى ولو شكلياً بالجريمة.

عدد من الأسئلة طرحت نفسها. هل فعلاً أن النضال الجاري كان يهدف لإنقاذ الشعب الكوردي من الظلم؟ هل مقاتلة الحكومة العراقية والمرتزقة الكورد كافٍ لتغطية كل الأعمال اللاشرعية واللاإنسانية المقترفة في الحركة الكوردية؟ هل الحركة الكوردية هي فعلاً من أجل الفقراء والمضحين كما تزعم القيادة؟ هل من المنطق أن القيادة الكوردية تعمل من أجل قيم العدالة وإعادة الحقوق المسلوبة للشعب الكوردي في حين هي تمارس الظلم واغتصاب الحقوق؟ ام الهدف كان المتاجرة بالقضية الكوردية.؟

كان من الوضوح أن هوة عميقة تفصل شعارات الحزب عن الأعمال التي ترتكبها القيادة الكوردية.

هنا واجه كل بارزاني أزمة ضمير. هل يدعم الحركة الكوردية ويضحي في سبيلها ؟ وهي منحرفة عن الأهداف المعلنة ؟ وهل يتناسب ذلك مع عقهدته؟

لم يرد شيخ بارزان إضعاف الحركة الكوردية. ولكن أمانةً منه في إرشاد الناس الى الخير. فقد ذكر للبارزانيين في مناسبات كثيرة. أنه يمكن لأي بارزاني أن ينضم الى الحركه الكوردية لكن بمعرفة تامة ووعي كامل منه بنزعة القيادة "المادية" العارمة و"الشهوة العارمة للرئاسة" وليس للقيادة صلة بالمنحى "الروحي" أو خدمة "المظلومين". وعليهم تبني الحذر الشديد من أن ماتقوم به القيادة الكوردية من مخالفات كبيرة لايستمد من وحي تعاليم بارزان إطلاقاً رغم إدعاء ملا مصطفى بخدمة بارزان.

كان هنالك العديد من البارزانيين غير المنضمين الى "جماعة شرى" يصدقون إخلاص ملا مصطفى لشيخ بارزان. فظلوا في خدمته. وهؤلاء كانوا على إعتقاد أن إلتزامهم بملا مصطفى يعني في النهاية إلتزامهم بشيخ بارزان وأن ملا مصطفى في خدمة شيخ بارزان وليس له أية مصلحة أخرى خارج نطاق شيخ بارزان. في الواقع كان ملا مصطفى يقنع هذه المجموعة لكي يبقوا معه بتلك الحجج. ولابد من أخذ مثال ماحصل لـ [ره شو خال هه مزه] وهو من المريدين المعروفين وكان يحظى بإحترام كبير في الوسط البارزاني. شاهدته مراراً وفي الحقيقة كنت ولا أزال أكن له إحتراماً كبيراً. مابين أعوام 1947 – 1958 لعب دوراً هاماً في حفاظ البارزانيين على رابطتهم الروحية وكان مناهضاً لظلم الأغوات وقد إعتبرته الحكومة العراقية خطراً فكانت تلاحقه وهو يختفي في متاهات الجبال. إثنين من أبنائه كانا لاجئين في الإتحاد السوفيتي. ميرزا أغا الإبن الأكبر. كان قد تزوج في المنفى السوفيتي. وبعد انقلاب 14 تموز عام 1958 عاد ميرزا أغا ره شو مع اسرته. ثم أصبح من الحرس الخاص لملا مصطفى عندما كان يسكن في بيت نوري سعيد في بغداد حتى عام 1961. ثم بقي معه بعد ترك بغداد الى بارزان إثر تدهور العلاقات مع عبدالكريم قاسم. وعندما هاجمت العشائر المعادية بتشجيع من الحكومة العراقية مناطق بارزان. في صيف 1961 قتل ميرزا أغا ره شو في جهة نزار. ولم يتمكن رفاقه من إنقاذ جثته فشوهت من قبل المرتزقة التابعين لأغوات الزيبار. وبقي أيتامه الثلاثة في عهدة جدّهم [ره شو خال هه مزه]. إهتم بهم ملا مصطفى فيما يخص المساعدات المالية من حين لآخر.

كان شيخ بارزان يقدر [ره شو خال هه مزه] وكان يريد منه أن يكون واعياً لأسس ومبادىء الطريقة. فكان يذكر لهؤلاء أن لاضير من البقاء مع ملا مصطفى. لكن ليس بإسم قيم ومبادىء بارزان. لكن [ره شو خال هه مزه] لم يميّز مذ! رغم التحذيرات والموقف

الصريح لشيخ بارزان. فأنضم الى ملا مصطفى ونقل أيضاً عائلة إبنة ميرزا آغا الى حيث يسكن ملا مصطفى. وكان أطفال ميرزا آغا – بنتان وولد- قد كبروا في بداية السبعينات. وقبل إنهيار الحركة الكوردية عام 1975 ، إعتدى، واحد من أبناء ملا مصطفى المدللين على [ساريا] ويمثل هذا أول حادث في تاريخ مشيخة بارزان حيث يعتدي إبن البطل القومي على شرف شهيد - بنت الشهيد ميرزا آغا وذهبت مساعي الأم ، وهي من أصل سوفيتي– كان ميرزا آغا قد تزوجها في روسيا – ذهبت مساعيها أدراج الرياح مع عائلة المعتدي لإقناعهم لإيجاد حلّ. فقد كانت تريد إنقاذ ماء الوجه للعائلتين. لكن الأم تلقت تهديدات وطردت وأهينت. ثم جعلوا البنت تَقتلُ طفلها. وفيما بعد تُقتَل (ساريا) بيد شقيقها. وتدفن في المنحدرات البعيدة التي تتراءى من مدينة [شنوى، كوردستان - إيران] من جهة الغرب. في قبر حفره شقيقها القاتل على عجل. لم يكن القبر بعيداً عن الممرات المؤدية الى كوردستان – عراق – نحو Gader . فعرف المارون بوجود جسد إنسان لم يغطى كاملاً بالتراب. وعندما أزيح عنه التراب، إذا بهم أمام جثمان إبنة [الشهيد ميرزا آغا] فنقل سراً عدد من البارزانيين المقربين من عائلة ميرزا آغا جثمانها لهلاً الى مقبرة شنوى وحفر لها قبر جديد، ودفنت هناك. لم تنتهي المأساة عند هذا الحدّ. فقد نبش قبرها للمرة الثانية، وأخرجت من جديد، وذلك بسبب، إختفاء فتاة من مدينة [شنوى] في اليوم السابق، ولم يعرف والديها أين ذهبت. وعندما إنتشر خبر وجود قبر جديد في مقبرة المدينة، ولم يكن أحد مطلعاً على موت أي مواطن في المدينة، ساورت الشكوك أبوي الفتاة المهربة من أن إبنتهما قتلت، فحفروا القبر من جديد وتأكد لهم أنها ليست إبنتهما. فووريت [ساريا] الثرى للمرة الثالثة.

أما إبن ملا مصطفى المدلل فقد بقي طليقاً يسرح ويمرح الى يومنا هذا، وكأن شيئاً لم يكن. وكانت البطانة المأجورة من الحاشية، تقوم بدورها المخطط لها في بث الدعاية لرفع شأن ملا مصطفى، وتحويل الفضيحة الى فضيلة: "لوعرف ملا مصطفى بما حصل، فإنه سيقطع إبنه إرباً إربا، لكنه ليس على علم بما جرى، إنه متعب كثيراً، ينبغي مراعاة صحته، نحن لاشيء بدونه، ولايجوز التكلم أمامه بهذا الشأن". والحق يقال، لعب ملا مصطفى دور المتجاهل بالجريمة على أحسن مايكون.

حصل إمتعاض شعبي شديد في الوسط البارزاني في منفى (كرج – عظيميه – إيران الشاه) ظهرت القهادة على حقيقتها، لكنْ كان الناس مقيدين بقيود السافاك الإيراني، وكان ملا مصطفى قد احتفظ بعد هزيمة أذار 1976 بجميع أموال الحركة الكوردية. واللاجئون معدومي الرزق. من هنا بقيت سيطرتهم على رقاب الناس الفقراء رغم التعدي المكشوف.

لقد أصيب البارزانيون بخيبة أمل كبيرة. بالأخص أولئك الذين صدقوا ملا مصطفى ورافقوه الى المنفى السوفيتي. كانوا في أشد حالة من الاحباط لكن كان وقت اتخاذ موقف جديد قد فات وليس لديهم حول او طول. كانوا في قفص محكم.

عندما بدأت الحركة النقشية بالنشاط والتوسع عام 1967 . إنضم ميرحاج أحمد عقراوي الى شيخ بارزان كلية. وهو من الضباط ذوي خبرة طويلة في الحركة الكوردية منذ بداية الأربعينات ويعرف ملا مصطفى معرفة صميمية. مروراً بتأسيس جمهورية مهاباد والإلتجاء الى الإتحاد السوفيتي والعودة الظافرة الى الوطن بعد إنقلاب 14 تموز 1958. كنا في منتجع (Sersulke) شاهدته مع عدد من أصدقائه البارزانيين الذين إلتجئوا الى بلاد السوفيت. وهو يحمل عصى. يمشي ببطئ. صعوداً في الممرات الجبلية الطويلة قاصداً شيخ بارزان في منتجعه (هوري) .

شيخ أومر شانديري. هو الأخر كان قد إلتجأ الى روسيا. ما أن عاد الى الوطن. حتى أنهى صلته بملا مصطفى وأنضم الى شيخ بارزان. وقتل في إحدى المعارك وهو يقاوم المرتزقة الكورد دفاعاً عن أراضي بارزان. كان مقاتلاً شجاعاً ويحظى بإحترام كبير في الوسط البارزاني.

سعيد ملا عبدالله هو الأخر إنضم الى شيخ بارزان وترك رفقة ملا مصطفى. وكان قد رافق الأخير الى الإتحاد السوفيتي. وهناك أخرون مثل (صالح كانيالنجي) فضلوا الإبتعاد عن قائد الثورة. لأن نتائج أعمالهم لن تكون لصالح الطبقة الفقيرة في المجتمع الكوردي.

لم تكن في بارزان ثقافة مستوردة. كان تراثاً أصيلاً نشأ من واقع حياة الشعب وتواصل في حياته الروحية ومن الأحداث التاريخية المتميزة التي عاشتها المنطقة. وكانت تتواجد في كوردستان أنذاك عدة "مناطق ثقافية متميزة"[202]

- بارزان.

[202] Mercenary Culture Prevalent in Kurdistan. b<c=C. Hishyar Barzani. www.kurdishmedia.com. also www.kcdme.com. 24/01/2007

- مناطق تحت سيطرة الحزب الديمقراطي الكوردستاني.
- مناطق يتواجد فيه نفوذ المرتزقة الكورد المرتبطين بحكومات بغداد ويحدد أعمالها العسكرية ضباط كبار في الجيش العراقي أو دوائر الأمن الحكومية.

هذه الأنماط الثقافية المختلفة كانت لها خطوط فاصلة واضحة المعالم. تتناقض وتعادي بعضها البعض في مراحل معينة وفي النهاية تندمج كما سنرى. لكن كانت قيادة الحركة الكوردية تحمل في ذهنيتها "قيم المرتزقة" ولها نفس الدوافع فيما يخص المال والرغبة الجامحة في الإدخار.

كان شيخ بارزان يمثل التراث والقيم البارزانية وكان يحرص على حمايتها من التراث المادي والمقنع بشعارات الوطنية وخدمة المضطهدين. وكان يرى في الحركة الكوردية بقيادة ملا مصطفى نزعة منحرفة متمحورة حول المصالح الذاتية. ووضّح هذا بشكل كامل للبارزانيين الحريصين على قيمهم كما حذرهم من مغبة تصديق تظاهر ملا مصطفى بالإحترام والإلتزام بقيم بارزان الروحية.

كانت الحركة الصوفية قد هيأت بهدوء، الكادر المؤهل للقيام بالمهام التنظيمية للمجتمع النموذجي. وأصبح جميع الرسل الواردة أسمائهم بـ - الأحرف اللاتينية- مصدر لإشاعة التعاليم المتعلقة بتنظيم محيطهم الإجتماعي. هؤلاء كانوا منتمين الى شتى القبائل، ولم يكن بينهم أفراد من العائلة البارزانية الحاكمة. والإلتقاء بواحد من هذه الكوادر، كان كافياً، في فهم مضمون الرسالة الروحية. ولم تعد هنالك حاجة للذهاب الى بارزان. وبمعنى أخر، لم يكن هنالك نظام مركزي صارم. فجميع هذه المراكز المتعددة، مخولة في بث التعاليم النقشية في محيطها مباشرة. وإن إستعصت مشكلة على الحلّ كانوا يراجعون بارزان أو شرى.

Saeed Omer Argoshi (Mizuri)... Sileman Ali Sefti (Nizar)

Hasan Babekir Babsefi (Welat Jeri)

Shex Isa Shemashe (Hupe, Gerdi)

Jemil Salim Kanibouti (Sherwani)

Feqareb Selki (Mizori)

Mela Ali Pendroyi (Mizori Jori)

Weli Mela Brahim Hesni (Beroji)

Mel Mehemed Bibani (Beroji)

Miqdad Ziyab. Barzan (Beroj)

Hayderi Khelani (Dolemeri)

Khaldo Zirari (Sherwani)

هؤلاء كانوا أناساً محترمين في محيطهم، مشهود لهم بحسن السلوك والتسامح ويحبون الخير للاخرين. وفق الحديث الشريف: "حب لغيرك ماتحب لنفسك وأكره لغيرك ماتكره لنفسك".

وبشكل عام كان محمد خالد راغباً في بناء علاقات مع الحكومة العراقية ولايرغب في نزاع معها. في حين كان عثمان لايرغب في التقرب من الحكومة ويميل الى دعم الحركة الكوردية. وكان شيخ بارزان غريباً حتى لدى عائلته بسبب عزوفه عن التملك وكان يذكر في مناسبات بحضور المقربين له روحياً أن: "أولادى لايفهموننى ولايدركون مقاصدي" ومن هنا أنحاز شيخ بارزان نحو الجماهير لتنفيذ برنامجه الروحي. كان التناقض واضحاً بين شيخ بارزان وبنيه.

ومن جانبه كان ملا مصطفى يعرف حق المعرفة الثوابت لدى شيخ بارزان وأنه لايتمكن من التأثير عليه إطلاقاً فبدأ يبني علاقات مع أولاد شيخ بارزان وعلى أساس الإغراءات المالية. وهنا لابد من كلمة حول أولاد شيخ بارزان ونخص بالذكر محمد خالد وهو أكبر أولاده وعثمان وهو ثاني أولاده. في حين لم يكن لدى ولدبه جمال ونذير واجبات في إدارة المنطقة. في حين كان الولد الأصغر سناً (صانع) لايزال صبياً. كان محمد خالد، قد سجن عام1947 وقضى فيها حوالي 8 أعوام. بينما كان عثمان قد تعرض للنفي. وبعد إنقلاب تموز 1958 عادت الأسرة البارزانية الى المنطقة، وأمر شيخ بارزان أن يستقر محمد خالد في ميركه سور، لتولى العلاقة مع الحكومة العراقية، في حين بقي عثمان في بارزان يعمل على تصريف الأمور المحلية الدنيوية للمنطقة، وشيخ خورشيد للأمور الروحية. وظلت هذه المعادلة تحافظ على التوازن والوحدة في المنطقة، طالما كان شيخ بارزان على قيد الحياة.

حللَ ملا مصطفى تحليلاً جيداً طريقة النفاذ الى داخل بيت شيخ بارزان لفتح ثغرة فيها لتمزيقها. وبنى خطوته هذه على اعتبارات ديمومة التسلط لما بعد وفاته، فحدد بداية تحركه بورقة تزويج أبنائه:

ثلاثة من أولاده لم يتزوجوا بعد. فأختار هو زوجاتهم حسب ما يراه من متطلبات كسب النفوذ وضمان سلطته على المجتمع .

إدريس وهو بارزاني واعى تماماً. ولكي يحصل على نفوذ من السليمانية. زوجه والده من فتاة تنتمي الى عائلة معروفة في مدينة السليمانية. والحق يقال كانت سهدة متفهمة للقضية الوطنية ولا تستسيغ الفساد الذي كان ممنتشراً في بيت ملا مصطفى.

مسعود وهو حفيد محمود أغا الزيباري لايحمل شيء من التراث البارزاني. رأى والده أن يدمج بالبارزانية عن طريق تزويجه من إبنة محمد خالد – حفيدة شيخ بارزان - وبذلك يسهل تقديمه لدرجات أرفع. وكان جده محمود أغا الزيباري وخاله زبير محمود أغا يراهنون عليه في حمايتهم وتوطيد نفوذهم وتأمين مصالحهم في المستقبل عن طريق التأثير على ملا مصطفى لتوريثه.

صابر. لم يتدخل في السياسة. تم تزويجه من فتاة من منطقة سوران وهو لم يراها.

كان ملا مصطفى قد خطط لوراثته على أسس عاطفية محضة. فأبعد عن وراثته إدريس وصابر. زوج الأخيرين من خارج القبيلة البارزانية. لقد شملت نزعة الإستبداد الطاغية لديه فرض الزواج على أبنائه – الواقع تحالفات سياسية - وفق متطلبات منطق الوراثة الذي كان يخطط له منذ البداية لكنه كان يخبيء نواياه ولايتكلم عنها. إنما يعمل من أجلها دون كلل.

كان الشقيقان (عبيدالله ولقمان) يتمتعان بشي من الاستقلالية وروح التمرد فيما يخص الطاعة المطلقة لسلطة الأب. في حين كان (إدريس ومسعود وصابر) مطيعين كلية. وقد إزداد الإحتكاك بين الأب وولديه (عبيدالله ولقمان) بسبب الإنحياز العاطفي السافر نحو إبنه مسعود وتهيأة الظروف لخلافته. كان مأخذ [عبيدالله ولقمان] على والدهم هو صلاته الخفية بالمرتزقة وعدم إبداء أي إحترام لمشاعر الناس الذين عانوا من جورهم. في حين كان الوالد يلوم ولديه لعزوفهم عن الطاعة المطلقة له. هذه الخلافات العائلية أخذت منحى سياسي فيما بعد. وأدت الى تمزق العائلة. فالصراع الشخصي بين الوالد وولديه كان يتغطى بالمبادىء والشعارات الوطنية.

كان إدريس ذكياً وبطيع والده في الحق والباطل. وهو الذي تولى المهام الصعبة مثل اللقاء الأخير بصدام حسين لتفادي المجابهة المسلحة عام 1974. وهو الذي سافر الى واشنطن للإلتقاء بـ (رتشارد هيلمز) مدير المخابرات المركزية. كما كان مسؤولاً عن العلاقات مع إيران. كان شعاره الذي ردده على مسامعي "إبق في ظل الأسد وان حطمك" ويعني بذلك

طاعة الوالد مهما كانت طريقة تعامله معه. وكان يبني استراتيجيته في التقرب من والده على ذكائه وشطارته. معتقداً أنه في مرحلة معينة. أن ذلك كفيل بنيل دعم والده والتقدم على جميع إخوته. لكن ثبت له فيما بعد. أن والده لايبني مواقفه من أولاده على أساس الذكاء والدهاء والجدارة. إنما على "العاطفة" وهنا كانت إحدى أهم عثراته. لكن كان لايريد تصحيح هذا الإنطباع الخاطيء. أو ربما لم تكن لديه الإرادة الكافية. ووالده في الحياة. وهيأ والده حبال ربطه حتى بعد موته. بحيث لايتمكن إدريس النجاة منها. بدا إدريس واضحاً في تفكيره وعرف والده حق المعرفة. فقد أطلق مقولته الشهيرة. وذلك عندما يحمي والده مسعود ويكلف إدريس بمهام غير لائقة : "إنني تلك المكنسة التي تكنس جميع [.........] بيت ملا مصطفى". لقد سمعت منه ذلك مراراً. ونصه بالكردية

" Ez ew geskim ye ku hemi [...........] mala mela Mustefay pe rraden "

كان إدريس يعبّر عن مخاوفه لدى المقربين من أن عواطف والده ستؤدي بالجميع الى كارثة محققة. كان واعياً جداً لما هو موجود في صميم والده من ميول وأفكار وخطط خفية لا تمت للمصالح الوطنية ولا للحركة التحررية الكوردية بصلة ومعادية لقيم بارزان. رغم جريان كل شيء بإسم تلك الشعارات. لكنه كان قد تعلم الطاعة المطلقة. لقد ظل ذكائه سجيناً داخل إطار الطاعة ولم يخرج منها قط. فقد كان يفتقد الى الجرأة بشكل كبير.

كانت المهام الثقيلة والخطيرة من واجب إدريس. والحق يقال كان شديد الحرص على إرضاء والده مهما كانت معاملة والده له. لقد كان يبلع المهانة بهدوء من أخيه المدلل مسعود أو من والده. لقد سعى ملا مصطفى الى جعل ذكاء إدريس فى خدمة مسعود. فلم يكن مطمئنا لمستوى ذكاء مسعود. ثم إنه كان يميل بشدة الى أخواله من المرتزقه. وهذا لم يكن مقبولاً بعد لدى الأوساط الوطنية الكوردية في مرحلة القتال. ولذا كان إدريس ضرورياً لإظهار الجانب المعادي للمرتزقة حتى تنضج الظروف وتجري تغيرات واسعة لتنفيذ عملية الوراثة. وكان مسعود ينتظر من والده القيام بمهام التوريث وبالأخص القضاء على من يعتبرون من المعارضين لعملية توريثه سواء عن طريق التصفية الجسدية او تشويه سمعتهم أو طردهم تحت ذرائع لاتمت بصلة الى نواياه الخفية. هذه المهام كانت خارج إمكانات مسعود. إنها مهمة الوالد نيابة عن الإبن. ويجب عليه أدائها قبل المنية.

وكان لكل من محمود أغا الزيباري وابنه زبير دور كبيرفي التأثير على ملا مصطفى. بالأخص بعد رحيل شيخ بارزان عام 1969. في التعجيل بإتخاذ إجراءات مشددة وملموسة لضمان عملية توريث مسعود. من الأهمية بمكان سرد ما قام به من أعمال تثير الدهشة

من تغير جذري في شخصيته. كانت هذه النزعة موجودة فيه أصلاً لكنه كان يخفيها. وقد طال الإنتظار. جائت فرصة الإفصاح عن الكبت في أعماقه بعد رحيل شيخ بارزان والإعلان عن بيان 11 أذار. إنحاز كلية الى عواطفه وظهر للجميع الخلل الواضح في وطنيته وبارزانيته ومدى استهتاره بالحزب والثورة وتحقيره للمناضلين القدامى الذين ساعدوه في تبوء قمة السلطة وبنوا التراث الذي استحوذ عليه. لكن مرتزقة الدعاية الحزبية والحاشية المأجورة ظلت تنفخ في بوق التعظيم وصنع صورة مضللة له في المخيلة الشعبية الساذجة. كانت نزعة الشيزوفرينيا في الدعاية الحزبية قوية فأعمال القائد مناقضة تماماً لما تصوره الدعاية الحزبية عنه.

عندما كانت السياسة تتعارض مع عواطفه، كان ملا مصطفى ينحاز الى العواطف ويدمر السياسة. ففي مجرى الصراع بين العاطفة ومقتضيات الواجب الوطني بقي حتى مماته يرجح كفة عواطفه. لقد تنازل بشكل واضح عن شخصيته التاريخية لصالح شخصيته العاطفية بحيث انهارت الاولى تحت ثقل الثانية. ففي إحدى المرّات تم اكتشاف شبكة تعمل في مجال العهر في منطقة (كلاله)، وظهر ان العاملين فيها هم من حاشية ملا مصطفى الغير بارزانيين، ومقربين من مسعود. مجموعة من البارزانيين ذهبوا الى ملا مصطفى وهم، لسذاجتهم، كانوا يعتقدون أنه لا يعرف بالموضوع، وإنهم إنما يخدمون زعيمهم بكشف هذه الفضيحة التي تتعارض مع كافة قيم النضال التحرري، وسوف يقدر نزاهتهم وينالون لديه الحظوة. وعندما عرضوا له ما يحصل من فساد في بلاطه في وقت يضحي البيشمركه في الجبهات دفاعاً عن الكرامة والشرف وما يجري خلف الجبهات من أعمال مخلة ومن رجال حاشيته بالذات، إذا به يمتعض كثيراً وقال لهم بتشنج واضح، مدافعاً عن رجال حاشيته:

إنني أعرفكم، كلما أحببت وقربت أحداً، فأنكم تعادونه. يجب الكف عن هذا الفساد. انصرف البارزانيون من عنده وهم يأخذون على أنفسهم عهداً بألا يفشوا له بأي عمل مناف للقيم والأخلاق.

والحقيقة أن رجال الحاشية هؤلاء كانوا يتمتعون "بحصانة" تامة، وكانوا يترددون على مدن إيران، خانى و أورمي بانتظام، ولهم صلات بعملاء السافاك، والأخير كان يعمل على إفساد المجتمع الكوردي وتغير بنيته الأخلاقية. فحصل إتفاق بين الإثنين "رجال الحاشية" و"أعضاء في سلك السافاك" لجلب العاهرات من إيران الى كوردستان وتقاسم الأرباح واللذة.

ففي عام 1970 بدأ نشاط ملا مصطفى يقل وبانت عليه مظاهر الشيخوخة. وتعرضه الى عملية إغتيال في 1971/9/29 كان بمثابة نافوس خطر لكتلة المرتزقة المناصرة لتعيين مسعود وريثا. هنا كانت الضغوط عليه قوية من الدائرة المغلقة. إذ كان موضع الخطر هو انه، إن حصل شيء لملا مصطفى ولم يقضي على أولئك الذين لايرضون بزعامة مسعود خليفة لوالده. فستكون بمثابة كارثة لعائله محمود أغا. خاصة اذا ما تولى الوراثة ولد من غير أحفاد محمود أغا الزيباري. ورغم أن أموال الثورة الكوردية كانت في متناول مسعود، الا أن ذلك لم يكن كافياً. لم تكن لمسعود شعبية وسط البارزانيين، فقد كان يحيط به عدد من الانتهازيين بفضل صلاحياته المالية. إضافة، وجود أبناء ملا مصطفى من زوجتيه الأولى والثانية، فقد يتدخلون في عملية التوريث. وعندها ستنشأ قيادة واتجاه أخر لايأخذ في الحسبان مصالح المرتزقة الذين كانوا يراهنون على مسعود. ولهذا يمكن إعتبار سنوات السبعينات سنوات حاسمة مشحونه بالمؤامرات والفتن الداخلية لترجيح عملية التوريث لصالح المرتزقة، كما سنرى.

كان ملا مصطفى قد ضمن تأييد (محمد خالد بارزاني وهو صهر مسعود) لخطته ومن هنا كان يريد فرضه رئيساً لجميع البارزانيين، لضمان عملية التوريث المعقدة لمسعود، ويقضي على"العقبة" عثمان الذي كان يعارض خطط المرتزقة الخفية، وأخذت عملية التوريث مسارات عديدة وأوجه مختلفة. ولابد من التطرق اليها ولو بإختصار.

منذ البداية كان ملا مصطفى يريد تحويل الحزب الى حزب وراثي، واموال الحركة الكوردية هي أمواله الخاصة ويريد توريثها لأسرته، وظهرت هذه النزعة لديه بشكل أوضح عند تقدمه في العمر، ونتيجة لعدم ثقته وقلة الأهمية التي كان يقابل بها المكتب السياسي للحزب، أتى بولديه إدريس ومسعود ومنحهم صلاحيات هامة أكثر مما كان يتمتع بها أعضاء المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني. هذا رغم صغر سنهما وقلة تجربتهما في الحقل السياسي، ومنح لمسعود مهمة الإشراف على جهاز الباراستن (الأمن) ، وأقيم لهما مقر خاص سمي بمقر بارزاني. وهكذا أصبح المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني يأتي في المرتبة الثالثة في سلّم قيادة الحركة الكوردية.

وعندما بدل مكتبه السياسي القديم بالجديد، وبقيت سلطته كما هي، لابل تعززت، حصل لديه انطباع ان بامكانه تغير مكاتبه السياسية متى ما يشاء، دون إنهيار زعامته لذا بعد 1964 اخذ هو يختار أعضاء مكاتبه السياسية كما يريد ومتى يريد...وانتهت عملية

الانتفاء والغربلة الطبيعية. لقد قبلت المكاتب السياسية الجديد بكل مالم يقبل به المكتب السيامي القديم. فأصبحت سلطة رئيس الحزب مطلقة.. لذا بقي لايكن لمكاتبه السياسية الكثير من الاعتبار في رسم مخططه الوراثي غيرالمعلن.

وليس هناك أدنى شك في كون المسألة الوراثية إحتلت في ذهن ملا مصطفى الأولوية على جميع إهتماماته الأخرى. وظلت محور حياته حتى مماته عام 1979. وتسبق بذلك حقوق الشعب الكوردي ومصير الحركة الكوردية والحزب الديمقراطي الكوردستاني وبارزان ومصير رفاق السلاح.

لم يأبه ملا مصطفى بعد بيان أذار عام 1970 بالإنطباع الذي يحمله البارزانيون تجاهه. إذ كانت حاجته الى مواهبهم القتالية قد تضائلت الى حدٍ كبير. فقد أنخرط الآلاف من أبناء الشعب الكوردي ومن جميع المناطق في سلك البيشمركه وتم تدجين الحزب الديمقراطي الكوردستاني. والشعب المخدوع بالشعارات الوطنية البراقة ينصاع لأوامر القيادة. وشخصياً يسيطر على نافذة حاج عمران حيث منها تأتيه الأموال والأسلحة. لقد أفرز عامل احتكار السلطة لفترات طويلة بلا محاسبة حقيقية إلى نشوء ظاهرة «حكم الرجل الأوحد» مع كل ما يصحبها من حالات الولاء الارتزاقي الانتفاعي والمحسوبية والوصولية والانتهازية المألوفة تماماً في مثل هذا النمط من الأنظمة في كل أنحاء العالم. وفي نهاية الأمر. كما شاهدنا سقط أسير أوهامه وجهله بالمتغيرات الدولية. وما عاد يوجد من حوله من يتمتع بالقدر اللازم من الوعي أو الجرأة للفت النظر أو الدعوة للإصغاء إلى تصور مختلف أو التنبه لنيات الأعداء المتربصين.

كان إدريس وهو صديق الطفولة. حيث قضينا معاً جميع سنوات المنافي في العراق. وفي المدارس من البصرة الى الموصل وثم بغداد. كان تلميذاً لامعاً وذكياً. وقد إختاره والده للمهمات الصعبة كما أشرنا الى ذلك فيما مضى.

ولابد من كلمة حول الإجراءات التي إتخذها ملا مصطفى لضمان عملية الوراثة على أسس عاطفية واضحة لما بعد موته. لاتمت لا من قريب أو بعيد للقيم الوطنية الكوردية او لقيم بارزان التاريخية. أرى من الضروري سرد الوقائع التالية.

وصل إدريس البارزاني الى لندن نهاية عام 1980 بعد نجاح الثورة الإسلامية في الإطاحة بنظام الشاه. وكان الهدف الخروج من العزلة التي وجد فيها الحزب نفسه فيها.

حيث كانت سمعة الحزب في تدني بسبب نكبة عام 1975 والعلاقات مع السافاك الإيراني والموساد الإسرائيلي والإختلاسات المالية. أستقبلته في مطار هيثرو الدولي. وفضل أن ينزل في فندق. وفي اليوم التالي من وصوله حصل إجتماع مع كل من السيد مهدي الحكيم - اغتيل في مطار السودان على يد عملاء نظام صدام حسين – وكان أيضاً بين المجتمعين سعد صالح جبر والسيد حسن النقيب. والسيد فاضل العساف. وألح على ادريس أن أحضر هذه الإجتماعات وأن أرجأ دراستي ليومين. جرى الإجتماع الأول في بيت سعد صالح جبر والأخير في بيت السيد فاضل العساف في لندن. وكان من الواضح أن الحكومة السورية على علم بهذا الإجتماع إذ كان من بين الحضور ممثل مرتبط بالمخابرات السورية وكان من أصل عراقي. إغتيل أيضاً فيما بعد في الكويت على يد عملاء نظام البعث.

وفي الأمسيات كنا نلتقي في مطعم يوناني غير بعيد عن الفندق الذي نزل فيه. وكنا على الأكثر لوحدنا في الأمسيات. عدى إستضافتنا في احدى المرات أمير الإيزدية (مير تحسين بگ). كانت مناسبة جيدة للتحدث عما سيؤول اليه الوضع بعد وفاة والده. ولم أكن أخفي عنه نظرتي السلبية تجاه العديد من مواقف والده التي ألحقت بالشعب الكوردي الدمار والذل. وكان بلا أدنى شك واعياً لكل ذلك. وبالأخص عندما كان والده يقحم عواطفه في السياسة. وقد ذكر لي بصراحة ووضوح. أن إحدى عوامل إنهيار الحركة الكوردية كان ميل والده الشديد نحو المرتزقة من أخوال مسعود. وقد حاول إطمئناني عندما شعر بأنني متأكد من تسلط نفس النزعة لدى مسعود. فقال. المهم سوف لن أسمح بأن يحصل المرتزقة من جديد على الصلاحيات الأساسية. إنما فقط بالمظهر وليس بالفعل. كن مطمئناً.

في الواقع كان هناك العديد من المخلصين الذين كانوا يرون أحقية إدريس بوراثة والده لما يتمتع به من ذكاء وقابليات سياسية. وعلى خلاف مسعود. لم تكن لدى إدريس جذور عاطفية تمتد في المحيط الإقطاعي المرتزق. فالبارزانيون بأجمعهم كانوا يفضلون إدريس على مسعود.

وعندما عدت عام 1980 الى إيران. زرته في بيته. وكان حاضراً فتاح أغا الذي نال لتوه شهادة الماجيستير من جامعة طهران _ استشهد في معركة حاج عمران - ولم يقطع فتاح آغا حديثه عند وصولي. وربما أراد أن أكون شاهداً على مايقول. موجهاً كلامه الى إدريس: "إنني أعتبرك أنت في مكان ملا مصطفى." لم يرد إدريس بالنفي بل إلتزم الصمت. لكن

مشكلة إدريس كانت في فقدان الشجاعة الشخصية وعجزه عن الإنعتاق من القيود الثقيلة التي ربطها به والده وعملية التلقين التي طالت سنوات لتطويعه الى مسعود.

وفي المرة الثانية عندما وصلت من لندن الى إيران، وعلم ادريس بوصولي، أرسل أحد حراسه يطلب مني الحضور الى منزله واللقاء به لأمر جدّ هام. كان الوقت مساءً، دخلت الغرفة التي كان يجلس فيها وكان لوحده، كئيباً وشديد الجدّية، وهذا بعض ماورد من حديث بيننا:

إنني لم أدعك تستريح من السفر، لكنني أجابه مشكلة هي الأكثر ألماً بعد وفاة والدي، وأريد منك مساندتي في محنتي الحالية.

ومالذي حصل، كي تكون في محنة هي الثانية بعد وفاة والدكم؟ وأنتظرت منه الجواب.

وذكر لي ماهو مطلوب منه أن يعمل أو بكلمة أدق "مفروض عليه" - كانت مشكلة شخصية ولا أريد التطرق إليها الا بقدر تأثيرها على خطط ملا مصطفى وإبنه مسعود في تحديد الوراثة - .

وعندما فرغ من كلامه أدركت على الفور الضغوط الهائلة التي يواجهها للتخلي عن كل شيء يخص الوراثة السياسية. كان واضحاً انه يعيش لحظة ضعف.

فقد كنت مدركاً لمقاصد التآمر هذا على مستقبل الحركة الكوردية برمتها وتأثيرها على مجري التاريخ، قلت له بوضوح وصراحة، يجب ان أكون صادقاً معك، حتى وإن سببت لك خيبة أمل في عدم مساعدتك في هذه المحنة، وسقت له حكمة كوردية معروفة، صديقك هو الذي يبكيك وعدوك هو الذي يضحكك، فمن ناحية المبادئ، وإحتراماً لما لايحصى من المعاناة والقرابين على طول التاريخ وقد إستغلتها فئة لاتنتمي الى هذا التراث، لايسعني الى وأن أحاول كل ما لدي من جهد في إبعادك عن هذا الخضوع المذل، لن أخون قناعاتي، لن أساعدك في هذه الخطوة الخطرة، لأنني ضد هذه الفكرة من الجذور وأعتبرها تآمراً لصالح المرتزقة، بهذا العمل ستتحطم سياسياً وهذا هو هدفهم الأصلي.

ردّ، وقد فهم مقصدي كاملاً ولا أشك انه في أعماقه كان مدركاً صحة ماقلته ومقتنعاً بوجهة نظري:

والدي هو الذي أوصى بهذا. شخصياً لست متحمساً للإقدام على ذلك..

إذن ما دمت لست متحمساً. لماذا إذن تقوم بهذا العمل رغم إرادتك؟ ماهو الدافع الحقيقي؟

نظر الي وهو متردد فيما سيقدم على قوله. إنني على يقين من أنه كان في لحظة ضعف إنسانية. لم يرد أن يخفي عني شئ. وعندما يكون المرء أمام محنة لاطاقة بها لوحده. ويريد أن يفصح ما في أعماقه من مشاعر صادقة الى صديق يثق به ليخفف من معاناته. قال وهو يفصح لبّ الموضوع وبصدق لالبس فيه. وهو ينظر اليّ مباشرة:
"السبب هوالمال."

كان واضحاً أن مسعود يسيطر على المال سيطرة كاملة.

وكان ردّي فوري وعلى عجل. لقد شعرت بقلق شديد وبكثافة الضغوط عليه لدخول بيت الطاعة. أيقنت خطورة الوضع وقلت: لقد خضع شعب بكامله لأوامر ملا مصطفى. أنظر أين أوصلنا. عانينا من الكوارث المتلاحقة بسبب قرارات والدكم وسنعاني من نتائجها المذلة. ومن المستفيد!

لم يناقشني في ذلك. فقد كان مقتنعاً في أعماقه. لكنه غيّر الموضوع وقال:

- لكن الا تعتقد إنني بهذه الخطوة. عندما أقترب منهم. سوف أمارس تأثيراً كبيراً عليهم وأقلل من مساوئهم.

وجدت انه لابد من أقصى الصراحة ربما أكثر مما يتوقعها:

أبداً لن تتمكن من عمل أي شئ. إنما ستصبح جزءً منهم. ستكون آلة بأيديهم وستعزز من شرّهم. لاتعزي نفسك بالأوهام. إن قبلت المقترح. سوف لن تنجو من أن تصبح جزءً من الرهط المرتزق. لاتفعل ذلك أرجوك. ومن الناحية المالية لن تعاني من أي ضنك. انقل عائلتك الى أي مكان أخر. واترك هذا الرهط. لاتفكر في نفسك وعائلتك فقط. هناك تاريخ. حاول ان تنحاز الى جانب حركة التاريخ بدل مكاسب شخصية ومادية زائلة. وسوف تلتف شرائح واسعة من الشعب حولك. وستقود النضال الكوردي بشكل أكثر وطنية وقومية وصدق مما كانت عليه الأمور من قبل. لا تضعف أمام الإغراءات التي هي لكسرك. لقد رجوته كثيراً أن يرفض إتخاذ هذه الخطوة ويفشل المؤامرة.

لقد أثر الإنصياع فقد كان متعوداً على ذلك بحكم سنين طويلة من الطاعة المطلقة لإستبداد سلطة الأب والتي عطلت لديه الشعور بالكرامة وروح المقاومة أمام مسعود.

جهودي ذهبت أدراج الرياح. فقد أرتضى الأسر. وكان ذلك أخر لقاء بيننا يتسم بالصدق والصراحة. إذ إنهار تحت الضغوط وانتاب مواقفه تغيير كلي. ولاشك أنه عانى معاناة شديدة من عملية تقمص شخصية أخرى لاتمت الى شخصيته الحقيقية بصلة أرضاءً لمسعود. وزادت أعبائه بشكل أضنته وأثرت على تدهور صحته الى حد كبير.

وفي 1987/1/31. وبشكل غير متوقع. علمت بخبر وفات إدريس وأنا في أوروبا. وبرحيله برز بشكل أكثر وضوحاً زعامة أولاد وأحفاد محمود أغا الزيباري. وكانوا حسب المخطط الخفي قد استولوا على المال وسيطروا على الحزب الديمقراطي الكوردستاني وعلى البارزانيين. وبوفاة إدريس لم يبقى ولا واحد من أولاد ملا مصطفى من طرف زوجاته البارزانيات. إذ كان صدام حسين قد قضى على عبيدالله ولقمان وصابر مع أربعة من أولاد لقمان. وسبعة وثلاثين من أفراد العائلة البارزانية. وألاف البارزانيين في عملية إبادة منظمة. وبفضل جهود ملا مصطفى وصدام حسين رغم إختلاف دوافعهما. فقد حسم الصراع الداخلي على المال والزعامة داخل بيت ملا مصطفى. لصالح أولاد وأحفاد محمود أغا الزيباري كما كان الأخير يتمناها وبحث ملا مصطفى على تحقيقها.

العلاقات مع العارفين
عبدالسلام وعبدالرحمن 1963-1968

في شهر تشرين الأول/أكتوبر 1963، والحملة البعثية على كوردستان متواصلة، برز الى العلن إنشقاق بين أقطاب حزب البعث الحاكم وإستخدم السلاح في عدة مناسبات لتصفية الخلافات الداخلية. تمكن عبدالسلام عارف بدعم من الضباط الناصريين وبعض البعثيين المسك بزمام السلطة. ومثل ذلك ثالث إنقلاب له في 1963/11/18، هذه المرة ضد حلفائه من البعثيين. وأستبشر الشعب العراقي خيراً لإزاحة كابوس مراهقي البعث. فقد كانوا في الكثير من تصرفاتهم أشبه بعصابة مستهترة ومتعطشة للدم. ومجئ حزب البعث الى الحكم يمثل أول تجربة لحزب عراقي في العهد الجمهوري، يحكم بالحديد والنار ويبني علاقات مع طهران وأنقره ودمشق وتتعاون هذه الدول لسحق الحركة الكوردية. لم يكمل البعثيون عاماً واحداً في الحكم عندما أزاحهم القوميون العرب من أنصار جمال عبدالناصر ضمن قادة الجيش العراقي، فعاد الجيش الى الحكم من جديد، وأصبح عبدالسلام عارف رئيساً للبلاد.

سمة تغيير الحكم في بغداد يتمثل في الإنقلاب العسكري الدموي، فقد شهدت الفترة بين 1958 – 1968 أربع تغييرات في الأنظمة العراقية، إضافة الى تسعة محاولات إنقلابية وعدد أكبر من محاولات إنقلاب غير واضحة. والقوة هي التي استخدمت في الحالة الكوردية أيضاً، فقد هاجم ملا مصطفى قوات الحزب الديمقراطي الكوردستاني التابعة للمكتب السياسي، مما أدى الى هزيمتها ولجوئها إلى إيران.

كما هي العادة في تاريخ الحكومات العراقية التي جائت عن طريق إنقلاب عسكري، يعلن الإنقلابيون هدنة مع قيادة الحركة الكوردية وقد يعبرون عن حسن النية ووعد بإجراء المناقشات لإيجاد حلّ للقضية الكوردية، والهدف الرئيسي هو في الواقع تصفية الخصوم داخل الجيش والمعارضة المدنية لتثبيت حكمهم، وثم القيام بعمليات عسكرية ضد معاقل الحركة الكوردية. وتقريباً في كل مرة وتحت ذريعة، ان البيشمركة يعاني من التعب والشعب الكوردي يحتاج الى بعض الراحة، ترحب قيادة الحركة الكوردية بالمبادرة الحكومية وتوقف جميع العمليات العسكرية وتبدأ الإستعدادات للمفاوضات ويقوم أعضاء في المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني بزيارة بغداد وتهيأة وثائق عن المطالب الكوردية من الحكومة المركزية.

الرئيس الجديد عبدالسلام عارف كان من المعجبين بجمال عبدالناصر. والأخير نصحه بضرورة تسوية سلمية للقضية الكوردية. كما أرسل قوات مصرية لحمايته من إنتقام بعثي. وهذا ما أثار قلق شاه إيران وتولد لديه ميل لمساعدة الحركة الكوردية بشكل أوسع.

ويذكر القيادي شكيب عقراوي: "كان النشاط السري لأجهزة المخابرات الايرانية في محافظتي كركوك والسليمانية قويا وظاهرا وكذلك في قضاء خانقين..... وفي محافظة أربيل استطاع جهاز (السافاك) تجنيد وكلاء، ومعتمدين له في مقر المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني و كذلك في مقر البارزاني."[203]

وجد نظام عارف انه بحاجة الى بناء العلاقات الخارجية مع الإتحاد السوفيتي. ولم يكن ذلك سهلاً إذ أن سياسة التنكيل الوحشي بالحزب الشيوعي العراقي وسياسة الأرض المحروقة في كوردستان، في ظل حكم البعث، كانت موضع نقد شديد من قبل الإتحاد السوفيتي. وأي تحسن معه كان يتطلب تحسين العلاقات على المسارين، مع الحزب الشيوعي العراقي ومع الحركة الكوردية. بالتدريج وبتدخل من ناصر، تحسنت العلاقات بين بغداد وموسكو.

والجدير بالذكرأن حكومة البعث وخلافاً للأعراف والأخلاق، كانت قد إعتقلت أعضاء الوفد الكوردي المفاوض في 9 حزيران 1963 في بغداد وتعرض أعضائه للتعذيب الوحشي في السجن، ضمنهم القيادي صالح اليوسفي. كما قام العميد الركن صديق مصطفى أمر اللواء العشرين بجريمة بشعة بحق أهالي السليمانية ودفن العشرات من مواطنيها وهم أحياء في مقبرة جماعية صيف عام 1963. :كما اعدم المقدم الركن طه الشكرجي أمر القطاع العسكري في كويسنجق مجموعة من مواطني المدينة وعلق أجسادهم على أعمدة الكهرباء، وكان يدعوا علناً الى إبادة الأكراد.[204]

وعندما قرر حزب البعث في 1963/6/10 شن الحملة العسكرية على كوردستان، عارض الرئيس جمال عبدالناصر واستنكر الحملة، فزادت من حدة الخلافات بين القاهرة وبغداد. وكان الضباط القوميون من مؤيدي ناصر داخل الجيش العراقي متربصين بالبعث، وأستغلوا فرصة نشوب مشاكل داخلية ضمن البعث، فتمكنوا إزاحة حكم البعث في 1963/11/18.

---

[203] سنوات المحنة في كوردستان شكيب عقراوي. تموز 2007. ص:186-187

[204] سنوات المحنة في كوردستان شكيب عقراوي تموز 2007. ص:138 - 139

وبعد نجاح الإنقلاب، طلبت الحكومة الجديدة برأسة عبدالسلام عارف، من ضباط الإرتباط التركي والإيراني مغادرة الأراضي العراقية حيث كانا في الموصل وكركوك لدعم جهود البعث العسكرية في القضاء على الحركة الكوردية أثناء الحملة البعثية الأولى على كوردستان في صيف عام 1963. كما طلبت الحكومة الجديدة مغادرة الجيش السوري للأراضي العراقية، والذي اشترك في حملة البعث العراقي من صيف نفس العام على مناطق بادينان. وعلى أثر هذا الطلب الرسمي، إنسحب اللواء السوري في 1963/11/28 وعاد أدراجه الى سوريا بعد ان تكبد خسائر لايستهان بها.[205]

عبدالسلام عارف كان من أنصار الحلّ العسكري ولايكن لحقوق الشعب الكوردي أي احترام. لكنه ربما كان يدرك، أن ماحصل للجيش العراقي من تصفيات منذ عام 1963 والى عام 1964، والتحاق معظم الضباط الكورد والشيوعيون بالحركة الكوردية، أضعفت الجيش العراقي الى حد كبير. مما لايعطيه مجال مواصلة القتال على الأقل مباشرة بعد نجاح إنقلابه ضد رفاقه البعثيين. وكان عليه مواجهة الحرس القومي البعثي، وهي قوة نمت في ظل حكم البعث، كما ان معاداة السوفييت لحملات الإبادة البعثية ضد الحزب الشيوعي العراقي والحملة على كوردستان، أدى الى تقليص كبير في معدات الجيش العراقي من الأسلحة السوفيتية. إضافة الى كل ذلك عانى الجيش العراقي من تدهور كبير في معنوياته نتيجة هزائمه في كوردستان. ولذا مال عارف نحو تهدأة الجبهة الكوردستانية لكسب الوقت.

سعى عبدالسلام عارف إظهار حسن نيته عن طريق شيخ بارزان، وبابا علي إبن الشيخ محمود لحث ملا مصطفى على الوصول الى تفاهم. كما طلب عبدالسلام عارف من العميد عبدالرزاق محمود محافظ السليمانية في شهركانون الاول/ديسمبر 1963 الإتصال بملا مصطفى فالتقى الإثنان لبحث وقف إطلاق النار. وحصل توجه نحو الحل السلمي أثناء القمة العربية في القاهرة في كانون الثاني 1964 إذ حث جمال عبدالناصر و بن بلا وزعماء أخرين، المشير عبدالسلام العمل باتجاه حل سلمي.[206] تأثرت المفاوضات بالخلافات بين ملا مصطفى والمكتب السياسي لحدك ولم تكن هناك مطالب جدية. وكان ملا مصطفى يخشى من تزايد شعبية الحزب، فأراد لجمه. وتفاوض شخصياً مع الحكومة. وتوصل الى حل مع عبدالسلام عارف بمعزل عن القيادة السياسية للحزب ومبدأ القرارات الجماعية، الى إتفاق في 10 شباط 1964. وفي الواقع كان ملا مصطفى قد تجاوز صلاحياته حسب دستور

---

[205] سنوات المحنة في كوردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007 ص: 138 - 141

[206] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981. P: 156

الحزب. برر ملا مصطفى الإتفاق مع المشير عارف بحجة ان هناك ضغط أمريكي عليه للتفاهم، وانه تلقى ثلاث طلبات من واشنطن بهذا الشأن[207] - حاولت البحث عن أرشيف يثبت ذلك، لكن لم أعثر على شئ، بل العكس حاولت أمريكا عدم التورط مع الحركة الكوردية حتى عام 1972. وقدمت الحكومة العراقية الى ملا مصطفى خلال الأشهر الثلاث شباط ،أذار ونيسان معونة مالية تجاوزت ربع مليون دينار عراقي.[208] كان الهدف الحكومي تعميق الخلافات بين ملا مصطفى والمكتب السياسي، ولم يتطلب ذلك جهداً من الحكومة العراقية، إنما كانت هدية مجانية من الزعامة الكوردية. فدعمت بغداد ملا مصطفى بالمال والأرزاق، وعزز هذا من مركزه على حساب إضعاف المكتب السياسي، وكان ذلك هدف عارف من اسناد ملا مصطفى وعزل المكتب السياسي لحدك.

وقف المكتب السياسي ضد هذه الإتفاقية التي إعتبرها إستسلاماً ولاتتناسب مع ما قدمه الشعب الكوردي من تضحيات. في حين أستخدمها ملا مصطفى لضرب نفوذ الحزب المتنامي وترسيخ القبضة العشائرية والشخصية التي استفزت بفعل النشاط السياسي للحزب بين الجماهير الكوردستانية. ويقول سعد جواد عن موقف عارف الذي: "أشاد بملا مصطفى، واتهم"حدك بدعاة حرب" وانهم جواسيس وعملاء للامبريالية وانهم يضعون العلاقات العربية الكوردية في خطر. وذهب الى أبعد من هذا ليهدد بإستخدام القوة ضد أي مجموعة تعارض ملا مصطفى."[209]

ولكي نفهم طبيعة الحوار الذي جرى بين الوفد الحكومي والقيادة الكوردية، لابد من سرد ماحصل أثناء النقاش الذي جرى بين الإثنين، نحن أمام إنحطاط مخيف للقيم الوطنية والأخلاق الثورية، ينزل الى مستوى الإستهتار بنضال شعب يواجه حرباً ضروساً تهدد كيانه. كان الحوار بين الهزل والجد، ولايمكن إطلاق صفة مفاوضات، إنها أقرب الى لعبة "أطفال وهم في حالة زعل".

ففي شهر أيار 1964 أعلن: "رئيس الوزراء (طاهر يحي) دستور الدولة العراقية المؤقت ولم يكن فيه ذكر واضح لحقوق الشعب الكوردي ضمن الوحدة الوطنية العراقية. فأثار ذلك ثائرة المكتب السياسي الى أقصى حدّ."[210]

---

[207] الحرب الكوردية وانشقاق 1964. ديفيد ادامسن و جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 67

[208] سنوات المحنة في كوردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007 ص:160

[209] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981. P:158

[210] الحرب الكوردية وانشقاق 1964. ديفيد ادامسن و جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ص:50

تظاهر الجانبان، ملا مصطفى والمكتب السياسي بنبذ خلافاتهما نهاية شهر ايار عام 1964، وتم الإتفاق على لقاء بينهما في رانية. وبوصول إبراهيم أحمد وجلال الطالباني الى مقرّ ملا مصطفى، وصل في الوقت ذاته وفد حكومي من بغداد برئاسة رئيس الوزراء طاهر يحي، يحمل قرآناً هدية لملا مصطفى من أخيه عبدالسلام عارف."[211]

وكان برفقة طاهر يحي، قائد الفرقة الثانية العميد الركن ابراهيم فيصل الانصاري والعقيد هادي خماس مدير الإستخبارات العسكرية ووزير الداخلية صبحي عبدالحميد ومتصرف السليمانية عبدالرزاق سيد محمود الارحيم وفؤاد عارف الوزير وأخرين.

وحضر الإجتماع الأول ملا مصطفى نفسه وقال طاهر يحي موجهاً كلامه لملا مصطفى:
أيمكن ان تعرفني بما تريده؟
ارجو من الوفد الرّسمي الإيعاز الى موظفي الحكومة المختصين بمنحي جواز سفر وسمة خروج الى ايران.
فراح الوفد يستفسر منه وبلغ عليه بشرح الداعي لمطلبه هذا وقد اخذ على حين غرّة. فقال موجهاً الحديث لطاهر يحي:

جئت تحمل لي قرآناً وطلبي هو تحقيق ماجاء في أحكامه. في اذاعتكم تتكلمون عن القومية العربية لكنكم نسيتم وجود قومية اخرى. ان حكومتكم لاتبدى أية مساعدة لي ولذلك وجدت من الأفضل أن أغادر البلاد الى غير رجعة."

"راح أعضاء الوفد وقد صدقوا قوله يرجونه العدول عما اعتزمه و (البارزاني) يتظاهر بالإصرار..... وبالأخير وافق على البقاء! الا انه ابى المشاركة في المحادثات. وعبثاً حاول الوفد الحكومي إشراكه عن طريق توجيه الأسئلة اليه اذ كان يجيب:
هنا ممثلون للحزب الديمقراطي الكوردستاني والعشائر كلموهم.

كان خلافاً لممثلي الحزب من زعماء القبائل الكوردية كلٌ من [عباس مامند أغا] و [شيخ حسين بوسكين] و [بابير أغا بشدري] و [كاك حمه زياد أغا كويسنجق] و [أنور بك بيتواته] واثنان او ثلاثة أخرون لاتحضرني اسمائهم.

بالنسبة لوفد الحكومة العراقية الخلافات الكوردية ظاهرة واضحة للعيان.

---

[211] الحرب الكوردية والشقاق 1964. ديفيد ادامس و جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ص 50

ويمضي جرجيس فتح الله الى القول:

"..... من أهم مانطرقت اليه المحادثات التركيز على نقطة مباشرة من الخلاف ربما بدت جانبية وهي اللغة التي صيغ بها الدستور المؤقت الجديد واصرّ [ابراهيم وجلال] على وجوب التنويه بالشعب الكوردي تنويهاً واضحاً وقال [ابراهيم]:

لامناص من ان يرد ذكر الشعب الكوردي في الدستور المؤقت والاّ كان المنظور الينا كمجرد قبيلة من القبائل العديدة التي تسكن العراق. عندما تقرون بأننا شعب فعليكم ان تسلموا لنا بحق القرار على ارضنا وان تمكّنونا منها.



طاهر يحي وملا مصطفى 1964

وبعد جدال حول هذه النقطة وافق [طاهر يحي] مبدئياً على إجراء تعديل في الدستور بحيث يتضمن ذكراً واضحاً للشعب الكوردي وحقوقه لكنّه أصرّ على القول بأن القرار النهائي في أي شكل سيتم به تحديد وتعريف تلك الحقوق، سيكون من مهمات البرلمان العراقي."[212]

ويعلق جرجيس فتح الله:

"هذا المنطق الذي جاء به رئيس الوزراء أثار سؤالاً يستبطن جوابه: الدستور المؤقت لم يضعه برلمان كما انه لاوجود لبرلمان حالياً. فماذا سيكون وضع الكورد السياسي والقانوني خلال الفترة التي تسبق وجود مثل هذا البرلمان؟

[212] الحرب الكوردية وانشقاق 1964 ديفيد ادامس و جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 52

في واقع الأمر كان الوفد الحكومي شديد العداء للحقوق القومية الكوردية. فعندما تكلم جلال الطالباني عن مناظر كوردستان الخلابة، ونطق باسم كوردستان، بلغ الإنفعال بالعقيد هادي خماس غايته لسماعه اسم كوردستان وقال بعصبية ظاهرة وبالعربية الدارجة:

"هم كول أنا مو انفصالي." ساد الجو إنفعال شديد وراح جلال الطالباني يهدأ من روعه وان الكلمة لاتعني بالضرورة الدعوة الى تأسيس دولة كوردية، لكن دون جدوى.

كان الجو السائد بين رئيس الحزب ومكتبه السياسي جو مشحون بالشك والريبة والتآمر ولم يحتاطوا حذراً لوجود خصم يتطاير حتى من لفظ كوردستان.

وأخيراً تقرر ان يبقى الوفد الحكومي ليلة اخرى وان يتولى الجانب الكوردي تهيئة صيغة مقترحات قد تحرز قبولاً من الحكومة العراقية.

ويقول جرجيس فتح الله: "يذكر قادة الحزب المشاركون ان الوفد الرسمي اجتمع ليلتها [بالبارزاني] وانه ابلغهم خلال الاجتماع بانه لايملك اية مطالب. لكنه في ليلتها ارسل [صالح اليوسفي] ليوصي عن لسانه كُلاً من [إبراهيم وجلال] بألاّ يتساهلا في مقترحاتهما وان يتصلبا في مطالبهما قال لنا"اطلبوا ما تشاؤون" على حدّ تعبير [ابراهيم].[213]

تولد شعور لدى عضوا المكتب السياسي من ان ملا مصطفى "ينصب لهم فخاً" لذا أظهرا مرونة ووافقا على التمتع ببعض الحقوق الإدارية للمحافظات الكوردية الى ان يتوصل البرلمان القادم الى حلّ نهائي. كانت مطالب في غاية البساطة مثل ان يكون رجال الادارة في المناطق الكوردية من الكورد وبعض الحقوق الإدارية للمحافظات الكوردية. هذه المقترحات حملها ابراهيم احمد وقرنها عليه – على ملا مصطفى - وبعد الإصغاء كان رده بعبارة مبهمة: "كلا اني مع الشعب"

ويمضي جرجيس فتح الله: "في اليوم التالي تُلي مجمل المقترحات على رئيس الوزراء وأعضاء الوفد فعلّق غاضباً:

أخيراً والأن فقط تأكد لي بانكم (يقصد جماعة الحزب) اعداء السلام في شمال العراق.

أجابه [ابراهيم] قائلاً:

أنا لا أهتم كيف تنظر اليّ مادامت ثقة الشعب بي قائمة.

وتهيأ رئيس الوزراء لمغادرة غرفة الإجتماع وهو يقول:

---

[213] الحرب الكوردية وانشقاق 1964 ديفيد ادامسن و جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 53

كل من يقبل بهذه الشروط فهو خائن.

عندها أنذره (ابراهيم وجلال) بقولهما ان المكتب السياسي على استعداد للقتال فاجاب:

انتم لاتزيدون عن عشرة

أخطأت بهذا فالشعب معنا.

أنتم لاتتمتعون حتى بثقة البارزاني) ومساندته. الا فلنسأله الآن.

ابتسم [ملا مصطفى] وقال بلهجة ظاهرة السخرية:

أطلب من والدنا المحبوب [عبدالسلام محمد عارف] ان يَصدر عفواً عنا نحن المجرمين. هذا كل ما اطلبه ولا أكثر!

عاد الوفد الحكومي الى بغداد دون ان يتوصل الطرفان الى اي نتيجة.[214]

في واقع الأمر كانت المشكلة الرئيسية هي بين رئيس الحزب والمكتب السياسي للحزب. وهي تظهر المدى الذي إنحدرت اليه القيم القومية والنضالية.

في كل الأحوال، شهر العسل لم يدم طويلاً بين عارف وملا مصطفى، فقد كان الصراع حاداً بين أجنحة الحكم، من عسكريين يريدون القضاء على الحركة الكوردية بقوة السلاح وبين جناح مدني راغب في الحلّ السلمي. ونجحت كفة الجناح العسكري، ففي تعديل وزاري في 5 أذار 1965 تم تعيين الفريق الطيار عارف عبدالرزاق رئيساً للوزراء وهو من أنصار استئناف القتال في كوردستان. خاصة كان واضحاً ان خلافاً عميقاً يسود داخل قيادة الحركة الكوردية بين جناح يميل نحو التنظيم العصري وجناح قبلي مصمم على فرض إرادته بقوة السلاح.

بدأت الحرب الثالثة وشن الجيش حملته في 3 نيسان/ابريل 1965 على نطاق واسع ضد المواقع الكوردية، وكان الإتحاد السوفيتي قد حسّن علاقاته بحكومة عارف، وزودت الجيش العراقي من جديد بالسلاح والعتاد. وأشترك المرتزقة الكورد في العمليات العسكرية بصورة فعالة الى جنب الجيش العراقي وعددهم يربوا على 30 ألفاً تحت قيادة الأغوات. لقد أصبحت مهنة الإرتزاق، مهنة مربحة للأغوات، فأصبحوا أثرياء بسرعة، وتمتعوا بصلاحيات واسعة. استمرت الحرب زهاء العام، دون ان ينال اي طرف النصر الحاسم. دارت الحرب على النمط القديم، فالقوات الحكومية تحتل المدن والقصبات الكبيرة والقرى، بينما ينسحب البيشمركة نحو الجبال الوعرة ويقومون بهجمات على طريقة الكرّ والفرّ. لكن في هذه الحرب منعت الحكومة تسرب المعلومات عن الحرب الدائرة. يرى

---

[214] الحرب الكوردية وانشقاق 1964. ديفيد ادامسن و جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 54

البعض انه نتج من إستئناف القتال توحيد الصف الكوردي. بعد إلتجاء فريق المكتب السياسي الى إيران إثر إغارة ملا مصطفى على مواقعهم. فعادوا واشتركوا في المعارك ضد حملات الجيش العراقي.

خلال شهري ايار وحزيران من عام 1965 من القتال في جبل سفين المطل على مدينة شقلاوة تمكن لواء المشاة الرابع من الفرقة الاولى إحتلال جزء من جبل سفين. وفي قاطع السليمانية. في منتصف شهر ايار هاجم جحفل لواء مشاة على مقر قوة (رزگاري) وتمكن الجيش العراقي احتلال مواقع في جبل (پيره مگرون). لكن تمكنت القوات الكوردية بقيادة الملازم طارق احمد استعادة السيطرة على الجبل واضطر الجيش العراقي الى الإنسحاب الى (دوكان). وحصلت معارك في منطقة (قرداغ) حيث واجهت صمود القوات الكوردية بقيادة حميد برواري. وفي 25 حزيران احتلت فوج مشاة جبل (أزمر) ثم تابعت الى ان وصلت بلدة (جوارتا). وفي نهاية شهر حزيران احتلت قوة من الفرقة الخامسة بلدة (پنجوين) الحدودية. كما حصل قتال شديد في جهة (راوندوز). وعززت القوات الحكومية من تحصيناتها في معسكرات راوندوز. خليفان. هاوديان. وجبل كورك وبإسناد قوات هامة من المرتزقة الكورد.[215]

أثناء هذه المعارك. كانت هناك جهود مع السافاك الإيراني للسماح بمرور المساعدات. فسمح في شهر ايار 1965 مرور سبعة مدافع هاون الى كوردستان. وجرى تدريب طاقم كوردي. وكان لهذا أثر في تحسن الحالة العسكرية في جهة (بالك). رغم خسارة بعض المواقع في صيف عام 1965. حافظت الحركة الكوردية على روح المقاومة ولم تتمكن بغداد من تحقيق أي نصر حاسم.

في 1965/9/14 قام الفريق الطيار عارف عبدالرزاق القهام بانقلاب عسكري للإطاحة بعبدالسلام عارف. الأخير كان موجوداً في المغرب أثناء مؤتمرالقمة العربية. فشلت المحاولة في اليوم التالي. وهرب عارف عبدالرزاق الى القاهرة بطائرته. ثم شكل المشير عبدالسلام عارف وزارة جديدة في 16 /9/ 1965 برئاسة الدكتورعبدالرحمن البزاز. والأخير من الجناح المدني للسلطة. كما عين عبدالعزيز العقيلي وزيراً للدفاع وهو من أنصار القضاء على الحركة الكوردية بالقوة. وكان يصف الحركة الكوردية بأنها تنوى إنشاء إسرائيل ثانية. فالجناح المدني بقيادة البزاز يميل الى إيجاد حل سياسي للقضية الكوردية بينما الجناح

---

[215] سنوات المحنة في كوردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص. 192

العسكري كان من أنصار استخدام القوة. وقبول العقيلي لوزارة الدفاع كانت مشروطة بتكثيف الحملة العسكرية في كوردستان.[216]

وبموجب الخطط التي وضعها واحد من غلاة القوميين، اللواء الركن عبدالعزيز العقيلي، هاجم الجيش العراقي في شتاء 1965- 1966 معاقل الحركة الكوردية للحيلولة دون استغلال القوات الكوردية فترة الشتاء للراحة. ففي بداية شهر كانون الأول /ديسمبر 1965 وصل ملا مصطفى الى منطقة بنجوين ومعه قوات كبيرة للهجوم على معسكرات الجيش العراقي. دامت المعارك لعدة أسابيع مع إسناد مدفعية الجيش الإيراني لقوات الحركة الكوردية، الا انهم فشلوا في احتلال المعسكر[217]. وحصل نقد إعلامي شديد متبادل بين طهران وبغداد في نهاية عام 1965 وبداية عام 1966. إضطرت القوات الكوردية الإنسحاب من عدد من المواقع الهامة..

كان المهندس شوكت عقراوي ممثلاً عن الحركة الكوردية في القاهرة، وأقام علاقات جيدة مع الصحفي المعروف محمد حسنين هيكل، وعن طريقه مع جمال عبدالناصر. أصبح نشاطه في القاهرة مبعث سخط لدى أقطاب نظام عارف، فأرسل الأخير وفداً رفيع المستوى لإقناع جمال عبدالناصر بقطع العلاقة مع القيادة الكوردية. وهكذا طلبت السلطات المصرية من شوكت عقراوي مغادرة الأراضي المصرية.[218]

كان شوكت شخصية وطنية مخلصة ويميل الى الطبقات الفقيرة من أبناء الشعب الكوردي، ومتعلق ببارزان، كما كان شديد النفور من المرتزقة بشكل عام وبالأخص من أخوال مسعود من أغوات الزيبار الذين أذاقوا مواطني عقرة صنوفاً من الذل والمظالم. ففي إحدى المرات حكى على مسمع عدد من الأصدقاء قصة إبنه (بيرس) الذي كان لايزال صغير السن. روى شوكت:" قلت لإبني، هل تعلم أن مسعود إبن ملا مصطفى هو حفيد محمود أغا الزيباري؟ إندهش (بيرس) من هذا الخبر وقال، كلا لا أصدقك! أنت تمازح، وعندما أكدت له ذلك وإنني جاد فيما أقول، ظل يردد، كيف يمكن ان يكون هذا صحيحاً، هذا مستحيل...! حكى هذه القصة ومسعود موجود يسمع. إن مجرد حكاية مثل هذه كانت كفيلة بسحب كل الدعم عنه لاكن بحجج أخرى لاتمت بصلة الى الواقع. فرغم الجانب العفوي والنيات الحسنة من جانب شوكت، تولدت حساسية لدى ملا مصطفى ولم

---

[216] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970 Saad Jawad Ithaca Press London 1981. P:180

[217] سنوات المحنة في كوردستان شكيب عقراوي تموز 2007 ص: 199

[218] سنوات المحنة في كوردستان. شكيب عقراوي تموز 2007. ص: 197

بمنسفه. رغم مواهب شوكت النضالية المعروفة. وفي النهاية إغتاله عملاء صدام حسين وهو في المستشفى في بغداد.

وعندما غادر شوكت عقراوي الأراضي المصرية وأراد العودة الى كوردستان عن طريق طهران، عاملته السلطات الإيرانية معاملة غير لائقة. بسبب وجوده في القاهرة وسعيه كسب التأيد من العالم العربي للقضية الكوردية، ولكراهية الشاه لنظام ناصر.[219]

كانت الحملة الشتائية التي نادى بها عبدالعزيز العقيلي، بمثابة تمهيد للحملة الأخيرة ضد مقرّ ملا مصطفى والمقرر البدء بها في شهر نيسان من عام 1966. لكن قبل تنفيذ الجيش العراقي لهذه الخطة. لقى عبدالسلام عارف مصرعه أثناء سقوط المروحية التي كانت تقله الى البصرة. وعلى أثر الحادث إجتمع قادة الجيش في بغداد وتقرر في 1966/4/16 تعيين عبدالرحمن عارف رئيساً للجمهورية خلفاً لشقيقه الراحل. في بداية تعيينه، لم يكن الرئيس الجديد راغباً في استمرار القتال في كوردستان، لكن حسب مايقوله القيادي شكيب عقراوي: " لم يكن بإمكانه فرض رأيه على قادة الجيش العراقي المتطرفين الذين كانوا قد صمموا على مواصلة الحرب بهدف سحق الثورة الكوردية."[220]

كان الوقت قد حان لواحدة من أهم العمليات العسكرية العراقية "حملة الربيع" وهي من خطط العقيلي، سميت بـ "توكلنا على الله" والخطة كانت تهدف السيطرة على طريق هاملتن والتي تبدأ من راوندوز الى الحدود العراقية الإيرانية، وعليها بطول ثلاثين ميلاً كانت تتواجد مقرات ومواقع الحركة الكوردية وبالأخص مقرّ ملا مصطفى. وكان قادة الجيش العراقي يعتقدون ان هذه الحملة ستستغرق شهراً كاملاً، خاصة ان الإستعدادات الأولية نفذت في الشتاء المنصرم.[221]

وبالنسبة للجانب الكوردي مثلت هذه المعركة واحدة من أهم المعارك التي خاضتها الحركة الكوردية في كل تاريخها، فإن كانت بعض المعارك الأخرى تتسم بالمقاومة على طريقة البطولات القبلية ووفق الأسلوب القبلي، حيث يقاوم رؤساء القبائل مع أفراد عشائرهم المسلحين هجمات الجيش العراقي ويحرزون النصر، إتسمت هذه المعركة بالتخطيط العسكري الحديث وبالمقدرة على مواجهة جيش عصري بكامل تجهيزاته الحديثة، نحن هنا امام مقاومة ارتقت من حيث التخطيط والتنفيذ الى مستوى حركة

[219] سنوات المحنة في كوردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 197

[220] سنوات المحنة في كوردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 203

[221] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981. P. 197

عصرية في حرب تحرير قومية كسائر حركات التحرر الناجحة في العالم. وحسب مايذكره ضباط إسرائيليون فإنهم كانوا وراء تصميم هذه الخطط الناجحة.

يذكر (شكيب عقراوي) وهو واحد من أهم الشخصيات في جهاز الباراستن (الأمن)" لقد احتشدت في منطقة (رواندوز) في ذلك الوقت فرقة من الجيش العراقي مع بضعة الاف من الفرسان الاكراد وقاد الفرسان الزيباريون (من عشيرة زيبار) الهجوم على جبل هندرين"[222].

كان الهجوم العسكري يستهدف الوصول الى حاج عمران وفصل كوردستان المحررة الى منطقتين يسهل فيهما بعد السيطرة عليها، ويؤدي ذلك الى قطع المساعدات اللوجستية الايرانية عن قيادة الحركة الكوردية.

وتمكن لواء المشاة الرابع من الفرقة الثانية بمساعدة الفرسان الأكراد من عشيرة الزيبار، احتلال جبل (هندرين) في 2 مايو/ايار 1966 . إعتبر ذلك نصراً عسكرياً هاماً للجيش العراقي.

كانت قوات الحزب الشيوعي العراقي في كوردستان أكثر تنظيماً من قوات الحزب الديمقراطي الكوردستاني، وكانت لديهم مسؤولية الدفاع عن هذا الجبل الإستراتيجي. فاخر محمد أغا ميركه سوري كان يقود هذه القوة من الأنصار. وهو من أقرباء ملا مصطفى، وكان فاخر "قد اشتهر في ذلك الوقت بالبطولة والإقدام وبرز اسمه في المعارك الشديدة التي حدثت مع قوات الجيش العراقي في الأعوام 1963 و 1965 و 1966 ."[223]

"كان الملازم نعمان علوان قد برز اسمه في ذلك الوقت ضمن قادة الحزب الشيوعي العراقي العسكريين وقد سبق وان كان ضابطاً في الجيش العراقي وكان جسوراً ومقداماً وخبيراً في أمور المدفعية."[224]

---

[222] سنوات المحنة في كردستان اهم الحوادث السياسية والعسكرية في كردستان والعراق من 1958 الى 1980 . المحامي شكيب عقراوي. تموز 2007 . مطبعة منارة - أربيل ص :202 .

[223] سنوات المحنة في كردستان اهم الحوادث السياسية والعسكرية في كردستان والعراق من 1958 الى 1980 . المحامي شكيب عقراوي تموز 2007 . مطبعة منارة - أربيل ص :203 .

[224] ن م س . ص : 203

"باشر رجال المدفعية باشراف الملازم نعمان علوان بقصف مقرّ اللواء الرابع للجيش العراقي في جبل (هندرين) لعدة ساعات. وكان القصف مركزاً ودقيقاً ومؤثراً. وكان منتسبوا اللواء الرابع للجيش العراقي يقيمون في خيم مؤقته ويحاولون بناء رباياهم ويضعون استحكاماتهم ويحاولون تثبيت مواقعهم بعد احتلالهم للجبل.

وكان الفرسان الزيباريين قد انسحبوا من الجبل بعد احتلاله في يوم 2 مايو/ايار 1966.

بدأ هجوم الثوار الاكراد على الجبل في 12مايو/ايار 1966 وقد ارتبك اللواء الرابع من الجيش العراقي ووقع في مأزق بعد قصفه من قبل المدافع الكوردية لعدة ساعات. وقاد فاخر ابن محمد أغا ميركه سوري الهجوم على الجبل على رأس قوة لاتزيد عددها عن مائة مسلحا من الثوار الاكراد كان معظمهم من اعضاء ومؤيدي الحزب الشيوعي العراقي."[225]

"كان موجود اللواء الرابع قبل المعركة يقل عن الفي مسلح. وقد تكبد اللواء مايقارب الالف اصابة بين قتيل وجريح لذلك قرر قائد الفرقة الثانية للجيش العراقي سحب بقايا اللواء الى كركوك لاعادة تنظيمه وتدريبه."[226]

ففي هذه المعركة دُمرّ اللواء الرابع من الفرقة الثانية للجيش العراقي. وكعادة الحكومات العراقية، فقد لجأت القوة الجوية العراقية الى قصف عشوائي لقرى كوردستان محدثة دماراً كبيراً وقتل الأبرياء من شيوخ ونساء وأطفال. إن تاريخ السلاح الجوي العراقي في قصف قرى ومدن كوردستان المحرومة من جميع وسائل الدفاع ولعقود من الزمن، هو في واقع الأمر مشين للغاية. وكانت وسائل الإعلام العراقية تمجد هؤلاء الطيارين وتصفهم بـ "نسور العراق".

التقى الصحفي الفرنسي René Mauriès بفاخر ميركه سوري وحاوره، وبعد عودته الى فرنسا، ألف كتابه المعنون "كوردستان أو الموت" نشر بالفرنسية وترجمه المحامي جرجيس فتح الله الى العربية فيما بعد، يقول عن فاخر ميركه سوري:

"كان فاخر الوسيم الوجه الطويل القامة المتين الالواح قد اطلق في تلك الفترة من الزمن لحية تشبه لحية (فيدل كاسترو) تماماً وحلف بالاّ يزيلها حتى يأتيه النصر. وكان قد هيأ نصف دزينة من مدافع الهاون لاسناد قوته الصغيرة حرصاً منه على إجتناب الهزيمة

---

[225] سنوات المحنة في كردستان اهم الحوادث السياسية والعسكرية في كردستان والعراق من 1958 الى 1980 . المحامي شكيب عقراوي. تموز 2007 . مطبعة منارة – أربيل ص :203. ص : 203 ، 204

[226] ن م س . ص 205

باي ثمن ولئلا يقع جبل (هندرين) كله بأيدي العدو وهي الكارثة العظمى التي ستكون في الوقت نفسه بداية النهاية لأن هذه القمة وهي الأكثر إرتفاعاً من أخواتها تسيطر على ذرى (زوزك) وتؤلف محور الدفاع الرئيسي ومفتاحه."[227]



فاخر ميركه سوري

لانريد الدخول في تفاصيل معركة (هندرين) الظافرة فقد تناولها أخرون أخص بالذكر الدكتور عصمت شريف فانلي. المحامي شكيب عقراوي والصحفي الفرنسي ربنى موريس بالتفصيل. والأخير كان موجوداً أثناء المعركة. وقد عبّر ملا مصطفى عن غبطته مشدداًعلى معركة هندرين:"إنها أجمل واروع ما في خمسة وثلاثين عاماً من الكفاح."[228]

كانت خسائر القوات الحكومية	قتلى	جرحى
اللواء الأول:	151	83
اللواء الرابع	327	37
اللواء الخامس	164	148
اللواء الخامس	279	139
اللواء الرابع عشر	135	79

بلغت خسائر قوات المرتزقة الكوردية 600 بين قتيل وجريح.

---

[227] كردستان أو الموت. رينيه موريس. مطبعة كوردولوجيا رقم 3 - 1986. ترجمة جرجيس فتح الله المحامي. ص: 113

228 ن م س . ص: 134

وفي صفوف الحركة الكوردية بلغ عدد القتلى 38 و85 جريح. كما قتل أثناء المعركة والقصف الجوي حوالي 400 حصان وبغل.[229]

وكانت الغنائم من الأسلحة العراقية: "ستة مدافع عيار(75) ملمترا. واربع مدافع من طراز غير المرتد. وأربع مدافع هاون ثقيلة امريكية الصنع عيار (4 عقدة) وثمان مدافع هاون انكليزية الصنع عيار (3 عقدة) واربع مدافع هاون عيار (81 ملمترا) وخمس رشاشات ثقيلة من نوع هبكرز. وأربع واربعون رشاش برين. واكثر من ألف بندقية مازور وثلاثمائة رشاش سترلنكك . ومقدار كبير من مختلف الاسلحة الخفيفة. وستة وأربعون جهاز لاسلكي للإستقبال وللإرسال. وراديو إتصال هوائي – أرضي ومائة خيمة عسكرية. وستة آلاف بطانية...... الخ"[230]

بعد شعور بغداد بالهزيمة الساحقة لجيشها. لجأت الى لغة الأكاذيب على الشعب العراقي. ففي بيان صادر من الحكومة العراقية بثه أجهزة الإعلام الحكومية الرسمية: "نطلب منكم إلقاء السلاح والإستسلام فوراً الى جيشنا المقدام. نهايتكم قريبة. لا أمل لكم.(......) ليس هناك أية قوة بامكانها مقاومة جيشنا العرمرم وتقدمه المقدس. ومن الآن كل مقاومة هي دون فائدة أنتم الأقزام المتمردون البائسون. ليس أمامكم غير التوبة قبل أن تسحقكم قواتنا وتسحق جميع اولئك الذين يتجرؤون التعرض لمسيرته البطولية."[231] كما أذاع راديو بغداد خبر مقتل ادريس البارزاني في هذه المعركة الظافرة! وكان إدريس جالساً مع الصحفي الفرنسي رينى موريس يستمعان الى أخبار راديو بغداد. ويذكر الأخير بعد ان مرّت لحظة الدهشة: "هنأته لعودته حياً من عالم الأموات" ويعبر الصحفي الفرنسي عن دهشته في إستخدام الحكومة العراقية لهذا الأسلوب المفضوح لتضليل الرأي العام!.

معركة هندرين هي موضع إعجاب وتقدير. وبفضلها كما يقول الدكتور سعد جواد: "هذه المعركة. حيث قتل فيها عدة مئات من جنود القوات الحكومية. مثلت نقطة إنعطاف في العلاقات الكوردية مع الحكومة. كذلك في الصراع بين الجناح العسكري والمدني في بغداد والآن وقد تقوى موقعه أكثر من أي وقت مضى. سارع البزاز الى إبداء

---

229 Le Kurdistan Irakien Entite National Ismet Cheriff Vanly Editions De La Baconniere. Neuchatel 1970 P: 266

230 كردستان أو الموت رينيه موريس مطبعة كوردولوجيا رقم 3. 1986 ترجمة جرجيس فتح الله المحامي ص 117

231 Le Kurdistan Irakien Entite National Ismet Cheriff Vanly Editions De La Baconniere. Neuchatel 1970 P 267

رغبته في السلام. فهو ما ان سمع بالهزيمة، تجاهل الجيش كلية وأعاد الإتصالات بملا مصطفى خلال وفد شعبي أخر."[232]

بعد هذه المعركة إقتنعت الحكومة العراقية بإستحالة القضاء على الحركة الكوردية باستخدام القوة في الظرف الراهن. ومن جانبها حاولت القوات الكوردية بعد معركة هندرين الشهيرة بأيام، أي في 17مايو/ايار 1966 شن الهجوم لاستعادة المواقع في جبل (زوزك) والتي سيطرت عليها قوات اللواء الثالث من الفرقة الثانية العراقية، لكنها فشلت. هنا مال ملا مصطفى أيضاً نحو الحوار مع حكومة بغداد.[233] وهكذا حاول الجانبان وضع حد لقتال إستمر لفترة تزيد عن خمسة عشر شهراً سبب الكثير من الدمار في كوردستان. وتمكن الجانبان من التوصل الى حلّ مؤقت، إذ أعلنت الحكومة العراقية في 29 حزيران 1966 إعترافها بالحقوق القومية للشعب الكوردي.

ويذكر عصمت شريف: "لم تتمكن كما شاهدنا ان تقطف الثورة الكوردية على الصعيد السياسي ثمار إنتصاراتها العسكرية. فلم تضع الإطار الضروري للمفاوضات الرسمية. فبدل طلب إجراء المفاوضات برعاية جهات خارجية، وفي بلد محايد أو ضمانات من القوى العظمى، او من قبل البلدان العربية، قبلوا بمفاوضات غامضة، أولاً مع مبعوثين غير رسميين من بغداد، وبعد مع العسكريين في السلطة أو في بعض الأحيان حتى مع ممثليهم. ومحتوى الإتفاقيات لاتتطابق الى نادراً. وعلاوة على ذلك هذه الإتفاقيات لاتطبق ابداً. بغداد كانت تصيغ بشكل جيد هذه الإتفاقيات كـ "برنامج حكومي"، وهو في الواقع إتفاق لوقف إطلاق النار وليست إتفاقية "سلام"، الجميع يجدون مصلحتهم، بغداد تحصل على الوقت للشفاء من صدمة الهزيمة والإستعداد لحملة جديدة. وبالنسبة للثورة الكوردية ان ينال السكان قسطاً من الراحة بعد الحرمان والفواجع أو التفرغ لعلاج أزمة داخلية. وقف اطلاق النار الجديد يبقى ضمن هذا الإطار. في خريف 1966، شرح لنا من اللجنة المركزية، ان البارزاني بدل إستغلال النصر العسكري لمعركة هندرين، وافق على

---

[232] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981. P: 197

[233] سنوات المحنة في كردستان، اهم الحوادث السياسية والعسكرية في كردستان والعراق من 1958 الى 1980. المحامي شكيب عقراوي، تموز 2007 مطبعة منارة - أربيل ص 209

وقف اطلاق النار. لإزالة الآثار المحبطة للتواطئ بين مجموعة الطالباني وحكومة بغداد.[234] ويؤيده في هذا القهادى شكيب عقراوي.[235]

كان البزاز منذ توليه لمنصبه يولي إهتماماً فائقاً لما سماه بالتهديد الإيراني لحدود العراق ومياهه. وكان قد زار مصر، تركيا والمملكة العربية السعودية بهدف حثهم لإيجاد حلّ سلمي. وحسب ماكتبه الدكتور سعد جواد فقد كان لزيارته الى القاهرة ان أقنع الرئيس المصري بطرد شوكت عقراوي من مصر وحصل على تأييد عبدالناصر للحكومة العراقية في مسعاها الهادف الى الإحتفاظ بوحدة الأراضي العراقية. كما نجح البزاز في الحصول على الدعم التركي. وربما كانت زيارته الى الرياض لفرض توسيط الملك فيصل لإقناع الشاه بوقف دعم قوات ملا مصطفى.[236]

كان من نتائج إعلان 29 حزيران أن تقوى نفوذ ملا مصطفى كذلك شخصية البزاز المدنية. وهذا ما زاد من شعور الجناح العسكري بالإهانة مرتين: في معركة هندرين وعلى يد الجناح المدني في بغداد. فالجناح العسكري إعتبر ماحصل في معركة هندرين ماساً بشرفهم العسكري. ولم يعِ البزاز هذه الحقيقة. إذ زادت ثقته ببرنامجه وأخذ ينتقد الضباط علناً دون إدراك منه في كونه مدين بمنصبه. لعسكري الا وهو عبدالسلام عارف الذي مات في حادث المروحية كما ذكرنا. ثم انه لم يكن مسنداً من قبل حزب عدى رجال وزارته. وفي اليوم الثاني لإعلان بهان حزيران. حصلت محاولة ثانية في 30 حزيران 1966 لقلب نظام عبدالرحمن عارف. قادها عارف عبدالرزاق. حيث استغل الإمتعاض داخل الجيش بسبب سياسات البزاز الهادفة الى تقوية مركزه الشخصي. لكن المحاولة فشلت في نفس اليوم. ليس من شك ان نواياه في القيام بإنقلاب سبقت بهان حزيران. وبفشل المحاولة. إعتقد البزاز ان هذه كانت أخر محاولة يقوم بها الجيش لتسلم السلطة من جديد. وهنا صعد من إنتقاداته للضباط وحصل لديه إنطباع من ان الرأي العام الشعبي تعب من الإنقلابات العسكرية وهذا مؤشر لنجاح سياساته. ويقول الدكتور سعد جواد: "فشل البزاز تقهيم

---

[234] Le Kurdistan Irakien Entité National. Ismet Cheriff Vanly.Editions De La Baconniére, Neuchatel 1970. P:268

[235] - قرر البارزاني وقف القتال مع الحكومة العراقية لتدارك الوضع وتخصيص الجهود لمحاربة القيادة القديمة للحزب الديمقراطي الكوردستاني (جماعة الأستاذ جلال الطالباني) سنوات المحنة في كردستان اهم الحوادث السياسية والعسكرية في كردستان والعراق من 1958 الى 1980 المحامي شكيب عقراوي تموز 2007 مطبعة منارة - أربيل. ص 213.

[236] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981: P: 216

الرأي الشعبي وقلة تأثيره على نتائج العملية العسكرية. فلو نجح عارف عبدالرزاق في محاولته. لكان سيحل محل عبدالرحمن عارف سواء بتأيد أو عدم تأيد الرأي الشعبي. وعلاوة فان القضاء السريع للقوات الموالية على عارف عبدالرزاق. أعادت المعنويات للضباط والثقة بالنفس وهذا يتضمن الرئيس عارف. وكانت الخطوة العسكرية القادمة تتمثل في استغلال الخلفية العسكرية للرئيس للإنتقام من البزاز."[237]

وفي شهر تموز من عام 1966 كان البزاز في زيارة رسمية للإتحاد السوفيتي. أثنائها صّعد الجناح العسكري من ضغوطاته على الرئيس عارف طالبين منه إقالة البزاز. وهكذا قدم البزاز بعد عودته من موسكو إستقالته من رئاسة الوزارة وحل محله عسكري هو (ناجي طالب) والذي لم يعطِ أهمية لبيان حزيران.[238]

لكن في جميع الأحوال فإن بيان البزاز لم يطبق ووقف الجناح العسكري ضده. حيث كان يبحث عن إنتقام لهزيمته في معركة هندرين. وفي الواقع كان الرئيس عبدالرحمن عارف متردداً بين الجناح المدني والعسكري. ولم يتمكن تبني سياسة واضحة المعالم لحلّ المسألة الكوردية ولا إيجاد حكومة ديمقراطية تحظى بتأيد الجماهير لها. وتجيز نشاط الأحزاب والحريات العامة. فدب فيها الضعف وأستغل حزب البعث النقمة والفوضى في البلاد فأطيح بنظام عارف عام 1968. وبرز نجم أحمد حسن البكر وصدام حسين. مستفيدين من الكثير من الأخطاء التي إرتكبوها عام 1963. ورغم أنهم إختاروا الحلّ العسكري الا ان صمود الشعب الكوردي أرغمهم على تغيير قناعاتهم. فأختاروا ظاهراً الحلول السلمية المؤقته لكي يكسبوا الوقت للقضاء على المقاومة الكوردية في ظروف أخرى مؤاتية لهم.

---

[237] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981: P:204

[238] Iraq & the Kurdish Question 1958-1970. Saad Jawad. Ithaca Press London 1981: P:205

الجزء الثاني

إجهاض ديناميكية المجتمع الكوردي

الإستقواء بالخارج وإفساد الجبهة الداخلية

مشروع الوراثة الهدام

ملا مصطفى وصدام حسين
اللاعبان في الميدان

في السياسة هناك لاعبان رئيسيان أو أكثر. وأي لاعب لابد أن يأخذ في الحسبان نقاط قوته وضعفه إضافة الى معرفة قوة وضعف وظروف خصمه. ونحن هنا بصدد دور (صدام حسين) ودور اللاعب المقابل (ملا مصطفى). افعال وردود أفعال أحدهم بموازاة الأخر. وذلك لكي تتوفر للقارئ الحقائق التي تمكنه من فهم التكوين الشخصي ورؤاهما في إدارة الصراع السياسي. وكما هو معروف فالإثنان كانا يحتلان موقع القيادة في صنع القرار. ولذا من المهم ان نعرف مدى ادراكهما لحقائق القوة ومتغيراتها في زمن الحرب الباردة وضمن اطار ثوابت الجغرافيا والتاريخ.

شهد العقد الاول من عمر الجمهورية العراقية أربع انقلابات عسكرية. فالسياسة في العراق عكست النظرة الداروينية. البقاء للأصلح. وظهر حزب البعث بعد عام 1968، كقوة سياسية مزودة بعوامل البقاء، في مثل هذا المحيط الذي لايتجاوز عمر النظام سنتين وبضعة أشهر. ولذا كان التحدي الأول هو إيجاد نظام يعمر أكثر من المعدل الذي كان سارياً حتى عام 1968. والتحدي الثاني كان فرض نوع ما من الوحدة في بلد متعدد ألهويات واللغات والأعراق والمذاهب. والثالث كيفية دمج وطنين في وطن واحد. والتحدي الرابع كان منع التدخلات الخارجية، إيران والولايات المتحدة الأمريكية بسبب التمزق الداخلي.[239]

لقد واجهت المجتمعات والامم المتحضرة مشكلة تعدد القوميات واللغات بتبني حل النظام الفدرالي، أو تخويل الشعوب ممارسة حق تقرير المصير. بينما في العراق تحت حكم البعث، وفي مواجهة التحديات المذكورة، استغرقت الحلول القسرية طوال العقد الأول من حكُم البعث. فكان تزويد الحكم بجميع"مضادات الانقلاب"، تبعهث الجيش والأمن والشرطة، وكانت النتيجة النظام الشمولي، والتحول من سلطة الحزب الواحد الى سلطة الرجل الواحد.

عندما زار صدام حسين مع الوفد المرافق له كوردستان، ووقع مع ملا مصطفى ما سمي فيما بعد بـ (اتفاقية أذار) عام 1970، كان يبلغ من العمر33 عاماً، كان ملا مصطفى يقترب من الـ (70) عاماً وله تجربة طويلة مع الحياة العشائرية. لكن كان ينقصه فهم

[239] The Future of Iraq. Liam Anderson & Gareth Stansfield. Palagrave.2004. Page:49

المناورات السياسية العصرية والتفهيم الصحيح لماهية هذا الرجل الشاب الذي أظهر مرونة غير عادية في القبول بمطالب الجانب الكوردي. إن الفهم الخاطئ لدى القيادة الكردية لماهية حزب البعث العربي الاشتراكي ولقادته وللتطورات السياسية في بغداد، كان سبباً هاماً للنكسة التي ألمت بالشعب الكوردي عام 1975.

في واقع الأمر كان صدام حسين في موقف ضعيف. لكنه حول ضعفه الى قوة ببيان آذار عام 1970. واستطاع ان يحول قوة ملا مصطفى بالتدريج الى ضعف. لكن ذلك لم يكن بسبب ذكاء صدام حسين. إنما بسبب ما ارتكبه ملا مصطفى من سلسلة أخطاء وسوء استخدامه للنصر وغياب الإحساس بالمخاطر التي تحوم حول الشعب الكوردي وكفاحه المسلح. لم يعرف ملا مصطفى الى أين يقود بالاتفاقية او الى أين تقود به اتفاقية آذار، في حين كان صدام حسين يعرف الى أين يقود هو بالاتفاقية. أراد صدام حسين الاقتراب من قيادة الحركة الكوردية، وفق سياسة أعطي الآن كي تأخذ فيما بعد أضعاف ما أعطيت. ويعاني من مخاطر جادة في انهيار نظام حزبه. فقد كان الخوف من انقلاب عسكري وارد، كما حصل عام 1963. هنا كانت مهمة الشاب صدام حسين خلق الظرف المؤاتي للتفرغ الى تصفية المعارضين داخل أجهزة الحزب والجيش والأمن والحكومة. من هنا تهدئة الجبهة الكوردية ولو الى حين. لقد أعطى قادة الحركة الكوردية صدام حسين ما كان يريد – "الوقت" ليعزز سلطته -.

ملا مصطفى لم يكن بحاجة مثل صدام حسين الى حماية نفوذه. فقد ترسخت الحامية العسكرية التي نوهنا عنها منذ سنين. ويعيش رئيس الحزب على الحدود مع إيران. لم تكن هذه الحامية العسكرية التي تحولت من متحركة في البداية الى ثابتة. وسميت بـ (مقر البارزاني). هذه المؤسسة المالية والعسكرية كانت تحت نفوذ ملا مصطفى المباشر. فيها الخدم والحاشية والمقربين والندماء والشعراء. وتضم المكتب السياسي والمخابرات. ولم تكن مؤسسة لإدارة الحكم الذاتي ومرتبطة بالشعب لتصريف أمور المجتمع. إنما مرتبطة بملا مصطفى وعائلته. كانت موجودة بوجوده وتنتهي بنهايته. كان قد بناها ليتحصن في داخلها مع عائلته. وهي أعلى مؤسسة في الحركة الكوردية.

ولد صدام حسين في 28 ابريل 1937 في قرية العوجة التابعة لتكريت. قضى طفولة صعبة، إذ كان زوج أمه يضربه كلما رفض الصبي رعي الأغنام. تكفله خاله خيرالله الطلفاح عند بلوغه العاشرة. وكان الأخير معجبا بأدولف هتلر وبالعقيدة النازية. في بداية الخمسينات قرر خيرالله ترك قرية العوجة التي لم تعد تلبي طموحاته. فأنتقل الى بغداد

ومعه صدام. وكان قد أمّ العاصمة بغداد عدد من التكارنه كتجار نشطين. رفيق صدام كان ابن خاله عدنان خيرالله. كان في نفس العمر. والأخير التحق بالأكاديمية العسكرية الوطنية العراقية ذات السمعة الداوية في الشرق الأوسط. في حين انضم صدام حسين الى حزب البعث الحديث التشكيل. وبعد عامين أقترف أول جريمة اغتيال سياسية طالت أحد أقربائه من قرابة بعيدة. كان صدام يشعر بالتباهي كلما أعيد ذكر الحادث. وقد سجل ذلك في الكتب التي تناولت سيرته الذاتيه.[240]

عبادة الأبطال لم يكن الشبه الوحيد بين البعثيين والعقيدة النازية. فالاثنان أمنا بالهوية العنصرية والمؤامرات الشيطانية التي تحيكها الجهات الأجنبية. وأن الحرب هي أداة تطهيرية.

وفي سنّ الثانية والعشرين كان له دور في محاولة اغتيال عبدا لكريم قاسم أثناء مرور سيارة الأخير في شارع الرشيد. وبفشل المحاولة تمكن صدام حسين من الهرب الى دمشق ومن ثم الى القاهرة. وتزوج عام 1963 من ساجدة. إبنة خاله خيرالله الطلفاح وهو لا يزال في مصر.

بتحالف البعثيين مع الكولونيل عبدالسلام عارف. تمت الإطاحة بنظام قاسم. ولكي يتأكد الجميع من مقتل قاسم فقد عرضت جثته على شاشة التلفزيون العراقية. وهنا عاد صدام حسين على عجل للعمل مع النظام الجديد. إن شغف صدام بالتآمر وقابلياته في مجال التضليل السيكولوجي منحته مهنة حزبية جديدة تتعلق بتعذيب المعارضين في سجون حزب البعث الرئيسية مثل قصر النهاية.

شغل في نظام البعث عام 1963 الكولونيل عبدالسلام عارف منصب رئيس الجمهورية وأحمد حسن البكر منصب رئيس الوزراء وكلاهما من العسكر. كانت هذه أول تجربة بعثية في العراق في عملية الانقلاب وممارسة الحكم. اعتمد البعث في حكمه على الإرهاب والقتل والاغتيال. وهو أقرب الى عصابة مسلحة متعطشة للدم والثأر من حزب متحضر يحترم كرامة الإنسان والمواثيق الدولية. ومليشياته لا تلتزم بأية قوانين أو أخلاق. مما جعل الحزب منبوذاً في المجتمع العراقي.

---

[240] The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. Kenneth R. Timmerman.Page:2-3.

بعد الإعلان عن إبادة الشيوعيين العراقيين في اليوم الأول من انقلابهم الدموي على عبدالكريم قاسم، شن حزب البعث حملة عسكرية شرسة صيف عام 1963 في كوردستان. فهاجموا القرى جواً وبراً ومارسوا سياسة الأرض المحروقة ولم يفهموا حرمة لأي قانون، فهدم المساجد والكنائس مدفوعاً بروح انتقامية وعنصرية. الحملة لم تدم طويلاً فقد قاوم شعب كوردستان وفشلت الحملة العسكرية. وتلاشى تحالف البعث مع الجيش، فقاد عبد السلام عارف المحاولة الانقلابية الثالثة في حياته. وكالعادة ضد حلفاء الأمس، هذه المرة ضد الحليف البعثي.

تعكس الانقلابات في بغداد والصراعات داخل الجيش العنصر الدموي في صنع التغير السياسي في المجتمع العراقي، فليس للسياسة وجود خارج العنف. عبدالسلام عارف اشترك في الانقلاب مع عبدالكريم قاسم لقلب النظام الملكي في 14 تموز عام 1958. ثم تحالف مع البعث للإطاحة بنظام عبدالكريم قاسم في 8 شباط عام 1963 . وقاد الانقلاب على البعث في 18 تشرين الثاني/نوفمبر 1963. هذه الانقلابات ساهمت في تصعيد وتيرة العنف وجعلت من الإرهاب الوسيلة الوحيدة في إحداث التغيرات السياسية والبقاء في الحكم.

هرب صدام حسين من جديد والتجأ الى سوريا، وكان على صلات وثيقة بأحمد حسن البكر الذي تم تعيينه عام 1965 وهو في المنفى كأمين عام للحزب، كما أن علاقة القرابة والولاء للبكر ساهمت في ردّ الجميل فعينه الأخير نائباً له.[241]

منذ عام 1965 وحتى العودة من جديد الى الحكم في 30 تموز 1968 كان صدام المنظم الرئيسي للحزب. فهو الذي حول البعث الى جهاز قوي مدمر قادر على القيام بانقلاب عسكري والاحتفاظ بالسلطة. تبنى أسلوب تروتسكي السوفيتي وكوبلزالألماني، وعاد الى بغداد سراً حيث أشترى أسلحة و أستأجر منازل سرّية أمنة. كما أنشأ قواعد تدريب للمقاتلين البعثيين وأقام شعبة للأمن الخاص سمي بـ جهاز حنين، ومن أولى مهامه مراقبة الحزب والتعرف على المنشقين المحتملين و خلق ولاء شخصي صارم مبني على الخوف.

[241] The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. Kenneth R. Timmerman.Page: 5-6.

كان حزب البعث يتميز بتجمع المنتمين الى نفس الطائفة أو نفس القرية أو المدينة أو العشيرة. ومن أهم هذه الزمر. التكارته الموالين للبكر وصدام حسين. والقول العربي المأثور: " أنا مع أخي على إبن عمي. أنا وابن عمي على جاري. أنا وجاري على الجميع" كان ذلك هو المنطق السائد لدى صدام حسين.

شكلت الممارسة في العمل السري الثقافة السياسية لصدام حسين. فقد زودته بحاسة قوية في النشاط السري المتقن. ورغم انه حول حزب البعث تدريجياً الى حركة جماهيرية مستخدماً بنجاح مبدأ كوبلز في الكذبة الكبيرة لتضليل الرأي الشعبي داخلياً وخارجياً الا أنه لم يتخلى عن تركيبة الخلية السرّية البعثية. تحسباً للإختفاء مرة أخرى. إذ سيكون بإمكانه الاعتماد على الخلية السرّية الداخلية للحزب والموالية له بشكل كلي.[242] وتمكن من خلال هذه الخليه. سنوات فيما بعد. ان يبقى مختفياً عدة أشهر في جحر هيأه له أنصاره بعد احتلال الحلفاء للعراق عام 2003. لكن القوات الأمريكية أخرجته من جحره وعرضت صوره على شاشات التلفزة العالمية وبدا انه يعيش عصر انسان الكهوف.

وعندما فشلت محاولة بعثية للإطاحة بنظام عارف. حاصرت السلطات الحكومية صدام حسين في منزل في بغداد وقبضت عليه وأودعته السجن. لكن بجميع المقاييس أعتبر وضعه في السجن ك "ضيف" له إمتيازات. كان السخط واسعاً تجاه نظام عارف وتمكن صدام حسين من كسب العديد من حراس السجن لقضيته فسمحوا للأصدقاء وأعضاء أسرته بزيارته وجلب الصحف والطعام ورسائل مشفرة من قريبه وظهيره أحمد حسن البكر والأخير كان يتابع الوضع السياسي بدقة من الخارج. وفي إحدى الأيام زارته زوجته مع اول صبي مولود وهي تحمل رسالة هامة جداً مخفية تحت حفاض الطفل فقرصت إبنها كي يبكي وهمست قائلة :"خذ الرسالة تحت الحفض". مد الوالد يده الى داخل ملابسه وأخذ الرسالة الملفوفة الاتية من أحمد حسن البكر مفادها أن للبعث معلومات من أن الضباط الناقمين في الجيش يخططون لإنقلاب أخر ضد نظام عارف. وتذكر الرسالة أن هذه مناسبة ينبغي أن لا تفلت من يد الحزب. كما احتوت على تفاصيل خطة الهرب من السجن.[243]

---

[242] Ibid .Page: 6

[243] The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. Kenneth R. Timmerman Page :7

سعدون شاكر. صديق طفولته أيضاً تكريتي هو الذي نظم خطة الهرب من السجن. فقد أخبره حراس السجن المتعاطفين مع البعث ان صدام حسين سينقل الى سجن أخر حيث الإجراءات الأمنية أكثر صرامة. فرتب إفلاته وبتمثل في مرور السيارة التي تقل صدام حسين بالتوقف في مطعم شعبي في شارع أبو نواس للغذاء ثم يطلب صدام السماح له بالذهاب الى المغسل لقضاء حاجته وبعرج من الباب الخلفي لكي يلتقي بسعدون حمادي وبدخل سيارته الواقفة على مدخل الطريق. نفذت الخطة بنجاح وأختفي صدام حسين. وهكذا حقق جهاز المخابرات ألبعثي نجاحا هاماً.[244]

وفي صباح 17 تموز 1968 ظهر صدام حسين في ساحة البلاط الجمهوري داخل دبابة مع لواء مدرع. ورغم انه لم يكن ضابطاً عسكرياً. لكنه كان يتمتع بحماسة عسكرية. ولاشك ان رفاقه ظنوا انه واحد منهم. في حين سيطر بعثيون أخرون على دور الإذاعة والتلفزيون والشرطة. في الحقيقة كان الانقلاب من صنع اثنين من المؤيدين السابقين للكولونيل عارف. هما الكولونيل عبدالرزاق النايف و إبراهيم داود. وركب البعثيون متن المحاولة بعرضهم الدعم من جهازهم السري لكي يتهيأوا لإستلام السلطة فيما بعد.

كان البكر وصدام حسين مصممان على عدم تكرار الأخطاء التي ارتكبوها قبل خمس سنوات. فقد كانوا على اعتقاد أن البعث لن يتمكن من الحكم بشكل ائتلاف مع الجيش. لذا كان اولى مهامهم هو التخلص من عبدالرزاق النايف والذي كان على رأس الضباط الثوريين وثم تركيع الجيش الحرون.

هنا نحن أمام عصابة تتمتع بامتياز بالقسوة وشعب غارق في الغيبوبة لاحول له ولاطول ينتظر تبوء العصابة سدة الحكم لينال تحت أقدامها الإذلال والخراب والموت.

العديد من التفاصيل عن الارتداد ضد الضباط ذكرها فيما بعد مفاخراً. سعدون شاكر بسنوات عديدة. في مساهمته لكاتب سيرة صدام حسين. فؤاد مطر. فبتأييد من البكر رتب صدام حسين مشهداً في البلاط الجمهوري. إذ قبل عبدالرزاق النايف بسذاجة الذهاب الى البلاط الجمهوري لوحده بعد الغذاء. وبوصوله. يبدوا أنه لم يشعر بأية نوايا خبيثة مبيته من الدعوة. إلتف سعدون شاكر مع عدد من حراسه الشخصيين في الممر وقبضوا على رجال النايف. وفي داخل البلاط أخرج صدام حسين مسدسه وبدأ يضرب

---

[244] Ibid .Page: 7

عبدالرزاق النايف الى ان إنهار الأخير وهو يقول منتحباً: "لدّي أربعة أطفال لماذا تفعل بي كل هذا" .

قال صدام حسين بلامبالاة: "أنت وأطفالك ستكونون بسلام إن قبلت مغادرة العراق وقبول وظيفة سفير".

بعد مناقشة قصيرة قبل النايف منصب تشريفاتي كسفير في المغرب. لكن بالنسبة لرئيس العصابة – رئيس العراق فيما بعد – لم يكن ذلك كافياً فقد أصرّ صدام على مرافقته الى مطار بغداد.

"تصرف بشكل طبيعي" همس صدام أثناء مرور سيارتهم في نقاط التفتيش العسكرية حيث يتواجد العديد من الحراس الموالين للنايف في هذه النقاط . تابع صدام: "لا تنمى أن المسدس تحت معطفي".

راقب صدام حسين الطائرة وهي على وشك الإقلاع. يتذكر شاكر فيقول: نزلت الدموع من عينيه. لم تكن دموع التعاطف مع النايف" فجأة تذكرت أنه كان بإمكان طلقة واحدة أن تقتل العملية كلها" هذا ماذكره صدام فيما بعد:"كان هذا هو حكم القدر". لكن صدام حسين لم يكن من أولئك الذين يعتمدون على حكم القدر وحده. فقد أرسل رجال مخابراته او من الأمن العسكري لمراقبته أينما حلّ وإفهامه أنه رجل خطير لايسمح له أبداً بالعودة الى الوطن. في النهاية. بعد عشر سنوات من بداية منفاه. إغتاله عملاء صدام أثناء مغادرة النايف شقته في لندن في شهر تموز 1978 . لقد تعلم صدام حسين درساً جيداً الا وهو لاتعطي خصمك فرصة ثانية.[245]

كان (الولاء الشخصي) و(بث الخوف) في أوساط الاصدقاء والاعداء عماد سياسته. ويقول عنه حامد الجبوري - وزير شؤون رئاسة الجمهورية والإعلام والشؤون الخارجية في عهد الرئيسين أحمد حسن البكر وصدام حسين -. وقد حاوره أحمد منصور لقناة الجزيرة (تاريخ الحلقة: 2008/6/2:) " يقول الجبوري نصاً: "نعم، شوف. الخوف ليس فقط شخصيا. ليس هناك إنسان لا يخاف طبعا لكنه ويشهد الله أنه ليس فقط أنا وإنما كل

[245] The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. Kenneth R. Timmerman.Page : 8

الشرفاء والناس المخلصين في حزب البعث وفي الشعب العراقي عموما وفي القوات المسلحة كان هناك الخوف من الأساليب التي انبعث. الأساليب التي انبعث هي أنه ألغيت الحكمة الربانية {..لا تزر وازرة وزر أخرى..} [سورة الأنعام:164] الشخص المغضوب عليه ليس فقط هو شخصيا يستهدف بالتصفية أو القتل أو كذا. من هذا القبيل وانما تستهدف عائلته. يستهدف عرضه وشرفه. وهذه مسألة كبيرة جدا بالنسبة لمجتمعاتنا طبعا ولكل المجتمعات بس مجتمعاتنا المحافظة. تُستهدف إلى حد الدرجة الرابعة وصدر قانون فيها..".

بدأ حكم البعث الثاني مهزوزاً. فقد كان الجو السياسي في العراق عام 1968 مفعماً بالمكائد والمنافسات والعنف. ففي أقل من شهرين من المحاولة الانقلابية في 30 تموز. قام عدد من أنصار عارف وضباط من أنصار جمال عبدالناصر بمحاولة إنقلابية. وفي شهر تشرين الأول /أكتوبر أعلن نظام البعث أنه قضى على "مؤامرة صهيونية". وفي كانون الثاني/جانفير 1969 بدأت محكمة شعبية بمحاكمة 11 يهودياً عراقياً. كان ذلك بهدف حشد الجماهير ونيل دعمها ضد "عدو خارجي". والحقيقة كان العراق غارقاً في تمزق داخلي عميق.[246]

كان هناك مرشحين أخرين غير صدام حسين لخلافة البكر. صالح مهدي عماش وزير الداخلية على سبيل المثال. لكن صدام حسين بحكم قربه من البكر ومن ميشيل عفلق تمكن من التخلص من جميع المنافسين. بعض منهم ماتوا والبعض الأخر تركوا القيادة. فحسب قول يفجيني بريماكوف مراسل صحيفة برافدا في الشرق الأوسط - وقد كانت احدى مهامه تحسين العلاقات بين موسكو وبغداد وثم تحقيق السلام بين الحركة الكوردية ونظام بغداد الجديد. يقول عن صدام: "كان حازماً. مندفعاً. شجاعاً وبالتأكيد إن (قلناها بشكل معتدل) مجرد من العواطف في اسلوب تعامله مع زملائه. وقبل ان يصبح صدام حسين شخصية كبيرة غير مألوفة في نظر الشعب العراقي. في الشرق الأوسط وفي العالم. لعب الجزء الكبير من الدور الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية. الأول مكنه لكي يصبح زعيم العراق. والثانية ساهمت في بلورة نظرته للعالم موفرة القاعدة التي بنى عليها الكثير من سياسته الخارجية."[247]

---

[246] The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. Kenneth R. Timmerman.Page: 9

[247] Russia And The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York.2009. P: 302

حاول البعث تبديد صورته المروعة السابقة فركز أجهزته الدعائية في تمجيد الديمقراطية والحرية والتعبير عن نيته في تحرير فلسطين. وكانت الدول العربية خارجة من حربها الخاسرة عام 1967 ضد إسرائيل.. كما حاول التقرب من الحزب الشيوعي الذي رفض الاشتراك في وزارة البعث. واشترك الكورد بأربع وزراء في البداية. اثنين محسوبين على فريق جلال الطالباني والاثنين الأخرين على فريق ملا مصطفى. كما حاولوا تهدئة إيران عن طريق سفيرها في بغداد وأن العراق يريد الاحتفاظ معها بعلاقات حسن الجوار.[248]

ويكشف القيادي في جهاز الأمن الكوردى (پاراستن) شكيب عقراوي حادثة هامة تظهر مدى رضوخ قيادة الحركة الكوردية للقرار الإيراني: "الثورة الكوردية كانت لديها خطة للهجوم على القطعات العسكرية للجيش العراقي في منطقة راوندوز واحتلال المنطقة بقوة السلاح. وكان خطة الهجوم قد جرى الاعداد لها منذ شهر حزيران 1968 وقبل حصول الانقلاب العسكري في بغداد في شهر تموز 1968."

"كان شاه إيران قد وافق على الخطة....وسمح بمرور السلاح والعتاد....استمر التدريب لمدة ثلاث أشهر...وعندما بدأ موعد تنفيذ الخطة فإن شاه إيران منع تنفيذ الخطة......" ويضيف شكيب وذلك في حالة تنفيذ الهجوم: "ربما كان سيؤدي الى فشل وإنتهاء حكم البعث لأنه كان في مهده ولم يكن قد استطاع تثبيت جذوره في ذلك الوقت."[249]

كان الثنائي المعروف بكر – صدام، يسعون الى تمهيد الطريق للاستيلاء على الجيش العراقي وبخطوات سريعة. فحدوث انقلاب ضدهم كان يشكل كابوساً مخيفاً. فبدأوا بتصفية الجيش العراقي من العناصر المشكوك في ولائها للطاقم الحاكم وإحالتهم الى التقاعد، وتعيين أخرين موالين للسلطة مكانهم. وهنا نحن أمام قابليات صدام حسين التآمرية. إذ لم تهدأ محاولات الإنقلاب والمنافسات الدموية داخل العصابة البعثية الحاكمة. بشقها العسكري والمدني. والجدير بالملاحظة أن مدنياً – صدام حسين – هو مهندس تركيع الجيش العراقي وتخنيثه أمام السلطة وتوحيشه ضد الشعب الكوردي، ومن ثم استخدم هذا الجيش كآلة قسر في ترسيخ حكمه الدموي على العراق خلال ثلاث عقود. جرى ذلك بداية في فتح دورات تدريب عسكرية من أعضاء ومؤيدي البعث، لم يكن للكفاءات دور، إنما الولاء لطاقم السلطة. معظمهم من خريجي الدراسات الثانوية، وبمنح

---

[248] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007 . ص: 249

[249] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007 . ص: 250

بعد فترة التدريب رتبة نائب ضابط ثم يترقى الى رتبة ملازم. إستمرت هذه الدورات ثلاثة أعوام وبالتدريج تم تبعيث الجيش المطعم بلقاح عنصري يهيئه لارتكاب المجازر متى ما أمرت بذلك الطغمة الحاكمة.

وما أن أشرف عام 1969 حتى كان صدام حسين قد أكمل قبضته على جميع أجهزة الأمن والإستخبارات في العراق. منها جهازحنين. جهاز الاستخبارات العسكرية المرتبط بوزارة الدفاع. مديرية الأمن العامة ويترأسها مجرم معروف هو ناظم كزار. قتله صدام حسين فيما بعد. وجميع أجهزة الشرطة العراقية كما دس خلايا وتنظيمات حزب البعث في جميع مؤسسات الدولة ومن ثم بدأ بـ (تبعيث المجتمع) لجمع المعلومات ومراقبة المواطنين.[250]

كانت مهمة البكر- صدام هو تأمين بقاء النظام. عن طريق إقامة (نظام شمولي) وتعاون الإثنان على مدى إحدى عشرة عاماً. كان البكر يستقبل رؤساء الدول. يصدر القوانين ويوقع على الإتفاقيات ويلقي خطباً نارية ضد اليهود والصهيونية والمؤامرات الخارجية والقضاء على الطابور الخامس وإعلاء راية القومية العربية.

صدام حسين كان ضالعاً في قابلية تشخيص المنافسين المحتملين في المستقبل والقضاء عليهم قبل أن يشكلوا تهديداً لحكمه. مثلما يفعل الطبيب في عزل الخلايا السرطانية لمنعها من الإنتشار. فإعتمد في البداية على جهاز البوليس السري (جهاز حنين) والذي توسع بعد العملية الانقلابية في 1968 وتحول الى جهاز مخابرات. مهمته الأساسية تركزت على مراقبة تقريباً جميع مظاهر الحياة في المجتمع العراقي مبتدئاً بالشيوعيين. وسلم الجهاز الى صديق طفولته سعدون شاكر. ومن أجل إبقاء سعدون تحت الرقابة فقد عين صدام حسين أخوه برزان إبراهيم حسن التكريتي نائباً لسعدون.[251] أساس تعامله واختياره للناس هو"الولاء لشخصه" منذ بداية تسلقه قمة السلطة. هذا مايقوله عنه حامد الجبوري وزير شؤون رئاسة الجمهورية والخارجية والإعلام والثقافة في عهد (بكر وصدام) في برنامج شاهد على العصر لقناة الجزيرة في 2008/5/26.

---

[250] سنوات المحنة في كردستان شكيب عقراوي تموز2007. ص: 278

[251] The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. Kenneth R. Timmerman.Page: 9

كانت القسوة المفرطة من أبرز ملامح قادة البعث، وبالأخص صدام حسين وباعترافه هو[252]. ويشير سمير الخليل في كتابه "جمهورية الخوف" الى تعدد مشاهد الإعدامات على مرأى من الجماهير. ففي عام واحد (1969) جرت الإعدامات في 20 شباط/فبراير. وفي 14 نيسان/ابريل . وفي 30 مايس/مي . و21 -22 أغسطس و 8 سبتمبر و 26 نوفمبر.[253]



اية الله العظمى سماحة الامام السيد محسن الحكيم وشيركو عابد في منزل الإمام (شباط 1969)

عاشت الحوزات العلمية الشيعية ظروفاً في غاية الصعوبة في ظل حكم البعث ذو الطابع السني-الشوفيني، فقد تدخلت في شؤون المراجع ترغيباً وترهيباً لتطويعهم، واقحامهم في حربها ضد شعب كوردستان. فطلبت سلطة البعث من أية الله العظمى سماحة الامام السيد محسن الحكيم اصدار فتوى يجيز شن الجهاد ضد الحركة الكوردية. لكن على عكس ماتوقعه البعث، أصدر الامام فتوى تحريم القتال ضد الشعب الكوردي في شهر كانون الثاني من عام 1969. ثم انتهج نظام البعث سياسة معادية للحوزة تمثلت في

---

[252] الكلام التالي هو نص ما ذكره صدام حسين بلكنته القروية الواضحة نوائل الحرب مع ايران مخاطباً مجموعة من البعثيين لم يسجلوا كمتطوعين للقتال :يلله حماية كلمن مايطلع اضربوه"

أحد الحضور المفصولين ابتدأ بالهتاف

"مايريد كلام مايريد كلام مايريد كلام الثورة تبيه رجالها والبه قادتها والبه جماهيرها راح تطلعون انتوا مفصولين من الحرب قسماً بالله اللي أسمعه همسا يحجي مع مواطن عراقي او يعني انه أطره بيدي أربع وصل! سمعتوا زين الى أن تقرر الشهادة مصيركم يلله اطلعوا أنعل الله على هالشوارب"

"بس كل واحد يوكف بوجه الثورة يصير أنف يصير ألفين تنلاف عشرتالاف أقصص روسوهم من دون ما ترجف شعرة وحدة مني أو يرجف قلبي عليه"..... صدام حسين ١٩٧٨

[253] The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. Kenneth R.Timmerman.Page:9-10

التصفية الجسدية للعديد من أشهر علمائها. كما استخدم الشيعة كوقود رخيص لحروب مقبلة لقي فيها مئات الألاف حتفهم.

أثبتت الحركة الكوردية المسلحة صلابتها في المقاومة ضد حملات الجيش العراقي منذ عام 1961. ولم يكن في تفكير البعث حلٌ آخر لها غير السلاح. وكان المجتمع الكوردي منقسماً على ذاته. كان عدداً كبيراً من رؤساء العشائر الكوردية متعاونين مع حكومات بغداد. وكان جناح المكتب السياسي القديم أيضاً متعاوناً مع بغداد ويطبع جريدة النور ويعمل بإسم الحزب الديمقراطي الكوردستاني. وكان البعث يبني آماله في محاربة الحركة الكوردية على تعميق الفتنة بين الكورد. (تكريد الحرب). والبعث يغذيها بالمال والسلاح. وعندما تجدد القتال بداية عام 1969 ارتكب جيش البعث جريمة بشعة في 28 آب 1969 ضد أهالي قرية دوكان. هؤلاء ألتجأوا الى كهف للاحتماء من الغارات الجوية. فقامت قوات من الفرقة الرابعة بتكديس الأخشاب والأعشاب الجافة في فوهة الكهف وأشعلوا النيران فيها. وعلى أثرها إختنق جميع من في الكهف من نساء وشيوخ وأطفال. بلغ مجموعهم 67 ضحية. كما أرتكب الجيش البعثي جريمة أخرى ضد أهالي قرية (صوريا) المسيحية. فقد قامت فصيلة بقيادة الملازم الأول عبدالكريم الجحيشي بإطلاق النيران على أهالي القرية المسالمة فقتل منها 39 من أهاليها العزل. وجرت معارك عديدة على أثرها أكتشف البعث أنه غير قادر على إنهاء الحركة الكوردية بالقوة فمال الى سياسة الخديعة.

كان دعم الحزب الشيوعي العراقي للحركة الكوردية سياسياً وعسكرياً، يقض مضاجع البعث ويشكل عاملاً سلبياً في بقائهم في السلطة. لذا ينبغي فسخ هذا التحالف. وقد أشار Kenneth R. Timmerman ان صدام حسين زار لأول مرة موسكو في شهر كانون الثاني 1970 على أمل الحصول على الدعم السوفيتي ووقف التأييد للحركة الكوردية، لكن Aleksey Kosygin لم يذعن لطلبه. بل أصرّ على "وقف المذبحة ضد الاكراد العراقيين"[254]. بعدها بوقت طويل. خلال حديث مع عضو الكونجرس الأمريكي Stephen Solarz ذكر له صدام حسين بصدد عدم تجاوب السوفييت مع مصاعبه. كان ذلك بمثابة يقظة قاسية لنا: "كنا بالتأكيد شباب بعثيين....كنا في نزاع مع الشيوعيين. نزاع دموي بعض الاحيان. لكن احتفظنا بفكرة ان الاتحاد السوفيتي سيتصرف بشكل مختلف عما شاهدناه."

---

[254] The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. Kenneth R. Timmerman.Page: 11

ومن هنا دخل صدام حسين في مساومات خارجياً ومحلياً لتغير موازين القوى لصالحه.

في 20 كانون الثاني/يناير 1970 أعلنت إذاعة بغداد عن القضاء على محاولة انقلابية بدعم إيراني أعدم على أثرها 16 ضابطاً في الجيش العراقي. وشكل ذلك نقطة الانعطاف في سياسة نظام البعث. فسارع خطاه للتوصل الى صيغة تفاهم مؤقته مع القيادة الكوردية - ببيان 11 أذار 1970.

وبعد سلسلة من الزيارات التمهيدية بين البعث وقيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني، ومساعي روسية. وصل في 12 كانون الثاني 1970 منطقة القيادة الكوردية صدام حسين برفقة الدكتور عزت مصطفى والفريق الركن سعدون غيدان والعميد الركن اسماعيل تايه النعيمي والعقيد الركن طارق توفيق. واجتمع صدام أكثر من ساعة مع ملا مصطفى في اجتماع مغلق. وهنا بدأت خطوات إعادة السلام المؤقت تتسارع. ففي 9 أذار عام 1970 وصل صدام حسين الى منطقة القيادة الكوردية للتوقيع النهائي على اتفاقية 11 أذار.[255]

ولم يكن الهدف من التوصل الى إتفاق مع الزعامة الكوردية غيركسب الوقت. وقد كان الطرف الكوردي مبتهجاً بالتوقيع على بيان أذار عام 1970 وأعتبر ذلك من منجزات الحزب العظيمة.! ويعلق شكيب عقراوي على نقاط الضعف في بيان أذار عام 1970: "لم يجر تحديد نوع الحكم الذاتي الذي سيجري تطبيقه خلال الأربع سنوات" و "لم يسمح بيان أذار بتدخل هيئة دولية كالامم المتحدة أو دولة صديقة للطرفين في الاشراف بصورة رسمية على تنفيذ البنود والاتفاقيات التي جرى التوقيع عليها بين الجانبين." و "لم يجر تحديد المنطقة الكوردية في البيان التاريخي وجرى ترك الموضوع للإحصاء السكاني الذي لم يجر اجرائه." ويضيف : "ومن الناحية القانونية فإن موضوع الحكم الذاتي لم يكتسب الصفة القانونية لأن الإتفاق بين طرفين حول الاتفاق في المستقبل على أمر من الأمور لايعتبر عقداً قانونياً."[256]

[255] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي تموز 2007 . ص: 269

[256] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي تموز 2007 . ص: 295 - 296



ملا مصطفى وصدام حسين مبتهجان للتوصل الى حل
عام 1970

أخذ الثنائي (بكر- صدام) منحى سياسي بدل المجابهة المسلحة ولغة التهديد. وكانت هناك جملة من الإجراءات هدفها الوصول الى الأهداف التالية:

التفاهم مع قيادة الحركة الكوردية حتى يتم عزلها عن إستلام المساعدات الخارجية الإيرانية.

وأيضاً سحب البطاقة الكوردية من أيدي شاه إيران.

وفي فترة السلام يتم شراء ذمم الكوادر السياسية والعسكرية في الحركة الكوردية ودس الجواسيس في صفوفها تمهيدا لضربها.

إيقاع الخلاف بين الحزب الشيوعي العراقي والديمقراطي الكوردستاني والتعامل معهما على انفراد.

التقرب من الحركة الكوردية لتسهيل إضعافها والقضاء عليها إما سياسياً أو عسكرياً أو بالوسيلتين معاً أو بالاغتيالات.

وتمكن البعث من خلال تبني سياسة نفطية وطنية حاسمة الحصول على دعم سوفيتي كامل، وإبعاد الأخير عن دعم الحركة الكوردية خلافاً للسياسة التقليدية السوفيتية التي دعمت الحكم الذاتي للأكراد في الماضي.

توفير الأموال من خلال تأميم شركة النفط الوطنية لتقوية نفوذ البعث داخلياً وخارجياً وتحقيق الاستقلال الاقتصادى وإيجاد مصادر مختلفة للحصول على السلاح والسلع خارج الكتلة الشرقية...

ولم يكن لدى القيادة الكوردية خطط مضادة لمجابهة مخططات صدام حسين. أما ملا مصطفى بعد بيان أذار فقد ركّز على عملية توريث المال والسلطة لابنه وتمزيق الجبهة الداخلية الكوردية وافتعال أزمات لا لزوم لها. وبنى كل أماله على الدعم الخارجي، دون فهم كاف لتعقيدات العلاقات الدولية في أوج الحرب الباردة. وشكّل ذلك عاملاً هاما في فشل الحركة الكوردية كما سنرى.

قام صدام حسين باتخاذ الخطوات التالية:
عرض الإغراءات الاقتصادية وبالأخص في مجال النفط للاتحاد السوفيتي
التفاهم مع القيادة الكوردية لكسب الوقت - أربع سنوات لتغيير موازين القوى لصالحه -.
كسب الحزب الشيوعي الى جانبه والدخول معه في الجبهة الوطنية التقدمية

تأميم النفط

في نهاية عام 1969 وبداية عام 1970 بذل البعث جهوداً كثيفة لتعزيز سيطرته على العراق وترقية بغداد الى مركز قيادي في منطقة الخليج وفي المشرق العربي. وقد عرف قادة البعث أن بلوغ هذه الأهداف السياسية والاقتصادية لايمكن تحقيقها بمعزل عن الدعم السوفيتي. إضافة هناك مشكلة كوردية وموضوع تأميم شركات النفط الأجنبية العاملة في العراق. هذه المشاكل يعتمد حلها على تعاون الإتحاد السوفيتي. ومن هنا أيضاً التقرب من الحزب الشيوعي العراقي.[257]

كانت الشكوك المتبادلة من النوايا العدوانية بين حكام إيران والعراق يشكل الطابع الغالب للعلاقات بينهما بعد الإطاحة بالنظام الملكي الهاشمي في بغداد عام 1958. فقد كان لشاه إيران طموحاته في أن يصبح قوة ذات نفوذ كبير في منطقة الخليج الفارسي بدعم من

[257] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 16-17

الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية. وشعرت بغداد بالحاجة الى تحديث وتوسيع جيشها أمام طموحاته وخططه. كان البعث معادياً علناً "للغرب الإمبريالي". والحل هو الحصول على السلاح المتطور من الاتحاد السوفيتي، حيث يمكن استخدامه ضد الأكراد وإسرائيل وردع شاه إيران من مواقفه المناوئة للعراق.

وبالنسبة للإتحاد السوفيتي، كانت علاقاته مع سوريا تفسح له المجال في أن يكون له دور في النزاع العربي الإسرائيلي. ومع العراق يكون له دور في منطقة الخليج الفارسي العربي.

لقد تم الحصول على الدعم السوفيتي بالتوقيع في إبريل/نيسان 1972 على اتفاقية أمدها 15 عاماً .اتفاقية الصداقة والتعاون بين موسكو وبغداد كانت على شاكلة النموذج المصري لعام 1971. وشمل الاتفاق ميادين واسعة من التعاون المتبادل في السياسة والاقتصاد والثقافة وحقول أخرى. الإشارة الوحيدة المباشرة للتعاون العسكرى ورد في (المادة 8) : اتفق الطرفان على "تنسيق مواقفهما" في حالة وقوع تهديد للسلام. وفي (المادة 9) يعمل الطرفان على تعزيز"قدراتهما الدفاعية". ليس من شك أن المبادرة لهذه الاتفاقية لعام 1972 جاءت من بغداد، وهدفها الفوري كان تأميم الصناعة النفطية العراقية إضافة الى تقوية نفوذ البعث داخلياً وخارجياً.[258]

وكما ظهر فيما بعد، كان الاتحاد السوفيتي راغباً في احتضان دولة مهمة أخرى من دول العالم الثالث خلال اتفاق مماثل للاتفاقية التي وقعتها موسكو مع (الهند ومصر) ومن الناحية الاستراتيجية كان العراق وجمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية الدولتان الوحيدتان في الخليج والجزيرة العربية أقامتا علاقات متطورة مع الإتحاد السوفيتي. وهذا ما وسع من النفوذ السوفيتي في هذه المنطقة الحساسة. لقد ظهر العراق كدولة معادية للإمبريالية والاستعمار والصهيونية مما كان يتمشى مع خط الكرملين.

وعلى الرغم من وجود خلاف بين موقف بغداد وموسكو من إسرائيل، فالبعث يدعي أنه يعمل على إزالة إسرائيل من الوجود. وهذا لم يكن موقف موسكو. الا أن هذا الخلاف كان قليل الأهمية في العلاقات الثنائية العملية، وقد اختفت تحت ضجيج الدعاية المعادية

---

[258] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 18

للإمبريالية والصهيونية في أجهزة إعلام البلدين. وداخلياً كانت موسكو تميل الى منح الحكم الذاتي للأكراد والحرية السياسية للحزب الشيوعي العراقي. وأظهر البعث بعض التساهل في هذا المجال.[259]

كان هاجس صدام حسين هو كيف يسيطر على الجيش والحكومة بقبضة حديدية. ولذا أراد قادة البعث إقامة علاقات وطيدة مع الحزب الشيوعي السوفيتي. بغية الاستفادة من التجربة الطويلة للحزب في مجالات سلطة الحزب على الجهاز التنفيذي وداخل الجيش. لم يلقي هذا الموضوع النشر الواسع في كلتا العاصمتان. لكن الحزب الشيوعي السوفيتي لم يعارض مثل هذه العلاقة التنظيمية بين الحزبين.[260]

اتخذت خطوة المبادرة في استغلال الاحتياطي النفطي شمال الرميلة في شهر تموز/يوليو 1969. عندما وقع العراق والاتحاد السوفيتي اتفاقاً بموجبه يساعد الاتحاد السوفيتي تطوير حقل شمال الرميلة وانشاء الصناعة النفطية العراقية. لم يخفي الكرملين ارتياحه من هذا التحول. فمن خلال توسيع اقتصادهم الوطني سيعتمد العرب "بشكل متزايد وبثقة على الدعم الوذي للمعسكر الاشتراكي" وبالنتيجة "ستتوسع مجالات تبادل المصالح والتعاون بين العرب والبلدان الاشتراكية لتشمل القضايا الاقتصادية بما فيها الصناعة النفطية في العالم العربي." والاتفاقيتان اللتان وقعتا في شهري حزيران/يونيو و تموز/يوليو من عام 1969 بين العراق وموسكو. عكستا هذا المنحى. علاوة مثلت الاتفاقيتان "ضربة قوية لمصالح الشركات الاجنبية الاحتكارية" وبلغ مدى امتعاض الغرب ان اشارت ال Associated Press الى اتفاقيتي عام 1969 بـ "الثمرة الاولى للسياسة الهادفة الى تقوية النفوذ السوفيتي في الخليج الفارسي" ووجدت Izvestia ان "تضايق اليانكي امر مفهوم لان قلقهم ليس على التأثير الخيالي للاتحاد السوفيتي. لكن بسبب حقيقة بداية انهيار خططهم بالذات الهادفة الى السيطرة على نفط العرب".[261]

كان الاتحاد السوفيتي مهتما بتوحيد الجبهة الداخلية العراقية. وأشارت الصحافة السوفيتية الى موضوع الاحتكارات الاجنبية ومخططاتها ومؤامراتها ضد الحكومة العراقية.

---

[259] Ibid. 18

[260] Ibid. The USSR and Iraq.1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page:18

[261] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page:. 52

فعلى سبيل المثال، في شهر نوفمبر 1971 كتب Pavel Demchenko في الـ Pravda وهو من الملمين بشؤون الشرق الاوسط، أعاز تصاعد التوتر في المنطقة الكوردية ليس فقط الى نقص في الاتحاد بين البعث والحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكوردستاني، بل أيضاً الى "مؤامرات القوى الامبريالية وشركات النفط وعملائهم." وزاد Demchenko ان الخلافات بين العرب والأكراد توفر الفرصة لهذه القوى للاحتفاظ بمواقعها في الاقتصاد العراقي وجنى الارباح من بتروله" [262]

اضافة الى التحذيرات من :"النوايا الامبريالية" واصلت الصحف السوفيتية التعبير عن ارتياحها من الخطة الاقتصادية العراقية الهادفة الى تعزيز العلاقات الاقتصادية السوفيتية العراقية وتوسيعها. وعلقت الـ Pravda على الخطة الخمسية الحكومية 1970 – 1974 معبرة عن دعمها للخطة و "مواصلة تعزيز برامج التصنيع والتقدم في مجال الصناعة الوطنية النفطية وبناء معامل البتروكيماويات وبناء البواخر وفروع أخرى مرتبطة بالطاقة في الصناعة الوطنية العراقية. كل ذلك كان موضع اطراء خاص، اضافة الى الخطط التنموية الهامة في قطاع الدولة الصناعي." [263]

وكانت موسكو مرتاحة تماماً من الموقف الرسمي للحكومة العراقية في مجال التعاون مع الاتحاد السوفيتي. ففي بداية اغسطس 1970 خلال زيارة صدام حسين الى موسكو، تكلم القائد البعثي عن "امتنان العراق العميق للدعم السوفيتي العظيم لتطوير اقتصاد بلاده" وكان اكثر اطناباً في تعبيره عن تقدير الدور السوفيتي خلال زيارته في شهر فبراير 1972 لموسكو قبيل التوقيع على معاهدة الصداقة والتعاون الموقعة في شهر ابريل 1972 وما تبعته من تأميم شركة النفط العراقية. كانت الزيارة مهمة بشكل خاص لكون بغداد قد ضمنت التأييد السوفيتي بشأن قرار تأميم IPC وليس بعد ذلك التاريخ. ففي كلمته أثناء العشاء أشار صدام حسين الى "التطور الهام في حقل التكنلوجيا والتعاون الاقتصادي بين البلدين" وأوضح اهمية المساعدة السوفيتية في "استخدام الثروة النفطية" وشدد على "الاهمية القصوى لهذه المشكلة في حياة شعبنا والذي قرر المطالبة بحقوقه المشروعة في صراعه مع الشركات الاحتكارية ولضمان حقوق السيادة على الموارد الوطنية". وزاد صدام حسين "انه من خلال العمل على تحقيق هذا الهدف، يعتمد العراق على قواه الذاتية

---

[262] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M Smolansky. Page: 52-53

[263] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page:. 53

وعلى الدعم من الاصدقاء وبشكل خاص من الاتحاد السوفيتي. هذه المساعدة نحن نقدرها تقديراً استثنائياً."[264]

وعند دخول إتفاقية الصداقة والتعاون السوفيتية – العراقية حيز التنفيذ، كان هدف الجانبان توطيد مصالحهما وعلى إستعداد لعمل تنازلات بغية تحقيق اهدافهما الأساسية. فقد جهز السوفييت العراق بمعونات عسكرية هامة ودعموا العراق سياسياً واقتصادياً لإنجاح خطوة تأميم شركات البترول الغربية. وبالمقابل أبدى البعث الحاكم المرونة تجاه الأكراد والشيوعيين. كما وفرت الحكومة العراقية للسوفييت تسهيلات محدودة جوية وبحرية، وقدمت لهم فرص اقتصادية ممتازة. وحصل كلا البلدان على فوائد جمة، ويفسر هذا استمرار الاحتفاظ في النصف الأول من عقد السبعينات بعلاقات جيدة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً.[265]

كان الإتحاد السوفيتي يؤيد بشكل لالبس فيه مبدأ تاميم شركات النفط الغربية الكبيرة العاملة في بلدان العالم الثالث. المبادرة تأتي أولاً من حكومات البلدان النامية أنفسهم وثم تقوم الكرملين بعرض الدعم المعنوي كلما كان ذلك عملياً. على سبيل المثال أثناء عقد كونفرنس منظمة الدول العربية المصدرة للنفط في الكويت في أذار 1970، حثت (برافدا) المشاركين الضغط على حكوماتهم "لاستخدام واحد من أهم ثروات العرب لخير الشعوب العربية" وأفضل وسيلة لبلوغ ذلك الهدف هو "تأميم شركات النفط الأجنبية" وكان قد توصل المؤتمر الذي عقد في شهر تشرين الاول/ أكتوبر عام 1970 لمنتجي النفط في الجزائر الى نفس القناعة، نوقش فيه أيضاً ضرورة التوصل الى صياغة "معادلة لخطة مشتركة ضد الاحتكارات" وأيدت (برافدا) ذلك وكتبت: "الهدف النهائي المتوخى من هذه الإجراءات هو التحرير الكامل لجميع المصادر الطبيعية للبلدان العربية من رساميل القوى الخارجية."[266]

---

[264] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page:. 53

[265] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 19

[266] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 54-55

"لم يشك السوفييت من أن "نتائج النزاع بين شركات النفط الغربية والدول المصدرة للنفط سينتهي إلى تعزيز إتحاد الدول المنتجة للنفط. وسيؤدى الى تطوير شروط يفقد فيها الكارتيل الامبريالى النفطي دوره في التأثير على عملية إمتلاك الشعوب العربية لنفطها.

عندما اتهمت بغداد في شهر مايس 1972 شركات النفط الأجنبية في العراق القيام بـ "نشاط تخريبي". فقد أشارت الحكومة العراقية الى أن خفض الإنتاج في شمال العراق حرّم ميزانية الدولة من (L33 million) من الواردات خلال شهر آذار - نيسان والأسبوع الأول من شهر مايس. وردّت السلطة على ذلك بتقديم إنذار لشركة النفط العراقية طالبة منها "زيادة استخراج النفط الى الطاقة القصوى للأنابيب" وبالتنسيق مع وزارة النفط والمصادر الطبيعية العراقية قدمت خطة بعيدة المدى لاستخراج النفط في العراق واتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذ الخطة.

وحسب ماذكرته The New Times أعطت الحكومة العراقية مهلة أسبوعين للردّ. مع "احتفاظ الحكومة العراقية بحق اتخاذ الخطوة التي تراها ضرورية لحماية مصالحها المشروعة". وأشارت الصحافة السوفيتية بأن "الإنذار" و"المبادرة لاستخراج النفط بجهود الأمة نفسها هو مصدر سخط كبير للاحتكاريين". لاشك. كان هناك ترابط بين الحدثين الا وهو "تدشين حقل شمال الرميله والذي وفر للشعب العراقي فرص جديدة لنضاله ضد هيمنة الاحتكاريين الأجانب".

وتمشياً مع الخط السابق، أيدت الحكومة السوفيتية قرار التأميم الصادر في 1 حزيران 1972. وجاء في البيان المشترك في نهاية زيارة وزير الخارجية مرتضى سعد عبدالباقي لموسكو في شهر حزيران، أعلن الجانب السوفيتي عن كامل دعمه لإجراءات الحكومة العراقية وللنضال العادل للشعب العراقي الهادف لاستعادة حقوق السيادة على المصادر الطبيعية للبلاد لتطوير واستقلال الاقتصاد الوطني.

وقام السوفييت بحملة إعلامية واسعة تأيداً لقرار التأميم. فقد علقت The New Times على ماورد في Baghdad Observer من أن القرار "بشكل انعطاف تاريخي" بينما وصفت Pravda القرار بأنه "مؤشر على التصميم الكامل للحكومة والشعب العراقي لتعزيز استقلال البلاد سياسياً واقتصاديا والسير قدماً نحو التحولات الاجتماعية". ومع قرار سوريا في تأميم ممتلكات شركة النفط الوطنية IPC رحبت موسكو بالخطوتين واعتبرت ذلك "صفحة جديدة في نضال الشعوب العربية للسيطرة على كافة ثرواتها الطبيعية وترسيخ سيادتها

الوطنية. وأخيراً فأن تأميم شركة النفط الوطنية له أهمية قصوى، لأنها لم تكن ببساطة "عقوبة اقتصادية ضد غطرسة الاحتكاريين، لكنها أيضاً تحدى سياسي للقوى الإمبريالية."[267]

يقول بريماكوف في معرض تأميم النفط: "كان تأميم شركة النفط الوطنية يوازي في أهميته تأميم قناة السويس بالنسبة لمصر ولشعبها. تنبأ عدد من المعلقين الغربيين ان النظام الثوري العراقي سيلقى نفس مصير محمد مصدق الذي أمم صناعة النفط الإيرانية عام 1951 (.........) وقد هددت شركات النفط الكبرى، كما فعلت قبل عقدين من الزمن ضد شركة النفط الفارسية البريطانية، محاكمة كل من يجرأ شراء النفط العراقي مدعية أن هذا النفط سلب منها بشكل غير قانوني." ويضيف بريماكوف: "في الواقع لم يكن هناك تشابه مع إيران، فبدعم من الإتحاد السوفيتي، نجح العراق في إقامة صناعة إستخراج النفط بإشراف الدولة في شمالي الرميله وأبرمت عقوداً مع الإتحاد السوفيتي لتزويده بالنفط العراقي ومع ألمانيا الشرقية، بلغاريا، هنغاريا، بولندا، جيكوسلوفاكيا، كذلك فرنسا وإيطاليا."[268] ويزيد بريماكوف: "تقوى الموقف العراقي بالدعم السوري والتى في نفس الوقت أممت جميع ممتلكات الـ (IPC) في الأراضي السورية وعقدت إتفاقية مع العراق بخصوص نقل النفط العراقي الى الساحل المتوسط ....."[269]

إن وضعنا خطوات التأميم في إطارها التاريخي، سنرى أنه رغم عدم وجود جدول زمني محدد لتأميم الصناعة النفطية في البلاد، لكنه حظي كمبدأ باهتمام جميع الزعماء الذين توالوا على الحكم في بغداد منذ عهد اللواء الركن عبدا لكريم قاسم، لم يكن البعث مستثنى من هذا المبدأ. فعندما وجهت L'Orient اللبنانية السؤال الى نائب الرئيس صدام حسين في مجلس قيادة الثورة في 1971/5/18 فيما اذا كان العراق يتوخى تأميم شركات البترول الأجنبية، أجاب: " ليس هناك نظام في هذا العالم لا يعمل من أجل تحرير نفطه ويدعي بأنه قومي وتقدمي.... نحن لا نسعى إلى تحقيق جميع أهدافنا دفعة واحدة ، لكن إن فشلنا في تحقيق ذلك في المستقبل، سوف لن يكون بإمكاننا تسمية أنفسنا بتقدميين.".

---

[267] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 55

[268] Russia & The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York. 2009. P: 306

[269] Russia & The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York. 2009. P: 306

هنا نجد أن صدام حسين يلعب أوراقه مع شركات النفط بحذر شديد. إذ ينبغي أولاً الحصول على أموال خارجية ومساعدات تكنيكية وإيجاد أسواق لحماية العراق من فرض المقاطعة من قبل شركات النفط الغربية العملاقة. كان مثال رئيس وزراء إيران محمد مصدق في بداية الخمسينات مثالاً ينبغي وضعه في الحسبان. ولجميع هذه الأسباب فقد حاولت بغداد قبل تأميم شركة النفط مقايضة بترولها لزبائن من الكتلة الشيوعية وبعض الغربيين مقابل البضائع والخدمات.[270]

وكما توضح فيما بعد كان الإتحاد السوفيتي وفرنسا من القوى العظمى الأوائل الراغبين في تلبية حاجات العراق. فقد شعرت موسكو أن هناك فرصة نادرة لإضعاف بعض مصالح الغرب الاقتصادية في الشرق الأوسط وتقوية روابطها مع دولة عربية هامة في مجال النفط. وبعد التوقيع على وثيقة التفاهم في شهر ديسمبر 1967، وقع اتفاق أخر بين الطرفين في شهر حزيران 1969 . وبموجب بنودها تسلم العراق مساعدات اقتصادية وتكنيكية سوفيتية بقيمة 72 مليون دولار للتنقيب عن النفط واستغلاله في منطقة الحلفاويه في جنوب العراق.[271]

أعقبت مبادرة حزيران 1969 إتفاق مماثل يوفر 70 مليون دولار إضافي لتطوير الاحتياطي في المنطقة شمال الرميله الغنية بالنفط في جنوب العراق، وتديرها شركة النفط الوطنية العراقية. كلا القرضان يدفعان بالمقايضة مقابل النفط. هذا الإجراء وفرّ لموسكو أرباحاً اقتصادية هامة بعد ارتفاع أسعار البترول عام 1973.

واتخذ الإتحاد السوفيتي بين أعوام 1969 – 1972 خطوات أخرى لتمكين العراق استخراج وتكرير النفط وتم تشكيل الاطار الذي من خلاله تتطور العلاقات الاقتصادية الثنائية بالتوقيع على اتفاقية أذار لعام 1970. وتأسست بموجب الاتفاقية لجنة مشتركة دائمة "لدراسة توسيع العلاقات الاقتصادية والتكنيكية والتجارية بين البلدين" أمدها 5 سنوات ولها قابلية التجديد تلقائياً الا اذا ألغيت من قبل أحد الطرفين.

---

[270] Russia & The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York. 2009. P: 47

[271] Russia & The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York. 2009. P: 47

ومن المبادرات الهامة جداً والتي نوقشت خلال هذه الفترة كانت اتفاقات إضافية لتطوير حقل شمال الرميلة وبناء خط أنابيب بطول 143 كيلومتر بينها وبين الخليج الفارسي حيث ينتهي في المياه العميقة للفاو، وبناء مصفي في الموصل ومدّ أنابيب لربط بغداد بالبصرة واتفاق حول إيجار سفن لنقل البترول من شمال الرميله الى الإتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية بعد ان بدأ الإنتاج في ابريل/نيسان 1972... إضافة وسعت موسكو من حجم مساعداتها التكنيكية الى شركة النفط الوطنية العراقية (INOC) لتشمل أجهزة للزلازل وحفر الآبار إلى إقامة مركز لتدريب الموظفين في الشركة.

في بداية عام 1975 بلغ التأثير السوفيتي في العراق أوجه. فالكميات الهائلة من السلاح الرومي كان يصل بغداد بشكل لم يسبق له مثيل. ساهمت في حلّ المسألة الكوردية، والعلاقات بين البعث والحزب الشيوعي العراقي كانت ظاهرياً على أحسن ما يرام، والشيوعيون كانوا يشغلون ثلاث مناصب وزارية ويتعاون الحزبان فى الجبهة الوطنية التقدمية.

وحتى بعد تأميم شركة النفط الوطنية، استمرت بغداد في الاعتماد على السوفييت للمساعدات الاقتصادية والتكنيكية، ومقابل البضائع السوفيتية والخدمات كان العراق يسدد بالنقد أو المقايضة بالبترول، ومن وجهة نظر موسكو شكل ذلك وضعاً مرغوباً.

هذا الوضع المربح للكرملين لم يدم طويلاً، ففي نهاية السبعينات بدأ العراق ببطيء لكن بثقة يفرض نفسه على سيده السوفييت. وعندما نلتفت الى الماضي نتوصل الى أن هذا الانعطاف في الأحداث أصبح ممكناً بسبب حادثين منفصلين لارابط بينهما: ارتفاع أسعار النفط بعد حرب 1973 وهزيمة الحركة الكوردية ربيع عام 1975.[272]

إن ارتفاع أسعار النفط الهائل وفرّ للعراق أموالاً طائلة مكنها من سدّ جميع حاجاتها العسكرية والاقتصادية، ليس فحسب لدى الإتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية إنما مع الغرب أيضاً. فانهيار المقاومة الكوردية حررّ العراق من الاعتماد الكلى على السلاح السوفيتي ومن الدعم السياسي الرومي المخطط لموازنة الدعم الإيراني والإسرائيلي والدعم الأمريكي غير المباشر للأكراد....

---

[272] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 25

باختصار تجمعت عدة عوامل مثل الاستقلال الإقتصادى والنصر العسكري على الأكراد وتطبيع العلاقات مع طهران، مكنت بغداد متابعة مصالحها من غير أعطاء اعتبار كبير لرغبات موسكو.. وفي ظل هذه الظروف، فقدت الجبهة الوطنية أهميتها السابقة بالنسبة للبعث، وحيث يشارك فيها الحزب الشيوعي العراقي مع البعث، ولم تثمر المساعي الروسية في رأب الصدع، فقد رفض البعث المساومة مع الحزب الشيوعي العراقي وتحول الى القمع فأعدم 21 شيوعياً في شهر مايس 1978 بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم، وأعقب ذلك أعمال قمع متواصلة، ولم يعد للحزب الشيوعي وجود كقوة سياسية عراقية هامة. كما إن مواضيع الخلاف التي أهملها البعث عمداً مع السوفييت في العقد السابق، عادت إلى الظهور لتبرز الخلافات في المصالح الأساسية بين موسكو وبغداد، وبالنتيجة تدهورت العلاقات بين البلدين بشكل حاد لتصل الى حافة القطيعة في الفترة الواقعة بين 1978 – 1980.[273]

وفيما يخص المصالح السياسية والاقتصادية البعيدة المدى، فقد نجحت الحكومة العراقية في جهودها لتأمين الاسواق الغربية لبترولها بعد تأميم شركة النفط العراقية. ففي زيارة لصدام حسين، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، الى فرنسا في شهر حزيران من عام 1972، تم التوقيع على إتفاقية أمدها عشر سنوات، يتيح لشركات النفط الفرنسية والتي كانت حصتها % 23.75 من شركة النفط العراقية، أن تحصل على مايعادل النفط المأمم. وأشارت اليومية الفرنسية (لوموند) الى مفاوضات سرّية حول صفقة سلاح بحوالي (6 بليون فرنك فرنسي)[274] مقابل النفط، كان صدام يريد السلاح، وهذا ما لم ترفضه الحكومة الفرنسية والتي أصبحت شريكة في مشاريع صدام التسليحية. وفي تطور آخر زادت إيطاليا من حجم إستيرادها فوق المعدل الكلي 20 مليون طن لأمد عشر سنوات، وقع هذا العقد في شهر أذار عام 1972، ثم تتالت عقود كبيرة اخرى مع البرازيل واسبانيا. ونتيجة لهذه الإجراءات، إضافة للعقود مع السوفييت والكتلة الشرقية، فقد استطاع العراق التخلص من التهديدات المحتملة للشركات الغربية العملاقة بفرض المقاطعة على بتروله.[275]

---

[273] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page:25-26

[274] The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. Kenneth R. Timmerman.Page: 13

[275] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page:22-23

كان من نتائج زيادة الإنتاج النفطي بعد تأميم شركة النفط الوطنية مصحوباً بارتفاع أسعار النفط في الأسواق العالمية. ان تمكنت بغداد تبني مشاريع اقتصادية متطورة وبسرعة. ولم تقتصر العقود على الاتحاد السوفيتي او الكتلة الشرقية. انما تم التوقيع على عقود كبيرة مع الدول الغربية. ففي عام 1973 تفاوضت شركة النفط الوطنية العراقية مع الشركة الامريكية (Brown and Root) لإنشاء محطتين في المياه العميقة في الساحل الجنوبي ونصب انابيب تحت المياه لربط المحطتين مع مدينة الفاو. كما ان مجموعة من الشركات الالمانية الغربية نالت عقداً لإنشاء القسم البري من المشروع. وفي عام 1974 علاوة على مدّ خط أنابيب واسعة يربط المحطات الشمالية والجنوبية والغربية مع محطات الضخ. أخذت شركة ألمانية عقد بناء انابيب بطول 980 كيلومتر من كركوك الى ميناء Dortyol التركي على البحر المتوسط. كما زودت الهابان الانابيب الضرورية لهذا المشروع. كذلك الانابيب بين بغداد والبصرة.[276]

نظراً للزيادة الهائلة في ارباح مبيعات النفط والقروض التي منحتها الدول الصناعية. ان تحقق ازدهار اقتصادي كبير. فقد استلمت بغداد اكثر من 6 بليون دولار في عام 1974 فقط من صادرات البترول. وصرفت من هذا المبلغ 4.5 بليون على الاستيراد. لقد انغمس العراق في السوق التجارية العالمية للحصول على السلع والخدمات الضرورية استجابة للتطور والازدهار الهائل في العراق. نجم عن ذلك تغير اتجاه التخطيط التجاري للبلاد. في حين اعتمد العراق قبل 1974 وبدرجة كبيرة على التعامل بالمقايضة مع الاتحاد السوفيتي وبلدان اوروبا الشرقية. كان المستفيد الرئيسي عام 1974 وفيما بعد هي الدول الصناعية الغربية المتطورة. والسبب الرئيسي لهذا التحول يعود الى توفر كميات كبيرة من العملة الصعبة المنصبة في خزينة الدولة من مبيعات النفط والى تفضيل الدولة العراقية للمنتجات الغربية ذات النوعية الجيدة.[277]

أصبح العراق مركز جذب العقول الفنية العربية بالأخص من مصر، ومن بقية الدول العربية كالمغرب وتونس والجزائر واليمن. كما أصبح النظام البعثي بقيادة البكر – صدام موضع اهتمام الحكومات العربية لوزنه الاقتصادي وامتصاصه لدرجة من البطالة في

[276] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page:23

[277] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page:30

البلدان المذكورة. فقد تجاوز عدد الوافدين من البلدان العربية الثلاث ملايين وكانت لديهم إمتيازات جيدة لم توفرها لهم بلدانهم. كان البعث يريد من خلال سياسة فتح الحدود لتوافد العرب الى إثبات نظرته الوحدوية واعتبار العرب أبناء وطن واحد أينما كانوا. وأيضاً لإدخال تغير ديمغرافي واسع بهدف طمس هوية الشعب الكوردي عن طريق الترحيل الإجباري من كوردستان ومن خلال سياسة التعريب التي نفذت بعد انهيار الحركة الكوردية. مع العلم لو أخذنا الجانب الكوردي المتمثل في القيادة الكوردية، نرى منحى سياسي مناقض لمصلحة العلاقات الكوردستانية. إذ عانى ممثلي الكورد الذين إلتجأوا من الأجزاء الأخرى من كوردستان الى المناطق المحررة في كوردستان – عراق، عانوا من الاضطهاد. فقد قتل بأمر من القيادة الكوردية المسؤول القيادي في (حدك – إيران، سليمان معيني وسلمت جثته الى السافاك الإيراني. كما زادت الضغوط على سكرتير الحزب أحمد توفيق الى أن غادر الى بغداد ليقتله نظام البعث فيما بعد. كما قتل سعيد إيلچي القيادي في الحزب الديمقراطي الكوردستاني – كردستان الشمال، بعد رفاقه القياديين وثم قتل الدكتور شفان بأمر من قيادة الحركة الكوردية. وهكذا أصاب الشلل نشاط الاحزاب الكوردية في كردستان الشرقية والشمالية. وكان ذلك موضع رضا السافاك الإيراني والميت التركي. ولم يؤدي تدخل قيادة حدك في الشؤون الداخلية لكورستان الغربية – سوريا – الى توحيد قواها السياسية ووحدة نضالها. كما شهدت الحركة الكوردية السياسية في لبنان والتي كانت نشطة في صفوف المهاجرين الكورد التشرذم الداخلي.[278]

في واقع الأمر، سلكت قيادة الحركة الكوردية سلوك ترضية دول الجوار وعلى حساب حماية "العلاقات الكوردستانية" في الأجزاء الأخرى المحتلة من كوردستان، منتهكة علاقات التضامن بين أجزاء كوردستان مقابل مساعدات مسمومة إنتهت الى كارثة. ويشير أرشيف أمريكي في عهد الرئيس نكسون، أثناء لقاء أول وفد كوردي سافر الى واشنطن والتقى سراً بمدير المخابرات المركزية (هيلمز) في 30 حزيران 1972 وبحضور الكولونيل ريتشارد كنيدي، طلب الوفد الكوردي المؤلف من الدكتور محمود عثمان وإدريس البارزاني: "نظراً لنفوذ الولايات المتحدة، بإمكانها السعي في المستقبل لإقناع إيران وتركيا من أن الحركة الكوردية في العراق ليس لديها أطماع في الأراضي أو طموحات سياسية فيما يتعلق بالشعب الكوردي في إيران أو تركيا. حركة البارزاني تولي أهمية خاصة بالحكومة التركية، فقد رفضت الدخول في أية صلات مع أكراد العراق، رغم أن طلقة واحدة لم تطلق خلال العشر سنوات الماضية على الحدود المشتركة مع تركيا. بل العكس، حرصت الحركة الكوردية في

---

[278] تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها 1977 أوائل كانون الثاني. ص: 49 - 50

الواقع حماية الأمن على طول حدود تركيا وايران مع كوردستان. وهذا يخلق الكثير من الأمن على الحدود التركية والإيرانية مع عراق عدواني. سوف يكون موضع تقدير من الأكراد لو سعت الولايات المتحدة إقامة صلات مباشرة بين الأكراد والحكومة التركية. وعبروا عن إستعداد أكراد العراق التوقيع على أية ضمانات حدودية يرغب فيها الأتراك و الإيرانيون. وأن البلدين يمكنهما ان يكتبا أية ضمانات يريدونها حول الحدود وسيوقعها الجانب الكوردي."[279]

ويشير القيادي الدكتور محمود عثمان – عن المنحى الخطير الذي وصلت اليه علاقات التبعية مع إيران: " أرسلت هذه القيادة – يعني بها قيادة ملا مصطفى – مفارز من البيشمركه التابعين لها الى داخل إيران للتعاون مع القوات الإيرانية في قمع بعض المقاومات المسلحة لمناضلي كوردستان إيران.،......"[280]

هدنة مع القيادة الكوردية [بيان 11 آذار 1970]

ومما يلفت النظر ان القيادة الكوردية حتى قبل التفاهم مع نظام البعث أفشت لقادة البعث سرّ وجود مؤامرة ايرانية ضد حكمهم. وكانت السلطات الايرانية قد أعلمت القيادة الكوردية بالمحاولة الانقلابية من قبل والتي كان من المفروض ان يقوم بها العميد الركن عبدالغني الراوي والمقدم الركن عبدالرزاق النايف المطرود من العراق كما أشرنا سابقاً. ولهذا الغرض دعا شاه ايران في شهر أب ملا مصطفى الحضور الى طهران للتداول في شأن الانقلاب. حضر الأخير ومعه الدكتور محمود عثمان واشتركوا في المداولات والاجتماعات التي اشترك فيها المسؤولون الإيرانيون، ويبدو ان شاه إيران كان يعلق الأمل على نجاح الانقلاب.

يذكر القيادي في جهاز (پاراستن = أمن حدك) شكيب عقراوي:

"وصل الى مقر ملا مصطفى سمير النجم عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في 18 كانون الاول/ديسمبر 1969 ومعه عزيز شريف واللواء المتقاعد فؤاد عارف والتقوا بملا مصطفى في ديلمان، وكانت الزيارة تهدف الى تهيأة الأجواء للبدء بمفاوضات

[279] CIA Archive concerning June, 1972 meeting between the Kurdish delegate and the CIA director.

[280] تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها 1977 أوائل كانون الثاني. ص: 49 - 50

جدية. وأن حزب البعث قد قرربدء صفحة جديدة وانه يعترف بقيادته والتفاوض معه لإيجاد حل للقضية الكوردية.[281] وقد أرسل ملا مصطفى دارا توفيق مع الوفد الحكومي الى بغداد وأوصل رسالة شفهية من قائد الحركة الكوردية الى قادة البعث مفادها: "ان القيادة الكوردية ليست عميلة لأية جهة أجنبية وانها تتصرف حسب مصلحة الشعب الكوردي وأن هناك كفاحاً يجري في كوردستان العراق لنيل حقوق الشعب الكوردي. وحسب أمر البارزاني عرض دارا توفيق على صدام حسين عن وجود مؤامرة ايرانية ضد الحكم. ورد صدام حسين مجيباً بأنه يعلم بوجود المؤامرة الايرانية بقيادة عبدالغني الراوي وأنه قد فسح المجال لمسعى المتآمرين بغية كشف جميع خطوط المؤامرة لمعرفة جميع المتآمرين وبعد ذلك سيجري القاء القبض على القائمين بها قبل موعد التنفيذ"[282]

كانت المفاوضات تقترب من نهايتها بين بغداد وقيادة الحركة الكوردية في بداية شهر أذار عام 1970. هل كانت القيادة الكوردية مخترقة من قبل نظام البعث؟ هل كان صدام حسين على علم بما يجري من اتصالات بين ملا مصطفى خفية مع الطرف الإيراني؟ ولهذا كان لايعارض المطالب الكوردية ولايدع مجالاً لتملص القيادة الكوردية من التوصل الى حل؟ نرى سخاءً غير معهود في شهر أذار من الطرفين الإيراني والعراقي لتلبية مطالب القيادة الكوردية. كانت هناك ما يشبه لعبة "جرّ الحبل" بين بغداد وطهران. ونجح البعث في لعبة الاستمالة على إيران. فقبل توقيع بيان أذار بأسبوع واحد. وصل إدريس نجل ملا مصطفى الى طهران في 4 أذار1970 وليس من شك كان الهدف الإيراني إفشال المفاوضات الجارية بين الزعامة الكوردية ونظام البعث. ويشير أرشيف أمريكي الى:

1 إدريس البارزاني. نجل زعيم التمرد الكوردي ملا مصطفى بارزاني. وصل طهران. إيران. في 1970/3/4 تلبية لدعوة من منظمة الأمن والمخابرات الوطنية الإيرانية (سافاك) لمناقشة مستقبل الثورة الكوردية. التقى كل من إدريس بارزاني. سامي سنجاري وأمير قاسم في 4 و 5 أذار بممثلي حكومة إسرائيل. شدد الإسرائيليون على استئناف الحرب في شمال العراق ووعدوا تزويد الكورد بمضادات الطائرات والمدفعية الخفيفة. طلب إدريس البارزاني مساعدات تشمل سيارات مدرعة وناقلات شخصية مدرعة. قبل الإسرائيليون تزويدهم بهذه التجهيزات. وفي الحديث الذي تلا. ذكر الإسرائيليون ان على ملا مصطفى البارزاني بذل جهود للإستيلاء على دبابتين عراقيتين على الأقل. لإستخدامها كغطاء. ووعد الإسرائيليون أنهم سوف يزودون دبابات إضافية مع طاقمها. خلال إيران. قال إدريس

---

[281] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. مطبعة مناره – أربيل. ص : 264

[282] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. مطبعة مناره – أربيل. ص : 165

البارزاني إنه يفضل ان يكون طاقم كل دبابة كوردياً وطلب تدريب الأكراد لإستخدام الدبابات. وافق الإسرائيليون فوراً على الطلب.

2. في 6 آذار التقى ادريس البارزاني بالجنرال نعمت الله نصيري، رئيس السافاك. ناقش نصيري الخطط الإيرانية لزيادة المساعدات لملا مصطفى البارزاني وقلق إيران فيما يخص المفاوضات الجارية بين ملا مصطفى والنظام العراقي. ذكر ناصري أن إيران تدعم الخطة الإسرائيلية كاملاً لتجديد الحرب في شمال العراق، وان على إدريس بذل فائق الإهتمام بالمقترحات الإسرائيلية. وكان من المفروض ان يلتقي إدريس البارزاني مع نصيري مرة ثانية في 7 آذار لمناقشات إضافية حول المقترحات الإسرائيلية.

3. خلال الشهر الماضي بلغت المساعدات المالية الإيرانية والإسرائيلية 000 200 .1 دينار عراقي، أو مايعادل 3,360,000 دولار أمريكي."[283]

لانعلم هل عاد الوفد الكوردي من ايران الى كوردستان والتقى بصدام حسين الذي وصل الى مقرّ القيادة الكوردية في 9 آذار عام 1970. ووقع هدنة سماها الطرفان بـ "إتفاقية آذار".؟

إختارت القيادة الكوردية التفاهم مع بغداد، أو ربما لم يمنحها صدام حسين فرصة التهرب من توقيع بيان آذار. يقول شكيب عقراوي: "وفي الساعة 11.30 قبل منتصف ليلة 11/10 مارس 1970 وقع البارزاني و صدام حسين على اتفاقية 11 آذار 1970 والتي دخلت التاريخ كحدث مهم في تاريخ نضال الشعب الكوردي." ويضيف: "ومن شدة فرحه فان صدام حسين خرج من غرفة الإجتماع وأطلق اطلاقة من مسدسه بسبب استطاعته التوصل الى الاتفاقية وأشار للبدء بالأفراح."[284]

وضع الإعلان عن الإتفاق بين بغداد وقيادة الحركة الكوردية في 11 آذار 1970 نهاية مؤقته لتعاون القيادة الكوردية مع إسرائيل وإيران. هنا تمكن صدام حسين أن يؤجل هذا التعاون ويحصل على 4 سنوات هدنة لتقوية جيشه. وليس من شك ان صدى الإتفاق كان محبطاً لطهران وتل أبيب.

---

[283] ACQ(7 March 1970) Intelligence Information Cable TDCS DB 315/01044-70.

[284] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. مطبعة مناره – أربيل ص: 269

إنتاب الشاه القلق من الإتفاقية وكان ينظر إليها من خلال منظار الحرب الباردة وخطورة تقوية النفوذ السوفيتي في المنطقة. ففي اليوم الثاني بعد الإعلان عن إتفاقية آذار. أبرق السفير الأمريكي في طهران لواشنطن يقول: "إتصل رئيس الوزراء الإيراني (هويده). وذكر أن الشاه كلفه البارحة مساءً. أي مساء 11 آذار 1970 الإتصال بي وتذكيري بمحادثات الشاه معي في 4 من شهر شباط (راجع البرقية) بشأن التهديد السوفيتي العراقي للشرق الأوسط. كما أشارت إليه مخاوف الشاه من أن السوفييت حققوا الخطوة التالية في برنامجهم (مراجعة البرقية) بتشكيل إقليم اوتونومي لكوردستان العراقية. وقال ان البارزاني أخبر الحكومة الإيرانية بشكل بالغ السرية قبل ثلاثة أيام أنه بقبول الحكومة العراقية لإقليم كوردستان الاوتونومي وجميع المطالب الكوردية الاخرى. لم يعد لديه أية ذريعة معقولة لاستمرار الكورد في الصراع ضد حكومة بغداد. وذكر هويده ان الشاه كان على حق وسباقا في تنبؤاته حول نوايا السوفييت والعرب الراديكاليين في مساعيهم للتغلغل في أجزاء أخرى من الشرق الأوسط. (مثل ليبيا. السودان. الصومال. اليمن الجنوبي. الخ) وكان على حق فيما يخص أهداف السوفييت في العراق. فإذعان بغداد أمام إصرار الكورد على مطلب الاوتونومي كان. حسب مصادر موثوقة. نتيجة مباشرة لضغط موسكو على بغداد.

2- يريد الشاه من أعلى الجهات الحكومية ان تعرف ان الاتفاقية بين الكورد والحكومة العراقية تطور خطير يزيد بشكل كبير التهديد في منطقة الخليج وفي الجزيرة العربية وذلك للأسباب التالية:

أ – وكما بثتها هيئة الاذاعة البريطانية هذا الصباح ان الاتفاقية ستسمح "بانتشار حوالي 20000 من القوات العراقية في الخليج."

ب – إنها توفر المزيد من الموارد والقدرات للعراق لأغراض تخريبية عديدة ضد دول الخليج الصغيرة.

س – يتضح ان الحكومة العراقية هي تحت التأثير السوفيتي بسبب اعتمادها على الأسلحة السوفيتية وعلى معونات أخرى للبقاء.

د – ستعبد الطريق للخطوة السوفيتية المقبلة. وهي تحويل اقليم كوردستان العراق المتمتع بالحكم الذاتي الى دولة تتوسع في نهاية المطاف كي يكون لها حدود محاذية مع الاتحاد السوفييتي وهذا يمكنه من التغلب على الحاجز التركي الايراني الراهن والاندفاع المباشر في الشرق الأوسط. (مراجعة البرقية).

ج – ولن يقوم السوفييت الآن بإثارة العواطف القومية القوية للشعب الكوردي في أوساط أكراد تركيا وايران للقيام بأعمال تخريبية من اجل إقامة دولة كوردية مستقلة مترامية.

3 – وطلب الشاه من هويده لكي يبلغنا بأن هذه التطورات في نظر الشاه جعلت تعاوننا مع ايران لتجهيز وتطوير قواتها المسلحة أكثر أهمية من ذي قبل، كي يتواجد الحد الاقل الضروري لتطوير قوة الردع قبل انسحاب القوات البريطانية من الخليج نهاية عام 1971. علاوة يأمل الشاه من ان هذه التطورات ستقود الى اعادة النظر في أسعار الفائدة لمبيعات السلاح الخارجية ونظام الإدارة المالية للائتمان للدفعة التالية. بالأخص منح75% دولار و 25% للائتمان الخاص للدفعة المقبلة. حيث لمست المصادر المالية الإيرانية أقصى الحدود........"[285]

(..........................)

حاول الشاه استخدام التهديد العراقي والاتفاق مع ملا مصطفى للضغط على واشنطن للحصول على المزيد من الأسلحة المتطورة، لقد حصل الشاه على مايريد رغم معارضة الكونغرس الأمريكي لمثل هذه الصفقات العسكرية الهائلة.

في 14 آذار، أعلمت الخارجية الأمريكية سفيرها في طهران عن وجهة نظرها فيما يتعلق بالاتفاقية: "في حين نتفق على ان اتفاق التسوية المعلن بين العراقيين والأكراد أكثر إلزاماً من أية اتفاقية سابقة حتى الآن، الا اننا نتساءل عن مدى فترة الالتزام بها. فقراءة دقيقة للمواد الخمسة عشر من إعلان التسوية يظهر ان مسألة أساسية هامة بقيت دون جواب وهي الى أي درجة ستتمتع المنطقة الكوردية بالحكم الذاتي. هذا بلا شك عنصر أساسي في أية اتفاقية دائمة، وان تطبيقها سيكشف وجود ثغرات جدّية قاتلة. حتى وان لم تتجدد العمليات العدائية في مثل هذه الظروف الا اننا نعتقد ان هناك قلق خفي لدى بغداد سيستمر لبعض الوقت بسبب إمكانية تجددها..لذا نشك في ان يتولد لدى الحكومة العراقية شعور بالتحرر لوقت طويل لتغيير نواياها ومواردها بعيداً عن الأكراد نحو إيران ومنطقة الخليج الفارسي. كما ا ن اي هدوء في هذا المجال سيشهد توظيف القوات في الاردن وسوريا بدل جنوبي العراق."[286]

---

[285] From the Embassy in Iran to the Department of State March 12, 1970 1335Z

[286] From Departement of State to the Embassy in Iran March 14, 1970, 0039Z.

لم تتطابق وجهة نظر الإدارة الأمريكية مع ما ذكره الشاه من مخاطر مترتبة على الاتفاق بين الحكومة العراقية والحركة الكوردية. وتوافق الحكومة الامريكية على ان السوفييت لعبوا دوراً هاماً في تحقيق الاتفاقية. وان السوفييت مهتمين بإيجاد نفوذ بين الأكراد. الا ان ذلك ليس غاية أساسية يريدون تحقيقها في الوقت الراهن: "نشك في اية محاولة لخلق "ممر كوردي" في الوقت الحالي. فالقيام بهذا العمل لاشك سيثير أسئلة هامة بين أصدقاء السوفييت من العرب فيما يخص النوايا الحقيقية لأنهم سيقطعون إقليماً هاماً من دولة عربية. وعلاوة يبدو من غير المرجع مجازفة السوفييت بعلاقاتهم التي يراعونها بكثير من الاهتمام مع إيران وتركيا. فالشروع بمثل هذا المخطط الذي ورد في الفقرة 4، سيثير ردود فعل قوية من البلدين المذكورين.

"بالطبع نتفق مع الحكومة الايرانية في توجهها العام في اعتبار ذلك تطور هام يستحق اهتماماً كبيراً وباستمرار. نقدر اهتمام الحكومة الإيرانية ونرحب بأية أراء إضافية منها.[287]".

فيما يتعلق بالحكومة الإسرائيلية. ذكر وزير خارجية تل أبيب لوزير الخارجية الأمريكي في 10 ابريل/ نيسان 1970 أن السوفييت لعبوا دوراً حاسماً في الاتفاق الكوردي العراقي. وحسب قوله: "وجد العراقيون أنفسهم بإصرار سوفيتي مضطرين رغماً عنهم التوصل الى حل للمشكلة الكوردية. وقد أكدوا أنهم يريدون السلام في مناطق قريبة من الحدود السوفيتية. المفاوضون العراقيون قالوا حرفياً للأكراد عليهم ان يقدموا شروطهم بشأن الاتفاقية ثم وقعوها دون الحاجة الى المزيد من النقاش. وعزى الوزير الإسرائيلي ذلك الى قوة النفوذ السوفيتي في العراق ومصر". وعبر عن وجهة نظره: "يتناوب الاهتمام السوفيتي التقليدي في الشرق الأوسط بين التغلغل في البحر الأحمر كممر الى شرق أفريقيا ونحو الخليج الفارسي كممر الى جنوب أسيا. وعندما يتعرضون الى عراقيل في اتجاه، يتحولون إلى الممر الأخر....... وذكر انه كان قد الحّ على Rusk ان على الولايات المتحدة ملئ الفراغ الذي يتركه الانسحاب البريطاني. لكنه تلقى ردّ من أن الولايات المتحدة لا ترتبط بالتزامات المملكة المتحدة شرق السويس. وتنبأ الوزير الاسرائيلي رفائيل. لسوانك Swank ان الضغوطات السوفيتية التي نتج عنها الإتفاق العراقي الكوردي هي بدايات الاندفاع السوفيتي الجديد لتحقيق المزيد من النفوذ في الخليج الفارسي.[288]

[287] From Departement of State to the Embassy in Iran March 14, 1970, 0039Z.

[288] Telegram 54598 from the Department of State to the Embassy in Israel, April 14, 1970, 0109Z

كان الجانب الامريكي مدركاً للهاجس الأمني القومي لدى طهران وتل أبيب. لذا شاب الموقف الامريكي التحفظ بصدد ما ذكره رافائيل وزير الخارجية الإسرائيلي "ندرك ان لدى الإسرائيليين مصادر جيدة في الشأن الكوردي لكننا على اعتقاد ان رفائيل بالغ في الدور السوفيتي في الاتفاق العراقي الكوردي الحديث........"[289]

كانت المفاوضات قد بدأت في (ناوبردان) بحضور صدام حسين واعلن في (بغداد) التوقيع على بيان آذار 1970. ولنرى مايقوله المحامي جرجيس فتح الله وهو واحد من العارفين ببواطن الامور في الحركة الكوردية كيف كانت المفاوضات تدار بين الطرفين: "حمل الوفد الحكومي في طريقه الى (ناوبردان) هدايا شخصية للرئيس وولديه ولكل عضو في المكتب السياسي وعضو في الوفد الكوردي المفاوض تتضمن حلياً لنسائهم وأقمشة ومبالغ مالية فلم ترفض وكانت على تفاهتها بداية مشئومة لتبرير هدايا وعطايا من نوع أخر."[290]

ومسعود ملا مصطفى لايخفي انبهاره بصدام حسين فكتب يقول "ليس بوسعي وأنا بصدد هذا الحدث العظيم في تاريخ الشعب الكوردي أن اغفل الشجاعة والجدية التي أبداها صدام حسين في هذا المجال ولا بدوره المركزي من الجانب الحكومي في اخراج هذا الإتفاق الى حيّز الوجود.".[291] هذه الكلمات بحق صدام حسين كتبت بعد ما أخذ صدام حسين بيد مسعود بعد طرد القوات العراقية من الكويت، حيث بداية التفاهم غير المعلن بين صدام حسين ومسعود ملا مصطفى والذي طال حتى سقوط نظام بغداد 2003، مانحا إياه المال والدعم السياسي والعسكري.

وفيما يخص المفاوضات وطريقة إدارتها، يقول جرجيس فتح الله: "لم تجري المفاوضات وفق الأصول المتبعة أعني ضبط المحاضر. وكانت أشبه بمجلس عشائري (عربي كوردي)

---

289 Telegram 54598 from the Department of State to the Embassy in Israel, April 14, 1970, 0109Z

290 زيارة للماضي القريب. جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ستوكهولم. السويد. الطبعة الثانية. 1978. ص: 53

291 البارزاني والحركة التحررية الكردية. مسعود البارزاني. أربيل 2002. ص: 243

حافل بكثير من عبارات الود والمجاملة والمزاح وتبادل النكات تدار خلاله أقداح القهوة والشاي بعدها ينتقل الجميع الى قاعة الطعام وقد حفظ كل دوره التالي."[292]



صدام والبكر مع نجلي ملا مصطفى و د. محمود عثمان. بغداد 1970

ويمضي الى القول: "من مبادىء الحزب الديمقراطي الكوردستاني المسطرة في منهاجه، انه يوُجب العمل على إعادة الحياة الديمقراطية بشكلها البرلماني على نطاق القطر العراقي لأنه الضمان الحقيقي لتمتع كوردستان العراقية بحكم ذاتي صحيح، لكن أعضاء الوفد الحكومي رفضوا سماع أيّ اقتراح حول ما يدعى بالانتخابات العامة معللين ذلك بأنهم لم يصلوا الى الحكم بهذا الاسلوب وإنما عن طريق ثورة (انقلاب) أطاحت بحكم رجعي عميل فاذا هم سمحوا بانتخابات عامة فإنهم لن يفعلوا اكثر من تسليمهم الحكم طواعية الى الفئات الرجعية والعميلة التي اطاحوا بها بالقوة وبعد المخاطرة بأرواحهم. فأسرع الوفد الكوردي بالموافقة على هذا المنطق وطوي الاقتراع مثلما نشر واعتذر عنه بقوله ان هذا المبدأ في الحقيقة لم يدخل منهاج الحزب الا لأغراض تكتيكية ولأسباب مرحلية وان الحزب البارتي هو كحزب ثوري بالأصل لا يؤمن بالديمقراطية اللبرالية وبانتخاباتها." ....وهكذا اسقط شعار (الحكم الذاتي لكوردستان والديمقراطية للعراق." [293]

"ثم توالت التنازلات المبدئية. كان من منهاج الحزب العمل على إنهاء مشكلة جنسيات الكورد الفيليين المستحقين بالولادة او الاستيطان وبحكم القانون فطرحت مسألتهم هذه فأجاب الوفد الحكومي (القضية بسيطة جداً لا تحتاج إلى إدخالها في جدول الأعمال.

---

292 زيارة للماضي القريب. جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ستوكهولم. السويد. الطبعة الثانية. 1978 . ص: 50

293 ن . م . س . ص: 51

فليقدم الحزب قوائم بأسماء المستحقين للجنسية الى وزير الداخلية ليصدر بها قرارات متتابعة ولن ترفض أية حالة مستوفية الشرائط القانونية). وقنع الوفد الكوردي بهذا الوعد فنصح من الخارج بأن الإقتراح الحكومي المطروح خال من ضمان قانوني...وبعد أقل من سنتين لإعلان بيان أذار تمّ طرد ثمانين ألف كوردي فيلي عراقي من البلاد شر طردة وصودرت ممتلكاتهم التي قدرت بأكثر من أربعين مليون دينار وكانت لطخة عار في جبين الحزب الذي تبنى مشكلتهم من الأول وضن عليهم بالمساعدة الأخوية وهو في أوج قوته. عندما بدأت قوافل المطرودين المحمولين باللوريات تجتاز الحدود لم تقدم القيادة احتجاجاً عملياً ولم تنظم مظاهرات ولم تهدد بشيء ما.. أجل ظهر مقال شديد اللهجة في جريدة الحزب يندد بعمل الحكومة...بعد ان اجتاز أخر كوردى منهم الحدود فبدأ هذا المقال وكأنه مرثية تتلى على قبر ميت." [294]

وأرجىء بحث مسألة كركوك وخانقين وسنجار وكلها مناطق نفطية.

ويشير شكيب عقراوي الى انه جرت في شهري أيار وحزيران 1970 الاستعدادات للقيام بالإحصاء وتم تشكيل لجنة وزارية في بغداد للقيام بالإحصاء، وتحديد المنطقة ذات الأكثرية الكوردية وشمولها بالحكم الذاتي. لكن المهيب أحمد حسن البكر طلب فجأة من البارزاني تأجيل موعد الإحصاء الى إشعار أخر دون تحديد الوقت بالضبط وطلب بأن يكون الاحصاء في ربيع 1971 ووافق البارزاني وقيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني. [295]

ويعلق جرجيس فتح الله على نفس الموضوع: "بعد شهرين ونيف من التهيؤ للإحصاء القومي العام الذي سيقرر حدود منطقة الحكم الذاتي. فوجيء الرأي العام الكوردي بتأجيله الى إشعار أخر (بسبق اتفاق بين القيادة والسلطة). لم ينشر تعليل واضح مقبول حول هذا التأجيل لكن شاع في الاوساط الحزبية (بوحي من القيادة طبعاً) أن هذا التأجيل من مصلحة الجانب الكوردي الذي ستتوفر له امكانية الاستعداد للإحصاء بعد عودة النازحين بسبب الحرب الى مناطقهم وبذلك تؤمن الأكثرية العددية. ليس ثم تشويه للحقيقة اعظم من هذا. فالنازحون على فرض وجودهم ليسوا غير قلة لا تغير في الميزان السكاني شيئاً والأكثرية كانت مضمونة في كل زمان ومكان.

قبل الإجراءات الحكومية التي شرعت بها الحكومة قبل التأجيل وبعده. كان يجب القيام بالإحصاء حالاً لاسيما وان السلطة كانت خلال الأسابيع القلائل التي تلت اعلان

---

294 ن . م . ص . ص: 52

295 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. مطبعة مناره - أربيل ص : 297-298

البيان تخشى (تحريك الماء) وإثارة نزاع جدّي حول اسس القضية قد يؤدي الى القطيعة واستئناف القتال وهي بعد لم تكمل استعدادها للخطوة الثانية من المخطط الذي رسمته للقضاء على ثورة الشعب الكوردي...." [296]

في واقع الأمر بقيت الثقة مفقودة بين الجانبين ولذا لم يكن هناك تجاوب جدّي بشأن تطبيق بنود بيان آذار من الطرفين. وبعد ما يقارب الخمسة أشهر وجه صدام حسين رسالة الى ملا مصطفى ينتقد الأخير في عدد من تصرفاته المنافية لروح بيان آذار. ومن ضمن ما ورد فيها:

"....المستفيد من بيان 11 أذار ليس الحكومة فحسب وإنما الشعب العراقي بمجموعه. لذلك فإن تطبيقه بكامل بنوده مسؤولية تقع على عاتق الطرفين واقصد بها الحكومة وحزب البعث من ناحية والبارزاني وحزب البارت وكل البيشمركه من ناحية اخرى....."

".... ومن أجل أن نسند الادعاء بالبراهين تجنبنا الاصرار على تسلم السلاح والإذاعة كشرط أول في الحوار والاتفاق وتجنبنا كذلك البحث في مواقع الجيش العراقي من جهة حاج عمران. لأننا ندرك نوع الشكوك والهواجس التى تنتابكم نتيجة هذا الطرح. لقد أدركنا من أن تأكيد حسن نيتنا في الوقت الحاضر والمستقبل تقع مسؤوليته الإجرائية علينا أكثر من سوانا ومن هذا المنطلق تعاملنا بسخاء في الحوار الذي نجم عنه بيان 11 أذار. لم نكن نرفض لكم طلباً ولم نصرّ على ما يثير في نفوسكم الهواجس والشكوك وكانت رغبتنا تنصب فقط على وضع التحديدات اللازمة التي من شأنها منع كل إلتماس في العلاقات المقبلة."

"لقد تم الاتفاق على ان يجري تسريح الفرسان وجماعة جلال الطالباني بشكل متوازن مع تسريح البيشمركه الفائضين عن العدد المتفق عليه (6 آلاف) على أن يكون هذا العدد حرساً للحدود. ومع ذلك فقد سرحناهم جميعاً وجمعنا الأسلحة منهم في فترة لا تتعدى الشهر الواحد. ووعدناكم شفهياً على أن نغلق جريدة النور خلال شهرين الى ثلاث أشهر وفعلنا ذلك قبل ان يمضي شهر واحد على بيان 11 أذار."

ثم يمضي في رسالته ليوضح أنه على علم بما يحصل لدى ملا مصطفى من خفايا وتناقضات:

---

[296] زيارة للماضي القريب. جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ستوكهولم. السويد. الطبعة الثانية. 1978 . ص: 57-56

"أيها الأخ...."الأعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى" ولكن " أثار الأقدام تدل على المسير". فهل من عاقل يحمل نوايا غير شريفة ونظيفة ويجرد نفسه من القوى المساندة أو الاحتياطي أو القوى الرديفة مهما كان وزنها أو نوعها. لقد سحبنا الجيش الى أماكنه الاعتيادية من أكثر المناطق وسرحنا الفرسان وجماعة جلال. والأصح لم يقف الأمر في حدود تسريحهم وانما وصل حد معاداتهم بسبب الصيغة المهينة التي جرى بموجبها سحب الأسلحة منهم وتسريحهم. وأبقينا على الأسلحة والإذاعة لديكم ولم تسرحوا من القوة الاساسية للبيشمركه ولم تفقدوا من قوتكم بل زاد إحتياطيكم وتوفرت لديكم مواقع وفرص جديدة للعمل فلماذا كل هذا الشك – وماذا خسرتم أيها الأخ لكي يبلغ بكم الحذر درجة الشك. ولماذا لانشك نحن. في الوقت الذي تتجسس من اتصالنا برؤساء الفرسان حتى بصفتنا حكام وبصفتهم مواطنين لا حول لهم ولاقوة. وعندما نقطع صلتنا بهم تستدعيهم الى كلاله وتصرف لهم الأموال والسلاح وتقربهم منك... وتتهم البعض بالجاسوسية لإيران كمحمد رشيد لولان وتحذرنا من الاصرار على ارجاعه الى مكانه السابق بإعتبار انّ ذلك المكان يوفر له فرصاً جيدة للإتصال بإيران. وبعد ذلك تكتب لنا كما ورد في ملاحظاتك التي حملها المحافظ إلينا – حول صرف مبالغ للسيد محمد رشيد لولان. تتهم جلال طالباني وابراهيم احمد ومجموعتهما بالتجسس وسوء الأخلاق ونسمع بالفترة الاخيرة بالإتصالات الجارية بينكم وبين جلال وإبراهيم احمد في العراق ولندن من أجل إقناعه بالعودة الى الحزب الديمقراطي الكوردستاني. بماذا تفسر كل هذا أيها الأخ.

أخي أبا إدريس... أرجو ان لا يفهم من كلامي اننا ضد التصافي وضد فكرة توحيد الأكراد وانهاء كل الضغائن بينهم. وانما على العكس من ذلك إذ قد طرحت معكم وطرحنا جميعاً على الاخوان من الحزب الديمقراطي الكوردستاني خلال الحوار وبعد بيان 11 أذار رغبتنا الاكيدة في تنامي الاحقاد فيما بينكم وتجميع كل الاكراد ضمن قيادتكم وباتجاه الحرص على تطبيق بيان 11 أذار. ولكن اعتراضنا ينصب على هذا التناقض في التقييم والمواقف.... جاسوس وعميل منحط خلقياً حينما يكون مع السلطة التي هي سلطتكم وانتم جزء منها... ووطني وشخص مخلص بعد فترة عندما ترضون عليه.

إن هذا التقييم المتناقض يوحي للكثيرين من أن الأمر ليس تناقض بالتقييم وإنما الرغبة في تطويق هذه العناصر لحملها على ان تكون في موقع يؤمن لكم في المستقبل مقاتلة السلطة بهم. ولا أعتقد انّ من المصلحة ان يتولد لدى المواطنين هذا التصور عن سلوككم الذي نحرص أن يكون تقييمه من قبل عموم المواطنين جميعاً عرباً واكراداً بأنه

خير معبر عن الحرص على تطبيق بيان 11 أذار واستبعاد اي احتمال بعودة منطق القوة محل الحوار الأخوي الهادىء....

لعل ما يثير الاستغراب هنا هو سرعة انهيار الجانب الكوردي بالمناصب والمال والامتيازات الحكومية. ويقول جرجيس فتح الله معلقاً: "ان السلطة نجحت ايما نجاح في الاختبار النفسي الذي اخضعت قيادة الحزب والثورة له. فمن جملة الرشاوى التي قدمتها السلطة للقيادة انها اعفت السيارات الخاصة التي يستوردها اعضاء اللجنة المركزية من الرسوم فتسابق بعضهم على الشراء ثم البيع مستفيدين من فرق السعر الكبير. وباع احد الوزراء عضو المكتب السياسي سيارته هذه واشترى بثمنها بيتاً. كان ذلك اوسع من ان يكتم عن قواعد الحزب وعندما اضطرت القيادة الى معالجة الموقف واتخاذ قرار لوقف هذا التهافت انبرى احد اعضائها بطلب تأجيل العمل بالقرار الى حين اكمال معاملة سيارته الواردة من الخارج." [297]

قام عدد من أولاد أحمد آغا الزيباري بمحاولة لاغتيال إدريس. فقد تعرضت سيارته ليلاً في 6 كانون الاول/ديسمبر 1970 الى النيران. أي بأقل من عام على صدور بيان أذار. أثناء مرورها في احدى شوارع بغداد. لم يكن إدريس موجوداً داخل السيارة. وجرح مرافقه (حميد برواري). ولايزال يعاني من الشلل. وكان والده قد أرسله لتقديم التهاني بمناسبة عيد الفطر المبارك الى القيادة البعثية. وقدمت السلطة الجناة الى المحكمة.

وتعرض ملا مصطفى والدكتور محمود عثمان في 29/ أيلول 1971 لمحاولة اغتيال محكمة نجو منها بأعجوبة

ومن المدهش حقاً أن يجد البعث طريقه مبلطاً لمحاربة الحركة الكوردية الى حدود لم يصدقها في البداية. فقد كان البعث يتوقع ان يجابه جبهة كوردية متراصة قوية ومخلصة للمبادىء. فبدل أن يجد "تماسكاً وجد تفككاً. توقع ان يجد اتحاداً في الرأي فوجد انشقاقاً فكرياً" [298]

وليس ادلّ على ذلك من "التصرف الغريب" لرئيس الحزب ملا مصطفى نفسه الذي انعكس على القضاء على وحدة العائلة البارزانية وفتح المجال لنمو روح العداء بين أولاده هو. الى حدود الحقت بالقضية الكوردية أفدح الأضرار وصبت مباشرة في مصلحة النظام البعثي.

---

[297] زيارة للماضي القريب. جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ستوكهولم. السويد. الطبعة الثانية. 1978 . ص: 55-56

[298] ن . م . س . ص : 58

لقد تفشت المحسوبية والمنسوبية بشكل صارخ في صفوف الحزب الديمقراطي الكوردستاني وغابت المحاسبة عن التجاوزات اللاقانونية التي قام بها بعض المنتسبين الى الحزب والثورة باسم الحزب والثورة. ويعلق الاستاذ جرجيس فتح الله على هذه الظاهرة : "كان على القيادة ان تتدخل لوقف هذه التجاوزات بنفس الصرامة التي كان عليها ان تتدخل لوقف تعديات الحزب الحاكم باسم السلطة. الا انها ظلت مكتوفة اليدين في الحالتين. احياناً كانت تخرج أصوات هامسة حول مرتكبي الجرائم من معسكر الثورة خلاصتها انهم من المقربين الى رئيس الحزب وانه يبسط عليهم حمايته. ان صحت هذه المقولة وإذا قبلنا بها فأية حجة يمكن ان تقدمها القيادة لإغفالها واحدا من اهم مبادىء الحزب ومقوماته ومصادر قوته في الماضي وهو مبدأ النقد الذاتي العلني لسياسة الحزب العامة ولتصرفات الاعضاء صغارهم وكبارهم وتطبيق العقوبات الانضباطية بحقهم."[299]

تهيئة الجيش العراقي

جرى تزويد العراق بالأسلحة السوفيتية بعد الإطاحة بالنظام الملكي الهاشمي عام 1958. بعدها إستلم العراق في نهاية أعوام الستينات الدفعة الثانية من السلاح السوفيتي. وتابعت موسكو في أواسط عام 1971 تزويد العراق بـ (110 طائرة مقاتلة -MIG 21) ومقاتلات (SU -7) وأكثر من 20 مروحية ومدربين. كما تزود العراق بين 100 الى 150 دبابة وشاحنات بلغ عددها 300 وحوالى 300 مدفع ميداني وراجمات صواريخ. وبعد التوقيع على معاهدة الصداقة والتعاون إستلمت بغداد (SA-3) صواريخ أرض – جوّ SAM . و (Tu22) قاصفات ذات المدى المتوسط (الاولى من نوعها في ذلك الوقت) والاولى التي تسلم خارج الاتحاد السوفيتي واوروبا الشرقية. وصواريخ (Scud) (ومقاتلات (MIG 23) الأكثر حداثة خصت بها العراق وحده خارج الاتحاد السوفيتي. ليس من شك أن تزويد الجيش العراقي وقد تحول الى (جيش بعثي) طورت قدرات السلاح الجوي العراقي. وأخيراً زودت موسكو العراق بكميات كبيرة من المدرعات، مدافع، صواريخ وقوارب للدوريات (Osa) وقوارب التوربيدو (P.6).[300]

---

[299] زيارة للماضي القريب. جرجيس فتح الله. دار النمس للطباعة والنشر ستوكهولم السويد. الطبعة الثانية 1978 ص 58

[300] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page 19

ومن الناحية العسكرية لم يضيّع صدام حسين وقتاً. فأخذ يهيئ الجيش العراقي تهيئه لم يسبق لها مثيل. وعندما توضحت الخطوط السياسية الجديدة في مواقف البعث والحركة الكوردية بداية عام 1974 زار بغداد فجأة وزير الدفاع السوفيتي في 23 أذار، المارشال Andrei Grechko وفي حينها أشارت الصحافة الغربية لهذه الزيارة المفاجئة بأنها تعكس رغبة موسكو للتوسط في النزاع مع الكورد حيث كان الاتحاد السوفيتي يحتفظ بعلاقات جيدة معهم. لكن هذا التوقع لم يكن صحيحاً. ففي شهر أذار من عام 1974 كان الإتحاد السوفيتي متأكداً من موقف ملا مصطفى الموالي لإيران والولايات المتحدة الأمريكية. ففي نظر السوفييت. إن الدعم الغربي لملا مصطفى يهدف الى إضعاف نظام حليف لموسكو إن لم يكن إسقاطه. وأن المجابهة بين البعث والحركة الكوردية ستحصل قريباً. لذا وصول وزير الدفاع السوفيتي الى بغداد كان هدفه إظهار الدعم السوفيتي الكامل للحكومة العراقية. وقد علقت Pravda على الزيارة بأنها تعكس اهتمام وزير الدفاع السوفيتي بـ "الإجراءات التي اتخذتها الحكومة العراقية لتقوية أواصر الوحدة الوطنية وسيادة الدولة ووحدة أراضيها". هذا التصريح يشير بوضوح الى اهتمام السوفييت في الاستعداد العسكري للعراق. وظهر بسرعة أن كميات كبيرة من السلاح الرومي المتطور أخذ يتدفق الى العراق في النصف الثاني من عام 1974 وبداية عام 1975، وكان من بينها صواريخ سكود أرض أرض وطائرات الميغ (23s) علاوة. انعكس الاهتمام السوفيتي في السماح باستخدام الطيارين السوفييت لأداء مهمات القصف فوق كوردستان عند بدء خريف عام 1974 وبداية عام 1975. هذه الهجمات الجوية نفذت خلال الطائرات القاصفة (Tupolev-22) سلمت للعراق قبل بدء حرب أكتوبر مع إسرائيل عام 1973، وأيضاً خلال طائرات الميغ (MIG23s) التي وصلت العراق حديثاً. لأنه في ذلك الوقت لم يكن أي طيار عراقي قد تدرب على استخدام هاتين المقاتلتين. إن إستخدام الطائرات والطيارين السوفييت قدم دليلاً ملموساً في الدعم السوفيتي للجهود الحربية ضد الأكراد.[301]

كان ردّ فعل ملا مصطفى على المساعدة السوفيتية للعراق هو مناشدة الدول الغربية "التدخل لوقف النفوذ الرومي في العراق من خلال مساعدة الكورد معنوياً، سياسياً عسكرياً و اقتصاديا"[302].

[301] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M Smolansky. Page: 89

[302] Ibid: 90

كما شكلت وزارة الدفاع العراقية في نهاية عام 1974 فرقة المشاة الثامنة في مدينة اربيل وعين العميد الركن طه الشكرجي قائداً للفرقة. وهو من المعروفين بعدائه للكورد وبصرح علناً بإبادة الشعب الكوردي.[301]

تغيير في المواقف: السوفييت والقيادة الكوردية

منذ الإطاحة بالنظام الملكي العراقي في 1958. دافع الإتحاد السوفيتي بشكل متواصل عما وصفه بـ "الحقوق الكوردية المشروعة في الحكم الذاتي ضمن الدولة العراقية" وتجسد هذا في الموقف الذي تبناه الحزب الشيوعي العراقي. ففي تقرير نشرته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في أذار/مارس 1962 جاء فيه: "لا يبقى للديمقراطية معنى إلا إذا توفرت الضمانات لتمتع الأكراد بحقوقهم القومية وإدارة شؤونهم. ويمكن تحقيق هذا فقط من خلال الحكم الذاتي" استخدمت هذه الصيغة لتعني "تكون الشؤون الإدارية لهذه الأراضي في أيدي مجلس تشريعي ينبثق منه المجلس التنفيذي المسؤول أمام الشعب".

وكان الاتحاد السوفيتي هو أول من زود الحركة الكوردية بالمال منذ اواخر عام 1961 بإعانة قدرها 000 360 دولار سنوياً (حوالي 000 120 دينار عراقي) وثم زاد من هذه المخصصات في عام 1969 لتصل الى نصف مليون دينار. واستمرت هذه الاعانة الى عام 1972.[302] . كان العون المالي السوفيتي محسوباً ومحدوداً بحيث وقف حائلاً لحدود معينة أمام تفشي الفساد داخل القيادة الكوردية الفاقدة المناعة أمام المال. وحافز لإنماء المصادر الذاتية. وكلها كانت تصل مباشرة ليد رئيس (حدك).

لم يوافق الإتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي العراقي على مزاعم بغداد من أن الثورات الكوردية السابقة ضد الحكومة العراقية المركزية كانت نتيجة مؤامرات أجنبية. بل كانت نتاج "الاضطهاد القومي الى أقصى الحدود". لذا إن الطموحات الكوردية هي موضع اهتمام السوفييت والحزب الشيوعي العراقي. علاوة إن الحكم الذاتي لكوردستان العراق يعزز التأخي العربي الكوردي ضد الإمبريالية والرجعية المحلية ويرسخ الديمقراطية ويضمن الاستقلال الوطني ويساهم في التقدم الاجتماعي. وعلى العكس فإن أية محاولة لاضطهاد

---

[301] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. مطبعة منارة - أربيل. ص : 371

[302] البارزاني والحركة التحررية الكردية :الجزء الثالث مسعود البارزاني أربيل 2002 .ص : 395

الكورد بالقوة الغاشمة سوف تكون عاملاً مساعداً لمؤامرات الإمبريالية والقوى الرجعية للنيل من وحدة الشعبين".

وكانت موسكو قد اعتبرت خطة الدكتور البزاز لعام 1966 والتي اعترفت بحق مشاركة الأكراد في الإدارة في مناطق سكناهم والتي تكفل لهم تطوير التعليم باللغة الكوردية في مدارس المنطقة. إنها "خطوة في الاتجاه الصحيح" لكن ظهر فيما بعد أن نظام عبدالرحمن عارف لم يكن جاداً في تنفيذ الإصلاحات الموعودة.

كانت القيادة الكوردية متشككة من نوايا البعث بعد ان عادوا الى الحكم من جديد في 17 تموز 1968. وشاطر المحللون السوفييت نفس المشاعر. ففي تعليق على الدستور المؤقت الذي تبنته الحكومة العراقية في شهر سبتمبر 1968. انه "غير محدد" فيما يتعلق بالحكم الذاتي وهذا من شأنه ايجاد الحيطة من قادة الحركة الكوردية التحررية. ومما يثير الاهتمام هو ماورد في اعلان الحكومة العراقية من تأيد للوحدات العسكرية الموالية للطالباني في القتال الجاري مع قوات ملا مصطفى المعروفين تحت اسم بيشمركه.

وعندما كثفت السلطات البعثية من إجراءات التعسف ضد الكورد. اتخذت موسكو موقفاً صريحاً مؤيداً لملا مصطفى. ففي سلسلة من المقالات الهامة والتي عكست موقف الحكومة السوفيتية. كتب مراسل الـ Pravda الصحفي الرومي Evagenii Primakov مكرراً موقف التعاطف التقليدي لنيل الحكم الذاتي. وأوضح انه يعكس وجهة النظر الكوردية مبرراً ذلك بأن الحجج الكوردية مقنعة. وذكر أيضاً بأن بعض حجج الطرف المعارض (الحكومة العراقية) هي أيضا صحيحة. وأستشهد على سبيل المثال بقول أحد الزعماء العرب لم يكشف اسمه: "على الاقلية القومية ان لا تحاول إيجاد الضعف داخل العالم العربي في وقت نحن نخوض صراعا صعبا ضد الامبريالية وإزالة أثار العدوان الإسرائيلي". لكن هذه حجة. بالنسبة لبريماكوف في صالح أهمية إيجاد "حل سلمي نهائي لمشكلة شمال العراق والتي ستخدم مصالح العرب والكورد على حد سواء".

بقي موقف الكرملن من القضية الكوردية دون تغير طوال عام 1969. وثمنت الدعاية السوفيتية الخطوات التي اتخذتها الحكومة العراقية "لتنشيط الاقتصاد العراقي بتعزيز قطاع الدولة و إضعاف موقف الإمبريالية. بالأخص في حقل انتاج النفط". كما عبر الاتحاد السوفيتي عن دعمه لعدد من الإجراءات مثل فتح جامعة كوردية في السليمانية. إحداث محافظة دهوك واستثمار الأموال لتطوير اقتصاد مناطق الشمال. لكن المشكلة الأساسية

وهي منح الحكم الذاتي للأكراد بقيت دون حل. وجد بريماكوف ان هذا موضع أسف. "لأن مضي الوقت دون محاولة جادة لإيجاد معادلة مرضية للطموحات القومية للسكان الكورد ضمن اطار الدولة العراقية ستصب في مصلحة العناصر المتطرفة لكلا الطرفين."

كانت الاتصالات تجري بين البعث وملا مصطفى للوصول إلى تسوية للمسألة الكوردية طوال عام 1969. وكان السوفيت مساهمين في هذه المساعي. وكانوا راغبين في دفع الطرفين، بغداد والأكراد نحو التفاهم. انعكس اهتمام موسكو بإيجاد حل عاجل في مقال هام ظهر في الـ Pravda معلقاً على محاولة الانقلاب الفاشلة ضد حكومة البعث في 21 كانون الثاني 1970 "إن التمرد كان من صنع العناصر الرجعية المتطرفة والذين تلقوا الدعم من المخابرات الأمريكية وقوى خارجية أخرى" هذا ما كتبه بريماكوف. ويقصد بالقوى الخارجية الأخرى إيران. وذكر أيضا أن الهدف الرئيسي للانقلابيين هو "نسف الحوار الكوردي العراقي والذي كان يسير نحو النجاح." وأضاف "ان الرغبة في الحيلولة دون إيجاد حل للمشكلة الكوردية هو مفبرك من الخارج ومصمم على إبقاء العراق ضعيفاً في وقت تخوض الشعوب العربية صراعاً صعباً ضد الإمبرياليين". وأكد على "الأهمية القصوى لإيجاد حل سلمي في الشمال بالنسبة للدولة العراقية ولقضية العرب بشكل عام" وختم بريماكوف" ان الاتحاد السوفيتي وقف دوماً إلى جنب الحل الديمقراطي السلمي لهذه المسألة ذات الأهمية القصوى."[305]

قبل بيان أذار 1970 ، كانت الحكومة السوفيتية على اعتقاد بأن تسوية الخلافات بين القوميتين في العراق يتطلب ليس فقط تسوية وقتية محدودة التأثير، إنما تحتاج الى إيجاد حل راديكالي يمس جذور المشكلة الكوردية، وعلقت الـ Pravda داعمة التوجه الذي عبّر عنه صدام حسين في مقابلة صحفية مع بريماكوف في كانون الثاني 1970:

"ان نقطة بداية العمل هي الاعتراف بوجود الأمة الكوردية في العراق إلى جانب الأمة العربية، هاتان الأمتان موحدتان في الأرض ولهما قدر مشترك..... يجب ايجاد معادلة دستورية تأكد الحقوق القومية الكوردية... نحن لا نريد حلاً ارتجالياً، علينا التوصل الى تسوية للمشكلة الكوردية في العراق بشكل دائم كي لا تعاني الأجيال القادمة بسبب عدم حلها."

---

[305] The USSR and Iraq 1991 Duke University Press Oles M Smolansky with Bettie M Smolansky. Page: 70-69

أيدت الكرملن بحماس بيان آذار 1970. وذكرت الصحافة أن الشعوب السوفيتية كانت دائماً توصي بالحل السلمي الديمقراطي لهذه المسألة ذات الأهمية الفائقة للعراق. ففي برقية رسمية في 17 آذار 1970 من رئاسة السوفييت الاعلى Nikolai Podgorny و Aleksei Kosygin رئيس الوزراء السوفيتي عبّرا عن قناعة الكرملين بـ "أن هذه الاتفاقية الهامة ستساهم في ترسيخ الوحدة الوطنية والصداقة بين الشعبين الشقيقين في الجمهورية العراقية." وان موسكو تتطلع إلى "أن يساهم بيان آذار في تسهيل اتحاد جميع القوى التقدمية في جبهة وطنية موحدة في البلاد."[306]

كتب مراسل البرافدا Evagenii Primakov يقول: بين أعوام 1966 – 1970 ربما كنت الممثل السوفيتي الوحيد الذي كان يقابل ملا مصطفى بشكل منتظم.... "في بعض رحلاتي كان ينضم اليّ بعض الدبلوماسيين السوفييت مثل Viktor Pouvalyuk و Oleg Peresypkin لكن ثقل المهمة كان على عاتقي. مراسل برافدا. لقد عملت كل جهدي لأقامة الجسور بين الطرفين......". إلتقى لأول مرة بملا مصطفى أثناء حكم عبدالرحمن عارف في ديسمبر 1966"عانقني البارزاني قائلاً "إن الإتحاد السوفيتي بمثابة أب لي." وقال انه يرحب بمساعي الحل السلمي لكن لايثق ببغداد حيث أقام المتطرفون معارضة قوية تحول دون تطبيق الحكومة بنود الهدنة التي وافق عليها الطرفان........." وكان يؤكد "أنه حتى لو طلبت الحكومة العراقية ان ننفصل سوف لن نقبل بذلك."[307]. وقبل الإعلان عن بيان آذار كان بريماكوف وعزيز شريف في ضيافة ملا مصطفى. ويكتب بهذا الصدد مشيراً الى حادثة تنم عن ظل العلاقات مع إيران: "ثلاثتنا تغذينا سوياً وتقاسمنا زجاجة كونياك إيرانية (نعم إيرانية). كان البارزاني منفتحاً وكثير الكلام واقترح أن نشرب نخب الشعب الروسي والإتحاد السوفيتي. ويتعلق ذكر لنا أن المقترحات السوفيتية لعبت دوراً كبيراً في إقناعه دخول المفاوضات مع نظام بغداد وقال "مجرد الموافقة على المناقشة يمكن ان يعزز موقف الكورد والحزب الديمقراطي الكوردستاني."[308]

---

[306] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 74-73

[307] Russia & The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York. 2009. P: 330 - 329

[308] Russia & The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York. 2009. P: 333

كما تطرقت الصحافة السوفيتية إلى دور الحزب الشيوعي العراقي "البناء" و "صراعه المرير من اجل التوصل إلى حل سلمي وديمقراطي في الشمال" كما أشارت بشكل غير مباشر إلى دور الاتحاد السوفيتي في تحقيق التسوية بالإشارة الى تصريحات الدكتور محمود عثمان الى الـ Pravda "إن الاتحاد السوفيتي الصديق أيد الحل السلمي لنقضية الكوردية وبالأخص حثّ على الحوار للوصول إلى النتائج الضرورية لضمان المصالح القومية للعرب والكورد."[309]

إن الإطراف الأربعة المتنافسة: الاتحاد السوفيتي. حزب البعث الحاكم (صدام حسين) والحزب الديمقراطي الكوردستاني (ملا مصطفى) والحزب الشيوعي العراقي. كل واحد منهم يسعى إلى تقوية مركزه. فالطرفين. صدام وملا مصطفى كانا يسعيان الى الحصول على الدعم السوفيتي لتقوية مركزيهما في العراق. وكانت موسكو تحاول التوازن بين هذه الأطراف لترسيخ نفوذها في البلاد. لكن سياسة التوازن هذه انهارت في النهاية لصالح البعث بسبب عدة عوامل. منها: مالت الحركة الكوردية كاملاً نحو إيران والغرب وبدون تحفظ. ارتفاع أسعار النفط بعد حرب أكتوبر عام 1973 والأهمية الاستراتيجية للعراق في الصراع مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية. ولذا وجد الاتحاد السوفيتي نفسه داعماً للحل الذي فرضه البعث على الأكراد عام 1974. كما ساعد السلاح المستورد من الاتحاد السوفيتي في هزيمة ملا مصطفى عام 1975 . مع علم السوفييت إن هزيمة الحركة الكوردية سيقلل من اعتماد بغداد على الكرملين. بالنسبة لبغداد كانت كوردستان تمثل مصدر مالي هائل لوجود النفط. وقد ازدادت أهميتها بعد الارتفاع الكبير في أسعار النفط. وعلى الأمد الطويل لم يكن بمقدور موسكو التحكم في الأحداث. فاضطرت إلى المصادقة على الحل الذي فرضته بغداد.[310]

يمكن وصف الدور السوفيتي في نهاية الستينات والنصف الأول من السبعينات. كما يقول Oles M. Smolansky بالدور"المؤثر في تسهيل الحماية". حيث زودت موسكو المصادر الكافية اللازمة لحكومة بغداد لقتال الكورد بصورة أكثر فاعلية من قبل. لكن المبادرات والتخطيط كان يأتي من الحكومة المركزية. وهذا يعني ان العراقيين هم الذين مارسوا بشكل رئيسي التحكم في الإحداث. إن الأهداف التي توختها موسكو من دورها في العملية ليست واضحة. فلو أخذنا دقائق الوضع السائد. كذلك الحالة الذهنية للقيادة الحاكمة في

---

[309] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 74

[310] Ibid: 283

الكرملين في زمن الحرب الباردة. ربما كان التدخل السوفيتي بشكل حلقة واحدة ضمن سلسلة من الحلقات الأخرى لممارسة "التأثير" من خلال إلزام الحكومة العراقية كدولة زبونة بتبني مواقف معينة ضمن عملية الصراع بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية. ما يثير الاستغراب في المسألة كلها هو أنّ واقع ما حصل لم يكن نتيجة خطوات اتخذتها القوى العظمى. ولا حتى خطوة مباشرة من الطرف العراقي او الجانب ألكوردي الذي أنهى المسألة الكوردية. بل بسبب قرار من شاه إيران بوقف المساعدة عن الحركة الكوردية كجزء من عملية التقرب من العراق وفق ما نص عليه اتفاق عام 1975 بين بغداد وطهران. وتذرع القيادة الكوردية بالاتفاق فوراً لكي تبرر نهاية الحركة الكوردية. مما جعل الميزان يميل لمصلحة بغداد. وبحل المسالة الكوردية استطاع البعث أن يتخذ خطوة أخرى باتجاه تعزيز سيطرته الداخلية على العراق والقضاء على نفوذ الحزب الشيوعي العراقي وانفراده بالسلطة. ومن وجهة نظر سوفيتية أن صدام حسين بدأ بالإبتعاد عن السوفييت حال شعوره بأن سيطرته كاملة على جهاز الدولة العسكري والأمني والحكومي عقب وضع البكر تحت الإقامة الجبرية في 17 تموز 1979 بمناسبة ذكرى الإنقلاب البعثي.[311]

والجدير بالذكر انه حتى في الأعوام الأولى للنفوذ السوفيتي الهام. لم يقبل البعث بان يتمتع الحزب الشيوعي العراقي بوضع متساو معه. لكنه أبدى نوع من التسامح بالمشاركة في الوزارة. ومما يجدر ذكره هو إن البعث كان دائماً يعتبر مثل هذه التنازلات إجراءات وقتية. حتى قبل التمتع بالاستقلالية التامة وتعزيز سلطته الداخلية وامتلاك جميع مصادر الحكم.

ومما أدهش السوفييت هو تفاوض صدام حسين مع شاه إيران وتوقيع اتفاقية الجزائر في 6 أذار عام 1975. دون توسيط السوفييت او استشارتهم.[312] وينطبق نفس الشيء على شاه إيران. فهو لم يهتم بردّ فعل واشنطن أو تل أبيب عندما وقّع على إتفاقية الجزائر.

تمتع العراق في هذه الفترة بحرية اتخاذ القرارات. ورغم إن العراق لا يبعد جغرافياً عن الاتحاد السوفيتي كثيراً. لكن كان زعماء الكرملين يدركون منذ زمن بعيد ان الغرب لن يقبل بفرض إرادته على العراق بالوسائل العسكرية وذلك بسبب الأهمية الاستراتيجية

[311] Russia & The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York. 2009. P 309

[312] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 283

للبترول في الشرق الأوسط وحساسية الغرب الفائقة من تدخل سوفيتي يهدد تدفق البترول. مما جعل أي تهديد عسكري رومي بالتدخل في المنطقة أمراً بالغ الخطورة. وكان العراقيون يدركون هذه الحقيقة. فاستغلوا استغلالاً جيدا هذا الواقع لصالحهم. هنا نحن أمام حالة ميزت العلاقة بين بغداد وموسكو بوافع ينتفي معه التدخل العسكري. ومن هنا محدودية التأثير من جانب قوة عظمى على دولة زبونة.

وكما هو متوقع. فان تراكم الثراء المالي الهائل في أيدي البعث. خلال التحول في اقتصاد البترول العالمي في أواسط السبعينات و هزيمة الحركة الكوردية في أذار عام 1975. جعل ميزان العلاقات العراقية السوفينية يميل لصالح العراق. ودون خشية من السوفييت لم يتوان البعث في سحق الحزب الشيوعي العراقي بوقت أبكر مما كان يتوقعه بالأصل. لم يكن البعث غافلاً قط في تحقيق أهدافه في السيطرة الكاملة على العملية السياسية في العراق. فأسرع بإعدام نخبة من أعضاء الحزب الشيوعي العراقي. طبيعي احتجت موسكو بقوة. لكن في النهاية لم يكن لدى موسكو غير خيارين. إما دعم رفاقهم العقائديين. [وربما دون تحقيق نتيجة]. وعلى حساب إغضاب البعث. او يبلعوا المهانة على مضض. تاركين رفاقهم أعضاء الحزب الشيوعي العراقي لمصيرهم. فالسوفييت بعد جهود مضنية لكسب البعث لسنوات. اختاروا الخيار الثاني.[313]

وهكذا خسر الاتحاد السوفيتي ورقة الحركة الكوردية والحزب الشيوعي العراقي واحداً تلو الأخر لصالح الحليف البعثي وعلى حساب مصالحه البعيدة المدى. وأيضا خسرت الحركة الكوردية والحزب الشيوعي العراقي الدعم السوفييت لصالح البعث. ونال البعث ما أراد.

لكن مالذي جعل الحزبين (حدك) و (حشع) وهما الأقرب أحدهما من الأخر من حيث المعاناة على يد البعث. يتنافرا ويتصارعا ويتحالفا بمعزل عن الأخر مع نظام اعتبراه دكتاتورياً. فاشياً. دموياً. مناهضاً للممارسة الديمقراطية والحريات العامة ؟ كانا قد ذاقا على يده البطش والتنكيل عام 1963 ! ووافقا على مكاسب أنية [بيان 11 أذار عام 1970 بالنسبة للحزب الديمقراطي الكوردستاني] و الدخول في [الجبهة الوطنية العراقية بالنسبة للحزب الشيوعي العراقي في 17 تموز1973] مكاسب قابلة للمصادرة متى ما أراد البعث؟

[313] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 284

ليس من شك ان الجانبين إفتقرا الى الحنكة السياسية واستراتيجية صحيحة على المدى البعيد. فأستغل ذلك البعث بشكل قضى في النهاية على الاثنين.

وعندما أعلن البعث من جانب واحد مشروع الحكم الذاتي عام 1974 وقاطعه الطرف الكوردي، كانت الحكومة العراقية قد أمنت تأيد موسكو لموقفها وخسر الطرف الكوردي حليفين هامين: الإتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي العراقي. وتبنت موسكو حجج الحليف البعثي فيما يخص أسباب رفض القيادة الكوردية لمشروع الحكم الذاتي الحكومي، فقد أشارت The New Times الى الدافع الحقيقي لموقف ملا مصطفى مستشهدة بأقوال أحد المعارضين له في الوزارة العراقية، "في السنوات الأخيرة تشكل حلف من الرجعية المحلية ومن القوى الإمبريالية" ومن مؤشراتها معارضة الحزب الديمقراطي الكوردستاني للجبهة الوطنية، فتح الحدود مع إيران وتصريحات عن قبول "المساعدات من أية جهة كانت، ضمنها الولايات المتحدة وإسرائيل". وعروض لـ "ضمان التنازلات للأمريكيين في حقول النفط الغنية في كركوك". لم تجد The New Times هذا الموقف مبعث غرابة " النقطة الأساسية هي أن معظم القادة الكورد يشكلون العنصر الإقطاعي من البرجوازية وانهم مهتمين بمصالحهم الشخصية مما يدفعهم الى مقاومة الإصلاحات التي تقوم بها بغداد."[314]

وردّ صوت كوردستان أن موقف موسكو جارح للعلاقات الأخوية بين الشعب الكوردي وشعوب الاتحاد السوفيتي، وحملت الإذاعة حكام بغداد والذين يدعمونهم مسؤولية الإساءة إلى العلاقات العربية الكوردية، وذكّرت الكرملين أنه في الماضي، عامل البعث الحزب الشيوعي العراقي بقسوة متميزة. " كيف يتمكن حزب البعث بماضيه الإجرامي أن يتحول الى بان الاشتراكية في العراق ؟ وتسائل راديو صوت كوردستان. "إن تصور أحد أن هذا التحول ممكن إنما يرتكب خطأً تاريخياً كبيراً، لن يغفر له الشعب."

وكان ردّ راديو موسكو بصدد رفض قانون الحكم الذاتي "لقد إختار الجناح اليميني في الحزب الديمقراطي الكوردستاني طريق خداع الشعب الكوردى واثارة حرب أهلية" وبعملها هذا فقد تجاهل الحزب حقيقة ان تنفيذ القانون ... مرتبط تماماً بالمصالح الحيوية للعراق ومستقبله كدولة مستقلة ذات سيادة.."

---

[314] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 88

وباستمرار الخلاف، ركّزت الصحافة السوفيتية اهتمامها على خطين متوازيين: "تزايد عزلة العناصر الرجعية في الحركة الكوردية" وعلى "عودة الحياة الطبيعية الى المناطق المحررة".[315]

ليس من شك أن القيادة الكوردية كانت تمثل مصالح الإقطاع الكوردي وبشمل حتى حماية مصالح المرتزقة الإقطاعيين. وهذا يشكل واحداً من أهم التناقضات في مسار قيادة الحركة التحررية الكوردية. "قيادة رجعية تقود حركة تحررية" أيدت الجماهير شعارات الحركة التحررية وهي تجهل رجعية قيادتها. ووقع عبء التضحيات على كاهل الطبقة الفلاحية. في حين كانت القيادة في خدمة الإقطاع وتبنت زيفاً شعارات الحرية والتقدم والديمقراطية وخدمة الفلاحين. لكن ذلك لا يغير من حقيقة أن شعباً حرّم من حقوقه القومية. له حسب المواثيق الدولية الحق في التمتع بحقه في تقرير مصيره بنفسه. هنا أيضاً تأتي القيادة الكوردية بالمصائب لشعب تدعى انها تمثل مصالحه. وانجرت موسكو إلى دعم حكومة بغداد خدمة لمصالحها وخلافاً لشعاراتها المتمثلة في الدفاع عن حقوق الشعوب المضطهدة والمستعمرة.

"عندما تيقن السوفييت من نوايا ملا مصطفى وانه انحاز كاملاً نحو إيران، إسرائيل والولايات المتحدة الامريكية، أخذ السوفييت موقف تأيد حكومة بغداد. ولم يكن اتخاذ هذا الموقف سهلاً وبدون ألم، اذ كان يعني التخلى عن سياسة متبعة منذ سنوات وأثبتت جدواها، وحتى عندما تقرر تأيد بغداد ضد الكورد، فأن السوفييت إمتنعوا لفترة طويلة سحق الحركة الكوردية حتى بعد ان أعلن ملا مصطفى بوضوح عن موقفه المناصر للغرب. ربما كان موقف موسكو إنعكاساً لمخاوف راودتها من تقديم مساعدة كبيرة من الغرب وايران للأكراد. فاندلاع نزاع مسلح في المناطق الشمالية قد يؤدى الى انهيارالنظام البعثى الصديق في العراق. ففي حالة كهذه فإن القيادة الجديدة في بغداد قد تجر البلاد بعيداً عن الصداقة السوفيتية وتقترب أكثر من الدول العربية المعتدلة مثل مصر وحتى مع القوى الغربية".

في نظر بعض المحللين أن قرار كرملين بتأيد البعث في مواجهته (حدك) جاء بشكل رئيسي نتيجة مبادرة ملا مصطفى، فقد أوجدت سياسته أرضية مشتركة سوفيتية وعراقية

---

[315] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 90

أزاء القضية الكوردية. وقد ظهر ان محاولات موسكو مع ملا مصطفى والحكومة المركزية كانت بلا فائدة. وحتى عندما تصرف الطرفان المتنازعان بإعتدال في الفترة بين 1970 – 1973. لم يكن ذلك نتيجة الضغط السوفيتي. بل كان نتيجة قرارهم المستقل المؤقت في عدم رغبتهما في حدوث مواجهة عسكرية في شمال العراق."[316]

تغيير في موقف : [حشع] و [حدك]

قبل الاقدام على الاطاحة بنظام عبدالرحمن عارف. طلبت قيادة حزب البعث في حزيران 1968. وهي القيادة المرتبطة بميشيل عفلق. والتي كان الحزب الشيوعي العراقي يعتبرها يمينية. اللقاء بقيادة (حشع) للبحث في الوضع السياسي.[317]

التقى مكرم الطالباني باحمد حسن البكر. وأتضح ان البعثيون مقبلون على القيام بانقلاب عسكري ويطلبون التعاون مع (حشع) وقالوا انهم جادون ويريدون جواباً. ويقول العضو البارز في (حشع) الدكتور رحيم عجينه:

"حصل هذا وكانت دماء الشهداء من ضحايا مجازر وجرائم البعث في شباط 1963 مازالت ندية لدى كوادر الحزب وجماهير الشعب والثقة مفقودة بهذا الجناح من البعث. هذا من جانب. ومن الجانب الأخر كنا قد انتهينا لتونا من اجتماعات الكونفرنس الثالث الذي حرّم التعاون مع البعث اليميني."[318]

وبعد نجاح الانقلاب في 17 تموز 1968. تسلمت قيادة الحزب الشيوعي العراقي رسالة من البكر يطلب فيها اللقاء مجدداً مع (حشع) وزاره مكرم الطالباني في القصر الجمهوري "وهنأه على نجاح عمليتهم. وتحدث البكر عن سعادة حزب البعث لحصوله على فرصة ثانية لإثبات وجوده وتطبيق برنامجه. وقال ان سعادتي ستكون اكبر لو اني دخلت القصر الجمهوري وأنت (يقصد مكرم) على يساري والبعثي على يميني."[319]

---

[316] The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky & Bettie M. Smolansky. Page: 97 - 98

[317] الاختيار المتجدد. د. رحيم عجينه. الطبعة الأولى 1998 توزيع دار الكنوز الأدبية ص: 93

[318] الاختيار المتجدد. د. رحيم عجينه. الطبعة الأولى 1998 توزيع دار الكنوز الأدبية ص: 94

[319] الاختيار المتجدد. د. رحيم عجينه. الطبعة الأولى 1998 توزيع دار الكنوز الأدبية ص: 94

ثم تطورت اللقاءات مع قيادة حزب البعث بشكل منتظم، مع مواصلة القمع والإرهاب واغتيال الشيوعيين، "كما حدث في الهجوم على اضراب عمال الزيوت النباتية والتجمع الجماهيري في ساحة السباع في بغداد في شهر تشرين الثاني 1968، ويقول رحيم عجينة: "وقد علمنا من المشاركين في هذا التجمع ان صدام حسين كان هو الذي قاد الهجوم على التجمع." [320]

كان الحزب الشيوعي العراقي حزباً جماهيرياً لكنه لم يستفد من هذه الجماهير لتقديم قضيته والمسك بزمام الحكم. وهنا تبرزظاهرة هامة وهي انه ليس للجماهير وزن في بلد يعتمد على القوة والقسوة. كان (حشع) يملك الجماهير الواسعة، والبعث لا يملك قاعدة جماهيرية، لكن أسلوبه كان التسلق عن طريق الانقلابات، فنجح في استلام السلطة بينما فشل الحزب الشيوعي العراقي وأصبح فريسة للضربات المميته للبعث وبتوقيت يختاره قادة البعث، في حين لم يكن أمام قيادة (حشع) غير ردود فعل لاتتناسب مع القمع الذي مارسه البعث ضدهم.

يقول رحيم عجينة: "لم يكن قادة البعث يطيقون نشاط الحزب وصلاته الجماهيرية، وكان همهم ان يقلصوا قوة الحزب التنظيمية ونفوذه الى الحد الادنى ان لم يستطيعوا القضاء عليه. وكانوا يدركون عدم استطاعتهم تغيب الحزب عن الساحة العراقية، فلجأوا الى الاعتقالات المنهجية وبين فترة واخرى وكلما شعروا ان الحزب قد اتسع في تنظيماته او في توزيع صحافته السرية. وفي احدى لقاءاتنا مع طه الجزراوي، عامر عبدالله وانا، أثرنا هذه الملاحظات التى تتناقض مع اقوال البعث عن سعيه لاقامة علاقات طبيعية مع الحزب.

لم يخف علينا موقفهم وأوضح انهم، كحزب سياسي، عملوا في ظروف العمل السري قبل اليوم ويدركون ان للحزب مطابعه وجريدته وانه يسعى لتوزيع هذه الجريدة وبعقد اجتماعات ويتصل بالجمهور. ولكننا، البعث عندما يقع في ايدينا دليل على مثل هذا النشاط لا يمكننا ان نسكت عليه وسنعتقل كل من يقوم به. ثم تناول ورقة ورسم عليها دائرة وقال اننا نسمح للحزب الشيوعي ان ينشط داخل هذه الدائرة فقط، واذا ما حاول الخروج منها فإننا سندفعه إلى داخلها." [321]

---

[320] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص: 96

[321] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص 97

ويقول عجينة "الحزب الديمقراطي الكوردستاني اتفق مع البعث في بيان أذار وبدأت جريدته (التآخي) تنشر موضوعات لاقتسام الهيمنة على النشاط السياسي انطلاقاً من ان البعث امتداد للحزب الديمقراطي الكوردستاني في جنوب ووسط العراق والاخير امتداد للبعث في كوردستان". [322]

الواقع كان البعث يعرف كيف يدغدغ خيال قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني ويجرهم الى حيث يريد ويخلق ثغرة يتواصل اتساعها مع الحزب الشيوعي العراقي الى حد القطيعة. وبذالك استطاع البعث ان يضعف الحركة الكوردية عسكرياً. اذ كان للمشاركة الشيوعية في الجبهة ضد البعث أثر كبير في نيل بعض أهم الانتصارات العسكرية قبل بيان 11 أذار لعام 1970. لذا لم يكن ابعاد الحزب الشيوعي عن المشاركة في الحركة الكوردية نقطة ضعف سياسية فحسب إنما أيضاً نقطة ضعف عسكرية. كما أصبح الحزب الشيوعي العراقي فريسة سهلة لضربات البعث فيما بعد. وهكذا نرى ان المستفيد الاول هو نظام البعث الدكتاتوري. في الواقع كانت إيران وحكومة البعث في بغداد تسعيان لدق أسفين في علاقة (حدك) و(حشع) ويبدو ان قيادة الحزب الديمقراطي مالت الى العداء مع الحزب الشيوعي العراقي ترضية لطهران وحليفاتها. وكتب سكرتير الحزب الشيوعي العراقي (عزيز محمد) رسالة الى ملا مصطفى في 2 كانون الاول 1973 : "..... ولكن يؤسفني – أيها الأخ العزيز – أن أخبركم بأن مجهوداتنا في هذا السبيل. وشعورنا بالمسؤولية الوطنية والقومية والتاريخية لم تقابل من قبل بعض الإخوان في قيادة (حدك). ليس فقط بموقف ايجابي. أو المعاملة بالمثل. وانما استغل سكوتنا الإعلامي وحرصنا الشديد على منع تردي العلاقة بين حزبينا. لأغراض التمادي في محاربة حزبنا الشيوعي والاستمرار في ملاحقة أعضائه ومؤازريه في كوردستان. فان حملة الاعتداءات على رفاقنا ومنظمات حزبنا في معظم المناطق الكوردية وبمختلف الأشكال والأساليب وخاصة في الأرياف مستمرة ولاتزال... وتصلنا يومياً أخبار موثوقة مقلقة بعمليات سوقهم من المعتقلات التي كانوا قد زجوا فيها إلى معتقلي "قصرى" و "رابات" حيث تمارس هناك بحقهم شتى وسائل التعذيب لإجبارهم على التبرؤ من الحزب الشيوعي. وتقديم المعلومات عن علاقاتهم ونشاطاتهم وأسرارهم الحزبية.

[322] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص: 109

كما اننا لم نتلقى لحد الآن رغم مطالبنا المتكررة والملحة جواباً عن مصير رفاقنا ألاثني عشر الذين سبق وان غادروا الوطن بعلم من مسؤولي (حدك) وعادوا الى كوردستان بعلمهم أيضاً. واختطفوا من قبل البعض منهم منذ أكثر من ثلاثة أشهر."

ويرد عليه ملا مصطفى برسالة مجاملة بتاريخ 5 كانون الأول 1973. لكنه لم يذكر له شيئاً عن مصير الشيوعيين الذين تم تصفيتهم جميعاً. كانت جريمة ليس لها لزوم على الاطلاق.

كان البعث يتطلع ان يكون حاكماً على الأمة العربية كلها. فبالنسبة للقيادة البعثية. هناك ثلاثة تيارات أساسية في العالم: البعثي والناصري والشيوعي عدى الرأسمالية. فالناصرية انتهت بهزيمة حرب الأيام السته. والغرب الرأسمالي والولايات المتحدة الامريكية لن يدع التيار الشيوعي يتحكم في أي بلد من العالم العربي. لذا فان التيار المؤهل هو التيار البعثي الذي سيتولى الحكم ليس فقط في العالم العربي. انما هو تيار قيادي للعالم الثالث بأسره مقابل المعسكر الشيوعي والرأسمالي.[323]

عقد المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي العراقي في كوردستان المحررة وأطلق عليه "مؤتمر هندرين" وهو اسم معركة لعب فيه الانصار الشيوعيون دوراً بارزاً في الستينات. كان موقع المؤتمر على سفح جبل كاروخ في منطقة رواندوز.[324]

في هذا المؤتمر جرى تعديل موقف الحزب الشيوعي العراقي من "تحريم التحالف مع البعث" وهو الموقف الذي أقره كونفرنس الحزب الثالث في 1967. الى العمل على "التحالف معه" ومع القوى السياسية الاخرى اذا ما توفرت مستلزمات التحالف.[325]

بعد ان علم البعث بهذا المؤتمر. اشتدت حملاته الارهابية على كوادر ونشاط الحزب الشيوعي العراقي. وظهرت أيضاً بوادر تشديد حملة الارهاب بعد فترة وجيزة من اتفاق الحكومة البعثية مع ملا مصطفى في 11 آذار 1970.[326]

---

[323] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص: 101

[324] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص: 102

[325] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص: 103

[326] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص: 103

التقى رحيم عجينه بمرتضى الحديثي - قيادي بارز في حزب البعث - في شهر أب عام 1971 والذي طلب منه مواصلة الحوار والعمل للوصول الى اتفاق خاصة: "اننا ندخل معركة مع شركات النفط المتعنتة. ويجب على القوى الوطنية أن توحد نشاطها في هذه المعركة الوطنية الكبرى." [327]

وردّ عليه عجينة انه يتوجب وقف حملة الارهاب فوراً والتي شملت كوادر ومنظمات الحزب الشيوعي واطلاق سراح جميع المعتقلين. ردّ مرتضى الحديثي: "ان الحملة ستتوقف فوراً وقد اتخذت القيادة قراراً بذلك." [328]

ومن أجل حشد القوى الوطنية لنيل معركة التأميم فقد طرح البعث مشروع للتحالف الوطني وطلبوا من القوى السياسية الانضمام اليه. وكان حزب البعث قد نظم من قبل حملة واسعة من الاجتماعات الجماهيرية تحت شعار "أنت تسأل والبعث يجيب" قام بها صدام حسين. وفيها تم "عرض وجهة نظر البعث وشروطه للتحالف مع القوى السياسية العراقية. وتتلخص الشروط في"الاعتراف بثورة 17 – 30 تموز وبحزب البعث كحزب ثوري واحتكار حزب البعث للعمل بين القوات المسلحة واحتكاره للعمل الجماهيري وموضوعة الحزب القائد." [329]

بدأت فترة من تخفيف الارهاب على الحزب الشيوعي العراقي. وأعتبرت قيادة (حشع) المشروع البعثي اساساً صالحاً للحوار مثلما هو معروف وبدأ الحوار حوله في شباط 1972 حتى تم الاتفاق عليه في 16 تموز 1973." [330]

قدم المشروع الى الحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي كان له خمسة وزراء في حكومة البعث. لكنه اتخذ موقفاً سلبياً مؤكداً على جوانب الخلاف في رده على المشروع.

ويعلق الدكتور رحيم عجينة على عدم انضمام الحزب الديمقراطي الكوردستاني بما يلي:

"لكن الحزب الديمقراطي الكوردستاني رفض ان يدخل في محادثات ثلاثية حول الجبهة في الوقت الذي كان يشترك فيه بخمسة وزراء في الحكومة. وبذا توفرت للبعث فرصة في ان

---

[327] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص. 110

[328] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص: 111

[329] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص: 111

[330] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص 111

يتحاور مع كل حزب لوحده. وفي تصوري ايضا لو كان الشيوعي والديمقراطي الكوردستاني سوية على طاولة المفاوضات لخرجنا ببرنامج افضل من الذي تم الاتفاق عليه بين البعث والحزب الشيوعي ....."

ويمضي الى القول: "المعلومات التي توفرت لدي والاستنتاجات التي توصلت لها جعلتني اميل الى ان الحزب الديمقراطي الكوردستاني لم يكن متحمسا ولاراغبا في ان يسمح للحزب الشيوعي بالقيام بدوره الكامل خشية مما سيعنيه ذلك في كوردستان. وقد يكون البعث والديمقراطي الكوردستاني متقاربين في وجهة نظرهما في عدم السماح للحزب الشيوعي ان يكون فعالا وذا نفوذ في البلاد. ان هذه العلاقة غير المتينة بين الديمقراطي الكوردستاني والشيوعي، على الرغم من الارضية المشتركة التى يقف عليها الحزبان والتعاون الكفاحي بينهما على مدى سنين طويلة، اضرّت كثيرا بالحزبين والحركة الوطنية عموما والحركة الكوردية على وجه الخصوص وساهمت في تعزيز دكتاتورية البعث وثم دكتاتورية صدام حسين[331]

كانت قيادة (حدك) تقترب أكثر فأكثر من ايران وحلفائها. واحسن شهادة تمنح من الولايات المتحدة الامريكية وايران هي شهادة معاداة الشيوعية. وربما من هذا المنطلق قامت قيادة (حدك) باعتقال وقتل 12 شيوعياً كانوا عائدين من الاتحاد السوفيتي. ويصف الجريمة رحيم عجينة بـ "النكسة الكبيرة التي أصابت العلاقة مع (حدك). في حين يقول عنها الدكتور محمود، العضو البارز في المكتب السياسي لـ (حدك): "استخدام الارهاب ضد الشعب في السنوات الاخيرة وكذلك ضد منتسبي القوى الوطنية العراقية الموجودة في كوردستان بشكل مناف لمصلحة الشعب الكوردي مثل اغتيال 12 شيوعياً من تنظيمات اللجنة المركزية واثنين من القيادة المركزية من قبل أمر هيز زاخو (عيسى سوار) وبعلم قيادة البارزاني."[332] كما تكدرت العلاقات مع حدك عندما سعى جهاز حدك الأمني منع منظمات الحزب الشيوعي من النشاط في مناطق اعتبرها محرمة على الشيوعيين.[333]

ومن جانب البعثيين كان الضغط يزداد خلال فترة المفاوضات الثنائية مع (حشع). وهذه المرة لم يكن عن طريق الارهاب وانما بسبب ماقاموا به من اجراءات مثل عقد

---

[331] الاختيار المتجدد . د. رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص 112

[332] تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها. أوائل كانون الثاني 1977 . ص 24

[333] الاختيار المتجدد . د. رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص: 113

معاهدة تعاون وصداقة مع الاتحاد السوفيتي والاعتراف بوقت مبكر بالمانيا الديمقراطية واخيراً ماحققوه من انجازات في معركة النفط وتأميمه.[334]

وازداد الضغط على (حشع) بعد توصل حزب البعث في سوريا الى تحالف جبهوي مع (الحزب الشيوعي السوري) واطراف اخري وحصل منها على تنازلات للاعتراف بقيادة البعث السوري للعمل الجبهوي في سوريا. الأمر الذي دفع البعثيين في العراق الى التأكيد على نفس المكاسب في تحالفهم مع الحزب الشيوعي العراقي.[335]

كان الاجتماع الحاسم بين وفدي الحزبين في يوم 15 تموز 1973 حضر هذا الاجتماع من البعثيين: صدام حسين. شبلي العيسمي. على غنام، نعيم حداد وطارق عزيز. ومن، جانبنا – يذكر رحيم عجينه - حضره : عزيز محمد. عامر عبدالله. مكرم الطالباني. مهدي عبدالكريم ورحيم عجينة. وبقيت نفس القضايا المعلقة وأحيلت الى قيادة الحزبين.[336]

التقى رحيم عجينة بمحمد محمود عبدالرحمن (سامي وكان يشغل منصب وزير شؤون الشمال) وطرح موضوع الجبهة معه وذكر الأخير ان "قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني مانزال عند تحفظاتها حول وجود مجلس لقيادة الثورة وصلاحياته وعلى قضية الحكم الذاتي المتدهورة. وأثار تحفظاً يلفت النظر ذلك ان مشروع الاتفاق هو ذو محتوى طبقي. فهو يتحدث عن اصلاح زراعي في كوردستان، ومثل هذا التوجه ضد مصالح الحزب الديمقراطي الكوردستاني في الوقت الحاضر."[337].

كان ملا مصطفى قد حول الحزب الى مطية للأغوات أي بالاحرى أخضع مصالح الحزب لمصالح الأغوات المفضلين لديه. كانت "ثورة" تخشى من الاصلاح الزراعي ووقودها الطبقة الفلاحية، هذه الظاهرة تكشف مدى الغبن الذي عاناه الفلاح الكوردي على يد قيادة لم تكترث بتضحياته الجسام.

ويذكر (رحيم عجينة): "كان حدك يريد ان الجبهة يجب ان توقع بين الحزبين الرئيسيين اولاً البعث وحدك، ثم بعده توقع على الاتفاق الاحزاب الاخرى"

---

[334] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص: 114

[335] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص: 115

[336] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص: 115

[337] الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية. ص: 115

جري توقيع ميثاق العمل الوطني في 17 تموز 1973 بين عزيز محمد و أحمد حسن البكر.[338]

وفي نظر عجينة ان البعث كان مصمماً على اخراج حشع من ساحة العمل السياسي.
كان هدف البعث من وراء هذا الاتفاق:
دفع الحزب نحو موقف تابع ومؤيد وداعم
تجريده من مواقعه الجماهيرية بتشريع قوانين تعالجه بالتعسف وبالإرهاب ان دعت الضرورة لذلك واذا حاول حشع كسر الطوق المضروب عليه.
الاستفادة من مكانة حشع بين الجماهير باعتبار ان دخوله في جبهة مع البعث هو تزكية للأخير على المستوى الجماهيري. تلك الجماهير التي كانت تنظر للبعثيين بعدم الثقة والكراهية بسبب تجربتها السابقة معه. وبشكل خاص من انقلاب 1963.
ابتغوا الاستفادة من امتدادات حشع العربية والعالمية لتغيير وتجميل صورة البعث لدى تلك الدوائر.[339]

ويقول عجينه: "لايخامرني شك من ان قيادة حزب البعث كان لديها مخطط لشق صفوف القوى التي تمتلك ارضية للعمل المشترك فيما بينها والانفراد بها كل على حدة. واعتقد ان مثل هذا المخطط كان يشكل خلفية الاتفاق لاسيما وان جواً من التوتر نشأ وتعمق بين البعث وحدك."[340]

ويعلق صلاح الخرسان على التفاهم الذي جرى بين السلطة البعثية والحزب الشيوعي العراقي وتأثيره على قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني: "وكرد على مشاعر العزلة التي إنتابته بسبب انتقال الشيوعيين الى صف النظام أخذ البارتي يطالب ونكاية بالحزب الشيوعي العراقي "أن يقتصر الحوار بشأن الجبهة بين من يمثل القوميتين الرئيسيتين في العراق أي البارتي والبعث" في حين كان البارتي يلح على النظام في مفاوضات أذار 1970 بضرورة إشراك الشيوعيين فيها."[341] وثم يضيف:

---

[338] الاختيار المتجدد. د. رحيم عجينه. الطبعة الأولى 1998. توزيع دار الكنوز الأدبية. ص. 115
[339] الاختيار المتجدد. د. رحيم عجينه. الطبعة الأولى 1998. توزيع دار الكنوز الأدبية. ص. 116
[340] الاختيار المتجدد. د. رحيم عجينه. الطبعة الأولى 1998. توزيع دار الكنوز الأدبية ص. 116
[341] التيارات السياسية في كردستان العراق 1946 - 2001. صلاح الخرسان. الطبعة الاولى 2001. مؤسسة البلاغ. بيروت. ص. 202 - 203

"ولم تقتصر ردود فعله عند هذا الحد وانما قرر توجيه ضربات محسوبة الى الحزب الشيوعي العراقي وعلى دفعات. وصدرت الأوامر باعتقال مجاميع من الشيوعيين واخفائهم وتم التنفيذ بقيام أحد القادة العسكريين للثورة وهو عيسى سوار البارزاني أمر هيز زاخو باختطاف 12 طالباً شيوعياً أنهو دراستهم حديثاً في الاتحاد السوفيتي. وكانوا في طريق عودتهم من سوريا الى العراق عن طريق زاخو وذلك في أب 1973. حيث تمت تصفيتهم إضافة الى اثنين أخرين من أعضاء تنظيم الحزب الشيوعي العراقي - القيادة المركزية - وذلك بعلم الملا مصطفى البارزاني الذي كان "يعتقد بأن هذه المعركة الجانبية قد تكون مفيدة لأنه كان يتصور انها ستؤدي الى أن تهتم الولايات المتحدة الامريكية بالثورة أكثر وتقدم لها المزيد من المساعدات". كما شن جهاز الباراستن حملة إعتقالات طالت العديد من الشيوعيين الأكراد وخاصة المعلمين منهم في مناطق زاخو والشيخان ومناطق أخرى من بادينان." [342]

بهذا المسلك الخالي من الشعور بالمسؤولية التاريخية تجاه مستقبل الحزبين. تأزمت العلاقات بين (حدك) و (حشع) الى حد وقوع مصادمات مسلحة بينهما نهاية عام 1973 خدمت مصالح البعث مباشرة. ويذكر صلاح الخرسان:

"وعلى أثر ذلك شنت قيادة الثورة الكوردية حملة شاملة ضد تنظيمات الحزب الشيوعي العراقي والتي كانت في تداخل مع تنظيمات البارتي في عموم المناطق الكوردية مما أجبر الشيوعيين الالتجاء الى المناطق الخاضعة لسيطرة النظام ولم تقتصر حملة البارتي على الحزب الشيوعي العراقي - اللجنة المركزية - فقط وانما شملت التنظيمات الماركسية المناهضة للسلطة أيضاً فقد قام علي عبدا لله عضو المكتب السياسي للبارتي ومحافظ السليمانية بتسليم خمسة من أعضاء جيش التحرير الشعبي وهو تنظيم ماركسي يؤمن بالكفاح المسلح إلى سلطات النظام أوائل عام 1974 والتي قامت بإعدامهم وبانتهاء تلك الحملة الضروس تكرّست القطيعة بين الحزب الشيوعي العراقي - اللجنة المركزية وقيادة الثورة الكوردية والحزب الديمقراطي الكوردستاني." [343]

---

[342] لتيارات السياسية في كردستان العراق 1946 2001 صلاح الخرسان الطبعة الاولى 2001 مؤسسة البلاغ بيروت ص 203

[343] التيارات السياسية في كردستان العراق 1946 - 2001 صلاح الخرسان الطبعة الاولى 2001 مؤسسة البلاغ بيروت ص 203

ليس من شك أن قيادة (حدك) كانت تعمل من أجل الحصول على الدعم الخارجي وما يفرضه ذلك من شروط. والحزب الشيوعي العراقي متأثر بالموقف السوفيتي الوذي تجاه نظام البعث ولايتمكن من تبني موقف معارض لموسكو لكن لماذا لم يلجأ الجانبان الى الحكمة وبعد نظر للحيلولة دون وصول الأمور إلى حدّ المجابهة المسلحة والتفكير في مستقبل العلاقات المتبادلة بين (حدك) و (حشع). خاصة أن النظام البعثي لايؤمن جانبه كما توحي بذلك التجارب السياسية للحزبين.؟ هنا نحن أمام قصر نظر سياسي واضح جلب الكوارث وبوقت قصير فيما بعد للعراق برمته وبشكل خاص لكوردستان.

لعل أكثر مايثير الانتباه في مجال [صراع الأحزاب في العراق] هو أن قادة الأحزاب (البعث) (حدك) و (حشع) كانوا يبحثون عن إنتصارات حزبية. والفرق كبير بين إنتصار قضايا الشعوب الجوهرية وبين إنتصار حزب على الأحزاب الأخرى. فنجاح (البعث) لم يعكس نجاح المجتمع. إنما حصل البعث على جميع إمتيازات الحكم من المال والقوة والنفوذ السياسي. في حين لم يتنعم المجتمع بالممارسة الديمقراطية والحريات وحفظ الكرامة الإنسانية والعدالة في توزيع الثروات الهائلة في العراق. فنجاح دكتاتور يعني سقوط الديمقراطية وإذلال الشعب. وعاش المجتمع العراقي في ظل البعث حياة القطيع وانقاد لأهواء قادته المغامرين الذين أقحموه في حروب مدمرة أنهكت العباد وهدمت البلاد.

هزيمة الإنتصار
(الإجهاض)
1970 - 1975

ليس من شك أن النضال السياسي عندما يتكلل بالنجاح يوفر زخماً هائلاً من الإمكانات المادية والطاقات المعنوية لتحقيق الأهداف التي ناضل من أجلها الشعب بالكثير من نكران الذات. ولنرى ماذا عملت القيادة الكوردية بعد الإعلان عن بيان 11 أذار عام 1970 بـ "إنتصارها" حيث وقعه الطرفان، قيادة حزب البعث العربي الإشتراكي وقيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني، وسط تطبيل وتزمير الجانبين دام أسابيع. ولو إفترضنا أن صدام حسين وملا مصطفى كانا قائدين حضاريين يؤمنان فعلاً بالمبادىء الديمقراطية ويعملان على ترسيخ أسسها في المجتمع لخير شعبيهما وللأجيال القادمة، لكان بيان 11 أذار عاملاً مساعداً للسير قدماً في دمقرطة المجتمع وازدهاره مجنباً إياه النزعة الفردية في الحكم والحروب الهدامة، وكان من الممكن أن يمثل ذلك نقطة انعطاف كبيرة في دولة نفطية شرق أوسطية تتجه نحو التنمية الإقتصادية والمساواة في توزيع ثروات البلاد وإستقرار في نظامه السياسي الخاضع لإرادة شعبها. كان من الممكن ان يتحول النظام العراق الى نظام يشبه النظام الكندي حيث يضمن حقوق القوميتين الرئيسيتين، تلك الناطقة باللغة الإنكليزية والكيبك الناطقين باللغة الفرنسية، كذلك ضمان حقوق القوميات الأخرى، الآشوريين والكلدانيين والتركمان . لكن من سوء الحظ سار الإثنان في طريق أخر مناقض لأسس الديمقراطية وإحترام إرادة الشعب في التعبير عما يراه مناسباً لمستقبله ومستقبل الأجيال القادمة. لقد كانت النزعة الدكتاتورية في عموم الشرق الأوسط هي الطاغية بامتياز وأحزابه ستالينية المنحى والرجعية تتحكم بإسم التقدمية والاشتراكية، والمصالح العائلية والقبلية تتغطى بلبوس القومية.

لقد إستغل الإثنان، صدام حسين الشاب وملا مصطفى الذي ناهز السبعين عاماً، بيان أذار كل لمصلحته وبطريقة مختلفة عن الأخر. فصدام حسين على عكس ملا مصطفى، كان في مرحلة تسلق سلّم السلطة، وكان يحتاج الى التظاهر بالمبادىء القومية، كالوحدة والحرية والإشتراكية ومعاداة إسرائيل والإمبريالية ودعم الطبقة الفقيرة في المجتمع. ولم يكن بعد في قمة السلطة، في حين كان ملا مصطفى في قمة السلطة، وحاجته الى التظاهر بالمبادئ قد انتهت.

صدام حسين كان يعرف الى أين هو ذاهب بعد بيان آذار. كان يتقدم مرحلة بعد مرحلة وبشكل مدروس ويحقق الانتصارات. كان يعرف ان قوته تكمن في باطن التربة، في منابع النفط في كوردستان ومناطق العراق الجنوبية. ويمكن استغلالها في كسب المجتمع العراقي وبناء علاقات اقتصادية مع الكتلتين الشرقية والغربية.

ملا مصطفى لم يعرف الى أين يذهب بعد بيان آذار 1970. لم يعرف ان [بتروله] قوته تكمن في توحيد الشعب الكوردي والالتصاق الصادق بأماله وتبني سياسة تقدمية وتخليص الكورد من بقايا الاقطاع الكوردي وبناء حزب تقدمي ثوري يعمل على تثبيت قيم العدالة والمساواة والتحرر ونشر العلم لتقدم المجتمع. كان همه البقاء في قمة السلطة وتوريثها والعمل على تحقيق (مشروعه العائلي) الغير معلن معتمداً على تقوية الإقطاعيين والمرتزقة واحتكار أموال الحركة الكوردية، وهذا يتطلب إجهاض المجتمع من أصحاب الكفاءات القيادية. كان يتراجع ويهدم ما بنته الحركة بتضحيات أبناء الشعب الكوردي خلال عقد من النضال الشاق. كانت الجماهير تتطلع نحو التقدم والانفتاح والعدالة، في حين كانت القيادة الكوردية في حركة تراجع وانغلاق. ولم يكن هناك إنسجام بين رغبات القيادة، والتي توقف نشاطها ضمن مشاريعها العائلية، وطموحات المجتمع الكوردي خاصة الانتلجنسيا الكوردية. وشاب مواقف ملا مصطفى "تقوقع واضح" لم يطور استراتيجية للأمن القومي أو حماية الحركة من تغير مفاجيء في الموقف الدولي او في موقف الدول الداعمة للحركة. وتبنى سياسة "الاستقواء بالخارج" و"هدم الجبهة الداخلية" واتبع سياسة واضحة المعالم تهدف الى خلق "مجتمع عاقر" لا بلد غير المتملقين والمنصاعين، حيث تبقى القيادة حكراً على أولاده المفضلين فقط. وبهذا سدّ الطريق أمام بروز قيادة مؤهلة. وبمنح ولديه الصلاحيات الكاملة وهما لايزالان دون مستوى النضوج السياسي[344]. أصبحا فوق

---

[344] سلّم ملا مصطفى لولده مسعود كامل السيادة على جهازالأمن. دون تعليم ورغم صغر سنه وقلة تجربته. يروي (ديفيد كرون حدث ذو مغزى كبير. خلاصته أن (ميرخان) وهوالاسم المستعار (مسعود نجل ملا مصطفى) حسب ما اكده لي شخصية كوردية ترددت على اسرائيل بمهام كلفته القيادة الكوردية ولايزال حياً. قال مسعود لديفيد كرون فجأة ان الضرر الذي يلحقه المستشفى الذي اقامه الاسرائيليون اكثر من جدواه. فقد تناهت انباؤه الى العراقيين. فاصبح بؤرة للمشاكل. يقول ديفيد كرون: "شعرت بالدم يغلي غضباً في عروقي. وقلت: ان مانفعله هو لمصلحة الاكراد واذا كان المستشفى قد اصبح مثارا لمشاكلهم. فان الامر بسيط للغاية. سأطوي الخيام. واخذ الاطباء معي الى اسرائيل." حاول مسعود تهدئته قائلاً انه لم يقصد ذلك. بيد انني كنت مصراً على رأي فحتى المعروف يجب ان نضع له حدوداً. طوينا الخيام. والمعدات وأخذت معي الاطباء الى طهران ومن هناك الى اسرائيل. وكان على الاكراد ان يطلبوا بصورة افضل كثيراً. بعد ذلك. كي نقبل بفتح مستشفى جديد." شلومو نكديمون .الموساد في العراق ودول الجوار. ص :227

الحزب. وتحجرت العقلية السياسية وانتشر النسيب كما فقد الحزب اصالته وتطوره الطبيعي بسبب الأغلال التي فرضها على القيادة السياسية لتبقى في خانة الطاعة. ولم يدع التركيبة القبلية لقوات الأنصار الكوردية (بيشمركه) تنفتح ولو قليلاً على نظام جيش ثوري عصري. لقد هيمنت العقلية القديمة بثقلها على جميع مناحي الحياة في المجتمع الكوردي ومنعت أي انفلات خارجها. وفي النهاية انحصر كل شيء في يد عائلة واحدة. كما إنه لم يعبأ بحجم التحديات الخطيرة التي تواجه الشعب الكوردي وتربص الأعداء بالحركة الكوردية.

لقد سبق ملا مصطفى صدام حسين الإنفراد بجميع القرارات المصيرية بأعوام في منطقة كوردستان. بينما كان صدام التكريتي يقطع مراحل تسلق السلطة بتانٍ ثم انفرد بالقرارات المصيرية بعد عزل أحمد حسن البكر في 16 تموز عام 1979 . ولقد أدى استئثار كلاهما بالقرارات المصيرية الى كوارث وطنية هائلة. وتراجعت تيارات التقدم الديمقراطي والحريات العامة في المجتمع الكوردستاني والعراقي بشكل عام.

استغل صدام حسين السنوات الأربع – هدية القيادة الكوردية له - التي أعقبت بيان أذار لتقوية نفوذه ونفوذ حزب البعث العربي الاشتراكي بجهازه الأمني والعسكري. وتمثل ذلك في تصفية الخصوم في الداخل وعلى نطاق واسع، وبناء جيش قوي وتبعيته، ووضع قوى الأمن والشرطة تحت قيادته. بناء تحالف وقتي مع الحزب الشيوعي العراقي لتسهيل ضربه، وضرب الحركة الكوردية وشراء ذمم العديد من المسؤولين الكورد. و بعد تأميم النفط. زادت إمكانات السلطة المالية موفراً لها القدرة على التأثير خارجياً وداخلياً. كما عقد إتفاقية صداقة مع الإتحاد السوفيتي لتأمين حاجات الجيش العراقي للسلاح المتطور. في حين كان ملا مصطفى يعيش قمة السلطة ويعمل على توريثها لابنه بدافع عاطفي محض ودون استشارة أحد. كما تضاعفت نزعته الفردية بشكل خطير.

إن ما تبقى لديه من المدة في قيادة الحركة الكوردية من بيان أذار وحتى سقوطه في أذار عام 1975 كان عبارة عن إفتعال أزمات داخلية – لالزوم لها على الإطلاق - صبت مباشرة كما سنرى في مصلحة النظام الدكتاتوري ولشخص صدام حسين الذي تمكن من إستغلال هفواته لصالحه. كلاهما عملا على بناء سلطة الحزب الواحد بمركزية شديدة، وخلق الولاء الشخصي وممارسة سياسة الترهيب والترغيب لنيل الطاعة المطلقة. كانا هما صاحبا الأمر والنهي في اتخاذ القرارات المصيرية. رغم جعل السلطة المركزية جماعية الشكل وكلاهما اعتمدا على القمع والتسلط. وأشترك كلاهما في الهيمنة العائلية على مؤسسات الحزب والحكم. وأعتمدا على "القوة والمال".

وفي كلا الحالتين ساد الصراع داخل دائرتي الأسرة والعشيرة. واستخدم السلاح والمال لنصرة ملا مصطفى وصدام حسين وفريقهما المختار من الأبناء والحاشية. ومثاله الصراع بين الأخوان غير الأشقاء برزان ووطبان وسبعاوي مع آخرين من العائلة الحاكمة. كذلك الصراع بين حسين كامل وصدام حسين وغيرها من الصراعات التي قام بها عدي وقصي وآخرين داخل العائلة. كما هو الحال مع ملا مصطفى الذي دخل في صراع لا لزوم له ضد ابن أخيه عثمان شيخ أحمد. وضد ولديه عبيدالله ولقمان والقتل الجماعي لعائلة محمد آغا ميركه سوري وهم من أخواله. كانت ظاهرة "الإستبداد" في كردستان والعراق _قيادة صدام حسين لحزب البعث العربي الإشتراكي وهو خزب يرفع شعار القومية. وقيادة ملا مصطفى للحزب الديمقراطي الكردستاني وهو حزب يدعي بالقومية أيضاً _ . كلاهما ينتميان الى أسر فقيرة وانتهيا بإمتلاكهما لملايين الدولارات بممارستهما لمهنة "الدفاع عن القومية". الاثنان أوجدا بممارساتهما خلل سياسي وأخلاقي في كيان المجتمع نتج عنه الإستسلام والعجز التام في مقاومة نمو وسيطرة حكم المستبد المنفرد بالسلطة. وكلا الحزبان (البعث العربي الاشتراكي و الحزب الديمقراطي الكردستاني. لا علاقة لهما بالديمقراطية غير الجانب الإعلامي الذي مارسته أجهزة الأعلام الخاضعة لمزاج الحاكم المطلق الصلاحيات.

بعد اتفاق أذار برز نجم ملا مصطفى كقائد قدير تمكن من تحقيق الحكم الذاتي لكوردستان - عراق - وتكللت الحركة الكوردية بقيادته بـ "النصر". الذي اعترفت به الحكومة العراقية بتوقيعها على بيان الحادي عشر من أذار عام 1970. كانت الدعاية الحزبية تشدد بقوة على هذا المنحى وتكررها في الصحافة وعلى الأثير للشعب الكوردي. ولو فرضنا أن ملا مصطفى إستقال مباشرة تاركاً مرحلة مابعد أذار لآخرين مؤهلين لقيادة الشعب الكوردي. لكان ذلك أفضل وقت للإستقالة ولبقي بطلاً في المجتمع الكوردي لايعادله أحد في القرن العشرين. لكن شهوة السلطة العارمة لاتؤمن بالتوقف عند الشيخوخة بل تتعداه الى فرض عملية التوريث للأبناء مهما كلف الثمن. والهدم لايهم طالما يدفع ثمنها الشعب الذي يشكل صفراً في حسابات القيادة.

أبلغت الحكومة العراقية بعد الإعلان عن بيان 11 أذار. جميع رؤساء المرتزقة الكورد المتعاونين معها بنهاية التعاون معهم ضد الحركة الكوردية. فأعلن عن المصالحة الوطنية بين الحركة الكوردية بقيادة ملا مصطفى والأكراد من أنصار الحكومة العراقية. وشمل التصالح جميع أغوات المرتزقة العريقين وأعضاء المكتب السياسي القديم بقيادة إبراهيم

أحمد. لقد مثل عودة هؤلاء جميعاً لمقابلة ملا مصطفى في مقره كإعتراف بفشل ممارساتهم وأن ملا مصطفى كان على صواب.

أصبح ملا مصطفى شخصية معروفة في الصحافة الخارجية وذاع صيته في كافة أجزاء كوردستان. كما خصصت الحكومة العراقية مساعدات مالية معينة له. وفي نفس الوقت لم تنقطع المساعدات الخارجية من الدول التي ساعدت الحركة الكوردية في مقاومتها لأنظمة بغداد. لكنها تقلصت. وقع ملا مصطفى في وهم إنتصار بيان آذار. فزاد ذلك من شحنات نرجسيته الى حدود تولدت لديه أوهام قاتلة فيما يخص قابلياته السياسية أفقدته الإحساس بالتحديات والمخاطر التي تحاصر الشعب الكوردي. وفي النهاية قاد شعبه إلى حضيض الفخ الذي نصبه الأعداء.

لقد أصبحت الحركة الكوردية واقعاً ملموساً في الساحة العراقية والشرق أوسطية وكتبت عنها الصحف العالمية.

لكن كيف كان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني بعد بيان آذار عام 1970؟ وضع قوات الأنصار الكوردية (البيشمركه)؟ وضع بارزان؟ وهي الأعمدة التي بنيت عليها الحركة الكوردية المسلحة.

كما ذكرنا لم تبق قوى كوردية أخرى مع الحكومة. فقد تم حلّها وأجريت مصالحة مع قيادة الحركة الكوردية.

إن مايلفت النظر هو أن معظم السياسيين الكورد المشتركين في الحركة الكوردية، ضمنهم الدكتور محمود عثمان (أمين سرّه) الشخصية الأقرب الى ملا مصطفى، كذلك سامي (محمد محمود عبدالرحمن) لم يشيروا إطلاقاً الى عامل مهم جداً الا وهو العامل العاطفي في صياغة الموقف السياسي لملا مصطفى، خاصة بعد عام 1970. يستغرب المرء هذا الغياب في تحليلاتهم واستنتاجاتهم السياسية رغم أنهم تعاونوا عن قرب مع ملا مصطفى في النضال السياسي.! فبدون فهم هذا الجانب من شخصيته يستحيل فهم مواقفه. ترى هل هو الخوف؟ أم أن ملا مصطفى تمكن من إخفاء نواياه عنهم بمهارة الى حد نجح في تضليلهم جميعاً؟ أم أنهم لم يستوعبوا هذا الجانب من شخصيته؟

في حالة النصر يبرز القائد على حقيقته. إذ ليس لديه حجج التهرب من تنفيذ الوعود التي قطعها للجماهير المناضلة. فهو في سدة الحكم والإمكانات متوفرة لتحقيق العديد من أماني الجماهير والمناضلين الذين ساهموا في تحقيق النصر. والشعب أعطى ثقته التامة له. هنا نحاول وضع أعمال ملا مصطفى على المحك. فقد تحول الى شخص غريب عن أتباعه المخلصين الذين بنوا إنتصاراته. فالجانب الرجعي فيه بدء بالظهور علنا وأدار ظهره لرفاق السلاح وللروادع الوطنية والأخلاقية وللشعارات التي رفعها (حدك) طوال مرحلة الكفاح الشعبي المسلح.

كان من الممكن في المجتمع الكوردستاني. تحويل بيان 11 آذار الى حركة شعبية واسعة ومنظمة. تقدمية المنحى وضد الرجعية الكوردية العميلة والقيم البالية في المجتمع الكوردي وبناء نظام أكثر عدلاً إجتماعياً وتوفير الثقافة والعلم في المجتمع كذلك تحويل الحزب الديمقراطي الكوردستاني الى حزب ديمقراطي صادق مع الشعارات التي رفعها، وتقدمي نموذجي، يدافع فعلاً عن مصالح الجماهير العريضة بفلاحيها وعمالها وكسبتها ومثقفيها. في حين حولها ملا مصطفى الى مطية للأغوات وللقوى الرجعية والمرتزقة بعد أن إنحرف هو عن المسار الوطني.

بقي ملا مصطفى مرتاباً دائماً وخائفاً من "حالة السلم" السائدة بعد بيان 11 آذار وإمكانية إستغلال (جناح في المكتب السياسي) للحزب الديمقراطي الكوردستاني لهذه الحالة لتقوية نفوذه وكان يخشى من تقويض قبضته على الحزب. لذا عمل على لجم الحزب بحبال أكثر غلاظة مما كان سائداً في زمن القتال وبأسلوب مخالف لدستور الحزب، ابتزازي لا لبس فيه.

وفيما يخص بارزان فقد إختلق الحجج لضربها والقضاء على قيمها الروحية خاصة أن الطريق كان مبلطاً أكثر بغياب الحارس (شيخ بارزان) بداية عام 1969 . وأنه يمكن شراء ما تبقى من العائلة البارزانية وكسبهم إلى جانبه عن طريق الرشوة أو الإبتزاز. كان ملا مصطفى يرى العقيدة البارزانية وأخلاقها الخاصة تربط ولاء الجماهير البارزانية بشيخ بارزان وببرنامجه الروحي ومعادية لظلم الأغوات. لذا أراد هدم هذا التراث لكي يحول ولاء الناس الى شخصه، وثم يفتح المجال لعملية التوريث المبنية على العاطفة لإبنه مسعود محاطاً بالمرتزقة كما سنرى.

اعتمد ملا مصطفى على الطبقة الأكثر انتهازية ورجعية في المجتمع الكوردي في تنفيذ مخططه رغم معاداتها التاريخي للحركة التحررية الكوردية ولا وطنيتها السافرة ومحاربتها للقوى القومية التقدمية. هنا نرى أخطر ظاهرة الا وهي استغلال نفوذه لخدمة متطلبات وتوريث السلطة لولده مسعود الأكثر التصاقا عاطفياً بالمرتزقة. وتعكس هذه الظاهرة المنطلق الفكري لقائدها. كان شديد الكره للثقافة والعلم. وبفضل على الدوام الأغوات في تولي المسؤوليات العسكرية أو حتى منح الأميين المنصاعين وظائف رفيعة في قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني للجم دور المثقفين فيه. ولم يهتم بنوعية المشاركين في الحركة. بل بمدى عنصر الطاعة والانصياع لشخصه. بينما كان يحارب المؤهلين ويبعدهم عن الوظائف الحساسة.

ففي السابق كان يمنع البارزانيين من الانخراط في الحزب منعاً باتاً فأستخدم البارزانيين بين أعوام 1963 - 1965 في ضرب الحزب الى ان إستسلم الحزب لإرادته . كما مرّ علينا في الفصول السابقة من هذا الكتاب. وبعد أن تمت سيطرته الكاملة على الحزب وتطويع المكتب السياسي، أخذ يستخدم القوات الحزبية منذ عام 1970 لضرب بارزان الى أن قضى عليها.. ولم تكن لا الاولى ولا الثانية من مصلحة الحركة الكوردية. إنما كان ذلك من منطلق مصلحته الفردية والعائلية لاغير. وقد ساعده في ذلك إمتلاكه للقوة المسلحة وإحتكاره للمال. لقد إستخدم اسلوب "الرشوة" على أوسع نطاق وكان ذلك وبالاً على المجتمع الكوردي والقضاء على منظومته الأخلاقية وإفساد شخصيات عديدة.

ولنرى كيف قرر مهاجمة بارزان والقضاء عليها. لقد إستخدم الوسائل التالية لبلوغ هدفه: المال. الإبتزاز والدعاية المكثفة. لقد كان من صلب استراتيجيته أن يتقمص ما يريد هدمه. فباسم حماية بارزان قام بهدمها. وتحت شعار إنقاذ الحزب الديمقراطي الكردستاني قام بهدم هذا الحزب وتحويله الى أداة طيعة في خدمة مصالحه.

كان مخطط ضرب بارزان موجوداً حتى قبل إعلان بيان 11 أذار. لكن بسبب ظروف الحرب الصعبة ووجود شيخ بارزان في الحياة وصعوبة مهاجمتها علناً بسبب ولاء البارزانيين لعقيدتهم. فقد تبنى أسلوب الخديعة والرشوة وخلق الفتن وسياسة فرّق تسد. أما بعد بيان أذار فقد أماط اللثام عن وجهه كاملاً ولنرى الوقائع:

بعد بيان أذار عام 1970 وتحت شعار المصالحة الوطنية. قام هو والرهط المحيط به. بشكل أكثر صراحة مما كان في الماضي. بخلط الأوراق. وإيجاد تشويش فكري هائل في

المجتمع. تركز مشروعه في إزالة الخطوط الحمراء الفاصلة بين المرتزق والبيشمركه، بين المناضل العريق والملتحق الجديد. بين المناضل النزيه وبين المتملق الإنتهازي. بين أغا ساعد الحركة الكوردية طيلة أعوام القتال وبين أغا مرتزق حارب الحركة الكوردية وعاد مباشرة بعد بيان 11 أذار بعد ان أغلقت جميع الخيارات أمامه. كانت هذه الخطوة تهدف الى تغير نظرة الناس وأخلاقهم وإيجاد معايير جديدة في المجتمع. لكي يقبل بكل مالايتلائم مع قيم الكرامة والكفاح والوطنية. أي تحويل الشعب الى شعب يقبل بالإنحطاط والذل وهيمنة قيم المال في مجتمع كان لايزال بحاجة ماسة الى الفهم الثورية وأخلاق التضحية والإيثار. وكل هذا تمهيد لخطوة لاحقة أخطر. الا وهو تسييد القوى الرجعية الكوردية في المجتمع وفي قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني وفي بارزان. فأعاد النفوذ الى أخوال مسعود من المرتزقة. وهنا أصبحوا مدعومين من قبل قائد الحركة الكوردية نفسه. وكان هذا مناقضاً لماهو معلن. فالفرق هائل بين المصالحة الوطنية وهذا يشمل العفو عن المرتزقة وفسح المجال لهم بالعودة الى قراهم والبدء بحياة عادية كسائر الناس. في حين عمل ملا مصطفى العكس تماماً. فهو لم يسمح لهم بالعودة الى قراهم فحسب. إنما فرض المرتزقة كقادة على الشعب الكوردي. وفي ذات الوقت عمل على إهانة وتذليل القادة الحقيقيين لقوات الأنصار الكوردية (بيشمركه) وارغامهم على الإنحناء أمام المرتزقة. هنا نحن أمام إنقلاب في شخصيته لايمكن ان نمرّ بها مرّ الكرام. إنها عملية إجهاض كاملة لما حققه أبطال الحركة الكوردية بتضحياتهم الجسام طوال عقد من النضال وبفضل بطولاتهم ولد بيان أذار عام 1970.

كانت سياسة ملا مصطفى تتلخص في أعمل ماتشاء لكن على الدعاية الإستمرار في الضرب على الوتر الإيجابي وهذا يحقق النجاح في المجتمع الكوردي الغارق في السذاجة.

حاول عدد من الوجهاء من العائلة البارزانية ومن خارجها تذكيره بخطورة هذا الإنزلاق وردعه. لكنهم إصطدموا بجدار كثيف من العناد. لم تكن السمعه تهمه إنما السلطة. وأصبح مصير الشعب الكوردي مرهوناً بالمزاج العاطفي لرئيس الحزب. وكان هذا غريباً من شخصية رفعه الشعب الكوردي الى أعلى مقام وعمره يقارب السبعين عاماً. إنقلب على قيم ومبادئ الحركة بصورة مكشوفة. ولم يعير اهتماماً لانعكاسات أعماله على الجانب الحكومي واستغلالها لهفواته الكبيرة. كان يعمل بإصرار على الانحدار بالمستوى الأخلاقي للشعب وذلك من خلال زرع قيم الانتهازية والنفاق والخضوع المطلق والتقاعس والاعتماد على الغير. وعمقت السماسات التي كان يمارسها الشعور بالمهانة والحقارة لدى الناس.

وقضت على الشعور الذاتي بالكرامة والاعتزاز. ويرينا المثال التالي هذا النمط الهدام من سلوك القيادة.

حسو ميرخان دولمري. كان قائداً مسؤولاً عن جبهة عقرة- شيخان. والحق يقال كان نزيهاً يؤدي واجبه الوطني دون كلل أو ملل. عرف عنه اللين والحوار الهادئ، مع من إختلف معهم وسعى خلال أعوام الستينات الى إختراق جبهات المرتزقة ومحاورتهم لإقناعهم بالعودة الى الصف الوطني. وكانت جبهته مهددة عسكرياً طوال أعوام القتال من قبل المرتزقة تحت إمرة أغوات الزيبار ومرتزقة أخرين من بادينان. ودارت المعارك معهم في فترات مختلفة. قتل فيها العديد من البيشمركة. كان حسو ميرخان دولمري في مرحلة القتال قبل بيان أذار يثق بملا مصطفى ويعتقد بإخلاصه لقيم الثورة ومعاداته للظلم!



بكر زيوكي وحسو ميرخان. عقرة 1994

وكان قد رافق مع شقيقه سليمان ميرخان. ملا مصطفى الى الإتحاد السوفيتي عام 1947حيث تعلم الروسية وتلقى دروساً في السياسة والتاريخ. كما شارك شخصياً مع شقيقه حاجي ميرخان في معظم المعارك التي حصلت في جبهات بادينان. وكان شقيقه سليمان ميرخان، قد لاقى مصرعه في إحدى المعارك. وكان صديقاً شخصياً لي.

كانت خطط تأهيل المرتزقة لتبوء القيادة تحاك ضمن "الدائرة المغلقة" فأستدعى ملا مصطفى حسو ميرخان دولمرى للمثول أمامه ووجه له الأمر وهو مكفهر الوجه:

.

"من الأن فصاعداً أنت تحت إمرة زبير محمود أغا خال مسعود. طاعته واجبة عليك. هو منذ الأن القائد العام لمنطقة عقرة وشيخان"

مثّل هذا الإنقلاب في موقف ملا مصطفى المفاجيء أكثر من صاعقة ليس فحسب بالنسبة لقائد جبهة عقره وشيخان حسو ميرخان دولمري، وإنما لكل وطني غيور داخل الحركة الكوردية. فقد قاتل حسو ميرخان دولمرى هؤلاء المرتزقة طوال عشرة أعوام. وهاهو يجني ثمار نضاله المريرمن قائد الثورة بالإنحناء أمام مرتزق عريق. هذه كانت طريقته في إقناع أفراد الشعب بأن الأخلاق الوطنية الرفيعة لاتجدي وأن عليهم التحلي بخلق الحاكم والدوران معه أينما دار. إذا أرادوا لشؤونهم الحياتية ألا تتعثر كثيرا. كان من صلب سياسته مع المجتمع الكوردي إيجاد ناس بلا كبرياء أو كرامة. وهذه أخطر مرحلة يصلها (زعيم القوم) لإدامة حكمه وتوريثه لأبنائه. على عكس القائد التاريخي الحقيقي الذي ينمي في مجتمعه قيم النضال والتحدي والإخلاص والتعاون وعدم قبول الذل.

رفض حسو ميرخان دولمرى أوامر رئيس الحزب والقائد الأعلى لقوات البيشمركه قائلاً:

"إن هذا سيؤثر على سمعتك الشخصية لدى أوساط الشعب الكوردي عموماً وبالأخص بين البيشمركه. فهؤلاء لديهم إنطباع أخر عنكم. هذا أمر لايقبل به أولئك الذين ناضلوا وضحوا خلال أعوام الثورة ولايقبل به من له ضمير"

كان الإجتماع شديد التوتر وكان هناك منطقين متعارضين. منطق قائد الثورة المنتصر ببيان 11 أذار. حيث اعتبر نفسه حرّ في عمل كل ما يريد ومعفي من كل التزام وطني. ومنطق حسو ميرخان. البيشمركة منذ بلوغه الثامنة عشر من العمر. أنظر الى كلا المنطقين المتناقضين. في الواقع لم يكن حواراً إنما فرض الأوامر:

منطق ملا مصطفى رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني والقائد الأعلى لقوات الأنصار"البيشمركة"	منطق حسو ميرخان دولري أمر قاطع عقره- شيخان
إستقبل بملامح ساخطة حسو ميرخان: أنا أعرف ماهو صالح للجميع وماهو مضر. وعليك أن تطيعني في كل شيء . من الآن فصاعداً أنت تحت إمرة زبير محمود أغا. طاعته واجبة عليك. هو منذ الآن القائد العام لمنطقة عقرة وشيخان. المنطقة كلها تعود له	إن هذا سيؤثر على سمعتك الشخصية لدى أوساط الشعب الكوردي عموماً وبالأخص بين البيشمركه. . فهؤلاء لديهم إنطباع أخر عنكم هذا أمر لايقبل به أولئك الذين ناضلوا وضحوا خلال أعوام الثورة ولايقبل به من له ضمير حتى بين عامة الناس.
الرئيس في حالة عصبية، يهدد بالعقوبات:(..............كلمات نابية (..............................) وتحقير وبتوعد بصوت عال وبدا على حركاته واحمرار وجهه وارتعاشه وكأنه يريد أن ينقض عليه ضرباً. لا يريد الاستماع الى ما يقوله حسو ميرخان ويقطع كلامه بعبارات نابية . لاتتلائم مع نضال حسو ميرخان ودوره القيادي في الجبهات منذ عقود، يصرّ على إبداء حسو ميرخان الطاعة المطلقة لخال مسعود.	هناك الآلاف من الذين ضحوا في سبيل حياة حرة كريمة ووعدناهم نحن بصون كرامتهم واحترام نضالهم، ولهم حقوق علينا وماتريدونه الآن هو معاد لأهداف الثورة وقيمها، ولم يناضل الشعب الكوردي لكي يحكمهم من جديد قوى الجاش. هؤلاء أيديهم ملطخة بدماء الشعب لقد ناضلت الجماهير لكي يزول حكمهم.
الرئيس في ذروة العصبية: هل أنت أعمى..؟ هل جننت...؟ لقد فقدت عقلك.. ألا تعلم أنه خال مسعود! .... كلمات نابية.... ووعيد ....[345]	كيف تطلب إعتبارهم قادة لنا. إن هذا مخالف لكل ماضينا ومناقض لكل نضالنا ومبادئنا

[345] أجابه ملا مصطفى بصيغة من ذهل كلية لأنه (حسو ميرخان) يتجاهل هذه الحقيقة الساطعة مثل الشمس. وكيف لا يركع أمامها!

يزداد عصبية. يهدد ويشتم: أضبط لسانك وأعرف حدودك. نفذ ما أقوله والآ.................. أنت جاسوس عثمان......	. أنا أعرف أنه خال مسعود لكنه كان جاشاً شديد العداء للثورة. يمكنكم تقديره في السرّ ومنحه الهدايا. لكن تعيينه رسمياً كقائد هو أمر في غاية الخطورة ولن يقبل به سكان المنطقة..
إنك تريد ألإسائة الى سمعة خال مسعود...... لن أقبل منك هذا. وهدد شقيق حسو ميرخان بالضرب والسجن ..... ووجه له كلمات نابية...... وشتائم .... ووعيد........	نه زبه ني (كلمة إحترام) إن هذا الموقف لايليق بنضالكم ولابسمعتكم، الناس لهم إنطباع آخر عنكم، سيصيبهم يأس كبير عندما يعرفون موقفكم هذا. الجماهير المناضلة تريد إقتطاف ثمار نضالها وتضحياتها، ولاتقبل بتقديم ماحققته بدمائها الى مرتزقة كانوا حتى الأمس يلاحقوننا في جميع الجهات وأعتدوا على الناس.
	جاش له تاريخ من الإعتداءات وأيديه ملطخة بدماء البيشمركه وأهالي القرى الفقراء، هل هناك حاجة لإفساد سمعته، كلا. حسو ميرخان يرفض إبداء الطاعة وتنتهي المقابلة. ويصبح زبير محمود أغا بين عشية وضحاها (أمر قاطع عقره- شيخان) وبحماية مباشرة وغير مشروطه من ملا مصطفى ومسعود.

في واقع الامر كان ملا مصطفى قد بدأ بتغيير البنية الأخلاقية للمجتمع الكوردي عن طريق إفساده وفرض قيم التملق والنفاق والخنوع منذ سنين. هذا المثال يعطينا صورة واضحة لرجل مناضل (حسو ميرخان) يأبى التحلي بقيم الفساد والإذلال ورئيس مصمم على إخضاعه لنفوذ المرتزقة.

كان إذلال حسو ميرخان إهانة لكل من رافق ملا مصطفى الى الإتحاد السوفيتي.

إذلالاً لمسيرة 1947 بالذات.

ولجميع الأنصار الذين حملوا السلاح دفاعاً عن كرامة الشعب الكوردي (البيشمركه) الذين شكلوا قاعدة الحركة الكوردية منذ عام 1961.

حاجى جه مى. واحد من أشهر البارزانيين . سمي بإسم جده حاجى جه مى الذي لاقى مصرعه نهاية القرن التاسع عشر وهو يدافع عن أراضي بارزان ضد الغزاة. وقد أشرنا إليه في كتاب (بارزان وحركة الوعي القومي الكوردي). عرف عنه صلابة الأخلاق والإخلاص لعقيدته وله حرمة كبيرة في الوسط البارزاني. إرتبطت بصداقة حميمة مع حاجى جه مى. في حاج عمران. إقترب مني وطلب ان نمشي لوحدنا. كان شديد السخط على ملا مصطفى. قال ولاتزال كلماته ترنّ في أذني. وبلا شك كان يمثل ضمير البارزانيين المخلصين لمبادئهم. لم يذكر ملا مصطفى بالإسم :



حاجى جه مي وزوجته الروسية فالانتينا

" إن عملك جرّدنا من كل ما كنا نفتخر به. نضالنا المرير. ضحايانا. مبادئنا. لم يعد لنا كرامة. لقد جرّدنا من كل ما كنا نفتخر به ونعتز. لقد هدم كل شيء."

وعندما سألته هل من الممكن القيام بعمل لوقفه؟

قال:

"لقد نفذ إنقلاباً حقيقياً ضدنا. وسوف يقدمون على قتل كل من يعارضهم. لم يعد هناك شيخ بارزان. لقد إنتهى كل شيء لصالح المرتزقة. ولم يبقى لنا غير المهانة".

وفي لقاء أخر بعد ان إنهارت الحركة الكوردية يذكر حادث أخر وبمرارة واضحة. كيف ظهرت لدى القائد نزعة التملك الطاغية التي هي مكروهة في الفهم البارزانية. ذكر لي حاجي: "استدعاني ملا مصطفى وأوصاني أن أذهب لشراء بعض الأراضي. تألمت وقلت له: "إنكم تتذكرون في الماضي وفي السنوات الأولى من عمر الثورة. عندما كنا في تحرك دائم في أطراف مناطق السليمانية. كنتم تقولون لنا باستغراب: "هنا كل شيء يعود للشيخ. هذا حقل الشيخ. هذا بستان الشيخ. هذه مزرعته وهذا أرض الشيخ." ألا تعتقدون أننا نسير في نفس الاتجاه؟ كلامي هذا لم ينفع. فأختار أخرين لتنفيذ المهمة.

ويمضي هذا الرجل الصادق مع نفسه ومبادئه: "لم أصدق أن يتغير ملا مصطفى في السنوات العشر الأخيرة من حياته إلى هذا الحدّ. كان الذي أوحاه لنا عن شخصيته في الماضي. هو الكفاح ضد الظلم وعدم قبول المهانة ونصرة الفقراء. لقد أصبح معادياً لشخصيته القديمة. صعب التعرف عليه وأن ملا مصطفى اليوم هو نفس ملا مصطفى الأمس. كان التناقض مذهلاً. لم أكن أنا ولا أخرين يتوقعون أن يطرأ عليه تغير بمثل هذه الجذرية. حتى انه كان يرفض استلام رسائل من المناضلين القدامى. ويعارض ذلك بقوله: "إذا كنتم لا تنفون بأبنائي فإنكم لن تنفوا بي." لقد استطاعت الزمرة المحيطة به إجراء تحويل مدهش في شخصيته. وتحول إلى شخص يختلف تماماً عن الشخص الذي عرفناه في الماضي.[346]

شخصية بارزانية أخرى. إنه حسن خال هه مزه. هو الأخر أيضاً إلتجأ الى الإتحاد السوفيتي وعرف عنه الإخلاص والنزاهة والنضال الدؤوب. قال لي :

"كنا نعتقد لسنوات أنه (يعني ملا مصطفى) ثابت لايتزعزع عن المبادىء. وهنا كان تفهمنا الخاطىء عنه. ها نحن ندفع ثمن هذه الثقة العمياء. لقد خسرنا كل ماعملناه طوال هذه السنوات. نعم خسرنا كل شيء. خسرنا ديننا ودنيانا وكل ما عملناه ذهب أدراج الرياح".

ملامح الحزن والخيبة العميقة كانت بادية على ملامح هذا المناضل العريق.

---

[346] لقاء ـ (حاجي حه مي) الملقب (حاجكى حه مي) في 11 . 7 . 1984 . في المنفى الايراني

دون أدنى شك كان ملا مصطفى قد سقط معنوياً قبل سقوطه الفعلي الصاعق عام 1975.

لم يكتفي رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني عند هذا الحدّ. إنما، عندما أرسل زبير محمود أغا رجاله الى قرية (هه رنى) لجمع الضرائب من الفلاحين كما اعتاد على ذلك في العهد الملكي، أي قبل عام 1958 -- هذه المرة بإسم الثورة الكوردية - قاوم عدد من فلاحي القرية هذه البادرة التي أوحت بعودة نفوذ أغوات المرتزقة الى المنطقة. لكن كان ملا مصطفى لهم بالمرصاد. فأرسل حراسه يهددهم بالقتل وأشد التنكيل إن قاوموا إرادة زبير محمود أغا. فما كان منهم غير الرضوخ مكرهين وقد أصابهم خيبة أمل كبيرة.

هنا نحن أمام ظاهرة غريبة. فروح المقاومة ضد الظلم والتعسف التي كانت الدافع الأقوى لإندلاع الحركة الكوردية وديمومتها، نرى رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني يدمرها ويقضى على قيم الكرامة والعدالة، مخلفاً جيلاً خنوعاً يقبل بالإنحناء أمام كل من له سطوة أو مال. لقد نجح في سياسة خلق "معايير جماعية جديدة" كانت مسؤولة الى حدٍ كبير عن الهزائم العسكرية عام 1975 وتفشي الفساد وقيم المرتزقة في المجتمع الكوردي. فقيادة الحركة الكوردية التي كانت تتوسل بالجماهير لمواصلة الكفاح وبذل التضحيات للوصول إلى النصر وحيازة القوة والسلطة ارتدت على أماني هذه الجماهير. والشعارات التي رفعتها جرى التحول نحو عكسها. أما النظام السياسي الذي تم بناؤه فهو كناية عن سلطة فردية لا تخضع في معظم الأحوال لقانون أو مراقبة أومحاسبة.

ثم تابع الرئيس إنقلابه على القيم الثورية والتقدمية. فأجبر أولئك القلة من الزيباريين الذين إلتحقوا بالحركة الكوردية وخدموا في الجبهات، وقاوموا ظلم الأغوات المرتزقة، أجبرهم ملا مصطفى على العودة الى حضيرة الآغا وأمرهم بالطاعة لزبير محمود أغا. لقد شعر هؤلاء البيشمركه بهول المكيدة. لكن ما من مفرّ. فالرئيس مصمم كل التصميم على المضي قدماً في مخططه الوراثي، مهما قيل عنه أو مهما كان الثمن. وقد علّق أحد هؤلاء قائلاً: "إن القرارات تصدر من بيت محمود أغا الزيباري وليس من مقرّ ملا مصطفى". ومن ناحية أخرى قام الفريق الذي استقطبهم في مقره من النصابين والمنافقين والذين يتقنون الحذلقة والتزلف، ولديهم الاستعداد دائما لعمل الموبقات وارتداء ثوب الشرف والعفاف ببث الدعاية الشفهية لصالح ملا مصطفى مثل "إنه يرى المستقبل البعيد ونحن عميان لانرى الغد" و "كل مايقوم به لايخلو من حكمة لاتصلها عقولنا القاصرة" إنه الراعي ونحن

القطيع. "ما أسعدنا عندما يكون الراعي هو ملا مصطفى". وعلق أحد الناقدين "إنه راع بناصر الذناب".

والغريب هنا. كشف هؤلاء القلة من الزباريين المناضلين ديمومة العلاقة الخفية بين زبير محمو أغا والحكومة العراقية. لكن ملا مصطفى لايستمع وأبى بعناد رؤية الحقائق المعروضة أمامه. فكان يمتعض من كل كلمة ليست في صالح زبير محمود أغا أو محمود أغا نفسه. فكم الجميع أفواههم وعرفوا أن الرئيس لايريد الإستماع الاّ الى الأكاذيب فيما يخصهم. كان قد ضخّ ثقافة التملق والنفاق في شرايين المجتمع الكوردي.

لكن سرعان ماحاول زبير محمود أغا إغتيال عدد من البيشمركه القدامى. وقدم هؤلاء لملا مصطفى الدليل القاطع. لكنه لم يحرك ساكناً. لقد بدى للكثيرين أن ملا مصطفى هو الذي إلتحق بهم وليس العكس. كان يكره الحقيقة ويخاف المشورة ويرفض ان يرى في المرآة ما يرى. وعندما فاحت رائحة فضائح العلاقة بين زبير محمود أغا وجهاز المخابرات العراقي وأصبح حديث الناس همساً خوفاً من رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني. لجأ القائد العام لقوات الأنصار الى التحايل على شعبه. فقام باتخاذ إجراء في ظاهره عقاب وفي صميمه تقوية نفوذ المرتزقة في كوردستان. وحوّر رجال الحاشية المأجورة بخبث. الفضيحة الى مديح وتعظيم للرئيس الذي ينزل العقاب حتى بخال مسعود من أجل كرامة الشعب والوطن. لكن في واقع الأمر كان الإجراء عبارة عن تقوية نفوذ مسعود عن طريق توسيع نفوذ أولاد محمود أغا الزيباري. وكان الإجراء عبارة عن نقل –وليس فصل أو سجن - زبير محمود أغا الى منطقة (قلعه دزى) بينما عيّن في منطقة عقره – شيخان شقيق أخر لزبير. أي توسيع نفوذ المرتزقة ليشمل منطقة عقره – شيخان وبشدر. وأرغم حسو ميرخان ژاژوكي على الطاعة لزبير محمود أغا. إن مثل هذا الإستهتار بالقيم الوطنية والثورية وبهذه اللامبالاة لا يمكن القيام به الأ عند إنهيار إرادة المقاومة الداخلية في المجتمع وإفساد القيم الوطنية وفرض "ثقافة الصمت لتفادي ضياع الرزق". لم يشكل المكتب السياسي المدجّن للحزب أوالشريحة المثقفة الهزيلة أو قوى الأنصار المسلحة رادعاً لمواقف ملا مصطفى اللاوطنية. لقد أصبحت الوطنية سوطا تستخدمه القيادة الفاقدة لأي علاقة مع أماني شعبها لإدامة سيطرتها. بعد تعرض المجتمع الكردي خلال الستينات إلى اجتثاث عميق لجذور وعيه الثوري والوطني والإنساني.

كل ذلك دليل على إنهيار المجتمع الكوردي واستسلامه كما حصل فيما بعد للمجتمع العراقي بأسره في ظل حكم صدام حسين.

لقد أصيب نشاط الحزب الديمقراطي بالشلل في منطقة عقره- شيخان وهرب المسؤول الحزبي غازي مزوري الى عقره. وتعالت الشكاوى. نتيجة حكم المرتزقة من أقرباء ملا مصطفى. لكن بما أنهم كانوا على علم بموقف ملا مصطفى المؤيد (للمرتزق المدلل زبير) فإنهم لم يقوموا بتقديم الشكوى بل قبلوا الإهانة على مضض.

في واقع الأمر عندما كان خال مسعود (زبير) مرتزقاً لدى الحكومة العراقية. كان عليه مراعاة بعض الحدود التي لاتسمح له بالتمادى بعيداً في الاعتداءات. لكن عندما عينه ملا مصطفى بعد بيان أذار قائداً وزوده بحوالي" ألف بندقية من نوع برنو"[347] زادت صلاحياته، والامكانات المالية تسلم اليه مباشرة ودون محاسبة.او مسائلة من السلطة الكوردية. لابل كان ملا مصطفى يحميه ويعادى الذين لايقبلون الإذلال والانحناء له – ووصلت الامور الى أغرب ما يكون. إذ كتب صدام حسين نفسه لقائد الحركة الكوردية يقول وضمن الخروقات لبيان أذار كما يراها الجانب الحكومي. يذكر في النقطة (16) مايلي:

: "لابد ان أبين ان المعلومات المتوفرة لدينا ومن أكثر من مصدر أن زبير الزيباري قد أساء اساءات بالغة الى سمعتكم وسمعة الدولة بتجاوزات متكررة على المواطنين في محافظة نينوى نأمل أن تضعوا حداً لها."[348]

على أكثر تقدير كان صدام حسين على علم بدوافع ملا مصطفى غير المعلنة في اطلاق العنان لخال مسعود بأن يكون فوق القانون. وربما لاتخلو ملاحظته من الإيحاء المبطن بأنني أعرف دوافعك الحقيقية.!! لم يعر ملا مصطفى اهتماما لا من الأصدقاء ولا من الأعداء في تقوية نفوذ الإقطاع الكوردي الارتزاقي. فالعاطفة لاتحتاج الى مبررات العقل أو الى القيم الوطنية والثورية. تصبح العاطفة في ظروف كالتي مرّت بها الحركة الكوردية أداة تدمير للمسيرة كلها... من سوء حظ الحركة الكوردية أن يكون هذا الشخص في قمة هرم السلطة السياسية والعسكرية والمالية. وفي الرسالة المنوه أعلاه يظهر صدام حسين نفسه أكثر تقدمية من قائد حركة التحرير الكوردية!

ومن المفارقات الهامة التي تدعو الى التساؤل. ان قيادةً تدعى النضال التحرري من أجل إنقاذ شعب من الاضطهاد القومي وقاعدة هذا النضال الأساسية هي طبقة الفلاحين،

---

347 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007 . مطبعة منارة – أربيل. ص: 309

348 رسالة وجهها صدام حسين في 1/8/1970 الى ملا مصطفى. ويبتدء رسالته بـ "الأخ العزيز أبا إدريس"

تكون قيادتها معادية للإصلاح الزراعي إلى حدود ينبهه صدام حسين نفسه -الغاصب للحقوق القومية الكوردية - في رسالة موجهة إلى رئيس (حدك) يقول له:

"أيها الأخ لم يكن خط النضال القومي الكوردي بأحسن من خط النضال القومي العربي ولم تخلو صفوفه من العناصر المخربة والمتواطئة كما ظهرت في صفوف النضال القومي العربي. مما يستوجب إعادة النظر في تقييم تلك العناصر بضوء مهام المرحلة الحالية التي تلت بيان 11 آذار والتي تختلف بشكل كلي عن المرحلة التي سبقته مستفيدين من نضال شقيقكم الشعب العربي ومتجنبين النكسات المريرة التي مني بها في الفترة الواقعة بين عام 58 و 1968 ...إن الإقطاعي الذي قاتل في صفوفكم أو في صفوفنا قبل صدور بيان 11 آذار، مهما تكن دوافعه. فلم يكن من بينها أن يخسر الأرض التي يملكها، كما حصل من قانون الإصلاح الزراعي الأخير الأمر الذي يفرض علينا ودون تردد أن نقصيه عن صفوفنا أو على الأقل ان نعيد النظر في ترتيب مواقعه بحيث لا يؤثر على ملامح المسيرة الحالية. والشخص المتواطىء. الذي كان النضال القومي بحكم ظروفه القاسية. أو لأي سبب من الأسباب لم يحن الوقت لمطاردته وتطهير الحركة منه لكي تنسجم هذه الحركة مع السلطة المركزية ومنطلقاتها مع الحزب القائد في السلطة المركزية، حزب البعث العربي الاشتراكي. أرجو أن لا يفهم كلامي هذا التدخل في الشؤون الداخلية لحركتكم وإنما أردت بروح الحرص والأخوة والمسؤولية المشتركة التنبيه الى ذلك فحسب."[349]

كان مسعود فرحاً بهذا المنحى المعلن لوالده فهو يحقق حلمه في تدمير من لايرغب فيهم في حين يبقى هو مختفياً وراء والده. وعندما منحت الحكومة الأردنية زمالات الى طلبة أكراد، إختار ملا مصطفى إبن محمود آغا زيباري، بدل إبن شهيد. أما إدريس فقد كان ممتعضاً ويصرح عند الثقاة، عن قلقه تجاه الموقف الصريح لوالده المنسجم مع مصالح المرتزقة وأن "هذا المنحى سيؤدي بنا جميعاً الى كارثة." لكنه لا يجرأ على المعارضة الصريحة. إذ كان يعرف مدى تصميم والده على المضي في خططه والتي لارجعة فيها.

وتستدعي الخطة الخفية، هدم التركيبة العائلية برمتها، وهنا يبرز الصراع بين الأبناء ويدور في الحقيقة حول السلطة والمال والوراثة. تتغلغل في مراحل لاحقة بغطاء السياسة والوطنية والخيانة.... فأنفجر الصراع علناً بين الأب والإبن البكر عبيدالله. إستدعى الأب ولده، متهماً إياه بالعمل على القيام بإنقلاب ضده (ضد ملا مصطفى) وبالعلاقة مع نظام بغداد، فحصل شجار شفهي بينهما، وعندما همّ عبيدالله بمد يده الى حزامه لإخراج

[349] رسالة وجهها صدام حسين في 1/8/ 1970 الى ملا مصطفى. ويستهل رسالته بـ "الأخ العزيز أبا إدريس"

مقدحة لإشعال سيجارته. إنتاب الأب الخوف منه ظاناً أنه سيخرج مسدسه. فاستنجد بالحرس لإيقاف عبيدالله. عندها قال له عبيدالله. مالفائدة من علاقة بين الأب والإبن وصلت الى هذه الدرجة من إنعدام الثقة. إنني لا أحمل مسدساً. أريد إشعال سيجارتي بهذه القداحة[350].



عبيدالله وفي الوسط ملا مصطفى ثم لقمان الى اليسار

تمت القطيعة بين الأب والإبن. وأمر الأب توقيف عبيدالله. وفي واقع الأمر كان عبيدالله يشكل الخطر الأكبر على عملية الوراثة. كان أكثر ثقافة من والده وأقرب الى الحياة العصرية ويتمتع بدهاء أبيه. لذا كان التخلص منه أمراً في غاية الأهمية... بتواطىء من الحرس غادر عبيدالله ولجأ الى بارزان عند عثمان. لكن ملا مصطفى أصر على تسليمه وإلا فإنه سيزحف على بارزان بالقوات الحزبية. وهنا غادر عبيدالله والتجأ الى الحكومة العراقية. هنا نرى الأب يختار الحلول اللامسؤولة. ويوفر لصدام حسين فرص ذهبية لإستغلال النزاعات العائلية لصالحه. ومع هذا لم يتوانى من تحميل الحكومة العراقية تهمة خلق الإنقسام بين أبنائه... فعندما إلتقى بوزير الخارجية العراقية وعضو القيادة القطرية لحزب البعث مرتضى الحديثي. في بداية شهر ديسمبر 1971. لامه لوماً لاذعاً على موقفهم من عبيدالله[351] وانهم يتبعون سياسة تمزيق عائلته. في واقع الأمر كان يتهم بغداد على سياسة كان هو نفسه يمارسها تجاه العائلة البارزانية وبالأخص تجاه أولاد شيخ بارزان...

لقد نافق المسؤولون الكورد في مدح وتعظيم ملا مصطفى ووضعوه فوق كل نقد بحيث اصبح هو نفسه معتاداً على معصوميته. فهو غير مسؤول عما حصل من سلبيات

---

[350] هذا ما سمعته من احفاد ملا مصطفى شخصياً ولايزالون قيد الحياة

[351] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي تموز 2007 مطبعة منارة - أربيل. ص 322

قاتلة. والمنجزات كلها بفضل حكمته وعبقريته. ولقد انعكس هذا حتى في التصرفات العائلية وعلاقاته مع أبنائه. فهو عندما أجهز على وحدة أبنائه واقربائه بسبب انحيازه المطلق لعواطفه فان الخطأ ليس منه وانما من الآخرين. من البعثيين أو من طيش أبنائه وأقربائه! فهو لايخطىء ابدا.! وحتى كارثة 1975 التي حلت بالشعب الكوردي. الخطأ هو أن أمريكا خانت. واسرائيل خانت وخان الشاه الحركة الكوردية... الزعامة الكوردية لاتخطىء!

وفي حين لم يطرد صدام حسين واحداً من أقاربه ويلتجئ الى ملا مصطفى. جميع الذين طردهم ملا مصطفى تلقفهم صدام حسين. الأول يطرد والثاني يتلقفهم ويقتلهم فيما بعد. كان أحدهم يكمل مهمة الآخر في القضاء على بارزان. قيمها ومنظومتها الروحية وتصفية جسدية لقاطنيها الى حدود الإبادة الجماعية. أما أولئك الذين لم يطردهم ملا مصطفى من البارزانيين فقد فضّل اعتقالهم وأمر بقتلهم جميعاً. لأنه كان يعتبر إفلاتهم من يده خطر كبير على عملية الوراثة. لذا لم يعطي الفرصة لصدام حسين لقتلهم. ونعني بهم إبادة عائلة محمد أغا ميركه سوري. ضمنهم البطل فاخر ميركه سوري. لقد جعل عداء الإثنين لبارزان يتبنيان موقفاً موحداً أزائها. كل بطريقته ولغاياته. ليس من شك أن موقف ملا مصطفى العدائي من بارزان كان في صالح الحكومة العراقية والمرتزقة الذين استبشروا بنهاية الوحدة البارزانية. ولم يكن ذلك في صالح الحركة التحررية الكوردية. ورغم انه كان يسمي نفسه ويوقع رسائله بالبارزاني. لكن في واقع الأمر لم يعد ملتزماً بقيم بارزان فحسب إنما حاربها بضراوة وحقد.

هذا القائد الذي رفعه الشعب الكوردي الى مقام "الرمز". ومتجاوز السبعين عاماً من العمر. بدى رصيده المختزن من القوة أو الحكمة أو الثقافة أو روح الحرص على المكتسبات الوطنية. أو حتى السمعة الشخصية. أو إبداء الحد الأدنى من إحترام رفاق النضال وتضحياتهم. قد نفذ. بحيث لم يعد كافيا حتى الحفاظ على وحدة أولاده. والفضائح العائلية وإحتكاره لميزانية الثورة أفقدته الهيبة الشخصية وأمست ظاهرة الاختلاس والفساد المالي أموراً لا يعاقب عليها أحد. واستمر في سوء تقدير وتقييم الأوضاع دون اكتراث بالنتائج. وتدنت بشكل خطير حساسيته ولامبالاته تجاه المشاعر العامة والمخاطر المحدقة بالشعب الكوردي. كما تكررت نوباته العصبية بوتيرة أسرع. وقاده إعجابه بشخصيته الى اغترابه عن جذور مجتمعه وتكثيف شحنات استبداده.

بعد هروب ابنه عبيدالله التفت ملا مصطفى الى تدمير بارزان بشكل مكشوف. كان كما قلنا قد أمن جانب محمد خالد في عملية توريث مسعود عن طريق تزويجه من إبنته

"تحالف مؤقت" إذ بعد أن نالوا غرضهم منه. إنقلب مسعود على صهره عام 1993 و هدده بالقتل إن تجاوز عتبة بيته.... لكن بعد عام 1970، لم يؤيد عثمان البارزاني موقف ملا مصطفى الموالي للمرتزقة. وأعرب علناً عن استغرابه الشديد من هذا الانقلاب في شخصيته. وهنا ركزّ ملا مصطفى على معاداته وتدميره ومارس سياسة فرّق تسد بين أبناء شيخ بارزان. وخلق الذرائع لضربه مستخدماً محمد خالد، شقيقه، كأداة تمزيق، ومظهراً للناس بأن الصراع هو بين شقيقين وليس له صلة بها. وقال ملا مصطفى لمحمد خالد:

"إننا نرى من الصالح العام أن تكون أنت الرئيس لمنطقة بارزان لأنك الأخ الأكبر عمراً في العائلة ونحن نقدم لكم كل الخدمات والدعم". لم يكن يؤمن بهذا المنطق إنما إستخدمه لإيقاع الفرقة. لأنه نفسه لم يعمل في عملية إختيار وريثه بهذا المنطق، فسد الطريق أمام إدريس الأعقل والأذكى والأكبر عمراً، لكي يفرض مسعود كوريثه من منطلق عاطفي محض.

كانت هذه كافية لإثارة حفيظة عثمان الذي لم يكن سياسياً ولم يعي مدى التآمر عليه. وقد هاله كيف نمي ملا مصطفى سنوات التعاون معه في أوقات الخطر الماحق في جبهات القتال. ثم ضيق الخناق على عثمان مجرداً عليه قوات حزبية كبيرة ودخل بارزان بهذه القوات، فطرد عثمان مع عدد من رجاله والتجأ الأخير الى صدام حسين في شهر حزيران من عام 1974 وقد لاقى حتفه مع ولديه عام 1983 على يد صدام حسين.. ويعلق الدكتور محمود عثمان: "ولم يذهب البارزاني نفسه ولا أبنائه في يوم من الأيام الى إحدى الجبهات ولم يخططوا أصلاً لأي هجوم منظم ولا لتسديد أية ضربة حاسمة ولا لحرب الأنصار وذهب البارزاني مرة واحدة فقط الى الجبهة وكانت تلك الى بارزان لطرد الشيخ عثمان البارزاني وجماعته."[352]. ليس من شك أن صدام حسين كان مرتاحاً تماماً من سلوك ملا مصطفى الذي يخدم نظام حكمه. وربما كان يشكره في قرارة نفسه! ويعلق مؤلفا كتاب (مستقبل العراق) Liam Anderson & Gareth Stansfield على فشل ديبلوماسية الزعامة الكوردية: ""بعد ان بدا في الظاهر ان الأكراد ضمنوا حقهم في الحكم الذاتي في كوردستان، وقد حققوه بجهود مضنية، اذا بهم يفقدونه، وبسهولة تغلب عليهم صدام حسين في اللعبة السياسية، مرغما ملا مصطفى "الخالد" نحو انسحاب مبكر"[353]

---

[352] تقييم مسيرة الثورة الكوردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها. كانون الثاني 1977. الحزب الديمقراطي الكوردستاني. اللجنة التحضيرية. ص: 36

[353] The Future of Iraq. Liam Anderson & Gareth Stansfield. Palgrave Macmillan. 2004. Page: 168.

هنا رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني يوقع الفتنة بين الأخوين (محمد خالد – عثمان) خدمة للمشروع العائلي ذو الأولوية في ذهنه. وهذا ما كانت تتمناه بغداد والمرتزقة الكورد- ويهدم معادلة الحكم التي حددها شيخ بارزان بحكمة. فقد كانت الأمور المتعلقة مع الحكومة العراقية يديرها محمد خالد. والشأن الداخلي يديره عثمان. والحقيقة كانت هذه المعادلة ناجحة وجنبت الإحتكاك بين الأخوين. لكن كان ملا مصطفى يعرف جيداً أن عثمان ضد تحالفه مع المرتزقة. فأنتقد علناً سلوك ملا مصطفى المناقض لقيم الثورة ولقيم بارزان. هنا قام ملا مصطفى بالإتصال بأعضاء العائلة البارزانية ووزع عليهم المال (رشوة واضحة) لتأليبهم ضد عثمان. وتقديم الموضوع على أسس لاتمت بما هو معلن بصلة. فقد كان يقول أن للأخ الأكبر الحق في تبوء القيادة في بارزان (أي محمد خالد المقتنع بخطط ملا مصطفى اللاوطنية) والأخ الأصغر يجب أن يطيع الأخ الأكبر. أي إنه كان يريد تجريد عثمان من كل صلاحيات لكي يزيح عن طريق التوريث العقبة البارزانية. لقد بلغت قوة الرشوة أن ترك عثمان حرسه الشخصي (أحمد وسمان) وعينه ملا مصطفى حارساً لديه.

تضايق عثمان من تهديدات ملا مصطفى بالزحف على بارزان بالقوات الحزبية. فأتصل عثمان بالحكومة العراقية للوقاية منه. نجد قلة حيلة عثمان وذكاء ملا مصطفى للإقاع بخصومه. فإتهمه بالعلاقات مع حكومة البعث وبالخيانة[354]. ولكي يزيد الفتنة إستدعى عبدالمهيمن. وهو إبن شقيقة عثمان لكي يقود قوة ضدّ خاله عثمان.أي إشعال نار الفتنة بين العائلة الواحدة. لم يكن ذلك ضرورياً ولم يكن من مصلحة الحزب أو الشعب الكوردي إثارة الفتن في وقت كانت المصلحة الوطنية تتطلب الوحدة الكوردية لإرغام بغداد على تنفيذ بنود إتفاقية أذار. ولو أراد ملا مصطفى إستقرار كوردستان، لتجنب كل ذلك بسهولة وبدون أتعاب. لكنه إفتعل الأزمات والخصومات لتحقيق أهدافه الخفية والمتعلقة بعملية التوريث. كان يعمل بالعاطفة ولايعبر للمنطلق الوطني قيمة عندما تتعارض مع عواطفه.

برر ملا مصطفى هجومه على عثمان بعبارات بعيدة عن الواقع. فكان يقول للبارزانيين. وهذا ماسمعته شخصياً: "إن عثمان يريد أن يقذف بنفسه من علو شاهق وأنا أمنعه من ذلك. هل يعقل أن لايريد عم خير إبن أخيه؟" في حين كان عملياً يرفع من شأن

[٣٥٤] مما يجدر ذكره وتحت ذريعة الحفاظ على نفوذه ووحدة 'العراق من 'الخطر الإيراني و'الإتحاد الوطني الكوردستاني طلب مسعود 'المساعدة العسكرية من صدام لإحتلال أربيل وتسليمها لحزبه عام 1996

زبير محمود أغا الذي عاداه في جبهات القتال العديدة وبرزه كقائد للبيشمركه. وفي الوقت نفسه يعادى بكل طاقاته عثمان الذي امدّ مراراً الحركة بالمقاتلين سراً للقتال في الجبهات المهددة، خلال الأوقات الصعبة. وفي الوقت ذاته قرر ملا مصطفى ترفيع خال مسعود، فشكل له قوة مؤلفة من ألف شخص وخصص له المساعدات المالية وتسلم اليه تماماً كما كان حاله عندما كان في سلك الإرتزاق للحكومة العراقية. الأسلوب هو هو فالقيم السائدة في كلا الحالتان هي قيم الإرتزاق.[355]

في اليوم الثاني لمغادرة عثمان الى الحكومة العراقية، حضر فرامرز بباني وقابل ملا مصطفى في بارزان أمام شهود عيان، في 4 حزيران عام 1974 . كنت أنا ضمنهم، يلتمس عطف الرئيس بعدم طرد العوائل والأطفال من بارزان، قال بلهجة مستجير:

"إنهم لايحبون مغادرة هذه الأرض، هم يريدون البقاء في منازلهم، وليس للنساء والأطفال ذنب فيما حصل".

كانت قضية إنسانية محضة لاتمت للسياسة بصلة، الا أن ملا مصطفى خلافاً لقوانين حقوق الإنسان وللمواثيق الدولية، ودون رحمة ابى الاّ طردهم متذرعاً بحجة لا اساس لها من الصحة، بل أراد بها التنصل من مسؤوليته التاريخية في إفتعال أزمة لالزوم لها:

" ليس هذا من إختصاصي، هذه الأمور تعود لمحمد خالد فهو رئيسنا ونحن نطيعه". كان هذا رده على فرامرز بباني.

والحق يقال وجدته فرحاً بما حصل، دون إعتبار للجانب الإنساني. تم طرد الأمهات والأطفال من أرضهم ومنازلهم فأتجهوا الى الحكومة العراقية. وفيما بعد، كثيرون من هؤلاء لقوا حتفهم في مخيم (قوش ته به) عام 1983 عندما طوقت دوريات الجيش العراقي منازلهم وقبضوا على جميع الذكور من البارزانيين وأبيدوا في صحاري جنوب العراق. كما ظهرت الدلائل بعد سقوط نظام صدام حسين.. ليس من شك سيكون القائد مدمراً لمجتمعه إن نمت فيه صفات الكراهية والحقد لغايات شخصية بدل حبّ وتقدير شعبه.

---

[355] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007 . مطبعة منارة – أربيل. ص:309

وقد مارس صدام حسين نفس السياسة الهمجية على نطاق واسع في طرد النساء اللاتي التحق أزواجهن أو أولادهن بالحركة الكوردية أثناء حربه ضد إيران في الثمانينات من القرن الماضي.

حادث أخر بعد الهرب الى إيران عام 1975. ذكرتني بملاحظة هامة للصحفي البريطاني دافيد أدمسن عن شخصية ملا مصطفى. "إنه يأبى أن يتعلم" فقد كان يعيش في عز هزيمة أذار عام 1975. في كرج ولم تغيره حقائق الحياة الماثلة أمامه. فيما يخص معاناة الشعب الكوردي. والحادثة التالية تعكس شخصيته الخطيرة واللامبالية بالنتائج.

بعد إعلان الهزيمة بعدة أيام من توقيع اتفاقية الجزائر في أذار عام 1975 فضل لقمان (إبن ملا مصطفى) عدم الإستسلام لحكومة بغداد وأختار ترك منزله وما يملكه والالتحاق بوالده الذي التجأ الى إيران. وبعد مسيرة طويلة شاقة وصل نقده - إيران - مع جميع أفراد عائلته. لكن وجوده في كرج لم يكن مقبولاً ويفسد عملية الوراثة واحتكار الإرث المالي حسب المخطط الخفي.

كانت الحكومة العراقية في ذلك الوقت ترسل رسائل أو بعثات عن طريق وزراء أكراد لحث اللاجئين الكورد في إيران على العودة الى العراق وأنهم سوف يعاملون باحترام. وكان لقمان قد تلقى رسالة من شقيقه عبيدالله يطلب فيها عودته الى العراق. لم يكن له ذنب في توجيه الرسالة من عبيدالله. كما جاء المقدم عزيز عقراوي والتقى بالعديد من اللاجئين الكورد في مناطق إيران. وهو وزير بلا وزارة يطلب من اللاجئين العودة الى العراق.

وعندما علم ملا مصطفى بوصول الرسالة من عبيدالله الى لقمان طلب حضوره الى طهران. وعند وصوله. كان ملا مصطفى في مجلس يضم شخصيات من السافاك الإيراني وعدد من أعضاء المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني. في هذه الجلسة أطلق العنان لحالة عصبية غير سوية. فبدل الإنتظار الى أن يغادر الضيوف ثم يلتقي بابنه على إنفراد ويطلب منه عدم الاهتمام بالرسالة التي تدعوه العودة الى العراق. ودون أدنى شك كان الابن يطيع والده وتنتهي القصة بلا ضجة. لكنه أخذ يرتجف غضباً ودون احترام للجالسين أو لابنه أو حتى لنفسه. فقد صبّ جام غضبه على ولده لقمان وأخذ يشتم ابنه ويتفوه بألفاظ غير لائقة به وسط ذهول الحاضرين. كان قد أصبح أحادي النظر. لا يري الأ جانباً محدداً من القضية. "الجانب الشخصي" وما عدى ذلك لم يهتم لا بالشعب المنكوب ولا بالوطن الضائع. كان قد أغلق جميع القنوات المتعلقة بالقضية الوطنية من

اهتماماته وابقي قناة واحدة مفتوحة على الدوام - قناة العاطفة- لا يتعامل إلى من خلالها. كان في معركة مع أولاده غير المنسجمين مع خطط الوراثة الخفية. الهم الوحيد الذى لازمه حتى وفاته في واشنطن عام 1979. كانت المشكلة معه أنه استمر يتصرف كزعيم أوحد للشعب الكوردى – كان قد قبل الهزيمة أمام الشاه وصدام حسين. لكنه لم يقبلها مع الشعب الكوردي - في حين ركّز طاقاته الباقية على توريث المال والزعامة لولده مسعود.

أصيب الإبن (لقمان) في صميم كرامته. نهض وقال. لقد تركت كل شيء لألتحق بك، وها أنت تعاملني بهذا الشكل. وداعاً. وما ان نهض من المجلس ووصل الشارع. أوقف أول سيارة تاكسي وطلب من السائق التوجه الى السفارة العراقية.

حصل ارتياح كبير من جراء مغادرة لقمان الى السفارة العراقية ونقله الى بغداد. إذ شكل هذا نصراً لمشروع الوراثة.

وذكر لقمان لعدد من أصدقائه فيما بعد لو أن والده أنحى به جانباً وأشبعه ضرباً لقبل بذلك. لكن إهانته أمام رجال السافاك أمر لم يقبل به. فأتجه إلى السفارة العراقية في طهران على أمل الحصول على جواز سفر وفي نيته اللجوء الي بلد أوروبي. إذا بالسفارة العراقية تضعه في طائرة وتعيده الى العراق. ليس من شك أن صدام حسين استبشر بموقف ملا مصطفى هذا حيث يقدم له خدمات مجانية.

قتل صدام حسين لقمان بعدة أيام من مقتل شقيقه عبيدالله عام 1980.

كما قتل صدام حسين أربعه من أحفاد ملا مصطفى وابن ثالث (صابر) عام 1983.

وكما أشرنا في فصل سابق، بموت إدريس قبل الأوان والمفاجئ عام 1987 لم يبقى ولا واحد من أولاد ملا مصطفى من طرف زوجاته البارزانيات، وحسم الصراع الداخلي لصالح أولاد وأحفاد محمود أغا الزيباري.. واستولوا على المال والسلطة العشائرية والحزبية كاملة، حسب المشروع الخفي!

من الصعب فهم موقف ملا مصطفى من تمزيق عائلته وتوفير الفرصة لواحد من أكبر خصومه – صدام حسين – في تنفيذ مخططه ضد الشعب الكوردي. حين كان بإمكانه تفادي ذلك بسهولة لو تبنى موقف وطني يأخذ في الحسبان مصالح الشعب الكوردي الأساسية ومصالح عائلته جلها. ولعل التفسير الأكثر قرباً للحقيقة هو أنه كان على عكس الانطباع الذي كونته الدعاية الحزبية المضللة في مخيلة الشعب الكوردي. كان في الواقع ضيق الأفق. والعاطفة تتحكم فيه بامتياز واضح. وزاد المرض منحى تحكم العاطفة في

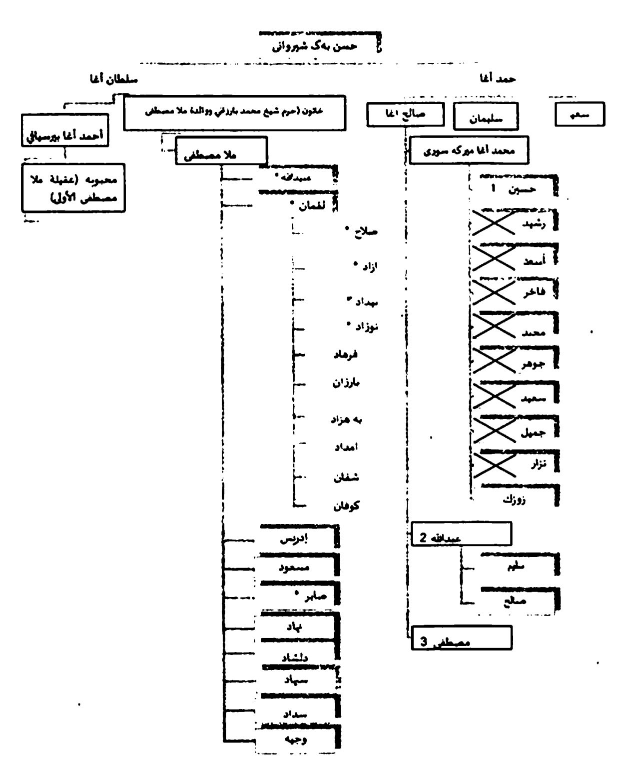
مواقفه الى حدود خطيرة للغاية. فقد ظل يتصرف كقائد وحيد للشعب الكوردي ويحتفظ بكل أموال الحركة الكوردية. واستمر في ارتكاب الأخطاء المدمرة منذ بيان 11 أذار مروراً بسنوات الهزيمة بعد عام 1975 وحتى النهاية. هنا نري ان حالة الانتصار عام 1970 عززت مساونه وضاعفت من دكتاتوريته وواصل نفس المسلك الخطير خلال سنوات الهزيمة حتى وفاته.

كان المال – يقدر بعشرات الملايين من الدولارات في حوزته - لم يشكل هيئة من النزهاء لتحميلهم الأمانة ولتفادي حكم التاريخ عليه بالاستحواذ على هذه الأموال خاصة إنه قاد نضال الشعب الكوردي الى الهزيمة والمهانة. لم يفكر في ذلك فقد بقي قائداً منتصراً يعطي لنفسه حق اتخاذ القرارات التي تخص مصير الشعب الكوردي من زاويته الضيقة والتي كانت وبالاً على الامة.

إن سلوك ملا مصطفى هذا كان مسؤولاً الى حد بعيد في تدهور روح القتال والتضحية بين صفوف الپيشمرگه عند تجدد القتال مع نظام البعث في عام 1974.

ثم جاء دور إبادة عائلة محمد أغا ميرگه سوري وهم من أقربائه تمهيداً لعملية الوراثة.

الجدول التالي يرينا صلة القرابة بين ملا مصطفى وعائلة محمد أغا ميرگه سوري.


حسن بەگ شيرواني
سلطان أغا
حمد أغا
خاتون (حرم شيخ محمد بارزاني ووالدة ملا مصطفى
صالح أغا
سليمان
أحمد أغا بوسيالي
ملا مصطفى
محمد أغا ميركه سوري
محبوبه (عقيلة ملا مصطفى الأولى)
عبدالله
لقمان
صلاح
ازاد
بهداد
نوزاد
فرهاد
بارزان
به هزاد
امداد
شفان
كوفان
ادريس
مسعود
صابر
نهاد
دلشاد
سهاد
سداد
وجيه
حسين 1
رشيد
أسعد
فاخر
محمد
جوهر
سعيد
جميل
نزار
زوزك
عبدالله 2
سليم
صالح
مصطفى 3

العلامة (*) تشير الى الأشخاص الذين قتلهم صدام حسين من أبناء وأحفاد ملا مصطفى. وعلامة الضرب الكبيرة (+) تشير الى الأشخاص الذين قضى عليهم ملا مصطفى من أقربائه.

1. حسين استشهد وهو يقاوم تقدم جحافل البعث لإحتلال بارزان صيف عام 1963.
2. عبدالله أصيب بجرح في معركة (مه زنى) وكان بصحبة محمد صديق- شقيق شيخ بارزان- عام 1945.
3. مصطفى في نهاية العشرينات مات غرقاً وهو يحاول عبور النهر على رأس قوة لحماية بارزان ضد هجمات الأعداء.

كان ملا مصطفى يولي أهمية فائقة للتجسس في المجتمع الكوردي. ويعتبرها عاملاً مهماً للإحتفاظ بالسلطة. وهكذا عين إبنه مسعود مسؤولاً عن جهاز الأمن (باراستن). في هذه المهنة تختفي الأخلاق لتفسح المجال للسلوك المكيافيلي والإنحطاط الخلقي والخبث. وعندما قتل في أربيل جميل محمد أغا ميركه سوري بأمر من مسعود في 14/2/ 1971. أرسل ملا مصطفى ولديه (إدريس ومسعود) لتعزية والد المقتول محمد أغا ميركه سوري. إذ بقيت ماهية القتلة مجهولة لعدة أيام بعد عملية الإغتيال. فقد كان ملا مصطفى وأولاده يعتقدون إن هوية الجاني ستبقى مجهولة ولايمكن كشفها. ولذا ممكن أن يلعبوا دور "المعزي" أيضاً. وبعد تقديم التعازي الى محمد أغا ميركه سوري. نيابة عن والدهم وعن أنفسهم. قدم (مسعود وادريس) الى ريزان حيث إلتقيت بهم. وذكر لي مسعود: "لو كنا نحن القائمين بعملية قتل جميل. هل يعقل أن نأتي ونقدم التعازي لوالده محمد أغا ميركه سوري ؟ كلا. لو كنا فعلنا ذلك لما قمنا بتقديم التعازي لعائلته". صدقته كاملاً الى أن أثبتت الأحداث عكس ذلك بوقت قصير.

لكن سرعان ما إكتشف فاخر ميركه سوري هوية القاتل. فواجه ملا مصطفى وقال له. وهذا ما ذكره لي فاخر شخصياً:

قلت لملا مصطفى:

لابأس فقد علمنا كيف قتل أخي حسين عام 1963 ولماذا – أبدى حسين مقاومة بطولية في مقاومة الجيش العراقي والمرتزقة خلال الحرب البعثية الأول لتفادي احتلال بارزان الى ان أستشهد - لكننا لانعرف لماذا قتل جميل؟ سنكون شاكرين لو علمنا السبب؟




الصورة من جهة اليمين حسين محمد اغا ميركه سوري إستشهد وهو يدافع عن بارزان عام 1963
الصورة من جهة اليسار وهاب اغا جندبان. محمد اغا ميركه سوري و أحمد مصطفى كانيالنجي في سجن الموصل (1950؟)

سعيد، شقيق فاخر أخذ ثأر شقيقه بقتله عميل مسعود في الباراستن، أي الشخص الذي أمرد مسعود بقتل جميل. فأعتبر ملا مصطفى ومسعود ذلك بمثابة تحدى صريح لهم. فتم زج كل عائلة محمد أغا في السجن. لكن السبب الحقيقي كان من وراء معاداة مسعود ووالده لعائلة محمد أغا، تكمن في خوفهم من حصول تحالف بين عبيدالله وفاخر ميركه سوري، وأعتبر ذلك بمثابة كارثة لمشروع التوريث.

كان فاخر قد إكتسب شعبية كبيرة أثناء القتال في جبل هندرين وتحريره من إحتلال الجيش العراقي له. ولم يكن ذلك ليروق لملا مصطفى، كما كان الأخير يعرف موقف فاخر السلبي من المرتزقة من أخوال مسعود، فقد كان فاخر يريد التعامل معهم كباقي المرتزقة دون إمتيازات بسبب كونهم أخوال مسعود، ومن هنا كان فاخر لايميل الى مسعود الملتصق عاطفياً بأخواله. كان فاخر أقرب الى إدريس من الناحية الفكرية. لكن بالنسبة لملا مصطفى كان القبول بزعامة المرتزقة من أخوال مسعود هو محك أساسي، فمن لايقبل بقيادة زبير محمود أغا يعتبر معارضاً لمسعود، وينبغي تصفيته أو إبعاده أو الإساءة الى سمعته أو

تحطيمه بوسيلة ما. ثم إن إحتمال إيجاد تحالف مع عبيدالله، شكّل هاجساً مخيفاً لدى ملا مصطفى ومسعود، ومن هنا قام بإبادة من بقي من إخوته ووالده بوقت قصير قبل الهرب الى إيران.

وعن مناخ التنافس العام داخل العائلة الحاكمة، يقول سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكوردي في لبنان جميل محو: "تكفي وشاية كاذبة واحدة لأن يجر صاحبها الى أعماق السجون".[356]

وهو نفسه أصبح ضحية برينة في أجواء التآمر والأحقاد الدفينة السائدة في مقر ملا مصطفى.

يذكر جميل محو عن بداية إنطباعه حول ملا مصطفى – عن بعد - ومتأثر بالدعاية الحزبية المضللة:

"كنت أعتبره أقدس إنسان كوردى ظهر على وجه الأرض".[357]

وبعد التقرب تنكشف الحقائق:

كان جميل محو لايعرف تفاصيل الأجواء المسمومة داخل عائلة ملا مصطفى، ويتعامل مع جميع أبناء ملا مصطفى بإحترام لأنهم أبناء القائد. لكن العلاقة مع عبيدالله كانت نذير شؤوم بالنسبة له، فقبض على جميل محو لصلاته العادية بعبيدالله. وهذا يكشف مدى الذعر الذي انتاب الوالد وولده من عبيدالله:

التقى جميل محو بمسعود في 1971/5/24 وقال لجميل محو: "تعاونك مع عبيدالله خيانة عظمى بحق الثورة ولانغفرها لك". وقال إدريس " صحيح إنه أخونا الأكبر إنما يشتغل لغير صالحنا وهو الآن مسجون وتحت المراقبة الدائمة من قبل والده البارزاني" .

ردّ جميل محو : "لماذا لم تنبهونني الى ذلك."

ثم إستدعي جميل محو للمثول في 1971/5/28 أمام ملا مصطفى، هذه اللقاءات تكشف كيف تتغطى الخلافات العائلية بغطاء الثورة والوطنية زوراً. أخذ ملا مصطفى يشتم ويرتجف غضباً:

---

[356] مذكراتي داخل سجون الثورة الكردية. جميل محو سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكردي. 1982" ص: 184

[357] ن م س .ص : 57

"كذا إبن كذا..أنت خائن جاسوس أنت تشتغل ضد الثورة........أنت تتعاون مع عبيدالله." "جميل محو ينفي ويطلب الدليل للتهم....."[358] ولدهشته أمر ملا مصطفى وهو في غاية العصبية بسجنه، فأودع سجن خلان السيء الصيت.

وفي السجن إلتقى بفاخر(بطل معركة هندرين). أراد الأخير التخفيف عن آلامه وطلب منه الخروج قليلاً من زنزانتهم لإستنشاق الهواء، وعلموا أن عبيدالله أفلت من قبضة حراس والده وهرب الى بارزان، كان ذلك في 1972/6/6.[359]

لم تنفع جهود شخصيات سياسية لبنانية معروفة في إطلاق سراح جميل محو من سجنه اللاقانوني. استدعى جميل محو للإجتماع في 1972/7/24 بنجل ملا مصطفى، إدريس:

جميل محو : لماذا لاتكشفوا أمام الرأي العام الكوردي سبب احتجازكم جميل محو وماهي التهم التي وجهت اليه ؟ لماذا لاتحاكموه إذا كانت هناك إدانة أو أدلة ضده؟ أنا مستعد أن أقف أمام محكمة الثورة للمحاكمة.

إدريس: أنت رجل خطير نخاف منك أكثر من السلطة العراقية، وأخذ يهاجم بقسوة عبيدالله الذي شوه سمعة العائلة البارزانية بخياناته كما وانك أنت يا جميل محو الذي ذهب ضحية بل كبش المحرقة في سبيلنا وفي سبيل الصراعات الداخلية. قلت له:

طالما تعرف اني ذهبت ضحية خلافاتكم فما ذنبي أنا؟ أجاب، نخاف إذا أفرجنا عنك بأن تتحالف مع أخينا عبيدالله وتشتغلان ضدنا.[360]

هاجس التنافس العائلي لتأمين عملية التوريث كان ضاغطاً بقوة على عقلية قائد الثورة ونجله مسعود، فحتى في أحلك الظروف حيث إنهارت الحركة الكوردية، كان الهاجس الأول ليس مصير الشعب الكوردي، إنما كيف يحقق مشروعه العائلي، فعند هزيمة القيادة الكوردية في أذارعام 1975، وقد أبيدت عائلة محمد أغا ميركه سوري ودفن

[358] مذكراتي داخل سجون الثورة الكردية. جميل محو سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكردي. 1982". ص:163 - 164

[359] مذكراتي داخل سجون الثورة الكردية. جميل محو سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكردي 1982". ص: 167

[360] مذكراتي داخل سجون الثورة الكردية. جميل محو سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكردي. 1982". ص: 207 - 208

البعض منهم في حفرة جماعية مع أغلالهم. إلتقى ملا مصطفى في منفاه الإيراني في مدينة (نغده) في شهرأبريل/نيسان بجميل محو وقد تخلى حراس السجن عن واجبات الحراسة ليلوذوا بالفرار. فخرج جميل محو من زنزانته وتابع خطى الهاربين الى إيران. جاء اليه ملا مصطفى بهاجسه الوحيد والأهم:

" أريد منك شيئاً واحداً ياجميل ومقابل هذا الشيء ادفع لك ماتريده من المال.

قلت له : ماهو هذا الشيء الذي تريده مني سيدي. قال بعد لحظة من الصمت. وكان الملا مطرق الرأس. إذا كان بمقدورك ان تقتل ابني عبيدالله فأنا على استعداد لأن أدفع لك المبلغ الذي تريده.

فلما سمعت منه ذلك. أخذتني قشعريرة إذ لم أكن أتوقع أن أسمع ماسمعته والله الشهيد على ما أقول. فبقيت صامتاً لا أقوى على الكلام ولم أرد عليه بجواب."[361]

في النهاية وبمساعدة السفارة اللبنانية في طهران عاد جميل محو الى بيروت وكتب مذكراته عن المعاناة طوال سنوات إعتقاله في سجون العائلة الحاكمة وتهمته الوحيدة كانت مبنية على شكوك ساورت ملا مصطفى ونجله في حصول تعاون بين جميل محو و عبيدالله!! كتاب جميل محو يحكي معاناته ويستخدم أحياناً لغة جارحة تجاه من إعتبرهم مسؤولين عمّا لحق به من غبن.

طبيعي لم يكن يعرف ملا مصطفى أن أمنيته هذه سيحققها له صدام حسين بعام واحد بعد وفاته في إحدى مستشفيات الولايات المتحدة الأمريكية. فقد قتل عبيدالله عام 1980 وثم قتل إبنه الثاني (لقمان) بعد عشرة أيام من إختفاء عبيدالله. وثم قتل إبنه الثالث (صابر) في عام 1983. ثم قتل صدام حسين أربعة من أحفاد ملا مصطفى هم : صلاح، أزاد، بداد ونوزاد . ثم أباد آلاف البارزانيين عام 1983.

في الوقت الذي كان ملا مصطفى يهدم جبهة الكورد الداخلية كان يعتقد إنه قوي خارجياً وهذا هو المهم في نظره. وكما سنري، أن الإستقواء بالخارج وهدم الجبهة الداخلية لم يمنع سقوطه عام 1975. كان لايبالي بما يشعر به الشعب الكوردي، أو رفاق النضال من سلبيات خطيرة في شخصيته، فهو ماسك بزمام الحكم، يقتل من يريد والمساعدات الخارجية – المال والسلاح - تصل اليه مباشرة.

---

[361] مذكراتي داخل سجون الثورة الكردية. جميل محو سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكردي. 1982. ص: 253

ماتبقى من عمره أي منذ بيان أذار عام 1970 وحتى وفاته عام 1979 . كان الجانب المدمرّ في شخصية ملا مصطفى هو الأبرز والفاعل. كان كثير الشتيمة، يشتم بلا سبب وجيه، ويتهم تقريباً جميع أعضاء مكتبه السياسي ومعاونيه بالعمالة والسرقات. إن ما أشار إليه شيخ بارزان من وجود نزعة الهدم فيه قد تحقق كاملاً كما تحقق ما شعر به الصحفي البريطاني David Adamson الذي حاوره لساعات. وقد أيده في ذلك الصحفي الفرنسي كريس كوتشيرا قائلاً : "أحد الصحفيين الذين أمسكوا بدقة، سيكولوجية هذه الشخصية المعقدة - يعني ملا مصطفى - قال عنه "إنه يرفض أن يتعلم ، والذي يبعث أكثر على الأسف أنه ربما يحس بذلك" لقد أدهشه خيلانه والى حدود معينة نبل شخصيته. لكن هذا الصحفي لم يتمالك الى التأكيد على وجود" شيء هدأم وسلبي في داخله"[362]

وعن حالة الحزب الديمقراطي الكوردستاني وتحوله الى مطية لقوى التخلف، نستشهد بواحد من داخل البيت الحزبي وعلى دراية تامة بالخفايا. إنه القيادي المعروف، الدكتور محمود عثمان، يقول:

" لقد ظهر تصرف جديد من قبل هذه القيادة (التي لاتؤمن بالحزبية أصلاً) بعد بيان أذار حيث بدأت بمد نفوذها مباشرة الى داخل الحزب (لعلمها بأن الحزب سوف يلعب دوراً مهماً في هذه المرحلة) وذلك بفرض بعض العناصر عليه وكان هذا واضحاً في المؤتمر الثامن 1970 حيث دخل إدريس ومسعود قيادة الحزب وفرضت عناصر لاحزبية على هذه القيادة ولضمان تطبيق ذلك جلبت بشكل غير شرعي الى داخل قاعة المؤتمر الكثير من العناصر غير الحزبية وبدرجة اخذوا يشكلون حوالي ثلث المندوبين."[363]

وكما هو الحال مع الأنظمة الدكتاتورية، يلعب جهاز الأمن دوراً رئيسياً في بقاء النظام الدكتاتوري فيقول الدكتور محمود:

"بعد بيان أذار ولحد إنتهاء الثورة اخذ مقر البارزاني عن طريق جهاز الهاراستن والنفوذ الشخصي تدس بعناصر موالية له في صفوف الحزب وذلك لإضعافه واضعاف أي دور يمكن ان يلعبه كجهاز قيادي في الثورة وأخذت الصلاحيات تركز في يد العناصر العسكرية وعناصر الهاراستن المطيعة دون نقاش لمقر البارزاني وكانت قيادة البارزاني تفضل العناصر

---

[362] Le défi Kurde . Chris Kutschera. Bazard Editions 1997. p.27

[363] تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها. كانون الثاني 1977. الحزب الديمقراطي الكردستاني. اللجنة التحضيرية، ص: 17

غير المثقفة وغير القديمة في الحزب والثورة على غيرها وتفسح مجال التقدم أمامها وذلك لكي تضمن طاعتها لها وهكذا أخذ دور الحزب ووجوده في الثورة يضعفان يوماً بعد يوم وعلى جميع المستويات." [364]

في حين يذكر جرجيس فتح الله وهو من الملمين بما كان يجري وراء الكواليس الحزبية فيقول حول نتائج إنتخابات المؤتمر الثامن المنعقد في تموز 1970"....وضعت الاسس لتدهور سمعة الحزب الجماهيرية وتطعيم اللجنة المركزية بعناصر خانرة والإصرار على ابقاء العناصر الضعيفة السابقة." [365]

وفي الواقع كان كل شيء يحدد من قبل شخص ملا مصطفى، لكن بصورة لا ينكشف، بل بروج له مرتزقة الإعلام الشفهي والمكتوب العكس. انه ضد تقديم قائمة بأسماء من يريد هو أن ينتخبوا، وعندما إفتتح المؤتمرالثامن في تموز عام 1970 وقف هو منبهاً المندوبين بأنهم أحرار في إختيار من يريدون للقيادة ولم تكن هذه غير لعبة جعلت الإنتخابات عرضة للتزوير بأمر من القائد وعلى أوسع نطاق، ومن الملاحظ أن التزوير أصبح مبدأ من مبادىء القيادة العائلية للحزب في جميع الإنتخابات التي خاضها الحزب بقيادة نجل ملا مصطفى (مسعود) وعلى نطاق الشعب الكوردي بعد عام 1991 . ولنلقي نظرة على مرض التزوير المزمن والمفضوح أثناء المؤتمر الثامن في تموز عام 1970:

يقول جرجيس فتح الله:

"كانت هناك فعلاً قائمة يقوم بترويجها فريق من أعضاء القيادة وبموافقة الباقين، مع الإيحاء (بالقول الصريح أحياناً) بانها موضع رضى البارزاني نفسه بدليل وجود اسمي ولديه (ادريس ومسعود) فيها." [366]

ويمضي الى القول:

"وقال واضعوا تلك القائمة (التي لم يكن ثم منافس لها) في تبرير تضمينها بعض العناصر الأمية الجاهلة التي لم يسبق لها العمل السياسي انّ هؤلاء هم من قادة البيشمركه الذين أبلوا بلاءً حسناً في أثناء المعارك وقد فقدوا مراكزهم العسكرية بعد

---

[364] تفهيم مسيرة الثورة الكردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة. ص: 17 - 18

[365] زيارة للماضي القريب. ستوكهولم - السويد. دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 65

[366] زيارة للماضي القريب. ستوكهولم - السويد. دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 66

البيان وبحلول السلام في الوقت الذي كان يتعذر اسناد مناصب حكومية لهم وسيكون ضمهم الى القيادة (تمثيلاً للبيشمركة) فيها فضلاً عن كونه تعويضاً لهم ومكافأة." [367]

ويمضي ليقول:

"وكأن ذلك لم يكن بكاف. إذ عمدت القيادة الى خرق نظام الحزب الداخلي بقبولها أعضاء جددا في الحزب عشية انعقاد المؤتمر ليس الا لأن هؤلاء (الأعضاء الجدد) سيغدون بعد يومين او ثلاثة اعضاء في اللجنة المركزية الجديدة. في حين يقضي نظام الحزب بعدم جواز ترشيح عضو الحزب نفسه الى اللجنة المركزية ان لم يمضي على عضويته سنتان على الأقل." [368]

ظاهرة التزوير في الحزب الديمقراطي الكوردستاني جزء لا يتجزأ عن عقلية القيادة، إنه مرض مزمن ومستعص على الحل. وقد حصل تزوير في ظروف إنتخابات حزبية لا خطر فيها على نفوذ ملا مصطفى، كما جري أثناء المؤتمر الثامن في تموز 1970. وهذا يزيل أي عجب من حملة التزييف الواسعة في اقليم كردستان بعد عام 1991.

ويزيد جرجيس فتح الله حول ظاهرة تفشي التزوير المفضوح:

"فعندما أصرّ المندوبون على حرية إختيار مرشحيهم وملئوا القائمة بأسماء من يدركون أهليته ومن يريدون رأت القيادة الا ان تتدخل فتزور النتائج عن طريق رشوة قارئي الأسماء ومسجليها بوعدهم بالمنصب، انكشف بعض هذا التزوير عندما خرجت نتائج الاحصاء بعدد متساو من الأصوات لكل من ادريس ومسعود خشية ان يحرز احدهم صوتاً واحداً اكثر من الأخر فيخل ذلك بنظرة المساواة التي كان ينظر بها الجميع الى الأخوين. مجاملة تافهة خرجت عن طور المعقول واوجبت التساؤل الحاد." ويضيف "حاز كلاهما – إدريس ومسعود – 450 صوتاً بالتمام والكمال" ويزيد "وجاءني احدهم واراني ورقة كتب عليها بخطٍ عرفت صاحبه منه حق المعرفة. وفيها هذه العبارة "راجعني في بغداد لأسجل لك منزلاً!." [369]

هنا ينطبق مانسب الى ستالين من قول: «الذين يدلون بأصواتهم لا يقررون شيئا، الذين يفرزون الأصوات هم الذين يحددون كل شيء».

---

[367] زيارة للماضي القريب . ستوكهولم – السويد . دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 66

[368] زيارة للماضي القريب . ستوكهولم – السويد . دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 66 - 67

[369] زيارة للماضي القريب . ستوكهولم – السويد . دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 67

حورب الدكتور محمود بضراوة، ويقول عنه جرجيس فتح الله:

"لاأدري ان كان في نية ثلاثي القائمة توجيه ضربة اخرى لمحمود عثمان في الإنتخابات. لكن يبدوا أنهم عجزوا عن التمادى في التزوير بحقه اذ كان المندوبون مصرين عليه ورغم اغفال اسمه في عدد كبير من الاوراق والدعاية التي نشرت ضدّه، لم يكن بالوسع اغفال اكثر من حوالي مائة صوت اعطيت له وبدا الـ 375 صوتاً المسجلة له تحدياً كبيراً لمن أضمر له سوء..."[370]

كانت هذه هي حالة الحزب الديمقراطي الكوردستاني بعد بيان آذار وقبله أيضاً. هنا يتضح أن حزباً كهذا غير قادر على مواجهة التحديات الجسام التي كانت تواجه الشعب الكوردي. أن الاحتفاظ بالسلطة والمال وتركيزهما في يد عائلة واحدة شيء، أما تنظيم ثورة شعبية على أسس عصرية، ديمقراطية وتقدمية لنيل الحقوق القومية فهو شيء أخر يختلف تماماً.

أما عن حالة قوات البيشمركه، يذكر الدكتور محمود عثمان:

"...كان فرض المسؤولين من غير الكفوئين والجهلة على القوات المسلحة مستمرا ولذلك بدأت العلاقات بين البيشمركه وبعض هؤلاء تتحول تدريجياً في كثيرمن الأحيان الى ماهو شبيه بالعلاقات بين الإقطاعيين ومن يتبعهم وازدادت المحسوبية والمنسوبية وأخذ المسؤولون يعيشون عيشة مرفهة بالنسبة الى إمكانات الثورة بينما لم يصل هذا الترفيه الى صفوف البيشمركه وهذا الموضوع أضعف حماس البيشمركه في القتال حيث تولد لديهم شعور بأنهم هم الذين يضحون وأما المكاسب فهي للمسؤولين الذين يعيشون بشكل مرفه في المواقع الخلفية، وان هذه الظاهرة كانت واضحة جداً في حرب سنة 1974 ولم تتخذ الخطوات من قبل القيادة لمعالجتها لان قيادة القوات المسلحة (مقر البارزاني) كانت هي أيضاً دائماً خلف الجبهات وتصدر الأوامر دون ان تراقب التنفيذ او تزور إحدى الجبهات لتطلع على مايجرى فيها....."[371]

بعد بيان آذارحصل مباشرة تصعيد أكثروضوحاً في ظاهرة التنعم بالمال والملذات والمناصب، وفي مقر ملا مصطفى، البعيد عن خطر الجبهات، برزت ظاهرة "الكروش

---

[370] ن م س .ص: 68

[371] تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها. كانون الثاني 1977. الحزب الديمقراطي الكردستاني. اللجنة التحضيرية.ص: 28

الكبيرة" والفساد. كان هناك في واقع الأمر عالمين منفصلين تماماً. عالم البيشمركه العادي المضحي والرابض على خطوط جهات القتال يعاني من ضنك العيش. وعالم القيادة الكوردية المدنية والعسكرية التي تعيش حياة رفاه وزيارات الى الخارج وتأكل من أجود الطعام وتعيش حياة ترف. محاطة بالخدم والخادمات والحراس. في واقع الأمر كان مقرّ ملا مصطفى أكثرهم بعداً عن أجواء القتال وأكثرهم تمعناً في البذخ المالي وتتوفر فيه أشهى الأطعمة حيث تصلهم يومياً من أسواق إيران.

ويقول جرجيس فتح الله حول ظاهرة الفساد المتفشية بعد عودة القتال عام 1974:

"وجلس معظم القادة الحزبيين والأمرين العسكريين في المؤخرة او احتموا في كهوف جبلية أمينة تتوفر فيها أسباب الراحة والحماية يحيطون أنفسهم ببطانة من الطفيليين ويستعين بعضهم على قضاء الوقت بمعاقرة الخمر والتمتع بخير الطعام وكل منهم ينتظر نوبته للسفر الى ماوراء الحدود للإجتماع بأهله وقضاء إجازة طويلة هناك. ولم يكن لديهم عمل في الجبهة الأ نقل أنبائها الى المقرّ والمراكز المسؤولة بشكل مضلل بعيد عن الحقيقة لاعطاء صورة مطمئنة براقة عن الوضع العسكري."[372]

"سرى شعور اللامبالاة والانحلال الخلقي في معظم القادة العسكريين وكان مقدراً لها طبعا ان يتسرب ويتفشى في صفوف البيشمركه (أفراد الجيش الثوري الكوردستاني) لقد أمسى داءً قتالًا فيه امتص كل حماسته ومعنوياته خلال أعوام 1970 – 1974 وأصاب بالشلل قوته القتالية التي أكسبته فيما مضى شهرته العالمية واوقعت الرعب في قلوب اعدائه. فأنطوت اسطورة البيشمركه فعلاً. اذ بعد ان كان هذا المقاتل الجرىء يسترخص حياته، صار يضن بقطرة واحدة منها وبعد ان كان يعد التعب والجوع حلية وشرفاً وينافس اخوانه فيها ويفاخر بهما، غدا يحاسب أمريه بجرأة ويحرص البخيل على مقدار ماينالط به من واجب وعمل وما يعطى من مال او ارزاق مقارناً بما يعطى للأخرين ولايتردد في انتهاز الفرصة ليتهرب من الواجب....."[373]

سياسة القيادة الكوردية وقفت ضد تغيير أو نقل القادة العسكريين من مناطق بادينان. وكان هذا منافياً لعملية تجديد الروح القتالية وتطوير تكتيك أكثر عصرية، وتمشياً مع التغييرات في الميزان العسكري بين بغداد والحركة الكوردية. فمنذ عام 1961 –

---

[372] زيارة للماضي القريب . جرجيس فتح الله .ستوكهولم – السويد . دار الشمس للطباعة والنشر. ص:91

[373] زيارة للماضي القريب . جرجيس فتح الله .ستوكهولم – السويد . دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 91

1970. أبقى ملا مصطفى القادة العسكريين الموالين له شخصياً في وظائفهم. فرض سياسة "الجمود" في بادينان. كل قائد في منطقته بمثابة الحاكم المطلق الصلاحيات. وكلهم من الطائعين والمنصاعين. لكن بعد بيان أذار إنقلب نجو الأسوء. فقد فرض التغيير في التركيبة القديمة الجامدة بإجراءات مذلة للبيشمركه وللمحاربين القدماء في منطقة عقره-شيخان ومناطق أخرى. كان وكما نوهنا، فرض الأغوات المرتزقة كقادة حلوا محل القادة القدامى الذين ناضلوا وضحوا. وبهذا تراكمت السلبيات ضمن صفوف البيشمركة وانعكست في تدنى الروح القتالية عند بدء المعارك في صيف عام 1974. ذكر لي إدريس مراراً من أن هذه السياسة كانت من ضمن أهم الأسباب الداخلية لانهيار الحركة الكوردية عام 1975.

كانت القيادة الكوردية تعيش في غفلة من كل مايتعلق بمصير الشعب الكوردي فلم يكن لديها "خطة عسكرية تواجه بها الهجوم العام الذي شنه نظام الحكم العراقي عام 1974 ولم يخطر ببالها ان تهيء خطة بعد بدء الهجوم الا اذا إعتبرنا الدفاع في وجه هجوم خطة. ولذلك مني الجيش الثوري الكوردستاني بهزائم سريعة متلاحقة واقدم على انسحابات بدون مبرر او داع ذهل لها العدو نفسه حتى وظنها احياناً خدعة عسكرية."[374]

طبيعي في ظروف الفساد الأخلاقي لم يكن أحد يتوقع ان يدافع عن الحركة الكوردية المرتزقة الذين عينهم ملا مصطفى قادة، لقد أتت سياسة ملا مصطفى اللاوطنية ثمارها كاملة أثناء قتال عام 1975. وقد سمعت شخصياً بيشمركه وهم يقولون، هل نقاتل لكي يسلط علينا ملا مصطفى المرتزقة؟ كانوا يشتمون أنفسهم إن صوبوا طلقة واحدة الى صدر العدو.!

لقد انتقل عدوى إدخار المال من قمة القيادة الكوردية الى عدد كبير من القادة العسكريين الذين كانوا في الماضي قدوة في التضحية والإيثار. فالناس على دين ملوكهم. يشير جرجيس فتح الله الى منطقتين استراتيجيتين كانتا مسرحاً لهجومين عراقيين كبيرين فيقول حول قاطع زاخو وهي تحت إمرة عيسى سوار:

"تألفت القوات التي حشدتها الحكومة من لوائين (مابين 3000 و 4000 جندي وضابط) تساندها مدفعية ودبابات وغطاء جوي. في 28 من نيسان 1974 شرع في العملية بقصف ارضي وجوي كثيف على مواقع البيشمركه دام حوالي ست ساعات وتلاه تقدم لرتل الدبابات بلغ الى فم المضيق. عندها توقف الرتل في زحفه خشية وجود ألغام مزروعة فيه

---

[374] زيارة للماضي القريب . جرجيس فتح الله .ستوكهولم – السويد . دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 93

او مواجهة صواريخ خارقة الدروع. وهو سلاح كان يملكه الهيشمركه وقتذاك. وكان هناك حوالي ألف وخمسمائة من الهيشمركه وهم (هيز زاخو) انتشروا في مواقع ممتازة وبخط دفاعي على جانبي المضيق. وفضّل أمر هذه القوة (عيمى سوار) ان يبقى في زاخو وان ينيط القيادة المدانية بشخص يدعى (حاجي قادو). وقد عرف البيشمركه هذا الشخص رئيساً لشبكة التهريب. وساعد عيمى سوار الأيمن في عملياته المالية السرّية غير المشروعة ووكيله في عقد الصفقات الخارجية والداخلية.

ووجد البيشمركه في الهجوم الحكومي فرصتهم للتعبير عن سخطهم ونقمتهم على كلّ ماحصل خلال السنوات الماضية فقد تخلوا عن المضيق الى آخر رجل من تلقاء انفسهم ومن دون أمر او إطلاق رصاصة واحدة. تركوا مواقعهم الحصينة وانسحبوا الى الخلف وبقي المضيق متروكاً ليس فيه احد طوال أربع وعشرين ساعة والقوات الحكومية تهيب التقدم نحوه ولاتدري بانسحاب المقاتلين الكورد. وساد هدوء وانعدمت الحركة. وعند حلول الظلام ارسلت قيادة القوة الحكومية مفرزة من المرتزقة الزيباريين بقيادة (لطيف زيباري) المعروف بـ (لطو) للإستطلاع. فتقدمت المفرزة ودخلت المضيق ثم عبرته باتجاه زاخو حتى باتت على مسافة نحو خمسين كيلومتراً من المدينة وهنا قوبلت برشقات نار من سريتين للبيشمركه فبادلتهم اطلاق النار برهة ثم انسحبت لتبلغ القيادة بخلو المضيق من المدافعين فتقدمت القوات الحكومية واحتلت المضيق ثم دخلت مدينة زاخو دوم عائق وكانت قوات البيشمركه وقيادتها قد اخلت المدينة وانسحبت الى الشمال الشرقي باتجاه العمادية.

تم التوصل الى هذه التفاصيل بعد ان بلغت أنباء هذا الانسحاب الغبي المقرّ العام وقيادة الحزب التي بادرت بالإيعاز بتشكيل لجنة تحقيق سرّية تسترت تحت عنوان :لجنة رفع المعنويات في صفوف البيشمركه" وغايتها الأساسية تقصي أسباب انسحاب البيشمركه من غير مقاومة.

تألفت اللجنة من أعضاء لجنة الفرع الأول للحزب (نجم الدين اليوسفي وملا صالح حاجي وشعبان سعيد) وباشروا تحقيقاً سمعوا فيه إفادات عدد كبير من أفراد الهيشمركه (هيز زاخو) وتم تدوينها وارسالها الى المقرّ وكانت اجاباتهم صريحة ولم يتعمدوا إخفاء ما إعتمل في انفسهم: رفضنا القتال انتقاماً من (عيمى سوار) . أجل: قبل أذار كنا نقاتل واستظهرنا على الجيش عدة مرات. وفي أذار عينوا هذا الرجل (المقصود عيمى سوار) أمراً لوحدتنا برتبة عسكرية وجعلونا حرس حدود. فكان يستولى على رواتبنا ومخصصاتنا من

الأرزاق لبيعها. وقد إضطر أكثرنا خلال هذه السنوات الى ان يشتغل عمالاً وفلاحين لسدّ حاجات عائلاتنا المعاشية."[375]

كان عيسى سوار صورة مصغرة لقيادة ملا مصطفى، وعند وصول تقرير اللجنة الى المكتب السياسي ومقرّ البارزاني. :"بقي (عيسى سوار) امراً للهيز المنهزم حتى نهاية الحركة المسلحة."[376]

ثم يتابع جرجيس فتح الله ليقدم مثال أخر عن فساد القيادة العسكرية، (فارس باوه) من أكثر معتمدي ملا مصطفى، كان أمياً ورغم ذلك أتى به ملا مصطفى الى اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكوردستاني، وظهر فيما بعد انه كان قد باع نفسه الى السلطات العراقية أثناء فترة الهدوء في بداية السبعينات، فيقول:

"وفي الأول من أيار بدأت القوات الحكومية بالهجوم في جبهة سهل اربيل (ده شتي هه ولير) وتقدمت في (بستانه) حتى بلغت المنطقة التي يهيمن عليها (دربندي گۆمه سپان) وهي منطقة مضيق جبلي بين مدينتي كويسنجق واربيل. وهذا المضيق كان تام التحصين. وهو مفتاح منطقة واسعة، يدافع عنها (الهيز) المسمى بإسمه وكانت قيادته بيد (فارس باوه) منذ زمن بعيد. وهو الأن فضلاً عن ذلك عضو اللجنة المركزية للبارتي. نسجت حول قائد هذا الهيز وحوله قصص وبطولات وموفقيات كبيرة سالفة وكانت قواته قد جهزت مؤخراً بسلاح متطور هو مدفعية ضد الدبابات من طراز (ب 10) وهو أحدث سلاح خارق للدروع في حينه.

لم يكن هناك من سبيل لاكتساح المنطقة الأ بالإستيلاء على المضيق. وكان من المتوقع ان يمنى الجيش في محاولته اجتياز العقبة بهزائم متلاحقة وخسائر جسيمة اعتماداً على شهرة القائد وتاريخ الهيز المشرّف. الا ان حقيقة ماحصل هو أن القوات الحكومية المتقدمة نحو المضيق لم تواجه أية مقاومة. لم يكن في المضيق خفر او حراسة ليلية وكان الجميع يغط في نومه ولافكرة لأي احد بتقدم او زحف (الأ واحداً). ووقعت المدفعية الجديدة غنيمة بيد الجيش ولم يمضي على وصولها غير عشرة أيام ولم تطلق منها قذيفة واحدة وتشتت شمل هيز ده شتي هه ولير، ولم يعد له أثر.

---

[375] زيارة للماضي القريب . جرجيس فتح الله ستوكهولم – السويد . دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 108 – 109 – 110 - 111

[376] زيارة للماضي القريب . جرجيس فتح الله .ستوكهولم – السويد . دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 110

تبين فيما بعد ان (فارس باوه) كان غائباً عن الموقع – في واقع الأمر كان ذلك متعمداً، التعليق من الكاتب – وانه أناط القيادة بالذي يليه فيها وهو (صابر شيخ جامي) وهذا هو (الواحد) الذي أشرنا اليه كان يعلم بموعد تقدم الجيش فقد سبق للسلطة أن اشترته من خلال عمليات شراء الذمم الواسعة التي مارستها مع رجال الثورة خلال سنوات 1970 – 1974."[377]

لم يخطوا جميع القادة العسكريين البارزانيين خطى فساد قيادتهم. فعلى سبيل المثال بقي علي خليل وهو إبن خليل خوشفي. مخلصاً في نضاله وسلوكه الشخصى ولم تغيره إغراءات الزعامة والمال وبقي يعارض مصالح الأغوات ويخشى نفوذهم السلبي على مسيرة الحركة الكوردية واحتفظ بشعبية كبيرة في منطقته في بادينان بالأخص في أوساط البرواريين. ويقول عنه جرجيس فتح الله:

"في الهجوم العام صمد هيز دهوك بقيادة (على خليل خوشفي) وبقي الى الأخير يرد هجمات القوات الحكومية في (كه لى دهوك) ولم يتقدم الجيش العراقي شبراً واحداً حتى صدر الأمر بالإنسحاب والقاء السلاح اثر الإتفاق في الجزائر عام 1975."[378]

[377] زيارة للماضي القريب. جرجيس فتح الله ستوكهولم – السويد. دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 111

[378] زيارة للماضي القريب. جرجيس فتح الله ستوكهولم – السويد. دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 111 - 112

استدرار الاهتمام الأمريكي

"أن مبدأ عدم التدخل سار المفعول
في العراق، ليس فقط تجاه المشكلة الكوردية
وانما سار على جميع الأطراف"
ديبلوماسي أمريكي في بيروت
لحبيب محمد كريم
1971/11/2

كانت ديبلوماسية الحركة الكوردية محكومة بالعامل الجغرافي العازل. ولم يكن هناك إحتمال تلقي المساعدات من الطوق المعادي تركيا أو سوريا بين أعوام 1970 – 1974. بينما كانت القيادة الكوردية تتلقى المعونات العسكرية والمالية بشكل خاص من إيران. لكن على طول خط العلاقة مع إيران تبنت القيادة الكوردية موقف المستجدى بشكل واضح. لقد نشأت فرص كان من الممكن فرض شروط لصالح الحركة الكوردية على إيران، مباشرة بعد التوقيع على معاهدة الصداقة بين العراق والإتحاد السوفيتي. فقد كان الشاه في موقف قلق ولم تكن لديه ورقة ضغط على الحكومة العراقية غير الحركة الكوردية. لا نستبعد أن شعر بها القادة الكورد. لكن بدل الإصرار على علاقة موزونة تخدم القضية الكوردية وبوجود ضمانات مكتوبة من إيران، مالت الى تكرار الطلب من الشاه والسافاك الإيراني، بمساعدتها لبناء روابط مع الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا ما وافق عليه الشاه لأنها عديمة التكلفة.

وكانت الولايات المتحدة قبل طلب الشاه من الرئيس نكسون نهاية مايس 1972، غير مستعدة لبناء هذه العلاقة، إذ لم تكن لها مصلحة. وما يجدر ذكره، جميع هذه الدول التي قدمت العون لقيادة الحركة الكوردية، كانت تحرص بشدة على الإحتفاظ بسرّية العلاقة، مما يعطيها مجال التنصل بسهولة. فقد تطورت علاقات الزعامة الكوردية من السافاك الإيراني الى الموساد الإسرائيلي وثم الى الـ C. I. A الأمريكي. لم تتمكن القيادة الكوردية بناء علاقات ديبلوماسية راسخة تليق بحركة تحرر وطنية مع الحكومات لا من الكتلة الشرقية ولا من الكتلة الغربية.

واصل الاتحادالسوفيتي دعمه المالي والسياسي المحدود للحركة الكوردية منذ عام 1961، واستمرت حتى عام 1972. ثم زيدت لتبلغ مليون دولار في عام 1972. وانقطعت بعد الإصطفاف السياسي الجديد. وتحول القيادة الكوردية الى المعسكر الغربي علناً. والجدير بالذكر هو ان المساعدات المالية السوفيتية المدروسة للحركة الكوردية لم تعطى مجال للزعامة الكوردية إظهار نزعة الفساد الكامنة فيها وافسادها للمجتمع. لكن ما أن إستلمت القيادة الكوردية الأموال من إيران في منتصف الستينات، ظهر عليها الفساد بصورة واضحة. جاء الدعم السوفيتي من منطلق أن القومية الكوردية قومية مضطهدة ولها حقوق مشروعة يجب تحقيقها، وهذا سيحول دون استغلال الحركة الكوردية من قبل الدوائر الامبريالية لأغراضها الخاصة، مما يجعل العراق دولة قوية في مواجهة القوى الإستعمارية والعناصر الرجعية في المنطقة وهذا في صالح السوفييت. في حين كان الدعم الإيراني والأمريكي يهدف إستنزاف الطرفين، الحكومات العراقية الموالية للسوفييت والحركة الكوردية وقطع الطريق أمام الهيمنة السوفيتية، وحيث تتمكن إيران فرض التنازلات على بغداد في قضايا الحدود المشتركة ومشاكل الخليج الفارسي.

كان البحث عن المال هاجس القيادة الكوردية، وكانت تقوم بالبحث تماماً على شاكلة المتسولين. لم يكن رئيس الحزب يعرف أسلوباً أخر للحصول على المعونات، ويذكر يفجيني بريماكوف، مراسل برافدا والذي تولى مسؤولية وكالة المخابرات الروسية الخارجية، وأصبح وزيراً للخارجية، وثم تولى رئاسة الوزارة الروسية، يذكر مايلي: "قبل مغادرتي، إلتقيت بصدام حسين في بغداد في 22 كانون الثاني/جانفير 1973، وهو الذي حثني على زيارة البارزاني، وقال ان الزعيم الكوردي لن يفهم لماذا لم أزره بعد ثلاث سنوات من الزيارات المتقطعة للعراق، وانه من مصلحتنا أن لايشعر بأن الإتحاد السوفيتي تخلى عنه، هذا ماقاله لي صدام حسين، وأضاف "نحن نقدر عالياً تأثيرك عليه." وفعلاً غادر بريماكوف الى كوردستان وقد هيئوا له طائرة الى كركوك ثم تنقله مروحية الى منطقة راوندوز لمقابلة ملا مصطفى، ويمضي بريماكوف: "كانت الحكومة العراقية قلقة بشكل خاص (لابد من الإعتراف، كرملين أيضاً كانت قلقة) للعلاقات المتنامية مع نظام ايران – عملت الولايات المتحدة الكثير لتقويتها"[179]. وكانت هناك مؤشرات موثوقة لزيارات الى تل أبيب من قبل مبعوثي البارزاني. فإسرائيل في مسعاها لإستغلال المشكلة الكوردية في العراق لإضعاف خصمها أرسلت أموالاً ضئيلة الى الحركة الكوردية، عندما سألت البارزاني مباشرة حول

---

[179] انطباع بريماكوف غير صحيح. لم تكن واشنطن راغبة في اقامة العلاقة مع الحركة الكوردية. إنما قامت بذلك إرضاء للشاه وبالحاح منه بعد ختام زيارة نكسون لموسكو وتوقفه في طهران حيث التقى نكسون بالشاه في 30 – 31 أيار عام 1972.(تعليق من المؤلف)

طبيعة العلاقات مع شاه إيران. ردّ: طرقت باباً وطلبت رغيف خبز. ولم يعطوني شيئ [يعني بغداد] ماذا ينبغي علي عمله. هل أبقى جائعاً حتى الموت؟ بعدها طرقت باباً أخر. من الذي يلام؟ أنا أو الذي طردني؟"[380]

وجاء في كتاب جونثان راندل الصحفي الأمريكي ما قاله ملا مصطفى: "إنه ذلك الضرير الذي يقعد على أبواب المساجد ليتصدق عليه المصلون عندما يخرجون من المساجد بعد إنهاء الصلاة.". لكن المشكل ان هذا الشخص الذي يجمع الأموال بإسم شعب بأكمله، ما أن يحصل على هذه الأموال حتى تصبح ملكاً شخصياً له، وتصرف حسب الأهواء، وبتحريم كل مسائلة أو شفافية أو حتى مناقشة الموضوع. وهنا مكمن الأفة الكبرى في إفساد البنية الأخلاقية للمجتمع الكوردي.[381] فالمكتب السياسي واللجان الأخرى العسكرية التي تعتمد مالياً على رئيس الحزب، لا تستطيع معارضة سياساته الخاطئة. فالاعتماد المالي يقضي على إستقلالية القرار أزاء مانح المال. وركز رئيس الحزب بقوة شديدة منحى حرية التصرف بالأموال دون مساءلة، وهذا ما كان سائداً ومدمراً في كوردستان بين أعوام 1964 – 1975، ثم تكرر نفس النموذج بعد عام 1991 والى يومنا هذا.

بذلت القيادة الكوردية جهوداً للتقرب من الولايات المتحدة الأمريكية منذ زيارة أول صحفي أمريكي (دانا أدمز شمدت) لمعاقل الحركة الكوردية عام 1962، لكن بلا نتيجة.. ويشير أرشيف حوار أمريكي مؤرخ في 1969/5/29 عنوانه: (التهديد الكوردي لمنشأت نفط كركوك، الدعم الإيراني والإسرائيلي للاشوريين) يدور الحوار بين Zaya Malek Isma'il, Sam Andrews, William Yonan, Rodger P. Davies, Bryan H. Baas والأخيرين يمثلان الجانب الأمريكي . ذكر أندروس انه هو وإسماعيل زارا إيران في بداية شهرنيسان عام 1969، وثم ذهبا الى كوردستان واجتمعا بملا مصطفى في 20 – 23 نيسان 1969 ولديهم رسالة من ملا مصطفى الى وزير الخارجية روجرز كتبت بالعربية، وستسلم الرسالة بشكل رسمي برفقة شفيق قزاز الممثل الكوردي في واشنطن بعد اسبوع، يقول الأرشيف:

"يريد ملا مصطفى إعلامنا بأنه تحت الضغط من أتباعه لمهاجمة منشأت النفط. والأكراد سيعطون أهمية جدّية لهذا في المستقبل. والأمر المنطقي هو ان البترول يأتي بالمال

---

[380] Russia And The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York.2009. P: 336

[381] تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها. الحزب الديمقراطي الكردستاني اللجنة التحضيرية. ص: 63 - 64

للحكومة العراقية وبه يشترى السلاح لمهاجمة الأكراد. وأجاب أندروس على سؤال من Bryan H. Bass قائلاً لايريد ملا مصطفى أي شئ مقابل إتفاق عدم مهاجمة منشآت النفط. أراد ملا مصطفى فقط ان نكون على علم. وقال أندروس "بالتأكيد يتطلع بارزاني الى الدعم من أي مكان كان. وأضاف: "ان ملا مصطفى قال إنه يرغب ان يرى كوردستان وقد أصبحت الولاية 51."[382]

هذه الزيارة الى كوردستان اقتضت إجازة من الشاه ويبدو ان ممثلي الأشوريين في المجلس رتبوا هذه المهمة. هدف الزيارة الى كوردستان كان لمعرفة أوضاع الأشوريين في الأراضي الكوردية.

لعب الشاه دوراً رئيسياً في بناء علاقات محددة وسرّية فيما إعتبرته القيادة الكوردية خطأً علاقات هامة مع الحكومة الأمريكية. ولم تفرق بين دور وكالة المخابرات المركزية (C.I.A) ودورالحكومة الأمريكية ويترأسها رتشارد نكسون ودور الكونغرس. وتسبب ذلك في نشوء ثقة مفرطة بالذات رغم عدم وجود دلائل جدّية لهذا الدعم. وهنا لابد من تقصي نمو وتطور هذه العلاقة الخطيرة بين زعامة تتظاهر بقيادة حركة تحررية ووكالة المخابرات المركزية المعروفة بمعاداتها للحركات التحررية في العالم ودعمها لأنظمة دكتاتورية شمولية ضمنها أنظمة منطقة الشرق الأوسط.

قبل وقوع محاولة الإغتيال الفاشلة التي تعرض لها ملا مصطفى في 1971/9/29. كلف ملا مصطفى المحامي (زيد عثمان47 عاماً) الإتصال بالأمركيين. ويشير أرشيف أمريكي مؤرخ في 16 تموز 1971 مرسل من السفارة في بيروت الى الحوار الذي أجراه زيد عثمان مبعوث ملا مصطفى حيث قال:"إن حلم البارزاني هو التعاون مع الولايات المتحدة" و "يريد ان تعرف أمريكا أن الأكراد رفضوا طلبات الحكومة العراقية القيام بأعمال عدائية ضد إيران. ولم يحرضوا أكراد تركيا ضد حكومتهم ولم يتدخلوا في شؤون تركيا." و"البارزاني مستعد للتشاور مع حكومة الولايات المتحدة في جميع الامور السياسية لتطبيق السياسة الامريكية والقضاء على جميع العناصر المعادية لأمريكا في مناطق نفوذه." و يرغب ملا مصطفى: "إقامة علاقة سرّية مع الولايات المتحدة لكي يتلقى منها "النصائح" بشأن توجيه العمل الثوري ضد نظام بغداد ......"و "في حالة القبول فان البارزاني سيرسل الى واشنطن

[382] Memorundom of Conversation. Washington. May 29. 1969. Archives RG 59. Central Files 1967-69. PET IRAQ.

إدريس البالغ 27 عاماً وهو من أكفأ أبنائه السنه. إنه لايتكلم الانكليزية بالشكل المطلوب. لكن سيرافقه زيد عثمان .....[383] هذا وكان زيد عثمان قد قابل الملك الفيصل قبل ذلك.

أبرقت السفارة الأمريكية في بيروت 1971/10/3 الى وزارة الخارجية. نسخة منها الى طهران. بشأن لقاء حصل في 1971/11/2 مع حبيب محمد كريم[384]. وكان يشغل منصب السكرتير العام للحزب الديمقراطي الكوردستاني. والأخير جاء يطلب الدعم من الولايات المتحدة ويستفسر من أنه لم يرد أي جواب من الولايات المتحدة بشأن عدة طلبات سابقة قدمها ملا مصطفى خلال وسطاء في طهران وبيروت لنيل المساعدة ضد حكومة بغداد. كان الردّ. أن مبدأ عدم التدخل سار المفعول في العراق. ليس فقط تجاه المشكلة الكوردية وانما سارٍ على جميع الأطراف. كما يشير الأرشيف الى انه وعلى ضوء سياسة الولايات المتحدة. فإن مثل هذه اللقاءات غير مثمرة. وربما تولد أمال زائفة وسوء تفاهم في المستقبل.[385]

وفي تقرير للسافاك في نهاية شهر نوفمبر عام 1971 ذكر: "أن حكومة الجبهة الوطنية العراقية ستكون معادية للمصالح الإيرانية والأمريكية." ويضيف: "ان الزعيم الكوردي ملا مصطفى البارزاني هو الشخص الوحيد الموجود حيث من خلاله ممكن تنظيم عمل فعال ضد حكومة الجبهة الوطنية." وبعدها يشير التقرير الى الروابط المشتركة بين العراق وموسكو وممارسة الضغط على القيادة الكوردية للانضمام إلى الجبهة. وكان السافاك الإيراني يرى في هذه التطورات مؤشراً على تقدم النفوذ السوفيتي وتعزيزه في العراق مما يخلق مصاعب لإيران ودول الخليج. ونتيجة لهذه التطورات فقد طلب السافاك مجدداً العون الأمريكي ضد نظام البعث العراقي. وتتضمن مساعدات مالية وتجهيزات عسكرية ودعم سياسي. وكل هذا يتمحور حول ملا مصطفى.

كما ورد في رسالة أخرى للسافاك في 15 أذار عام 1971 موجهة الى الـ C.I.A تقول: "طلب البارزاني من السافاك إعلام الحكومة الأمريكية انه عند استمرار وتيرة الأحداث الحالية. فإن العراق سيتبوأ نفس مكانة الدول الأوروبية الشرقية التابعة للإتحاد

---

[383] Airgram 222 from the Embassy in Lebanon to the Departement of the State.16 July 1971.

[384] بعد إنهيار الحركة الكردية في أذار عام 1975. عاد حبيب محمد كريم عن طريق القاهرة الى بغداد.! (تعليق من المؤلف)

[385] Telegram 9689 From the Embassy in Lebanon to the Department of State. November 3. 1971

السوفيتي. وكرر السافاك الطلب من الولايات المتحدة تقديم المساعدة للبارزاني لمنع تشكيل حكومة الجبهة الوطنية في العراق. وبمعنى أخر منع تشكيل حكومة يطغى عليه النفوذ الشيوعي." ويمضي اقتراح السافاك الى: "يمكن شحن المساعدة سراً خلال [..............] لايعلم بها عدا ملا مصطفى". ويقول الأرشيف الأمريكي: "ان مطاليب مماثلة قدمت الى حكومة الولايات المتحدة من قبل السافاك نيابة عن ملا مصطفى خلال عقد من الزمن. [....................].

كان التقييم الأمريكي للعلاقات السوفيتية العراقية في بداية عام 1972 لا يشير الى مخاوف كبيرة من هذه العلاقة. رغم ان الإتفاقية العسكرية المبرمة في شهر سبتمبر عام 1971 هي الأوسع حيث يتجاوز ثلث أرباع بليون دولار حجم المساعدات العسكرية السوفيتية للعراق."[386] كما ان الموقف السوفيتي فيما يتعلق بسيطرة إيران على جزر الخليج مؤشر على نقص في القدرات السوفيتية في التأثير وحرصها على الإحتفاظ بعلاقات جيدة مع إيران. وتقول البرقية: "نتفهم القلق الإيراني فيما يخص الإتفاق السوفيتي العراقي الجديد للتزود بالسلاح. بسبب حماقة وطموحات العراق في الخليج. لكننا لانعتقد ان السوفييت زادوا من مساعداتهم العسكرية للعراق كجزء من سياسة عدوانية في الخليج هدفها إيران. لكن في حالة زيادة الإستثمارات. قد يجد السوفييت أنفسهم أقل ميلاً نحو المجازفة بعلاقاتهم مع العراق وبالتالي أقل قدرة على مقاومة الضغوط العراقية للحصول على المزيد من المساعدات العسكرية والإقتصادية. برأينا. ان الاتفاقية العسكرية هي من أجل إرضاء بغداد ولاتمثل تهديداً للشاه."[387] وتشير البرقية الى أن ميزة السياسة السوفيتية هي العمل مع طرفي الشارع وهي ليست مقتصرة على إيران والعراق إنما يتابعون نفس السياسة الخطرة في كلا اليمنين..."

وجدت القيادة الكوردية أن الوضع مناسب لمحاولة جديدة لنيل الإهتمام الأمريكي من خلال إظهار الضغوط السوفيتية للإنضمام الى حكومة الجبهة الوطنية. يعتقد البارزاني "ان الحركة الكوردية العراقية والشعب العراقي في خطر حيث يتعين عليه الإذعان الا في حالة استلام معونة من خارج العراق. ونجم عن هذا ان البارزاني يخطط مجدداً ارسال مبعوث لإعلام حكومة الولايات المتحدة حول قلقه ولترتيب زيارة الى الولايات المتحدة لكي يتمكن البارزاني شخصياً القيام بمناشدة من أجل قضيته. وقد أشار البارزاني الى انه سوف لن

---

[386] Telegram Department of State 12737. To the Embassies in Iran, the United Kingdom and Soviet Union, January 22, 1972.

[387] Ibid

يوقع أي إتفاقية مع حزب البعث العراقي طالما لم يقيّم موقف الولايات المتحدة تجاه قضيته."[388] وفي الوقت ذاته كان السافاك الإيراني يعلم السفارة الأمريكية في طهران بتزايد النفوذ السوفيتي في العراق والطلب بمساعدات أمريكية لقلب نظام البعث وتشكيل حكومة من اللاجئين العراقيين مقرها في شمال العراق تحت حماية البارزاني. لكن الممثل الأمريكي إكتفى بردّ أنه سوف يرسل هذه المعلومات الى المركز."[389]

هذه المساعي لم تثمر حتى منتصف عام 1972. ولننظر الى الأرشيفات الأمريكية والتي تلقي الضوء على مساعي القيادة الكوردية المتواصلة لنيل الحظوة لدى الولايات المتحدة الأمريكية.

في واقع الامر كانت وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية، قبل التوقيع على معاهدة الصداقة والتعاون مع موسكو، فيما يخص الخطر العراقي لم تتفق مع وجهة نظر الشاه. إذ إعتبرت واشنطن أن العراق لايشكل تهديداً وأن السوفييت لن يضحوا بمصالحهم مع الشاه من أجل بغداد. كما أعتبر الأمريكان ان العراق بطيء في تطبيق الأساليب العسكرية الحديثة، ورغم قدرة الجيش العراقي الحفاظ على الأمن الداخلي، الا انه غير قادر على مقاومة هجوم من تركيا او ايران. كما ان محاولة البعث في تطويع الجيش لسلطته والتصفيات الجسدية للضباط غير الموالين، جعلته ضعيفاً. كانت واشنطن على علم بإنشاء السوفييت تجهيزات لملاحتها في الميناء العراقي ام القصر، وتعرف بأن السوفييت غيرراضين عن حليفتهم العراق الذي لم يتوصل لصيغة سلام مع الحركة الكوردية وعدم تسديدها لديونها. لكن واشنطن كانت مقتنعة من أن وقف القتال مع الاكراد يقوى العراق ويمنحه حرية التصرف في الخليج، لكن حتى بعد وقف القتال بين الحركة الكوردية وحكومة البعث، فإن تصميم الأخيرة على الاحتفاظ بالسلطة كاملة كانه مؤشراً على أن عدم الاستقرار في العراق سيستمر. هذا رغم عدم إستساغة واشنطن لسياسات بغداد، الا انها كانت ترفض تقديم المساعدة للأكراد. وربما كانت واشنطن ترى العراق بلد الفوضى

---

[388] Memorandom from the Chief of the Near East and South Asia Division of the C.I.A (Waller) to the Assistant Secretary of state for Near Eastern and South Eastern Asia Affairs (Sisco), Washington, March 9, 1972.

[389] Memorandom from the Chief of the Near East and South Asia Division of the C.I.A (Waller) to the Assistant Secretary of state for Near Eastern and South Eastern Asia Affairs (Sisco), Washington, March 9, 1972.

والإنقلابات الدموية وان النظام البعثي قد ينهار بفعل النزاعات الداخلية بين الأعضاء المتنافسين على السلطة داخل الحزب.

كان صدام حسين يدرك المخاطر التي تواجه النظام الجديد. وقد نجح في تعزيزه بتوقيعه على ماسمي ببيان 11 أذار1970 حيث كان الهدف الأساسي هو التفرغ للقضاء على المعارضين في الداخل وترسيخ قبضة البعث على أركان الحكم ثم ضرب الحركة الكوردية.

أرشيف أمريكي أخر مؤرخ في 1972/3/20 يقول: "بعد زيارة صدام حسين التكريتي لموسكو في شهر شباط. حاولت الحكومة البعثية العراقية الإتصال بالزعيم الكوردي طالبة منه التوقيع على "الميثاق الوطني" وبعد عدة أيام في 1972/2/28 وصل مقر ملا مصطفى البارزاني وفد سوفيتي مؤلف من أربعة دبلوماسيين. ومثل وصولهم حدثاً بالغ الأهمية. أعضاء الوفد كانوا:

RUMANYTSEV, of the International Department of the CPUSSR.

FIODOROV, who was presented as no. I's assistant. A person of the same name is serving in the Soviet Embassy in BAGHDAD and the two might be identical.

AZAROV, First Secretary in the BAGHDAD Embassy.

KHAJIEFF, not identified.

قدموا المقترحات التالية:

على الأكراد توقيع الميثاق الوطني والإنضمام الى الجبهة الشعبية بقيادة حزب البعث وسينضم الشيوعيون العراقيون الى الجبهة.

سوف يقيم السوفييت مركز إرتباط مع الأكراد مزود بجهاز للإتصالات W/T في مقر ملا مصطفى يكون واجبه الحفاظ على الإتصالات وحماية البارزاني.

ودعى البارزاني لزيارة الإتحاد السوفيتي وأعطيت له ضمانات سلامته.

وعدوا البارزاني بالدعم السوفيتي إذا ما قبل المقترحات المذكورة.

ويمضي الأرشيف الأمريكي الى القول: "من الممكن ان تكون الخطوة السوفيتية ذات أبعاد جيوستراتيجية هامة. من المحتمل ان يكون هدفها تحرير الجيش العراقي من اجل أهداف عسكرية سياسية في منطقة الخليج الفارسي وتوجيهه ضد المصالح النفطية في المنطقة."

فرغم جهود الزعامة الكوردية في إرسال مبعوثها للإتصال بالسفارات الأمريكية: الوفد الأشوري وحبيب محمد كريم وزيد عثمان المحامي. ودعم هذه الجهود من قبل السافاك

الإيراني، الا أنها لم تثمر. كما يشير الى ذلك أرشيف أمريكي أرسل من طهران في أذار 27 عام 1972. يقول الأرشيف:

"طلب منا السافاك الإيراني مجدداً [.................] وبإلحاح تقديم المساعدة عن طريق [................] الى الزعيم الكوردي ملا مصطفى.

خلال السنوات العشر الماضية تلقينا نفس المطلب ورفضناه. كذلك البريطانيون تجنبوا التورط. الإسرائليون ربما يدفعون للبارزاني مبلغ هام شهرياً. وعندما يأتي الملك حسين الى هنا قد يطلب تدخل الولايات المتحدة [..........].

ثم يشير الأرشيف الى أن السوفييت يضغطون على ملا مصطفى والأكراد كي ينضموا الى حكومة الجبهة الوطنية العراقية والتي تضم الشيوعيين والناصريين والأكراد بقيادة حزب البعث العراقي. ثم يضيف: "هدف التحرك الإيراني هو القيام بمحاولة ثانية لقلب الحكومة البعثية وتقليص فرص تعزيز الدور السوفيتي في العراق. وهناك تقارير تشير الى مساعي سوفيتية للتوصل قريباً لاتفاقية مع العراق مشابهة لتلك الاتفاقية الموقعة مع مصر."

"وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية يميلان الى تفادي التدخل. فأية مساعدة قد يحتاجها البارزاني هي تماماً ضمن إمكانات إيران وإسرائيل لتلبيتها. ليس هناك إطلاقاً شيئاً يحتاجونه منا عدى توريطنا. وعامل أخر هو أن حظوظ النجاح ليست في صالح الأكراد. كذلك تدخلنا لأول مرة في هذه الظروف يمكن ان يعتبرها السوفييت عملاً موجهاً ضدهم.

لذا أرى شخصياً ان ننأى وكما فعلنا في السابق عن التدخل. لكننى أرى أن تكونوا أنتم على علم بسبب العامل السوفيتي.".

ويشير أرشيف أخر مؤرخ في 29 أذار 1972 بتوقيع ريتشارد هيلمز. يشير فيها الى المساعي الكوردية لنيل الدعم الدولي لمواجهة العلاقات العراقية السوفيتية: "بعث الزعيم الكوردي ملا مصطفى مبعوثاً (خلال شهر أذار 1972 للإتصال بالحكومات الاردنية والأمريكية للمساعدة. - زيد عثمان - ولدعوة رئيس الوزراء السابق الجنرال عبدالرزاق النايف للإشتراك في حكومة عربية كوردية في الشمال. قال المبعوث أن البارزاني يعتقد ان

الغرب لن يتجاهل المؤشرات الحديثة عن تقوية العلاقات السوفيتية العراقية... أثناء محادثاته في الغرب، عبّر عن أمله في استلام جواب ايجابي على عدد من الطلبات:

استمرار الحوار الصهاسي.

منح مساعدات مالية.

تجهيز محطة بث اذاعية وتدريب لإشغالها.

التعاون مع المخابرات الكوردية وبرأسها مسعود. و

منح بعض الزمالات للأكراد للدراسة في الجامعات الغربية.

ثم يشرح مبعوث ملا مصطفى الوضع العام في العراق، العلاقات التي تتطور بين موسكو وبغداد ومعاهدة الصداقة التي بحثها صدام حسين أثناء زيارته لموسكو في شباط عام 1972، والضغط السوفيتي على الأكراد لتوقيع الميثاق الوطني مع البعث العراقي والحزب الشيوعي العراقي....

"3 [............] قال ان هذه التطورات حاصرت الكورد في زاوية، إن وافقوا علىٓ الميثاق الوطني مع الحزب الشيوعي العراقي وحزب البعث، سيكون من المستحيل الفك منها فيما بعد، بالأخص مع حجم الدعم السوفيتي لحكومة البعث في بغداد. وإن رفض الكورد القبول، عليهم مواجهة توقعات تجدد القتال. وبينما كان السوفييت يضغطون على الكورد للانضمام، كان الإيرانيون يبذلون أقصى جهودهم لإقناع الكورد بعدم الإنضمام. طلب الإيرانيون من ادريس البارزاني إبن ملا مصطفى، أن يرسل لهم قائمة باحتياجاتهم الحالية من المعدات العسكرية والمادية. لقد تمت الموافقة الإيرانية على ذلك مبدئياً. لكن على أي حال، لا يثقون بإيران في تنفيذ وعودها.

"4 [..........] إستمر في كلامه وقال أن الكورد لم يعدو يفكروا في إطار كوردي بحت، إنما ناقشوا التطورات الأخيرة كمشكلة وطنية عراقية، إضافة الى ماينجم عن التوقيع المرتقب على الإتفاقية الإستراتيجية العراقية السوفيتية بالنسبة للمنطقة كلها. وفي محاولة لتناول المشكلة في محتواها الوطني، إتصل الأكراد بالمجموعات العربية اللاجئة في القاهرة، لكنهم لم يثقوا بهم [...............] إقترح لو [............] إقتنع بأنه إذا أتت اللحظة المناسبة، هو شخصياً عليه الاشتراك في تشكيل لجنة مشتركة عربية كوردية مقرها في كوردستان.، وسوف تتبنى شعار الثورة العراقية في الشمال. وعلى اللجنة ان تقيم صلات دولية مع العالم وثم تشكل حكومة وطنية في الشمال بعد إعداد القاعدة الدستورية لنظام جديد. ثم تدعوا الى تعاون الجيش العراقي وطرد البعث من بغداد. على اللجنة العربية الكوردية أن توضح لإيران أنه في الوقت الذي تقبل فيه المعونة العسكرية والمادية الإيرانية، فإنها لاتحبذ السيطرة الإيرانية أو تدخلها في الشؤون الداخلية العراقية. إن طول التجربة في

التعامل مع إيران لايترك مجالاً للشك من أنها تريد إقامة حكومة ضعيفة في بغداد وبقيادة زعماء غير مؤهلين مثل عبدالغني الراوي."

5. ...."

وتشير المذكرة الى زيد عثمان فتقول: "كان يدرك ان السياسة الغربية تجاه الكورد مبنية تقليدياً على عدم التدخل [....................] وتعهد ماذكره عثمان من: "ان الكورد لايصدقون إن القوى الأوروبية ستبقى لا مبالية عندما تكتشف أهمية التطورات التى يشهده العراق."

أراد المبعوث الكوردى [عثمان] وكان يحمل رسالة مكتوبة باللغة العربية من ملا مصطفى الى Rogers, William P تقديم مخططه عبر تحذير الغرب من تعزيز النفوذ السوفيتي في العراق والضغوط السوفيتية والبعثية على القيادة الكوردية للانضمام إلى الجبهة الوطنية العراقية. وما يشكل من خسارة بالنسبة للغرب وأمريكا فيذكر: ".............. علاوة يعتقد الأكراد ان السوفييت ينوون استخدام العراق لأغراض تخريبية ليس فقط في منطقة الخليج إنما ضد إيران وتركيا أيضاً. واستنتج عثمان قائلاً إن المخاطر كبيرة وفقط الولايات المتحدة الأمريكية بإمكانها وقف المدّ السوفيتي في العراق خلال دعم البارزاني إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.........."

وهناك مذكرة حوار بين T. J. Scotes الملحق المسؤول عن الشؤون الاردنية وزيد عثمان مبعوث ملا مصطفى. حصل الاجتماع في Hay-Adams Hotel, Washington D. C. مؤرخة في 3 /1972/4 وقد عقدت ثلاث اجتماعات على طلب زيد عثمان وكان ملخص الحديث: إثر زيارة صدام حسين لموسكو إزداد النفوذ السوفيتي في العراق بشكل كبير. السوفييت يضغطون على ملا مصطفى للإنضمام مع حزب البعث والشيوعي لحكومة جبهة وطنية كجزء من مساعي السوفييت تعزيز نفوذهم في العراق. ملا مصطفى لايرغب المساهمة في حكومة الجبهة الوطنية لأنه يعتبرها مؤامرة للقضاء على الحزب الديمقراطي الكوردستاني. يناشد ملا مصطفى حكومة الولايات المتحدة تقديم الدعم المالي والعسكري لتمكينه من تشكيل حكومة عراقية في المنفى مقرها كوردستان. ومؤلفة من الاكراد والعرب ومن خلالها العمل لقلب نظام البعث. والمساعدات يمكن تقديمها الى البارزاني مباشرة او غير مباشر خلال الملك حسين على سبيل المثال. وهذه المساعدة إن لم تصل في المستقبل القريب سوف لن يتمكن ملا مصطفى الوقوف بوجه الضغط السوفيتي والبعثي. وفي النهاية سيؤدى الى وقوع العراق تحت النفوذ السوفيتي. وهذا يشكل تهديداً لمصالح العالم الحرّ في الخليج الفارسي و تركيا وايران.

وفي مذكرة أخرى مؤرخة في 5/4/ 1972 بعثها Andrew I. Killgore حول المناشدة الكوردية للحصول على الدعم الأمريكي، ومعها ترجمة للمذكرة التي قدمها عثمان:

"ردّ فعلنا لهذه المناشدة منفي ومبني على نظرتنا (a) إن نظاماً يسيطر عليه البارزاني سيجد من الصعب البقاء في مواجهة ما ستكون عليه بلا شك المعارضة العربية الموحدة من داخل وخارج العراق. (b) لقد ترسخ النفوذ السوفيتي الإقتصادي في العراق الى حدود حتى لو نجح البارزاني في إنهاء النظام البعثي، لايبدو ان بمستطاعه كسر العلاقات مع موسكو الى في حالة إستعدادنا للتدخل الفوري وربما بمساعدات ضخمة. (c) إن دعم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لعملية إنقلاب وحيث إنها في أحسن الأحوال تبدو سيئة الإعداد، سيكون من الصعب إخفائها، لذا ستجازف حكومة الولايات المتحدة بوضع عراقيل إضافية في علاقاتها مع الدول العربية وذلك بسبب دعمها لحركة غير عربية تدعمها دول غير عربية [إيران وإسرائيل] ضد "العرب". (d) تسهيل مجيء حكومة في بغداد يؤيدها الأكراد قد يؤدى الى تقوية الطموحات الكوردية في إيران وتركيا، مما يخلق قلقاً على الأقل في تركيا ان لم نقل إيران. (e) أي تشجيع للأكراد سيمنح الطموحات القومية الكوردية قوة دفع أخرى، وهي طموحات تهدف الى إقامة دولة كوردستان المنفصلة، وستمثل خطوة تزيد من التردى في منطقة تتسم سلفاً بالإنقسامات.

من الصعب معرفة تفاصيل الإنزلاق الكلي نحو طهران وحلفائها والإبتعاد عن السوفييت بغياب أرشيفات كوردية ذات مصداقية، وما إذا كان قد دار نقاش في المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني. فرغم زعم وجود عناصر يسارية في المكتب السياسي، دارا توفيق، صالح اليوسفي ونوري شاويس ومحمد محمود عبدالرحمن (سامي) لايبدو ان لوزنهم كان تأثير على اختيار الزعامة الكوردية لطهران وحلفائها والابتعاد عن السوفييت. لكنني أميل الى أن هذا الإختيار جاء في مرحلة تعزيز التعاون بين موسكو وبغداد ومن ثم تشديد الضغوط للإنضمام الى الجبهة الوطنية والتي إقترحها السوفييت والبعث وانضمام الحزب الشيوعي اليه. فحسب المقترحات السوفيتية التي قدمها الوفد السوفيتي الى القيادة الكوردية، والتي أشرنا إليها سابقاً، تظهر رغبة موسكو في التوصل الى حلّ لجمع الكورد والبعثيين والشيوعيين، والطرف السوفيتي مستعد للإشتراك في العملية. كانت وجهة نظر السوفييت أن الحلقة المؤلفة من الثلاث ستكون محكمة ولن تتأثر بالمؤامرات الخارجية الغربية ضد توطيد وتطوير المصالح السوفيتية. ويشير يفجيني بريماكوف في كتابه الى انه في أخر زيارة لملا مصطفى في بداية عام 1973 وبعد ان انهى حديثه مع ملا مصطفى وغادر الأخير مع قافلة من الحراس، تهيأ يفجيني مع محمود عثمان للمغادرة لأخذ قسط

من النوم. حيث أفضى له محمود عثمان رأيه حول العلاقات مع بغداد: "طلب مني مباشرة السعي لإقناع ملا مصطفى لتخفيض سقف المطالب مع بغداد."[390] لكن حادث الإغتيال كان قد استفز ملا مصطفى الى حدود أفقدته القدرة على التفكير المتوازن لكي يبقي على خيارات أخرى غير الإبتعاد الكلي والنهائي مع حكومة بغداد. وأعتقد أن السوفييت شعروا بمخاوفه لذا قدموا ضمانات لسلامته الشخصية لكن دون جدوى.

لاريب كان من أحلام ملا مصطفى منذ الثلاثينات من القرن الماضي التقرب من البريطانيين والأمريكان. ولايكف عن إستغلال أية فرصة في هذا الإتجاه. ففي أرشيف لـ C.I.A مؤرخ في 1972/3/31. من مدير المخابرات المركزية ريتشارد هيلمز موجه الى مساعد الرئيس لشؤون الأمن القومي ووزيري الخارجية والدفاع. والمعلومات مستقاة من مصادر القيادة الكوردية بذكر:

"........................"

"توقع كوردي بإحتمال وصول بريجنيف أو كوسيجن في زيارة الى بغداد في شهر نيسان 1972.

1. حسب (........................) يعتقد القادة الكورد ان زيارة صدام حسين التكريتي. السكرتير العام لحزب البعث ونائب الرئيس في مجلس قيادة الثورة الى موسكو وسط شهر شباط 1972. دشنت مرحلة جديدة من التعاون بين الإتحاد السوفيتي وحزب البعث الحاكم في بغداد. الممثلين الكورد في بغداد أرسلوا تقارير حول ملاحظات إيجابية لضابط متقدم عن توقيع إتفاق في موسكو من أجل التزود بمساعدات عسكرية خلال زيارة صدام حسين. وتتضمن تجهيزات أكثر للألغام البحرية. قوارب التوربيدو. دبابات. ووعد بتزويد طائرات MIG-23. (تعليق المحطة: المصدر لم يشر الى نوع الطائرة التي وعد السوفييت تزويدها. فالعرب غالباً يستخدمون MIG-23 عندما يشيرون الى طائرة Foxbat .)

2. والكورد على علم بأن الضباط السوفييت يعملون كمستشارين في إنشاء نظام دفاعي لصواريخ SAM في قاعدة الشعيبة. والأكثر أهمية في الرأي الكوردي. هو العرض الذي قدمه صدام حسين للإتحاد السوفييتي لتأميم جميع المنشآت

[390] Russia And The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York.2009. P: 336

النفطية الأجنبية في العراق ودعوة القادة السوفييت زيارة بغداد، والتي قبلها الطرف السوفيتي مبدئياً. وفهم الكورد ان زيارة السكرتير العام للحزب الشيوعي للإتحاد السوفيتي ليونيد بريجنيف أو رئيس الوزراء الكمي كوسيجن قد تحصل في شهر نيسان 1972، حيث أثنائها سيوقع الطرف العراقي مع الإتحاد السوفيتي معاهدة صداقة على شاكلة معاهدة الصداقة السوفيتية المصرية الموقعة في مايس 1971.

3. الشرط الوحيد الذي أصر عليه الإتحاد السوفيتي للدعم الكامل لحكومة البعث في بغداد كان التوقيع على الميثاق الوطني من قبل حزب البعث العراقي والشيوعيون والحزب الديمقراطي الكوردستاني كما سيعقب التوقيع على الميثاق الوطني تشكيل وزارة أخرى تتضمن وزراء شيوعيين الى جنب الوزراء الكورد.

4. قام وفد سوفيتي بالضغط المباشر على الأكراد أثناء زيارة الوفد الى كوردستان في شباط 1972 وبقي هناك ليلة واحدة، وضم الوفد عضو مناوب من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي وممثلين عن السفارة السوفيتية في بغداد، ضمنهم ضابط في الإستخبارات. (تعليق المحطة: أفادت تقارير أخرى بان هذا الممثل عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي هو V. P. Rumyantsev ، رئيس الشعبة العربية للشرق الأوسط في القسم الدولي من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي للإتحاد السوفيتي (لكنه ليس عضو مرشح للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي). خلال النقاش مع الوفد السوفيتي هاجم زعيم الحزب الديمقراطي الكوردستاني ملا مصطفى البارزاني سجل صدام حسين التكريتي والحكومة البعثية بقوة. وأوضح للزوار السوفييت التجربة الكوردية في التعامل مع البعث. وأشار البارزاني الى أن الأكراد طوروا علاقات جيدة مع إيران وينوون الإحتفاظ بها. وردّ الزوار السوفييت ان على الأكراد تقليص الإعتماد على إيران عند نشوء الثقة تدريجياً بالبعث، بعد التوقيع على الميثاق الوطني. وعرضوا إرسال ضابط إرتباط سوفيتي للبقاء بشكل دائم في مقرّ البارزاني وأيضاً لضمان سلامة البارزاني.

5. وبعد مغادرة الوفد السوفيتي، أستدعي الممثلون الكورد من بغداد الى الشمال، ضمنهم محمد محمود عبدالرحمن (كاكه سامي) وزير الدولة صالح اليوسفي، نوري شاويس (من أنصار موسكو) دارا توفيق (شيوعي) مدير البلديات إحسان

شيرزاد ووزير الزراعة نافذ جلال. ومن ضمن هؤلاء جميعاً، فقط سامي يحظى بثقة المجموعة الحاكمة حول البارزاني: ولديه إدريس ومسعود بارزاني، دكتور محمود عثمان وحبيب محمد كريم. أكراد بغداد نصحوا من أن البعث يمنح الكثير وان للكورد أخطائهم، بالأخص اعتمادهم على إيران. وأقترحوا ان البعث يرغب بإخلاص التفاوض بشأن الميثاق الوطني. كان ردّ البارزاني مجدداً هجوماً عنيفاً ضد البعث ورفض الإستماع الى حججهم. لكن على أي حال تشكلت لجنة من صالح اليوسفي، دارا توفيق ومحمد محمود عبدالرحمن للتفاوض مع البعث. وقدم للجنة توصية فورية لكي تطلب أصعب الشروط في المفاوضات مع البعث بهدف كسب الوقت، وافشال اتفاق سريع ولكي يكون للأكراد الوقت لدراسة الوضع. هذه الشروط تضمنت:

A. حكم ذاتي للمناطق الكوردية فوراً كما نصت عليه إتفاقية 11 أذارلعام 1970.

B. إعتبار مناطق كركوك تابعة للأكراد و

C. الطلب بحصة 2 على 5 من واردات العراق للمناطق الكوردية، أي نسبة الى عدد سكان الأكراد.

6. يعرف الزعماء الكورد جيداً بأن البعث لن يقبل بتلك الشروط لكنهم يخشون لأهداف تكتيكية أن يقترحوا التوقيع على إتفاق بهدف دمج الأكراد، وفيما بعد يتفادون تطبيق ما إتفق عليه من شروط. ويعتقد الأكراد من أن البعث سوف يستغل كل فرصة للقيام بالتآمر عليهم، شراء ذمم أولئك الكورد ذوي الولاءات الضعيفة وسيحاول عزل واضعاف البارزاني بهدف إغتياله أو محاربته عندما يضعف بصورة كافية. البارزاني متردد في إتخاذ قرار للتحرك ضد البعث علناً لخشيته من معاداة السوفييت له. وقد ذكر السوفييت بوضوح أنهم سيعارضون العناصر التي تعمل ضد البعث. يعتقد البارزاني ان المساعدة القليلة من إيران خلال الشهورالحالية تجعل القتال أمراً مستحيلاً في الوقت الحاضر.

7. ولو أمكن تشكيل حكومة عراقية في المنفى تضم الأكراد والعرب مقرها في الشمال، مدعومة من مجموعات في الخارج، يكون هناك أمل جيد للقضاء على البعث. وان لم تتوفر المساعدة، يعتقد الكورد إن تزايد الإرادة السوفيتية لدعم البعث سيضعف قدراتهم في تبني موقف مستقل وسيفتح الطريق أمام سيطرة البعث على جميع المناطق في العراق.

نسخة الى السكرتير المساعد للشرق الأدنى وشؤون جنوب أسيا."[391]

من الخطأ الاستراتيجي فسخ الروابط مع السوفييت في وقت لم تكن هناك ضمانات غربية. فوسيلة القيادة الكوردية في التقرب من إيران والمعسكر الغربي كانت معاداة الشيوعية الى حد قتل الشيوعيين دون أي مبرر عدى الهدف المخفى في تصورها. وهو أن ذلك يقنع الغرب وبالأخص أمريكا بدعم الزعامة الكوردية. لقد خدم هذا الموقف صدام حسين وشاه إيران معاً. وعندما عبرت الزعامة الكوردية الى الطرف الأخر من المعبر حيث الشاه وحلفائه وعدم الإبقاء على خط رجعة. مال الإتحاد السوفيتي الى بغداد بشكل تام بعد ان يأس من موقف القيادة الكوردية.[392]

إحدى وسائل التقرب من شاه إيران كان ضرب الحركة التحررية الكوردية في كوردستان إيران. فلكي يقدم الشاه المزيد من العون. قتلت الزعامة الكوردية سليمان معيني، عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني -إيران. وسلمت السافاك جثته. وبعد توثيق الروابط أكثر مع إيران جاء دور أحمد توفيق، سكرتير (حدك) -إيران طلبت إيران من ملا مصطفى تسليمه. فنفي الى مناطق برواري في بادينان، وجمد نشاط حدك - إيران. وهنا كشاهد أذكر الحادث التاريخي التالي: حلّ أحمد توفيق ضيفاً مع مرافقيه في ريزان حيث نسكن. كعادته لم تفارقه الإبتسامة رغم صعوبة الظروف. جاء من منفاه في برواري. وبقي لبلتين عندنا. وكان الهدف زيارة والدي وإعلامه بما يحصل له من مضايقات. فتطرق الى مقتل سليمان معيني وتسليم قيادة (حدك) جثته الى السافاك الإيراني، والأخير وضع جسده على عربة مكشوفة. تجولت في شوارع مدن كوردية ليراها عامة الناس، وأعلن السافاك للسكان الكورد أن ملا مصطفى سلمهم الجثة. ثم تابع يقول لوالدي، قد يسلمونني أنا أيضاً للسافاك الإيراني، فهناك مضايقات كثيرة ضدي في برواري أشعر بها يومياً، لكن جئت اليك لغرض واحد. أرجو أن تقول للملا مصطفى: "إنني أقبل تسليمي الى السافاك الإيراني لكن بشرط مقابل الحصول على عشرة دبابة إيرانية تسلم للحركة الكوردية، أعتقد أنا أساوي عشرة دبابات. في هذه الحالة هو حرّ وأنا أقبل بالتسليم." ذهل والدي من هذا القول، وذكر له ليس هذا من شيمتنا، وردّ عليه أحمد توفيق: أعرف ذلك، لكن سليمان معيني مثال على هذا الواقع الجديد. وعده والدي بأنني

---

[391] CSDB-312/01481-72

[392] حسب علمي كان صالح اليوسفي الوحيد التي عارض مثل هذا التوجه. لكنه لم يجد أخرين من أعضاء المكتب السياسي يدعمون موقفه. وقد اطلعني إبنه (لاوين) على ما كتبه والده عن هذا الموضوع في لندن عام 1996 (المؤلف).

لن أقبل تسليمك مهما كلف الأمر. عاد بعد ذلك أحمد توفيق الى منفاه في برواري. لكن بسبب المضايقات والقلق الدائم، ترك منفاه خلسة وذهب الى بغداد طالباً اللجوء السياسي. والتقيت به آخر مرة في بغداد بعد بيان آذار عام 1970. قضى عليه نظام البعث بعد إعلان بيان آذار بحوالي سنتين. إستخدم شاه إيران بنجاح القيادة الكوردية للحزب الديمقراطي الكوردستاني – عراق- لهدم العلاقات الإستراتيجية الكوردستانية وضرب الحركة التحررية الكوردية في إيران.

في 31 مايس 1972 أي بحوالي 35 يوماً قبل سفر الدكتور محمود عثمان وادريس إلى واشنطن للقاء ريتشارد هيلمز، قدم مكتب المخابرات والدراسات للشرق الأدنى وجنوبي آسيا[393] تقريراً بعنوان: أكراد العراق: احتمالات تجدد التمرد؟ كان لها رأي واضح عن القيادة الكوردية: " ملا مصطفى يتمتع بالملكية الضرورية لتوحيد العديد من القبائل في قوة عسكرية شبه منظمة، ناهض في البداية العراق الملكي في الأربعينات، وطرد من العراق إلى إيران وثم إلى الاتحاد السوفيتي حيث عاش فيها 11 عاماً وتعلم أن لا يثق بالسوفيت. عاد الى العراق بوقت قصير بعد ثورة عام 1958. وفي عام 1961 تمكن من أن يصبح زعيماً بلا منازع ضمن القبائل الكوردية. وقاد حرب عصابات أسهمت في عمليات تغيير النظام. وخلال القتال الشديد الذي دام أربع سنوات، تلقت قوات ملا مصطفى المساعدات والتجهيزات من إيران و يشك العراقيون من انه تلقى المساعدات من دول أخرى تصله عبر إيران. كانت إيران تنوى من خلال هذه المساعدات إضعاف نفوذ جمال عبدالناصر في بلد مجاور ضعيف، وأيضا للحيلولة دون حصول انتشار مشاكل بين أكراد إيران أنفسهم." في هذا التقرير هناك منحى في ربط قيادة ملا مصطفى بالعنصر القبلي.

ويمضي نفس التقرير إلى أن ملا مصطفى: "مدرك أن الحكومة، وأيضا يعتقد أن السوفيت كذلك، كانوا وراء محاولات اغتياله واغتيال ابنه الأكبر إدريس في الصيف المنصرم كما انه وبشكل تام لا يثق بالأطراف الأخرى للتحالف معهم حيث أقترح عليه.........[394]"

"وتوجد عناصر إصلاحية ويسارية شابة ضمن الكورد. جلال طالباني هو الناطق باسمهم، وهو يمنح ولائه للبارزاني وقت الحرب لكنه يعارض برنامجه وقت السلم. ونفوذه

---

[393] Bureau of Intelligence and Research (INR) Near East and South Asia. The Kurds Of Iraq: Renewed Insurgency? May 31, 1972

[394] لا أعتقد أن السوفيت كانوا وراء محاولة الاغتيالين. فمصالح السوفيت كانت تقتضي الاستقرار في كوردستان والعراق. تعليق من المؤلف.

أقل بكثير من نفوذ البارزاني (ولا تأثير له ضمن العناصر شبه الإقطاعية من القبليين). انه يقدم نوعاً من القيادة تفضل الحكومة و (السوفييت) بنائها على حساب البارزاني. ان لم يحارب البارزاني فقد تتعرض زعامته الشخصية إلى الزوال التدريجي خلال مثل هذه التكتيكات. كما إن الوقت ليس في صالحه (يبلغ 69 عاماً من العمر لكنه لازال قويا) وان أتباعه الذين أنهكتهم الحرب قد يحجمون عن استخدام السلاح مرة أخرى بعد فترة قصيرة جداً من تمتعهم بالراحة بعد سنوات من النضال في الستينات........"

ونفس التقرير يشير إلى منحى هام بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فيما يخص شخصية ملا مصطفى: "بارزاني أقوى من أية شخصية من أبناء هذا الجيل. وقد منع بشكل صارم أعمال التحريض السياسي أو تنظيم الأكراد في البلدان المجاورة. إن الزعامة اليسارية الشابة والتي يمكن أن تخلفه قد لا تكون حذرة مثله. وإذا ما تورط السوفييت مباشرة في الشؤون الكوردية فسيجدون وضعاً سياسياً صعباً. لكن أيضاً سيكون في حوزتهم وسيلة للضغط على إيران، وعلى نطاق أضيق ضد تركيا. هذا إذا ما اختاروا استخدامه.

ويمضي التقرير إلى القول: "وفي أسوأ الاحتمالات عند تجدد القتال، قد يطرد ملا مصطفى وأتباعه من العراق. أو يجابهوا صراعاً مرهقاً أكثر تكلفة مما كان في السابق. وفي أحسن الأحوال، فإن ما سيناله قد لا يتجاوز مما حققه من قبل، وهو الحفاظ على شمالي منطقته الجبلية المحدودة.

في الوقت نفسه، فإن تمرداً طويل الأمد قد يسقط حكومة البعث التي لا تحظى بالشعبية. لكن من المؤكد أن الأكراد لا يستطيعون تحديد طابع النظام الذي سيخلف النظام الحالي. والمنفيين العراقيين حيث يخططون معهم حسب التقارير. فعلى ضوء أدائهم في الماضي، لا يبدو أن لهم القدرة في تشكيل حكومة مستقرة قادرة على البقاء.

وسوف لن يتمكنوا من القضاء على المصالح السوفيتية، لان الجهاز العسكري العراقي برمته والكثير من خطط التنمية تعتمد على المساعدات السوفييتية......"

بالتأكيد لو سيطرت زمرة مناصرة للبعث أو للسوفييت على كوردستان العراق، ستتمكن من ممارسة الضغط على إيران وحتى إيجاد مصدر إزعاج في شرقي تركيا. في

الحقيقة يبدو أن هذا هو دافع الحكومة العراقية. وليس السوفييت. من وراء دفع الأمور في كوردستان نحو الواجهة.

ويفيد التقرير: "وبما أن السوفييت بنوا علاقات أفضل مع إيران. واستثمروا الكثير مع الحكومة العراقية. فإنهم لا يريدون رؤية الكورد وقد أثاروا المشاكل في أي من الاتجاهين. سوف يجهدون من خلال مزيج من الضغط والرشوة على حث الأكراد على الاستقرار والانسجام مع المخطط العراقي.

وبالنسبة لما ورد في التقرير فانه من المؤكد انه في حالة تجدد القتال. فأن السوفييت سيجدون أنفسهم مرغمين على الأكثر على الوقوف إلى جانب الحكومة وتقديم المشورة والمساعدة لها وان كان في ذلك مجازفة إلحاق الضرر بعلاقاتهم مع إيران..."[395]

[395] Bureau of Intelligence and Research (INR) Near East and South Asia. The Kurds Of Iraq: Renewed Insurgency? May 31, 1972

الـ C.I.A من الرفض الى التداول
(اصطفاف سياسي جديد)

"الزعماء السوفيت يضعون
الإعتبارات الأمنية فوق الشيوعية"
رتشارد نكسون لشاه إيران 1972/5/30

كان من المقرر ان يلتقي الرئيس نكسون بالشاه في 30 – 31 أيار عام 1972 بعد ختام زيارته لموسكو. وبهذه المناسبة قدم هنري كيسنجر مذكرة الى نكسون بـ 12 يوم قبل موعد اللقاء مع الشاه، بعنوان (مناقشاتكم مع شاه ايران في أيار 30-31) هذه المذكرة المفصلة تحتوى على النقاط التي ينبغي للرئيس الامريكي بحثها، تحتوى على المواضيع التالية: الخلفية والأهداف. إهتمامات الشاه المحددة. ماذا نريد من الزيارة. يقول كيسنجر لرئيسه: "الغرض الرئيسي من المناقشة مع الشاه هو(a) التأكد من فهمه لإستراتيجيتكم العالمية و(b) تشجيع مساعيه لتقوية تعاون إقليمي بين الدول الراغبة في مقاومة الضغوط السوفيتية في الشرق الأوسط. هذه المذكرة خالية من ذكر الكورد تماماً. ويظهر ان الأمريكيين لم يهتموا بنداءات الطرف الكوردي ولا بمحاولات السافاك الإيراني في مساعدة الحركة الكوردية قبل زيارة نكسون لطهران ولقائه بالشاه.

ويبدو أن الشاه تناول لأول مرة الورقة الكوردية مع الرئيس الأمريكي نكسون، أثناء الإجتماع الذي حصل في بلاط سعد أباد بطهران، بتاريخ 1972/5/30 حيث دام الإجتماع من الساعة pm5:35 - pm6:35 مساءً. وكان الحضور: الشاه، نكسون وكيسنجر. هنأ الشاه الرئيس الأمريكي بنجاح سياسته الخارجية في قمة إجتماع موسكو، وان حلفائنا يشعرون بالإرتياح. لكنه أعرب عن قلقه فيما يخص الشرق الأوسط.

نكسون شكره للترحيب الحار، ثم تناول ماجرى في قمة موسكو، "فذهابنا الى الصين جعل الرحلة الى موسكو ممكنة. كما ان اتخاذ إجراءات قوية في فيتنام (على شاكلة إجراءات 8 مايس) لم تلغي قمة موسكو. لم يكن هناك مايدعو الى النشوة او الإفتراض بأن الزعماء السوفيت تخلوا عن أهدافهم البعيدة المدى. الذي أقنعنا هو السلوك السوفيتي في عام 1971 في أزمة الهند وباكستان. الزعماء السوفيت يضعون الإعتبارات الأمنية فوق الشيوعية. كانت أوروبا في ذهنهم وبالتأكيد الصين. كانوا يسعون الى تطويق الشرق الأوسط."

وتابع الرئيس. الولايات المتحدة تتحرك على قاعدة التقدم خطوة إثر خطوة. توصلنا الى إتفاقات أينما وجدنا مصلحة مشتركة. وأبلغ نكسون بريجنيف. سوف نرى ما سيحصل في الهند الصينية. وقال له ان المجابهة مع الولايات المتحدة تبدو أكثر إحتمالاً في الشرق الأوسط. المكتب السياسي يريد علاقات أفضل معنا. ومن جانبنا نريد أيضاً علاقات أفضل معهم. لكننا أكدنا على الحيلولة دون تحول الأزمات الصغيرة الى أزمات كبيرة.

واننا نقدر دور الشاه في جنوب أسيا. أردف الرئيس. رأيه الشخصي انه إذا ما إستحوذت الهند بالأسلحة السوفيتية على غرب باكستان. ستجد دول اخرى نفسها في خطر.. ليست من طرف الهند. لأنها تفتقد الى القدرة. لكن من قبل السوفييت. وجئنا لإيران. لكي ترمز هذه الزيارة دعمنا القوي لأصدقائنا. سوف لن نتخلى عن أصدقائنا.
ثم سأل الرئيس من الدكتور كيسنجر فيما إذا كان لديه شئ يضيفه.

الدكتور كيسنجر لخص الاستراتيجية السوفيتية المتمثلة في الإنتقائية في سياسة الوفاق. إنهم يتوصلون الى حلٍ في بعض الأمور مع بعض الخصوم من أجل عزل آخرين. بالأخص الصينيين. علينا ان نكون حذرين. فمن المهم ان تلتزم القوى العظمى بمبدأ ضبط النفس. وهذا ما أوضحناه للسوفييت.

عبرّ الشاه عن موافقته وأن سياسة المجابهة مستحيلة. هناك عدد من المناطق الرئيسية. شدد الشاه. والتي لايمكن تجاهلها.. مثل أوروبا والشرق الأوسط. وقدم الشاه أرقاماً تشير الى مدى إعتماد أوروبا واليابان على بترول الشرق الأوسط. بترول ليبيا سينتهي خلال عقد ونيف. على الولايات المتحدة ان تتزود أكثر فأكثر من نفط الشرق الأوسط. لن نسمح بوضع يؤدي الى عزلتنا. مصدق المجنون قام بذلك. الرئيس الأمريكي علق على ذلك: كان أحمقاً. وافقه الشاه.

في العام الماضي. بعد شهرين من التوقيع على الإتفاقية مع السوفييت هاجم الهنود. والسوفييت لم يحاولوا تقييد زبونهم.. "لن نتخلى نحن عن بلادنا. سندافع عن أرضنا شبراً شبراً. عليهم ان يقاتلوا بكل ما لديهم من قدرات.

ثم سأل الرئيس الشاه فيما اذا كان حلفائنا متخوفون من اجتماع القمة. كلا عندما يكون لك حلفاء حقيقيون. أجاب الشاه. الحلفاء اللذين يعتمدون على أنفسهم يرحبون بها. لكن عندما يعتمدون على مبدأ القتال حتى أخر أمريكي سوف لن يرحبوا بها. إيران مثل

إسرائيل. عليها الوقوف لوحدها. ولهذا يأمل الشاه بعدد أكبر من خبراء عسكريين أمريكيين كذالك ترغب إيران في الحصول على أكثر الأسلحة تطوراً. فنحن لانريد وضعاً حيث تقطع الولايات المتحدة السلاح لأي دولة زبونة للإتحاد السوفيتي. وكان متخوفاً من أن السوفييت سيشكلون ائتلافا من الكورد والبعثيين والشيوعيين. والمشكلة الكوردية بدل أن تكون شوكة في ظهرهم ممكن أن تتحول الى رصيد لصالح الشيوعيين.

وسأل الدكتور كيسنجر عما يمكن عمله. فتركيا تحتاج الى تعزيز قدراتها. أجاب الشاه. يمكن أن تساعد إيران في الشأن الكوردي.

وسأل الرئيس. ماذا عن اليونان. أجاب الشاه ان الملك إنسان طيب لكنه ساذج. لقد كان قلقاً بسبب باباندرو. فحكم الجنرالات يجب ان يدعم. والملك يمكنه البقاء إذا مالزم الصمت.

ثم سأل الرئيس عن الوضع في أفغانستان. ردّ الشاه ان ملك أفغانستان كسول. وهناك ضغوط في غرب باكستان. بشتونستان وبلوجستان. الهدف منه تطويق إيران ومنع الإتحاد السوفيتي ممر الى البحر. الشاه حذّر بحيى من غبانه. لكنه لم يقبل هذا التعدي الصارخ.

ثم ناقش الرئيس الظروف التي من خلالها يمكن تقديم المساعدات الإقتصادية للهند. أشار الشاه. لو تمكنا من منع بعض المساعدة للهند لإنقاذ باكستان. فذلك حسن. لكن المشكلة الرئيسية هي إنقاذ غرب باكستان. وافق الرئيس على صحة توجه الشاه. واقترح مواصلة النقاش حول ذلك في الغد. يمكن ان تنوب إيران عن باكستان. إقترح الشاه. ونوه الدكتور كيسنجر ان ذلك يستوجب إعادة برنامج تسليح باكستان لجعلها مؤهلة للنقل من إيران الى دولة ثالثة. وافق الرئيس. يجب ان نقوم بذلك. وعلى عكس ذلك. هو القفز على باكستان. وأشار الشاه الى انه يعرض كل شيئ على أفغانستان.

ثم قال الرئيس انه راغب في تناول موضوع توظيف الأسطول الأمريكي في الخليج الفارسي. وذكر الشاه انه يريد إبعاد القوى العظمى عن الخليج بعد مغادرة البريطانيين ولهذا عبّر عن قلقه حيال القوة البحرية الأمريكية الصغيرة. لكن بعد الإتفاق الهندي السوفيتي هناك شيئ يجب ان يقال من أجل إظهار العَلَم هناك. وفي كل الأحوال إيران هو

البلد الوحيد القادر على التعامل مع أي وضع كان، دون مساعدة خارجية. سوف يدرس الموضوع.[396]

وفي اليوم الثاني 1972/5/31 حصل إجتماع أخر في بلاط سعد أباد صباحاً في الساعة 10 :30 الى 12:00، وضم كالعادة الشاه، الرئيس الأمريكي وكيسنجر. إن لقاء الشاه بضيفيه دون إشراك أي من وزرائه، في إجتماع الأمس واليوم، مؤشر على سلطته المطلقة في كل مايخص العلاقات الخارجية. وفي هذا الإجتماع "تطرق الشاه الى الإرهاب والضغوط التي يواجهها من قوى اليسار، وهناك ضغط عليه من براند (Brandt). وزعم أن المشاكل تأتي من بغداد أو على الأقل بغداد هي المستفيدة. هناك أخطار تظهر في عُمان، حيث المتمردون مدعومون كلية من الشيوعيين. وهناك مخاطر على السعوديين، والنظام رجعي كثيراً ولايوجد ميل للإصلاح. لدى الملك جيش بدوي لمجابهة جيش نظامي.

وبعد انحراف قصير عن المناقشة تناول طراز الفن المعماري الإيراني للأضرحة، عاد الشاه الى موضوع السعودية. كان مقتنعاً من أن السعودية لن تكون بمنأى من قبل المصريين حال تسوية المشكلة الإسرائيلية. لديهم عقدة التفوق لكنهم مقاتلون رديئون. إقترح رئيس الـ C.I.A، قسم السعودية، على حكومة الولايات المتحدة ومن خلال الشاه العمل على تشكيل تجمع يضم السعودية .إيران ومصر لمواجهة الشيوعية. أخبر الشاه عُمان انه سيلبي اي طلب منهم من أجل هزيمة المتمردين. سيناقش مع البريطانيين مواضيع المحيط الهندي و إمكانية إجراء مناورات مشتركة في الخليج الفارسي.

شدد الشاه على أهمية تحقيق بعض النجاح في مسار تسوية عربية – إسرائيلية. وأعترف بتفهم إهتمام إسرائيل بأمنها بعد خوض ثلاث حروب من أجلها. لكن مع هذا في رأيه أن الإسرائيليين حرونين كثيراً. ومن ناحية أخرى العرب غير ناضجين، كثيري الصخب ودائماً يدوسون على حقوق الآخرين.

وتابع الشاه، فيما يخص إيران، إن الخليج الفارسي هو المفتاح. أقامت إيران علاقات مع أثيوبيا وجنوب أفريقيا وذلك للتأكد من وجود سياسة مشتركة في المحيط الهندي. وستتعامل إيران مع استراليا لهذا الغرض. تركيا عنصر أساسي في هذه الإستراتيجية.

---

[396] Memorandum of Conversation. E. O. 12958.

وستكون كارثة كبيرة إذا ما إنهارت تركيبتها الداخلية. لكنهم قد يتجاوزوا ذلك. وقاموا حديثاً بحملة ضد المخربين وأعتقلوا 2000 أخرين.

ثم يتابع الجانبان الحوار فيتناولان مواضيع عالمية، الصين، والصراع العربي الإسرائيلي، هناك جسر جوي بين موسكو والقاهرة للتزود بالسلاح السوفيتي. نكسون يقول للشاه إنه متأثر بعدد الطلاب الإيرانيين الذين يدرسون في الولايات المتحدة، وتسائل عن احتمال تحولهم الى مخربين. هل طلابكم يشكلون خطراً؟ وهل يمكنكم عمل شيئ؟ أشار الشاه الى أن سلك الجيش لايعاني من مشاكل، لكنه يريد المزيد من مستشارين تكنيكيين عسكريين......الخ

لاشك في عام 1972، كانت إيران متخوفة من الأحداث في العراق. ولم يكن لدى الشاه وسائل ضغط على حكومة البعث غير الطرف الكوردي المجسد في شخص ملا مصطفى وبإعتراف الشاه وجهاز أمنه السافاك. لذا سعت إيران بكل الوسائل إبقاء الورقة الكوردية نشطة وفي يدها، هنا لبّ اللعبة التي لعبها الشاه، فلكي يهدأ مخاوف الطرف الكوردي ومنعه من التفاهم مع بغداد، فتح الشاه نقباً صغيراً في باب العلاقة مع ال (C.I.A) ليس له أهمية في مجرى الصراع بين الحركة الكوردية وحكومة البعث. أما الطرف الكوردي فلم يتمكن من إستغلال حاجة إيران وإسرائيل لتقوية قاعدة الحركة الكوردية داخلياً في وجه حكومة بغداد، كانت مدارك وتصورات القيادة الكوردية محدودة في فهم العلاقات الدولية، وبطغى على موقفها الجانب الشخصي – نظرة سياسية قصيرة المدى - ولم يكن بين قيادتها أشخاص بعيدى النظر. وحتى السياسة الخارجية التي بدت أكثر تطوراً من النظرة القبلية لرئيس (حدك) كان مهندسها هو الدكتور محمود عثمان لكنه لم يكن صانع قرار، وكما شاهدنا إحتفظ الأمريكان بسرية هذه العلاقة فأقتصرت على وكالة المخابرات المركزية ودون علم الكونغرس.

وفي أرشيف أمريكي بعد 11 يوم من إنتهاء زيارة نكسون لطهران أي بالتحديد في 1972/6/12، عنوان الموضوع "خلفية الجهود الحالية للزعيم الكوردي البارزاني لنيل الدعم الأمريكي" والمذكرة موجهة لمدير وكالة المخابرات المركزية، خلال نائب المدير العامل لوضع الخطط. جاء فيها:

"مايلي غرضه اعلامكم بالخلفيات فيما يخص الاجتماع المقبل لكم والجنرال هيگ مع ممثلي الزعيم الكوردي ملا مصطفى. واعدت نسخة مطبوعة من هذه الى الجنرال هيگ.

.

.

الوضع الكوردي باختصار

2. إن تطور العلاقات باستمرار بين السوفييت وحكومة البعث في العراق، وما صاحب ذلك من ضغوط سوفيتية وبعثية لإقناع الكورد بالانضمام الى حكومة الوحدة الوطنية في بغداد، زودت الأكراد بذريعة انه من دون مساعدة مالية من بعض المصادر لدفع رواتب القوات الكوردية العائدة للبارزاني، البيشمركه ، إضافة للدعم الغربي، بالأخص "الدعم المعنوي" للولايات المتحدة الأمريكية لمقاومة الحكومة البعثية المدعومة من قبل السوفييت، قد يجد أكراد العراق أنفسهم مرغمين على القبول بنوع من التفاهم مع خصومهم.

3. شاه إيران قلق من وقوع العراق بشكل مطرد تحت النفوذ السوفيتي وما يترتب على ذلك من مساس بالأمن الإيراني والمصالح الايرانية والغربية في الخليج الفارسي. ولهذا يتوخى إيجاد السبل لتقليل النفوذ السوفيتي على الجناح الإيراني وبهذا الخصوص يعتقد انه من الأفضل ان يبقى البارزاني قادراً بما فيه الكفاية لديمومة مقاومة النظام البعثي في بغداد.

4. مبدئياً وبسبب العوامل المذكورة، قام البارزاني والسافاك الايراني نيابة عن الشاه، بتكثيف جهودهما للحصول على الدعم الغربي، بالأخص الدعم المعنوي من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا مقابل الدعم السوفيتي للبعثيين. وعلى رغم أن ملا مصطفى يدعي انه سيحتفظ بسرّية أي التزام معنوي من جانب الولايات المتحدة، الا ان فائدة مثل هذا الالتزام ستكون قليلة الشأن إن لم يتمكن من استغلالها لكسب الدعم. وهذا يعني انه سوف يكشفها.

5. هناك أساس عملي في الرغبة الكوردية للحصول على الدعم المالي. فالمساعدات التي ضمنتها حكومة بغداد بعد إنتهاء الحرب الاهلية عام 1970 توقفت حديثاً [..........] والمساعدات الايرانية المقدمة الى البارزاني قبل نهاية تلك الحرب، تقلصت الى حدٍ كبير عندما وصلت المساعدات من البعثيين. ونتيجة ذلك، في بضعة أشهر الأخيرة، إضطر البارزاني الى تقليص حاد في الرواتب لقواته وترك العديد الخدمة. نعتقد أن البارزاني يحتاج الى 2000.000، 7 $ سنوياً لتسديد الرواتب لقواته البالغة 000، 15 جندي كما يدعي. وقد إقترح زيادة عدد قواته الى 000، 50 رجل، وهذا يجعل تمويلهم يصل الى حوالي 000، 000، 24 $ سنوياً. إضافة الى التجهيزات والأسلحة.".

هذه المذكرة الأمريكية رغم رفع الحظر عليها، الا أن نقاط [10 ، 11 ، 12، و 13] مشطوبة كاملة وتخفي أموراً هامة، وفقرات أخرى بقيت قيد الحظر. لكن في النقطة رقم 9 ، يبدو ان الشاه طلب اللقاء بملا مصطفى سواء بـ William Rogers أو بكيسنجر أثناء

زيارتهم لطهران وهما برفقة الرئيس نكسون. "لكن هذا الاقتراح رفض بذريعة ضيق الوقت. وفيما بعد طلب الشاه خلال [.............] أن يلتقي كيسنجر وأنتم – يعني مدير المخابرات المركزية -. إستقبال ممثلين عن البارزاني. وطلب الشاه من الدكتور كيسنجر ومنكم عن رأيكما عن هذا الاجتماع. وأرسلت رسالة الى الشاه مفادها انكم والجنرال هيگ ستستقبلون ممثلي البارزاني إذا ما أتوا الى واشنطن".

حرص الشاه على منع التفاهم بين قيادة الحركة الكوردية مع نظام بغداد وقد نجح في ذلك. ومن جانب القيادة الكوردية فإنها لم تكن قادرة على الإستفادة من العلاقة مع واشنطن. طهران وتل أبيب الى لحدود معينة. فقد بقي مفتاح العلاقة بيد الشاه. ونعيد القول انه لم يكن لدى القيادة الكوردية مشروعاً استراتيجياً للبقاء في حالة قطع المساعدات الخارجية عن الحركة. وأهملت تجنيد وتطوير مواردها الذاتية بحيث أقامت كل وجودها على السند الخارجي المهزوز.

وفي أرشيف آخر مؤرخ في 1972/6/7 بعنوان "رسالة من الشاه حول الأكراد". قدمها هارولد ساندرز عضو مجلس الأمن القومي الى الدكتور هنري كيسنجر خلال ديك هيلمز:

(.................)

"يعتقد الشاه بضرورو التكلم شخصياً مع إثنين من ممثلي ملا مصطفى البارزاني اللذان سيسافران الى الولايات المتحدة قريباً. وبعد دراسة مشكلتهما، يرغب الشاه ان تشاطروه حول ماتولد لديكم من أراء بشأن المناقشة. عند الأخذ في الإعتبار السياسة العراقية الحالية، يعتقد الشاه بوجوب حماية الأكراد من التأثير الشيوعي والحيلولة دون السير وفق خطط الحكومة العراقية."

(...............................)

"الموضوع هو عند لقائكم بالممثلين قد يطلبون منكم دعم الولايات المتحدة. وإن قررنا مساعدتهم، أرى من الأفضل أن لاينكشف دورنا."

وثم يشير الأرشيف الى الحجج الرئيسية التي تستدعي مساعدتهم:

"تشجيعهم لكي يبقوا مصدر عدم إستقرار في العراق. إحباط الجهود السوفيتية في تعزيز حكومة الوحدة الوطنية كقاعدة ملائمة للنفوذ السوفيتي.

"الإيرانيون والاردنيون والإسرائيليون ساعدوا الأكراد في فترات متقطعة كوسيلة لإشغال القوات العراقية في الداخل. ونعتبر أمنهم في صالحنا. علاوة هناك مؤشرات حول تدخل عراقي نشط في الخليج حيث انعدام الإستقرار الداخلي يؤدي الى ضعفها."

(..............................)

(..............................)

الحجج الأساسية ضد دعمنا للأكراد هي:

"- نحن نلزم انفسنا بجهود حرب العصابات، وعند تحقيق النصر الأكبر سنواجه حكومة بغداد و المحافظة على الحكم الذاتي الكوردي. وإذا ما خسر الأكراد في القتال، ليس لدينا الموجودات ولا المصلحة في تزويدهم بالدعم الحاسم.

"- حقاً إن المصادر المالية موجودة في المملكة العربية السعودية وايران. إن هذه قضية على الولايات المتحدة التشاور بشأنها مع دول المنطقة والتي تقدم الدعم منذ زمن و من خلال وسائل مختلفة، علينا ان نقول لهم بصراحة أننا نشعر ان هذه مسألة تخص مساعي المنطقة وليست مسألة ندعمها نحن مباشرة.

" – وعلينا تقييم تعقيدات دعم الأكراد في إطار قمة موسكو. وحالياً بعد ان بذل السوفييت جهداً لإقناع الأكراد بالإنضمام الى حزب البعث في حكومة الوحدة الوطنية في بغداد، سيكون دعم الأكراد بمثابة تحرك مباشر معاد للتحرك السوفييتي."

(نص مشطوب ....)

"إن سياسة الولايات المتحدة منذ زمن تتفادى التدخل في الشؤون الكوردية. "..................." و "......................" خلال زيارة الرئيس الى طهران. كان الجواب تكرار عدم تدخلنا. واختصر عمل الدولة على استقبال المسافرين الكورد في مستوى معين. ليس لدى الـ C. I. A. مقترح عمل الآن، لذا الموضوع هو هل سترون المبعوثين الكورديين كما طلب الشاه. إن هذا يعتمد بشكل كبير على مقدار ما تشعرون به من إلتزام تجاه الشاه في هذه النقطة الخاصة. شعوري الشخصي هو انه من الأفضل عدم تدخلكم الشخصي في هذه المرحلة لأن ذلك سيوحي إقحام الرئيس على الأقل بشكل ضمني. أعتقد يمكن ان تقول للشاه بصراحة إنكم كلفتموني بالإستماع الكامل لهم وتقديم تقرير. وكذلك كلمهم هيلمز. الشاه يريد جواباً قبل سفره الى أوروبا يوم الإثنين."

مقترحات:

إرسال الجواب التالي للشاه: "أرى أن استقبالي للمبعوثين الكورديين قد يدفعهم نحو خطأ توقعات مبالغ فيها بشأن دعم الولايات المتحدة الأمريكية، وكما تعلمون ليس هنالك قرار متخذ. لكنني سأطلب من مساعدي الأول في شؤون الشرق الأوسط الأستماع التام لهما وتقديم تقرير لي. وسأرسل لكم آرائي بعد ذلك."

إن هذا مخالف لما أراده الشاه. إذ كان يطلب ان يقابل كيسنجر المبعوثين.[397] لكن في النهاية جنحت الإدارة الأمريكية الى أراء Harold Saunders .



مدير المخابرات المركزية رتشارد هيلمز

وبعد ان التقى رتشارد هيلمز مدير المخابرات المركزية، الكولونيل كندي وضابط في الـ C. I. A. بممثلي ملا مصطفى [محمود عثمان وادريس بارزاني] في واشنطن. نرى في الوثيقة التالية مادار من حديث:

إجتماعات واشنطن مع الممثلين الكورد

واشنطن، 5 تموز، 1972

"1 . ..."

2.كناطق رئيسي للزائرين (....................) استهل الإجتماع في 30 حزيران بتقديم التحيات الشخصية من ملا البارزاني الى الرئيس نكسون وللشعب الأمريكي. وعبّر عن تقدير البارزاني لهذه المناسبة التي طال انتظارها لتقديم القضية الكوردية مباشرة الى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ودعا الى الصراحة التامة لكلا الجانبين. (.........................) ثم عرض مراجعة تاريخية للحركة الكوردية ونضالها من أجل الحكم الذاتي ضمن العراق. ثم تابع وصف جغرافي سهامي لموقع كوردستان وكعائق وحيد امام السيطرة السوفيتية التامة على العراق وما ينجم عن ذلك من عواقب على الدول الاخرى في المنطقة، بالأخص إيران، تركيا المملكة العربية السعودية، الاردن ودول الخليج الفارسي. ثم تكلم بشيء من التفصيل حول

---

[397]NCC Files. Box 138 Kissinger Office Files

الجهود السوفيتية والعراقية المشتركة لوضع الأكراد تحت سيطرة النظام البعثي في بغداد. وذكر بشكل خاص كثافة الضغط السوفيتي المباشر على القادة الكورد. ويتضمن هذا زيارات لملا مصطفى من قبل أعضاء قياديين في الحزب الشيوعي للإتحاد السوفيتي ومن جمهورية ألمانيا الديمقراطية. (......................) أرسل تقريراً عن مطالب السوفييت من ملا مصطفى البارزاني في وقت متأخر من شهرحزيران عام 1972 للحصول على جواب واضح لعروض السوفييت السابقة للأكراد للإنضمام الى حكومة الجبهة الوطنية العراقية. ووصف الجهود السوفينية كتكملة لنشاطات العراق الإقتصادية والعسكرية والإرهابية الهادفة الى تحطيم البارزاني والقيادة السياسية لأكراد العراق. (....................) قال ان البارزاني وزعماء أكراد أخرين لايعتقدون ان بمستطاعهم مقاومة الضغط السوفيتي العراقي المشترك أكثر من ستة أشهر بدون مساعدة خارجية هامة. وان لم تصل هذه المساعدة. يعتقد الكورد انهم خلال ستة أشهر سيضطرون إما الى مساومة سياسية مع الحكومة المركزية العراقية أو القتال مع هزيمة مؤكدة.


إدريس بارزاني دكتور محمود عثمان

3. (......................) شدد على رغبة البارزاني في زيادة المساعدات الخارجية ليس فقط للدفاع عن المنطقة ضد السوفييت والعراقيين. إنما يفضل جعل كوردستان عاملاً مساعداً الى جانب الولايات المتحدة وأصدقائها وحلفائها في منطقة الشرق الأوسط. وبالأخص تركيا. إيران. إسرائيل. المملكة العربية السعودية. الأردن ودول الخليج الفارسي. علاوة (.................) تطرق الى قناعة ملا مصطفى ان السوفييت يسيطرون على الأحداث في العراق وان الوقت يضيق أمام الغرب وحلفائه المحاذون للعراق. ويعتقد البارزاني ان كوردستان. رغم صغرها يمكن إستغلال موقعها الإستراتيجي والقوة القتالية الكامنة كأداة مؤثرة في جهود العالم الحرّ لقلب الموازين ضد التوسع السوفيتي في الشرق الأوسط وإعادة المسك بزمام المبادرة من قبل العالم الحرّ وحلفائه في المنطقة. وضمن هذا الإطار. أضاف. ان معظم مصادر النفط العراقي تقع ضمن المناطق الكوردية. إن كوردستان قوية يمكن ان يكون لها وزن هام في السياسة النفطية للحكومة العراقية.

4. (......................) وأوضح أنه ضمن هذا الإطار المشار اليه قبلاً، فإن ملا البارزاني يتوخى المساعدات المالية والعسكرية والمخابراتية من الولايات المتحدة كالآتي:

a. الاعتراف بالهدف الكوردي المتمثل في الحكم الذاتي والإستمرار في الإتصالات السرّية بين الحركة الكوردية والحكومة الأمريكية؛

b. مساعدة مالية كافية لتحويل الكورد الى قوة عسكرية هجومية لغرض إما إسقاط الحكومة البعثية في بغداد أو على الأقل تشغيل غالبية قوات الجيش العراقي في حرب غير محددة من أجل القضاء على النظام العراقي الذي يمثل تهديداً يتحكم فيه السوفيت ضد أمريكا ومصالح العالم الحرّ والحلفاء في المنطقة؛

c. تزويد مساعدة عسكرية؛

d. إقامة رابطة مخابراتية بين الأكراد والولايات المتحدة الأمريكية، تشمل توفير مساعدة للمخابرات الكوردية.

5. في معرض تقديمه الطلب أعلاه من أجل ديمومة الإتصالات المباشرة بين قيادتهم وقيادة الولايات المتحدة (...........) قال ان ملا البارزاني أوصى (.................) حضور وفقى أو دانعي في حاج عمران، (.................) . وبالمقابل، تقبل الحركة الكوردية إجراء الاتصالات في أي موقع ممكن تفضله حكومة الولايات المتحدة. (....................) وعلق بأن ملا البارزاني، من جانبه يتطلع الى زيارة الولايات المتحدة في أي وقت تسمح به الشروط السياسية. (.................) وشدد على انه في مقابل المساعدات المدرجة أعلاه، فإن ملا البارزاني على استعداد لإلزام حركته ومقاتليه بسياسات حكومة الولايات المتحدة. (...........) وأضاف انه قبل مغادرتهم واشنطن، هو و (...............) سيقدمون وثيقة عن الخلفيات والتفاصيل لمطالبهم الى (......................) انظر الى المرفقات.

6. وأنهى عرضه بالقول أن إهتمام الملا البارزاني والمطالب التي قدموها لها صلة هامة بإشارة الرئيس نكسون في مؤتمره الصحفي المنعقد في 29 حزيران بشأن تهديد المغامرات السوفيتية في الشرق الأوسط للسلام العالمي. (.................) وأضاف ان الجهود السوفيتية والعراقية الحالية للسيطرة على كوردستان سيمثل الفصل الأخير من المغامرة السوفيتية لتحويل العراق الى دولة تابعة. وسيهدد ذلك المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط.

7. (...............) علاوة هو و (..................) حملوا جلد نمر من كوردستان كهدية من ملا بارزاني الى الرئيس نكسون. وقال انه سيرسل الهدية الى المدير لكي يقدمه الى الرئيس نيابة عن الزعيم الكوردي. وأنهى بالقول ان ملا البارزاني يأمل بوصول ممثليه الى واشنطن في وقت قريب من إحتفال الأمريكيين بعهد الإستقلال في 14 تموز سيشجع حكومة الولايات

المتحدة الأمريكية لإبداء تجاوب إيجابي للمناشدة الكوردية بشأن المساعدات للحفاظ على الاستقلال الكوردي.

8. شكرهم المدير هيلمز(......................) للزيارة الى واشنطن وأطرى (......................) لعرضه الممتاز لموقف ومنطلبات الشعب الكوردي وقيادته. وقال انه هو والكولونيل كنيدي مجازين من قبل الدكتور كيسنجر للتعبير عن تعاطف حكومة الولايات المتحدة الامريكية للحركة الكوردية بزعامة ملا مصطفى. وأشار هيلمز ان مجرد وجود الممثلين الكورد في دائرته لدليل على موقفنا واستعدادنا للأخذ في الإعتبار مطالبهم في تقديم المساعدة. وقال المدير ان حكومة الولايات المتحدة راغبة في مواصلة العلاقات مع الحركة الكوردية والتي بدأت رسمياً بتقديم (.................)

9. (..)

10. ثم طلب المدير من (......................) تزويده (......................) بتفاصيل الحاجات المالية والعسكرية الكوردية بأسرع ما يمكن لكي تأخذها حكومة الولايات المتحدة في الإعتبار التام. وأعترف السيد هيلمز بأن الوقت مهم جداً بالنسبة للأكراد وان حكومتنا سوف تبذل كل مالديها من مساعي لتوفير هذه المساعدة بأسرع وقت ممكن. وأشار الى أن ردّ حكومة الولايات المتحدة سترسل الى الملا البارزاني عن طريق (......................) وسنرتب ذلك نحن. وحذر المدير هيلمز انه سيكون صعباً جداً بالنسبة للولايات المتحدة تزويد السلاح مباشرة الى كوردستان دون أن يصبح ذلك أمراً مكشوفاً. واقترح انه من الأفضل ان ننقل مثل هذه المساعدة خلال (............) أو الحكومة الإيرانية. وأوضح المدير بأن السرّية في هذه العلاقة الجديدة أمر مطلوب وفي غاية الأهمية، وأن العلاقة قد تفسد حقاً عند الإخفاق في صون متطلبات السرّية.

11. (......................) أجاب ان الزعامة الكوردية متفهمة لضرورات السرّية ومستعدة لصيانة الترتيبات بالضبط كما يرغب فيها جانبنا والعمل على استخدام مساعداتنا تماماً وفق أوامرنا. وذكر كمؤشر لحسن النية في هذا المجال انه فقط الحكومة الإيرانية على علم بهذه الزيارة الكوردية الى واشنطن (................)

12. وعبرّ الكولونيل كنيدي عن تقدير الدكتور كيسنجر لهذا العرض الممتاز والذي أعطانا فكرة واضحة عن وضع كوردستان المحفوف بالمخاطر وما لها من إمكانات في القيام بدور في الشرق الأوسط. وأطرى أيضاً (..............) للعرض الممتاز نيابة عن ملا البارزاني. إنتهى الإجتماع بإتفاق مع الزائرين لعقد إجتماع مع (................) لتقديم تفاصيل أكثر دعماً لما عرضوه أمام المدير والكولونيل كنيدي.".

وهناك ملاحق للمذكرة، مؤلفة من المواضيع التالية ومبنية على ماجرى من حديث مع الممثلين الأكراد: السياسي، المالي، العسكري والمخابراتي.

فعلى سبيل المثال، يشير الملحق المتعلق بالجانب السياسي أن الهدف الرئيسي للحركة الكوردية هو تحقيق "الحكم الذاتي للأكراد في المناطق الكوردية من البلاد. يمكن مقارنة الحكم الذاتي بولاية في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تتحكم في الشؤون الثقافية والخدمات الاجتماعية الأساسية لمواطنيها. وليس لها أي أوجه مقارنة مع الإستقلال التام. والهدف الثاني هو تبني الديمقراطية كنظام سياسي لحكومة العراق."

وتشير أيضاً: "الحكم الذاتي معترف به منذ 1922/12/24 في"إعلان عيد الميلاد" حيث إعترف البريطانيون بشكل خاص بالحكم الذاتي الكوردي وأعطيت ضمانات لسلطة كوردية لحكم مناطقهم. لسوء الحظ لم ينفذ البريطانيون والعراقيون العرب هذا الإعلان أبداً مما أدى الى حصول انتفاضات كوردية متعاقبة. هدف الأكراد من القتال الآن هو الإعتراف عملياً بشكل رسمي بالحكم الذاتي والذي سبق وأن منح لهم في "إعلان عيد الميلاد".

وتمضي المذكرة الى القول: " تستمر جهود البعث لتطويع الأكراد الى يومنا هذا مع تكثيف وتوسيع الضغط السياسي من الإتحاد السوفيتي، جمهورية ألمانيا الديمقراطية، بلغاريا ودول شيوعية أخرى. ومن أجل زيادة حماية نظام بغداد التابع لهم، ضغط السوفييت على مصر، وهي عدوة منذ زمن طويل لحزب البعث لكي تتبنى موقفاً أكثر ودية تجاه العراق، وأقنعت حتى السوريين، والذين يمثلون طرفاً معارضاً لحزب البعث، لإنهاء عدائهم ضد العراق. هذه التطورات تأتي في مرحلة تشهد عمليات الإغتيالات والتعذيب على يد حزب البعث العراقي بقيادة صدام حسين التكريتي، لجعل العراق دولة تابعة للسوفييت، رغم ذلك وكما هو الحال في جيكوسلوفاكيا، الغالبية من السكان يكرهون النظام، لكن الإرهاب المنظم وقساوة البعثيين طوعتهم."

"كوردستان اليوم هي العقبة الوحيدة أمام التسلط السوفيتي على العراق خلال صدام التكريتي. وما أن يتم ذلك سيتمكن السوفييت استخدام العراق واليمن الجنوبي (الجمهورية اليمنية الديمقراطية الشعبية) لأعمال التخريب في دول الخليج الفارسي الضعيفة بحركة كماشة. المخابرات الكوردية تفيد ان زعيم اليمن الجنوبي عبدالفتاح اسماعيل، اتفق مع كوسيجن للقيام بمثل هذا الدور في الخليج بالتوافق مع العراق."

"................. ففي حين يعترفون بصغر دورهم في اطار منطقة واسعة. يعتقد الزعماء الكورد ان بإمكانهم القيام بدور مساهم هام في حماية وحتى تطوير مصالح الولايات المتحدة وحلفائها في الشرق الأوسط. النقطة الأخيرة التي رغب الممثلان الكورديان أن يشددا عليها بقوة وقد أكدا ان الملا البارزاني راغب في ربط حركته بالعمل وفق أهداف الولايات المتحدة في المنطقة ووفق توجهاتها السياسية مقابل منح المساعدات لتلبية الحاجات الكوردية. وصور الممثلان الكورديان هذا التعاون بأنه منسجم مع الفلسفة السياسية التي تشاطرها كوردستان مع الولايات المتحدة الأمريكية مثل الحياة الحرة وإدارة الأعمال الشخصية.

ويتوخى الممثلان الكورديان بشكل خاص اعتراف الولايات المتحدة بالهدف السياسي الكوردي المتمثل في الحكم الذاتي. الذي اعترفت به الحكومات في الشرق الأوسط. وهذا يشمل حكومة بغداد. الإتحاد السوفيتي ودول شيوعية أخرى. ويدرك الأكراد أنه بسبب الحاجة الى السرّية في أية علاقة تقام بينهم وبين حكومة الولايات المتحدة. مثل هذا التعاطف والاعتراف بموقفهم يجب إبقائه سراً حتى النهاية. لكنهم يأملون عندما تأتي المناسبات. تعلن الولايات المتحدة في ضوء الاعتراف علنا بكوردستان باعتبارها كيانا سياسياً يتمتع بالحكم الذاتي ضمن الدولة العراقية.

وعندما (.................) دعا شاه إيران في 4 حزيران. ألزم الشاه نفسه كاملاً بمسارين في العمل مع الهدف الكوردي في الحكم الذاتي. الأول إستخدام الأكراد والعراقيين المعادين للبعث لقلب الحكومة البعثية في العراق وهذا المسار فضله الشاه. أما المسار الثانى فهو الحدّ الأقل من الدعم للحكم الذاتي لكورستان ضمن العراق لكى يقف على قدميه ويكون بمقدوره مقاومة جميع المحاولات الهادفة للقضاء عليه. إن هذا أوضح اعتراف بالحكم الذاتي الكوردي بدر من الإيرانيين حتى الأن.

وهناك أرشيف أخر بتاريخ 1972/7/28 تحت عنوان: التوقعات ومشاكل تقديم المساعدة للأكراد.

هيلمز وكنيدي اللذان إلتقيا بإدريس ومحمود. كانا من مؤيدى تقديم المساعدة المحدودة للبارزاني وليس بدون تحفظات. خاصة على ضوء الأحداث الجارية في مصر والأزمة مع السوفييت. وممكن ان تتمخض عن جهد سوفيتي مكثف في العراق. هناك تشديد قوي في جعل المساعدة تسلم بشكل يُمكّن الإدارة الأمريكية إنكار ضلوعها في مساعدة الأكراد. وأن المساعدات يجب ان تبقى في حدود لاتثير ردّ فعل السوفييت وتصعيد

التوترالدولي. كما أخذ الأمريكان دراسة إحتمال تدخل سوفيتي مباشر في الحرب مع الاكراد، رغم أن ذلك سيعرض العلاقات السوفيتية الإيرانية للتأزم. لكن "استعداد السوفييت لدفع الثمن للحفاظ على إستثماراتهم ووضعهم في العراق لايجوز إقصائه من الحسابات...." ثم هناك الحساسية التركية تجاه القومية الكوردية في المناطق الشرقية من تركيا. ويشير الأرشيف: "هناك محدودية نفوذ البارزاني وتأثيره في الوسط الكوردي نتيجة الانقسامات الحزبية حتى ضمن الحزب الديمقراطي الكوردستاني حيث هو زعيمه، كذلك مشاكل تقدمه في العمر وغياب وريث مناسب لسلطته السياسية بين الأكراد. إضافة الى التعقيدات التي تصاحب العمليات السرّية لدعم الأكراد في وقت تدرس الإدارة الأمريكية فتح قسم رعاية المصالح الأمريكية في بغداد نهاية عام 1972.

كان تقييم الحكومة الأمريكية لنظام البعث هو: "ان تاريخ مغامرات بعث العراق يكشف فشل سياسة إرضائه بالتنازلات. إنهم يستغلون الضعف، ويبدو ان الخوف من العواقب والفشل أو إبقائه في حالة الدفاع، هو الأسلوب الرادع الوحيد للتخلي عن السلوك العدواني."[398]

وتضيف المذكرة:

"11 . ان الوضع الحالي حيث يواجه نظام البعث تقليص جاد في المدخولات، وفي وقت لاتزال القيادة الكوردية السياسية المنظمة قادرة على المقاومة، تلك هي فرصتنا اليائسة الأخيرة لإشغاله في عملية إنهاك هدفه على الأقل مضايقة البعث وإمكانية المساهمة في خلق شروط إيجابية لحلول عناصر اخرى مكانهم. يكونون أقل عداءً لمصالحنا ولمصالح أصدقائنا في هذه المنطقة. وعلينا ان نسلم بأن البعث قد يضطر بسبب المعارضة الكوردية طلب المزيد من الدعم السوفيتي. أما أن ندع المقاومة الكوردية تموت بسبب نقص الدعم، ذلك يعني ان الأكراد سيضطرون الى الإنضمام الى الجبهة الوطنية تحت الرعاية السوفيتية، وسيكون بمستطاع البعث وبدون عائق مواصلة مخططه في المنطقة. وان وضعنا ذلك في الميزان، نرى انه من الأفضل إتخاذ المجازفات في إبقاء المقاومة الكوردية حية."

هنا نرى إلتقاء المصالح الأمريكية والإسرائيلية والإيرانية لدعم الحركة الكوردية في إطار حرب إستنزاف وليس لنيل الحقوق القومية الكوردية، ويبدوا واضحاً أن قيادة الحركة

---

[398] Memorandum for: Henry Kissinger. From Al Haig. July 1972

الكوردية لم تنتبه الى هذا المخطط. ولم تقم بأي عمل يرسخ سندها الداخلي. بل سارت بخطى سريعة على طول الخط مع هذه السياسة المتمثلة في الإعتماد على السند الخارجي.

وتشير نفس المذكرة: "12. من وجهة نظرنا. نرى من الأفضل تزويد البارزاني بما يكفي من التشجيع والدعم للحفاظ على وضع يغنيه الإعتماد على نظام بغداد ويكون قادراً على التصدي للحملة العسكرية للجيش العراقي للسيطرة على المناطق الكوردية. ومادام هنالك هذا الموقع الكوردي الحصين. لن تيأس العناصر المنشقة في الجيش ومن الساحة السياسية العراقية من سنوح فرصة لقلب النظام. الحفاظ على المقاومة الكوردية حتى في مستوى دفاعي سيحدد قدرات النظام على المغامرات العدوانية ضد إيران. الأردن وفي الخليج.

كما تشير المذكرة الى: "......... من الممكن وذلك بسبب العديد من الدول التي إتصل بها البارزاني. ان الإتحاد السوفيتي والبعث على علم بجهود البارزاني في الحصول على الدعم. وهذا ربما يؤدي الى تعزيز الميل للإتحاد السوفيتي والبعث لشن حملة إستباقية ضد البارزاني قبل ان يعزز موقفه."[399]

وتضيف المذكرة حول متطلبات البارزاني من المساعدات المادية في الوقت الراهن وعلى المدى البعيد. فتقول:

16. إذا ماتمكن البارزاني من تفادي هجوم عراقي وشيك. سنولي الأولوية الى إحتياجاته على المدى البعيد وفق الإستراتيجيات الثلاث والمشار اليها من قبل مبعوثيه. فقد طرحوا الإحتياجات المالية والتجهيزاتية ضمن ثلاث مستويات من العمل ووصفوها بـ "دفاعي. هجومي. المرحلة الثورية."

17. المستوى الأول "المرحلة الدفاعية" قالوا إنها تتضمن الحد الأقل في زيادة المساعدات الخارجية تسمح لحركتهم الحفاظ على الوضع الراهن والمقاومة سياسياً واقتصادياً والضغوط العسكرية من البعث لأمد غير محدد.

18. المستوى الثاني "مرحلة هجومية" والتي يحبذها البارزاني. توفر للأكراد الوسائل المالية والعسكرية ليس فحسب للحفاظ على وضعهم الحالي. إنما لشد النظام البعثي الى حدود لايتمكن من تهديد جيرانه والمصالح الغربية لامن الناحية العسكرية ولامن خلال عمليات التخريب. إن تصور البارزاني لمتطلباته المالية والعسكرية يهدف الى مثل هذا الطرح من النشاط.

---

[399] Memorandum for: Henry Kissinger. From Al Haig. July 1972

19. المستوى الثالث "المرحلة الثورية" تحويل كوردستان الى قاعدة مضمونة منها يجري قلب النظام البعثي بالتعاون مع العراقيين المعادين للنظام. وذكر المبعوثان الكورديان ان هذا المستوى من النشاط يتطلب إستثماراً أكثر بقليل من المستوى الثاني. ويتطلب مساعدات مالية للمتعاونين العرب.

20. خلال النقاش حول نوعية التجهيزات التي يحتاجونها لمرحلة العمل الهجومي، ظهر ان الأكراد يحملون أفكاراً غير واقعية عن الأعمال العسكرية ونوع التجهيزات التي يتمكنون إستخدامها. فإهتمامهم بالدبابات لاستخدامها خارج الجبال نعطي إنطباعاً أن بإمكانهم محاربة الجيش العراقي في حرب تقليدية. يستدعي هذا قاعدة لوجستية في إيران مشابهة لما قدمته فيتنام الشمالية لفيت كونغ. ولرصيدهم، كان المبعوثان صريحين وأعترفا بالحاجة الى إرشادات عسكرية.

29. وبعد تدقيق الأسلحة المخزونة والتي من الممكن منحها للأكراد، علينا إعطاء الأولوية الى ذلك النوع من السلاح الذي إعتادوا على إستخدامه ونزويدهم بالمعدات. وثانياً نولي إهتماماً بمضادات الطائرات والدبابات، يشمل هذا ألغام أرض وصواريخ. مع التشديد على إمكانية سهولة الحمل. فسهولة الحمل تعني ان على الأكراد الإعتماد على الصواريخ ومدافع الهاون بدل محاولات زيادة الإعتماد على قدرات المدفعية التقليدية.

ثم تتناول المذكرة موضوع إمكانية ردّ الفعل السوفيتي بموجب اتفاقية التعاون والصداقة السوفيتية العراقية، إذ من الصعب ان يتجاهل السوفييت تدخلاً خارجياً كبيراً في شؤون العراق، مهما كانت رغبتهم في تفادي تعقيد علاقاتهم الناعمة مع الشاه. للسوفييت مصالح هائلة في العراق وقد أعطتهم حكومة بغداد أكثر من أية حكومة سابقة. وحتى ان خلت الإتفاقية من البنود السرية، فإن التدخل السوفيتي وارد عند الحاجة للحفاظ على سلامة النظام. ولذلك تقترح المذكرة إفهام ممثلي البارزاني ان يحتفظوا بأمالهم ضمن إطار واقعي والتي ستلبى ضمن إطار الإنكار المعقول، ونُصحهم تفادى أعمال من شأنها تصعيد التوتر الدولي.[400]

ثم تأتي المذكرة بوضوح الى نوع المساعدات وشروطه:

---

[400] Memorandum for: Henry Kissinger. From Al Haig. July 1972. See points: 32, 33, 34.

"صيغة تزويد الدعم المالي والعسكري يعتمد على درجة السرية المرغوبة. ومستوى القدرة العسكرية التي نريد نحن تزويدها و الأهداف التي نرغب في تحقيقها."
وتمضي المذكرة الى القول:

"35. المال. ليس كالسلاح. يمكن تسليمه بشكل مباشر أو غير مباشر. مع الحد الأقل من مشاكل السرية. ومن مصلحتنا تزويدهم بالمساعدات المالية (.....................) الإيرانيين لتعزيز مشاعر المساهمة لديهم وأيضاً لأسباب أمنية. ونجد من المصلحة تسليم بعض المساعدة المالية مباشرة للأكراد لتعزيز نفوذنا نحن. إضافة الى إتخاذ بعض الإجراءات الضامنة لتحكمنا وحدنا ووسيلة للإستغلال المخابراتي.

وفيما يتعلق بالأمريكان ومخططهم والمحاذير التي أخذوها في الإعتبار. تقول المذكرة:
"الأكراد منقسمين كثيراً وهناك تغلغل في صفوفهم بحيث لايتمكنون إخفاء الأسرار عن الأجهزة الأمنية الخارجية المحنكة. وأن تداخل أطراف ثالثة يجعل إفشاء الأسرار وارداً. وسبق وان إتهمنا نظام البعث مساعدة أعدائه. يجب ان نهتم بعدم وجود دليل يثبت مثل تلك التهم. وفي كل الأحوال حتى وان لم نقم بأي عمل سيستمرون في كيل التهم لنا.

ثم تتناول المذكرة الإنقسامات داخل الحزب الديمقراطي الكوردستاني في المادة 51 وثم تركز المادة 52 على الإنقسامات في عائلة ملا مصطفى. هي في الواقع معلومات غير دقيقة وجزء منها غير صحيح:

52. يبلغ البارزاني 69 عاماً من العمر. انه لايزال بصحة جيدة. لكن واضح ان أعوام زعامته محدودة. بعض أبنائه. بالأخص الأكبر. لقمان.[401] وأخراسمه عبيدالله إنضموا الى حكومة بغداد. إدريس ومسعود يساعدون والدهم. مسعود يقود جهاز المخابرات. وادريس يعمل في مجال الحصول على الدعم الخارجي. لا أحد منهم يملك كاريزما والده. ويبدوا انهما غير مرشحين لخلافة والدهم لقيادة الحركة الكوردية بعد رحيله. مثل هذه الزعامة تبدو أكثر إنها ستكون لجلال الطالباني أو شخص مثله.

إن وعينا لهذه الإنقسامات الحزبية العميقة بين الأكراد لن يمنعنا من تزويد البارزاني أو أخرين بمساعدات سرية كجزء من مسعى لإضعاف الحملات البعثية والسوفيتية ضد

---

[401] لقد بقي لقمان مع والده حتى إنهيار الحركة الكوردية عام 1975 ولم ينضم الى حكومة البعث الى بعد إهانة والده له صيف عام 1975 في طهران.

أصدقائنا ومصالحنا. ففهمنا للانقسامات الكوردية ينبغي أن يقينا من الأوهام من أن دعمنا للبارزاني سيمكنه السيطرة على كامل المنطقة الشمالية من العراق ويرتب إستغلال مصادرها كما أفاد ذلك المبعوثان".[402]

لقد حصلت الموافقة الأمريكية على تقديم "المعونة السرية" بعد حصول سلسلة من الأحداث السياسية: التوقيع على اتفاقية الصداقة والتعاون بين موسكو وبغداد و تأميم شركة النفط العراقية. تدهور العلاقات بين بغداد والحركة الكوردية. طلب الشاه المتكرر من الأمريكيين تقديم الدعم للحركة الكوردية وكذلك طلبات ملا مصطفى المتكررة من الشاه ومن واشنطن تقديم الدعم. كما لعبت إسرائيل دوراً كبيراً لإنشاء مثل هذه العلاقة. وعندما وافقت واشنطن تقديم العون السري وعلى ضآلته. شعرت القيادة الكوردية بالنصر. وانعكس غرورها في طريقة التعامل مع الشعب الكوردي واستهتارها بالمخاطر التي تحدق به. كما شاهدنا في فصول سابقة من هذا الكتاب. فالنصر بالنسبة للقيادة الكوردية. يأتي من الخارج وليس من الشعب الكوردي ونضاله.!

لابد هنا من كلمة في البداية حول المعونات الخارجية في تاريخ الانتفاضات الكوردية. ففي القرن العشرين حصلت عدة انتفاضات في معظم أجزاء كوردستان المحتلة والمجزأة. انتفاضة شيخ عبدالسلام البارزاني 1907 - 1908 و انتفاضته الثانية 1913. ثورة شيخ سعيد 1925. انتفاضات الشيخ محمود الحفيد في السليمانية في الثلاثينات. انتفاضة أغرى (أرارات) 1927 – 1930. وغيرها..... وكلها تقريباً كانت محاصرة ولم تتلقى عون خارجي. وكان هذا سبب من ضمن أسباب أخرى لإخفاقها. وكحقيقة تاريخية نذكر أن العديد من الشخصيات القيادية الذين قادوا هذه الانتفاضات في النصف الأول من القرن الماضي. ضمنهم الجنرال إحسان نوري باشا. القائد العسكري لثورة أرارات والذي ناضل وفق منطق تحقيق استقلال الامة الكوردية. قدموا التضحيات وعاشوا في حالة مادية مزرية. في حين تغير الموقف تماماً في النصف الثاني من القرن الماضي. المتمثل في بروز المنحى التجاري الواضح لدى قيادة الحركة الكوردية.

فقد تحولت القضية الكوردية الى عامل لجمع الثروة خلال مسارين متناقضين. فتبوأت عوائل من الإقطاع الكوردي المرتزق مركز الثراء جراء محاربتها للحركة الكوردية الى جنب الجيش العراقي. كما تبوأت عوائل قيادية في الحركة الكوردية وأقاربهم مركز الثراء

[402] Memorandum for: Henry Kissinger. From Al Haig. July 1972

الفاحش من خلال تبني "مهنة الدفاع عن الحقوق القومية الكوردية". كلا الطرفان حققا الثراء على حساب معاناة الشعب الكوردي وتضحياته الجسام.

إن الحركة الكوردية التي قادها الحزب الديمقراطي الكوردستاني بزعامة ملا مصطفى (1961 – 1975) ورغم عفويتها فقد نالت اهتمام العالم الخارجي وتلقت الملايين من الدولارات من المعسكرين المتنافسين: الاشتراكي و الرأسمالي. إضافة الى كميات هائلة من الأسلحة، من قبل الدول الداعمة للحركة الكوردية. لقد بنيت العلاقات مع طهران وتل أبيب بسرعة بعد اندلاع القتال مع بغداد. يقول الدكتور محمود عثمان: "منذ بداية الحركة الكوردية المسلحة، كانت لدينا علاقات كوردية -ايرانية. وكان للايرانيين دور في المساعدة والتشجيع والتمهيد لإقامة العلاقة مع إسرائيل...." ويشير الى: "وعلى رغم الخلافات بين رئيس الحزب الملا مصطفى البرزاني وسكرتير الحزب ابراهيم أحمد على مواضيع كثيرة الا انهما كانا متفقين تماماً على العلاقة مع إسرائيل. واذا كانت هناك بعض الحساسيات بينهما، فهي حول من يجب ان يكون الرأس الممسك بحبل تلك العلاقة، الرئيس أم المكتب السياسي؟"[403]

أسلوب استخدام هذه المساعدة من قبل القيادة الكوردية لم يكن في المستوى المطلوب، ووجهت الدول المانحة انتقادات هامة للقيادة الكوردية. كما أن أسلوب الإلحاح في المزيد من المساعدات المالية والسلاح وكأن الحركة ضعيفة وعلى وشك الانهيار"يجعل الجهات التي تقدم المساعدة تحدّ من مساعدتها، لأنها ستعتقد ان مساعداتها تقدم دون جدوى...."[404] لقد بقيت سياسة القيادة الكوردية تتمحور حول "الكبح في الداخل" و"الإستنجاد بالخارج".

يصاب المراقب بالدهشة حينما يستعيد تسلسل الأحداث التي أدت الى سقوط القيادة الكوردية عام 1975، فهي كانت ومنذ سنوات تعيش خارج الزمن واللامبالاة يسبغ مواقفها وبمضي الوقت يزداد تخلفها وعجزها، مغلقة جميع منافذ التغير في ذهنية متحجرة وفي تركيبة قيادة شبه مشلولة، وهي لا تدرك أن هناك سباق محموم مع أطراف عديدة معادية ومتحركة وتملك مخططاً واضح المعالم ولجان دراسات استراتيجية وأموال طائلة تنفق للوصول الى الأهداف المرسومة. هنا نحن أمام قيادة مستسلمة للظروف، والفرق كبير بينها وبين قيادة تعمل على تطويع الظروف لمصلحتها. جل اهتمام القيادة الكوردية كان منصباً

---

[403] مجلة الوسط، حوار مع الدكتور محمود عثمان، القصة الكاملة للعلاقات الكردية الاسرائيلية. 1997/10/13

[404] شلومو نكديمون، الموساد في العراق ودول الجوار ترجمة بدر عقيلي، دار الجليل للنشر 1997، ص: 320

على الاحتفاظ بزمام السلطة والمال وتحقيق مشاريعها الشخصية. دون تخطيط استراتيجي مبني على تنظيم وحشد طاقات الامة في نضال طويل الامد. وكما هو معروف ففي وضع ثورة شعبية حقيقية ينبغي أن تمتلك القيادة مخطط استراتيجي دفاعي وهجومي يخلق الهلع في قلب مناطق العدو الأكثر حساسية من الناحية الاقتصادية والسياسية والعسكرية. إضافة إلى ترصين الجبهة الداخلية للشعب الثائر باستمرار. إن القيادة الواعية لمسؤوليتها التاريخية تأخذ في الحسبان أسوء الاحتمالات لتجنب الكوارث التي يخطط لها العدو.

سيطر رئيس الحزب على المال العام لكن من دون مشاريع اقتصادية تحقق الإكتفاء الذاتي نوعا ما. الأموال تتراكم في منزل قائد الحركة كـ "مال شخصي". ولم تجري محاولات لإنهاء تلك الحالة الشاذة من قبل المكتب السياسي المدجن. لا بل كان محرّماً الكلام عن الأموال التي يحتفظ بها زعيم الحركة في منزله. ولتفادي الكلام عن هذا الموضوع الحساس جداً. كان يتبنى حالة عصبية شديدة حتى يكف مقابله الكلام عن الموضوع وهو يعلم انه في ورطة كاملة. فعندما سأله الصحفي المصري المعروف (محمد حسنين هيكل) وحيث التقى به في طهران صيف عام 1975 ولم يكن معهم ثالث. قال له: "أريد ان أفهم منك لغز الثورة الكوردية........ قال لي أحد جنرالاتك ... الجنرال عقراوي .... انك كنت تقود الثورة الكوردية بمنطق إقطاعي قبلي حتى ان خزينة الثورة الكوردية كانت صناديق من المال تحت تصرف ابنك الأصغر الاثير لديك من اخر زوجاتك .... ولم يكن يصرف الا بأمرك. وكأن الصرف على الثورة قضية عائلية او حتى قضية شخصية... وصاح الملا مرة اخرى : أفاع وذئاب وعقارب .... كلهم أفاع وذئاب وعقارب... هؤلاء مثواهم النار وبئس المصير. صدق الله العظيم.."[415]

إن الإهتمام المفرط بالمال مبعث خطورة كبيرة. وبهذا الصدد يقول الرئيس الأمريكي بنيامين فرانكلين: "من هم على فكرة. أن المال قادر على عمل كل شئ سيجرون على أنفسهم شبهة انهم يعملون كل شئ من أجل المال."

كان هناك الآلاف من المقاتلين لكن دون نوعية سياسية ثورية ودون تحديث أساليب القتال ذات الطابع القبلي والولاء الشخصي. الآلاف من الكادر المتعلم بقي بلا نشاط. لأن الأمور الأساسية بقيت في يد قوى تقليدية من الإقطاع الكوردي. وقد لفت هذا اهتمام الأخصائيين الإسرائيليين الذين كانوا يساعدون القيادة الكوردية. فقد كان هناك عدد من

[415] جريدة الأنوار . السبت 6 أيلول 1975 . مصراحة يكتبها محمد حسنين هيكل.

الضباط الملتحقين الذين فروا من الجيش العراقي لكن ملا مصطفى" لم يكن يكف عن الشك فيهم"[406] و"لقد كان من الصعب جداً أن يوضح الإسرائيليون للبرزاني ضرورة الاعتماد على هؤلاء القادة وأن يمنحهم صلاحيات......"[407]

دبلوماسية القيادة توقفت على زيارات متقطعة لهذا البلد أو ذاك لشرح معاناة الشعب الكوردي والشكوى من حملات الجيش العراقي الظالمة على الأبرياء والشيوخ والأطفال. أو إرسال مذكرات الى المحافل الدولية من حين لآخر لاستدرار العطف والمال.. كانت في الواقع قيادة تنتظر الأحداث ولاتشارك في صنعها وتنفعل عندما تشعر بأن الأرض تتحرك من تحت أقدامها وتلوذ بحالة عصبية شديدة كرد فعل على حصول حادث لم تكن تتوقعه وكأنها ستنهي الأمر لصالحها بالصراخ والشتيمة.

ورغم الإنقسامات داخل القيادة وفسادها واستهتارها وعدم أهليتها في قيادة الشعب الكوردي، في نظر الكثيرين أن الحركة الكوردية حققت النصر ببيان أذار عام 1970 فهذا يعني أن قائد الحركة وخططه كانت ناجحة ويجب ترك الأمور لحنكته السياسية وبعد نظره دون اعتبار للوقائع. ف "النصر" جاء نتيجة ديناميكية المجتمع الكوردي وبذله للتضحيات في الجبهات من أجل حياة حرة كريمة. وحاجة البعث الى الوقت للتفرغ الى مشاكله الداخلية وتأمين بقائه في السلطة دفعته الى توقيع بيان أذار كإجراء وقتي. بقيت القيادة في السنوات الأخيرة، بعيدة عن حياة الجبهات وتعيش في عالم مترف على بعد كيلومترين من الحدود الإيرانية في [حاج عمران] بالذات، حتى طعامها وكساءها يأتي من الأسواق الإيرانية، حيث تتمكن من الهرب بكل سهولة وخلال دقائق متى ما حصل التغير. والانتصارات في الجبهات يقدمها مرتزقة الإعلام الحزبي، الشفهي والمكتوب بأنها من مخطط القيادة وعبقريتها العسكرية الفذة.!

تحول الحزب الديمقراطي الكوردستاني الى مطية للأغوات وفي قيادته أميين لإضعاف نفوذ المثقفين والتقدميين وذلك لمنع الحركة والتقدم خارج الدائرة القبلية والتي يرتاح اليها رئيس الحزب وفقط في داخلها يشعر بالأمان، كانت العائلة الحاكمة تتمتع بإمتيازات مالية وسياسية ضخمة ولا تريد تغير تلك الحالة، وبذلك سدت الطريق أمام التغير سدا محكماً. كان سامي (محمد محمود عبدا لرحمن) يصف هذه الحالة، بعد انهيار الحركة الكوردية

---

[406] شلومو نكدمون، الموساد في العراق ودول الجوار، ترجمة بدر عقيلي، دار الجليل للنشر 1997، ص 125

[407] شلومو نكديمون، الموساد في العراق ودول الجوار، ترجمة بدر عقيلي، دار الجليل للنشر 1997، ص: 125

ولجوته إلى بريطانيا، وبكرر وهذه ما سمعته منه، أن القيادة كانت تعاني من فقدان الإحساس بالمخاطر التي تحدق بامتياز بالشعب الكوردي.

لقد انعكس الجمود في موقف القيادة. فهي لا تريد أن تتعلم ولا أن تواكب التغيرات والتطورات التي تجري في المنطقة ولا تأخذ في الحسبان خطط بديلة في حالة حصول تغير مفاجئ في موقف إيران أو العراق أو القوى الدولية ذات الصلة بالصراع في العراق والشرق الأوسط، رغم أن الأمور كانت واضحة تماماً. لا بل لاذت القيادة بالأهوام بدل مواجهة الحقائق على الأرض. لكن المشكل كان مع الشعب الكوردي الذي بقي يجهل ماهية القيادة ويصدق الدعاية الحزبية المضللة. وهنا كان الثمن باهضاً عندما اصطدم بواقع تخاذل القيادة في ديمومة الحركة في مرحلة ما بعد الاتفاق العراقي الإيراني. وانكشف للشعب جوهر نخبة "الحزب الطليعي، القائد" التي كان يأتمر بأوامرها طوال ما يقارب الأربعة عشر عاما، لكن بعد فوات الأوان.

الضغط العسكري بموازات الدبلوماسية الإيرانية

شاه إيران لكيسنجر تموز 1973:
"نحن نمنع تحالفاً بين البعثيين
والأكراد والشيوعيين"
كيسنجر يريد التأكد ويسأل شاه إيران:
هل باستطاعتنا ان نمنعهم
من التوصل إلى اتفاق ؟
الشاه:
نعم.....

. يقول هنري كيسنجر: " العام الاول من المجهود السري الكوردي بدى محققاً لهدفه. ففي شهر تشرين الاول/اكتوبر 1972، نقلت للرئيس نيكسون تقريراً وردني من مدير الـ CIA ريتشارد هيلمز. والذي أصبح سفيرنا في طهران. يعلمنا ان الاكراد يشغلون ثلثي الجيش البعثي، وبذلك لا يتمكن من شن عمليات تخريب وإرسال فرق اغتيالات ضد ايران." [408]

يعلم هيلمز كيسنجر: "أوصلنا المال والسلاح الى البارزاني خلال الإيرانيين دون عقبات. وهناك أموال وأسلحة إضافية في الطريق. ليس فقط من مدخرات الوكالة. إنما من (....كلمات مشطوبة.....) أسلحة الفدائيين المسيطر عليها. إستلم البارزاني للشهرين الأولين تموز و أب المال نقداً....." ويضيف: "هناك تعاون ممتاز (كلمات مشطوبة..............) الشاه. تفيد التقارير بأن النظام في بغداد والسوفيات قلقون للغاية بشأن المسار المستقل للبارزاني. كما إن الحدّ من عائدات النفط يستدعي إتخاذ تدابير التقشف المالي مما يخلق الاستياء". [409]

سعى ملا مصطفى الى المزيد من التقرب من الولايات المتحدة الامريكية بتقديم مقترح خاص وعاجل أثناء حرب أكتوبر. لكن كيسنجر رفض مقترحه. كانت السياسة الأمريكية في خدمة أهدافها هي وليس أهداف الحركة الكوردية.

---

[408] Henry Kissinger. Years of Renewal . Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page: 585

[409] Kissinger to President Nixon. October 5, 1972 Progress Report on the Kurdish Support Operations

في اليوم التاسع من الحرب في الشرق الاوسط والمصادف لـ 15 أكتوبر1973 حيث تمكن الجيش الإسرائيلي من إرغام الجيش المصري على الانسحاب من سيناء، وصلت رسالة مستعجلة من ملا مصطفى يطلب رأي الادارة الامريكية فيما اذا وجب اخذ رأي ضابط ارتباط إسرائيلي لشن هجوم في المنطقة السهلية ضد القوات العراقية. عارض المقترح مدير الـ CIA الجديد William Colby وأيد الشاه محمد رضا بهلوى وجهة نظر مدير الـ CIA مضيفاً أن الاكراد ليسوا مجهزين لعمليات هجومية خاصة في الأراضي المنبسطة. ويقول هنري كيسنجر: "كان من شأن المقترح الإسرائيلي فقدان الورقة الكوردية كاملاً." ولذا رفضت الحكومة الأمريكية المقترح."[410] لكن وجهة نظر أخرى تختلف عما ذهب إليه هنري كيسنجر وتشير الى الدافع المخبأ من وراء عدم موافقة كيسنجر على شن الهجوم: "وجرى بحث تقرير محطة طهران في لجنة الأربعين برئاسة كيسنجر. وكان رأي كيسنجر "أن الملا مصطفى قد ينجح في هذه الظروف بأكثر مما هو مناسب لمصالحنا" وبالتالي بعث كيسنجر الى الملا مصطفى برسالة ينصحه فيها "بعدم استغلال الفرصة". ولكنه لم يقل له السبب الحقيقي وراء هذه النصيحة واكتفى بأن يقول "إنني أخشى أن يؤدى ذلك الى تعقيد مشكلتكم." ![411]

لكن كيسنجر يدافع عن وجهة نظره فيقول: "أي قرار أخر كان يحمل معه خطر تحطيم الكورد دون ان يكون في ذلك خدمة لإسرائيل. وتسلم البارزاني رسالتي في نفس اليوم الذي كان الجنرال أريل شارون يعبر قناة السويس مع قواته المدرعة. وبعد ذلك بستة أيام توقفت حرب الشرق الأوسط."[412]

هنالك تناقض بين ما يقوله كيسنجر وبين ما يقوله مسعود ملا مصطفى بشأن طلب ضابط الارتباط الاسرائيلي من الزعامة الكوردية بشن حرب ضد الجيش العراقي في الاراضي المنبسطة خلال حرب اكتوبر. بالنسبة لكيسنجر: "كان ذلك النوع من المقترحات التي من خلالها يتمكن ضابط ارتباط من رفع رصيده في بلاده.[413]

---

[410] Henry Kissinger. Years of Renewal Published by. Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page: 587

[411] الحل والحرب. محمد حسنين هيكل شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. بيروت 1977 ص 139.

[412] Henry Kissinger. Years of Renewal . Published by: Simon & SCHUSTER New York. 2000. page:587

[413] Ibid page: 587

في حين يقول مسعود على هامش تعليقه على ما ورد في كتاب كيسنجر: "ان العرض الذي قدمه الضابط الإسرائيلي كان نيابة عن حكومته وحلفائها أمريكا وإيران." [414] مايذكره مسعود غير منطقي. فمن غير الممكن ان يمثل ضابط الارتباط الاسرائيلي غير حكومته ولايعقل ان يمثل ثلاث حكومات. الولايات المتحدة الامريكية وإيران واسرائيل.!! هنا أيضاً تخبط في التقييم فالمصالح بين الدول الثلاث. امريكا واسرائيل وإيران. ليست متطابقة كلية. فإيران لم تهتم بما سيكون موقف تل أبيب أو واشنطن عندما تحقق أهدافها من وراء مساعدة الحركة الكوردية. فبشأن مقترح ضابط الارتباط الاسرائيلي بشن الهجوم خلال حرب اكتوبر. يكتب هنري كيسنجر الى ملا مصطفى: "نحن لا – يكرر لا – نوصيكم القيام بعمل عسكري هجومي كالذي اقترحه الإسرائيليون." [415]

ومن جانب أخر. لو افترضنا أن ما يذكره مسعود صحيح. فالسؤال الذي يتبادر الى الذهن. هو. لماذا إذن رفضت طهران وواشنطن مقترح موظف ينوب عنهما – ونعني ضابط الارتباط الإسرائيلي؟

لكن السؤال الأهم هو. أين كانت إرادة الحركة الكوردية التحررية؟ هل أصبحت الزعامة الكوردية فاقدة الإرادة ولا تتمكن من التحرك إلا بأمر من الخارج؟ لماذا يقترح ضابط الارتباط الإسرائيلي وتقدم القيادة الكوردية مقترحه إلى واشنطن لكي تتأكد من شن الهجوم أو التخلي عنه؟ ومتى كانت واشنطن أو الشاه أو إسرائيل ملتزمين بتحقيق الأهداف الوطنية الكوردية؟ ألا يعني هذا الموقف التابع للخارج أن القيادة الكوردية تتصرف كأداة بيد قوى خارجية؟ وأنها تخلت عن استقلالية القرار؟ الا يعني هذا ان الشعارات التحررية التي رفعتها القيادة الكوردية كانت للاستهلاك المحلي ولم تكن صادقة حتى مع شعبها؟

في صباح 24 تموز من عام 1973 إجتمع شاه ايران بالرئيس الأمريكي ريتشارد نكسون بحضور هنري كيسنجر في Oval Office . وبدأ الحديث في الساعة 10:34 صباحاً واستمر إلى 12:35 بعد الظهر. وتلا ذلك وفي نفس اليوم اجتماع أخر بعد الظهر حضره كيسنجر. ريتشارد هيلمز وهارولد سوندرز من الجانب الأمريكي. ومن الجانب الإيراني. الشاه و اردشير زاهدي. والأخير كان سفير ايران في واشنطن. بدأ الاجتماع الثاني في نفس اليوم في

---

[414] البارزاني والحركة التحررية الكوردية. مسعود البارزاني. أربيل 2002 .ص: 872

[415] Henry Kissinger. Years of Renewal . Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page:587

الساعة 5:00 حتى الساعة 6:40 مساءً. المكان: الصالون الذي يستقبل فيه الشاه ضيوفه في .Blair House

ففي الاجتماع الذي دار صباحاً بحضور الرئيس الأمريكي نيكسون وكيسنجر، عرض الشاه وجهة نظره في قضايا الحرب الباردة والتي تشغل باله وموضع إهتمام البيت الأبيض. من هذه المواضيع: فرنسا وخوفها من إهمال الولايات المتحدة لأوروبا. السوفييت يمارسون دوماً سياسة التهديد، الألمان خائفين من سياسة بريجنيف في إحداث الصدمات، وأن السوفييت حاولوا ممارسة نفس السياسة معنا لكنني أخبرتهم :"إذا ما إستخدمتم سياسة القوة سوف نستخدمها أيضاً. على السوفييت ان يفهموا اننا قررنا البقاء مستقلين." يرد عليه نكسون: "وأنتم مستعدون للموت من أجل ذلك، هناك قلة مهيأة لذلك.". ثم يدور النقاش حول باكستان والهند والإنقلاب الذي حصل بدعم سوفيتي في أفغانستان، وأن السوفييت سيضغطون بإتجاه المحيط الهندي، وثم يتناول دول الخليج والعراق.الخ.... وفيما يخص الأكراد يقول الشاه: "إنكم تدعموننا في العراق، من المهم لأسباب سيكولوجية أن يعرف الأكراد أن الولايات المتحدة العظيمة تدعمهم. بريطانيا تقدم العون كذلك إسرائيل. تركيا غير راغبة في التعاون، لدى تركيا نقطة ضعف دائمة تجاه العراق وخوف من الأكراد. نحن نمنع تحالفاً بين البعثيين والأكراد والشيوعيين." ثم يكرر الشاه العبارة: " نحن نمنع ذلك."[416]

كان وجهة نظرالشاه في بداية السبعينات أن أمن بلاده مهدد بشكل رئيسي من محورين: الإتحاد السوفيتي شمالاً ومن الغرب العراق والقوى الراديكالية العربية المتحالفة مع السوفييت. وكانت سياسته تتلخص في خلق المصالح الإقتصادية والتجارية الكبيرة مع الدول ضمنها الاتحاد السوفيتي، بحيث يردع العدوان على بلاده. ويذكر موجهاً كلامه الى نكسون:

"أؤكد لكم سوف لن نقبل أي شيء من الروس يمس استقلالنا ومسيرتنا التقدمية. لكي نقاوم ينبغي ان نحقق التقدم لبلادنا. يجب ان يتكون لدى الفلاحين والعمال الشعور بالمشاركة، ففي مجتمع يتمتع بميزة المشاركة، سيكون محصناً في مواجهة الأعمال التخريبية. سنعمل من أجل السلام بكل طاقاتنا، نعتقد ان على أمريكا إيجاد معادلة بشأن النزاع العربي الإسرائيلي. لايجوز ان نترك العالم العربي في وضع يائس كلي، ففي تلك الحالة سيفقد السادات السيطرة. لسنا مهتمين بفتح قناة السويس. لكن على اسرائيل القيام بتنازلات ويجب ان تحصل اسرائيل على ضمانات.

---

[416] Memorandum For The President's File. The White House. EO 12958.

إنني أعمل على بناء خط انابيب يمتد الى أوروبا. وبذلك يتولد شعور بأن أمننا غير منفصل عن الأمن الأوروبي. فالدولة الوحيدة المصدرة للنفط الى اوروبا هي إيران. إن ربط بلادي بأوروبا بخط الغاز. يجعلهم يهتمون بنا. ولايمكن للروس استخدام سياسة الوفاق الدولية Detente مع أوروبا والغلاظة معنا. عليهم ربط سياسة الوفاق الدولية معنا ومع أوروبا. ولايمكنهم أخذنا على حدة. هذه السياسة هي أفضل ما أملك من سلاح في غياب السلاح النووي."[417]

في هذين الاجتماعين عرض الشاه أرائه بشكل دقيق فيما يخص قضايا العالم وبالأخص أوضاع الشرق الأوسط وخطط إحتواء نفوذ الإتحاد السوفيتي في المنطقة. وتناول النقاش المملكة العربية السعودية واحتمال حصول تغيير في النظام السعودي. سواء عن طريق إنقلاب أو تدخل خارجي. وكان ذلك الإحتمال هاجس مخيف لإيران والولايات المتحدة الأمريكية. وناقش الشاه وكيسنجر أهمية إجهاض ذلك. عن طريق خطة طارئة في غاية السرّية دون علم الكونغرس. تتدخل إيران وفقها عسكرياً. فيذكر:

"..............................."

الشاه: من الأهمية بمكان ان نعترف ان إنقلاباً في السعودية قد لايكون له أية علاقة بالخطط السوفيتية. قد تقوم بها قوى اخرى.

كيسنجر: عندما تقدمون خطة طوارىء بشأن السعودية. لايجب مناقشتها مع أحد عدى هيلمز. لايمكن مناقشتها عن طريق التلغرام. وهذا يعني أن السفير زاهدي لايعلم عنها كتابياً.

الشاه: أنا موافق. نحن نعمل ذلك مع الأكراد. ليس لدينا سوى اتصالات شفهية معهم.

كيسنجر: فيما يتعلق الأمر بالأكراد. سنعمل الممكن. أعتقد أن جلالتكم على فكرة ان على كلانا تقديم مساعدات أكثر. وإذا ما رأيتم ان هناك حاجات أخرى. سوف ننظر فيها بجدّية.

هيلمز: صاحب الجلالة. البارحة عملنا مع الدكتور كيسنجر استطلاعاً حول الوضع الراهن. فالسلاح الذي تمت الموافقة عليه منذ عام. مهيأ حالياً. ومانحتاجه الأن هو النظر

---

[417] Memorandum For The President's File The White House EO 12958.

الى كيف يمكن تهيأة الأكراد حتى ينجزوا ما نأمله نحن منهم. وعلى أساس هذه المراجعة نقرر ماهي الحاجات الإضافية لكي نلبها.

كيسنجر: سوف نرى فيما اذا كانت هناك حاجات أخرى يستوجب القيام بها.

الشاه: يجب التأكد من ان لديهم (.....................) كل ما يحتاجون. وعلينا ايضاً مساعدتهم في إدارتهم. فإن احتاجوا مثلاً الى منظمة صحية. علينا النظر في ذلك وهل يمكننا مساعدتهم

كيسنجر: الرئيس موافق مع جلالتكم في الأهداف بشكل عام. مشكلتنا اننا غير ملمين بشكل كاف هنا في واشنطن حتى يكون لدينا قرار واضح فيما ينبغي عمله. سوف نقوم بعمل برنامج ونواصل الأتصال مع جلالتكم.

الشاه: هناك شيء أخر يجب القيام به. علينا العثور على عدد من العراقيين من غير المهاجرين .. وارسالهم الى الشمال قرب المناطق الكوردية لتشكيل حكومة وطنية موحدة أو أي تسمية اخرى يريدونها. الأكراد يجب ان يبقوا ضمن الدولة العراقية ويطلبوا حلاً هناك. لكن الأداة الوحيدة لدينا للتأثير على الحكومة العراقية هم الأكراد فقط.

كيسنجر: الرئيس يريد بذل جهود كبيرة. هل تم تنسيق ذلك مع أشخاص تابعين لكم. أم أنها عملية مقتصرة على الأمريكيين.؟

هيلمز: لقد تم التنسيق بشكل تام وبالعمل (مشطوب..............................).
الشاه: نعم، جيد. سوف يكون هناك عذر للأكراد كي لا يتفقوا مع الحكومة العراقية.
كيسنجر: هل بإستطاعتنا ان نمنعهم من التوصل إلى اتفاق ؟
الشاه: نعم. لكن الروس يمارسون ضغطاً مكثفاً على الأكراد للإتفاق مع الحكومة العراقية والإنضمام اليها. لكن البارزاني (الزعيم الكوردي) وعد ان لا يقوم بأي شيء دون موافقتنا. وطلب الدعم المعنوي للولايات المتحدة الأمريكية. قلت له ممكن ان نوفر ذلك. وقلت للبارزاني بأنني لا أريد منه ان يجد دولة مستقلة، لأن ذلك سيكون مبعث خوف هائل لدى تركيا. نحن لانريد إخافة الأتراك بلا ضرورة. إن هذه ورقة رابحة لانريد ان نخسرها.

كيسنجر: الرئيس موافق."[418]

كان بإمكان القيادة الكوردية استغلال نقطة الضعف هذه لدى الشاه وفرض بعض الشروط الهامة عليه. وذلك قبل ان يعد ملا مصطفى الشاه بأنه لن يقوم بأي شئ دون موافقته. لكن التركيبة اللاديمقراطية للقيادة الكوردية وتحكم المنطق القبلي الفردي، حال دون إجراء نقاشات واسعة في المكتب السياسي لتبني استراتيجية على المدى البعيد وتفادي الفخاخ التي ينصبها "الحلفاء المؤقتون". ان احتكار ملا مصطفى للعلاقات الخارجية، وعزالة مكتبه السياسي، أدى الى شلل في القدرة الكوردية في إدارة العلاقات الخارجية. واقتصر أسلوبه الشخصي على طلب العون، بالأخص العون المالي. والمستجدى لايفرض شروطاً. فمعروف كان ملا مصطفى يجامل الشاه الى حدود غير معقولة، ويكرر له إنه طوع أوامره، وهو نفس اسلوب تعامله مع الضباط البريطانيين في الأربعينات. كان كل مرة يدخل على الشاه يقبل يده ويبدى له الطاعة المطلقة، ورغم ذلك لم يصدقه الشاه. وأكدّ لي هذا أحد القياديين الذي رافق ملا مصطفى في معظم لقاءاته بالشاه، وذكر نفس الشخص وهو لايزال على قيد الحياة: " كنا نضطر أيضاً تقبيل يد الشاه مكرهين." وعلى رغم التعامل مع موسكو و واشنطن وطهران وبغداد وتل أبيب ولندن لأمدٍ تجاوز عشرة أعوام، بقيت عقلية القيادة الكوردية غير مرتبطة بروح العصر، ولم تخرج من داخل لإطار القبلي الجامد، وقاصرة عن إنتشال القضية الكوردية من لعبة التداول بين القوى الاقليمية والدولية. بقيت - ورقة ضغط في يد قوى معادية لحقوق الشعب الكوردي -.

كان الشاه قلقاً من حصول انقلاب في السعودية، كذلك في الأردن. وقال لكيسنجر: "إن سقط الأردن، فلن يبقى للسعودية أو للكويت أي مستقبل.

ويرد كيسنجر:

إن هوجم الأردن، سوف نشجع إسرائيل ثانية لتقوم بحشد قواتها وتهرع لنجدتهم. ونتخذ نحن بعض الخطوات. قابلية المناورة ستكون اقل مما كانت عليه في شهر سبتمبر 1970. في ذلك الوقت كان العراق يهدد الأردن. سيكون مفيداً لو علمنا بأن تعبئة للقوات الإيرانية ممكنة أو حتى نشاط عسكري إيراني، هذا مهم بالنسبة لنا لو عرفنا.

الشاه: نعم، لدينا أيضا الأكراد. فيما يخص الأكراد، بإمكان كلينا ان نقدم إلى حد ما دعماً مباشراً أكثر. يشعر حزب البعث حالياً بالضعف. إنهم يقولون أشياء جيدة للغرب الآن

---

[418]The White House Washington. Memorandum. Exclusively Eyes Only. Tuesday, july 24, 1973. 5:00-6:40 p.m.

لكسب الوقت. لكنني أبلغت الأكراد أن عليهم أن لا يشتركوا مطلقاً في أي تحالف حكومي. وقلت لهم عليهم أن يتوقفوا عن استقبال الممثلين السوفييت أو ممثلي البعث من بغداد. لكن طلبنا هذا منهم يقتضي منا أن نعطيهم أموالاً أكثر.

السفير هيلمز: نعم. ربما يتعين علينا أن نعطيهم أكثر بعض الشيء.

كيسنجر: مبدئياً يمكنكم الاعتماد على ذلك........"

(...)

كيسنجر: صاحب الجلالة. فيما يخص الأردن. أنا من المعتقدين بأهمية دراسة الخطط قبل حصول الأزمات. فما أن تبدأ الأزمات. سيكون هناك الكثير من الالتباس بحيث يصعب دراسة ما يتوجب عمله. هل ممكن لجلالتكم أن تأمروا بخطط طوارئ لوضع يتعرض فيه الأردن لهجوم من سوريا والعراق؟

قد يكون من المفيد تبادل وجهات النظر في هذا كما هو الحال مع خطة الطوارئ السعودية. تعملون هذا فقط مع هيلمز وهو بدوره يبلغنا عن طريق رسول. أن هذا مهم كي نعرف ما الذي سيحدث.

الشاه: قد أتصل بالملك حسين. من الممكن أن نلعب الورقة الكوردية وان نشجعهم على البدء بالمناوشات. هذا يؤدي إلى جلب القوات نحو شمال العراق بعيداً عن الأردن. وبإمكاننا كذلك تعزيز حدودنا.[419]

(...........................)

(.................................)

يتضح من الحوار السالف أن سياسة طهران وواشنطن كانت تتجاهل حقوق الشعب الكوردي، وكانت تخدم بالدرجة الأولى مصالحهما في المنطقة وتعاملا مع القيادة الكوردية بأسلوب يمس الكرامة الوطنية ولا يليق بحركة تحررية وطنية هدفها تحقيق الحقوق القومية لشعب يعاني من الاضطهاد القومي. لكن المسؤولية في مثل هذا التعامل الواطئ يجب أن يوضع على باب القيادة الكوردية التي تصرفت كمتسول وليست تجسيداً لنضال شعب ثائر يقدم التضحيات بسخاء في معركة النضال التحرري.

وفيما يتعلق بالحزب الشيوعي العراقي. فقد مارس الإتحاد السوفيتي الضغط عليه للانضمام إلى الجبهة الوطنية والتفاهم مع البعث. هنا نحن أمام وضع تتجاهل فيها القوى

[419] Memorandum of Conversation. The Shah of Iran, Ardeshir Zahedi, Henry Kissinger, Richard Helms, Harold H. Saunders. Friday, July 27, 1973.

العظمى متطلبات الديمقراطية والاستقرار الداخلي في العراق وحتى مصالح زبانتها المحليين. من أجل مصالح القوى الدولية. وبنصاع اللاعبون المحليون لهذه السياسة. القيادة الكوردية تتبع نصائح الشاه. والحزب الشيوعي العراقي يتبع موسكو. وبكلمة أدق أصبح دور اللاعبين المحليين دوراً تابعاً. فاقداً لإستقلالية القرار. ومن هنا رسوخ التبعية السياسية للخارج. إن فسخ التعاون بين (حشع) و(حدك) صبت مباشرة في صالح صدام حسين وشاه إيران وواشنطن وموسكو. ملحقة الدمار بالحزب الشيوعي العراقي وبالشعب الكوردي. فعندما يسأل كيسنجر الشاه بنوع من القلق في إمكانية منع التفاهم – الكوردي – الشيوعي - البعثي – يظهر مدى أهمية فسخ الوحدة الوطنية في العراق لصالح أهداف الصراع الشيوعي الرأسمالي في المنطقة خلال ذروة الحرب الباردة. وهذا لايعني أن الوحدة الوطنية تمزقت بفعل التدخلات الخارجية وحدها. فقد أثبتت النخب الحاكمة والحزبية في العراق عدم نضج سياساتها لخدمة المجتمع العراقي ككل. إذ طغت دوماً روح فردية. نخبوية حزبية أو مذهبية أو طائفية في سلوك القادة المحليين. فقد مارسوا "سياسة المجتمع في خدمة النخبة وليست النخبة في خدمة المجتمع". كما ظهر فقدان الحزب الشيوعي العراقي لسياسة مستقلة وتورط الزعامة الكوردية في علاقات خارجية لاتتحكم هي في مسارها. بل أمست وبالاً على الشعب الكوردي.

بعد أكثر من عقد من الزمن في قيادة الحركة الكوردية. لماذا لم تتمكن الزعامة الكوردية من تقييم سياسة طهران على حقيقتها. أليس من المنطق ان دولة معادية للحقوق الكوردية لا تقدم المساعدة الا خدمة لأهدافها هي. ومساعدة من الشاه لا يمكن الا ان تكون مسمومة وقاتلة. عندما تدير هذه العلاقة قيادة ساذجة غير أبهة بمشاريع الشاه الخفية. استبشرت الزعامة الكوردية بإنشاء روابط مع إسرائيل ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وظنت أنها تجاوزت (شرطي المرور الإيراني). دون ان تدرك أبعاد العلاقة بين طهران وتل أبيب وواشنطن. كانت سياسة الشاه هي الإبقاء على الزعامة الكوردية [جاهلة] و[ضعيفة] و[معزولة]. لكي يستخدمها لتحقيق مشاريعه. ولعل العامل الذي ساعد نجاح سياسة الشاه هو عامل " تمسك الزعامة الكوردية بالمنطق القبلي القاصر في فهم طبيعة العلاقات الدولية وادارة الصراع الديبلوماسي خلال الحرب الباردة وكرهها في تعلم الجديد. ومن هنا أصبح سهلاً خلق انطباع أو بشكل أدق (خلق الوهم) لدى الزعامة الكوردية. من خلال فتح نافذة على واشنطن وتل أبيب. أنها – القيادة الكوردية – تعول على ثلاث دول وليست دولة واحدة. وكان هذا الوهم قاتلاً. فطهران هي التي صممت هذه السياسة مع تل أبيب و واشنطن. وطهران كانت تملك مفاتيح هذه العلاقة.

كانت الزعامة الكوردية كما رأينا تستقوي بالخارج وتهدم الجبهة الداخلية الكوردية، وفاقدة الإحساس بمشاعر الشعب الكوردي وحقائق المجتمع. متلهفة نحو كل ما يمس العلاقات الخارجية الى حدود التخلي عن الكرامة الشخصية وبنزعة قوية من قيم "المرتزقة".. وكان رئيس الحزب يقول لرجال البعثة الإسرائيلية: "إنه يعتبر إسرائيل بمثابة دولة عظمى. وكان يقول بإعجاب وتقدير إن اليهود يسيطرون على معظم أموال العالم، لذا لا يستطيع ان يفهم الأسباب التي تمنع إسرائيل من وضع مليون دولار تحت إمرته شهرياً، أو منحه قرضاً بحجم ميزانية سنوية؟ وكان يؤكد أن هذه الأموال ستعاد إلى إسرائيل حتى أخر (سنت) في أعقاب انتصار الأكراد على العراقيين"[420]

ويعلق على نفس الموضوع مائير عميت، مدير الموساد: "في الوقت الذي حاولنا فيه مناقشته – يعني ملا مصطفى – حول الوضع العسكري، وحول تنظيم التمرد، وضرورة توجيه ضربة شديدة للعراقيين المهزومين، تمسك البارزاني طيلة الوقت بالحديث عن الاوضاع الاقتصادية الفظيعة والتي لاتطاق، والتي تقلقه الى مالانهاية. وحينما حاولنا ان نصف له الصعوبات التي نواجهها لكوننا شعباً صغيراً، بدا انه لا يسمع ما نقول، ولا يفهم، ويصر على القول : أنتم تستطيعون فعل كل شيء وستقدمون لنا المساعدة.[421]

وعندما اقترب الوضع مع بغداد من الانفجار عام 1974، حذرّ شاه ايران الولايات المتحدة الامريكية من ان "هزيمة الاكراد ستزيل احدى الاطارات التي تشكل التوازن داخل العراق وتزيد الراديكالية والنفوذ السوفيتي في المنطقة، مضخماً التهديد على الخليج وايران."[422] كما تعالى صوت الزعامة الكوردية في طلب المزيد من العون المالي من حليفاتها بعد فشل المفاوضات مع البعث. يقول كيسنجر: "في أذار 16، 1974، عرض علينا البارزاني خيارين لاستراتيجيته المقترحة: منحه 180 مليون دولار للحكم الذاتي الكامل، و360 مليون دولار لتأسيس ماسماه بالبنية التحتية "المناسبة" للاستقلال"[423]...لانعلم كيف تم اجراء الحساب ولاكيف توصلت الزعامة الكوردية الى ذلك الاستنتاج الغريب، واحد للحكم الذاتي والأخر للاستقلال. هنا نحن امام نقص كبير في فهم العلاقات الدولية. فالولايات المتحدة الأمريكية لم تكن على استعداد لإغضاب إيران او تركيا من اجل الأكراد. كما انها

---

[420] شلومو نكدبمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 125

[421] شلومو نكدبمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 159

[422] Henry Kissinger. Years of Renewal . Published by: Simon & SCHUSTER. New York 2000. page 588.

[423] Ibid. Page: 588

لم تكن على استعداد لمنح القيادة الكوردية الحد الأقل من المبلغ المطلوب. لأن ذلك: "كان يتجاوز كل الميزانية المخصصة للعمليات السرّية التي تقوم بها الولايات المتحدة" حسب قول كيسنجر.[424]

هنا أيضاً نحن أمام وضع يبعث على التساؤل. فالزعامة الكوردية تترك خيار "الحكم الذاتي" و"الاستقلال" لواشنطن. لكي تختار احداهما. وتسلم العون المالي المحدد لكل خيار وحسب ماتريده واشنطن!. والزعامة الكوردية بانتظار هذا التحديد. أو بالأحرى "الأمر" لتقوم بتحقيق الهدف الذي تحدده واشنطن.! أما ارادة الشعب الكوردي فلا أهمية لها عند القيادة الكوردية. إذ لا يتجاوز أن يكون الشعب وسيلة لتحقيق طموحات قيادة تنتظر الأوامر من الخارج.

في أول تقرير سنوي عن السياسة الخارجية رفعه الرئيس نيكسون الى الكونكرس في 1970/02/18 بحوالي ثلاث أسابيع قبل التوقيع على إتفاقية أذار 1970. يذكر مايلي:

"....ان هدفنا في المبادرة الاولى هو ترسيخ مصالحنا للأمد البعيد خلال سياسة خارجية متزنة. وكلما بنيت تلك السياسة على تقييم واقعي لمصالحنا ومصالح غيرنا، سيكون دورنا في العالم أكثر فاعلية. فتدخلنا في الشؤون العالمية ليس بسبب أن لدينا التزامات. ولأن لدينا التزامات لكوننا مقحمون. إن مصالحنا يجب ان تحدد التزاماتنا. وليس العكس.[425] لم يشر الرئيس الى أية التزامات أخلاقية لأي جهة كانت.

أما كيسنجر فيقول، انه أعطى تعليمات الى Helms لإبلاغ الإثنين. الشاه وملا مصطفى بما يلي:

"نرى ان مصالح الولايات المتحدة تكمن (a) تمكين الأكراد الاحتفاظ بإمكانية معقولة للتفاوض من اجل الاعتراف بحقوقهم من قبل حكومة بغداد. (b) ضبط حركة الحكومة العراقية الحالية. لكن (c) عدم تقسيم العراق بشكل دائم لأن منطقة كوردية مستقلة لا

[424] Ibid. Page: 588

[425] Years of Renewal. Henry Kissinger. Published by: Simon & SCHUSTER New York 2000. page: 98

تمتلك المقومات الاقتصادية للبقاء. وليس لدى الولايات المتحدة الأمريكية مصلحة في غلق الأبواب امام علاقات جيدة مع العراق تحت زعامة معتدلة." [426]

مادة (a) لا تنسجم مع خطط الشاه. فالأخير كان يهدف إرغام بغداد على القبول باتفاقية جديدة تضمن له توسيع أراضيه لتشمل نصف شط العرب. وفي نفس الوقت سحب البساط من تحت أقدام الحركة الكوردية لكي لا يتكرر التفاهم مع نظام بغداد كما حصل في بيان أذار عام 1970. لابل كان الشاه من أنصار إحياء حلف بغداد. أي تعاون الدول المحتلة لكوردستان. ضد الحركة التحررية الكوردية ومعاداة المدّ الشيوعي. لذا مايقوله كيسنجر نشك في صحته. وإن كان صحيحاً لماذا لم يردّ كيسنجر على رسائل الإستغاثة التي بعثها ملا مصطفى في أعقاب اتفاقية الجزائر؟ ولم تفعل الولايات المتحدة شيئاً لإنقاذ الحركة الكوردية من الانهيار الصاعق والمفاجيء ؟ هل كانوا يائسين من قابليات الزعامة الكوردية؟

وكما شاهدنا أثناء الحوار بين الشاه وكيسنجر في 24 تموز عام 1973 يتسائل الأخير بما نصه: Can we keep them from coming to terms ? [427] إن هذا يثبت ان واشنطن وطهران كانتا تعملان على منع التفاهم بين أطراف القوى السياسية الرئيسية داخل العراق. ودون ضمانات للشعب الكوردي. والذي دفع ثمناً باهضاً لجهل وأنانية قادته.

كانت اتفاقية (Détente)- سياسة الوفاق الدولية – الموقعة بين نيكسون وبرجنيف. في شهر مايس 1971 تنص على أن الجانبان سيعملان كل ما في وسعهما للحيلولة دون تطور النزاعات نحو تصعيد حدة التوتر الدولي. أو خلق مخاطر جادة في علاقاتهما وتفادي المجابهة العسكرية بينهما. لذا نجد ظاهرة الحروب بالنيابة. فلكل من العملاقين مجموعة دول ترتبط مصالحها بمصالح احدى القوى العظمى. وفي الشرق الأوسط أنذاك كان نفوذ الاتحاد السوفيتي طاغياً في مصر وسوريا والعراق واليمن والصومال. في حين كان النفوذ الأمريكي والغربي في الاردن والسعودية ودول الخليج النفطية وإيران وتركيا ولبنان واسرائيل.

---

[426] Years of Renewal. Henry Kissinger. Published by: Simon & SCHUSTER New York. 2000. page:589

[427] The White House Washington. Memorandum. Exclusively Eyes Only. Tuesday, July 24, 1973. 5:00-6:40 p.m.

وحتى من وراء دعم الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل، توخت دائماً إضعاف النفوذ السوفيتي والحلول محله، كما هو الحال مع مصر. إذ يقول كيسنجر: "عندما تسلم ريتشارد نيكسون الرئاسة عام 1969، وجدنا ان المزود الرئيسي بالسلاح للعرب (أو على الأقل العرب الذين بقوا في مجابهة اسرائيل) هم الروس وكانوا يدعمون البرنامج الراديكالي للسلم ... فصممنا سياسة بمقتضاها نحبط اية حركة مدعومة بالسلاح السوفيتي، لكي تصاب الزعامة العربية بالخذلان وتتوجه الينا خلال الدبلوماسية، بعدها نمهد لوضع نتمكن نحن التحكم في بلورته."

من نتائج حرب أكتوبر 1973 أن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية المزود الرئيسي بالسلاح لإسرائيل وبذلك حلت محل فرنسا والتي كانت الممول الرئيسي بالسلاح لإسرائيل قبل حرب أكتوبر 1973. كما ان حرب يوم الغفران واستخدام الدول العربية سلاح النفط الفعال ورفع أسعاره وما مثله ذلك من تهديد لمصالح الغرب واليابان، ساهمت في حضور أمريكي أكثر كثافة في الشرق الأوسط، كما وجدت في قوة إسرائيل العسكرية فائدة في عملية وقف التغلغل السوفيتي في المنطقة. والنصر العسكري الإسرائيلي فتح الطريق لشن دبلوماسية أمريكية ناجحة في المنطقة.

كان الصراع العربي الإسرائيلي يتزود بالسلاح من المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي، ونجد أن السياسة الأمريكية كانت الأكثر نجاحة على الأمد البعيد. فرغم جهود السوفييت الدبلوماسية العظيمة وبناء جسر جوي وبحري لإمداد مصر وسوريا بالأسلحة المتطورة أثناء حرب أكتوبر عام 1973 ، خسر الاتحاد السوفيتي نفوذه في مصر بسرعة، ولم يأبه السادات بحليفه الذي مكنه من تسديد ضربة عسكرية هامة لإسرائيل. كما فعل صدام حسين مع السوفييت بعد أن أمم النفط بدعم سوفيتي وحارب بالأسلحة السوفيتية الحركة الكوردية، فقد وقع على اتفاقية الجزائر دون استشارة السوفييت. لقد تمكنت واشنطن من استخدام النصر العسكري الإسرائيلي لصالح إبعاد النفوذ السوفيتي من مصر والشرق الأوسط - وهي إحدى أهم الدول في العالم العربي - والحلول محله. وفعلاً تعتبر مصر من الدول الملتصقة بأمريكا، ومعتمدة على المعونات الاقتصادية الأمريكية. ومرتبطة بإسرائيل باتفاقية كمب ديفد. أما بالنسبة لنفوذ واشنطن في العراق، فقد اقتضى الانتظار الى الحرب العراقية الإيرانية لكي تقف واشنطن مع العراق للنيل من إيران، ثم تحتل العراق عسكرياً عام 2003.

إن الأمن القومي لشعب من الشعوب وكما هو بالنسبة للدول موجود في أرض الوطن ومع الشعب والارتباط الحقيقي بآلامه وأماله. كان العدل الاجتماعي غائباً عن ذهن الزعامة الكوردية وقد سقنا شواهد، عديدة للاستدلال على ذلك. فالأمن القومي لا تحميه علاقات خارجية كالتي ارتبطت بها الزعامة الكوردية بجهاز السافاك الإيراني أو بوكالة المخابرات المركزية الامريكية أو الموساد الإسرائيلي. لا بل لم تسعى القياد الكوردية حتى الاستفادة من العون الخارجي لصالح تقوية الجبهة الداخلية وتهيئتها لمجابهة التحديات والعمل على تحقيق الانتصارات العسكرية والتي من شأنها تغير موازين القوى لصالح النضال الكوردي، وبذلك تكسب اهتمام الدول الخارجية ويحسب لها حساب جدّي. بل استفادت من المعونات الخارجية لتقوية "النفوذ الفردي" لم تكن الروابط الخارجية تكملة لبناء الداخل. إنما العكس، كان أسلوب استخدامها لإفساد وهدم المناعة الداخلية. فالسياسة الخارجية يجب ان تخدم مصالح الداخل. وبالنسبة للحركة الكوردية كان ينبغي للعلاقات الخارجية ان تعزز قاعدة الحركة الكوردية وقوات الأنصار وتوفير عوامل الديمومة والفاعلية في قهر القوات العراقية وارغامها على التخلي عن سياستها العدوانية ومصادرة الحقوق الكوردية. لقد مثلت السياسة الخارجية نقطة ضعف كبيرة في الحركة الكوردية مما أدى بها الى الدخول في لعبة "التداول" بين عدد من اللاعبين من الدول المعادية لحقوق الشعب الكوردي، وفقدت الحركة الكوردية عنصر المبادرة والاستقلالية في اتخاذ القرارات المصيرية.

وفي معرض العلاقة بين إنسجام المصالح الداخلية وإتجاه السياسة الخارجية، يجب على السياسة الخارجية تعزيز المصالح الداخلية، فأساس العلاقات الخارجية تمليها ضرورات المصالح الداخلية، وبهذا الصدد يقول هنري كيسنجر في معرض حرب فيتنام التي جابهت نقمة شعبية واسعة في الولايات المتحدة الأمريكية: "ليست هناك سياسة خارجية أقوى من قاعدتها الداخلية."[428] ومن هنا هزيمة أمريكا في حرب فيتنام. وفيما يتعلق بالعلاقات الخارجية للحركة الكوردية، فإنها لم تعكس مصالح الداخل، إنما بشكل من الأشكال خضعت مصالح الداخل الى مصالح الخارج، أي وضع الحصان وراء العربة. وهنا تأتي مسؤولية الزعامة الكوردية، فهي لم تكن مرغمة على إهمال تعزيز قاعدة القوى والعناصر الداخلية الفاعلة في الحركة الكوردية. ويعكس ذلك قصورها وتخلفها في فهم قوانين الصراع السياسي في زمن الحرب الباردة وإنتمائها الى أصول قبلية في التفكير

---

[428] Years of Renewal. Henry Kissinger. Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page: 470

والقيادة. فتصورها عن العلاقات الخارجية كان بدائياً. العالم منقسم الى قطبين رئيسيين، أي بين موسكو و واشنطن. والدول الأخرى تابعة وعميلة لهذين القوتين العظميين. ووفق هذا المنطق صدام حسين عميل لموسكو وشاه إيران عميل لواشنطن. وبموجب نفس المنطق تصبح العمالة شيئاً عادياً بالنسبة للزعامة الكوردية. وبنت علاقاتها الخارجية على هذا النمط.

ويعلق الكاتب الأمريكي Jonathan C. Randal[429] كان الشاه واعياً لثقة ملا مصطفى العمياء بالولايات المتحدة الأمريكية. وأنه غير مطمئن لنوايا طهران. لذا قام الشاه بإقناع الولايات المتحدة بدعم الحركة الكوردية لإزالة هذه الشكوك. لكن البارزاني وقع في الفخ الذي نصبه هو لنفسه. كان يلح على الشاه والإسرائليين العمل على فتح قناة مباشرة للأكراد مع الموظفين الأمريكيين. لم يتخلى الشاه عن محاولاته رغم تكرار الرفض الأمريكي.

لو عدنا الى عام 1946 نرى أن الدعم الأمريكي للشاه أوقف تهديدات السوفييت التوسعية في أسيا الوسطى وساهمت في إعادة سلطة الشاه الى أذربيجان وكوردستان. والأن مرة أخرى تأتي الحرب الباردة لمصلحة الشاه. والحادث الثاني الذي أدى الى تغير في موقف واشنطن كان التوقيع بين بغداد وموسكو في 9 أبريل 1972 على معاهدة الصداقة والتعاون لأمد خمسة عشر عاماً. وتمكن شاه إيران بشكل مفاجيء ان يلعب ورقة المنافسة بين القوى العظمى بسهولة لأن السوفييت كانوا قد وقعوا معاهدة مماثلة مع مصر وسوريا. ومن هنا قلق واشنطن في كون السوفييت قد يضغطون على الدول النفطية الضعيفة. المملكة العربية السعودية القليلة السكان ودول الخليج الصغيرة والغير قادرة على الدفاع عن نفسها. ووجد كيسنجر في منطق الشاه عن الحرب الباردة أمراً ايجابياً يستحق التجاوب معه. ففي اليوم الثاني بعد مغادرة نكسون طهران. ذكر الشاه لأسدالله علم: "كيسنجر يقدر عالياً استقرار إيران والمسؤوليات التي نتحملها في منطقة الخليج الفارسي" وثم يمضي الشاه فيقول لأسدالله علم: "ذكر كيسنجر انه يعتقد ان الروس ذهبوا بعيداً في علاقاتهم مع العراق وانه يجب عمل شيئاً ما لوقف التعفن."[430]

---

[429] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal. P: 150

[430] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal. P: 151

•

والعامل الثالث الذى أدى الى التغير في الموقف الأمريكي هو إعلان العراق تأميم شركة النفط العراقية. فبالنسبة لأمريكا والشاه مثلت المعاهدة تغلغلاً سوفيتياً هاماً في دولة شرق أوسطية رئيسية غنية بالنفط وجارة لإيران.

في واقع الأمر لم تكن المساعدات الأمريكية هامة إن قورنت بالمساعدات التي قدمها شاه إيران للحركة الكوردية من مال وتموين وأسلحة وقوات. لكنها كما يقول Jonathan C. Randal كانت كافية لطمئنة أوهام ملا مصطفى الخطيرة المتعلقة بالحصول على ضمان أمريكي حقيقي للأكراد."[431]

وكما نوهنا. كان الشاه متخوفاً من تفاهم يحصل بين المثلث المؤلف من البعث. الشيوعي والكوردي. لذا كان يسعى الى إبعاد ملا مصطفى عن التفاهم مع بغداد لكي يبقى ورقة ضغط هامة في خدمة سياسة الشاه[432]

ولإنقاذ العراق من الفوضى والدكتاتورية وضمان الحكم الذاتي لشعب كوردستان. بالضبط كان ينبغي تحالف تلك القوى الثلاث بإخلاص والتي ذكرها الشاه من أنه يمنع تحالفها. لكن في واقع الأمر هذه القوى كانت متخلفة وقصيرة النظر والطموح الشخصي والحزبي والعائلي يعلى السياسات وعلى حساب القضايا المصيرية للشعوب. ومن هنا وقوعها فريسة للمخططات الأجنبية.

وبعد إقامة العلاقات مع وكالة المخابرات المركزية. تغير موقف القيادة الكوردية وأصبحت أكثر جرأة في علاقاتها مع حكومة بغداد ومع الحزب الشيوعي العراقي وحتى مع الإتحاد السوفيتي. والمثال التالي يرينا كيف تم استخدام العلاقات الخارجية المهزوزة أصلاً لإثارة العواطف القومية لدى المسؤولين الكورد (تضليل الذات) ومعظمهم كانوا يجهلون حقائق العلاقات الخارجية التي بقيت حكراً على [رئيس الحزب وولديه] وربما ولو بصورة أقل على الدكتور محمود عثمان وسامي (محمد محمود عبدالرحمن) لكونهما ملمين باللغة الإنكليزية. ففي اجتماع هام في 1973/12/20 "اجتمعت اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكوردستاني ثم توسع الاجتماع ليضم قادة القوات العسكرية للمناطق الكوردية (امراء الالوية) وقد خطب الزعيم الكوردي مصطفى البارزاني في الاجتماع قائلاً بانه (البارزاني)

---

[431] Ibid. page: 152

[432] Memorandum. Sensitive Exclusively Eyes Only. Authority E.O 12958

سوف يقاتل الحكومة العراقية اذا تجددت الحرب بنفس الأسلحة المتوفرة لدى الجيش العراقي."[433] في واقع الأمر. ومنذ عام 1966 لم يترك ملا مصطفى مقره الرئيسي في حاج عمران. فقد كان ينقل في كل صيف عائلته نحو المنتجع المفضل لديه (حاج عمران) حيث يسيطر على "النافذة" التي من خلالها يأتي المال والسلاح وتدار العلاقات الخارجية. تاركاً شؤون الجبهات والقتال لقادة هم رجال الحاشية المنصاعين والذين بقوا في مناصبهم حتى النهاية. وبقي ملتصقاً بالنافذة الخارجية حتى الإنهيار ومن خلال تلك "النافذة" غادر بهدوء نحو إيران نهائياً.

هذا التصريح المغالي في التفائل – اللامسؤول - والموحي بوجود القوة الرادعة في حوزته. ولّد شعوراً زائفاً بالقوة في أوساط المجتمع الكوردي. فالتحق بالحركة عدد كبير من أبناء الشعب. من المدن الكبيرة. ويقول القيادي شكيب عقراوي: "وان كثرة عدد الملتحقين بالثورة الكوردية أحدثت بعض الفوضى والارتباك في صفوف الثورة الكوردية وزادت من الأعباء والمشاكل الإدارية والتموينية وزادت من عدد الضحايا التي قدمتها الثورة الكوردية." [434] ويضيف: "عندما توتر الوضع في شهر مارس 1974 وظهرت سحب الحرب في سماء كوردستان تبدو للعيان فان قوات الثورة الكوردية لم تكن مدربة وجاهزة للحرب. ولم يكن قد جرى الاستفادة من فترة السلام لإعادة تدريب وتنظيم في صفوف الثوار الأكراد."[435]

ويزيد شكيب معترفاً: "وعلاوة على ذلك لم تحاول أجهزة الحزب بعد أن تجدد القتال: "اخلاء المناطق الأهلة بالسكان مما سبب أضراراً لامبرر لها. فقد قصفت طائرات القوة الجوية العراقية خلال شهر نيسان/ابريل 1974 بلدة گلاله وقلعة دزه وجوارتا وحلبجه وزاخو وبلغت الاصابات حوالى الالف من القتلى والجرحى. وقد قدم الشعب الكوردي هذه التضحيات بدون مبرر نتيجة اهمال القيادة الكوردية." [436]

ليس هناك أدنى شك من ممارسة القيادة الكوردية للسلطة دون أية محاسبة. ولو كانت هناك محاسبة لما تجرأت القيادة على التقاعس والكسل إلى حدود التسبب بالكثير من المآسي التي دفع الشعب الكوردي ثمناً باهظا من أرواح أبنائه على وجه الخصوص.

---

[433] سنوات المحنة في كردستان شكيب عقراوي تموز 2007 ص 371
[434] ن. م. س. ص. 371
[435] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007 ص 376
[436] ن. م. س. ص. 370

ولنستشهد ببعض الوقائع الصارخة التي تستدعي تهنئة البديل لديمومة الحركة الكوردية وتفادي الوقوع في فخ مميت. لكن أهملتها القيادة وأبت الا غمض عينها وبإصرار عن رؤية المخاطر التي تحدق بالشعب الكوردي. خاصة إنها (القيادة) كانت على استعداد تام للنجاة بجلدها وفي أية لحظة مع ما جمعته من غنائم من خلال "طريق حاج عمران". وكما أسلفنا كانت ومنذ عقد من الزمن تعيش القيادة على حافة الخط الحدودي مع ايران.

يقول الدكتور محمود عثمان : " كان هيلمز واضحاً جداً. قال لنا إنه يستقبلنا لأن الشاه طلب من الحكومة الأمريكية مساعدتكم." وأضاف عثمان: "كان ذلك السبب الوحيد بالنسبة لواشنطن في مساعدتنا. طالما الشاه يواصل تلك السياسة. تواصل واشنطن أيضاً. "شخصياً لم أشعر بالإرتياح. لقد ذهبت الى واشنطن لأن البارزاني طلب ذلك. قمت بواجبي. لكنني لم أقتنع بأن هذه العلاقة جدّية بالنسبة لنا. فالأمريكيون لم يتبنوا كلية ذلك. لم تكن هناك ضمانات. لم أكن متفائلاً."[437]

يقول وزير الخارجية الامريكي السابق هنري كيسنجر: "بنهاية عام 1971 اقتربت العلاقات مرة اخرى بين الاكراد وبغداد من حافة الانهيار. فقد وضع الأكراد اللوم على صدام حسين بسبب محاولة الاعتداء على حياة البارزاني وزادت شكوكهم بتحركه نحو تشكيل حكومة وحدة وطنية ضمت الحزب الشيوعي. وهذا ما عزل الاكراد. .... وفي شهر نوفمبر 1971 وثم في شهر أذار 1972. ناشد الشاه نيكسون ليتعاون معه في اسناد البارزاني. وفي 28 شهر أذار توسط ملك الاردن من خلال مناشدة مباشرة من البارزاني لدى نيكسون. وإسرائيل رغم كونها لم تطلب بشكل مباشر مساعدة مالية. التزمت بإعلامنا عن اهتمامها بالاتجاه الذي تسير فيه السياسة العراقية وبالحكم الذاتي للمناطق الكوردية.

رفضنا هذه التوجهات التي تتضمن مساعدة مباشرة لأننا لم نكن راغبين في إثارة تدفق المزيد من السلاح والنفوذ السوفيتي. وأشار السفير الامريكي في طهران Joseph Farland محذراً اذا ما انطلقت العملية السرّية فسنكون هناك مجازفة ان تصبح مفتوحة بلا نهاية. واذا ما توقفت. فسنكون معرضين لـ "تفسيرات خاطئة".

---

[437] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randa. P: 152

في حين يذكر Trita Parsi : "أثناء زيارة الرئيس نكسون ومستشار الأمن القومي هنري كيسنجر لطهران في شهرمايس 1972، أقنع الشاه الولايات المتحدة للقيام بدور أكبر في مهمة كانت مقتصرة الى حد كبير على إسرائيل وإيران. عارضت وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية على أساس أن الكورد سيخانون حتماً من قبل طهران. لكن كيسنجر قرر العكس وقال ان هذا يشكل وسيلة جيدة للولايات المتحدة لإظهار دعمها لإيران."[438]

لكن كان شاه إيران يخشى من ان الاتحاد السوفيتي ماض في مسعاه وقد ينجح في تحقيق إتفاق بين الاحزاب الثلاث: [البعث، حدك وحشع] واذا ما نجح السوفييت في هذا المسعى فإن احدى اهم عوامل الضغط السياسي والعسكري في يده ستسقط مسببة ضعفاً كبيراً في موقف إيران تجاه العراق والسوفييت وفي منطقة الخليج الفارسي .. من هنا موقف الشاه المشجع لدعم الزعامة الكوردية وفتح النافذة الأمريكية لدعم الحركة الكوردية، لكن دائماً مع الاحتفاظ بمستوى معين لا يتجاوز الاستنزاف للطرفين: الحكومة العراقية والحركة الكوردية. لقد سعى شاه ايران الى سحب الأكراد من تحالف ثلاثي (كردي – شيوعي – بعثي بمباركة سوفيتية) ونجح في ذلك لثلاث أسباب: الإغراء المالي، الطاعة التي كان يظهرها ملا مصطفى للشاه، وغياب الثقة بين بغداد والزعامة الكوردية إثر سلسلة من محاولات الاغتيال والتهرب من تطبيق بنود إتفاقية أذار1970. عرف الشاه كيف يسحب ملا مصطفى من هذا التحالف، فقد كان يدرك مدى أهمية واشنطن في تطمين الزعامة الكوردية ويعرف نوايا ملا مصطفى وشخصيته بدقة. لذا وجد الفرصة مناسبة تماماً لخطط عندما زار نيكسون طهران في شهرمايس (30، 31 – 1972) ففي هذه الزيارة أظهر نيكسون للشاه انه الرئيس الأمريكي الأقل تأثراً بالعلاقات الشخصية مع قادة القوة العظمى الشيوعية. وفي كلامه الافتتاحي أكد على تصميمه الوقوف الى جانب أصدقاء أمريكا وافشال المغامرات السوفيتية في الشرق الأوسط.

---

[438] Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yale University press/new haven and London.2007.page: 54

يقول كيسنجر: "وجد الشاه نيكسون مستمعاً متجاوباً عندما عبّر عن قلقه من أن "السوفييت يعملون على تشكيل إئتلاف يضم الاكراد والبعثيين والشيوعيين. وبدل ان تكون المشكلة الكوردية شوكة في ظهرهم ستتحول الى مصدر قوة للشيوعيين"[439]

•

إتخذ نيكسون قرارين نتيجة هذا الاجتماع: إتخاذ إجراء مقابل لصفقة السلاح بين صدام وكوسيجن. فأيد بيع طائرات متطورة جداً والتي طلبها الشاه. لكن أرجئت بسبب خلافات بيروقراطية داخل البنتاغون والتي كانت حول إما إختيار تسليم المقاتلات الجوية F-15 العائدة الى القوة الجوية أوF-14 العائدة الى القوة البحرية. حلّ نيكسون الأمر بالقبول على التوجهين تاركاً للشاه حرية الاختيار. وفي نفس الوقت إقتنع نيكسون انه دون الدعم الامريكي للانتفاضة الكوردية أمام بغداد، فإنها ستنهار. لذا كانت هنالك حاجة لنوع ما من المساهمة الأمريكية للإبقاء على معنويات حلفاء أساسيين مثل إيران والأردن. وبغض النظر عن اختلاف دوافعهما ، وكمساهمة أيضاً للاحتفاظ بتوازن القوى الإقليمية."[440]

•

بعد زيارة نيكسون للعاصمة الإيرانية، إستفسر السفير الإيراني لدى واشنطن، أمير أسلان أفشار من الشاه: " فيما إذا تجاوب الرئيس نيكسون مع طلباته . كان جوابه "نعم، أكثر مما أردته، أكثر مما توقعته". ويذكر الصحفي الأمريكي راندل عن نتائج زيارة نكسون لطهران وتلبيته لمطالب الشاه: " في الواقع مثلت الزيارة حكاية تحذيرية تظهر خطر الأدعية المقبولة للشاه وللملا مصطفى البارزاني. لقد ساهم الرئيس نيكسون بشكل غير مقصود في سقوط الشاه وفي نشوء حالة انعدام الاستقرار لمدة طويلة في الشرق الأوسط، وذلك من خلال تشجيع أسلوب الحكم الاستبدادي المطلق للشاه وتعطشه اللامحدود للأسلحة الأمريكية المتطورة، هاذين العاملين معاً ساهما في نبخر الاقتصاد الإيراني وتقويض الثقة بشخص الشاه. ونجم عن ذلك تهيأة العوامل لثورة أية الله روح الله الخميني بعد خمسة أعوام.

ودون تفكير ناضج في النتائج المحتملة، ولكي يسُرّ الشاه أكثر، قرر نيكسون المساهمة في تمويل حصة قليلة من النفقات الكلية للبارزاني لتأمين إستمرار تحدي التمرد للحكومة العراقية. هذا القرار والذي مثل تحول صاعق عن الموقف السابق المعتاد والمدافع عن

---

[439] Henry Kissinger. Years of Renewal Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page: 582

[440] Ibid. p: 583

السياسة الأمريكية بشكل عنيد. سبب الفرار في دفع الكورد الى أحدى أكبر الهزائم الحاسمة في تاريخهم وأنهت عقوداً من تبوأ البارزاني قيادة الحركة القومية الكوردية."[441]

كانت السياسة الأمريكية السابقة والتي إبتعد عنها الرئيس نيكسون تتلخص في عدم تشجيع الشاه في طموحاته العسكرية والجيوسياسية. لكن الشاه نجح في كسر هذا الطوق إضافة الى تحويل الموقف الأمريكي المعارض. الى القبول بمساعدة التمرد الذي يقوده البارزاني ضد الحكومة العراقية.[442]

مثّل ذلك إبتعاداً هاماً عن السياسة الأمريكية السابقة والتي غلفها كيسنجر بسرّية تامة. ففي السابق ولثلاث مرات. رفض الموظفون في الحكومة وال CIA منح المساعدة السرّية للأكراد والتي إقترحها الشاه وإسرائيل. وحتى قبل ذلك بثلاث أشهر فقط من لقاء طهران. وبإتفاق مع الإدارة الأمريكية ظل كيسنجر معارضاً لهذا البرنامج.[443]

شخّص GeorgeW. Ball المساعد في وزارة الخارجية. الآلية التي أدت الى الكارثتين المرتبطتين. بالقول: "بعد أن دهّنا الشاه كحام لمصالحنا في منطقة الخليج الفارسي. أصبحنا معتمدين عليه." ثم أضاف في تقريره السري: "ولقد تصرفنا وكأن إيران قوة مساوية لأمريكا.....لقد بلغ تأثير حليفنا على سياسة الولايات المتحدة حدوداً جعل (الشاه) يتجاهل إعطاء أية إشارة لشركائه الأمريكان الأقل مرتبة في قرب نهاية البرنامج السري."[444]
هذه العبارة استخدمت فيما بعد في تقرير (Pike) الذي تناول تفاصيل العملية السرّية من أنغولا الى كوردستان. حيث تسربت الأخبار في وقت مبكر من عام 1976. وأوضح التقرير كيف أن الشاه وبتغاض من أمريكا. أغرى أولاً البارزاني القيام بمعاداة الحكومة العراقية. وفي الوقت ذاته حرمان الأكراد عمداً من وسائل الانتصار الضرورية.. ومن ثم و دون أية معارضة من واشنطن. تخلى الشاه فجأة عنهم ليقعوا تحت رحمة حكومة بغداد. عندما نال مبتغاه منهم في آذار 1975.[445]

---

[441] After Such Knowledge. What Forgiveness? My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal. P:146

[442] Ibid. page: 147

[443] Ibid. page 148

[444] Ibid. page: 147

[445] Ibid. page: 147

بلا شك ساهمت المساعدات الخارجية في تعزيز نفوذ ملا مصطفى في كوردستان ولم تؤدي الى تعزيز الحركة الكوردية. المساعدات الخارجية كانت ضرورة هامة لايمكن نكران أهميتها، خاصة في حالة شعب أعزل ومحاصر بالأعداء من جميع الجوانب. لكن ما ننتقد عليه القيادة الكوردية، أسلوب استخدام المساعدات المالية والعسكرية بشكل ساهم في تفشي الفساد والانحلال، واضعاف القيم النضالية ومستلزمات تحقيق الثورة لأهدافها التحررية. بنت القيادة إستراتيجيتها على "السند الخارجي" كما يقول الكاتب والصحفي محمد حسنين هيكل. إضافة إلى كرهها الشديد "للبديل الداخلي" هنا الدروس والعبر من نكسة عام 1975.

كان هدفنا، يقول كيسنجر: "تحميل العراقيين تكاليف باهضة في فرض نظامهم، تقوية الموقف الكوردي، وبهذا نرغم بغداد على تبني سياسة تأخذ في الاعتبار أمن جيرانها والحكم الذاتي للأقلية الكوردية. وكان الاعتقاد أن المساهمة الأمريكية تشكل أساساً في: خلق الانسجام بين المقاصد المتباينة للشركاء المساهمين مالياً. وكلهم كانوا يعلقون أهمية كبيرة لعلاقاتهم بالولايات المتحدة الأمريكية." ويضيف كيسنجر ملاحظة جدّ هامة: "ولمنعهم من التخلي عن الأكراد" - هذا التوجه، كما سنرى، لم يكن له وجود. إذ لم يحاول كيسنجر تأمين ضمانات من الشاه لتفادي عدم التحايل على الكورد. وعندما طلبت القيادة الكوردية منه التدخل لصالحهم بعد اتفاقية الجزائر عام 1975 تهرب من الرّد على رسائل الاستغاثة التي أرسلها له ملا مصطفى. وواضح انه لا أمريكا ولا إسرائيل ولا قيادة الحركة الكوردية طلبوا من الشاه ضمانات مكتوبة بعدم التخلي عن الأكراد حال حصول تفاهم مع نظام بغداد.

نرى عدم الجدية في العلاقات الكوردية الأمريكية حتى في رسائل هنري كيسنجر الى ملا مصطفى. فقد كان الأخير يريد زيارة واشنطن، وبأسلوبه القديم، لنيل الحظوة، أرسل 3 سجادات إيرانية الصنع لهنري كيسنجر، ثم قلادة مصنوعة من الذهب واللؤلؤ بمناسبة زواجه من Nancy Maginnes. لكن هذه الإيماءة لم تثمر... حاول ملا مصطفى مرة ثانية زيارة واشنطن، وفي هذا الوقت كان كيسنجر على علم بتفاصيل الموضوع، ويقول الدكتور محمود عثمان، حول رسالة ملا مصطفى المؤرخة في 22 كانون الثاني/جانفير 1975 فقد: "إقتضى كيسنجر شهراً حاسماً لكي يرّد على "جنرالي العزيز" ويؤكد له إعجابه به، وان

رسائله تحظى بأهمية بالغة وفي أعلى المسئونات لدى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية...."[446]

مثل هذه الرسائل من كيسنجر المليئة بعبارات الإعجاب والمديح هي ذلك النوع من الرسائل التي تلقى رواجاً لدى دكتاتوري الشرق الأوسط وتدخل الى قلوبهم البهجة واكتشاف عظمتهم وأهميتهم. و لكنها خالية من كل معنى يمس القضايا الأساسية التي تعاني منها الشعوب. لقد إستخدم الداهية كيسنجر هذا الأسلوب مع العديد من زعماء العالم الثالث لعلمه بانتشائهم بهذا الأسلوب المنمق.

يقول محمد حسنين هيكل: "أن القوة الذاتية وتجلي الإرادة الداخلية في النضال هي التي تصون فعالية المبادىء الدولية وتجلب إحترام الدول لها وليس أصوات الإستغاثة والبكاء. فعلى سبيل المثال، عندما بدأت حرب السويس، في 29 تشرين الأول/أكتوبر 1956 وهاجمت جيوش إسرائيل وفرنسا وبريطانيا مصر، نهض الشعب المصري برمته وحارب بعزم وتصميم، وهذا أدى الى تغير موازين القوى لصالح مصر. ويعلق على ذلك محمد حسنين هيكل: "..يقول همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة "بعد ظهر هذا اليوم أريد أن أعلن ما يلي، إن مبادئ ميثاق الأمم المتحدة هي أكبر من المنظمة التي تمثل هذه المبادئ كما أن الأهداف المتعلقة بهذه المبادئ والمفترض تكليف المنظمة بحمايتها هي أكثر قداسة من سياسة أية أمة أو أي شعب، والسكرتير العام للأمم المتحدة كخادم لهذه المنظمة عليه واجب مواصلة الحفاظ على جدوى دورها وهو لا يستطيع أن يمارس صلاحيته بتجنب اتخاذ مواقف في الصراعات بين الدول الأعضاء لأنه عندما تُمس مبادئ الميثاق، السكرتير العام عليه أن يقف وأن يعلي صوته ويسمع صوته للعالم... وقف ليقول إن هناك دولتين من الدول الأعضاء صاحبة العضوية الدائمة وهما إنجلترا وفرنسا خرقتا الميثاق لأنهما قامتا بعدوان على مصر ثم أنهما خالفتا بيانا صادرا عن الأمم المتحدة سنة 1950...." ويضيف هيكل: "لا يغيب عن أذهاننا لماذا وقف السكرتير العام هذا الموقف؟ ليس فقط للمبادئ... المبادئ كانت في يد من يستعمل هذه المبادئ، من يحمي هذه المبادئ، الشعب المصري يقاوم، الأمة العربية، في عالم هائج.... في مقاومة مستمرة ولو سقطت هذه المقاومة لانهار كل شيء ما كان يجدي أبدا موقف همرشولد أو موقف غيره. لكن أنا لما أقرأ المحضر أقرأ محضر جلسة مجلس الأمن وأقرأ كل المناقشات الدائرة فيه يتضح لي إلى أي مدى

[446] After Such Knowledge, What Forgiveness? My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal. P:162

استطاعت مقاومة أن تهز ضمير العالم وأن تحرك واحدا مسؤولا عن القانون الدولي. هنا اعمال القانون لا يتأتى إلا بأن أصحابه يبقوا موجودين في طليعة المدافعين عنه. لا ينفع قانون ولا تنفع دعوى ولا تنفع قضية بأي شكل إلا إذا كان أصحابها قادرين على الدفاع عنها لديهم الإرادة الكافية لكي يقفوا ولكي يرى العالم أن هناك حق يدافع عنه وليس حق نسيه أصحابه وناموا عنه..."[447]

ليس من شك كان ميزان القوى سيتحول من معاد للحركة الكوردية الى نشوء عوامل إيجابية لو صمدت قيادة الحركة الكوردية لعدة أشهر. بعد إتفاق الجزائر في أذار عام 1975. لكنها لم تصمد! وقد حثّ عصمت شريف القيادة الكوردية على مواصلة القتال: "لقد حاولت بكل الجهود الممكنة اقناع سيادة مصطفى البارزاني ومكتبه السياسي بالاستمرار في المقاومة. والعدول عن الحرب الجبهوية الكلاسيكية التي لا مقدرة لشعبنا لخوضها بدون مساعدة اجنبية. والرجوع الى حرب (البارتيزان) الثورية واساليبها والى طهارة الثورة ونقائها كما عرفناها في السنوات الاولى من حرب كردستان. تلك الاساليب وذلك النقاء اللذين أتاحا لثورتنا أن تهزم العديد من الحكومات العراقية ومكنتنا من أن نقفز من نصر الى نصر. وبتاريخ 3/25/ 1975 عقدت مؤتمراً صحفياً في جنيف اذعت به بياناً اتوجه به لقيادة الثورة وللبيشمركه في الاستمرار بالقتال. مؤتمراً صحفياً نظمه لي (الاتحاد الدولي لحقوق الانسان) وحضره العشرات من الصحفيين ونقلت اخباره الوكالات والاذاعات. ثم بتاريخ 1975/3/26 كتبت رسالة لسيادة البارزاني والمكتب السياسي ارجوهم بها الاستمرار في القتال الثوري حفظاً لمصالح ولكرامة شعبنا ولمصيره: وقد حمل الرسالة وفد يمثل (الاتحاد الدولي لحقوق الانسان) ذهب بناء على رجائي له. ولكن الوفد عندما وصل لإيران كان سيادة البارزاني والمكتب السياسي قد غادرا وا أسفاه كردستان العراق لإيران............. " ويضيف عصمت في كلمته الى المقاومة الكوردية: "وقد انهكت هذه الحرب الطويلة قوى شعبنا واضعف تخاذل القيادة المنهارة معنوياته. بل إن القيادة المنهارة قد قامت بعمل لا يغفر له وذنب ما بعده ذنب: وهو تشجيعها لأهالي المنطقة المحررة للفرار بحيث كادت تخلى المنطقة من السكان (وحزب البعث لا يتمنى أكثر من هذا.....)"[448]

و يقول هيكل: " ليست المشكلة مع من تتعامل أو تبني علاقة. إنما أن نكون على أرض ثابته... وممكن أن تتعاون مع من تشاء ولكن في شرط أسامي وهو أن نكون على ثقة أننا

---

[447] مع هيكل. قناة الجزيرة. تاريخ الحلقة :2008/6/9

[448] رسالة من عصمت الى المقاومة الكوردية . تسلم فقط الى اللذين قرروا المقاومة من البيشمركه والقواد والمسؤولين. مؤرخة 1975/5/3 لوزان.

نتحرك على أرض ثابتة وأن هناك تعهدات ملزمة.... لأن الخيال والرومانسية في هذه المسائل والفروسية لا يحل قضايا الصراع. يحل قضايا الصراع فقط تنبه الأطراف إلى أنها محتاجة تمسك بأشياء حقيقية ولا تمسك بأوهام.."[449]

ربما لم تكن هناك ثقة بطهران. كما عبّر عنها ملا مصطفى في عدد من المناسبات. لكن هذا لا يكفي. إذ لو كانت القيادة الكوردية حريصة فعلاً على بقاء الحركة وديمومتها. لسلكت طريقاً أخر يحقق تعزيز الجبهة الداخلية ومواقع الحركة الكوردية عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وبإشراك الشعب الكوردي خلال ألية تسمح بمشاركته في صنع القرارات المصيرية وتهيئته للاعتماد على نفسه عند قطع المساعدات الخارجية. كان الشاه متخوفاً من وحدة القوى السياسية داخل العراق وكان ممكناً جراء ذلك فرض بعض الشروط عليه. وقد عبّر عن قلقه للرئيس الامريكي نيكسون بعد عودة الأخير من موسكو في شهر مايس 1972 وتوقفه في طهران. هنا نرى ان الجانب الإيراني كما هو الحال مع الجانب العراقي. يعرف أين تكمن مصالحه وتصرف على أساسه مع القيادة الكوردية. وعرف الشاه كما عرف صدام حسين كيف يتصرف. مع واشنطن بالنسبة للأول ومع الكرملين بالنسبة للثاني.

وجدت ايران أن من مصلحتها تقوية نفوذ ملا مصطفى الشخصي لأسباب واضحة. فمن الصعب التحايل على قيادة جماعية لتمرير خططها الخفية. بينما أسهل مع دكتاتور. خاصة أن ملا مصطفى كان شديد التواضع أمام الشاه الى حدود يصعب وصفها. كما أن القيادة الجماعية المخلصة تبدى اهتماما بالمصالح العليا للمجتمع. في حين اهتمامات الدكتاتور تتمحور حول الذات. علاوة من الصعب التأثير على مجموعة سياسية تناضل من أجل التحرير أو الحصول على حقوق مشروعة لشعب دخل حلبة الصراع المسلح. بينما أسهل إغراء الفرد والتعامل معه. ومن الممكن ملاحظة ثقة الشاه في كونه يملك مفاتيح الحركة الكوردية على ضوء ما قاله هواري بومدين الى ممثل وفد الحكومة العراقية عام 1974 أثناء احتفالات عهد استقلال الجزائر. في واقع الأمر إختلفت حرب عام 1974 مع بغداد عن سابقاتها في كون تزايد دور إيران العسكري والمالي في لجم القيادة الكوردية. الى حدّ ولّد لدى الشاه شعوراً واضحاً بكونه يملك مفاتيح التسوية مع العراق.

يذكر حامد الجبوري في حديث متلفز لقناة الجزيرة: "اختلى بي بومدين. طلبني للحديث معه فاختلينا أنا وإياه فقط. لأنه كان سفير العراق موجود وأعضاء الوفد الأخرين فهو

---

[449] مع هيكل. قناة الجزيرة تاريخ الحلقة: 2008/6/9

فقط أنا وإياد اختلينا في القصر الجمهوري في الجزائر وأبلغني التالي. أنه هو شاف شاه إيران. أن شاه إيران عنده استعداد أن يفتح صفحة جديدة في العلاقة مع العراق. يعلم جيدا الشاه أن العراق متضايق من الحركة الكوردية في شمال العراق اللي كان الأميركان والشاه اثنينهم يغذونها بالمساعدة المعنوية والسلاح وكذا والإعلام. حتى نقل لي شينا المرحوم بومدين على لسان الشاه. بعض الأحيان عنده شلون يسموها بالإنجليزي Sense of Humor بومدين يعني حب الفكاهة العالية حقيقة. فقال لي حتى الشاه ذكر لي العبارة التالية قال. الحركة الكوردية في شمال العراق مثل الحنفية أفتحها متى أشاء وأغلقها متى أشاء. فبكيفكم. أخلي الحنفية مفتوحة أو أغلقها....؟ "[450]

في الواقع كانت ايران تبحث سبل التوصل الى إتفاق مع بغداد بكثير من السرية. فقد اكتشفت وكالة المخابرات المركزية ان إجتماعاً عقد في استنبول بدعوة من ايران. في شهر أب/أغسطس 1972 رتبتها الحكومة الجزائرية. إجتمع فيها وزيري خارجية ايران والعراق. وكان شط العرب النقطة الأساسية في هذا الاجتماع. كان الهدف حل النزاع العراقي الايراني وتقوية منظمة OPEC.[451]

وبرغم معرفة القيادة الكوردية بعقد هذا الإجتماع الا أنها لم تستوعب أبعاده. ففي صيف عام 1972 أخبر أرك رولو مراسل اليومية الفرنسية Le Monde لشؤون الشرق الأوسط. الزعامة الكوردية أن الشاه. في مقابلة صحفية جرت حديثاً. تفاخر قائلاً أن بقائهم - بقاء الحركة الكوردية- هي بيده كالحنفية. يفتحها أو يغلقها حسب مشيئته. صُدِمَ Eric Rouleau بقلة الأهمية التي جابه بها الكورد تحذير الشاه الجاف وبدا أنهم يهملون أبعاده تماماً. تولد لدى رولو شكوك جادة في قدرتهم على التحليل." عندما فشلت معلوماتي في فتح أعينهم" يتذكر رولو. "أوعزت ذلك الى محدودية تجربتهم في المسرح العالمي."[452] ويعلق Jonathan C. Randal: "إن معظم قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني. بالأخص المجموعة القريبة من البارزاني. أقنعوا أنفسهم. حتى وقت متأخر. بأن إيران لن تتفاهم مع العراق. لكن من الناحية المنطقية كيف تتمكن واشنطن منع الشاه عندما يريد الشاه

---

[450] برنامج الجزيرة (شاهد على العصر) حوار مع حامد الجبوري. مقدم الحلقة أحمد المنصور. تاريخ الحلقة 1974/6/9

[451] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan Jonathan C. Randal. P: 159

[452] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan Jonathan C. Randal. P: 159

ذلك؟ بقي هذا اللغز دون جواب."[453] ويمضي راندل الى القول: "لم يتعمق البارزاني في فهم قدرة الشاه المتناهية في إختيار التوقيت المناسب. ميله للقسوة ببرودة دم وتذوقه للعمل الوحشي. ومنذ البداية كانت اللعبة هي لعبة الشاه ولا أحد غيره."[454] وان أضفنا أسلوب وأهداف الإستخدام (الداخلي) لهذه المعونات الآتية من الخارج من قبل الزعامة الكوردية. يشكل ذلك كارثة في حد ذاته.

بقيت محدودية الإلتزامات الأمريكية في المعسكر الكوردي طي الكتمان الشديد. الا لأفراد عائلة ملا مصطفى المباشرة وعدد قليل جداً من مساعديه القدامى..... وقبل تجدد القتال مع حكومة البعث. سأل عدد من الكوادر القديمة القلقة عن وجود دعم خارجي "أصرَ البارزاني وادريس ودكتور عثمان أن هناك ضمانات كافية.."[455]

وأثناء القتال الذي بدأ صيف 1974. تبنى الشاه خطوات هامة نتج عنها ترسيخ الأوهام وزيادة اعتماد الزعامة الكوردية عليه. ففتح الحدود بوجه الآلاف من اللاجئين الكورد الفارين من مناطقهم وأسكنوا في مخيمات أو مدن داخل إيران. وزاد تدفق المال على القيادة الكوردية بصورة لا يمكن مقارنتها بالمساعدات السابقة. الى حدود ألهتها تماماً عن رؤية ماوراء هذه المعونات. وعندما تدهور الوضع العسكري الكوردي. أرسل الشاه عدة وحدات مدفعية لقصف المواقع العراقية. إضافة الى المضادات الجوية. لقد خلق كل ذلك انطباع ساذج بالنصر وبالمهارة في إدارة العلاقات الخارجية لدى القيادة الكوردية. مديرة ظهرها للبديل الداخلي عند تغير محتمل في موقف إيران. وكانت قيادة (حدك) فرحة بتدفق الأموال والاشتراك الفعلي للمدفعية ومضادات الجو الإيرانية في الحرب. وكانت تطلب المزيد من المال والسلاح والغذاء. ويقول شكيب عقراوي وهو قيادى بارز في جهاز أمن الحزب الديمقراطي الكوردستاني: "صيحات قيادة الثورة للإغاثة كانت شديدة على شاه إيران والجهات الأخرى التي كانت تساعد الثورة الكوردية..."[456] لكن إرادة القتال والمقاومة الوطنية للحركة الكوردية كانت في أدنى المستويات. وهذه نقطة جوهرية في حياة شعب

---

[453] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal. P: 160

[454] After Such Knowledge, What Forgiveness? My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal. P: 160

[455] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal. P: 157

[456] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 390

يناضل من أجل حقوقه والدفاع عن كرامته. ليس من شك وكقاعدة في العلاقات الدولية، أن التخاذل في المقاومة لا يجلب الاحترام الدولي لحركة تحرر وطنية. وحتى بالنسبة لدولة عظمى. تحظى بالاحترام عندما تؤكد عزمها وإرادتها في تحقيق مصالحها وأنها على استعداد لدفع الثمن. ويذكر الرئيس الأمريكي ريتشارد نكسون أنه نتيجة زرع الألغام في ميناء Haiphong وتزايد كثافة القصف الجوي على فيتنام الشمالية في 8 مايس 1972، فقد تكهن البعض من أن السوفييت سيقاطعون القمة المرتقبة في حزيران. اتخذ بريجنيف ورفاقه موقفاً داعماً لحليفهم بالكلمات، وعارضوا إجراءاتنا بشدة على الصعيد الشعبي. لكنهم مضوا قدماً مع القمة لأنهم كانوا يحتاجون الى علاقات أفضل معنا وبالأخص على ضوء تقربنا من الصين. وإجراءاتنا في فيتنام أظهرت انه ليس لدينا القوة فحسب. إنما لدينا الإرادة لاستخدامها عند تعرض مصالحنا الى التهديد. لقد ذهبنا الى القمة من موقف القوة.[457] في حين أثبتت الزعامة الكوردية أنها غير قادرة على المقاومة الذاتية، بسبب سلوكها اللاثوري وفسادها المتراكم لسنين وتقوقعها في إطار شخصي جامد. لقد شعرت بذلك الدول المانحة للمساعدة فاستخدمت القيادة الكوردية لتحقيق مصالحها هي في حين لم يجنِ الشعب الكوردي ثمار تضحياته.

بقي الجانب الكوردي مركزاً على المال أكثر من تقديم مطالب استراتيجية تليق بحركة تحرر وطنية لتحقيق الانتصارات العسكرية وفرض مطالبه الشرعية. فعقلية الزعامة الفردية و[كرهها للبديل الداخلي] أعني تنظيم المجتمع الكوردي وتعبئته لحرب متعددة المناحي ولأمد طويل، وفرّ لشاه إيران ولصدام حسين فرص التفاهم على حساب الحركة الكوردية.

في شهر سبتمبر 1974 إستمر تقدم القوات العراقية وتقهقر القوات الكوردية. أصبح الوضع العسكري خطيراً الى درجة زودت إيران القوات الكوردية بالمدفعية ذات المدى البعيد وصواريخ مضادة للدبابات. وفي بداية عام 1975 ظل الوضع العسكري الكوردي خطيراً. ذكرأسدالله علم، وزير بلاط الشاه، في كتابه المطبوع بعد موته عن يومياته: "في 3 شهركانون الثاني/جانفير، 1975 الشاه مسرور جداً من التقارير التي تشير الى أن القوات الإيرانية "تقاتل كالأسود.."[458] وفي نفس الوقت كانت الاتصالات تجري على عدة محاور لتسوية الخلافات بين طهران وبغداد خاصة عن طريق السادات وهواري بومدين وحتى

[457] The Real War. Richard Nixon.Warner Books Edition. 1980. Page: 112

[458] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan Jonathan C. Randal P 161

الملك حسين.. وفي أثناء تقدم المفاوضات السرية بين طهران وبغداد، وبمكر، كان الشاه يراوغ ويلهي القيادة الكوردية، وبعمق إمعانهم في الجهل بما يجري وراء الكواليس، فنصحهم بزيارة الملك حسين في الاردن لتشكيل حكومة في المنفى مع مجموعات معارضة أخرى. وعندما وصل المبعوثون إلى عمان، طال انتظارهم أسبوعاً. وفي النهاية رفض الملك اللقاء بهم. وفي بداية شهركانون الثاني 1975، زار شاه إيران القاهرة للتباحث مع الرئيس أنور السادات، وكان موضوع الخلافات العراقية الإيرانية مدار البحث. بعدها في شهر شباط 1975 أرسل ملا مصطفى إثنين من مبعوثيه برأسة (محمد محمود عبدالرحمن) الى القاهرة للإلتقاء بالسادات الذي كان ودياً مع الوفد الكوردي. وهنا لم يكن لدى القيادة الكوردية معرفة بقوة المصالح والروابط بين شاه إيران والسادات، فمصالح السادات كانت مع الشاه وصدام حسين، ولم تكن لديه مصالح مع الطرف الكوردي. وتمكن هو الأخر من الاستفادة من الورقة الكوردية في خلق تقدير ونفوذ لدى الدولتين النفطيتين، العراق وإيران.. ويقول راندل: " في هذا الاجتماع أغوى السادات عبدالرحمن بقبول نقل عرض مساومة الى صدام حسين، تقوم بها مصر نيابة عن الأكراد، ولكن دون معرفة الطرف الكوردي، سجّل السادات الحوار وأرسله الى الشاه، والذي إعتراه غضب شديد."[459] وربما من هنا سارع الشاه الخطى في الوصول الى إتفاقية الجزائر في 6 أذار 1975.

لقد أصاب الشلل القيادة الكوردية وأعلنت نهاية الحركة بعد أيام من التفاهم بين بغداد وطهران في الجزائر و وسط دهشة العالم أجمع!. ولذا سأل (هيكل) ملا مصطفى في طهران صيف عام 1975: " قل لي كيف تفسر ما حدث أخيراً؟ رفعت الحكومة الإيرانية يدها عن الثورة الكوردية بعد اتفاق في الجزائر بين شاه إيران وبين صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة العراقي، فإذا أنت تستسلم.. ماهو معنى ذلك .... أليس معناه أن سندك لم يكن من الداخل وانما كان من الخارج؟"[460]

ملا مصطفى: "انني لم استسلم لقد اخترت إنهاء الثورة في الوقت الحاضر ... كنت أستطيع الاستمرار في المقاومة بعد إغلاق الحدود مع العراق ولكنني أثرت أن احقن دماء الشعب الكوردي والشعب العراقي." و ذكر أيضاً: "وحين اتفقوا مع إيران سألت نفسي: إلى متى؟ قلت لنفسي: أريح الناس من العذاب وامشي خارج العراق."[461]

---

[459] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C Randal. P: 162

[460] جريدة الأنوار 6 أيلول 1975 أحاديث 2 مناقشات مع صقر عجوز، بصراحة محمد حسين هيكل

[461] جريدة الأنوار 6 أيلول 1975 أحاديث 2 مناقشات مع صقر عجوز، بصراحة محمد حسين هيكل

كان البديل الداخلي "المكروه" من القيادة الكوردية، يتطلب تنمية وتطوير القوى الذاتية في المجتمع وتحويل الحزب الى حزب ثوري منظم وعصري، ملتصق بمصالح الفلاحين وطموحات القوى الوطنية المخلصة والمضحية والفاعلة في الحركة وتقديم ذوي الكفاءات والمخلصين الى مركز القرار. كما كان "البديل الداخلي" يتطلب إنهاء حالة إحتكار أموال الحركة الكوردية من قبل قائد الحركة... لم يكن رئيس الحزب ليقبل بمثل هذه التغيرات. فقد كان يزداد غوصاً في الأسلوب الفردي كلما شعر ان الضغط من أجل التغيير يتراكم، ويعمل على عقمه قبل اشتداده. وبهذا الصدد يقول محمد حسنين هيكل: "ان الأسلوب القبلي في إدارة الحركات الشعبية يهزم نفسه في النهاية بسبب مجافاته لروح العصر. ذلك لأن الزعيم القبلي لا يعرف لمن يطلق الحرية بين أنصاره وعلى من يفرض القيود.... وهو في العادة يقيد حرية الذين تتوافر لديهم ملكة القيادة.... ويطلق الحرية للمنصاعين والطائعين .... ولكن المستعدين للقيادة هم القادرون على خدمة أهداف حركته، في حين أن المنصاعين والطائعين عبء على هذه الأهداف وكتل حديد معلقة بها."

اسرائيل أيضاً أدركت أين تكمن مصالحها. فهي تعرف أن اتفاقاً بين الشاه وحكام بغداد أمر وارد. أما اتفاق إسرائيلي - عربي فهو أمر بعيد المنال. ولذا فديمومة الحركة الكوردية واستمرار النزاع مع بغداد هو في صالحها. وكانت تعرف ان شاد إيران سيغير من موقفه حال تنازل بغداد لشروطه. ولذا أرادت مساعدة الحركة الكوردية وتزويدها بعوامل البقاء والديمومة حتى في حالة غلق الشاه حدوده أمام الحركة الكوردية. ففي ربيع 1965 وقع اختيار مدير الموساد مائير عميت على ديفيد كمحي لإجراء أول اتصال مباشر بملا مصطفى في جبال كوردستان. وقد جرت مشاورات عديدة شارك فيها مؤسس الدولة الإسرائيلية بن جوريون، ومن ضمن ما بحث: "اعادة بلورة امكانية التعاون مع وضع تصورات بديلة في حالة حدوث تغيير في وجهة النظر الايرانية تجاه الاكراد." [462] كان ملا مصطفى يصرح انه لا يثق بالإيرانيين وإنهم كالعراقيين أعداء. [463] لكن كما هو واضح لم يؤدي هذا الموقف الى اختيار البديل الداخلي "تنظيم الشعب الكوردي"! وهذا الى حد كبير يشبه صاحب الدار الذي يعرف أن هناك لصوص يسرقون ما في المنزل لكنه يفضل الإستمرار في النوم، وعندما يستيقظ في اليوم التالي يجد أن المنزل خلا من الأثاث وهنا يبدء بشتم اللصوص وإنزال اللعنات عليهم عارضاً مظلوميته على الجميع ليشفقوا عليه.!!

---

462 شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر1997. ص: 119

463 ن. م. س. ص: 199

اتجه تفكير إسرائيل نحو التطوير الزراعي في كوردستان. فبعثت (ابجأل ادمونى) مدير شعبة الاستيطان في الوكالة اليهودية، الى هناك، كي يقدم المشورة حول تطوير بيض الطيور. ويقول ادمونى عام 1996، حدث لدي انطباع ان الانتاج الزراعي، ورغم أهميته للشعب الكوردي، لا يحتل مكانة هامة في تفكير الزعامة. لأن المسألة الوحيدة التى كانت تقض مضاجع البرزاني هي المساعدات السياسية والعسكرية الأمريكية.[464] كانت امكانات تنشيط الحياة الزراعية في المناطق المحررة موجودة. لكن الذين لفتوا نظرها الى التطوير الزراعي مثلاً أصابتهم الخيبة من جراء لامبالاة القيادة الكوردية بالموضوع.

كانت فكرة المال متسلطة على تفكير رئيس حدك بشكل كلي. ففي إحدى زياراته الى طاقم المستشفى الإسرائيلي المقيم في كوردستان في إحدى الأمسيات عام 1968، قال: "لو ان الولايات المتحدة أوقفت الحرب التي تخوضها في فيتنام لمدة ثلاثة أيام فقط فلسوف أستطيع بالمبلغ الذي سيتوفر جراء ذلك إنهاء النزاع العراقي الكوردي بكامله. والتفت إلينا قائلاً : أنتم الاسرائليين لكم تأثير كبير على الرئيس الأمريكي. اطرحوا قضيتنا أمامه فلربما هذا الطرح يساعدنا. إما اذا تخلوا عنا وخاننا الإيرانيون فسوف أخذ أربعين مقاتلاً وأصعد الى الجبال."[465]

غاب عن ذهن الزعامة الكوردية تطوير المشاريع الزراعية وتنظيم الاقتصاد في المناطق المحررة. فبالنسبة لقيادة (حدك) هو الحصول على (المال) رغم ان المسئولين الإسرائيليون في تل أبيب كانوا يرسلون الرسالة تلو الرسالة الى الوفد الإسرائيلي في كوردستان مطالبين بإقناع الأكراد، بقبول وجود خبير إسرائيلي، يدرس مدى جدوى انشاء مشروعات في كوردستان."[466]

"وفي المذكرات التي كتبها احد أعضاء الوفد الإسرائيلي، يذكر: من الصعب ان نوضح للمسئولين طبيعة ما نشاهده هنا. ببساطة فان الأكراد غير مؤهلين لذلك. بيد ان المسؤولين الإسرائيليون، لم يتخلوا عن الفكرة، وبعثوا رسالة قالوا فيها: اعثروا على خمسة أكراد ممن درسوا في الخارج، وأرسلوهم الى إسرائيل لاجتياز دورة حول التطوير."[467]

---

464 ن . م . س . ص: 273

[465] شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 199

[466] شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 179

[467] ن . م . س . ص : 179

عندما توجه (اسحق عبادى) في الأول من كانون الاول 1968 الى كوردستان بهدف تحسين بنى تحتية قائمة. وجد ان الاكراد يفتقرون الى فهم "الاستشارات الزراعية ولا يقدرونه حق قدره."[468]

لم تكن اسرائيل مرتاحة من تقرب السوفييت من زعامة الحركة الكوردية. ففي شهر أذار كانت الوفود السوفيتية تزور ملا مصطفى في مقره. كان الهدف توقيع معاهدة صداقة مع العراق. وكان النزاع الكوردي العراقي بمثابة معرقل للاتفاقية. وفي اجتماع سري في مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي حضره رئيس الموساد. اتخذ قرار بلفت نظر واشنطن الى احتمال تدخل السوفييت.[469]

كما حاولت إسرائيل إقناع البرزاني بعدم التجاوب مع المبادرة السوفيتية. وأعلمت شخصية إسرائيلية رفيعة موقفها للملا مصطفى في 31 أذار 1972: "ان التوجهات السوفيتية إليك هي تهديد جاء لخدمة المصالح السوفيتية فقط. فالسوفييت معنيون بالحصول على موطئ قدم للمشاركة في لعبة القوى الداخلية. أضف الى ذلك. إن أي تواجد سوفيتي يرمى إلى إضعاف قوتكم ونضالكم."[470]

وأضافت الشخصية الإسرائيلية الرفيعة المستوى: "ومن الجائز ان يؤدي الاهتمام السوفيتي بما يجري في بلادكم. الى زيادة الاهتمام الأمريكي بقضيتكم. هذا اذا صمدتم أمام هذه المحاولة السياسية. مثلما صمدتم حتى الأن. في قضية الحرب والسلام. ولاشك لدينا. في ان هذا هو الاختيار الحقيقي لك ولزعامتك ولحركة التمرد الكوردية كلها. إننا ومنذ عرفنا الألام التي تتحملونها. ونحن نقف الى جانبكم. وخصوصا في أيام الحرب الصعبة. وأملنا ان يؤدي دعمنا. والأسلحة التي زودناكم بها. والتدريبات في إنجاح نضالكم العسكري. ذلك النضال الذي الحق الهزيمة بالجيش الذي سعى لتدميركم.

.............................."

وبشّرت ملا مصطفى. بأن حكومة إسرائيل واضافة الى موقفها ودعمها لكم ولشعبكم. ستستغل قدرتها. للعمل لدى حكومة الولايات المتحدة وجهات اخرى. من اجل صالحكم. ومن اجل إثارة اهتمامها بما يدور في بلادكم. ويجب ان نؤكد على ان هذه المهمة ليست

---

[468] ن . م . س . ص : 219

[469] شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترحمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 263

[470] ن . م س ص : 263

سهلة، وتتطلب زمنا طويلا. ورغم ذلك، فإننا سنقف الى جانبكم مهما كان قراركم وفقا لما تقتضيه مصلحتكم، إيمانا منا بان صالح الشعبين يتطلب ذلك."[471]

لقد كان لهذه الكلمات أثر عميق في نفسية ملا مصطفى وهي بلا شك ضمن الأسباب التي جعلته يرفض الانضمام الى الجبهة الوطنية العراقية الى جانب (البعث) و(حشع)، كما جعلته ينأى عن السوفييت ويزداد اتكالاً على المثلث طهران – تل أبيب –. C. I. A ودون الإبقاء على خط رجعة لسلامة الحركة الكوردية عند التغير في المواقف الدولية والاقليمية.

هنا نجد الدعم الخارجي موجود، لكن الاستفادة منه لتقوية قاعدة الحركة الكوردية غائب تماماً. فقائد الحركة كان يبني أماله على الدعم الخارجي، فبالنسبة له لن تتحقق انتصارات بدون هذا الدعم، من هنا قلة أهمية الجبهة الداخلية والاهتمام الكلي بالمساعدات الخارجية. في واقع الأمر كان يريد أن تقوم الدول الداعمة بعمل كل شيء له وهو يتسلم المفاتيح منهم بعد بناء الدار. وكان يتكل على الدعم الخارجي بشكل متزايد، وخلال إرسال أسرته وأسر أولاده والمقربين له الى إيران للحماية منذ ربيع عام 1974 في وقت يعيش الشعب الكوردي تحت القصف اليومي للمدفعية ولغارات السلاح الجوي العراقي بعد تجدد القتال مع بغداد في صيف عام 1974، أعطت القيادة الكوردية نموذجاً انهزاميا لا يليق بقادة ثوريين حقيقيين، هذا رغم توفر الأسلحة المضادة للطائرات والتي إختص بها مقر القيادة بشكل كامل.

أما الجانب الأمريكي، كان موقفه واضحاً ولا يحتاج الى التأويل، إذ كرر على مسامع إدريس البارزاني والدكتور محمود عثمان في واشنطن في أول لقاء مع [مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ريتشارد هلمز] في تموز 1972: "إننا سنقدم لكم المساعدة بناء على طلب شاه إيران"[472] وعندما عاد الوفد الكوردي من واشنطن والتقوا بمسؤول دائرة المخابرات الأمريكية في طهران الكولونيل كلارك، كرر نفس الشيء: "المساعدة والعلاقة ستجرى بناء على طلب شاه إيران."[473] وقد تقرر تقديم معونة شهرية لقيادة الحركة الكوردية بحدود (250.000) ألف دولار.[474]

---

[471] شلومو نكديمون، الموساد في العراق ودول الجوار، ترجمة بدر عقيلي، دار الجليل للنشر 1997. ص: 264

[472] سنوات المحنة في كردستان، شكيب عقراوي، تموز 2007 . ص: 334

[473] ن. م . س. ص: 335

[474] Henry Kissinger. Years of Renewal . Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page: 584

ويقول كيسنجر: "عام 1968 تبنى حزب البعث محلياً برنامج اشتراكي راديكالي. جاهراً بعدائه للغرب وقد عاد الى السلطة في بغداد. وليس من الغرابة ان العراق في ظل صدام حسين كان يقترب من الاتحاد السوفيتي. في وقت كان تواجد خمسة عشر ألفاً من القوات السوفيتية في مصر مؤشراً على خطورة وقوع الشرق الاوسط برمته تحت التأثيرالاستراتيجي السوفيتي. وأياً كانت حالة سياسة الوفاق الدولية. كانت نظرتنا اليها هي تقليص النفوذ السوفيتي كهدف مركزي لاستراتيجيتنا. في الحقيقة كانت نظرتنا الى سياسة الوفاق أنها وسيلة لتطويق المجازفات لتلك الاستراتيجية." [475]

"ان الدول التي اعتبرت نفسها مهددة من قبل السلطة العراقية الجديدة كانت الاردن وايران. كلاهما يشاطران حدوداً طويلة مع العراق. واسرائيل المتخوفة من الأنظمة العربية الراديكالية المسندة بالأسلحة السوفيتية. هذه الدول الثلاث كانت صديقة للولايات المتحدة. وكانت تقدم عوناً سرّياً للأكراد. وتعاملوا مع مطلب الاكراد في تحقيق الحكم الذاتي في الجبال الوعرة شمالي العراق. كورقة يستخدمونها لتحويل طاقات ومصادر نظام البعث بعيداً عن حدودهم. ورغم اننا لم نشارك في تقديم المساعدة السرّية. لكن كانت أجهزة مخابراتنا تتلقى المعلومات من مثيلاتها في كل دولة من هذه الدول. وكانت هذه الدول تتلقى المساعدات الاقتصادية والعسكرية من الولايات المتحدة."

مالم تفهمه القيادة الكوردية أو ما لم ترد أن تفهمه بشأن العلاقات الدولية أثناء الحرب الباردة. فهمه شاه إيران. وفهمه قادة الحكم في بغداد وخططوا على أساسه...وجاء التحذير من الأعداء أنفسهم من مغبة الوقوع في الفخ الإيراني. فكتب صدام حسين نفسه إلى ملا مصطفى بتاريخ 4/7/ 1972 محذراً إياه وبوضوح لالبس فيه:

"الأخ أبا إدريس

".......إلاّ أن المصلحة العامة تبقى مع ذلك أقوى من كل اعتبار أخر وعلى أساسها أعود إلى الكتابة إليك. بغض النظر عن الكيفية التي ستنظر بها إلى هذه الرسالة. ولكن الذي يهمنا دائماً وأبداً أن تذكرها في المستقبل على نحو يرتبط بشكل يؤكد صواب ما سأذكره وما سأذكره مقتنع أشد القناعة بصوابه...

[475] Ibid. Page: 580

.......وأرجو أيها الأخ أن تفكر كثيراً فيما عمى سيفعله الأمريكان والإنجليز والحكومة الإيرانية بك وبنا وبك على وجه التحديد بعد أن تنتهي أغراضهم الآنية... إن ما يريده أولئك ليس سعادة الشعب الكوردي ولا يريدون أن تنتهي الأمور بالنسبة للأكراد إلى الانفصال وانما يريدون أن يبدأ القتال دون أن ينتهي ويريدون على وجه التحديد أن يستأنف نزيف الشعب الكوردي مجدداً ثم إسقاط – حكومة بغداد – كما تصفنا دائماً ومن ثم دفع عناصر موالية لهم ثم سحقكم مرة أخرى وفق صفقة كبيرة وشاملة في المنطقة هذا ما نتصوره نحن ولا أحسبكم خالي الذهن تجاه هذه التصورات ولكن الذي أريده في رسالتي هذه هو أن لا تدفعكم العوامل أو الهواجس العاطفية غير الواقعية أحياناً إلى نسيان هذه الحقيقة...."[476]

كانت مدارك القيادة الكوردية فيما يخص العلاقات الدولية لا تتعدى إلا نادراً حدود "استجداء العون المالي" ولا تهتم بتوسيع عمليات قوات الأنصار الى مناطق النفط في كوردستان أو بقية المناطق النفطية في العراق وتهدد بجدّية تدفق النفط حتى تتمكن من فرض وزنها في التعامل الدولي. وكان هذا ممكناً لو توطد تحالف استراتيجي بين [حدك] و[حشع] وتخلى ملا مصطفى عن الأسلوب القبلي في قيادة [حدك]. فقد كان الحزب الشيوعي في نهاية الستينات نشطاً في مدن العراق الجنوبية والوسطى وله تواجد عسكري منظم في كوردستان ضمن مناطق الحركة الكوردية المحررة ولعب دوراً كبيراً في تحقيق بعض من أهم الانتصارات العسكرية في كوردستان.

العلاقات الخارجية للحزب الشيوعي العراقي، كانت ضمن الإطار الذي تقتضيه السياسة السوفيتية، وكان هذا وبالاً على الحزب وتعثر مسيرته والوقوع في فخ التحالفات مع البعث الى ان فقد بالتدريج رصيده وشعبيته."[477] إن سوء إدارة العلاقات الخارجية لـ (حشع) و (حدك) كان سبباً هاماً في إخفاقهما السياسي. ويعترف السكرتير السابق للحزب الشيوعي العراقي: "وكنا من جانبنا أسرى التقاليد والتقديرات السائدة في نظام العلاقات داخل الحركة الشيوعية أنئذ. كنا دراويش للقيادة السوفيتية معتقدين بأنها أكثر فهماً لأوضاع بلدنا نحن الشيوعيين العراقيين. فامتثلنا للأمر وتخلينا عن شعار المشاركة في الحكم وبالتالي تخلينا عن هدف الوصول إلى السلطة طيلة عهد قاسم. أظن إننا كنا نرفض طلب السوفييت فيما لو كنا أكثر تجربة ونضجا. لكننا أضعنا فرصة العمر التاريخية

[476] البارزاني والحركة التحررية الكردية. مسعود البارزاني. أربيل 2002 .ص: 835

[477] مذكرات بهاء الدين نوري . سكرتير سابق للحزب الشيوعي العراقي. ص : 194

في تحقيق الهدف المشروع الذي من أجله يتكون كل حزب سياسي – هدف الوصول إلى السلطة لتحقيق البرنامج السياسي – الاقتصادي الذي يؤمن به ويقوم على أساسه."[478]

أما فيما يخص رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني فقد تجاوز في تعامله مع شاه إيران "تقاليد الدراويش" ففي كل زيارة كان يقبل يد الشاه ويوحي له انه تحت أوامره. ويقول الدكتور محمود عثمان وهو القيادي الذي لازم ملا مصطفى في جميع زياراته لخارج كوردستان: "كما ان إتباع أسلوب عدم الصراحة في التكلم مع الجهات الأخرى والتكلم معها بشكل تحبذه هذه الجهات وعدم التركيز على النواحي السياسية بل على الإمكانيات المادية والذي كان أسلوب شخص البارزاني منذ القديم أدى الى التبعية للجهات الأخرى على اختلاف أنواعها يوما بعد يوم والى فقدان الثورة لاستقلاليتها الى حد كبير."[479]

كان خوف ملا مصطفى من الداخل الكوردي أكبر بكثير من المخاطر الآتية من الخارج. فقد ولّد لديه محاولات تطويع مكتبه السياسي الثاني بقيادة إبراهيم احمد وطرد الأول بقيادة حمزة عبدالله، الى نشوء هواجس ومخاوف لازمته بشكل دائم. ومن هنا عمل على إجهاض كل قوة نامية في داخل المجتمع الكوردي وتبني مركزية سياسية وعسكرية ومالية خانقة أجهضت الحزب والمجتمع من كل ديناميكية. ومن هنا كيله للضربات المتلاحقة ضد الداخل لأنه يعتبر المخاطر من الداخل تمس تقليص صلاحياته وخطط التوريث وتحرير ميزانية الحركة من قبضته، خاصة ان المجتمع الكوردي كان متعطشاً للتطور والتغيير. في حين كانت القيادة تتقوقع. كان الشعب الكوردى يصبو للحريات العامة والعمل في المجال الحزبي والسياسي لتطوير المجتمع، ولذا رمى رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني بكل ثقله في لجم الداخل وتصفية من يعتبرهم معارضين لنمط حكمه الفردي وضد من يعتقد أنهم سيقفون حجر عثرة أمام توريث ولده مسعود، بينما لم يحتط بالشكل المطلوب ضد مؤامرات الأعداء. فبالنسبة له كان الخارج عماد قوته: أموال وأسلحة تأتي اليه مباشرة ولا يدع ذلك يفلت من يديه فهو "يعين من يراهم صالحين لإدارة العلاقات الخارجية أو التخلص منهم."[480] وكما هو الحال في الداخل ركزّ مسؤولية العلاقات الخارجية داخل حلقة أولاده.

---

[478] مذكرات بهاء الدين نوري، سكرتير سابق للحزب الشيوعي العراقي. ص: 194

[479] الحزب الديمقراطي الكوردستاني اللجنة التحضيرية. تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها كانون الثاني 1977. ص: 53 – 54.

[480] ن. م. س. ص: 116

لقد لعب العاملان: الجيوسياسي والعقلية الضيقة للزعامة الكوردية دوراً كبيراً في عزلة الحركة. فالدول المحيطة بها: إيران. تركيا وسوريا والعراق معادية لها وتتحين الفرص لضربها. ومن هنا كان ينبغي ان توضع في أولويات القيادة موضوع (الخطط البديلة) خطط طوارئ قادرة على مواجهة التحديات التي ستنشأ عند حصول تغير في موقف الشاه من الحركة الكوردية.. فقد مضى على انهيار جمهورية مهاباد حوالي خمسة عشر عاما فقط عندما اندلعت عام 1961 الحركة الكوردية بعفوية تامة ودون تخطيط وتقييم للأوضاع المحلية والإقليمية والدولية. ولم ينمى شاه إيران (محمد رضا بهلوي) مصاعبه في القضاء على جمهورية مهاباد والقتال الذي جرى مع البارزانيين أعوام 1946 – 1947 وكان شديد القلق من المدّ القومي العربي ويخشى جمال عبدا لناصر والبعثيين من إثارة القلاقل في خوزستان وكوردستان والتعاون مع (توده) الحزب الشيوعي الإيراني ضد نظامه. كما كان تعاون ناصر وحكومات بغداد المتعاقبة وسوريا مع الاتحاد السوفيتي عاملاً مهماً في رسم سياسته الخارجية.

إن المنطق القبلي- الفردي للقيادة الكوردية على عكس المنطق الثوري- الجماعي أبقت الحركة في إطار جامد. وكان ذلك موضع حذر من التورط مع الأكراد: "الاكراد ليسوا متحمسين لتعلم أساليب الحرب العصابية. ولا لحرب المواجهات. ويقللون الى حد كبير من خوض الحروب والمعارك. ذات طابع المخاطرة العالي. ونظرا لأنهم منتشرون في جميع أنحاء العراق. فقد هيئت لهم الفرصة لشل الحياة الاقتصادية في الدولة بعمليات تخريبية. وعلى وجه الخصوص في آبار النفط. وشبكة القطارات والجسور وغيرها. ولم يكن أسهل عليهم من تنفيذ ذلك. لكنهم لم يفعلوا.[481] "كما بعث المستشارون الإسرائيليون رسالة قالوا فيها : كما يبدو ان الاكراد لا يرون ابعد من الجبل القائم أمامهم."[482]

إن تقوقع عقلية الزعامة الكوردية في إطارها المتخلف ساهمت في إنجاح سياسة شاه إيران في استغلال الحركة لصالحه. فقد كانت سياسة إيران على حد تعبير احد المسئولين الإيرانيين الكبار: "نحن نرغب في استمرار لهيب التمرد الكوردي في العراق. شريطة إن لا يتحول هذا اللهيب إلى حريق كبير"[483].

[481] شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 105

[482] شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 179

[483] شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 94

تمكن شاه ايران من تفادي نشوء مخاطر داخلية. وواصل استخدام الزعامة الكوردية وفق مخططه. لقد نجح في ضرب الحزب الديمقراطي الكوردستاني – ايران – ببنادق الزعامة الكوردية لـ (حدك – العراق _. الى حدود أضعف الحركة التحررية الكوردية في كوردستان –ايران – وقضى على عدد من زعمائها بتواطؤ او اشتراك مباشر من الزعامة الكوردية.[484] كما أبقى على الوضع في خوزستان هادئاً ولم يتمكن الحزب الشيوعي الايراني من القيام بنشاط مهدد لنظام طهران. وأرغم نظام بغداد على التوقيع على (اتفاقية الجزائر) في أذار 1975. وتبني الاعتدال في سياسته الخارجية.

كان تقاعس الزعامة الكوردية قد وصل إلى حدود مخيفة لكل ما يتعلق بالقيم الثورية والوطنية وطغى الجانب التجاري عليها بحيث استطاع البعث اختراق قيادة الحزب بسهولة. وهذا ما يقوله أحد القياديين داخل الزعامة الكوردية: "لقد تسربت معلومات من داخل قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني والحركة الكوردية إلى صدام حسين –المؤلف لا يذكر اسم المخبر- بأن الولايات المتحدة الأمريكية سوف لا تتدخل في القتال لصالح الثورة الكوردية ولا تتخذ موقفا علنيا في تأيد الجانب الكوردي في حالة استئناف الحرب في كوردستان العراق. وهذا ما شجع قيادة حزب البعث خاصة إن الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي يقفان بجانب الدولة العراقية في قتالها ضد الثورة الكوردية."[485]

لقد تصرفت الزعامة الكوردية كما لو كان دور إسرائيل وأمريكا "دور رئيسي" ودور إيران "دور ثانوي" تابع للولايات المتحدة الأمريكية. لم يكن هذا التقييم صحيحا. في واقع الأمر لم يكن صدام حسين عميلاً لموسكو ولا شاه إيران عميلاً لواشنطن. كانا يتمتعان بحيز كبير من المناورة السياسية لتحقيق مصالحهما. فطوال مدة التعاون بين الزعامة الكوردية وطهران لم يتخل الشاه عن التحكم الكلي في العلاقة التي تربط واشنطن – تل أبيب مع الزعامة الكوردية.

خلال الحرب في كوردستان عام 1974 حددت مذكرة من الـ C.I.A. بكثير من الوقاحة وجهة نظر طهران وواشنطن:" إن إيران كما هو الحال مع الولايات المتحدة تنوي الاستفادة من وضع ليس له مخرج...... إذ ينجم عنه ضعف جوهري للعراق بسبب رفض الاكراد التخلي عن ما يشبه حكم ذاتي. فكلاهما. إيران والولايات المتحدة الامريكية لاترغبان في

---

[484] مقتل سليمان معيني وأحمد توفيق (عبدالله اسحاقي) الأول عضو المكتب السياسي لحدك -ايران - والثاني سكرتيرالحزب.

[485] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007 . ص: 362 - 363

حل المسألة الكوردية بأي شكل كان. أي أن الأكراد مكلفون بإشغال الجيش العراقي فقط. وهذا الإلهاء أثبت جدواه للشاه ولكيسنجر". حسب تعبير المجلة الفرنسية L'Express"[486]

وغاب عن ذهن الزعامة الكوردية المنطق الذي يحدد سياسة الإمبراطورية الأمريكية. فحتى سياستها مع اسرائيل كانت مبنية على منطق توسيع نفوذها في الشرق الاوسط وطرد النفوذ السوفيتي. ففي بداية (حرب يوم الغفران) أو (حرب أكتوبر1973) يقول كيسنجر عن الزعماء العرب: "أرسلت لهم رسائل في وقت مبكر من الحرب -- وقلت لهم – لقد شننتم الحرب بالأسلحة السوفيتية. لكن لتحقيق السلام ستحتاجون إلى الدبلوماسية الأمريكية. احتفظوا بهذا في ذاكرتكم فسيتبين ذلك". كانت تلك استراتيجيتنا."

فعندما بوغتت إسرائيل بشن هجوم الجيش المصري والسوري وهي تحتفل بأكبر أعيادها الدينية [عيد يوم الغفران] في سيناء ومرتفعات الجولان. استدعت احتياطي قواتها الى الجهات. وبدا في بداية الحرب ان إسرائيل ستواجه هزيمة منكرة. إلا أنها استطاعت أن تقلب موازين الحرب لصالحها بالتدريج. وتحاصر الجيش الثالث المصري والذي كان يشكل نصف القوة التي عبرت غرب قناة السويس. وقطع عنه التموين. وفي هذه اللحظات مارست إدارة نكسون الضغوط على حكومة إسرائيل بشكل لم تتمكن من تفاديها. فما كان أمامها غير القبول بوقف إطلاق النار. ولتبدأ الدبلوماسية الأمريكية من موقف القوة بالعمل مع كافة الأطراف المتورطة : موسكو. القاهرة. دمشق وتل أبيب.

واستغلت إسرائيل موقفها القوي. فقد تغيرت علاقاتها نتيجة الحرب بأمريكا. ضاعفت الأخيرة من مساعداتها الخارجية بأربعة أضعاف عما كانت عليه في السابق. وولدت في واشنطن فكرة "الاحتفاظ بالتفوق العسكري الإسرائيلي" على جاراتها من الدول العربية. كما نجحت واشنطن في القضاء على النفوذ الروسي في مصر وأصبحت اللاعب الرئيسي في رسم سياسات منطقة الشرق الأوسط والتي منها يتدفق البترول إلى العالم الصناعي. حيث أن حماية تدفق النفط من الخليج الفارسي كان يشكل ولا يزال أساس الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط منذ الحرب العالمية الثانية.

ولابد من القول ان الهزائم أو الانتكاسات التي تتعرض لها الأمم الحيّة. تجلب معها حسابات المسؤولية كاملة. من المسبب في النكسة أو الهزيمة؟ فقد قامت لجنة التقصي

[486] L'Express. Comment les Kurdes ont été trahis. Emile Guikovaty . 8 – 14 Mars. 1976

الاسرائيلية (The Agranat Commission) بالتحقيق في أسباب نقص الاستعداد العسكري عند الهجوم المباغت في 6 أكتوبر 1973. فطلبت اللجنة استقالة رئيس أركان الجيش (David Elazar) ورغم أن اللجنة برأت ساحة موشي دايان. إلا أنه أمام الانتقاد الشعبي قدم استقالته الى رئيسة الوزراء Golda Meir والأخيرة رفضت استقالته. بعد نشر نتائج التحقيق. تحملت رئيسة الوزراء مائير كامل المسؤولية رغم أن اللجنة أشادت بدورها. فاستقالت في 11 أبريل 1974 . وحل مكانها (Yitzhak Rabin) . كان لدى ملا مصطفى الوقت الكافي لشرح جميع الملابسات للشعب الكوردي. وهذا واجب وطني. لكنه أثر الصمت الكامل ولم يقدم إيضاحاً للملابسات التي أدت به الى إتخاذ خطوته المفاجئة في التخلي عن الحركة والشعب الكوردي. كما إن إحسان نوري باشا الذي زاره في منفاه في كرج – عظيمية – طلب منه كتابة مذكراته للأجيال القادمة. لكنه رفض النصيحة. وهكذا بقي كل شيئ غامضاً بالنسبة لجماهير كوردستان. فالمنتفعون به يعتبرون الهزيمة بعد نظر وموضع إعجاب. بينما المعارضون يعتبرونها استهتارا بمقدرات الشعب الكوردي واستهانة لضحاياه.

إن عدم الاستفادة من دروس التاريخ يؤدي الى تكرار الأخطاء. ثورة أرارات (Agridagh) بقيادة خويبون وتحت القيادة العسكرية لإحسان نوري باشا. وفرت الكثير من العبر التاريخية. كان على قادة الثورة الكوردية دراستها والتصرف على أساس الدروس والعبر المستخلصة منها. تجربة احسان كانت مع والد الشاه رضا بهلوي. تجربة ملا مصطفى المكررة كانت مع الابن محمد رضا بهلوي. اعتمد احسان على حيادية ايران نوعاً ما وتلقي مساعدات ضئيلة جداً. وكان هناك منحى عاطفي في كون الشعبين الفارسي والكوردي ينتميان الى الأقوام الآرية. وان إيران لن تعمل ضد مصالح شعب شقيق في حالة انتفاضة. تفاهمت أنقرة مع طهران لمحاصرة الثورة الكوردية من جميع الأطراف عسكرياً واقتصادياً لقاء تغيير في رسم الحدود. في مناطق أرارات. كما توجهت بغداد الى طهران للتوصل الى اتفاق لرسم جديد للحدود العراقية الايرانية مقابل وقف المساعدات للثورة الكوردية. كانت طهران على علم بما حصل مع احسان نوري وكيف يمكن تكرار نفس الفوائد مع الثورة التي قادها ملا مصطفى. استخدمت ايران الورقة الكوردية مع انقره وبغداد وعلى حساب الشعب الكوردي. وفي كلا التجربتين. لم تتمكن تركيا ولا العراق القضاء على الثورة الكوردية الا بمعونة خارجية. وفي كلا الحالتان. طلبت بغداد وانقرة مساعدات طهران. وهكذا ورغم تجارب التاريخ وجد ملا مصطفى نفسه مع احسان نوري. في نفس الفخ. لقد ألح احسان نوري باشا عند لقائه بملا مصطفى نهاية عام 1975 أن يملي مذكراته حتى لا تكرر الأجيال الكوردية القادمة الأخطاء التاريخية القاتلة. لكنه رفض.

إنه أمر في غاية الغرابة. فبعد الكارثة الوطنية الكبرى، لم تشكل لجنة محايدة للتحقيق. ولم يجري تقصي في ملابسات الانهيار الصاعق. وما يبعث على الدهشة أن تصارع المسؤولون للعودة الى قيادة شعب أذلوه وتركوه وهربوا الى الخارج. لقد احتفظ قياديو الحركة الكوردية بعد فشلهم بمناصبهم القيادية وبإمتيازاتهم. وكأن شيئاً لم يكن. والى اليوم هم القادة والأبطال في الساحة الكوردية.

"خلال القنوات السرّية في شهر نيسان/ابريل 1973 والاتصالات التي جرت بين الرئيس المصري وشاه إيران فان الرئيس أنور السادات أكد لقادة الحكم في بغداد بأن تنازل العراق لنصف شط العرب إلى شاه إيران سوف يؤدي إلى تسوية الخلافات وإنهاء النزاع بين العراق وإيران وغلق إيران لحدودها بوجه الثوار الأكراد في العراق وبذلك تأكد لقادة حزب البعث الحاكم في بغداد بأن دور الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل في دعم الثورة الكوردية في العراق هو دور ضعيف أو هامشي وينتهي بحل المشاكل العراقية مع إيران.[487] وتأكد للبكر وصدام بأن دور أمريكا وإسرائيل في دعم الثورة الكوردية هو بمقدار ما يسمح به شاه إيران أو بقدر ما تستوجبها المصالح الإيرانية. وكان ذلك سببا هاما في قرار القيادة القطرية لحزب البعث الحاكم في استئناف الحرب في كوردستان.... وان تمكن صدام حسين في كسب الحزب الشيوعي ...وانضمام الحزب الشيوعي الى جانب السلطة عززت من سلطة البعث. وأصدر الحزب صحيفته (طريق الشعب) في تشرين الأول /اوكتوبر بصورة رسمية وعلنية في بغداد..."[488]

في بداية عام 1974، كانت الحركة الكوردية قد شدت ظهرها للحائط الايراني والإسرائيلي ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وساءت العلاقات مع السوفييت والحزب الشيوعي العراقي ومع البعث بقيادة بكر – صدام. ولم يعد من مفرّ من المواجهة المسلحة.

كان الجيش العراقي مهيأ للقتال عام 1974 بدعم من السلاح والدبلوماسية السوفيتية والمعسكر الاشتراكي والأحزاب الشيوعية في العالم بما فيها الحزب الشيوعي العراقي. وكان نظام بغداد يشعر بالقوة وأكثر ثقة بالنفس وقد انحاز عدد من الشخصيات الكوردية من معسكر الحركة الى صف نظام بغداد.

---

[487] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007 . ص: 363

[488] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007 . ص: 364

إنقطع الاتصال في 11 مارس 1974 بين قيادة الثورة الكوردية والحكومة العراقية . وفي 16 نيسان /ابريل قرر ملا مصطفى شن هجوم على مواقع الجيش العراقي في منطقة (سبيلك) لاحتلال الموقع وبدأت الحملات العسكرية وفشل الهجوم .[489]

وتقدمت قطعات من الجيش من اربيل نحو (سبيلك) وتمكنت وحدات من الفرقة الاولى والفرقة الثامنة "سحق مقاومة الثوار الاكراد على الطريق قرب شقلاوة وحرير وجبل (زينتير) وتقدمت هذه الوحدات نحو(سبيلك) وبذلك تم فتح الطريق للجيش بين سبيلك ومدينة أربيل وسيطر الجيش على طريق تقدم السيارات.[490]

وعلى التوالي قصف السلاح الجوي العراقي في 23 . 24 . 25 نيسان مناطق من (باله ك) بلدة (قلعه دزه) بلغ مجموع القتلى 120 شخصاً وحوالي 400 من الجرحى ومعظمهم من طلبة جامعة السليمانية. كما نتج عن قصف بلدة (حلبجه) أكثر من 140 اصابة بين قتيل وجريح. وتم قصفت بلدة (جوارتا) و (بنجوين) وأماكن أخرى من كوردستان. وبلغ مجموع الضحايا في شهر نيسان مايقارب ألف إصابة بين قتيل وجريح.[491]

وفي 5 أيار/مايو 1974تقدم من الموصل لواء من الفرقة الرابعة واستولى بسهوله على مضيق زاخو. ولواء مشاة من الفرقة الرابعة للجيش العراقي تعسكر فوج منه مع مقر اللواء في بلدة زاخو. وفوج منه احتل منطقة (عاصي) والفوج الأخر احتل منطقة (فيشخابور) الحدودية.[492]

ويذكر شكيب عقراوي: "بعد ان استطاع الجيش العراقي من التقدم في قواطع (راوندوز) و (رانية) و(قلعه دزه) في صيف وخريف عام 1974 وبعد وصول كتيبتين من مدفعية وصواريخ الجيش الايراني الى كوردستان العراق لاسناد الجبهة المركزية فان القيادة الكوردية شعرت بخطورة الوضع العسكري وبوجود بعض نقاط الضعف والفوضى في صفوف الثورة الكوردية وعليه قررت القيادة تشكيل لجنة عسكرية برئاسة المرحوم ادريس البارزاني لتدارك الوضع ومعالجة الأزمة. غير ان هذا الإجراء جاء متأخراً فبعد

---

[489] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز2007 . ص: 376

[490] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز2007 ص: 377

[491] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي تموز2007 ص: 377، 376

[492] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز2007 . ص: 378

بضعة أشهر من قيام اللجنة بأعمالها حصل الاتفاق بين العراق وايران في 6 مارس 1875 مما سبب في انهيار الثورة الكوردية."[493]

سياسة الشاه كما أشرنا في السابق كانت تهدف الى المسك بزمام الحركة الكوردية واستغلالها، خلال إضعاف الطرفين عسكرياً. الجيش العراقي وقوات الأنصار الكوردية. وكان لتدخله العسكري الى جانب الحركة الكوردية أن تراجع أداء القوة الجوية العراقية في مناطق معينة. ففي 23 أيلول 1974 سقطت طائرة ميك وأسر قائدها الطيار. كما ان البطاريتان الايرانيتان من صواريخ (رابير) التي وصلت الجبهة الكوردية في 2 تشرين الأول كان لهما أثر في رفع معنويات الزعامة الكوردية. سقطت طائرة أخرى من نوع (هنتر) بعد وصول البطارية الإيرانية. وسقطت طائرة (بادجر TU16) في 14 كانون الاول/ديسمبر 1974 ولاقى الطاقم المؤلف من أربع أشخاص حتفهم. وفي 15 كانون الأول/ديسمبر سقطت طائرة من نوع (سوخوي - 7).[494] وأدى قصف كتيبة مدفعية الميدان الإيرانية لمواقع وربايا الجيش العراقي في ديانا وراوندوز الى تدمير مخازن السلاح والعتاد للجيش العراقي وتدنى معنويات أفراد الجيش وتفشي التذمر بين صفوفه. وبوصول عدد من الصواريخ المضادة للدبابات في نهاية شهر تشرين الثاني/نوفمبر 1974 أستطاعت قوات الأنصار الكوردية إبداء مقاومة أفضل ضد تقدم الدروع العراقية في قاطع راوندوز.[495]

زاد تورط إيران في الحرب بزيادة تقهقر القوات الكوردية نحو الحدود الإيرانية وطلبات القيادة الكوردية الملحة والمتكررة من إيران بتقديم المزيد من التدخل العسكري والمالي واللوجستي. وكان الاعتقاد السائد أن ذلك يقوي الحركة الكوردية ويؤدي الى عودة المفاوضات بين قيادة الحركة وبغداد.

أضعفت الحملة العسكرية في كوردستان خلال عام 1974 الطرفين، الجيش العراقي والحركة الكوردية، فبالنسبة لقيادة الحركة الكوردية، كان المزيد من الاعتماد على المساعدات الايرانية، وبالنسبة لصدام حسين أصبح التوجه الى ايران ضاغطاً. هنا نرى قدرة الشاه على المناورة لصالحه، حيث احتاجه الطرفان المتحاربان، صدام وملا مصطفى. وأوجدت لدى صدام حسين القناعة بأن التوصل الى اتفاق مع الشاه، سيسهم في الحل العسكري، لذا مال بشكل أكثر جدّية في مجال المساومات مع طهران. ففي شهر أكتوبر

---

[493] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي تموز 2007 ص 373

[494] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي تموز 2007 ص 380

[495] سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي تموز 2007 . ص 380

حضر العاصمة المغربية الرباط أثناء إنعقاد القمة العربية وتكلم بسرية مع عدد من أصدقائه، وبخاصة مصر.[486]

وحسب تقرير سري موجه الى وكيل وزارة الخارجية للشؤون السياسية Joseph John Sisco والى A. Atherton الأمين العام المساعد لشؤون الشرق الأدنى وجنوب أسيا. هذا التقرير تحت عنوان: "سياسة الولايات المتحدة تجاه النزاع العراقي الايراني" نلمس قلق أمريكي واضح من تصاعد حدة التوتر بين طهران وبغداد. والجهة التي قدمت التقرير هي أقل تجاوباً مع سياسات الشاه في المنطقة:

"إسقاط طائرتين عراقيتين بصواريخ إيرانية، كما تعلمون، يجسد تدخل إيراني واسع النطاق، مثير ومباشر في العراق. هذا التدخل كما يبدو فرضته النجاحات العسكرية ضد البارزاني في حملة هذا العام. في نظري أن الوقت قد حان للولايات المتحدة الامريكية للقيام بأقوى مبادرة ممكنة مع الشاه لإنهاء هذا التدخل، والذي ليس في صالح إيران ولا في صالح الاستقرار الإقليمي."

ومن وجهة نظر التقرير "ان الشاه يريد حكومة جديدة في بغداد أكثر انسجاماً مع سياسات طهران، وان بكر/صدام جادين في تحقيق النصر على الاكراد. ان استمرار القتال قد يؤدي الى انهيار النظام وحلول حكومة أخرى. لكن ليس بالضرورة ان يحدث ذلك، وان النظام المقبل سيمثل تحسناً. بعض المراقبين الفرنسيين والبريطانيين يعتقدون من ان النظام المقبل قد يكون أكثر راديكالية وأكثر تخريباً، وقد يضطر الى زيادة الاعتماد على الاتحاد السوفيتي. احتمال أخر هو تولي الجيش الحكم وممكن ان يكون معادياً للشيوعية. لكن تاريخياً خلقت الأنظمة العسكرية في العراق عدم استقرار داخلي وقد تتكرر هذه الحاله. وممكن ان يناسب ذلك الشاه. لكن ....."

(..................................... سري)

(..................................... سري)

"لكن سيكون من الصعب معرفة كيف يمكن ان ينسجم ذلك مع مصالح الولايات المتحدة أو مصالح الغرب في الاستقرار الإقليمي".

---

[486] L'Express. Comment les Kurdes ont été trahis. Emile Guikovaty . 8 – 14 Mars. 1976

التقرير يواصل الحديث عن مصالح الولايات المتحدة والغرب خلال الإبقاء على نظام البعث:

"نظام البعث مع جميع صفاته البغيضة قد أعطى الاستقرار للعراق على مدى ست سنوات. إضافة انه يركز على التنمية الاقتصادية ويسعى بكل طاقاته على احلال التقارب التام مع أوروبا الغربية والدول العربية المحافظة (بغداد 857) أياً كانت الدوافع وراء هذه السياسة المزدوجة المتعلقة بالتنمية والتقارب وأياً كانت اللغة الراديكالية المستخدمة لإخفائها. فهذا من صفات نظام البعث. إن السياسة الناجحة تتطلب ان تكون مغايرة لما هي عليه اليوم. وباعتراف العديد يرى النظام نفسه كالفأر المحاصر."

هذا التقرير يرى الوضع القتالي الكوردي بزعامة ملا مصطفى أمراً ميؤوسا منه عام 1974 :

"القيادة الكوردية تخوض معركة ميؤوس منها. لا تريد الأطراف المهتمة نجاحهم. حتى الايرانيين يقولون انهم لا يمنحونهم ما يكفي من المساعدة للتحول الى حالة الهجوم. أملهم الوحيد يبدو مرة أخرى هو الإطاحة بنظام بغداد. ويأمل الكورد بأن تغير النظام سيؤدي الى تبني سياسات أكثر تقبلاً تجاه الكورد. لكن الوهم الكوردي هو أكبر من الوهم الإيراني. جميع الأنظمة العراقية في الماضي، بما فيها البريطانية ،الملكية والعسكرية، حسب علمي، رفضوا منح الأكراد مطليهم في الحكم الذاتي. والفكرة القديمة المتمثلة في التحالف الكوردي الشيعي، على ما أظن كلا الفكرتين هما من قبيل الوهم وغير واقعية. فلا الأكراد ولا الشيعة يملكان المؤسسات ولا الموظفون لكي يحكموا ويواصلوا عملية التحديث. فالغالبية الكوردية والشيعية لاتزال تعيش أساساً في مجتمعات عشائرية وحياة العصور الوسطى." [497]

"أبلغني بسرية تامة السفير البريطاني (GRAHAM) ان وزير البلاط أسد الله علم ذكر للبريطانيين أن إيران مصممة على مواصلة الحرب خلال منع البارزاني ليس فحسب ما يحتاجه خلال فصل الشتاء، إنما أيضاً ما يكفي من السلاح والمعدات الكافية لخوض القتال كاملاً في الربيع. إن كان هذا هو تفكير الشاه، فمن المؤكد تقريباً أننا سنشهد صراع اقليمي واسع النطاق.

(........................ سري)

---

[497] R 230900Z DEC 74. Secret BAGHDAD 898. E.O. 11652: GDS.

(.........................سري)

" ولذلك أعتقد أن الوقت قد حان لكي نعرض على الشاه أقوى مبادرة ممكنة لحسم تحديد تناقض صراع المصالح الأمريكية والإيرانية وكيف يمكن التوافق بين مصالحهما. وكما اقترحنا من قبل، أظن أن أكثر المساعي إيجابية بالنسبة للولايات المتحدة هي أن نوصي الشاه بأن يختبر مدى جدية الرغبة العراقية في المصالحة، وليس بتبني موقف معاند وعدائي مبني على أساس أن النظام البعثي غير قابل للإصلاح."

يتضح مما سبق أن الولايات المتحدة الامريكية لم تكن غائبة عن دفع الأمور بين طهران وبغداد باتجاه المصالحة، ولم تكن مهتمة حتى من الناحية الإنسانية بأقدار الشعب الكوردي ومعاناته ناهيك عن الحقوق القومية المشروعة، ولم تكن نظرتها للزعامة الكوردية إيجابية كما ورد في التقرير السابق. لكن بالتأكيد كانت القيادة الكوردية تعزي نفسها بالأوهام بعيداً عن الحقائق.

كانت قيادة البعث ومن خلال حملتها العسكرية السابقة عام 1963 ثم بعد عام من القتال في 1974 قد توصلت الى قناعة أن الحرب لن تنهي الحركة الكوردية، ولذا ينبغي البحث عن حلول وراء الحدود. ومن هنا التوجه الى الشاه، لكن لم يكن في مقدور حكومة بغداد التكهن بانهيار الحركة الكوردية بمجرد التوقيع على اتفاقية الجزائر، فقد كان الاعتقاد أن الحركة ستستمر، لأنها مسندة من قبل الشعب الكوردي وأن القيادة الكوردية ملتزمة ببقاء الحركة ومستعدة لبذل التضحيات لديمومتها. لكن قطع المساعدات الإيرانية عنها سيساهم في الحل العسكري . والشعب الكوردي نفسه كان على اعتقاد ان قيادته ملتزمة بالحركة ولن تتخلى عنه مهما كان الثمن. إن شعار (كوردستان يان نه مان) ويعني (إما كردستان أو الموت) هذا الشعار كانت تردده الدعاية الحزبية ليل نهار، ومن خلال عملية التكرار الإعلامي الشفهي والمكتوب لأعوام طويلة تغلغلت عميقاً في وجدان الشعب الكوردي ولم يشك أبداً في التزام القيادة بهذا الشعار الأساسي.. لكن الأحداث التي تلت إتفاقية الجزائر ثبتت، أن حكومة بغداد والشعب الكوردي كانا على خطأ. لقد كانت الدعاية الحزبية تشدد على بطولات القيادة وعظمتها وشجاعتها وارادتها التي لاتعرف الهزيمة، وحتى عندما بعث ملا مصطفى بوفد الى القاهرة لمقابلة السادات وثم قابل الوفد محمد حسنين هيكل، ودار نقاش حول موضوع التصالح بين بغداد وطهران، مع (محمد محمود عبدالرحمن)... ذكر الصحفي المصري لملا مصطفى في لقاء معه في طهران، قال له : "إنني أتذكر – قبل أيام من إجتماع الجزائر بين الشاه وصدام حسين _ أنك بعثت الى

القاهرة بأحد نوابك في قيادة الثورة الكوردية لمقابلة الرئيس أنور السادات. وأتذكر أنني قابلت مبعوثك في القاهرة وأتذكر أنني نبهته الى اجتماع تم ترتيبه بين الشاه وبين صدام حسين وأن إتفاقاً بين الإثنين يمكن ان يتم. وأتذكر أنه قال لي : مهما كان أي إتفاق بين الإثنين يتوصل اليه الشاه وصدام فاننا سنواصل المقاومة سنوات بعد سنوات... ولن نستسلم" .... ومع ذلك فبعد أيام من اتفاق الشاه وصدام كنت انت تعلن الإستسلام....."[498]

جائت مبادرة صدام في وقتها المناسب. فقد توصل لتوه كيسنجر الى إتفاق فك الإرتباط في سيناء بين المصريين والإسرائيليين. لم تؤيد هذه الاتفاقية سوريا. لذا يستوجب عزلها وتقليص دورها في نداءاتها القومية. فبالنسبة لكيسنجر وأنور السادات. لو انهم تمكنوا من تخليص العراق من الشوكة الكوردية. سيكون هذا العراق المعترف بهذا الفضل. راغباً في السماح لمصر بالتعامل مع اسرائيل دون ضجة.[499]

ومن جانب أخر. كان الشاه يرسل الإشارات الى الحكومة العراقية – إتباع سياسة العصى والجزرة - في كونه راغب في التوصل الى حل مع الحكومة العراقية وفق شروطه. كان هذا الجانب الخفي من سياسة الشاه يقابل من جانب الزعامة الكوردية باللامبالاة. وكان للشاه علاقات جيدة مع الرئيس المصري أنور السادات. وكانت حكومة بغداد قد سهلت إستيطان مليون مواطن مصري في العراق للعمل وهذا ما خفف من أعباء الاقتصاد المصري الهزيل. وأراد السادات مساعدة بغداد والشاه الذي كان على علاقات جيدة معهما لإيجاد حلّ للصراع الدامي بين بغداد والحركة الكوردية.

"بدأ الدبلوماسي المصري أشرف مروان بالتشاور مع طهران وبغداد . وأعربت طهران عن استعدادها التخلي عن مساعدة الكورد مقابل تنازلات في منطقة شط العرب. وأومأت بغداد أنها ستوقف من سياستها المعادية لإيران ولن تتحالف مع دمشق ضد إتفاقية سيناء. كما أبلغ السفير الجزائري في بيروت صدام حسين عن تأيد الرئيس الجزائري هواري بومدين."[500] ومن الأرجح أن الحكومة الجزائرية كانت متخوفة من تصاعد مطالب الأمازيغيين في نيل حقوقهم القومية كما هو الحال مع الأكراد. وهذا واحد من أسباب اهتمام الجزائر في إنهاء المسألة الكوردية لصالح بغداد. علاوة على التضامن القومي العربي.

---

[498] جريدة الأنوار. 6 أيلول 1975 . أحاديث 2 . مناقشات مع صقر عجوز . بصراحة. محمد حسنين هيكل

[499] L'Express. Comment les Kurdes ont été trahis. Emile Guikovaty . 8 – 14 Mars. 1976

[500] L'Express. Comment les Kurdes ont été trahis. Emile Guikovaty . 8 – 14 Mars. 1976

كان الطرفان يقتربان بسرعة من الإتفاق من خلال دبلوماسية ماوراء الكواليس. وبمحاذاة ضربات المدفعية الإيرانية المتواصلة والمدروسة بدقة ضد مواقع الجيش العراقي في الجبهات وهو في حالة مزرية. ووجد الشاه ضرورة وجود ملا مصطفى في طهران أثناء حضوره قمة (الاوبك) في الجزائر موجهاً اليه دعوة الى طهران. فتوجه اليها ملا مصطفى في 26 شباط 1975.. وجد الشاه مصالحه مع بغداد ومع العالم العربي أكثر مما هو مع الحركة الكوردية التي أصبحت عبأ عليه. وقع الشاه وصدام حسين مابدى إتفاق فجائي للعالم وبالأخص للزعامة الكوردية. سميت بإتفاقية الجزائر في 6 أذار عام 1975. وتعانق الطرفان وبدا أنهما سعيدان بهذا الإنجاز وسط تصفيق الحاضرين من رؤساء دول منظمة OPEC. كان ملا مصطفى وعدد من مساعديه في طهران يتابعون الأخبار من خلال الراديو والتلفزيون الإيراني وهم ضيوف السافاك. وسمعوا بأنباء الإتفاقية وهم في العاصمة الايرانية وكانوا يتابعون بقلق ما سيحصل في القمة وينتظرون عودة الشاه ليسمعوا منه شخصياً نتائج الاتفاقية.

التخلي عن الشعب الكوردي
(نهاية اللعبة)

ففي أثناء ما كان الإيرانيون يسحبون مدافعهم
الى ايران (بعد إتفاقية الجزائر)
حمي وطيس القتال هناك وبقي الخط الدفاعي
صامداً والبيشمركه يقاتلون باصرار ودون مبالاة بحياتهم
تماماً مثلما كانوا يفعلون في العام 1966 والذي سبقه
وفي احدى البرقيات وردت عبارة قرأها إدريس علناً
"نحن الآن في ثورة حقيقية."
جرجيس فتح الله

يقول Trita Parsi عن أهمية دور إيران وموقعها الأستراتيجي في المنطقة:

"تبوأت إيران الدور الرئيسي في المنطقة، طوال ثلاث آلاف سنة من تاريخها، كان ذلك يشكل معادلة طبيعية وليس إستثناءً. فبين (550 ق. م و 630 ب . م.) كان الفرس من بين القوى الرئيسة في العالم، وقد أوقعوا الهزيمة بجيوش بابل، آشور، مصر، أثينا وروما. وأقام الفرس أول إمبراطورية في العالم تمتد من ليبيا في الغرب الى أثيوبيا في الجنوب، ومن بلغاريا في الشمال والهند الى الشرق. وواجهت روما القوية الإمبراطورية البارثية والساسانية كمنافستين لها. فلدى إيران وفرة من المصادر الطبيعية، ولها موقع جيوستراتيجي فريد، ثقافة نابضة وسكانها أكبر عدداً بكثير من جاراتها. ولكون الإيرانيين واعين لما لديهم من امتيازات، فقد طمحوا دائماً الى أن يكونوا الأول بين الأوائل في دفة الإدارة السياسة في المنطقة. هذه الحقائق لم تكن خافية على الشاه الذي كان يحلم بإنبعاث ماضي إيران العظيم وبناء دولة قوية مثلما كانت في العهود الغابرة."[501]

[501] Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and London.2007.page: 39

كان الشاه قد تثقف في الغرب. يتكلم الفرنسية والإنكليزية بطلاقة. ويعي تخلف مجتمعه. وفي سياسته الخارجية كان يطمح الى تفادي الإضطرابات الداخلية وتعزيز دور إيران في المنطقة. في الخمسينات والستينات من القرن الماضي، واجه الشاه عداء جمال عبدالناصر والبعث في سوريا والعراق والمدّ الشيوعي. وعمل الشاه على تألهب ما أمكن من عوامل الصراع ضد الدول العربية المعادية له والمنافسة لإيران في الهيمنة على منطقة الخليج الفارسي – العربي ... من هنا إقترابه من إسرائيل، وبناء العلاقات مع الحركة الكوردية بعد إنقلاب 14 تموز عام 1958 في العراق .... يمكن تمييز مرحلتين من العلاقة بين طهران وتل أبيب: مرحلة العداء من الدول العربية الراديكالية. الناصرية والبعثية ضد الشاه. وكانت هذه الدول في نفس الوقت معادية لإسرائيل وللغرب ويدعمها الإتحاد السوفيتي. والمرحلة الثانية تبدء بإنتهاء العداء مع مصر بعد وفاة جمال عبدالناصر وتسلم أنور السادات الحكم، والتصالح مع العراق بالتوقيع على إتفاقية الجزائر في أذار عام 1975. وقد تأثرت علاقات الشاه بإسرائيل بمدى تأزم أو تحسن العلاقات مع الدول العربية الراديكالية. كانت العلاقات الإسرائيلية - الإيرانية في عهد الشاه مبنية على تحالف يسمح بمواجهة التهديدات الخارجية، وبالنسبة لإيران كان الهدف ضمان القبول العربي بالدور الرئيسي لها في منطقة الخليج ... يقول Trita Parsi عن العلاقات الثنائية الإسرائيلية – الإيرانية: "لم تتواجد المشاعر المناهضة لإسرائيل في الوسط الشعبي الإيراني فحسب، إنما داخل الحكومة أيضاً. كانت مشاعر موظفي الحكومة متأثرة بدافع سياسي وليس ديني. وحسب ماذكرد موظف إيراني سابق "حتى أولئك التكنوقراط الذين كانوا يساعدون إسرائيل، كانوا في الواقع غير راضين من المعاملة التي يتعرض لها الفلسطينيون. وكان نقد علاقات إيران بإسرائيل معروفاً ضمن الحكومة و وزارة الخارجية، بينما حبّذ السافاك والجيش علاقات أكثرسوخاً مع إسرائيل. وكانت حجة وزارة الخارجية أن النفوذ العربي يتزايد في الأهمية، لأن جميع الدول غير المنحازة تقف مع العرب ضد إسرائيل. لكن وزارة الخارجية كانت عديمة التأثير على سياسة إيران تجاه تل أبيب، لأن الشاه والسافاك أخفها هذه الأمور عنها."[502]

إن قرار أنور السادات طرد الخبراء السوفييت من مصر في 18 تموز 1972 كان موضع ترحيب الشاه، وحاول من جانبه التقرب من أنور السادات، وقد تقوت الروابط بين

[502] Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and London.2007.page: 62

الدولتين بشكل تدريجي. وسعى الشاه الى إستغلال هذه العلاقة لضمان نفوذ أكبر في العالم العربي وحل مشاكله فيما بعد مع العراق.

وبالنسبة لإسرائيل كانت حرب أكتوبر عام 1973 لحظة تاريخية هامة للتأكد من موقف إيران تجاه ماتعرضت له من تهديد مباشر لوجودها. فقد وجدت إسرائيل أن الشاه كان ينظر الى الحرب من زاوية تعزيز مركزه ومصالحه في المنطقة. ولم يساعد إسرائيل أثناء محنتها في حرب يوم الغفران. فرغم وجود تبادل معلومات فيما يخص العراق. لم يشاطر الشاه إسرائيل شيئاً عن علاقاته بمصر والتي ظلت تشكل مع وجود ناصر أو بدونه . تهديداً لإسرائيل رغم تقربها من المعسكر الغربي وإبتعادها عن السوفييت. كما أثبتتها حرب أكتوبر في ظل حكم السادات. "ورغم برودة الموقف الإيراني. كانت الدولة العبرية بحاجة أكثر الى إيران بعد الحرب مما كان قبلها. لم يكن لدى إسرائيل خيار أخر غير إعادة إستثمار العلاقات مع طهران. بسبب نقص مجالات المناورة لمتابعة خطط أو تحالفات بديلة."

ومن أجل بناء علاقات أفضل مع إيران. إختارت تل أبيب Uri Lubrani شخصية خبيرة. كرئيس لبعثتها في طهران عام 1973. وكان قد تدرج في مناصب عديدة هامة ضمنها مستشار للشؤون العربية لـ (دفيد بن غوريون). كان هذا التعيين يهدف الى زيادة أهمية إسرائيل الديبلوماسية لدى الإمبراطور الإيراني. لكن كانت الخيبة. إذ لم يحضر أي ديبلوماسي إيراني للترحيب بـ (لوبراني) في مطار مهرآباد. كما إن طلبه مقابلة الإمبراطور إستغرق ثلاث سنوات ونصف.[503]

بعد حرب أكتوبر1973 بدأت إيران البحث عن سبل أخرى لتقليص إعتمادها على خط الأنابيب الإسرائيلي لتصدير نفطها الى أوروبا. فخط Eilat - Ashkelon كان قد فقد نوعاً ما أهميته الإستراتيجيته. لقد بنى أصلاً من أجل تمكين إيران تفادى أراضي تحت سيطرة حكومات معادية لها ومدعومة من قبل جمالْ عبدالناصر. أدت خشية إسرائيل من قيام إيران بوقف إستخدام خط الأنابيب الى شنّ جهود ديبلوماسية لإقناع الشاه بعدم إتخاذ مثل هذا الإجراء. وبهذا الصدد يعلق البروفيسور الإسرائيلي Soli Shavar: "تخوف الإسرائيليون كثيراً. فزيارات قادتها. يغال ألون. رابين و بيريس....كان من أجل الحصول على

[503]Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and London.2007.page: 51

ضمانات أكثر من الشاه فيما يخص استمرار تدفق النفط . وكان هذا أهم موضوع بين إيران واسرائيل عقب حرب يوم الغفران.-[504]

إعتقد الشاه أن اللوبي اليهودي يسيطر على وسائل الإعلام الأمريكية. وأن معظم المقالات الإفتتاحية في الـ New York Times هي من وحي إسرائيل. لذا لم يسعى لمعاداتها. وعندما تدهورت سمعة حكم الشاه في امريكا في السبعينات وبعد تزايد صدى الخروقات في مجال حقوق الإنسان وضيق مجال الحريات الديمقراطية في إيران. زادت حاجة الإمبراطور الى اللوبي اليهودي لتحسين صورته. وهذا ما أتاح لإسرائيل عرض الدعم مقابل تنازلات منه. ووعد بذلك شمعون بيريس. لكن حسب ما ذكره السفير الإيراني الدائم في الأمم المتحدة هويدد أن بيريس لم يقم بعمل. والوعد لم يكلفه شيئاً. مجرد حيلة رخيصة.[505]

إستمرّ تقرب الشاه من السادات. فبعد وقف إطلاق النار في 1973. بادرت واشنطن الى مفاوضات فك الإرتباط بين مصر واسرائيل. ولعبت إيران دوراً فعالاً في المفاوضات دعماً لموقف السادات. وكان الشاه يدعو الى إعادة جميع الأراضي المحتلة مقابل السلام. وأنتقد الشاه إسرائيل لموقفها "المتصلب والخالي من الحكمة" في طلبها من الدول العربية الإعتراف أولاً بإسرائيل. وضغطت طهران على تل أبيب بتجميدها التعاون العسكري والتوقف عن شراء الأسلحة الإسرائيلية. وأعلم موظفون إيرانيون [لوبراني] مبعوث تل أبيب في طهران، أن العلاقات تبقى مجمدة طوال المفاوضات بين مصر وإسرائيل. وفي مقابلة مع صحفي أمريكي يعمل في اليومية البيروتية [الحوادث] رفض الشاه صراحة الإستراتيجية الإسرائيلية المبنية على نشدان الأمن خلال إحتلال الأراضي. وذكرالشاه:

"إسرائيل ترتكب خطأً كبيراً في الإعتماد على الأراضي العربية المحتلة مقابل أمنها.... ففي هذا العصر. تحلق الطائرات على إرتفاع 000 80 قدم. وصواريخ أرض – أرض لاتعرف الحواجز. لم يعد هناك شيء إسمه حدود إسرائيل الآمنة....الضمان الوحيد لأمن إسرائيل هو ضمان دولي لحدودها السابقة... هل لدى إسرائيل مايكفي من الرجال لإحتلال كل الأراضي العربية؟ هل بإمكانها الذهاب الى الجزائر؟ هل بإمكانها قتال المملكة العربية

---

[504]Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and London.2007.page: 51

[505]Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and London.2007.page: 63

السعودية؟ وأكثر من هذا هل تتمكن إسرائيل تحمل النفقات العسكرية لعشر سنوات قادمة؟ من سيدفع هذه المصاريف؟ أنتم الأمريكان. ومن أجل ماذا؟ هل لدعم مسألة غير أخلاقية. إحتلال أراضي الغير بالقوة؟"[506]

ويعلق Trita Parsi على تصريح الشاه: "هذه الكلمات كانت محبطة لإسرائيل. لكن العمل الخياني الأكبر تجاه الدولة العبرية - من منطلق إسرائيل - كان في طريق القدوم. فقد كانت إسرائيل على قناعة تامة بأن "الشاه سيستمر نقد إسرائيل في العلن من أجل رضا العرب" في حين يحتفظ لديه بالخلافات الأساسية مع إسرائيل ويحول دون ظهورها للعلن. ولم تتوقع تل أبيب حتى في أكثر لحظات الخلاف حدّةً بين إيران وإسرائيل - النهاية المفاجئة في وقف إيران دعمها ووقف المساعدات الإسرائيلية للتمرد الكوردي في العراق، بالتوقيع على إتفاقية الجزائر لعام 1975 - فالشاه لم يتشاور أبداً مع إسرائيل."[507] في الواقع لم يكن الشاه الشديد الحساسية للعلاقات الكوردية الإسرائيلية ليطمئن من نوايا إسرائيل. رغم تمسك إسرائيل بكامل التنسيق مع طهران. لذا نراه يمسك بخطوط العلاقة كاملاً ولايقبل إخفاء شيء عنه.

وبعد إتفاقية الجزائر(آذار 1975) التي شكلت ضربة قوية للإستراتيجية الإسرائيلية وزعزعت ثقة إسرائيل بالشاه، كال الأخير ضربة أخرى لإسرائيل. فقد تمكنت الدول العربية في الأمم المتحدة إخضاع اعتبار الصهيونية مرادفة للعنصرية للتصويت. وأقرت الهيئة العامة للامم المتحدة قرار 3379 أن "الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري" ودعت الى إنهاء جميع أشكال التمييز العنصري بما فيها الصهيونية. هذا القرار إتخذ في 10 نوفمبر1975 ، صوت له72 دولة و35 دولة ضده وامتنعت 32 دولة الإدلاء بصوتها. وصوتت إيران لصالح القرار. مما ولد خيبة كبيرة لدي الإسرائيليين. كانت إيران تقترب في سياستها من الدول العربية وتريد إثبات إستقلاليتها والقيام بدور رئيسي في منطقة الخليج. وانها ليست خاضعة لسياسة واشنطن أو تل أبيب.. ويعترف السفير هويده: "نظراً لسياسة الشاه التي تتوخى الهيمنة في الخليج الفارسي. لم يكن بالإمكان تجنب

[506] Treacherous Alliance. Trita Parsi Yal University press/new haven and London.2007 page: 52

[507] Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and London.2007.page: 52

التصويت لصالح القرار... وأن سياسة إيران الطامحة للزعامة حالت دون تبني موقف رفض التصويت..[508]

وفي طهران، عبّر الإسرائيليون عن خيبتهم من هذا الموقف. حيث إلتقى رئيس البعثة الإسرائيلية بالشاه الذي رفض مناقشة الموضوع بذريعة أن لافائدة من مناقشة شيء مضى.

"كان من نتائج ارتفاع أسعار النفط بعد حرب يوم الغفران 1973، أن توخت إيران والعراق القيام بدور إقليمي أكبر. فتعاظم أهمية بناء جيش قوي وتوسع كبير وسريع في الحقل الاقتصادي. ونظراً لإستيرادات بغداد الضخمة من البضائع الخارجية فقد زادت أهمية موانئ البصرة وأم قصر والسيطرة الكاملة على شط العرب. أما إيران فمنذ بداية الستينات كانت قد بدأت باستغلال مصادر النفط الساحلية للخليج الفارسي، وأقامت تسهيلات هامة في الموانئ لشحن وتفريغ البضائع في جزيرة خرج. مقلصة اعتمادها في مجال تصدير انتاجها وتسويقها النفطي من أنابيب لنقل البترول المنقى من مصافي عبادان الى موانئ التصدير أسفل الخليج الفارسي. وكان هذا انعكاساً للقلق الايراني تجاه تدخل وملاحقة السفن الايرانية في شط العرب. لقد أمسى الميناء الإيراني الرئيسي خرّم شهر. المتاخم لعبادان، شريان الحياة لاستيراد ملايين الأطنان سنوياً من البضائع. إضافة الى استثمارات الدولة و القطاع الخاص في العديد من المجالات مثل البتروكيماويات، الصلب وصناعة الأنابيب وغيرها... لقد تحولت خوزستان الى مركز صناعي هام. وبالنسبة للطرفين، تضاعفت أهمية شط العرب والخليج الفارسي، فعلى سبيل المثال حاولت بغداد عام 1973 إقناع الكويت بتحويل او ايجار جزيرتي (بوبيان) و (وربة) للعراق، هاتان الجزيرتان تطلان على مدخل يؤدي الى الميناء الخليجي لأم قصر العراقي. وتمليك العراق لهما كان سيسمح لها بتطوير مرفأ عميق المياه في الخليج.... عندما رفضت الكويت هذا الطلب، حاول العراق أخذهما بالقوة."[509]

شعارات البعث القومية: وحدة، حرية، إشتراكية، وعدائه المعلن للمعسكر الغربي واللغو الثوري الموجه ضد دول الخليج والأنظمة العربية المحافظة، وعلاقاته مع الاتحاد

---

[508]Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and London.2007.page. 65

[509] Iran, Iraq, And The Legacies Of War. By Lawrence G. Potter and Gray G. Sick Palgrave Macmillan.2004. P: 17-18

السوفيتي والتوقيع معه على معاهدة صداقة وتعاون في شهر أبريل 1972، وتبني نظام البعث الثاني شعار تحرير (خوزستان) ودعمه للتمرد في ظفار وللثوريين اليساريين في اليمن ولجبهة تحرير الخليج العربي المحتل. كل ذلك كان مبعث قلق واهتمام الشاه... كما ان خوفه من المد العربي بقيادة جمال عبدالناصر، دفعه الى بناء علاقات قوية خفية مع إسرائيل.

فيما سبق من فصول تعرفنا على شخصية صدام حسين وشخصية ملا مصطفى، ولابد من كلمة حول شاه إيران. استغل الشاه الى أقصى حدّ تجاوب الرئيس الأمريكي نكسون فيما يخص مبيعات الأسلحة المتطورة. وبازدياد حجم الجيش الإيراني من 225000 في عام 1972 الى 385000 في عام 1975 ازدادت الحاجة الى تسليح متطور لجيشه. وساعد نهم الشاه في شراء الأسلحة، انقاذ الاقتصاد الأمريكي من مخلفات أزمة البترول في بداية السبعينات، بعد حرب أكتوبر، فمعظم النفقات المالية التي صرفتها الولايات المتحدة في ازمة بترول الشرق الأوسط، عادت مجدداً الى واشنطن من خلال دفع الشاه ثمن مبيعات السلاح الأمريكي. فمنذ عام 1972 الى 1977 كانت نفقات إيران تشكل ثلث جميع مبيعات الأسلحة الأمريكية. كما ان استمرار نمو الاقتصاد الإيراني ساعد الشاه على تبني سياسة أحادية الجانب والتي أثارت شكوك واشنطن وتل أبيب حول طموحات الشاه الخطيرة.[510]

فقد زادت ميزانية القوات المسلحة للسنة المالية 1973 – 1974 زادت بـ 300%، وبلغ الإنفاق على المبيعات العسكرية أكثر من الضعفين، كان الشاه هو الذي يقرر حاجات الجيش لنوع السلاح دون إستشارة القادة العسكريين.[511]

في لقاء بينه وبين Nelson Rockefeller نائب رئيس الولايات المتحدة في 24 أذار 1976، أفصح له الشاه عن أطماعه: "إن سياستي نزيهة وصريحة وليس لدي أجندا أخفيها، أقولها علناً أريد أن تلعب إيران دوراً في المحيط الهندي. ليس لدي اعتراض في التواجد الأمريكي، في الواقع سوف أدافع عن مصالحكم بعزم."[512] "بدأت أساطيل الشاه تجوب حول خط العرض العشرين ثم أبعد نحو خط العرض العاشر. وأخذت تبحر سواحل شرق أفريقيا، عارضة عضلاتها، وشعر الشاه أنه لا يستطيع التغاضي عن المجابهة بين الصومال واثيوبيا،

[510] Treacherous Alliance. Trita Parsi.Yal University press/new haven and London.2007 p: 58

[511] The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press. New York. 1991. page: 13

[512] The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press. New York. 1991. page: 66

.

فساند الصومال عسكرياً واقتصاديا. وكان هذا حسب ما ذكره دبلوماسي ايراني:" نتيجة جنون العظمة لديه وللدور الذي كان يتخيله لائقاً لإيران." وفي نظر أحد المختصين في الشأن العراقي Andrew Parasiliti أن تزايد طموحات الشاه بعد 1975 كانت انعكاسا للحفاظ على نفوذ طهران في وقت كان ينحصر أمام زيادة التسلح العراقي الشامل بقيادة صدام حسين. أخذ الشاه يتدخل في كل أمور الدولة. "فجأة، تصور أنه أذكى من الجميع." حسب ماذكره وزيره هويده. فقد أقلع الشاه عن عادة استشارة الخبراء وأصرّ على تحليلاته واتخاذ القرارات بنفسه. كانت تصله المعلومات والإحصاءات من السافاك ومن وزارة الخارجية دون تحليل، تاركين له الاستنتاج واتخاذ ما يحلو له من قرار. فتأصلت لديه نزعة الإدارة السرّية التامة وفقدان الثقة بالآخرين مما ساهم في سقوط عرشه في النهاية. وعندما توسعت ظاهرة عدم الإستقرار في إيران، إنغمس أكثر في عادة معاقبة مستشاريه الذين قدموا له تقارير عن التطورات السلبية، بحيث لم يبقى غير عدد قليل من الذين تجرءوا على قول شيء ما له. وعندما اصطدم بالواقع، كان الوقت متأخر جداً."[513]

يقول الرئيس الأمريكي ريتشارد نكسون في معرض أهمية دورنظام شاه إيران بالنسبة لأمريكا: "وبعد انسحاب البريطانيين عام 1971، أخذت إيران مكانهم كقوة عسكرية ضامنة للاستقرار في الخليج، وفي عشية انسحاب البريطانيين، إحتلت القوات الإيرانية الجزر الاستراتيجية أبو موسى وجزيرتي طومب الصغرى والكبرى، المطلتين على مضيق هرمز. وفي 1973 أرسل الشاه قوات إيرانية الى مقاطعة ظفار العمانية، حيث العصابات الماركسية الممولة من جارتها اليمن الجنوبي، تهدد نظام السلطان العماني. كما أمر الشاه بحراسة مضيق هرمز من قاعدة بحرية في شاه بهار في بلوجستان الإيرانية. علاوة على رفضه المشاركة في المقاطعة النفطية العربية في 1967، و في 1973، إستمر الشاه الاعتراف بإسرائيل، كما زود اسطولنا المتوسطي بالبترول. وحال دون قيام العراق بدور هام في حرب يوم الغفران، من خلال نقل القوات على الحدود العراقية الايرانية ومن خلال منع مساعدة سرّية لقوات التمرد الكوردية، وبهذا ربط الجيش العراقي. وخلال تلك الحرب، كانت إيران البلد الوحيد في المنطقة الذي منع السوفييت استخدام الأجواء الإيرانية، كما انه سارع في توفير البترول الى إحدى حاملات الطائرات في المحيط الهندي لكي تستمر في عملها. وعندما طلبنا من حلفائنا بإرسال القوات الى فيتنام الجنوبية قبل ان تحظرها اتفاقية باريس، جرّد الشاه نفسه من F.5's وذلك لمساعدتنا.

---

[513] The Shah And I. Asadollah Alam St. Martin's Press. New York. 1991. page: 66

كما أن الشاه أظهر القوة لحماية السعوديين الأثرياء والمعرضين للضغوط. كما انه حلّ مشاكل تتعلق بخلافات على أراضي للبحرين والعراق. وشجع اتفاقات تخص أمن المنطقة مع دول خليجية أخرى. وعندما تعثرت جهوده بالانقلاب الشيوعي في أفغانستان، سعى الى كسب ودها للحيلولة دون اعتمادها على الدعم العسكري والاقتصادي السوفيتي.[514]

وفي خلال الشهرين بعد إعلان بريطانيا في شهر كانون الثاني 1968 عن نيتها الانسحاب من الخليج، بدأ الاتحاد السوفيتي بإرسال اسطول بحري الى المنطقة. وأصبح للأسطول السوفيتي تواجد دائم في المحيط الهندي منذ شهر أذار عام 1968.

جاء هذا لسوء الحظ في وقت تعالت فيه صيحات مناوئة للحرب في فيتنام، مما أثار تساؤلات جدّية بشأن إمكانية دعم الرأي العام الأمريكي القبول بتبني التزام في نزاع بعيد مثل الخليج الفارسي.

وبدل أن نحل محل البريطانيين بشكل مباشر، اختارت الولايات المتحدة الاعتماد على القوى الموجودة في المنطقة، وبشكل رئيسي على إيران والمملكة العربية السعودية. لضمان الأمن في الخليج، في حين مساعداتنا تركزت على توفير السلاح وتجهيزات أخرى. خطتنا المبنية على الركيزتين سارت بشكل جيد الى أن انهارت أحدى هذين الركيزتين – إيران – في 1979."[515]

إن تعامل الولايات المتحدة مع الشاه وكأنه يمثل قوة عظمى أنمى، إضافة الى عوامل أخرى، داخل شخصية الشاه الشعور بالقوة والعظمة ساعد في تغذية الوهم القاتل "جنون العظمة" الذي أدى بدوره الى تهاوى عرشه أمام إنتفاضة الشعوب الإيرانية.

"من الطبيعي أن ينظر الشعب الإيراني الى الاصلاحات الاجتماعية التي قام بها الشاه في البداية، كأولى المراحل في الحركة التي تؤدي نحو الحريات الفردية والمشاركة الشعبية في العملية السياسية وسيادة القانون في البلاد. لكن بالنسبة للشاه روح التفائل هذه شجعته في تبني إتجاه معاكس، لقد قوت فيه نزعة جنون العظمة، وبدأت الأحلام في مستقبل زاهر تبتعد بشكل خطير و تتبخر..."[516]

[514] The Real War. Richard Nixon.Warner book Edition. 1980. p: 83 - 84

[515] The Real War. Richard Nixon.Warner book Edition. 1980. p:82

[516] The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press. New York. 1991. page: 8

فبعد 22 عاماً مليئة بالأحداث مرّ بها التاج. وصل الشاه بحكمه الى مفترق طرق. فبدل أن يستجيب للحاجات الروحية والمادية لشعبه. حيث الطريق الذي يفضي الى خلوده كمصلح عظيم. إختار الشاه العظمة الزائلة. وبدل أن يخلق نظاماً كان من الممكن ان ينقذ إيران من حالة التخلف والبؤس. تخلى عنه الشاه فأنهار. لم يتحمل الشاه فكرة المشاركة الديمقراطية في العملية السياسية. كما لم يسمح لشخص أخر نيل قدر من الشعبية. وهنا تكمن مأساته. فقد رأى في كل إنسان حقق نجاحاً ونال الإحترام. عدواً محتملاً. ولقطع الطريق أمام هذا التهديد إهتم بسد المسالك أمام نيل القاعدة الشعبية والسلطة. ففي نظر الشاه ان الدكتور مصدق نال التعاطف الشعبي في اوساط المجتمع الإيراني بسبب نجاحه في مجال تأميم النفط. ولذا أمر بإعادة هيكلة الصناعة النفطية لتفادي سيطرة أي شخص في هذا الميدان.

وعندما حقق وزير المالية جمشيد أموزگار نصراً في المفاوضات بين OPEC وشركات النفط نقله الشاه الى وزارة الداخلية. وقبل هذا بأعوام وكما أظهر أرسنجاني أنه حتى في وزارة متواضعة كوزارة الزراعة يمكن أن توفر أساساً للشعبية والسلطة. نقله الشاه بعيداً وعينه كسفير. وثم قسّم عمل وزارة الزراعة بين خمسة وزراء وبهذا قضى على التهديد كلية.

كان الشاه شديد الحساسية حتى أزاء الأشخاص الذين عينهم هو. لذا ليس من المستغرب ان يرى في شعبية ونجاح زعماء إنتخبوا خلال العملية الديمقراطية أمر لايمكن التسامح معه. وبمرور الأعوام أصبحت كلمة الديمقراطية مبعث حساسية لديه..."[517]

كان الشاه لايكن أي إحترام لوزرائه. يقول وزير البلاط وصديق الشاه الحميم أسدالله علم عندما التقى به في 23 شباط 1975 :

"... إقترحت أن يرافقه في زيارته للجزائر فريق ذو مستوى عال. يتضمن وزير المالية. وزير الداخلية والذي هو في الوقت ذاته الوسيط الرئيسي مع OPEC ، مدير البنك المركزي وعدد من الخبراء المنسقين. ضمنهم الدكتور فلاح. لكن ماذا سيفعل جميع هؤلاء الحمير. تسائل الإمبراطور. قلت في جوابي بمكنكم أن تطلقوا عليهم أي إسم تريدون. لكن حضورهم ضرورة هامة. إعترف الشاه أنه قد أكون على صواب...."[518]

[517] The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press. New York. 1991. page: 10

[518] The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press. New York. 1991. page: 413

وفي مذكراته يوم 2 أذار1975. بيومين قبل إنعقاد مؤتمر الدول المصدرة للنفط في الجزائر. يقول أسدالله علم: "... بعد الظهر ألقى جلالة الإمبراطور المعظم كلمة في الاجتماع الخاص. معلناً عن أرائه حول النظام السياسي. وقال أن الرأي القديم عن الحزب المعارض هو في طور الإحتضار. في المستقبل سيكون هناك حزب واحد فقط. تتمثل فيه الحكومة والمعارضة. اليسار واليمين. ويجري النقاش السياسي ضمن إطار الحزب الواحد. ويسهل ذلك إسماع أراء المعارضة وان إقتضت الضرورة الحل محل قادة الحزب...."[519]

يوم الخميس 6 أذار 1975

"... أعلن الرئيس الجزائري بومدين أن الخلافات بين إيران والعراق انتهت... وتعانق جلالة الإمبراطور مع صدام حسين أمام الأنظار وأعربا عن شكرهما للجزائر..." [520]




عناق الشاه وصدام حسين بعد التوقيع على اتفاقية الجزائر 6 أذار عام 1975

7 أذار . الجمعة . 1975

وصل في الساعة الثانية صباحاً جلالة الإمبراطور وهو مفعم بالتفاؤل. إنه يستحق النصر الذي أحرزه.... جلسة معه عند الظهيرة.... قلت لجلالة الأمبراطور في نظري ان زيارته هذه هي الأكثر نجاحة من كل الزيارات الاخرى. إنها كذلك. أجاب. "رغم إنها أرهقتني. لم أنم أكثر من ساعتين كل ليلة. وفي غرفة الحمام حيث الميزان. وجدت أنني فقدت ثلاث كيلوغرامات كاملة. ومع ال OPEC مرّ كل شيء على مايرام. أو تقريباً كما هو الحال في التسوية مع العراق. كان عليّ التعامل مع مشكلتين مزعجتين ورثتهما عن والدي. إطالة أمد إتفاقية النفط ومعاهدة شط العرب. لا أستطيع لومه. ربما لم يكن لديه خيار أخر. لكن

[519] The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York 1991. page: 415

[520] The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York. 1991. page : 417

الحمد لله. رغم ذلك توصلت الى حل راديكالي لمشكلة النفط. والآن بعد مضي وقت طويل تمكنت من تمزيق معاهدة شط العرب."....

سألته ماذا سيكون مصير قوات الأنصار الكوردية. كما يبدو انه أمر الجنرال نصيري أن يعرض عليهم الملجأ في إيران.. ولكن ماذا عن فكرة الحكم الذاتي لكوردستان ؟ كلام فارغ. قال جلالة الإمبراطور. لقد عانوا من هزائم متلاحقة. وإن لم يكن بسبب دعمنا لما قاوموا عشرة أيام ضد العراقيين. أمضيت أربع ساعات ونصف مع صدام حسين. إعترفَ ان العامل الوحيد الذي حال دون تحقيق النصر النهائي على الأكراد كان تواجد قواتنا ومدفعيتنا. إقترحت. مع هذا ان مطالب الأكراد قد تكون ذات فائدة لنا يوماً ما؟. قد يكون ذلك صحيحاً. أجاب. لكنني لا أستغرب أن تكون اتفاقيتنا ثابتة مع صدام حسين. يمكن ان تتجه بغداد نحو علاقات وثيقة معنا وأن تبتعد عن النفوذ الخارجي وبالأخص التأثير السوفيتي. أجبته. لكن في العام الماضي. كان العراقيون على وشك الاستجابة للمطالب الكوردية. الحق يقال رفض الأكراد العرض إستجابة لطلب جلالتكم. أجابني بحجه معاكسة. كلا الطرفان كانا يعرفان انه ليس لدى العراق نية جادة في تنفيذ الوعد. لم يكن وعداً. بل مجرد حيلة رخيصة لا أكثر.."[521]

لايذكر أسدا لله علم شيئاً عن الذي جرى عند لقاء الشاه بملا مصطفى في 11 أذار 1975 بعد إتفاقية الجزائر. لذا نورد ما يذكره الدكتور محمود عثمان بالنص. إذ كان موجوداً أثناء الإجتماع:

"... أبلغ الشاه البارزاني ان إتفاقية الجزائر تلزمه (أي الشاه) بقطع مساعدات ايران عن الثورة الكوردية وكذلك كل المساعدات التي كانت تأتيها عن طريق ايران.... الخ . وأراد أن يعرف رأي وردّ فعل البارزاني وبإختصار أجاب مايلي: نحن شعبك ومادمت راضياً عن إتفاقية الجزائر وتؤمن مصالح إيران التي هي وطننا الأم لايوجد لدينا أيضاً شيء ضدها ونحن رهن أوامرك اذا قلت موتوا نموت أو عيشوا نعيش. لقد كنا مخلصين لك ولانزال وسوف نبقى هكذا في المستقبل أيضاً ونأمل أن تستمر رعايتكم لنا ولقضيتنا دوماً....الخ"[522].

[521] The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York. 1991 . page : 417 - 418

[522] تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها. الحزب الديمقراطي الكردستاني- اللجنة التحضيرية، ص: 88 - 89

ونعود لما يذكره أسدالله علم في مذكراته في اليوم الثاني بعد مقابلة ملا مصطفى والوفد المرافق له. يوم 12 أذار . الأربعاء. 1975

... وجدت جلالته في مزاج أفضل عما كان عليه البارحة. السبب بسيط. بالأمس بعد الظهر كان قلقاً لمقابلة مصطفى البارزاني. الزعيم الكوردي. طبيعي أن يشعر بالحرج الى حد ما لمقابلة الرجل وجهاً لوجه، رغم أن الكورد كانوا سيلقون الهزيمة منذ وقت طويل لو لم يكن هناك دعم منا... هناك حوالي 100 مدفع ميداني إضافة الى مالايحصى من صواريخ SAM المضادة للدبابات. كلها تحت إشراف إيراني في كوردستان. ومالم يكن هنالك فرصة لإعادتها في الوقت المحدد. ينبغي تدميرها بأقرب وقت ممكن...

إن الرأي العام العالمي يتهموننا بالخيانة. لاكنهم لا يفكرون ولو للحظة كيف كانت ستكون عليه حالة الأكراد بدون الدعم الإيراني.. وفي كل الأحوال فكرة كوردستان المستقلة ليست في صالحنا..." [523]

وبتواريخ 21 أذار الى 3 أبريل/نيسان 1975 يذكر أسدالله علم "... وصل سفيرنا من عمان مع رسالة من الملك حسين. فيها أسماء عدد من القوميين الكورد. ينوون التآمر على حياة الإمبراطور المعظم. وكما ينبغي قدمت الرسالة الى السافاك..." [524]

الإثنين 14 أبريل /نيسان 1975

مقابلة مع الشاه ... نشرت جريدة إطلاعات رسالة من أحد قرائها يتساءل فيها لماذا يضع دستور الحزب الجديد القليل من الأهمية حول تعيين اعضاء الحكومة وطريقة إدارتها... إنتاب جلالة الإمبراطور غضب شديد. وأمرني أن أتصل بالناشر. لأقول له أنه مجنون لكونه نشر مثل هذا الترهات. قل له بوضوح، أن تعيين أو إقالة الوزراء من اختصاص التاج. أنا وورثتي نبقى السلطة العليا فوق السلطة التنفيذية. قل له أن صحيفته لا تخدم قرائها عن طريق السمسرة للجهلاء. إنما عليه أن يشرح مثل هذه الوقائع الدستورية لهم. ..." [525]

---

[523] The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York. 1991. page: 418

[524] The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York. 1991. page: 420

[525] The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York. 1991. page. 420

زادت الأرباح الخيالية التي كانت تصب في خزينة الدولة، من مردودات النفط بعد حرب أكتوبر عام 1973 من سلبيات الشاه، وتولدت لديه أوهام قاتلة، معتمداً على الأخبار التي يأتي بها جهاز السافاك القمعي والمعاد للحريات، وسانداً ظهره الى الجدار الأمريكي، لايهتم بأوضاع الغالبية العظمى المزرية للشعوب التي تعيش في إيران ولا برفع الحظر عن الحريات العامة، وعندما تتحكم الأوهام في عقلية الحاكم المستبد، ويصاب بجنون العظمة، ينقاد بخطوات أسرع وراء الأهوام ظاناً إنها تقربه من تحقيق أهدافه وتضمن له العظمة التاريخية! في حين يقربه ذلك من سقوطه النهائي.

ماورد ذكره قد يلقي مايكفي من الضوء لبلورة انطباع معين لدى القارىء عن نرجسية شخصية الشاه السياسية وتفرده بالقرارات المصيرية والتي أصبحت فيما بعد وبالاً عليه، على بلده وعلى المنطقة. ويبدو أن الشاه كان يخطط منذ زمن بعيد، دون ان يفشي بذلك الى وزرائه، إرغام بغداد على توقيع إتفاقية تحقق أطماعه في شط العرب وفي الخليج، وفي الوقت ذاته يقضي على الحركة الكوردية في العراق. وفيما يتعلق بالحركة الكوردية في كوردستان ايران، كان قد أضعفها كثيراً بإستخدام قيادة (حدك) العراق ضد (حدك) إيران.

وفيما يتعلق بالعلاقات الإسرائيلية الكوردية والعلاقات الأمريكية الكوردية، ربما كان في قرارة نفسه يخشى أن تدعم هذه الدول الشعب الكوردي دعماً حقيقياً يقود الى نيل الحكم الذاتي أو حتى بناء دولة كوردية. لذا إحتفظ هو بكل المفاتيح في هذه العلاقة. ولم يبدي اهتماماً لا للأمريكان ولا لإسرائيل عندما نال مبتغاه من دعمه للقيادة الكوردية، فوقع على إتفاقية الجزائر في أذار عام 1975. في الواقع كانت إسرائيل متعاطفة مع محنة الشعب الكوردي: "لم تكن إسرائيل متخوفة من تشكيل دولة كوردية" ويذكر المبعوث الإسرائيلي Eliezer Tsafrir قلنا للأكراد: "إننا ندعمكم في كل ماتعملونه في حالتي الحرب أو السلم."[526] لقد كانت مصالح إسرائيل أكثر تطابقاً مع مصالح الكورد، على عكس إيران التي تعاملت مع الحركة الكوردية من منطلق تأمري، مستغلة لامبالاة القيادة الكوردية وجهلها.

وكما صدق الشاه أوهامه وسقط، كذلك سقط ملا مصطفى لأنه صدق أوهامه، ويقول محمد حسنين هيكل عن ملا مصطفى: "إن المنطق القبلي في إدارة الحركات الشعبية

---

[526] Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and London.2007.page: 53

لايستطيع ان يدير التوازنات الضرورية التي تتحرك من حول أي حركة شعبية... ذلك أن زعمائه يصلون الى لحظة يقبلون فيها المساعدة من أي مكان متصورين انها لا تقيدهم في النهاية. وذلك من أوهام السلطة المطلقة. ولهذا فإنهم يقعون في محظور ان تستغلهم قوى لايعرفونها. بينما يتصورون انهم القادرون على استغلال هذه القوى."[527] في واقع الأمر كانت الزعامة الكوردية مستبشرة برؤية الجيش الإيراني يقصف مواقع الجيش العراقي في نهاية عام 1974 وبداية 1975. واعتبرت ذلك بمثابة عبقرية نادرة للزعامة الكوردية في مجال إدارة الصراع في العلاقات الخارجية.! أي دفع إيران والعراق نحو المجابهة العسكرية. وانهم سيجنون ثمار النصر. وفاتها أنه ليس من المنطق ان يشتبك الجيش الايراني مع الجيش العراقي ثم يتخلى عن فرصة المفاوضات مع بغداد ليستغلها الطرف الكوردي ويدعه يقطف ثمار المعركة لصالحه. في واقع الأمر كان الجيش الايراني يحارب لمصلحة إيران. ويخفي عدانه المزمن للشعب الكوردي. كما إستغل الشاه استسلام القيادة الكوردية لرغباته لفرض التسوية وفق شروطه على بغداد. إن طريقة تعامل ملا مصطفى مع شاه إيران يعيد بقوة الى الأذهان طريقة تعامله مع الضباط السياسيين البريطانيين في الأربعينات من القرن الماضي. لم يتغير أسلوب سياسته مع الأقوياء طيلة حياته. فكان يفرط في الخضوع أمام القوى.

وبعد فوات الأوان. إعترف ملا مصطفى في أذار عام 1975 بحساباته الخاطئة للصحفي المعروف Jim Hoagland هوغلاند الذي سافر لتغطية الإنهيار الكوردي لصحيفة The Washington Post "لم تعطينا حكومة الولايات المتحدة ضمانات رسمية. لكننا إعتقدنا انها لن تتخلى عنا ابداً.... والآن نرى أننا كنا على خطأ." وأعترف أيضاً في رسالته الى جيمي كارتر عام 1977 : "لم تكن هناك ضمانات مكتوبة...."[528]

جميع الموظفين الذين تعاملوا مع القضية ضمنهم هنري كيسنجر. هيلمز. ومدير ال CIA. William E. Collby أعربوا عن كامل دهشتهم. على الأقل من توقيت الاتفاقية التي وقعت في الجزائر. إن لم يكن في محتواها. يقول كولبي: "كانت ال CIA تعتبر إن هذ الحل يمثل إحدى الخيارات للشاه." ومع هذا لم تقم الإدارة بعمل ما. ولزمت الصمت رغم المناشدات المتكررة اليائسة من الكورد.. "كانت قصة مأساوية. ولم تكن قصة بارعة." ذكر كولبي فيما بعد. "لكن ذلك الربيع شهد عدة قصص أكثر مأساة جرت في جنوب شرقي

---

[527] مصارحة. محمد حسنين هيكل جريدة الأنوار. السبت 6 أيلول 1975

[528] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal. P: 156 - 157

أسيا" - وكان يعني بها إنهيار كمبوديا وفيتنام الجنوبية... كما أن الاتفاقية كانت مفاجأة بالنسبة لوزراء الشاه، حسب مايذكره ريتشارد هيلمز سفير الولايات المتحدة لدى طهران أنذاك ومدير الـ CIA السابق. وكان من ضمن المستقبلين للشاه في مطار طهران عند عودته من الجزائر في مساء السادس من شهر أذار عام 1975 "شاهدت الدهشة الشديدة التي كست وجود وزرائه، عندما أمر بوقف جميع المساعدات المقدمة الى الأكراد فوراً، واغلاق الحدود في أسرع وقت ممكن بين إيران وكوردستان العراقية.[529]

ويضيف... "لقد إجتمعت مع الشاه صبيحة اليوم التالي، ووجدته كما عهدته دكتاتورياً، ولم يقدم الاعتذار على خطوته الفجائية التي أدت الى قطع العلاقات الأمريكية ايضاً مع الأكراد. ولاشك أنه كان مديناً على وجه الخصوص، بالإعتذار للأمريكيين، بسبب كونه هو المبادر في طرح فكرة تقديم المساعدات الأمريكية للأكراد. وبرر الشاه خطوته أنفة الذكر بالقول: ان السبب في خطوتي هو أن البارزاني لم يشن حرباً حقيقية على العراق، وبدلاً من أن يفعل ذلك، جمع قواته في الخلف، وأخذ يطالب الأخرين بالقتال نيابة عنه."[530]

كانت المصالح المشتركة بين طهران وواشنطن من السعة والأهمية الجيوستراتيجية بحيث بدت التضحية بالحركة الكوردية أمراً لا يستحق الإهتمام.

أما بالنسبة لإسرائيل، يقول رئيس الموساد اسحق حوفي: يخيل لي أن مسؤولي السافاك، الذين كنا على صلة بهم، لم يكونوا على علم بالإتفاق."[531] في حين علّق الملحق العسكري الإسرائيلي لدى طهران Yaacov Nimrodi على اتفاقية الجزائر وعلى شخص الشاه: "لقد فقدنا الثقة كاملاً بالشاه، كان أحمقاً ومجنوناً." وتلقى مبعوث الموساد في كوردستان والذي كان بمثابة رئيس العمليات Eliezer Tsafrir تلقى أمراً من طهران بمغادرة كوردستان والذهاب فوراً إلى العاصمة، وعبّر عما كان يخالجه من مشاعر قائلاً كردّ فعل تجاه اتفاقية الجزائر: "كنت ألعن إيران طوال الوقت الذي استغرق السفر الى طهران."[532]

---

[529] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal. P: 163

[530] الموساد في العراق ودول الجوار. شلومو نكديمون. دار الجليل للنشر. عمان. 1977. ص: 201 - 202.

[531] الموساد في العراق ودول الجوار. شلومو نكديمون. دار الجليل للنشر. عمان. 1977. ص: 202

[532] Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and London.2007.page: 49

وفي 1975/3/8 استدعى احد كبار رجال السافاك مسؤول الموساد في طهران (ب) الى مكتبه وقال له باختصار: لقد توصل الشاه خلال مؤتمر الجزائر الى اتفاق مع العراق. لذا سنوقف نشاطاتنا في كوردستان وبناء عليه. فأنت مطالب باخراج جميع رجالك من كوردستان...... ويقول (ب) انه شعر بذهول شديد جراء ذلك. فقال له مسؤول السافاك: كما يبدو إنكم لم تتعلموا من البريطانيين كيفية إدارة إمبراطورية. يجب ان تتعامل مع الأكراد كعميل عندما تنتهي مهمته. تنتهي قصته. "..............." وعندما أبدى (ب) معارضته لتلك الأقوال قال له رجل السافاك: ان ضعف إسرائيل يكمن في خلطها بين العواطف والسياسة. إن تقديم المساعدات للأقليات. لا يجب ان يعتبر هدفاً في حد ذاته. بل وسيلة لابتزاز تنازلات من الأغلبية وفي حالتنا من العراق."[533]..

يظهر لنا كم كانت الزعامة الكوردية بعيدة عن حقائق السياسة في تعاملها مع الدول المانحة للمساعدة: إيران والولايات المتحدة واسرائيل. وما زاد في الطين بلة. عزوفها بعناد في بناء القوة الذاتية وتوفير عوامل الديمومة وتقليل دور الخارج في التحكم بأقدار الشعب الكوردي. كانت القيادة الكوردية في السنوات الأخيرة تعتمد كلية على الخارج وتتعامل من هذا المنطلق مع بغداد والحزب الشيوعي العراقي والإتحاد السوفيتي ومع شعبها. "في معرض اللقاء الأخير مع صدام حسين الذي عرض المشاركة في كركوك ونفطها على الجانب الكوردي. رفض إدريس العرض: "نحن أقوى مما تعتقدون. وسوف نرغمكم على تلبية جميع مطالبنا".[534] كان صدام حسين مدركاً لدوافع الجانب الكوردي. وكان يعرف كيف يقطع الوريد الذي من خلاله تتغذى الزعامة الكوردية. هنا أيضاً الجانب الكوردي غير مهيأ. رغم تحذير صدام حسين لهم. "أنه إذا حصلت الحرب. سوف نربحها" وإذا ما وجدنا أنفسنا أمام خيار فقدان كل العراق أو التخلي عن شط العرب. فإننا سنتخلى عن شط العرب للاحتفاظ بالعراق بالشكل الذي نريده"[535]

ويقول راندل حول الجانب السلبي لدى الزعامة الكوردية وعدم أهليتها في قيادة الشعب الكوردي. فيذكر:

---

[533] الموساد في العراق ودول الجوار. شلومو نكديمون. دار الجليل للنشر.عمان. 1977. ص: 302

[534] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal. P: 159

[535] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C Randal. P: 158 - 159

"كان البارزاني بوضوح ضحية محدوديته. ولم يكن رجلاً مثقفاً أو ذو آفاق واسعة. لم يشارك البارزاني أي من رفاقه الكورد. في صنع القرار لاقبل ولاخلال ولا مباشرة بعد انهيار التمرد عام 1975."[536] لم يصدق الزوار الأجانب الذين تعرفوا على البارزاني مقدار السذاجة التي أوحى بها لهم. كانوا يعتقدون ان ذلك تكتيك منه ليس الأ. فعلى سبيل المثال مقترحه في جعل كوردستان العراق الولاية الواحدة والخمسين أو اقتراحه في امتلاك الشركات الأمريكية النفطية لنصف أرباح حقول نفط كركوك......" وانه لم يسافر الى الخارج عدى الى الاتحاد السوفيتي. رومانيا. ايران واسرائيل. ولم يتعلم شيئاً في حقل الجيوستراتيجي..."[537]

لقد إحتكر ملا مصطفى إدارة العلاقات الخارجية والاحتفاظ بالمعلومات. ولايثق بأحد غير ولديه والى حدود معينة بالدكتور محمود عثمان وسامي (محمد محمود عبدالرحمن). فالشعب الكوردي. قادة فصائل الأنصار يقاتلون ويضحون. لكنهم يجهلون ما يجري جهلاً كاملاً فيما يخص طبيعة العلاقات الخارجية. لابل أعطت القيادة الكوردية إنطباعاً خاطئاً عن رسوخ هذه العلاقة الى حدود التضليل. كان ملا مصطفى يخفي عنهم أموراً هامة ولم يقم وزناً للشعب الكوردي أو القادة المرابطين في الجهات. وفيما يخص إهمال الشعوب. واخفاء الحقائق عنها. يقول Abraham Lincoln : "أومن إيماناً راسخاً بالشعب. إن عرضت أمامه الحقائق. يمكن الإعتماد عليه لمجابهة أية أزمة وطنية. النقطة الأساسية هي إحاطته بالحقائق الكاملة." في الحالة الكوردية كل شئ يجري في الخفاء وحكراً على أفراد محدودين من العائلة الحاكمة. ولم تجسد القيادة حركة تحرر قومية لشعب ثائر.

يمضي راندل الى القول: "لكن الحيرة في سلوك البارزاني – وكيف كانت تنظر اليه الحكومات التي خدعته – يجد في قلب هذا المثال الواضح لدولة عظمى تخدع أقلية يائسة معزولة. فسذاجته المدمنة حول الولايات المتحدة الأمريكية أذهل الأمريكان ونظروا اليه كمشبوه أو إنه غير واقعي. بعد مضي عشرين عاماً قال لي كيسنجر مدافعاً عن نفسه. " لا أدري أي فرق كان سيحصل لو فهم تعلق البارزاني بالولايات المتحدة الأمريكية. حيث لم يكن على علم بها أنذاك. لكن هيلمز. ربما لأنه كان منذ البداية. صريحاً مع الكورد في

---

[536] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal. P: 155

[537] After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal P 154

توضيح طبيعة ومحدودية دور الولايات المتحدة. قال ان جميع الذين تعاملوا مع الأكراد اعتبروا البارزاني "ولداً كبيراً"رغم انه قضى عمراً في المكائد والتمرد."[538]

في الواقع "فهمت الولايات المتحدة أن الشاه خرق التفاهم الذي جرى مع كيسنجر عام 1972"[539] ومع إسرائيل. فيما يتعلق بتقديم العون الى الحركة الكوردية. ومع ذلك لم تحتج أو تحاول عمل شيء لمساعدة الحركة الكوردية في محنتها. لأن ذلك لا يرضي الشاه. ولم تكن لا الولايات المتحدة ولا إسرائيل لترغب في إغضاب الشاه من أجل الشعب الكوردي.

نورد بإختصار وجهة نظر المؤرخ عصمت شريف فانلي حول أسباب إنهيار الحركة الكوردية. ومعروف عنه إنه وصف الشاه بعد توقيع إتفاقية الجزائر مع صدام حسين بـ "طعَن الشعب الكوردي بخنجر مسموم من الخلف" لكن ملا مصطفى هاجمه بكلمات نابية وغير لائقة إرضاءً للإيرانيين. وفيما بعد أرسل صدام حسين عملائه لإغتياله في شقته في مدينة لوزان – سويسرا - حيث يسكن. والجدير بالذكر أن إدريس البارزاني نجل ملا مصطفى أرسل له رسالة إعتذار عما ورد من تهجم على لسان والده ضد شخص عصمت شريف. وذكر لي عصمت أنه لايزال يحتفظ برسالة إدريس.

يذكر فانلي الدوافع التي جعلت القيادة الكوردية تميل نحو الانسحاب الى إيران. أي التخلي عن المقاومة، منها: " بقيت رسائل الإستغاثة التي أرسلها ملا مصطفى بعد إتفاقية الجزائر الى كيسنجر دون جواب. رفض البعث طلب القيادة الكوردية إجراء تفاوض. وطلب منها الاستسلام بلا قيد أو شرط. مشاكل اطعام اللاجئين في وادي جومان وبادينان وحمايتهم. كيفية الحصول على العتاد والمؤونة لحرب الانصار ضد جيش كبير وحديث.؟"[540]

ويضيف: "لكن مثل هذا التوجه في النظر الى الأمور . فيه تجاهل حقيقة أن الأكراد أنفسهم خلقوا مشاكلهم. وسيكون نوعاً من التهرب من المسؤولية إن لم نتطرق الى

---

[538] After Such Knowledge. What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal. P: 158

[539] After Such Knowledge. What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal P: 163

[540] People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London11980. page: 189.

الأخطاء التي ارتكبتها القيادة الكوردية. ارتكبت القيادة خطأين استراتيجيين. الخطأ الأول حصل عام 1972 . قبل بدء الحرب الخامسة. ويتمثل في قبول المساعدة من الشاه والولايات المتحدة الامريكية. الاعتماد على الامبريالية الامريكية وعميلها في المنطقة الشاه لتجهيز وتمويل حرب شعبية للتحرر الوطني. والخطأ الثاني الاستراتيجي كان القرار السياسي الخاطيء حيث بموجبه تم تصفية الثورة من قبل قيادتها في شهر أذار عام 1975 والنتيجة كانت الانسحاب الى ايران ونهاية الحرب. هذين الخطأين الاستراتيجيين الاساسيين ارتكبا عام 1972 وعام 1975 على التوالي. بالأخص في وقت كانت الظروف الدولية ضاغضة. الواقع ان المعاهدة السوفيتية العراقية من جانب والمعاهدة العراقية الايرانية من الجانب الاخرشكلت ظروفاً محرجة. إنهما يفسران أخطاء القيادة لكن لايمكن أخذهما كمبرر."[541]

"لايجوزتحميل الجنرال بارزاني وحده مسؤولية كل الأخطاء. إنما على القيادة كلها. وهذا يعني بالطبع الجنرال بارزاني وأبنائه وعائلته. لكن أيضاً على المكتب السياسي لـ (حدك) والباراستن . وهو جهاز الأمن الكوردي."[542]

ويزيد فانلي:"لقد تخلت القيادة الثورية عن مبدأ القرارات الجماعية. القرارات الهامة كانت تتخذ من قبل عدد قليل من الاشخاص. بالأخص من قبل البارزاني. لكن الخطا الاستراتيجي المرتكب عام 1972 يقع مسؤوليته على الفريق القيادي بكامله. عدد من أعضاء المكتب السياسي أتخذوا خطوات أدت الى التحالف مع الشاه والولايات المتحدة. وفي النهاية أعلم كل أعضاء المكتب السياسي "بالسر". لم يحتج أحد. غير صالح اليوسفي ."[543]

كما يشير الى خطأ القيادة الكوردية المتمثل في إرسال اللاجئين الكورد وبالأخص العوائل الى إيران بعشرات الآلاف: "بعملها هذا. الخالي من الفطنة. ساعدت القوة الجوية العراقية بخلق مشكلة اللاجئين في إيران. إذ كان بإمكان الشاه إستخدامهم كرهائن لتهديد القيادة الكوردية."[544]

---

[541] People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press London11980. page: 189.

[542] People Without A Country Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London11980. page: 189.

[543] People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London11980. page:190

[544] People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London11980. page. 191

وفي رده على سؤال. هل عملت القيادة الكوردية كل ما تستطيع لكسب الحرب؟ الجواب: "لسوء الحظ" يردّ فانلي بـ (لاء). كانت هنالك أخطاء جدّية عديدة في هذا المجال. فالحرب الشعبية ضد حكومة موطدة لايمكن ربحها فقط في ساحة القتال. الحرب يجب أن تكون أيضاً حرباً اقتصادية. سياسية. سيكولوجية وهجوماً إعلامياً.. وتتطلب الكثير من العقلانية والمقدرة لحشد جميع الطاقات. والعمل الجاد في تطبيق القرارات. مصحوباً بصرامة مثالية. وهذا صحيح بشكل استثنائي بالنسبة للشعب الكوردي. نظراً لوضعه الجيوسيامي الذي يجعله عرضة للمخاطر بشكل خاص.

ولّد الضمان الأمريكي ثقة مفرطة بالذات وخطيرة في الحركة. ولم يساعد ذلك على كسب يسار عرب العراق أو كسب العالم العربي أو نيل تأيد الحكومات العربية. صحيح ان الحزب الشيوعي العراقي إنحاز الى البعث. لكن حتى الشيوعيين الكورد الذين كانوا يحاربون الى جانب الحركة الوطنية أبعدوا. پاراستن. الأمن السري قتلت فاخر ميرگه سوري. شيوعي كوردي اتهم بالجاسوسية للبعث. رغم انه كان بطل معركة هندرين التي جرت في مايس عام 1966 . والذي مثل أكبر إنتصار حققته الثورة. قتل دون محاكمة مع أعضاء عائلته. ولم تقدم أية أدلة على خيانته أمام أية محكمة ثورية."[545] علاوة مايجعل مقتله جريمة بلا مبرر. إنها حصلت وهو سجين. إضافة الى مقتل 12 من أعضاء الحزب الشيوعي العراقي من كورد وعرب دخلوا العراق قادمين من دولة إشتراكية أوروبية. وقد إختاروا العودة خلال كوردستان المحررة. وهم يعتقدون ان الترحيب سيكون جيداً كما كان الحال عام 1963. هؤلاء أعدموا في زاخو على طريقة السافاك الإيراني الذي أمسى نموذجاً للپاراستن.[546]

ويضيف: "ترك للبعث إحتكار الرأي العام التقدمي وأستغل ذلك على أحسن وجه في الداخل والخارج. لم توظف جهود لشرح القضية الكوردية في بلدان العالم الثالث. ولم تبذل جهود من أجل الصداقة والتفاهم مع القوى الاشتراكية والتقدمية في أوروبا. الأكراد في أوروبا الذين حاولوا ملىء هذا الفراغ. كانوا يفتقرون الى الإمكانات بشكل رهيب.

ويضيف: "لم يتجه الإهتمام نحو الإكتفاء الذاتي الإقتصادي وقد كانت الحاجة اليه ماسة. لم يرى أحد أهمية تنفيذ الإصلاح الزراعي والذي وعد به برنامج الحزب. وبعد أن

---

[545] People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London11980. page:190-191

[546] People Without A Country. Edited by Gerard Challand. Zed Press. London11980. page: 285-284

سادت أجواء الحرب. مافائدة تنظيم إنتاج القمح والرز عندما يرسل الشاه في الشاحنات معظم الحاجات؟ لم تكن هنالك أية بادرة لشراء التبوغ المتكدسة لدى الفلاحين. لاشك إعتبر هذا غير ضروري، بسبب وفرة السكائر الأمريكية. وبالنتيجة أصاب التلف المحصولات في الحقول وحرّم الفلاح من مصادر عيشه.[547]

ويتسائل عصمت عن مصير آلاف اللاجئين الذين وردوا الى مناطق الثورة: "كيف كان ممكناً كسب الحرب الخامسة بغياب حشد طاقات الشعب الكوردي وعوضاً عن تنظيم الرأسمال البشري واشراكه بالصراع الثوري. تحول الى عبء؟ ثم يشير عصمت. الى انه من الناحية العملية لم يكن هناك نقص في الأموال. لقد تفشت المحسوبية والمنسوبية في أعلى الهرم الحزبي وضمن الجيش الثوري وظهرت نخبة جديدة ذات إمتيازات. ولم تجري محاولات للحيلولة دون حدوث ذلك. لقد بني كل شيء على أساس إعتقاد زائف في عدم إنقطاع المساعدات الخارجية.[548]

ويشير عصمت الى: "الخطأ السياسي الأخير كان الإنسحاب الى إيران. لا أعتقد أن هناك مثال مشابه لحرب شعبية إنتهى بهذا الشكل المأساوي إنصياعاً لقرار القيادة في وقت كان الشعب لايزال يريد الصمود ولديه الوسائل لذلك. إن هذا يحصل عندما يقبل أعضاء الحزب العاديون بحماس، الخيارات الأساسية لبرنامج الحزب، لكنها تبقى غير عملية. لأن القيادة من جانبها تعتبرها تكتيكاً فحسب وليس لها أهمية كبيرة."[549]

ثم يشير عصمت الى دور مثقفي الحزب المستسلمين فيقول: "إن مسؤولية الجنرال بارزاني في الكارثة بمعنى من المعاني هي أقل من "مثقفي" پ د ك وفي اللجنة المركزية فقد فشلوا في أخذ زمام القيادة في لحظة الحقيقة. لقد إنهار (پ. د. ك.) كلية عندما حصلت النكسة، وتخلوا عن شعب كان قد أصبح "بلا قيادة" ليواجه مصيره.[550]

---

[547] People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London11980. page: 191

[548] People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London11980. page: 192

[549] People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London11980. page: 192

[550] People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London11980. page: 209

من بين زعماء حدك الذين اختاروا الاستسلام للقوات العراقية صالح اليوسفي، زعيم الجناح اليساري في المكتب السياسي الذي عارض التحالف مع الشاه ومع الولايات المتحدة الأمريكية لكن دون نجاح لأن اليسار خسر أغلبيته عام 1972. اراد الآن أن ينقذ ما يمكن إنقاذه، لكن دون جدوى."[551]

فيما بعد قتلت السلطة البعثية صالح اليوسفي في بغداد بواسطة طرد بريدي.

كل المؤشرات تعكس فقر القيادة الكوردية في الحقل الجيوستراتيجي وقصر نظرها. إذ كيف يمكن ربط مصير الحركة الكوردية وأقدارالشعب الكوردي بفرضية ليس لها وجود على أرض الواقع. وهي أنه لايمكن ان تتصالح طهران وبغداد! ومن هنا حث الألاف من المواطنين في المدن للالتحاق بالحركة الكوردية والإلتجاء الى الأراضي الإيرانية للإتقاء من الغارات الجوية العراقية. وبالنسبة للقيادة الكوردية. وبإعتراف مسعود ملا مصطفى، سيكونون مصدراً لنفس الأثر الإيجابي عند نزوح أعداد كبيرة من بنگلاديش الى الهند، فقامت الحكومة الهندية عام 1971 بإعادتهم الى بلادهم وتأسيس دولة لهم. وستقوم إيران بنفس دور الهند!

كان الثلاثة صدام حسين، نائب رئيس الجمهورية العراقية، شاه إيران محمد رضا بهلوي، وملا مصطفى رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني والقائد الأعلى لقوات فصائل الحركة الكوردية، لايكنون للمبادىء الديمقراطية الإحترام. ولم يكن للقرار الجماعي أي مكانة في ذهنهم. وكانوا يخشون الشخصيات المؤهلة أو التي حققت تعاطفاً شعبياً نتيجة إنجازٍ حققوه لصالح شعوبهم. كما كانوا يخافون نجاح اولئك المسؤولين الذين عينوهم هم أنفسهم، إن حققوا نجاحاً يفضي الى تزايد مصداقيتهم أمام الشعب. صدام حسين قتل رفاقه ووزرائه وصفى ما إعتبره معارضة محتملة لحكمه مستقبلاً. وملا مصطفى قضى على جميع أفراد عائلة محمد أغا ميركه سوری ضمنهم بطل هندرين فاخر، لأنه تمتع بشعبية بعد أن حقق مع رفاق أخرين ملحمة هندرين البطولية. كما انه سحق المجتمع الكوردي سحقاً تاماً بحيث لاتظهر زعامة خارج عائلته. الثلاثة إعتمدوا على المنصاعين والطائعين واحتكروا السلطة السياسية والمالية والعسكرية لأنفسهم ولأولادهم...

[551] People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London11980. page: 189

ملا مصطفى كان محاصراً بين الشاه وصدام حسين. يلتفت تارة الى صدام وتارة الى الشاه. لم يعرف كيف يتعامل لا مع صدام حسين ولا مع شاه إيران. ثم تمسك بالدعم الأمريكي الزائف لإنقاذه. الثلاثة اتجهوا نحو تعظيم الذات وجمعوا المال لورثتهم. الثلاثة استخدموا الأموال العامة لكسب النفوذ وشراء الذمم وإفساد المجتمع لإطالة حكمهم. كل في دائرته الخاصة ووفق حجم الإمكانات المتوفرة لديه وحكراً عليه. دون أية مساءلة من لجان قضائية أو برلمان أو هيئات حزبية أو مؤسسات شرعية أو لجنة حكماء. كانوا يتصرفون بالمال العام حسب الأهواء الشخصية. ملا مصطفى كان شديد الحرص على أن يكون مسيطراً على جميع مصادر المال. وبلغ من شدة الحرص أن كان يحتفظ بهذا المال في منزله بالذات. وهذا شذوذ عن معظم الثورات التحررية في العالم في أعوام الخمسينات والستينات والسبعينات من القرن الماضي.

وتمكن صدام حسين من خلال التوقيع على إتفاقية 11 أذار خلق شعور بالإنتصار لدى ملا مصطفى مما عزز لدى الأخير نزعة مدمرة من الإستبداد والتعالي. ومن خلال توقيعه على إتفاقية الجزائر 6 أذار عام 1975. خلق لدى شاه إيران الشعور بالنصر الكبير. وفي قرارة نفسه كان صدام حسين يعرف زيف الإتفاقيتين. وفعلاً وبعد أن شعر بتوفر القوة هاجم كوردستان عسكرياً بعد أربع سنوات من الإتفاقية. وثم هاجم إيران بعد خمس سنوات تقريباً عندما عمت الفوضى في إيران إثر انهيار نظام الشاه في شهر شباط 1979.

إن الكراس الذي كتبه الدكتور محمود عثمان حول تقييم ثورة أيلول يؤكد فيه على ان المقاومة كانت ممكنة. كان ممكناً سلوك طريق أخر غير الإستسلام المشين الذي إختارته الزعامة الكوردية. كان ملا مصطفى قد إختار الدكتور محمود عثمان بعد الإنشقاق الذي حصل مع المكتب السياسي بقيادة إبراهيم أحمد. لسد ثغرات عديدة في شخصيته. من لغوية ودبلوماسية وتاريخية وسياسية. وفي الواقع يعود الفضل الى الدكتور محمود في إعطاء صورة أكثر تمدناً مما كانت عليه حقيقة شخصية ملا مصطفى. وما يقوله أدناه مبني على معرفة بما كان سائداً. ويعترف انه يتحمل قسطه من المسؤولية. كتب د. م. عثمان:

كانت لدى قيادة البارزاني واتباعها ميزانية الثورة. وارداتها وممتلكاتها وميزانيتها التجارية التي كان من الممكن ان تؤمن احتياجات المقاومة المالية لسنوات وكانت تحتوى على مبالغ نقدية حسابها بالملايين.........."

كانت الثورة تملك على الأقل (15) مليون طلقة عتاد البنادق والرشاشات وحوالي (5) آلاف قنبلة مدفع هاون وصواريخ بازوكا عدا عن وجود ستين ألف مسلح منظم وآلاف المليشيا تحت امرتها وسيطرتها على مناطق محررة تبلغ مساحتها حوالي (40) ألف كم مربع من الجبال والوديان والسهول الملائمة للمقاومة......

وجود كميات كبيرة من الارزاق المكدسة والتي كانت تسد احتياجات الثورة لأشهر على الأقل علماً انه عند نفاذ الأرزاق يمكن شرائها بسهولة.

الأهم من كل النقاط كان استعداد ابناء الشعب والبيشمركه لبذل التضحية والفداء لشعورهم بأن شعبهم يهان من كل الجهات وان هذا الاستعداد ظهر عملياً في قتال العدة أيام الذي جرى بعد توقيع اتفاقية الجزائر..........."

كان رأي ملا مصطفى هو: "عدم إمكانية الإستمرار على المقاومة وضرورة الإلتجاء الى ايران........... وكان البارزاني وأبنائه والمسؤولون الموالون لهم وغيرهم من المنهارين كانوا يريدون افهام الشعب الكوردي بأن ما حدث هو مؤامرة دولية ضد الشعب الكوردي (اي اذا تحرك تبدأ دول العالم بمعاداته. - يعلق د. م. عثمان على هذا بالقول: "ولم يكن الأمر هكذا أبداً"[552] ويضيف: "كانوا يقولون بأنه لايمكن القيام بأية حركة في الداخل مادامت المساعدات الخارجية مقطوعة...... كانوا يقولون للشعب كل مايزرع اليأس في نفوس أبنائه...... تصرفوا دون شعور بالمسؤولية ولم يكن لديهم أستعداد للتضحية ومن الطبيعي ان رأي هؤلاء كان يؤثر على أبناء الشعب كثيراً حيث كانوا قيادة لهم لحد تلك الأيام وقد خدعوا الناس بأقاويل واهية وكان هؤلاء يعتقدون بأن هذه القيادة تستند فيما تقوله الى معلومات أكيدة.........."[553] وهذا ما حصل في بادينان.

ولنرى تصميم القيادة على إحباط الروح المعنوية العالية لقوات الانصار. ونلجأ الى شهود عيان. كان سليم أسعد مسؤول مؤقت عن جهة دهوك الظافرة نيابة عن علي خليل الذي كان في جبهة (زوزك) وحضر الإجتماع عدد غفير من المسؤولين العسكريين والمدنيين خاصة من منطقة (مانگيشك). وطلب أسعد خوشفي قراءة البرقية الثانية ومفادها أن

---

[552] تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها. الحزب الديمقراطي الكردستاني اللجنة التحضيرية أوائل كانون الثاني 1977 ص: 66.

[553] تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها. الحزب الديمقراطي الكردستاني اللجنة التحضيرية. أوائل كانون الثاني 1977. ص: 66.

منطقة بادينان تمردت على قرار القيادة في إنهاء المقاومة الكوردية. وقال أسعد للمجتمعين: " سأواصل القتال إن أيدتموني" فكان ردّ نجم الدين وهو عضو لق. عثمان قاضي مسؤول اللجنة المحلية (زاخو) إضافة الى حوالي مائة من المسؤولين. أبدوا قرار المقاومة بالاجماع. فأرسلوا البرقية الثانية الى القيادة في حاج عمران يعبرون فيها عن عزمهم مواصلة القتال. لكن جاء الرفض من حاج عمران. وأن الجيش التركي سيشترك في ضربهم وأن هناك مؤامرة دولية لسحق الشعب الكوردي إن واصل المقاومة.! لكن كان هناك خوف كبير من إبلاغ البيشمركه بالخبر وأنهم مخيرون بالاستسلام الى القوات العراقية او المغادرة الى ايران والقاء السلاح. كان (ملا أحمد دوتازا نيروه ي) واعياً تماماً لردّ فعل البيشمركه وأنهم سيعتبرونها خيانة ولن يقبلوا بالفرار وقد تصدر ردود فعل عنيفة أزاء المسؤولين. فأخبر أسعد خوشفي قائلاً : "لاترسل في هذا الظرف لا سليم ولا عيسى سوار لإبلاغ البيشمركه بنهاية الثورة." لكن أسعد قال : "يجب تبليغهم."[554]

حفزت إتفاقية الجزائر همم قوات الانصار الكوردية. ويقول جرجيس فتح الله بهذا الصدد: "والظاهر هو ان نبأ اتفاق الجزائر بات معروفاً في الخطوط الأمامية. وبخلاف ما كان متوقعاً من تفشي روح الهزيمة أو انهيار في المعنويات جديد. بدا وكأن روحاً قتالية جديدة قد انعشت نفوس البيشمركه واذ كانت البرقيات ترد واصفة الاستماتة في الدفاع عن المواقع والصمود المعجز الذي تبديه الوحدات امام قطعات الجيش المتقدمة. وردّ الهجمات المتتالية لاسيما في قطاع (سه رى حسن بك). ففي أثناء ما كان الإيرانيون يسحبون مدافعهم الى ايران حمى وطيس القتال هناك وبقي الخط الدفاعي صامداً والبيشمركه يقاتلون باصرار ودون مبالاة بحياتهم تماماً مثلما كانوا يفعلون في العام 1966 والذي سبقه وفي احدى البرقيات وردت عبارة قرأها إدريس علناً "نحن الآن في ثورة حقيقية."[555]. لم يعر القادة أي إهتمام للروح القتالية للبيشمركه. فالخارج بالنسبة لهم عماد كل شيء.

أتذكر جيداً إنتشار شائعات من صنع القيادة الكوردية مفادها انه في حالة المقاومة سيتعرض الشعب الكوردي الى مذابح كالتي جرت للشعب الأرمني وللشعب الكوردي في تركيا في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين. وسيقوم الجيش التركي والإيراني والعراقي بضرب الكورد وإبادتهم وربما تشترك دول أخرى أيضاً. كان هدف هذه الشائعات دحر روح المقاومة. وكان لهذا أثر هائل في نفوس البسطاء الذين لايدركون شيئاً عن أهداف

---

[554] مقابلة شخصية مع سليم أسعد خوشفي في 1986 4.2

[555] زيارة للماضي القريب. جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ستوكهولم – السويد. 1998 . ص :114.

هذه الحملة الدعائية. لقد خاضت الزعامة الكوردية حرباً نفسية ضد شعبها لقتل عزيمته في المقاومة وفرض خيار الإستسلام. إن إستمرار الحركة المسلحة تحت قيادة عناصر وطنية جديدة خارج قيادة ملا مصطفى، كان سيحولها الى بطلة بكل مافي الكلمة من معنى وستكون شعبيتها طاغية، ويعني في الوقت ذاته إفلاس القيادة القديمة التام وتوصيف بالجبن والتخاذل وسيفضي الى زوال مبررات ديمومة احتكارها لأموال الحركة الكوردية. هذا ما لم تقبل به القيادة فأثرت هدم كل شيء والفرار من المسؤولية التاريخية.

ويذكر القيادي د. م. عثمان حول الزعامة الكوردية: "القيادة التي تملك امكانات هذا الشعب وكانت عليها المسؤولية الاساسية في ايصاله الى اهدافه كي لاتذهب تضحيات ابنائه الأبطال هدرا، لم يكن لديها الإستعداد لأدنى تضحية، وأتخذت أسهل قرار ولكن أكثرها مذلة وفرضته، وهو اللجوء الى إيران، وليس فقط انها لم تكن على استعداد لإعطاء الإمكانيات التي كانت لديها لغيرها للمقاومة، وإنما كان يوجد إحتمال محاربتها لكل من يريد الإستمرار على المقاومة......... وأما المبالغ الكبيرة التي اغتصبتها أسرة البارزاني فنقلوها بكل سرّية الى إيران قبل عبورهم هم..............................."[556]

هنا لابد من إلقاء بعض الأسئلة عن طبيعة العلاقات الخارجية لدى الزعامة الكوردية.

هل كان ملا مصطفى والقياديين المقربين له على علم بطبيعة العلاقات بين طهران وواشنطن وتل أبيب؟ هل فكروا بإحتمال وقف المعونات الخارجية ؟ وأن الشاه يمكن أن يوقف كل العملية؟ الجواب إذا كانوا واعين، لماذا إذن لم يحتاطوا لها لتفادي الكارثة؟

وإذا إعتبرنا أنهم كانوا واعين تماماً، في هذه الحالة يمكن إعتبار عدم إتخاذ الإجراءات الإحتياطية جريمة بحق الشعب الكوردي. لأن التفسير الوحيد هو أن القيادة لم تقم بذلك بسبب كرهها للبديل الداخلي "البناء الذاتي" لغايات الزعامة الشخصية والتفرد بالسلطة والإمتيازات. هنا نكون أمام موقف أناني للغاية، ومضلل للشعب الكوردي وللحركة التحررية الكوردية.

كما أن التظاهر بعدم المعرفة بطبيعة هذه العلاقة، يسمح لهم إلقاء مسؤولية الإنهيار على "خيانة كيسنجر، أمريكا، الشاه وإسرائيل وغيرهم"، وتحميل أنفسهم كلاماً القدر

[556] تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها. الحزب الديمقراطي الكردستاني اللجنة التحضيرية. أوائل كانون الثاني 1977. ص: 67.

الأقل من المسؤولية. أي إنهم ضحية خداع الجهات الأخرى. لكن في السياسة وعندما تكون مصائر شعب من الشعوب في الميزان. ليس هناك مجال للوقوع في فخ الخداع. فالقيادة المخلصة تعمل كل شيء لعدم الوقوع في المصيدة وهذا ما لم تقم به القيادة الكوردية وحتى إنها لم تفكر فيه؟ عدم التفكير في البديل وبأسوء الإحتمالات هو كارثة بحد ذاته. واستهتار بمصير الشعب الذي منح ثقته وقدم التضحيات.

وبالأحرى إن كانوا يعرفون مدى الخطورة. لكنهم أخفوا الحقيقة. حتى لايستفيق الشعب ويطالب بخطط بديلة. ومن هنا تركت الزعامة الكوردية عمداً لتنزلق سفينة الحركة الكوردية تدريجياً حتى ترتطم بالصخرة وتتحطم. وينجو القبطان بجلدهم من الغرق مع ماجمعوه من ثروات. بينما يتخلون عن الشعب ليواجه مصيرة لوحده!

وإن إعتبرنا أنهم كانوا غير واعين تماماً لطبيعة العلاقات الخارجية هذه وتعقيداتها. فإننا هنا أمام قيادة غير مؤهلة وجاهلة. تحكمت في مصير شعب بقي يجهل جوهر قادته في ظروف في غاية الخطورة. وفي هذه الحالة كيف عاد هؤلاء بعد عام 1991 الى التسلط فوق رقاب شعب أذلوه وأهانوه وسلموه لأعدائه. بينما هم هربوا وتخلوا عنه؟

هل قطع الأموال عن الحركة الكوردية لعب دوراً في قرار القيادة الكوردية؟ لابأس فالسلاح موجود. والمتطوعون هم أكثر من اللازم. ومناطق محررة شاسعة لاتزال موجودة. وظهر تصميم شعبي هائل في مواصلة القتال. والجيش العراقي يعاني من التعب والإستياء. لكن اهمية وأولوية المال بالنسبة للقيادة وأهدافها غير المعلنة كان طاغياً.. ماجدوى ثورة لاتجلب الملايين! بالضبط غلق الحدود الايرانية يعني ان الاموال المتدفقة من ايران واسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ستتوقف. وربما كان هذا أمراً لايطاق بعد اتفاقية الجزائر بالنسبة للقيادة.؟

يمكن تلخيص نهاية الحركة الكوردية التي قادها ملا مصطفى بعدة كلمات. "لقد هزم ملا مصطفى الشعب الكوردي ولم يهزمه الأعداء".

لقد وفرت له إتفاقية الجزائر "مبرر" إنهاء الحركة الكوردية والتخلي عن الشعب الكوردي. واستخدم الهرب بحجة حماية الشعب الكوردي من الإبادة والحفاظ على بقائه لمناسبة أخرى لابد وأن تأتي.! هناك من يقول لو كان أقل تقدماً في العمر وبصحة جيدة.

لواصل القتال. لكن السؤال أليس من الإجحاف ربط مصير حركة تحررية بشخص واحد؟ وكل شيئ ينتهي إذا مرض أو تقدم في العمر؟

بقي هاجس أخير قبل مغادرة كوردستان. هذا الهاجس يتعلق بعملية التوريث. إنتشال العقبات أمامها مهما كان الثمن. فأمر قائد الحركة بإبادة كل من بقى من الذكور من عائلة فاخر ميركه سوري. إذ كان يعتقد أنهم سيتحالفون مع عبيدالله. ابنه المتواجد في بغداد! فتم على عجل وقبل الفرار. قتل مانبقى من أفراد العائلة المسجونين لسنوات في سجن رايات دون محاكمة ودفنوا في قبر جماعي مع أغلالهم. لم يكن لـ (رشيد) ولا (أسعد) ولدي محمد أغا صلة بالسياسة. ومع هذا قتلوا. وبعدها غادر رئيس الحزب معقله الحدودى الى إيران بهدوء ونهائياً.

نورد ما ذكره عدد من القياديين الكورد بخصوص حجم ميزانية الحركة الكوردية وما بقي منها بعد النكسة. يجد القارئ فرقاً كبيراً بين ما أورده مسعود وما ذكره قياديون أخرون وكانوا على إطلاع بالميزانية :

محمود عثمان. سامي عبدالرحمن	مسعود ملا مصطفى
بلغت ميزانية الثورة بين (1970 – 1975) حوالي ثمانية واربعن مليون دينار لم تشكل واردات الثورة الداخلية سوى حوالى خمسة بالمائة منها بما فيها واردات الفروشكاه وهذا لايشمل المواد العينية الداخلية أو المساعدات العينية الخارجية التي حصلت عليها الثورة. أما أوجه الصرف فكانت مساعدات البيشمركه وتأمين إحتياجات الجبهات ومؤسسات الثورة والمساعدات الكيفية الاخرى ولم تشمل أوجه الصرف السلاح او الاحتياجات العسكرية الاخرى حيث ان الثورة لم تصرف اية مبالغ لشراء الاسلحة من هذه الميزانية. اذ ان السلاح وعتاده كانا يأتيان للثورة كمساعدات منذ البداية وكذلك لم	يقول مسعود ملا مصطفى: "بعد النكسة بقي في حوزة الثورة- *لم تبقى هناك ثورة بعد النكسة حتى يبقى شيء في حوزتها. الواقع بقي المبلغ في حوزته هو. تعليق من المؤلف* - مبلغ يناهز ثلاثة ملايين دينار ومليون دولار. تم صرف الجزء الأكبر من هذين المبلغين على اللاجئين قبل استقرارهم وخصص المبلغ المتبقي لثورة كولان والنشاط الخارجي وشراء الأسلحة. الجزء الثالث. البارزاني والحركة التحررية الكردية 1961 – 1975 . أربيل 2002 . . ص: 396 . ويشير في نفس الكتاب الى المساعدات المالية السوفيتية. فيذكر: "بدأ بمنحة

تشمل اكثر مصروفات جهاز الپاراستن ولابد ان نذكر هنا بأن زيادة امكانات الثورة المالية بهذه الصورة الملموسة لعبت دوراً كبيراً في اضعافها وافسادها وجعلها تنمى بأنها حركة ثورية قبل كل شيء. صفحة : 63 . ويضيف الدكتور محمود أنه إضافة الى الأموال التي تجمعت لدى ملا مصطفى قبل النكسة. فقدإستلم : "مبلغ مليوني دينار من ايران بعد النكسة مباشرة" تقييم مسيرة ثورة أيلول. .... ص: 77

سامي (محمد محمود عبدالرحمن يعزي التخلي عن القتال الى تقدم سن ملا مصطفى وثراء عائلته: "لوكانت عائلته فقيرة، فإنه كان سيواصل القتال. وقد أعطاه الإيرانيون الملايين."

أما جوناثان راندل فيقول عن الإنتقادات الكوردية لزعامة ملا مصطفى أنه ترك كوردستان ومعه حوالي 70 مليون دولار أمريكي. ص: 171

بحوالي ربع مليون دولار. ثم زيدت لتبلغ مليون دولار في العام 1972. ص: 375.

ثم يضيف حول المساعدات السوفيتية:

"بدأ بتخصيص إعانة مالية بعد الأشهر القلائل الاولى. أي إعتباراً من أواخر العام 1961 قدرها تلثمانة وستون ألف دولار سنوياً أي مايعادل مائة وعشرين ألف دينار عراقي بسعر الصرف وقتذاك- وتواصلت هذه المنحة بعين المقدار حتى العام 1968 فزيدت الى نصف مليون دينار إبتداءً من العام 1969 حتى 1972 ثم قطعت تماماً بعد دخول الولايات المتحدة الميدان. ص: 395
.

بعد أن أنهى الحركة، كان ملا مصطفى مصمماً على الإحتفاظ بأموال الحركة، ولايسلمها الى لجنة من النزهاء، ولا الى هيئة من المناضلين القدماء المعروفين. لقد كان مصمماً منذ البداية على الاحتفاظ بها لدى ولده وأسرته. وكان هذا أمراً لايقبل الكلام فيه أو المساومة. هنا نرى لامبالاة مطلقة في حكم التاريخ عليه، ولا أخفى، فقد أصبت بصدمة عندما تبين لي، أن هذه الأموال إحتفظ بها كملك شخصي، مما عزز إنطباعي السلبي عن قيادته طوال العقود الماضية.

الإتفاقات التي أبرمت، كانت بين شخصيات دكتاتورية [صدام حسين، محمد رضا بهلوى و ملا مصطفى] وليست بين مؤسسات ديمقراطية راسخة. إن التوقيع على إتفاقية

الجزائر وثم فسخها تظهر الى أي مدى تحكم الأفراد بالقرارات المصيرية حيث الشعوب تدفع الثمن. الشاه في صنع اتفاقية الجزائر عام 1975 وعلى أثرها انهارت الحركة الكوردية – في العراق. وتخلص البعث من القضية الكوردية مؤقتاً. كما إن قرار إنهاء الحركة الكوردية تظهر الى أي مدى تحكم ملا مصطفى في صنع القرار المصيري بالنسبة للشعب الكوردي في أذار من نفس العام. وصدام حسين في ضرب إيران عام 1980 وغزو الكويت عام 1991.

لقد أخطأ الشاه في التوقيع على إتفاقية أذار عام 1975، فهو بدل إضعاف خصمه، حرره من قيود الحركة الكوردية. فتقوى نظام البعث عسكرياً الى حدود أثرت على موازين القوى لصالح العراق. وعندما إنهار نظام الشاه عام 1979، ضاعف صدام حسين الجهود في تشكيل جيش قوي قادر على شن الهجوم ضد الدول المجاورة متى ما أراد. كانت دوافع الشاه في تحالفه مع إسرائيل ومع الكورد تهدف إضعاف خصومه من خلال كلا التحالفين، بينما تقوى خصمه بعد التوقيع على إتفاقية الجزائر.

ومن وجهة نظر إسرائيل فإن التعاون مع الشاه والكورد فتح الباب أمام الدولة العبرية عودة اليهود العراقيين الى إسرائيل. إحدى أهداف السياسة الإسرائيلية الخارجية المحورية تتمثل في العامل الديمغرافي، فقلة عدد سكان إسرائيل مقارنة بعدد سكان جيرانها العرب، يشكل كابوساً مخيفاً لدى قادة الدولة العبرية. لذا شجعت تل أبيب الهجرة اليهودية الى إسرائيل. وبهذا الخصوص، ساعد السافاك الإيراني مرور اليهود العراقيين عبر كوردستان وإيصالهم الى مدينة أورميه في إيران، بعدها قامت المنظمات اليهودية إعادة إسكانهم في إسرائيل.[557]

لقد حقق الجميع، طهران، تل أبيب وواشنطن موسكو وبغداد، مصالحهم أو جزءً منها ولو مؤقتاً، والخاسر الأكبر كان الشعب الكوردي.

القيادة غير المؤهلة في تحمل أعباء النضال التاريخي والمتخاذلة في لحظة مصيرية حاسمة تكون سبباً في ضياع نضال وتضحيات شعبها.

---

[557] Treacherous Alliance Trita Parsi Yal University press/new haven and London.2007. p: 54

دبلوماسية صناعة الأوهام

العديد من الدول كانت منخرطة في العلاقة مع قيادة الحركة الكوردية في مستويات متباينة، منها إقليميا إيران، إسرائيل، الأردن، المملكة العربية السعودية، الجمهورية العربية المتحدة، الكويت، ودولياً الاتحاد السوفيتي، منغوليا، الولايات المتحدة الأمريكية، ألمانيا الغربية، النمسا وبريطانيا.

كما كان للأحزاب الوطنية الكوردية في جميع أجزاء كوردستان دوراً إيجابياً في الصراع المسلح الذي تمثل في الحركة الكوردية منذ عام 1961 وحتى انهيار القيادة الكوردية عام 1975. لكن قيادة الحزب والحركة ألحت على جميع الأحزاب والمنظمات الكوردية في الأجزاء الأخرى من كوردستان، تجميد نشاطها والعمل فقط من أجل دعم الحركة الكوردية ضد نظام بغداد. وعندما لم تتمسك بهذا "الأمر" ساقت قيادة الحزب قواتها (البيشمركه) لوقف الانتفاضة كما كان الحال مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني – إيران – وجنباً إلى جنب مع القوات الإيرانية. ونجم عن عدم تبني إستراتيجية كوردستانية بتوافق جميع الأطراف الكوردية، نجم عنها ضعف الحركة الكوردية في التوازنات الإقليمية وسبباً في عزلتها وثم التفرد بها من قبل الشاد واستغلالها خدمة لمصالحه. وكان عصمت شريف قد أشار إلى ذلك مراراً لكن دون جدوى. كما شارك في الحركة التحررية الحزب الشيوعي العراقي في فترات مختلفة ومنذ البداية شارك الأشوريون والكلدانيون ولعبوا دوراً هاماً فيها.

سعت القيادة الكوردية بناء علاقات مع تركيا، لكنها لم تستجب لها، وبقيت العلاقة الأكثر أهمية مع طهران. ومن خلال نافذة طهران دخلت إسرائيل بالتشاور مع إيران وبتحمس. بينما جرّ الشاه الولايات المتحدة الأمريكية إلى اللعبة، وهي مترددة وقبلت بكثير من الحذر نتيجة إلحاح الشاه، وحتى بعد القبول، كان دورها غير ذا أهمية في مجرى نتائج صراع الحركة الكوردية وحكومة بغداد. لكنها كانت كافية لتغذية الوهم القاتل لدى القيادة الكوردية، أي زيادة الاعتماد على القوى الخارجية.

أمر طبيعي لا بل ضروري أن تبحث القيادة عن حلفاء حقيقيين أو مؤقتين في عملية الصراع الشعبي المسلح، وحسب الظروف والإمكانات. وفي وضع الحركة الكوردية، كان الحليف الرئيسي هو الشاه، المعادي للحريات في بلده ناهيك عن عدائه التاريخي للحقوق القومية الكوردية في جميع أجزاء كوردستان. ويبدو أن الشاه عرف شخصية ملا مصطفى

وأسلوب التأثير عليه وعلى خططه، أكثر مما عرفه ملا مصطفى عن الشاه، ورغم تبادل فقدان الثقة بين ملا مصطفى والشاه، فقد تمكن الأخير ممارسة التأثير عليه عن طريق "دبلوماسية صناعة الأوهام" فقد استطاع أن يخلق لدى ملا مصطفى تصورات مبنية على بعض الحقائق: أن إيران دعمت قائد الحركة منذ سنين، حيث يأتيه المال مباشرة، ووفرت إيران السلاح والتدريبات لقوات الأنصار، وتعالج الآلاف من الأكراد في مستشفيات إيران، وساهمت إيران في إقامة علاقات مع إسرائيل، وأقنعت أمريكا لكي تدعم الحركة الكوردية. أنها أوت عشرات الآلاف من اللاجئين في أراضيها بما فيهم أسر رئيس الحزب وأولاده وأسر مكتبه السياسي. وان القوات الإيرانية دخلت كوردستان لقتال الجيش العراقي دفاعاً عن الكورد الاربين وبطارياتها المضادة أسقطت عدة طائرات عراقية، وانها ترسل العتاد والأرزاق للمناطق النائية من كوردستان وشفهياً ستواصل إيران دعمها للحركة الكوردية. ورغم ان هذه كلها كانت أمور حقيقية، لكن القيادة لم تنتبه إلى الدافع الأساسي وراء هذا الدعم المالي والعسكري والإنساني. لم تتحلى القيادة الكوردية بإدراك جيوستراتيجي، ولم تميز بين نقيضين تقمصهما الشاه في ذات الوقت، فهو "صديق مؤقت وعدو دائم" والأول في خدمة الثاني وليس العكس. تعامل رئيس (حدك) مع الشق الأول من سياسة الشاة"صديق مؤقت" وبسذاجة متناهية تجاهلت القيادة الكوردية ولم تحتط للشق الثاني - وهو المحور الأساسي- من سياسة الشاه "كعدو دائم". وعند عودة الشاه بعد التوقيع على اتفاقية الجزائر في 6 آذار 1975، أماط اللثام عن وجهه كاملاً، فطن القادة الكورد الى مدى عجزهم وتخلفهم في الحقل الدبلومامي بعد فوات الأوان.

سياسة صناعة الأوهام تنجح عندما يكون المتلقي مهيأ لها. قاصر في فهم قوانين الصراع السياسي وادارتها ويجهل دروس التاريخ، وضعف الثقة بالنفس فيما يخص القدرة على كسب عوامل القوة والتأثير السياسي في حلبة الصراع بين اللاعبين. غير مبالي بتعهدات ملزمة وجبهته الداخلية توهنت بفعل الفساد المتفشي وضعف الالتزام بمصالح شعبه ومستقبله. وبالعكس تفشل هذه السياسة إن بنى المتلقي إستراتيجيته على الوقائع الثابتة على الأرض، وتهيئة شعبه لأسوء الاحتمالات وشخّص بدقة دوافع المساعدات التي يتلقاها وحرص على بناء خطط بديلة حال وقف هذه المساعدات، والإبقاء على عدة محاور للمناورات السياسية كي تبقى حركته مستقلة في أخذ القرارات المصيرية.

لم تبنى الاستراتيجية الكوردية على أسس واضحة مدروسة، فلم يكن هناك رؤية متفهمة لواقع سياسة الشاه تجاه الحركة الكوردية، إلى أي مدى يمكن اعتبار المساعدات من الشاه كعامل مساعد لتقوية الحركة الشعبية المسلحة وترصين الجبهة الداخلية

الكوردية. إلى جانب تقييم احتمال معاداته للحركة وفي أي ظرف سياسي قد ينقلب إلى عدو مكشوف! لقد ازداد الاعتماد على الشاه على حساب إهمال ترصين الجبهة الداخلية الكوردية وهدم العلاقات الكوردستانية.

لم تعي القيادة الكوردية حقيقة ان الشاه تعلم درساً هاماً من اتفاقية (11 أذار عام 1970) التي وقعها الطرف الكوردي والبعث العراقي. ولذا بعد أن عاد ملا مصطفى الى الشاه لطلب العون والدعم خاصة بعد محاولة اغتياله الفاشلة في 29 أيلول 1971 من قبل أجهزة مخابرات سلطة البعث. توسعت العلاقة بين قياد (حدك) وايران. سعى الشاه أن لا يدع ملا مصطفى يفلت من يديه في السماح له باتفاق أخر مع بغداد. لقد تعلم أن يجرّ الحكومة العراقية إلى مائدة المفاوضات معه. وربط ملا مصطفى ربطاً محكماً وألهاه عن أي تفاهم مستقبلي مع بغداد.

كان الشاه يعرف مدى أهمية سياسة إفساد المجتمع لإطالة حكمه. وكان يعرف أن هذه السياسة يتبعها ملا مصطفى مع شعبه. سياسة الإفساد يمكن ممارستها مع الأشخاص ومع المجتمعات على حد سواء. كان هذا من مصلحة الشاه. فأغدق على ملا مصطفى الملايين من الدولارات وبدورها ساهمت في خلق المزيد من الفساد في المجتمع الكوردي على حساب النقاوة الثورية. وتطور ميل واضح لدى القادة الكورد الرئيسيين في دعم سياسات الشاه في المنطقة. معتبرين أنفسهم جزءً من المخطط الأمريكي الإيراني والإسرائيلي.[558] لقد سمح ملا مصطفى للعديد من قادته ذوي الولاء الشخصي أن يمعنوا في الفساد المالي والإداري. وطيلة ما يقارب الأربعة عشر عاماً لم يسجن أو يفصل أو يحقق مع أي قائد أو مسؤول بتهمة الاختلاس أو الفساد المالي. لقد نخر الفساد في جسم المجتمع بوضوح وقد بدأ من قمة القيادة نزولاً إلى جميع مؤسسات الحركة والحزب والجيش الثوري. وهذا هو الخطر الأكبر الذي تفشى في الثورة حيث تنهار مناعة المجتمع وتضرب قيم التضحية والنزاهة والفضائل الثورية والالتزام بالثوابت التي تتعلق بمصير الأمة. لقد نسي القادة أن الشعب الكوردي يخوض ثورة مسلحة ويحيط به الأعداء من كل جانب، ولمزيد من التلاحم بين الشعب الكوردي وقيادته. كان يقتضي من القيادة أن تضرب من نفسها أروع مثال على التمسك بالقيم الثورية والوطنية والتضحية والإيثار والالتزام بمبدأ العدالة. لقد تناست القيادة الكوردية أنها تقود ثورة وسمحت لنفسها الانجذاب نحو الحياة الرغيدة والثراء والراحة وجمع المال. كان الشاه على علم بنقاط الضعف لدى

---

[558] From Amembassy BEIRUT. To the Department of State. July 16. 1971. Request from Mustefa Barzani for Clanndestine Contact with USG

الطرف الكوردي فأستغلها ليضع القيادة الكوردية داخل إطار سياسي محدد يتحكم هو في القرارات السياسية الحاسمة.

فلكي يقي قائد الحركة نفسه من مخاوف القفص الإيراني، دخل القفص الإسرائيلي، وللمزيد من الحماية دخل قفص الـ C.I.A. كان يعزو أهمية فائقة للمخابرات والأجهزة السرية الجاسوسية، ويجد فيها ضماناً للسلامة الشخصية والعائلية، ويطلب منها دوماً التعاون المخابراتي. ومن هنا كان يريد تقديم ابنه مسعود لجهاز الـ C.I.A كما ورد في العديد من المذكرات التي أرسلها الى السفارات الأمريكية أو مع مبعوثيه الذين التقوا بدبلوماسيين أمريكيين. وكان دخول الـ C.I.A جزءً من صفقة ماكرة أعدها الشاه تلبية لرغبة ملا مصطفى ومقابل قطع القيادة الكوردية جميع القنوات مع الإتحاد السوفيتي وحكومة بغداد والحزب الشيوعي العراقي وعدم الانضمام إلى الجبهة الوطنية التقدمية. وبدخول الـ C.I.A في اللعبة، تقوت معنويات القيادة الكوردية وظنت أنها تستند الى دولة عظمى هي الولايات المتحدة الأمريكية وان لها أهمية في حسابات المعسكر الغربي. هذا دون إدراك أن ايران هي التي تمسك بمداخل ومخارج هذه العلاقة. ومن الناحية الجيوستراتيجية وفي أوج الحرب الباردة، لم تكن واشنطن راغبة في حصول أي مشاكل لحلفائها في المنطقة المضطربة – الشرق الأوسط – ففي نظرها أن حكم ذاتي للأكراد في العراق سيكون له صدى كبير في جميع أجزاء كوردستان، ويتيح لحكومة عراقية راديكالية، أو للإتحاد السوفيتي استخدامه ضد أهم حليفين لأمريكا في الشرق الأوسط، طهران وأنقره. وهذا خط أحمر لا يجوز تجاوزه وموضع مراعاة كاملة من واشنطن.

لم تجري دراسة وافية لتحديد المصالح الكوردية ومدى تصادمها أوتوافقها مع المصالح الإيرانية. وقبول الدخول في تحالفات غير مكتوبة وغير مبنية على القوة الذاتية الحقيقية، جعلت الحركة الكوردية طرفاً تابعاً وليس طرفاً مستقلاً له مواقفه وثوابته المبنية على طاقاته الذاتية. فإن كانت هناك بعض المصالح المشتركة المؤقتة بين الحركة الكوردية وطهران فيما يخص التعامل مع حكومة بغداد، الا أن تصادم المصالح الاستراتيجية مع إيران كان قوياً وخطراً. لم يكن الشاه ولا جهاز السافاك ليغفلا أهمية الأثار العاطفية والتعاضد القومي للحركة الكوردية التحررية على جانبي حدود كوردستان المجزأة، ومن هنا تركزت سياسة الشاه على مساعدة الثورة الكوردية من أجل احتوائها. في حين كانت القيادة الكوردية ترى المساعدات فقط ولا ترى عواقب سياسة الاحتواء المدروسة بدقة. القيادة الكوردية لم تكن ترى الأ جانب واحد من اللعبة، الجانب البراق، وأغمضت عينيها عن رؤية الجانب المعتم والخطر، إلى أن داهمتها اتفاقية الجزائر 6 أذار 1975. في خضم

العلاقة بين قيادة الحركة الكوردية وشاه إيران. عمل الأخير بشكل مدروس على تقليص خيارات الطرف الكوردي الى حد زوال الخيارات الأخرى لصالح الخيار الإيراني فقط.

في السياسة لامجال للتسول واستدرار الشفقة وطلب الصدقات. إنما عوامل الصمود الحقيقية والإرادة المبنية على وقائع ثابتة هي الأساس في التعامل الدبلوماسي. والشاه نفسه كان يعرف كيف يزيد من ضعف قيادة الحركة الكوردية. فنظرته الى العلاقات الدولية في زمن الحرب الباردة كانت مبنية على توفير عوامل القوة والردع. وفي نظره أن الضعيف لا يستطيع أن يتخذ موقفاً متوازناً حكيماً. أو أن ينتهج سياسة ناجحة. ولنرى من خلال الحديث التالي وجهة نظره فيما يخص القوة الحقيقية:

"كيسنجر: قد يكون مفيداً أن تعرفوا بأن السفير السوفيتي Dobrynin تنبه الى إحدى تعليقاتكم أثناء مأدبة عشاء أقيمت لكم في البيت الأبيض ليلة الثلاثاء. وأدعى (دوبرينين) أن كلمات جلالتكم كانت مستوحاة منى. عندما ذكرتم "القوّي فقط باستطاعته أن يكون حكيماً." قلت لـ (دوبرينين) العكس هو الصحيح. أنا لست الىّ تلميذاً لجلالتكم.

الشاه: قلت نفس الشئ للسناتور Wayne Hayes وتناقشنا في ذلك.

قلت للروس الشيء الجيد لكم أيضاً جيد لي.

سألتهم عندما يتفاوضون مع الولايات المتحدة. هل يتفاوضون من موقع الضعف أو من موقع القوة. إنهم يتفاوضون من موقع القوة. فقط من موقع القوة يمكن تبني موقف حكيم. الشخص الضعيف يكون شديد الارتباك مما يحول دون حيازة الحكمة والروية.

كيسنجر: يحتاج المرء الى أن تكون لديه خيارات لكي يكون حكيماً.

الشاه: إن تكن قوياً، يمكنك التحلي بالصبر.

كيسنجر: نعم المرء في تلك الحالة يتمكن من استغلال الوقت لصالحه.

الشاه: نعم المرء في تلك الحالة يستطيع أن يتأنى. هل أحب السفير الروسي تلك الملاحظة؟

كيسنجر: احترمها وهذا أهم من أن يحبها.

السفير هيلمز: أخذ ملاحظة عنها.

كيسنجر: جلالتكم جلب اهتمامه.

(.......................)

(..........................)

الشاه : قلت للسفير الروسي في طهران، أن نفس الإستراتيجية التي هي مناسبة لكم، هي مناسبة لإيران أيضاً. يجب التعامل مع إيران بنفس المعاملة مع البلدان الكبيرة في العالم. هل ذكر السفير الرومي أشياء أخرى عن إيران؟

كيسنجر: تكون لدي انطباع أنهم يفضلون لو أنكم أقل تسلحاً.

الشاه: الشيء المهم أن يفهمه الروس هو أننا لا نخاف المجابهة معهم. لن نستسلم. على الروس أن يفهموا ذلك.

كيسنجر: هذا موقف قوي.....

(............................)[559]

وفي هذا الوضع يبقى الذكاء وقابلية المناورات واستغلال عوامل القوة والضعف في لعبة الصراع السياسي محكاً لتحقيق كل منهما لأهدافه وتجنب الوقوع في الفخ. فالاستعداد للأزمات قبل وقوعها هو من صلب السياسة الناجحة. أما الاستفاقة بعد حصول الأزمة - مثال القيادة الكوردية- فلا يفيد لأن الوقت يصبح متأخراً جداً.

العلاقة الثنائية بين الرجلين كانت ذا أهمية حاسمة، إذ لم يولي الشاد أي اهتمام لمستشاريه أو حكومته في الموافقة أو إبداء الرأي فيما يتخذه من قرار سياسي مهما كانت أهميته. ونفس الشيء ينطبق على ملا مصطفى. فهو لا يستشر مكتبه السياسي أو قيادات قوات الأنصار الكوردية، فهو رئيس الحزب والقائد الأعلى لقوات الـ (بيشمركه). هذه العلاقة الشخصية الثنائية هي التي حددت ملامح السياسة بين طهران والحركة الكوردية. فإن كان الشاه يملك المال والسلاح، كان ملا مصطفى يملك ألاف المسلحين على أرض محررة يتجاوز مساحة بلجيكا، وهي أرض جبلية شديدة الوعورة وفردوس لحرب العصابات. وثم إن ملا مصطفى، رغم تراجع شعبيته، كان بإمكانه الاعتماد على شعبه أثناء الأزمات التي يجد الشعب الكوردي وجوده مهدداً، فيلتف حول ملا مصطفى من جديد. وكان بإمكانه أيضاً الاعتماد على استراتيجية كوردستانية وتطويرها لزيادة رصيد الحركة دولياً واقليميا، وهذا يتيح له ممارسة ضغط كبير على عدد من الحكومات. في حين استغل الشاه نقاط الضعف لدى ملا مصطفى، لم يقم الأخير باستغلال مخاوف الشاد لتقوية أركان الحركة التحررية الكوردية الداخلية ونيل ثقة الجماهير الكوردية لتقوية دورها في الصراع من أجل تحقيق أهداف الثورة. كان خطأً قاتلاً وضع جميع ما يملك من أوراق في سلة طهران، وهذا ما كان يريده الشاه. لقد أثبت الشاه لملا مصطفى أنه الأكثر

[559] Memorandom of Conversation. Friday. July 27. 1973. 5:00 p.m. In the Shah's Reception Room Blaire House

سخاءً من الروس والعراقيين والإسرائيليين والأمريكان فيما يخص المنح المالية. ولم تعرف القيادة الكوردية كيف تتصرف مع هذه الثروة المفاجئة التي هبطت عليها وفيها كل مغريات الاستئثار بالسلطة. هنا تمكن الشاه من خلال الإغراءات المالية إضعاف الإرادة الثورية وتطويعها أمام سطوة المال. كما إن خطر الإدمان على المال ينقل دور الثورة الكوردية من مركز استقلالية القرار الى مركز "وظيفي" يخدم مانح المال الذي يجيد نصب الكمائن. ويجد المتلقي نفسه في النهاية وقد تحول من "ثوري" الى "موظف" له دور معين.

اعتقد ملا مصطفى بعد بيان أذار عام 1970 أن إجراءات حمايته العديدة كانت كافية لسلامته. وعاش على الحدود الإيرانية العراقية بعيداً عن الجبهات. محاطاً بالحاشية وآلاف الحراس. وبالمضادات الجوية على التلال المحيطة بمقراته. لكن وجد أن الأعداء متربصون به وقد استطاعوا بالمكر والخديعة تجاوز جميع العراقيل التي أقامها لسلامته. والوصول إليه في عقر داره. وقد أنقذته العناية الإلهية من موت محقق. كل هذا استفزه إلى حدود نمو هاجس داخلي عميق ساهم في خلق شعور دائم بفقدان الأمان والسلامة على حياته. وكما نوهنا فإن تعرضه لعملية الاغتيال التي قام بها نظام صدام حسين أفقدته ملكة التفكير المتوازن في خياراته السياسية وتحالفاته الإقليمية والدولية.

هنا استغل الشاه هذه المخاوف أحسن استغلال. ولكن الأدهى من كل هذا هو انفصال رئيس الحزب عن آمال وتطلعات شعبه وتضحياته وتمسكه بالقوى الرجعية والمرتزقة وسدّ الطريق أمام المؤهلين. كما ازداد احتكار السلطة السياسية والعسكرية والمالية من قبل عائلته، و في أخطر ظرف تمرّ بها ثورة الشعب الكوردي.

لم تستفد القيادة شبه المشلولة من العناصر الجديدة الملتحقة بالحركة الكوردية. إذ كانت قدرتها التنظيمية وملكة استيعاب الملتحقين الجدد من عسكريين ومدنيين صفراً. بل تحولوا رغماً عنهم إلى عبء على الحركة. وكان هذا موضع انتقاد الممثلين الإيرانيين أنفسهم. ويشير الدكتور عبدالمصور بارزاني، والذي شغل منصب رئيس اللجنة العليا لشؤون اللاجئين عام 1974، - حالياً أستاذ التاريخ المعاصر في جامعة السليمانية - إلى ظاهرة التسيب بوضوح. ففي داخل أراضي كوردستان – إيران- زادت المخيمات لإسكان اللاجئين الكورد الفارين من حرب كوردستان الخامسة. ففي زيارة مفاجئة للتمسار (منصور پور) إلى مخيم (نلبوان) بالقرب من مدينة شنوى. التقى بـ (عبدالمصور بارزاني) وذكر صراحة: "وصلتنا معلومات موثوقة مفادها بأن الكثيرين من المنتمين الى الپيشمرگه

موجودون في المعسكرات وهم الذين يفترض أن يتواجدوا على الجبهات... إن هذه الحالة ستضعف الجبهات القتالية. الأمر الذي يفترض فيه أن لا يحدث...."

المثال التالي يرينا مدى تأهب قمة الهرم في الحركة الكوردية للطوارئ وللمسؤولية التاريخية المناط بها. فرئيس الأمن (باراستن) وهو نجل ملا مصطفى (مسعود). حيث من المفروض أن يكون بالنسبة للحركة الكوردية كما هو نصيري بالنسبة للسافاك الايراني، مائير عميت بالنسبة للموساد الاسرائيلي ورتشارد هيلمز بالنسبة لـ C.I.A . يذكر الدكتور عبدالمصور بارزاني مثالاً حياً ذو مغزى كبير: وفي شهر آذار من عام 1975، كان رئيس الباراستن للحزب الديمقراطي الكردستاني (مسعود ملا مصطفى) الذي عينه والده في المنصب المذكور، والمفروض انه على علم بخفايا الأمور. نراه متحرراً من القلق ومتمسك بفكرة السند الخارجي القوي، وكان يقضي عطلته في إيران لدى عائلته، ومطمئن من كل شيء. أعرب له عبدالمصور بارزاني عن قلقه بصدد تفاهم محتمل بين بغداد وطهران، فكان الرد: "عبدالمصور أنت ليس لديك عمل ولا تفتأ تسألني أو تسأل إدريس حول هذا الموضوع. لكن لو كنت تعلم ما أعلمه أنا لما طرحت هذا السؤال أصلا" وزاد: " نحن لا نتعامل مع دول صغيرة كالعراق وإيران فقط، بل لنا علاقات مع دول كبرى أيضا." وفي نفس الاجتماع وعبدالمصور لايزال جالساً، بعد برهة، وصل رسول يحمل رسالة إلى مسعود من إدريس البارزاني الذي كان لايزال في كردستان، يخبره فيها بدأ انسحاب المدفعية الإيرانية وتخلي إيران عن دعمها للحركة الكوردية.[560]

لقد قامت أجهزة الحزب الدعائية بفرض عادة تبجيل وتفخيم ملا مصطفى إلى حدود المغالاة، وألفت الأشعار والأغاني لأمجاده العظيمة الخارقة، كان هو شخصياً يشبه نفسه بـ "الأسد". وقد وقع منذ زمن تحت تأثير التفخيم المغالى فيه ومن أهم نتائجها انه لا يجد أي داع للاستماع إلى أحد أو طلب المشورة والنقاش مع آخرين، فهو أعلم وأذكى من الجميع وفوقهم. ونمى فيه فقدان الإحساس بالمخاطر. صدام حسين هو الآخر أصيب بنفس الداء بعد نجاح عملية تأميم النفط العراقي وهزيمة الحركة الكوردية عام 1975، فقد تولدت لديه قناعة بعظمة شخصيته التي حققت ما لم تحققه أية حكومة عراقية من قبل: تأميم النفط وإنهاء الحركة الكوردية. وكان الشاه مصاباً بنفس المرض، فقد كان يعتقد انه يمثل قوة عظمى في المنطقة والأمريكان يحتاجونه وتفرد هو الآخر بالقرارات المصيرية ولم يستيقظ إلى بعد فوات الأوان، حيث شاهد مدى بعده عن حقائق المجتمع

---

560 المسألة الكوردية. البديل الديمقراطي. تجارب سياسية: 1974 – 2009 . الدكتور عبدالمصور بارزاني. كتاب لم ينشر بعد.

الإيراني وهو يرى تهاوي عرشه. في وضع كهذا تصغر الشعوب وتهمش ويتعاظم دور الدكتاتور الذي يصبح فوق الشعب وفوق القانون. ومن خلال أجهزة قمعه وإعلامه ينهمك مرتزقة الإعلام بنشر ثقافة "عبادة الشخص". إن صعود أي دكتاتور خير مؤشر على فشل دور الشعب وتحوله الى مجرد خادم ذليل. فالحاكم المستبد يدير ظهره للمحكومين ولا يكترث بمصالحهم لأن همه هو بقائه واستمراريته الوراثية. وتقوم بطانة الحاكم بدورها في تعزيز الاستبداد. وقد شكّل الحاكم هذه البطانة خدمة لمصالحه. وأحد أطراف هذه البطانة يتجسد في مثقفي السلطة الإنتهازيين.

فالقادة الحقيقيون يتواضعون عند النصر ويصبحون أكثر حذراً في سياساتهم ويلتصقون ويتحسسون أكثر بأماني وألام شعوبهم. بينما القادة غير المؤهلين يتعجرفون عند النصر ويستهترون بنضال ومعاناة وكرامة شعوبهم ويتملكهم المزيد من الاستبداد. كما إن القائد غير المؤهل بحاجة متواصلة إلى تضخيم صورته يومياً ونسب البطولات إليه وحده. ويقوم المرتزقة من مثقفي السلطة خلال الأجهزة الدعائية الخاضعة لبطانة الحاكم بتجميل صورة "القائد المنقذ" بأطنان من الأكاذيب بشكل روتيني ومتواصل.

أبت القيادة الكوردية أن تفتح عينها على رؤية حقائق جديدة محتملة على الأرض لتحتاط لها. رغم وجود بوادر واضحة منذ حزيران من عام 1973. لقد انتاب القيادة شعورعميق باستحالة فقدها للسلطة مهما فعلت. وذلك بفعل شيء يشبه الإدمان. كرسته أعوام طويلة من التفرد والاستئثار بالسلطة المطلقة دون محاسبة في مجتمع عودته قيادته على الصمت والإذلال والخنوع. انهيار الحركة الكوردية مثال حيّ لما يمكن أن ينجم عن تهميش القيادة لنفسها عن قوى الشعب الفاعلة. فقد أسندت القيادة ظهرها للخارج. خلال دبلوماسية هزيلة ساذجة ركزت مهامها على جمع المال. وأخفقت في مهمة خلق عوامل الديمومة وترسيخ القوى الذاتية في المجتمع الثائر. فالدبلوماسية الناجحة تقوم على بناء وترصين الجبهة الداخلية. وعندما وجدت القيادة نفسها وجها لوجه أمام اتفاقية الجزائر. لم تعمل على تحديد آثار وقع الهزيمة الدبلوماسية. إنما أمعنت في التخبط والضياع. فتخاذلت. وعملت على نقل هذا التخاذل الى أوسع دائرة ممكنة. لقد قادت الأوهام الى هزيمة دبلوماسية والهزيمة الدبلوماسية قادت الى هزيمة عسكرية ساحقة. ضحيتها الأولى شعب كوردستان. لم تستشر القيادة الكوردية الشعب الكوردي ولم تأخذ مشاعره في الحسبان ولا مصيره وكرامته. لم يكن للشعب أي وزن في قرارات القيادة الكوردية. بينما نجا الزعماء الذين أصبحوا أثرياء إلى حيث الأمان.

ونستشهد هنا بأرشيف هام يكشف خبايا التمسك التام بحبل الشاه وقطع جميع الجسور مع الاتحاد السوفيتي والعراق والحزب الشيوعي العراقي حتى كتكتيك. وكما بدا فإن صالح اليوسفي كان المعارض الوحيد الذي ظل تفكيره مشوباً بالخوف والقلق من جراء تزايد الارتباط مع طهران وحليفاتها. والابتعاد الكلي عن الاتحاد السوفيتي. ولم يجد من بين أعضاء المكتب السياسي أعضاء أخرين يقفون معه لثني قائد الحركة عن هذا المنحى الخطير. الأرشيف الأمريكي المؤرخ في 11. 6. 1973 موجه إلى هيلمز حيث كان يشغل أنذاك منصب سفير الولايات المتحدة في طهران. واسم المرسل محذوف. هذا الأرشيف يوضح أن سياسة واشنطن كانت على تمام الانسجام مع خطط الشاه. إلى حدود التضحية بالأكراد لمصالحهما في المنطقة. هذا اللقاء الذي يشير اليه الأرشيف حصل مع مبعوثين سوفيتيين والقيادة الكوردية متباهية لوجود علاقة مع C.I.A الأرشيف تحت عنوان: مذكرتكم حول ملاحظة الشاه لملا مصطفى:

شكراً لإعلامي بنصيحة الشاه للبارزاني بصدد الانضمام إلى الائتلاف ألبعثي الشيوعي: "افعل ذلك إن أردت الانتحار!"

الأكراد أرسلوا لنا وللإيرانيين تقريراً عن زيارة اثنين من موظفي السفارة السوفيتية. نحن نصحناهم باستمرار أن يرسلوا جميع اتصالاتهم بالسوفييت بشكل فوري وبالكامل للإيرانيين لكي يقللوا من الشبهات التي قد تنتابهم من أن البارزاني يلعب لعبة مزدوجة."

ثم يذكر المرسل أن التقرير الذي قدمته القيادة الكوردية وصل إليه مكتوباً بالعربية واقتضى ترجمته.

ونورد هنا أهم ما ورد في التقرير الكوردي حسب النص الانكليزي مع تعليقات. في التقرير جمل لا تقرأ أو لم يرفع عنها الحظر.

وصل في 2. 6. 1973 Victor N. ABUSUV ALBUK, السكرتير الأول في السفارة السوفيتية، و السكرتير الثاني: Igor PETRACOV إلى المنطقة الكوردية، وذكرا إنهما أتيا وفق تعليمات القيادة السوفيتية، منهم بريجنيف، كوسيجن و بودگورني. وقالا إن الهدف من زيارتهما هو التحقق بشكل خاص من أراء ملا مصطفى بارزاني، المكتب السياسي لـ (حدك) والحصول على أراء الحركة الكوردية والحزب بشكل عام. لكن الهدف الحقيقي كان زيادة الضغوط على البارزاني للتعاون والمصالحة مع (........................... لا يقرأ) ويعتبر السوفييت أن النظام الحالي هو ضد الامبريالية وصديق للاتحاد السوفيتي، وأكدا على دعم السيد صدام حسين التكريتي وضرورة تعاون الأكراد معه ودعمه أيضاً في كافة الظروف.

إضافة تكلم المبعوثان بشكل مطول عن الأهمية التي يوليها الاتحاد السوفيتي للعراق وللحركة الكوردية وأهمية حل القضية الكوردية مع الحكومة الحالية والشيوعيين ضمن إطار جبهة عراقية موحدة معادية للامبريالية. وأعربوا عن استعدادهم لمساعدة الشعب الكوردي بكل ما هو ممكن وفي مجالات عديدة بعد أن يتوصلوا إلى اتفاق مع الحكومة العراقية.

تكلم ملا مصطفى وأعضاء المكتب السياسي بصورة مطولة عن موقف حزب البعث ونقاط الاحتكاك مثل برنامج التعريب. والإخفاق في تحديد حدود المنطقة الكوردية. ضعف المشاركة الكوردية في الحكومة. محاولة اغتيال البارزاني وقضايا أخرى متعلقة بغياب حسن النية لدى البعث. كل هذا أدى إلى فقدان تام للثقة بنظام البعث وقدرته في حل المسألة الكوردية. لقد عرضت وجهة النظر الكوردية بالتفصيل والمبعوثين السوفيتيين وعدا بنقلها كما سمعوها إلى القيادة السوفيتية.

لم يطرح المبعوثان بأية مقترحات عملية لكي يتبناها الكورد أو الحكومة العراقية لحل المسألة الكوردية. ملاحظاتهما تركزت على الضغط على البارزاني للتعاون مع صدام حسين التكريتي والنظام والانضمام إلى الجبهة الوطنية مع البعث والشيوعيين. الدبلوماسيان كانا يحملان رسالة شفهية من القيادة السوفيتية إلى البارزاني. ونقاط مختصرة مكتوبة تتعلق بالنقاط الأساسية التي ينبغي مناقشتها كما ورد أعلاه. وذكر المبعوثان أن النظام قرر منح الحكم الذاتي للشعب الكوردي قبل 11 آذار وذكرا أهمية تجاوب الكورد بشكل ايجابي مع الحكومة في هذا الشأن.

تعليق المصدر: أحد أعضاء اللجنة المركزية لـ (حدك) واجه المبعوثان السوفيت بتهمة أن السوفيت يدربون الجيش العراقي لاستخدام الغازات السامة حيث زودوا بها الحكومة العراقية لإبادة الشعب الكوردي. أنكر المبعوثان علمهم بذلك وطلبوا الإثباتات أو التقارير التي بنى عليها الكورد معلوماتهم. ردّ الموظف الكوردي بأن مصدرهم موثوق به ومقنع للأكراد وانه لا يرغب في الإفصاح عن هوية المصدر للسوفيت وان الاتحاد السوفيت قادر على التأكد من صحة ذلك.

تعليق المصدر: أعرب البارزاني عن قلقه من أن السوفيت سيمنحون النظام العراقي كل الدعم لحملة عسكرية للقضاء على الكورد. وعلق الزائران السوفيتيان بأن العراقيين والإيرانيين قد دخلا في مناقشات دبلوماسية سرّية وهل فكر الكورد ما ذا سيعني ذلك

بالنسبة لهم. رد زعماء (حدك) إن هذا من شأن الحكومتان ولا يعنينا. في الحقيقة، وعلى أية حال، كانوا على علم بالحوار ومهتمين نوعاً ما في حالة ضمان إيران لمطالبها في شط العرب، فإنهم قد يوقفون أو يقلصون دعمهم للبارزاني. إن تجدد الحملات الدعائية الإيرانية المعادية للعراق منذ 5 حزيران تهدف إلى طمأنة الكورد من أنهم لن يخسروا الدعم الإيراني."

كانت هناك نصائح أمريكية للقيادة الكوردية بإعلام الإيرانيين بتفاصيل الاتصالات مع السوفييت. لكننا نشك في وجود نصائح أمريكية لإيران كي تساعد الشعب الكوردي لنيل حقوقه. وكان الأمريكان على علم بألاعيب الشاه قبل اتفاقية الجزائر. وأدركوا أن الهجوم الإعلامي الإيراني ضد البعث إنما هو لتضليل القيادة الكوردية وخلق وهم لديها بعدم التخلي عن مساندة الحركة الكوردية ضد البعث، في حين كان الحوار جارياً بين بغداد وطهران. لم تفطن القيادة الكوردية إلى قوانين اللعبة الدبلوماسية الخطرة.

كانت الولايات المتحدة على علم بأهداف الشاه من وراء دعمه المدروس للحركة الكوردية. وكانت أيضاً موافقة على سياسة الشاه الهادفة إلى استغلال الحركة الكوردية لتحقيق مصالحه ولم يكن ذو أهمية ما سيحصل للشعب الكوردي! فمن وجهة نظر (مكتب الاستخبارات والأبحاث) في تقريرها المعد في 31 مايس 1972 ، يذكر التقرير:

"في حالة سيطرة زمرة متواطئة من أنصار البعث والسوفييت على كوردستان العراق، بالتأكيد ستتمكن من ممارسة الضغط على إيران وحتى خلق قلاقل في شرقي تركيا. في الحقيقة يبدو أن هذا هو أحد دوافع القيادة العراقية – وليس دافع السوفييت - في دفع الأمور في كوردستان العراق نحو التسوية.". كانت هناك خشية لدى الأمريكان من أن التفاهم مع الأكراد يحمل في طياته مستقبلاً إمكانية استخدامهم من قبل الحكومات الراديكالية حيث اشتهر بها العراق، ضد حلفاء أمريكا: إيران وتركيا. ولذا نميل إلى عدم ارتياح واشنطن في تفاهم جاد بين الحركة الكوردية وحكومات بغداد.

البناء الذي أستغرق حوالي 14 عاماً انهار خلال أيام. وليس من شك إن المهندسين الذين تولوا مسؤولية هذا البناء لم يكونوا في مستوى المهام التاريخية التي تولوها. معظم المهندسين تركوا البناء ينهار فوق رؤوس الذين كانوا داخل البناء، بينما نجوا هم من صدمة الانهيار سالمين. انتهت الحركة الكوردية خلافاً لكل التوقعات، خلال أيام. ومنع قائد الحركة باصرار كل محاولة للاستمرار فيها، كما سبق لنا وان شاهدنا مساعي أسعد خوشفي، وكان

بإمكانه دون أدنى شك مواصلة القتال وتغيير موازين القوى بالتدريج - رغم المصاعب- لصالح ديمومة الحركة الكوردية. لكن رئيس الحزب منع ذلك. سمعت من أسعد خوشفي نفسه تفاصيل إصراره على مواصلة القتال. وأعلم قائد الحركة ملا مصطفى. أن لاشيء ينقصنا. العتاد والطعام والمعنويات والأرض المحررة وتصميم الشعب الكوردي في بادينان على النضال بعزم وهمة. "حتى النساء يريدون مواصلة النضال."[561]. لكن دون جدوى.

ولو أخذنا بالاعتبار ما كان سيكون عليه الموقف السوفيتي وموقف قوى أخرى. يذكر جلال طالباني: "قبل إنهاء الحركة الكوردية التقيت بريماكوف في بيروت فطلب مني مواصلة القتال وعدم الاستسلام لطلب الشاه. وقال إن الحركة الكوردية باستسلامها ستمجل على نفسها كونها حركة عميلة وتابعة. وبمقاومتكم يمكننا التوسط بين الحركة الكوردية وبغداد ونقول لهم إنهم غير موالين لإيران وإنهم مجرد حركة كوردية. وقد كتبت رسالة إلى مقر البارزاني بهذا الخصوص. وكان جوابهم اتركوا هذا لأنه يريد خداعنا."[562] كما يذكر طالباني بإمكانية أخذ مساعدات من التجمع العراقي في دمشق فيما لو استمرت المقاومة. وكذلك من سوريا وليبيا. القذافي كان ضد توجهات البارزاني في التعامل مع إيران.

كان الشعب الكوردي وحركته التحررية أحوج ما يكون الى قيادته بعد اتفاق الجزائر في مارس 1975. وقد استفزته المؤامرة. وكان يتطلع الى استمرار المقاومة وأن تستيقظ القيادة الكوردية وتعود الى الوقوف مع شعبها. لكن كانت الخيبة. هناك فرق كبير بين زعامة مضحية. تثبت أصالتها ساعة المحنة ويأبى إخلاصها وتفانيها من أجل قضية الشعب العادلة التخلي عن الجماهير ساعة الحقيقة وبين زعامة لامبالية بحكم التاريخ ومعاناة شعبها. وقد رأينا إحدى أهم الخصائص المرافقة للنضال الكوردي في النصف الثاني من القرن الماضي هو عدم كفاءة القيادة الكوردية وعزوفها عن استخدام المساعدات الخارجية لترصين الجبهة الداخلية الكوردستانية.

إن هذا الفشل يرينا مدى غياب القابليات في إدارة العلاقات الخارجية وغياب الخطط الاحتياطية لتفادي المفاجئات التي تتميز بها علاقات الدول المتخاصمة والجارة. فهل كان من الحكمة إبقاء الحركة تحت رحمة قوى خارجية لا تكن للشعب الكوردي غير العداء وفي أحسن الأحوال اللامبالاة كما كان الحال مع واشنطن وإسرائيل. فالدول تتصالح عند بلوغ حدة التوتر مستوى تهديد جدّي للمصالح الحيوية للبلدين. ولم يكن ممكناً استمرار العداء

561 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. ص: 416

562 مجلة الوسط. العدد355. 1998/11/16

بين بغداد وطهران إلى مالا نهاية. ورأينا أيضاً أهمية "التنازلات الوقتية" المتبادلة بين الدول للقضاء على ما تعتبره الدولة خطر داخلي. وفي الواقع أدرك الطرف الإيراني خطأه في تخليص العراق من التورط الكوردي. لكن كان الأوان قد فات. فتخلص العراق من القتال في كوردستان. هيأ له مجال أوسع في التنافس مع إيران في مجال التسلح. وهذا ما أخاف الشاه. أراد صدام حسين من وراء اتفاقياته سواء مع القيادة الكوردية أو مع الشاه. تجاوز مشاكل آنية ضاغطة بقوة على بقاء نظامه. وعندما تخلص منها. ارتدّ عليهما في وقت يختاره هو. لكن في الوقت ذاته. اتفاقيات كهذه. ترينا خطورتها على الأمد البعيد. إذ تدخل في خانة المغامرات والمجازفات السياسية والعسكرية التي تستنزف موارد وطاقات الشعوب وتقود الأوطان الى خراب.

خلقت اتفاقية الجزائر لدى الدولة العبرية انطباعا يوحي ببدء حصول خلاف في وجهات النظر حول الشؤون الإستراتيجية بين طهران وتل أبيب. وقد انتاب القلق الحكومة التي كان يرأسها اسحق رابين. فسافر الأخير إلى طهران ليستمع من الشاه شخصياً التفسير الذي حدا به إلى توقيع الاتفاقية مع صدام حسين. ذكر له الشاه:

"اعتقدت أن الحرب حتمية مع العراق. وان الاتفاقية ستوفر لنا الوقت[563]".

إن كان هدف الشاه من اتفاقية الجزائر هو الاحتفاظ بميزان القوى لصالح إيران. فقد أخطأ. إذ بانتهاء الحركة الكوردية. أزيل عامل ضعف كبير في موقف بغداد. وأمست الأخيرة في موقف عسكري أقوى لمنافسة الشاه وخلق الاضطرابات له. واعتبرت: "إسرائيل أن الشاه ارتكب خطأ استراتيجي كبير بتوقيعه على اتفاقية الجزائر. فبدل أن يكسب الوقت لصالح إيران كسب صدام حسين الوقت لصالحه"[564] شعر رجال الموساد بقلق الإيرانيين من التسلح العراقي. لذا ناقشوا مع السافاك موضوع دعم أكراد العراق مجدداً. "إن اعتراف الإيرانيين بأن نهاية التعاون مع الأكراد سمح بنهضة العراق في مجال القوة العسكرية. خلق الأمل لدى إسرائيل باحتمال إعادة فتح المنفذ الكوردي. رغم أخذ المقترح بالاعتبار. الا أن إيران لم تقدم جواباً محدداً حسب قول الإسرائيليين. لكن موظف حكومي إيراني سابق. يقول أن وثائق السافاك السرّية تشهد على حصول تعاون بين إسرائيل وإيران وجماعة البارزاني في عام 1978. لكن في مجال أضيق بكثير. فقط أربع من عملاء

---

[563] Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yale University Prss.2007. P: 58

[564] Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yale University Prss.2007. P: 58

السافاك كانوا على دراية بالعملية."[565] رغم استياء إسرائيل من ميل الشاه نحو الدول العربية، بقيت العلاقات الإسرائيلية - الإيرانية تتسم بالحيوية فيما يخص التعاون الاستراتيجي لأمنهما.

إن إهمال وضع الخطط البديلة من قبل القيادة الكوردية، عند قطع المساعدات من الدولة أو الدول المانحة، يشير الى عدم وقوفها على أرض ثابتة، مما يسهل للدول استخدام الورقة الكوردية لصالحها، ومن هنا خطر الوقوع في لعبة التداول. وقد عانت القضية الكوردية من هذا المأزق بصورة مأساوية. ثم إن التجاء القيادة الكوردية إلى إيران، زاد من وقوعها تحت التأثير الإيراني، ولم يكن بإمكانها إعادة إحياء الحركة إلا برخصة إيرانية، وهذا ما جعلها تدور في نفس المحور الخطر الذي يخدم بالدرجة الأولى مصالح إيران. فإيران لم تتعامل مع الحركة الكوردية إلى من منطلق مصالحها، وكانت نظرتها معادية للحقوق القومية الكوردية. إن عدم أخذ ذلك في الاعتبار هو خطأ استراتيجي مميت.

اهتمت الولايات المتحدة الأمريكية بالاتفاقية من وجهة نظر جيوستراتيجية فأعدّت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) بالتعاون مع جهات مختصة أخرى مثل (OCI) دائرة المخابرات الراهنة و (INR) مكتب البحوث والمخابرات و (DIA) وكالة الدفاع والمخابرات، تقريراً حول نتائج اتفاقية الجزائر الموقعة في 6 أذار عام 1975، مؤرخة في الأول من مايس 1975 بهدف دراسة ما ينجم عنها من أثار بالنسبة للمشاركين، وبالنسبة لبلدان أخرى في المنطقة إضافة إلى القوى العظمى، وتقع في 11 صفحة، تجدون نصها في الملحق.

ربما عامل أخر يفسر الانهيار الصاعق للحركة الكوردية وعدم بروز نخبة جديدة تلد مباشرة وبشكل فوري من رحم الانهيار، فالسقوط كان يمكن إن يأخذ مسارين، كما هو الحال مع المرض. فالإنسان قد يصاب بمرض يفتك به تدريجياً وعلى مراحل زمنية تستغرق وقتاً، في هذه الحالة يكون الإنسان على وعي بدنو الأجل وتتهيأ عائلته وأقربائه لاستقبال نبأ الموت، وعندما تصل النهاية لا يفاجأ بها أحد، فإجراءات رحيله أعدت سلفاً. وهناك أيضاً الحالة الثانية المتمثلة في "السكتة القلبية"، حيث يكون النبأ صاعقاً الى حدود الذهول والشلل والعجز، بحيث لا مجال أمام أحد غير الاستسلام للقدر الذي باغتهم. أظن ان الثورة الكوردية وبالطريقة التي أنهتها القيادة الكوردية كانت أقرب إلى "سكتة قلبية". لاشك

[565] Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yale University Prss.2007. P: 77

إطلاقاً أن مرض الفساد والاستهتار بمبدأ العدالة وفهم الثورة كانا قد وضعا مصداقية القيادة و أهليتها في قيادة الشعب الكوردي موضع الشك. لكن تسليم شعبهم إلى نظام معاد وظالم بالطريقة التي صممتها القيادة الكوردية كان في غاية الصعوبة تقبله. لأن الاستسلام لنظام بغداد كان يعني تحويل شعب كامل بعد كل ما قدمه من تضحيات الى شعب مستعبد ذليل. إن خطوة القيادة الكوردية في إنهاء الثورة كانت على طريقة "السكتة القلبية" فأحدث النبأ الاندهاش والشلل والعجز على الحركة.

الفكرة التي تمسكت بها القيادة الكوردية خلال أكثر من عقد من الزمن. هي استحالة التفاهم بين طهران وبغداد. أو صعوبة هذا التفاهم وعلى أساسها بنت القيادة الكوردية سياستها. ورفضت بعناد التعامل باحترام مع شعبها وفق أسس العدل وترصين الجبهة الداخلية وإشراك القوى الفاعلة في الثورة في القرارات المصيرية. تلجأ إليه القيادة ساعة غلق المنافذ أمام المساعدات الخارجية. هذه الاستحالة في التفاهم حسب تصور القيادة الكوردية. لم تكلف الشاه سوى بضع ساعات في الجزائر ليزيل العراقيل أمام تفاهم مشترك مع بغداد. ولم تقتضي من كيسنجر وفي نفس عام 1975سوى اجتماع واحد لكسر الجليد بين واشنطن وبغداد. وفي الحقيقة ما أن تحسنت العلاقة مع طهران حتى سارعت واشنطن إلى العمل لتحسين العلاقة مع بغداد.

بدأ نظام البعث بمد الجسور نحو أوروبا الغربية في نفس عام انهيار الحركة الكوردية بشكل أكثر كثافة. ففي 9.5. 1975 وفي عصر يوم رائع من خريف مبكر هبطت طائرة البوينغ 707 في مطار اورلي بباريس المزدان بصقر صلاح الدين وهو الرمز الوطني العراقي. وعلى متنها صدام حسين. كان يوم جمعة وكان رئيس الوزراء الفرنسي جاك شيراك في مقدمة المستقبلين. وقد امتد البساط الأحمر على الممر المؤدي إلى VIP .

حتى هذه الزيارة الهامة إلى فرنسا. كان الإتحاد السوفيتي هو مزود السلاح الرئيسي للعراق. لكن فرنسا كانت متلهفة إلى بيع سلاحها أيضاً. إن شراء السلاح الفرنسي يفتح أمام العراق "خياراً ثالثاً" خارج نفوذ القوى العظمى وبدون شروط سياسية ملزمة. لاقى ذلك هوى لدى صدام حسين الحريص على تقليص الاعتماد على السوفييت.

وعلى رغم سن صدام حسين البالغ 38 عاماً وكونه يأتي في الدرجة الثانية في سلم النظام ألبعثي. ألا أن الفرنسيين منحوه كل تشريفات رئيس دولة..... كان الفرنسيون بحاجة ماسة إلى صدام حسين مثلما كان الأخير بحاجة إليهم. فلدى العراق شيء يحتاجونه

لبيقى اقتصادهم طافياً. إنه البترول. وبالتدريج دخلت فرنسا العراق من أوسع الأبواب. وبدأ نظام البعث محاولاته للحصول على القنبلة النووية وكان الجشع الفرنسي للمال يلبي معظم طلبات الدكتاتور العراقي. حيث الطريق إلى الغارة الإسرائيلية على مفاعل تموز في 7 حزيران عام 1981 بأمر من رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن.

اقتصر تقريباً بناء القدرة العسكرية العراقية على الشركات الغربية. ويقول الخبير في شؤون السلاح والذي حقق في مصادر تسليح العراق ,KENNETH R. Timmerman أن 445 شركة ساهمت في صناعة مكينة الموت العراقية. وعند تحديد "المسؤولية الخطيرة. فمن ضمن جميع المجهزين تأتي ألمانيا الغربية في المرتبة الاولى. نفس ألمانيا التي تعهدت بعد الحرب العالمية الثانية أن لا تشكل أبداً تهديداً للسلام العالمي. فبدون مساعدات الشركات الألمانية وتأيد حكومة بون. لما تمكن صدام حسين بناء الصناعة العسكرية الكيمياوية."[566]

في الواقع أسهمت اتفاقية الجزائر في تسهيل عودة التفاهم بين واشنطن ونظام البعث. فقبل نهاية العام. في 17. 12. 1975 وفي مبنى إقامة السفير العراقي في باريس. اجتمع كيسنجر مع وفد عراقي بحضور وزير الخارجية العراقي سعدون حمادي:

"كيسنجر: لم يكن لبلدينا الكثير من الاتصالات في الأعوام الماضية. وأريد بهذه المناسبة إقامة الاتصالات. أعرف أننا لن نحل جميع مشاكلنا خلال اجتماع واحد. إنها ستأخذ على الأقل اجتماعين. (ضحكة) وأظن أن تبادل الأراء بشكل مقتضب سيسهم. واقدر مجاملة الاستقبال هذه من جانبكم.

حمادي: إنني مسرور بلقاء فخامتكم. لم يكن لدينا اتصالات. لأسباب تعرفونها ونعرفها نحن. من المفيد دائماً تبادل الأراء.

(..........................)

(..........................)

(...............................)

---

[566] Death Lobby. KENNETH R. Timmerman How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company.1991 Page: 394-397.

حمادي: تشير الصحافة إن الولايات المتحدة كانت تقدم السلاح إلى الحركة الكوردية في شمال العراق. موقفنا لم يبنى على ذلك. لدينا أسباب للاعتقاد إن الولايات المتحدة ليست غائبة عن ذلك. ماهو رأيكم؟

كيسنجر: كنا نعتقد انتم تابعون للسوفييت، لذا لم نعارض ما كانت تفعله إيران هناك في المناطق الكوردية. والآن انتم والإيرانيون توصلتم إلى تسوية لمشاكلكم. ليس لدينا أي دافع للتدخل. وأقول لكم بأننا لن نقوم بأي نشاط ضد وحدة الأراضي العراقية.

حمادي: هل هذا نتيجة لتلك الاتفاقية؟ التي جعلتكم تفكرون بأننا لسنا تابعين؟

كيسنجر: لدينا الآن تفهم أشمل. إنكم أصدقاء الاتحاد السوفيتي لكنكم تعملون وفق مبادئكم.

حمادي: في العام المقبل لو وقعنا اتفاقاً اقتصادياً مع الاتحاد السوفيتي هل ستعودون إلى الرأي الآخر؟

كيسنجر: لو لم أكن جادا في إقامة علاقات جديدة مع العراق، لما جئت إلى هنا. لو أقمتم علاقة اقتصادية مع الاتحاد السوفيتي فهذا شئ يعود لكم. نحن لا نتدخل. ففي رأينا إنكم تمارسون سياساتكم الخاصة بكم. نحن لا نحب أن تعملوا كما تريدون. (ضحكة) نحن نتحرك نحو علاقات أكثر تعقيداً مع العرب. لا أعتقد أن سياستنا الحالية تتعارض مع سلامة وكرامة العراق.

حمادي: لدينا نظرة مختلفة. لدينا علاقات مع الاتحاد السوفيتي، نستورد السلاح منهم، وهذا ما أدى بالولايات المتحدة إلى التدخل وتشجيع حركة كانت تريد تمزيق بلادنا.

كيسنجر: هذا مبالغ فيه. لم نكن من ضمن البلدان الرئيسية المشتركة في ذلك.

حمادي: لكن الولايات المتحدة أسهمت نوعاً ما بالسلاح.

كيسنجر: نوعا ما.

حمادي: أراد الأكراد تمزيق العراق.

كيسنجر: لا فائدة من مناقشة الماضي. باستطاعتي أن أؤكد على نوايانا. إنني أتفهم الاهتمام والشكوك التي تساوركم. نستطيع الانتظار. لسنا بحاجة إلى التوصل لقناعة عملية من هذا الاجتماع.

(..)

حمادي: أخيراً أود أن أشير إلى إن المشكلة الكوردية حيوية بالنسبة لنا.

كيسنجر: أؤكد لكم. لا داعي للقلق. ليس بالإمكان عمل شيء فيما يخص الماضي.

وثم رافق وزير الخارجية العراقي هنري كيسنجر وصحبه إلى الباب لتوديعهم.

(......................................)

(..)[567]

في هذا الوقت، كانت آلاف القرى في كوردستان تتعرض إلى عملية إخلاء قسري مبرمجة وسكانها يرحلون إلى صحاري العراق الجنوبية. وسياسة تعريب كوردستان في أوجها، وبالتدريج، كانت الخطة البعثية، تهدف إلى طمس معالم هوية الشعب الكوردي القومية وتعريب وطنه كوردستان، أسوة بما قامت به تركيا الكمالية في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين.

لم يتوقف انحدار الشعب الكوردي نحو الهاوية الى بعد غزو الكويت وضمها الى العراق من قبل صدام حسين في 2 أغسطس 1990 والمواجهة العسكرية مع قوات التحالف الدولية وإخراج القوات العراقية من الكويت وانتفاضة الشيعة في الجنوب، تلتها إنتفاضة شعب كوردستان وتحريره لمعظم أرضه من قوات البعث المرتبكة والمنهزمة.

[567] Memorandum of Conversation. Participants: Saadun Hammadi, Minister of Foreign Affaires of Iraq. Falih Mahdi Ammash, Iraq Amb. To France. Dr. Henry W. Kissinger, NSC staff. 17.12.1975. 12:20 – 1:18 p.m. The place: Iraqi Ambassador's Residence. Rue d'Andigne. Paris XVI.

لا خيار غير الاستسلام

حانت ساعة الحقيقة "كوردستان يا نه مان" كوردستان او الموت. الشعار الذي رفعته القيادة الكوردية متباهية به طوال سنوات النضال. ماذا كان موقفها أمام مارفعته من شعارات وطنية أمام شعبها؟ ومالذي حصل بعد إتفاقية الجزائر؟

Zirara قرية بارزانية. على شاكلة العديد من قرى كوردستان تتشكل من شطرين: عليا وسفلى. تتباعدان قليلاً.(ZiraraJêri) و (ZiraraJori) وهي جزء من قبيلة (شيرواني) وتقع في عمق واد ضيق. يحدها شرقاً جبل (Helbit) الشديد الوعورة مما يجعله جنة لقطعان العنز البرّي. وشمالاً نهر (Rukocik) ويدعى ايضاً بـ (Royshin) (النهر الأزرق) ومن الغرب (CiyayeLerebire) جبل لبربير المشجر وحيث خلفه نحو الغرب تقع قرى (Seremezna) ومن الجنوب هضاب منخفضة تتطامن لتشكل وادي زرارا لتلتصق نزولاً بالنهر الأزرق. والوادي الى حد ما ضيق بسبب تقارب الجبلين (هه لبت) و (جباى لبربيرى) مما يجعل الفصف جواً أمراً صعباً الى حد ما. في موقع معين من هذا الوادي كانت مستودعات السلاح موجودة ولايعرف بها إلا قلة قليلة. ومنها كانت تلبي بعض حاجات الجبهة في حوض راوندوز اثناء المعارك الجبهوية التي دارت خلال عام 1974 و حتى نهاية أذار/مارس من عام 1975. وفي الوادي ايضاً كان مقرّ (محمد خالد بارزاني) وهو أكبر أولاد شيخ بارزان.

في 17 أذار 1975 ردّت الحكومة العراقية على طلب قيادة حدك لإجراء مفاوضات ونشرته وكالة الأنباء العراقية. الردّ كان قاطعاً وصاعقاً على معنويات القيادة الكوردية. مفاده ان ليس أمامها غير الاستسلام دون قيد أو شرط. وهنا زاد تخاذل القيادة الكوردية وتخلت عن شعبها وأختارت اللجوء الى ايران والنجاة بجلدها مع ماجمعته من أموال بإسم شعب كوردستان!

في 19 أذار من عام 1975 . كنا في منطقة (Seremezna) تحديداً في (كه لوك) تحسباً للغارات الجوية وهو وادي يقع وسط هضاب (Seremezna) وكان الوقت يقارب منتصف الليل. عندما وصل رسول من (الشيخ محمد خالد) الذي كان يسكن وادي زرارا إتقاءً من الغارات الجوية العراقية. ولديه خبر مستعجل شفهي لوالدي مفاده "أن قائد الحركة الكوردية (ملا مصطفى) الذي كان على اتصال به. عدل عن رأيه في مواصلة القتال وقرر الالتجاء الى (إيران) والكل مخير في الاستسلام الى الحكومة العراقية أو اللجوء الى إيران.

وذكر الرسول لكنه يفضل ان نلتجأ الى ايران فهو أفضل من خيار البقاء في ظل حكومة بغداد" وأضاف الرسول : "ومن الضرورى الحضور الى مقز الشيخ محمد خالد غداً فى زرارا للبحث فيما يجب عمله. لأن الوقت ضيق للغاية." كما ذكر الرسول ما يوحى إخافة الناس وتحطيم معنوياتهم من أجل قبول قرار رئيس الحزب الديمقراطى الكوردستانى عندما ذكر:"هناك تأمر دولى على الشعب الكوردى وقد نتعاون جيوش المنطقة لسحق الاكراد إن قاوموا." لم تكن هناك شروحات أو تفاصيل. المهم ان قائد الحركة قرر التخلى عن القتال وعلى الجميع ان يتأقلموا مع القرار! طبعاً لم تكن لدى ملا مصطفى مشكلة في عبور الحدود الى ايران. فقد كان يعيش على الحدود في السنوات العشر الأخيرة ومن السهل العبور خلال أقل من ثلاث دقائق الى الطرف الايرانى. كانت عائلته وعوائل أبنائه اضافة الى عوائل أعضاء المكتب السياسى منذ صيف 1974 تعيش خلف خط الحدود داخل ايران. فى مأمن من القصف الجوى العراق ومن الحصار الاقتصادى. كان هؤلاء القادة فى الحقيقة [زواراً فى كوردستان] التى كانت تشهد حرباً ضروساً. فما كان على هؤلاء غير عبور الحدود من جديد والالتحاق بأسرهم. وقد سبق لهم أن نقلوا كل مايملكون الى ايران من أمتعة وابسط أثاث منازلهم الى حدود " المكنسة "[548] حسب تعبير جرجيس فتح الله.

لقد حثّ ملا مصطفى على مغادرتنا لأراضي بارزان منذ تجدد القتال صيف عام 1974 واللجوء الى إيران. لكن والدي رفض ذلك وبقينا في وطننا اسوة بمواطنى كوردستان الذين فضلوا عدم مغادرة أرضهم الى ان تخلت القيادة عن الشعب الكوردي وقررت الالتجاء لإيران. فاخترنا خيار الهجرة على البقاء في ظل نظام صدام حسين.

لكن مابالك بعشرات الآلاف من النساء والشيوخ والأطفال المتواجدين فى القرى النائية من كوردستان والبعيدة عن الحدود الايرانية. وليس هنالك طرق سيارات تربطهم بايران مباشرة. والشعب فى غالبيته يعانى من الفقر والحصار والقصف الجوى المتواصل منذ تجدد القتال عام 1974. ما أسهل اتخاذ القرارات الخطيرة عندما يدفع ثمنها شعب أسير.

كان الفرق كبيراً بين هذه الهجرة الجماعية لعام 1975 وبين الهجرات السابقة للبارزانيين في أعوام 1913 ' 1932. 1945. ففي أثناء الهجرات السابقة كان البارزانيون موحدون وتحت قيادة شيخ بارزان. فجميع البارزانيين كانوا يتبعون رمزهم الروحي أينما توجه. لكن بسبب العداء وسياسة فرق تسد التي اتبعها ملا مصطفى تجاه بارزان ومعاداته لقيمها. فقد أثرت الغالبية البقاء في منطقة بارزان وعدم اللحاق بملا مصطفى. وكانوا

---

[548] زيارة للماضي القريب جرجيس فتح الله ستوكهولم - السويد. دار الشمس للطباعة والنشر 1998 ص : 95.

يعتقدون أن النظام البعثي سوف يتركهم لشأنهم. وأدى هذا الى وقوعهم في أيدي النظام كرهائن. أبيد معظمهم عام 1983 .

كان الجيش العراقى قد سيطر على طريق هاملتون وتوغل فى تقدمه مقترباً من (گلاله). واصبح شبه مستحيل الوصول الى الحدود الايرانية دون التعرض الى مالايحصى من المخاطر قبل نفاذ مدة العفو الحكومى فى نهاية شهر مارس/أذار من عام 1975.

الحدود مع تركيا مغلقة ولاتقبل حكومة أنقرة أى لاجيء كوردى. فى الحقيقة كانت منشرحة بقرار قيادة الثورة بإلقاء السلاح. لقد وجد أكثر من مليون شخص مدني أنفسهم في فخ لامنجى منه. مما شلّ قدراتهم العقلية وساد جوّ من الاحباط والحيرة.

هذا القرار المفاجئ من جانب قيادة الحركة الكوردية "اللامبالى بالشعب الكوردى" كان يعكس تماماً طبيعة "القرارات الإرتجالية" التى كانت تصدر عن هذه القيادة. فلم يجرى أى "تنظيم للهزيمة" المهم هو ان يتحرك الناس من تلقاء أنفسهم وفق هذا المنطق وليس أمامهم خيار أخر غير الرضوخ له. لقد وجد الجميع أنفسهم أمام الأمر الواقع. فهناك ستين ألف مسلح (بيشمرگه) وآلاف من قوات الإحتياط تسيطر على حوالي 40 ألف كم مربع بما فيها من جبال ووديان ملائمة لشن حرب العصابات. كان هناك أطباء متطوعين على اختلاف إختصاصاتهم ومهندسين وأساتذة جامعات وضباط في الجيش والشرطة بمختلف المراتب. إضافة الى جهاز الأمن (پاراستن). ترى هل فكرت القيادة بمصير هؤلاء؟ وانهم جميعاً مجرمين في نظر حكومة البعث في بغداد؟ لقد حسم هذا الأمر من قبل القيادة الكوردية بسهولة وفي لحظات. تركت الشعب يواجه مصيره لوحده وكأنه أمر بسيط.

وتم ابلاغ مضمون نفس الخبر "نهاية الحركة" الى (لقمان بارزانى) فى (ريزان) و (شيخ خورشيد بارزانى) فى (شرى) وكل من (مجدالدين وشفيع و وحيد وشيخ عبدالله) وكانوا فى بارزان.

وفى اليوم التالى أى فى 20 أذار. اجتمع شملنا جميعاً فى زرارا - والدى لم يحضر بسبب وعكة صحية ألمت به - وشاهدنا العديد من القادة البارزانيون وقد استدعوا الى الاجتماع. الوجوم والحزن والرهبة كانت بادية على ملامح الجميع دون استثناء. كما تجّمع خارج مكان الاجتماع مجموعة من البارزانيين ينتظرون معرفة ماسيقرره المجتمعون. لقد كانوا قلقين بسبب صعوبة نقل الاطفال والنساء والشيوخ المسنين عبر الطريق الطويل نحو ايران.

فالجبال مكسوة بالثلوج والطقس لايزال بارداً ومدة العفو الحكومى لم يبقى منه غير تسعة أيام... هذا إن تقرر الرحيل... حالة من الانهيار المعنوى طغت على جوّ الاجتماع.

كان من بين الحضور الداعين الى مواصلة القتال. وكانت الاسباب منطقية. فقد ذكر ابن عم لى (عبدالله محمد صديق) وقد غلبه القلق من المجهول الذى ينتظرنا جميعاً على يد أعدائنا إن خضعنا لقرار القيادة الكوردية:

"أرجوكم أن تتذكروا، إن هذا ليس وقت الاستسلام. هل تتذكرون كيف واجهنا الأوضاع عام 1963. كلنا يتذكر أننا كنا وحدنا تقريباً فى مواجهة العدو البعثى الشرس. نفس بعثيوا اليوم. وفى معظم الجبهات كان القتال متوقفاً. فتركز الهجوم علينا. كان العدو يتقدم من (سه رى بيرس) نحو بارزان واحتلها فعلاً بعد معارك شديدة.. ومن (وادى ميركه سور) كانت قوات الاعداء مسندة بالدبابات والطائرات والمدفعية والجيش والجاش تتقدم نحو شيروان. أحرقوا قرانا، ودمروا حقولنا ومحاصيلنا. تركيا وايران وسوريا ساندت هذه الحملة الظالمة ضدنا، وكنا نخسر الاراضى والقرى، لكن شيخ بارزان أمر بمواصلة المقاومة. وجرى قتال بالسلاح الابيض بين (جه مى) و (شيروان مه زن) لقد تم ايقاف تقدم العدو ويأس من الانتصار. أما بشأن تدخل جيوش المنطقة الى جنب الجيش العراق، فقد سبق وان تدخل الجيش السورى عام 1963 واندحر بفعل المقاومة التى أبداها المقاتلون فى بادينان.

يحصل انفاق فى الجزائر ونحن ننهار هنا. هذا ليس منطقاً. لننتظر ولنستعد ونرى ما ستؤول اليه الاوضاع بعد الاتفاق العراقى الايرانى. لنتذكر ان شيخ بارزان كان سيأمر بالمقاومة لو كان بيننا فى هذه الساعة. ولما قبل بهذا الاستسلام ونحن نملك مالايحصى من سلاح وعتاد وارزاق واراضى محررة. سوف يواجه العدو مالايحصى من العراقيل بمقاومتنا. لايجب ان يعزى اليه تلك القوة الهائلة، ان القيادة الكوردية تهول المخاطر لغرض فى نفسها وهذا ليس صحيحاً.

وأردف يقول:

عام 1963 كنا نقاتل فى بارزان لوحدنا، هنالك اليوم مالايحصى من المقاتلين فى جميع أنحاء كوردستان سوف يقاتلون العدو."

قوطع كلام (عبدالله) ان هذا جنون، كيف يمكن ان نستمر فى القتال، ماذا عن مصير نسائنا وأطفالنا، ليس بامكاننا حمايتهم. من أين نعوض السلاح والعتاد، وسوف تغلق إيران حدودها.

عبدالله: "اننا نرى ضعفنا ولانرى ضعف عدونا. ان صدام حسين لم يوقع الاتفاقية مع الشاه الا بسبب ضعفه. أرجوكم ان تتأنوا ولاتختاروا الرحيل عن أرضنا. سوف نندم على هذا القرار يوم لاينفع الندم. أرجوا ان تعلموا جهداً إن تخلينا عن أرضنا، فسوف يأتى العدو بالعاهرات ليرقصن ويزغردن على مقابر آبائنا وأجدادنا. أليس هذا موتاً إن هذا أمرّ من الموت. سوف نصادف وضعاً نتمنى معه الموت ولانحصل عليه. وتذكروا أيضاً أن شيخ بارزان كره دوماً الالتجاء الى إيران الشاه. لننتظر ولانغادر أرضنا المقدسة."

وقال آخر: لقد قاتلنا الحكومات العراقية المتعاقبة دفاعاً عن أرضنا مرات عديدة ولوحدنا ولم يكن لنا سند خارجي. لا من إيران ولا من غيرها.

واستمر الاخذ والردّ لعدة ساعات. لكن في النهاية نحى قرار المقاومة المسلحة جانباً ومال (شيخ خورشيد بارزانى) الى البقاء فى حين قرر معظم أفراد العائلة البارزانية الرحيل الى ايران مكرهين ووسط جو من القنوط.

أسعد خوشفى بارزانى (شقيق خليل خوشفى) مسؤول منطقة بادينان العام، ألحّ على ملا مصطفى أن يسمح له بمتابعة القتال، لكن ملا مصطفى رفض بقوة مقترحه، فعاد أسعد من جديد يتوسل لإقناعه:

"هنا المقاتلون، حتى النساء كلهم مع استمرار المقاومة، لدينا كل أسباب وامكانات مواصلة القتال لعامين، معنوياتنا عالية ووضعنا جيد ودون شك سنتمكن من ابداء مقاومة ضارية، لانطلب منكم شيئاً أبدا، فقط دعونا نقاوم... يمكنكم إن تتذرعوا أمام السلطة الايرانية بحجة إن قوات بادينان تمردت على أوامركم وانني شخصياً خارج طاعتكم." تأكدت شخصياً من هذه الحقائق من أسعد خوشفي نفسه أثناء وجودنا في عظيمية – كرج – ربيع عام 1976 إذ دعاني الى منزله للتداول في الأوضاع الراهنة أنذك وأيضاً فيما بعد من سليم – إبن أسعد خوشفي – كما أشرت الى ذلك سابقاً. كما وأكد على ذلك الصحفي الفرنسي كريس كوتشيرا [569] وآخرون.

[569]Chris Kutscera. Le Mouvement National Kurde. 1979. Flammarion. Paris. P:330

لكن ملا مصطفى أبى وبصرامة الا أن يتخلى عن فكرة المقاومة. يلقى سلاحه ويلتحق فوراً به في ايران دون تأخير.

لقد فشلت حكومات بغداد تحقيق النصر على الشعب الكوردي خلال الأربعة عشر عاماً. في حين أنجزتها القيادة الكوردية العليا خلال أيام. فما لم يحلم به صدام حسين فيما يخص هزيمة الحركة رغم تنازلاته للشاه في الجزائر. أنهاها ملا مصطفى بسهولة ومثل ذلك بشرى سارة لقادة النظام البعثي في بغداد. كما مثل مفاجأة كارثية للشعب الكوردي.

لقد نجم عن الممارسة الطويلة للحكم المطلق (Despotism) لقائد الحركة ملا مصطفى في كبت الحريات وهدم القيم الثورية وافساد المجتمع والحكم بالتخويف. ان تم طحن شرائح كبيرة في المجتمع الكوردى طحناً تاماً. وهذا ما كان يصبو اليه منذ توليه الزعامة في كوردستان. أي خلق "مجتمع عاقر" لايلد غير الطائعين والمنصاعين. وافرغ المجتمع من كل "بديل ديناميكي" قادر فى "لحظة تاريخية حاسمة" على تعويض "القيادة المتخاذلة" بقيادة جريئة مخلصة تواصل النضال بعزم وهمة. فالحكم المطلق عادى وقضى على كل شيء خارجه. وترک ميدان الصراع المسلح بعد ان أيقن تماماً ان لاوجود حتى لبروز "قيادة محتملة" Potential leadership ولم يعد معه جدوى في تلك الظروف توقع ولادة قيادة جديدة تأخذ مهمة مواصلة القتال. فالشعب المسلوب الإرادة والذي وجد نفسه فجأة وقد أدخله قادته في "فخ الإستسلام". لايتمكن من النهوض الا بعد بروز نخبة جديدة من المناضلين المخلصين تأخذ على عاتقها المهمة الشاقة الطويلة الا وهى مهمة "إعادة ثقة الامة بذاتها" للبدء من جديد بالكفاح التحررى. كما ان "قيادة منهزمة" تظل لدى شريحة هامة من الشعب المُحبط "قيادة بطلة" متوهماً بأن الاسباب الخارجية ومؤامرات الأعداء هى السبب الرئيسى الوحيد لما حصل وان القيادة هى ضحية لهذا التأمر الخارجي الدنيء. والاخطر فى حالة الشعب الكوردى المجزأ والمحتل والمخنوق الوعي. ان حالة "اليقظة التاريخية" تعرضت بشكل مدروس من قبل الأعداء المحتلين الى التضليل وترسيخ حالة الاحباط لديه. كما تحايلت قيادته الوطنية على الحقائق لاستعادة تسلطها من جديد نجم عنها إيجاد حالة من التشويش الفكري الهائل. و فعلاً عانت الحركة التحررية الكوردية فى جنوب كوردستان من خلل في الوعى. ولم تتضح لديها الرؤى السياسية وتحديد المسؤولين عن الهزيمة ونبذهم. إذ تعذر محاكمتهم . فوقعت الجماهير الكوردية من جديد فى فخ القيادة التى كانت مصدراً للفشل والإذلال.

يعتبر 21 آذار عيد وطني كبير لدى الأمة الكوردية، ورمزاً للمقاومة ضد الظلم والانتصار عليه، هذه المناسبة تحولت الى عكس ما يوحيه العيد. الهزيمة في نوروز، إذ غادر قائد الحركة لآخر مرة كوردستان وبرافقه حراسه، في 1975/3/25 مقلاً سيارته (الرانجروفر) والتي اخذت تتقدم نحو البرج الايراني المقيم على التل والتي تجسد الحدود الدولية الفاصلة، لو وقف القائد على الربوة والتفت الى الوراء قبل عبور الحدود الى ايران، متأملاً في أية حالة خلف كوردستان وشعبها، بعد حوالي 14 عاماً من الدماء والدموع والتضحيات الجسام، لوجد انه هدم دفعة واحدة وفقط خلال أيام جميع ألأعمدة التي يرتكز عليها وجود الشعب الكوردي بالذات:

ترى هل فكرّ في آلاف المواطنين – نساء وشيوخ واطفال - البعيدين عن الحدود الايرانية وكيف سيصلون الى إيران؟

هل فكر بمصير قادة وفصائل الأنصار(البيشمركه) الذين قارعوا جيش البعث طوال سنوات النضال الشاقة؟

وماذا عن الأموال التي نقلها معه؟ ماذا عن حكم التاريخ؟

- أوجد حالة من "الهستيريا الجماعية" لايزال مجتمعنا يعاني من نتائجها السيكولوجية الوخيمة.

- قضى على جيش التحرير الثوري الكوردي (البيشمركه) كلية مسلماً إياه للجيش العراقي أو الإيراني.

- كان قد قضى على بارزان ووحدتها وقيمها الروحية ومنظومتها الاخلاقية، قضاءً يكاد يكون مبرماً وأعاد بارزان الى عصر الآغا الظالم. وهدم كل ما بناه البارزانيون خلال ما يناهز مائة وخمسون عاماً من الكفاح والهجرة والمعاناة.

أفسد وأذلّ الحزب الديمقراطي الكوردستاني وحوله الى مطية للأغوات المرتزقة وأداة مسخرة بيد أطفال العائلة..

سلم الشعب الكوردي بعد نزع سلاحه لأقسى طاغية عرفه تاريخ العراق الحديث، قراره بالهزيمة مثلت أثمن هدية يستلمها صدام حسين في كل حياته السياسية، فقد ساعدته على الامساك بكل خيوط التسلط على العرب والكرد والتركمان والآشوريين والكلدان .

وقبل اختلاس طريق الهرب الى إيران والالتحاق بالعائلة، بقي هاجس يقلق رئيس الحزب والقائد العام للقوات المسلحة للحركة الكوردية، وكان ذلك تتويج آخر أعماله في كوردستان، قبل تسليمها لصدام حسين، الا وهو إبادة جميع أفراد العائلة التي ينتمي إليها

فاخر ميركه سوري، ضمنها والد فاخر(حمد أغا ميركه سوري الذي تجاوز السبعين عاماً) ودفنوا في قبر جماعي. خرج مسعود من لدن والده وأمر بقتل من تبقى في السجون من عائلة محمد أغا.

وفي هذه اللحظات لايفصلنا عن إبادة الفيليين سوى (5 سنوات) . وابادة البارزانيين (9 سنوات) وعن عمليات الانفال (12 عاماً وعن حلبجه (13 عاماً) . وفي بداية عام 1980 كان معظم ريف كوردستان قد طاله الهدم والخراب. وتم ترحيل أكبر مجموعة من الكورد على طول تاريخهم شمل مئات الألاف من المواطنين وبدأت عمليات التعريب الواسعة معززة بجيش قوي وجهاز أمن قمعي وأموال طائلة من مبيعات النفط تسد جميع برامج التصفية العرقية.

انهى "الثورة" واحتفظ "شخصياً" ب "الثروة". ونقل عبر الحدود 24 مليون دينار أو مايعادل (72 مليون دولار أمريكي) حسب ما ذكره واحد من أقرب مقربيه وهو الدكتور محمود عثمان. وغادر كوردستان نهائياً. أولاً عدة أسابيع قضاها في نغده، ثم إنتقل وبقي أشهر في عظيمية – كرج- قرب طهران. ثم واشنطن حيث عاش سنواته الأخيرة الى ان وافته المنية هناك.

لقد تخلت وتجاهلت القيادة حتى عن اولئك الذين ربطوا مصيرهم بها وكانوا يعيشون في كنفها على بعد كيلومترين من الحدود الايرانية، لكن تجاهلوهم ساعة المحنة. وهذا واحد منهم، إنه جرجيس فتح الله، يعبّر عن هذه اللحظات الحاسمة أصدق تعبير:

".......بدأت المسيرة الكبرى الى ايران.

وكان هناك الى جهة الغرب مسيرة اخرى. ألاف من المدنيين والبيشمركه، بأسلحتهم وعتادهم وانقالهم يمرون بنقاط عسكرية عراقية ويسلّمون اسلحتهم لينقلوا الى مواضع معدّة حيث يجرى اثبات هوية كل على استمارة مخصصة. وقد جرى كل هذا بنظام دقيق وتحت ومضات عدسات المصورين والتلفزيون.

اما الى جهة الشرق فقد كانت الفوضى بعينها. لم يعد هناك شفاه تنطق بأوامر لتطاع ولا أذان مستعدّة للسماع والانصياع. كلٌ كان مشغولاً بنفسه.

كان البرج المدور الصغير الايراني المقام على ربوة. هو العلامة التى تعين خط الحدود الدولية وبعدها يبدأ الطريق الى داخلية ايران بالانحدار الى سهل مترام بطول يزيد عن خمسة كيلومترات ليبدأ الطريق بعدها بالتوارى خلف تلال. فوق هذه الربوة وعند نقطة الانحدار. وقفت والى جانبى أخر صحفى أجنبى يزور منطقة الثورة فى كردستان ليشهد الفصل الختامى ويسجله. وكان وقتئذ منشغلاً بتنبيه مصوره الى ما يفضل التقاطه من ذلك المنظر المحزن. قبل ان يحزم أمره على الالتحاق بالمسيرة. خمسون الفاً ؟ سبعون الفاً ؟ لا أحد يدرى فليس هناك من يسجّل.

خط طويل قدر مايمتد اليه البصر من كتل بشرية تملأ الطريق وجوانبه وتبدو من بعيد فهى اشبه برتل النمل الطويل التارك بيته الى بيت أخر بنظام يفتقده هذا الرتل الأدمى. فبين أن وأخر يقع البصر على سيارة مثقلة بالمتاع لواحد من رجال الثورة او المحظوظين الذين مكنهم سخاء بغداد من اقتناء واحدة.

(..................)

قررت ان اختلط بين هذه الجموع ماشياً بصحبة من اؤتمنت على سلامته. كانت هناك اوراق الخاصة وفيها ما اخترت تدوينه طوال وجودى فى الارض الكوردية المحررة. وهناك كتب عديدة ومراجع وثياب لاغنى لى عنها فى المجتمع الحضرى الجديد. وحين بدأت أختار "ماخف حمله وغلا ثمنه" كما يقول المثل حانت منى التفاتة الى تمثال نصفى لى من الجبس بارتفاع قدم ونيف - صنعه لى احد الفنانين الملتحقين بالثورة. فتناولته وضربت به الارض فتكسّر قطعاً وتحطم.

(................)

وفيم انا جالس افرز مالايمكن الاستغناء عنه من الكتب وامزق ما لا أهمية كبيرة له من اوراق اذا بى اجد لى عوناً وخلاصاً ممن لم يكن خيالى بصوره لى منقذاً بشخص السيد يونان هرمز.

كان قد ابتاع قبل شهر بمبلغ زهيد سيارة جيب صغيرة قديمة الطراز مكشوفة مخلّعة الاطراف الأ انها صالحة. عرض على ان يأخذنا معه. بهذا انقذ اوراق وبعض كتبى وجنبنى المسيرة الطويلة.

لم ارى طوال المدة المنحصرة بين أخر لقاء مع ادريس ومسعود فى حاج عمران وبين وصولى الى (نه غه ده) أحداً من الزملاء. ولم يسألنى أحدٌ طوال السنوات الثلاث عشرة التى

قضيتها في ايران وباستمرار صلتي بالمذكورين وبغيرهما من القياديين عن كيفية وصولي. ولا كيف كنت احيا خلال الاسابيع الأولى وبأي ضيافة-كنت قبل الانتباه الى وجودي. ولم أجد ضرورة أو رغبة بالأحرى أن أعيش في جوّ المعاملة الخانق........................"

عندما علم سكان قرى (Seremezna) بقرار والدي في المغادرة الى ايران. قرروا هم ايضاً النزوح معه. ففي صباح 1975/3/22 رغب والدي اولاً توديع اصدقائه في قرية ريزان والذين لايقوون على السير الطويل الى ايران. كان من بينهم من رافق المسيرة البارزانية عام 1913 مع الشيخ عبدالسلام. ضمنهم زبير الهرم والذي كان يبكي نادباً حظه التعيس لعدم قدرته على السير. وكان يتمتع بذاكرة جيدة حول الاحداث التاريخية ومرافقته للشيخ عبدالسلام الى كوردستان-ايران- وهي تحت الاحتلال الروسي. لقد تعالى البكاء الجماعي. نساء ورجال واطفال. كان هناك شعور عميق بأن كارثة هائلة حلت بهم وليس لهم حول او طول. لحظات من مراسيم دفن الامل وقبول حياة الذل والاستسلام رغماً عنهم.

في اليوم التالي صباحاً. بقلوب ملئها الحسرة غادرنا (گه لوك) تاركين كل شيء خلفنا. وعند اقترابنا من قرية (دورى) طلب والدي التوقف عند مقبرة القرية. ووقف لحظات تأمل عميقة على حافتها. ربما شعر في باطنه انه لن يعود ثانية الى موطنه. وكان ذلك بمثابة توديع لؤلئك البارزانيين الذين رحلوا الى العالم الأخر.

كان الاشد ايلاماً حالة القرية (دووري). كانت مهجورة عن بكرة ابيها. المنازل والأثاث كما كان. وقد تفرقت قطعان البقر والماعز والأغنام السائبة وسط القرية بشكل فوضوي. الكلاب بقيت ملتزمة بواجب الحراسة. لقد هجرها الرعاة مع بقية القرويين باتجاه الشرق. بقي منظر الحملان الصغيرة حافراً في ذاكرتي الى الأن وهي تلاحق ثدي امهاتها وتثغوا بصوت حزين كئيب. أو هكذا خيّل لي..

كل ما كسبه سكان القرية بعرق جبينهم خلال عقدين من الزمن. تخلوا عنه في لحظات من القنوط. وغادروا وهم لايحملون معهم من الطعام غير مايكفيهم للوصول الى الحدود الايرانية عبر الطريق الطويل الوعر. سيراً فوق الثلوج ووسط الرياح الباردة.

هذه الحالة تنطبق على عديد من سكان قرى كوردستان بعد انهيار القيادة الكوردية وفرارها الى ايران.

وتكرر نفس المشهد فى قرية ليربير وقرى اخرى على خط الممر الطويل المتعرج الذى يقود عبر جبال متوجة بالثلوج الغزيرة الى (كادر). والدي يطلب لحظات توقف علي حافة معظم المقابرثم يتابع السير.

وصلنا المدينة الكوردية (شنوى) مساء 1975 /3/27 وقادنا حرس الحدود الايراني الي مسجد شنوي المكتظ بالاجئين القادمين من وراء الجبال الغربية في طوابير طويلة من نساء وشيوخ واطفال ومرضى ونساء حاملات . ثم نقلنا البوليس الايراني في اليوم التالي الى مدينة (نه غه ده).

وفي اول لقاء في (نه غه ده) مع ملا مصطفى بعد الهزيمة. وكان قد وصلها قبل انتهاء شهر أذار/مارس. وكنت مع والدى. تكلم عن سروره لكونه نجا من الفساد المستشري في كوردستان واعتبر عبوره الحدود وإنهاء "الثورة" بمثابة عناية الهية تغمدته.! لقد شعرت على الفور انه لم يعد له تماس مع واقع المعاناة التي يعيشها الشعب الكوردي. كان يعيش في عالمه الخاص ووفق منطقه الشخصي. وقد تعود ان يكون محقاً في كل شيء. وكل هزيمة تعتبر نصراً رغم التناقض المذهل مع الواقع الماثل أمامه.

كان فريق القيادة الكوردية المنهار والمتواجد في (نه غه ده) يعرف مدى الكارثة التي جلبوها على الشعب. وكانوا يتوقعون ردّ فعل انتقامي من الشعب الكوردي. لذا كانوا متحصنين في داخل المدينة والحراس يحيطون بملا مصطفى واولاده وهم في حالة استنفار كاملة. كان هناك خوف من الشعب الكوردي - الذي شعر ان القيادة خدعته. تخاذلت وهربت لتنجو - وخوف من عملاء نظام بغداد. لكن المشكلة هي ان القيادة الكوردية كانت قد اتخذت خطوة سلامتها من أي انتقام جماهيري كوردي. عن طريق دفع الشعب الكوردي بسرعة فائقة الى داخل القفصين: العراقي و الإيراني . بحيث لا يتمكن من التحرك ضدها. فقرار الهزيمة وفرّ لحكومة طهران وبغداد السيطرة على الشعب الكوردي وحركته على جانبي الحدود. أي ان قرار الهزيمة وبتلك السرعة فوتت الفرصة على الجماهير الغاضبة من التحرك ضد قيادتها. وربما تشكيل قيادة أخرى تواصل النضال.

كان الإعلام الحزبي الموالي لملا مصطفى قد خلق حالة من الرضى الوهمي للذات. وعندما نسفته الحقائق والوقائع نسفاً. بقي هو لا يخرج من الوهم. بل يصرّ على أن الذي حصل – هزيمة 1975 - هو إنقاذ ومن هبات العناية الإلهية. الاعلام الحزبي المضلل كان واحداً من أسباب كوارث الأمة وهزائمها والحائل دون تطور الوعي والروح الانتقادية. كان

إعلاماً بني على النفاق ويعمل على تطويع الجماهير لقيادة دكتاتورية غير ملتزمة بالمبادئ الوطنية.

في197/5/275 تعرضنا مع والدي والعائلة لعملية اغتيال. كنا نسكن في منزل على مشارف المدينة. وعلى بعد حوالي 15 متراً وبحلول الظلام فتح مجهول النار علينا وأفرغ من كلاشينكوفه 30 طلقة دفعة واحدة تجاهنا. لقد وردت معلومات تشير إلى وقوف (فارس باوه) وراء محاولة الاغتيال. فقد كانت السلطات العراقية قد اشترته بعد بيان أذار عام 1970 كما هو الحال مع آخرين.... كنا نسكن في منزل نوافذ غرفها الامامية كبيرة وبلا ستائر. وكانت المصابيح الكهربائية مضاءة. المكلف بعملية الاغتيال كان يرانا. في حين كان هو في الظلام ولا نراه نحن.... خلفنا كان مخيم مكتظ باللاجئين وقد أصيبت ربة بيت بارزانية برصاصة قاتلة. واختفى الجاني.

وفي1975/10/12 بدأت قافلة من السيارات بالتحرك صباحاً من (نه غه ده) الى عظيمية - كرج - قرب طهران وقد وصلناها بعد منتصف الليل بقليل. واستمرت حياة الذل في قصور فخمة وبرواتب من حكومة الشاه محمد رضا بهلوى.

في أواخر عام 1974. كنت قد أنهيت كتاباً عن بدايات ظهور الطريقة النقشبندية في بارزان. وطلبت من ملا مصطفى أن يمنحني نسخة من كتاب كان جدّ والدي قد كتبها بخط يده في غاية الروعة. لأعمل فوتوكوبي لصفحة واحدة فقط كنموذج.. قلت له انني اريد طبع كتاب عن تاريخ بارزان في القرن التاسع عشر الى بدايات الحرب العالمية الاولى. امتعض كثيراً ولم يتقبل الفكرة. كانت صدمة بالنسبة له. وبما انه وكما وصفته الدعاية الحزبية المضللة بالزعيم الوطني التقدمي والثوري والتحرري. فانه تفادى إظهار العداء المكشوف لكتابة التاريخ وتدوين التراث وغطى نياته الحقيقية بحجة احترام رغبات الاسلاف من عائلتنا والرضوخ لما ألفوا عليه من عادات. وكانت حجة مكشوفة لم أسمع بها من قبل : "الا تعلم أنه محرّم على أفراد عائلتنا تأليف الكتب" . قالها بلهجة تنم عن شديد كرهه لكتابي هذا . انه لم يطلب القاء نظرة ومعرفة ما يحتويه من مضمون. لم يهتم بالمادة على الاطلاق. فالمشكلة بالنسبة له انني كتبت كتاباً وهذه جريمة في حدّ ذاتها. كان هذا أمراً غير مقبول. كان يعمل على ابقاء الجميع في "قفص الجهل" وقد فرض "الجهل الكلي" على البارزانيين. فالشيء الوحيد المقبول هو ذلك الذي يصدر منه. وماعداه محرّم . لم تغيره صدمة الهزيمة الوطنية. لابل غاص أكثر في سلبياته. وجدته شديد الكراهية لنبش الماضي. فقد كان يعرف أن نبش الماضي يكشف أموراً يريد هو إخفائها. بقي هو هو منتصراً وزعيماً

وقائداً مظفراً في جميع المجالات ومن المحرمات ان يجادل في شيء. وعندما سألت عدداً من أقرباني في العائلة عمداً، اذ كنت على يقين بعدم صحة ما قاله. سألتهم عن مدى صحة النظرية الجديدة "أنه محرّم على أفراد عائلتنا تأليف الكتب. ابتسموا وقالوا انهم لم يسمعوا بهذه النظرية وهي غير صحيحة اطلاقاً . الهدف هو تكريس الجهل.

لقد أيقنت أن ما جرى و يجري هو تطبيق مخطط لعقم ثقافي عام في المجتمع الكوردستاني. وقد عانت منه مناطق بادينان أكثر من مناطق سوران. لكون الأولى وقعت تحت سيطرته المباشرة لعقود من الزمن. بينما نجت منها أجزاء كبيرة من مناطق سوران الى حد كبير وتمكنت من إنتاج ثقافة مستقلة تماماً عن نمط الفكر الحزبي المؤمم. ومن هنا تبدأ التغييرات السياسية في السليمانية. بعدها ينتقل التغيير الى المدن الكوردية الأخرى. هذا الإفقار الحضاري المخَطط له من فوق والمصحوب بنشر الفساد الناجم عن طول الاستئثار بسلطة مطلقة ولا مسؤولة. ومن أخطر مضاعفاتها ضرب قيم الوطنية والنزاهة والاجتهاد والثقة بالعدالة في المجتمع. ونتج من هذا خلق مجتمع انتهازي خنوع يميل بقوة نحو الارتزاق والعمالة. فخوف النخبة الحاكمة من الفكر المستقل يجعلها تستفز الى حدود العداء من كل دراسة تاريخية لكشف خفايا الماضي. إن أية سلطة ترفض تبلور أفكار جديدة، اجتماعية وسياسية واقتصادية خارج حقل تسلطها المباشر، تجنح للعنف وتعميم الإذعان ومعاداة الحريات.

ربما كان بداية شهر شباط. لا أتذكر بالضبط. جاء مساءً أحد حراس مسعود (خدر دولمري)، وقال أن مسعود أبلغه أن آوي (إبراهيم كاباري)[570] ليلة واحدة عندي في البيت وأن أصحبه صباحاً بسيارتي الى كرج لكي يعود الى سوريا. فقد جاء بمهمة سياسية خاصة من حافظ الأسد وجلال الطالباني. والمبرر حسب قول مسعود أن بيته مراقب لذا لايريد أن ينام في منزله. لم أفهم لأن المنزل الذي كان يسكن فيه ملاصق للمنزل الذي كنت أسكن فيه والمسافة بين باب منزله ومنزلي لايتعدى ثمانية أمتار. كان إبراهيم كاباري قد عمل مع أجهزة مخابرات عديدة منها أخيراً الهاراستن. وكانت الصلات بين الباراستن والسافاك الإيراني متشابكة. وفي الصباح الباكر رافقته الى كرج. ونزل من السيارة وعدت أنا الى المنزل. حيث كان المفروض ان يعود الى سوريا حسب قوله وقول مسعود... مضت عدة

---

[570] حسب رأي مسعود ملا مصطفى أن (ابراهيم كاباري) كان قد جاء الى العراق بعد بيان 11 اذار 1970 "مرسلاً من قبل المخابرات السورية وقد حدد واجبه وهو القيام بعمل يؤدي إلى الإخلال بالعلاقات بين السلطة والثورة." ص: 269 من كتاب البارزاني والحركة التحررية الكوردية- ثورة أيلول... *لكنه انضم الى الباراستن فيما بعد. وبعد سقوط الثورة لجأ الى ايران ومنها عاد الى سوريا ثم رجع الى ايران وعاد الى سوريا حيث سجن لما يقارب العقدين. ويقيم في اربيل منذ ان أطلق سراحه.الخط المائل من تعليق المؤلف.*

أسابيع، وبالضبط في 1976/2/19 كنت اتناول وجبة الغداء في البيت. إذا بعميل السافاك الإيراني وهو من اصل كوردي، اسمه بياتي - مسؤول فرع كرج للسافاك المختص بالأكراد اللاجئين – يدق جرس المنزل حوالي الساعة الثانية عشر والنصف بعد الظهر. كان يريدني على عجل. قلت له انني أتناول غدائي الآن واقترحت عليه الدخول ومشاركتي الغداء. رفض والحّ عليّ الذهاب معه فوراً وقال تلقينا أوامر من طهران بلزوم حضورك الفوري ولامجال لإنهاء الغذاء. شعرت بأن شيء ما قد حصل. عدت لأرتدي سريعاً ونزلت. ورفض عميل السافاك أن يصحبني أحد. كان وحيداً في سيارته. وبعد السير بنحو كيلومتر نزولاً نحو كرج، أوقف السيارة أمام الرصيف ودخلها عميل أخر كان في الانتظار. لم اراه من قبل. جلس على المقعد الخلفي. ثم تابع السافاكي قيادة سيارته وأجتاز كرج ودخل الطريق السريع المؤدي الى طهران. لم يقل لي لماذا أنا مطلوب. وربما كان يجهل حقيقة الأمر. كان البوليس السري مخيفاً إلى درجة كبيرة أفقد عدداً من اللاجئين الكورد القدرة على المقاومة السيكولوجية فانخرطوا إما خوفاً أو طمعاً في المال، في سلك العمالة لهذه المؤسسة القمعية. اجتازت السيارة الطريق السريع الفاصل بين عظيمية وطهران، ثم اتجهت شمال طهران. وبعد توقفت السيارة في زاوية هادئة من الشارع. وهنا قال لي عميل السافاك، الآن عليك النزول وركوب السيارة السوداء الواقفة مشيراً بيده اليها. نزلت من السيارة وفتح لي باب السيارة الواقفة سائقها. ثم أخذ بالتوجه نحو الشمال الى ان وقف أمام باب مبنى ثان، ثم نزل ودق جرس المنزل. فُتحَ باب حديدي وأشار الرجل علي بالدخول. وقادني الى غرفة في الطابق الاول من المنزل لم أشهد فيها احد. وقال انتظر هنا. كان واضحاً ان المنزل يحتله رجال السافاك. وبعد عدة دقائق دخل الغرفة عميل السافاك المعروف (تاجداري) وهو من أذربيجان، دعاني إلى الانتقال الى غرفة ثانية في نفس الطابق.

دخلت الغرفة واذا بي أمام خمسة من عملاء السافاك متجهمين وجالسين حول مائدة مستطيلة. جلست على كرسي في الوسط، وكانوا قد تهيؤا للتحقيق.

تركزت الأسئلة على من يزورني ومن هم أصدقائي وهل لي نشاط سياسي. وعندما نفيت ذلك تغيرت ملامحهم ولهجتهم وبالأخص، كما بدى لي " العميل الأكبر رتبة تاجداري" الى لهجة عصبية. كنت بكامل وعي. وشعرت على الفور باستخدام الترهيب لانتزاع الاعترافات مني. فكنت ادور بالموضوع بعيداً عن السياسة، وهنا ازدادت عصبية عملاء السافاك ونهض تاجداري من مقعده بعصبية ظاهرة مهدداً، ودار حول المائدة مقترباً لضربي. لكنني بقيت جامداً وأصررت على عدم علمي بالشأن السياسي. لم يضربني، انما ترك الغرفة وهو يهدد، وعاد بعد عدة دقائق ليوجه أسئلة أكثر دقة. لكنني أنكرت من جديد أي صلة

بالسياسة. هنا أغتاظ الجميع ونهض تاجداري من جديد متظاهراً أكثر من المرة الاولى بأنه سيفترسني. وما أن يصل خلفي. تيقنت من ان ضربات متلاحقة ستنزل بي. لكن ما ان يستقر خلف المقعد الذى كنت جالساً عليه. لم ينفذ تهديده. ثم ترك الغرفة من جديد وهو يلفظ كلمات قذرة. ثم عاد بعد حوالي دقيقتين غاضباً :

- ليس هناك شيء يخفي عنا. أنت تكذب. انك عدو لدود لنظام الشاه الذى أواك واحترمك. ان لم تقل الحقيقة فسترى كيف نتعامل معك. ووجه أسئلة دقيقة بشأن مهمة مبعوث كوردي كان قد جاء من سوريا (إبراهيم گاباري) . من جديد أنكرت علمي بمهمته السياسية. أستشاط الجميع غضباً وأخذوا بتوجيه أسئلة متضاربة وتهديدات دفعة واحدة بقصد إخافتي وخلق حالة من الارباك الفكري الشديد. اذ لم أعرف من أجيب. لكنني كنت بكامل الوعي من أن هذا هو أسلوب السافاك في انتزاع الاعترافات. نهض تاجداري من جديد لضربي بملامح غاضبة :

- هذه المرة ستنال الضربات اذ بدونها لن تعترف. أيقنت انه سيضربني هذه المرة ، لكنه ما ان وصل خلف المقعد الذي أجلس عليه. لم يبادر الى الضرب. واستمر هدوني واصراري على عدم التدخل في الشأن السياسي.

استمر التحقيق معي الى منتصف الليل. دون انقطاع . وكرر (تاجداري) سيناريو مغادرة الغرفة ثم العودة بعد بضع دقائق ليوجه اسئلة في غاية الدقة .

وعندما كان يغيب ويسود هدوء نسبي لعدة دقائق. كان تفكيري يعود الى الكلمات التي تفوه بها ابن عم لي في كوردستان في قرية (زرارا) وهو يقول :

- لا تتركوا هذه الارض. ان تركنا أرضنا. سوف نواجه وضعاً نتمنى فيه الموت ولا نناله! وفي قرارة نفسي كنت أقول له " كم كنت على حق" .

- وكنت مصمماً على عدم الاعتراف حتى لا يكون هناك ضحايا بسبب اعترافاتي.!

ولم اكن اتصور ان الآخرين لا يتصرفون من هذا المنطلق . فقد أعطوا اسمي للسافاك وأعطوا جميع المعلومات لهم.

وعندما يأس عملاء السافاك من الحصول على ما يريدون. والساعة تشير الى منتصف الليل. وبعد كل ما قاموا به من تهديد ووعيد لم ينالوا ما يريدون. أخيراً هجم علي (تاجداري) وأمسك بذراعي قائلاً بغضب شديد:

- انك لم ترى كيف نعذب سأريك الآن كيف نعذب.

أيقنت من انه سيأخذني الى غرفة تعذيب. وقادني أمام باب. فتح الباب واذا بي ولدهشتي كان مسعود ملا مصطفى جالساً وقربه عميل السافاك الإيراني المسؤول عن ملف القضية الكوردية (مبيني). وعلى الفور قال لي مسعود بالنص الحرفي. لأنه كان محيطاً بما كان يجرى معي من تحقيق. لم يستغرق وقوفي سوى ثواني :

"Min hemi tisht ye bo goti. tosh bo bibeje

لقد قلت لهم كل شيء، وأنت أيضا قل لهم .

ما أن أكمل مسعود كلامه حتى سحبني (تاجداري) على الفور وبعنف وأغلق الباب. ولم يترك مجال للكلام مع مسعود وقال بغضب:

- أكذب علينا الآن. أنت كذاب. أنت عدو لنا. انك ناكر جميل. نحن نعرف كل شيء، اننا اردنا ان نمتحن اخلاصك وعرفانك بالجميل الذي أغدقته حكومة الشاه المعظم عليك. لكن علمنا الآن انك عدو لنا. واستمر في التهديد والوعيد.

واتضح لي ان (تاجداري) عندما كان يغادر غرفة التحقيق التي كنت فيها. يغلق الباب. ويدخل الغرفة التي كان فيها مسعود ويأخذ منه المعلومات التي يريدها عني. ثم يعود الى حيث كنت قيد التحقيق. ويطرح عليّ أسئلته الدقيقة. وكنت أجهل وجود مسعود في غرفة أخرى في نفس الطابق. وانه يعطيهم المعلومات لكي يحققوا معي. فعلاً كان السافاك على علم بمهمة المبعوث الكوردي الآتي من دمشق (إبراهيم كاباري). والذي أرسله مسعود الى المنزل الذي كنت أسكن فيه. ومعلوماته كانت مستقاة من المصدر الرئيسي.

ثم سمح لنا السافاك بالعودة لكن تهديداته لي استمرت.

التقيت في اليوم الثاني بملا مصطفى مساءً. واستغربت من أقواله وموقفه الغريب. وشعرت بهوة عميقة تفصله عن قضية تهديدات السافاك. فقد عبّر عن ثقة الايرانيين اللامحدود بشخصه. وحملني المسؤولية بعبارات لا تمت الى الواقع بصلة اطلاقاً. مثل لا يجب أن تخرج كثيراً من البيت. واتضح انه لا يريد أن يرى الحقائق على الأرض ولم يقل شيئاً عن موقف ابنه مسعود المتخاذل. والأخير لزم الصمت حتى النهاية.

ثم ظهر من جديد (ابراهيم كاباري) وقال أن السلطات الإيرانية قبضت عليه. والآن أطلقت سراحه وسيعود إلى سوريا. وعند العودة الى سوريا. سجنته السلطات السورية.

وطلب مني مسعود ان لا افشي ماحصل لأي انسان آخر. وعندما قلت له سوف أكلم محمد خالد أجاب بسرعة : لا...لا.. أبداً .

رغم معاداة السافاك لي وتهديداته المستمرة. رفض ملا مصطفى خروجي. فقد كان يفضل إبقائي في القفص وتلك كانت عادة مدمنة لديه. والفضل في خروجي من ايران يعود الى إدريس ملا مصطفى. والذي كان يختلف عن والده وأخيه مسعود بإحساسه بالمعاناة الرهيبة التي يسببها السافاك للاجئين بشكل عام ولعدد محدود منهم بشكل خاص. فقد أقنع السافاك بمنحي وثيقة خروج من إيران بحجة المعالجة بعد جهود مضنية. في حين كان مسعود يرافق والده العليل في واشنطن بجواز سفر إيراني.

وقبل مغادرة ايران بيومين استدعاني عميل السافاك الإيراني (تاجداري) مهدداً: "عليك ان تعلم أن الحكومة الايرانية تملك أطول ذراع في الشرق الأوسط. ستصلك أينما كنت، إن قمت بنشاط معادى لإيران في الخارج".

قلت له انا ذاهب الى المعالجة ولا أنوي القيام بنشاط سياسي.

وصلت الى لندن بوثيقة ايرانية (Laissez-passer) في نهاية شهر ديسمبر/كانون الأول عام 1976 وطلبت اللجوء السياسي في شهر جانفير/ كانون الثاني دون تأخير بداية عام 1977. لم أعد الى إيران الأ بعد انهيار عرش الشاه وطرده من قبل الشعوب الإيرانية.

إن أوضح ظاهرة في سلوك ملا مصطفى السياسي من عام 1970 والى وفاته عام 1979 هو أنه، هيأ استمراريته لما بعد رحيله. وحالياً من خلال وسائل الدعاية المرئية والمسموعة والمقروءة، نرى تراثه حاضراً باستمرار في كوردستان الواقعة تحت نفوذ ابنه مسعود. هذا

الإرث لا يزال حياً ويبث في كل مناسبة لإعادته الى اذهان الجماهير الكوردية كتراث يقدس. لهذا الإرث مفعول "فرض تكلس ذهني". ومعوق لإيجاد معرفة جمعية ملمة بحقيقة ما جرى للحركة الكوردية وفشلها عام 1975 وخفاياها المالية وعلاقاتها الخارجية. كما إنه مصدر لاستمرار الفساد والإفساد في المجتمع حالياً. ويحرف مسار المجتمع الكوردي في المجابهة الشجاعة والصريحة مع ماضيه. ويقتل الروح ألانتقاديه في المجتمع.. ان الترويج لتراث جلب المذلة والهزيمة للشعب الكوردي. وتقديمه كقدوة يحتذى به. أمر خطير هو دون شك لايخدم إيقاظ الوعي التاريخي الكوردي عن المرحلة التي امتدت من عام 1961 والى يومنا هذا.. وهنا لاغرابة في كون عدد من المؤلفين الذين كتبوا عن ملا مصطفى وتطرفوا في تمجهده مع الإبن. بعد الإعلان عن المنطقة الآمنة من قبل قوات الحلفاء الغربيين. ثبت انهم من العملاء المحترفين لنظام صدام حسين وقد اميط القناع عن وجههم بعد اكتشاف سجلاتهم التي أثبتت عمالتهم للنظام البعثي.

ونظراً لتحالف – صدام – مسعود الغير معلن. فقد عمل صدام حسين على تعزيز نفوذ مسعود وحزبه في كوردستان. وزوده خلال ثلاثة عشر عاماً بالمال والسلاح وارسال الدبابات لنصرة حليفه في معاركه الداخلية ضد خصومه وتسليمه مفاتيح العاصمة أربيل بعد أن أحتلها الجيش العراقي في 31 آب 1996.

تقييم الـ C. I. A. لنتائج إتفاقية الجزائر 1975

نتائج الاتفاقية الإيرانية العراقية

سعى الشاه منذ زمن إقناع العراق بالموافقة على وجهة نظره لتحديد الحدود بين البلدين. بالأخص فيما يخص مجرى نهر شط العرب. وكان الشاه يريد ترسيخ نفوذه في المنطقة والحدّ من تأثير العراق ووقف تدخلاته في البلدان المجاورة. إضافة إلى القضاء على نفوذ القوى اليسارية الخارجية النشطة في بغداد. ويبدو أن اتفاقية الجزائر حققت أولى هذه الأهداف. لكن يحوم الشك حول تحقيق البقية من أهدافه. فقد تحرر العراق من ورطة التمرد الكوردي ومن احتمالات المواجهة مع إيران. لقد زادت بشكل كبير خيارات خطط السياسة الخارجية العراقية.

وندرج هنا توقعاتنا عن أثار اتفاقية الجزائر بالنسبة للمشاركين وبلدان أخرى في المنطقة وبالنسبة للدول العظمى.

إتفاقية الجزائر

1. شاه إيران ورجل العراق القوى صدام حسين التكريتي وقعا اتفاقا في 6 أذار هدفها حلّ الخلافات الحدودية المزمنة والتي في عدة مناسبات أدت إلى مناوشات جدّية خلال العام الماضي. نال الطرفان فوائد هامة من الاتفاقية. بينما الخاسر الأكبر هم المتمردون الأكراد العراقيون.

2.الاتفاقية مبنية على المسؤولية المتبادلة في نقطتين:
- تحديد خط الحدود البرّي والمائي
- التحكم التام في الحدود ومنع تسلل المخربين

وصف الجانبان الاتفاقية بأنه من غير الممكن تجزئتها. فخرق مادة واحدة فيها يلغي الاتفاقية كلها."

3. التصريحات وأعمال الطرفان منذ 6 أذار توحي بوجود تفاهم سري. لايزال مضمونه غير معروف. فالشاه بوضوح وعد بسحب المساعدات العسكرية الإيرانية للأكراد. ولايشار

الى ذلك علناً في الاتفاقية بسبب نفي طهران المتواصل منح مثل هذه المساعدة. وجود اللاجئين الكورد في إيران قد نوقش على الأكثر. كلا الطرفان كما يتضح وافقا على وقف الدعاية المعادية. كما إن نشاط القوى الخارجية في الخليج تم بحثها في الاتفاقية. وأصبح هذا الموضوع هدفاً لتصريحات الموظفين الرسميين للحكومتين ولأجهزة إعلام البلدين منذ إبرام الاتفاقية.

4. تمثل تنازل بغداد الرئيسي في موافقتها على معادلة طهران في تحديد خط الحدود المتنازع عليه جنوبي النهر وفق مبدأ Thalweg (وسط ممر الملاحة). في الماضي ألح العراق على معاهدة 1937 والتي تحدد خط الحدود على الشاطئ الإيراني لشط العرب. حيث منح العراق السيطرة التامة على الملاحة في النهر – ومنها الوصول إلى مصفى عبادان الإيراني وميناء خرم شهر. لكن لم تتمكن بغداد في كل الأحوال العمل وفق هذا الإدعاء.

5. المادة المتعلقة بالمراقبة الدقيقة للسيطرة على الحدود هي في صالح الطرفين. بموجبها سيتوقف إرسال المخربين الذين تلقوا تدريباتهم في العراق إلى إيران لإثارة المشاعر المناهضة للحكومة ضمن الأقليات، بالأخص وسط سكان خوزستان العرب. ولن يكون بمقدور المنشقين الإيرانيين تصعيد نشاطهم انطلاقا من الأراضي العراقية. إن النتيجة الهامة لهذه المادة هي بالتأكيد، وقف المساعدة العسكرية للأكراد. كان هذا هو الهدف العراقي والتنازل الإيراني الرئيسي.

6. سحب المساعدات الإيرانية قلصت من خيارات الأكراد إلى الاحتفاظ بمستوى واطئ في عمليات حرب الأنصار، والاستسلام لبغداد او المغادرة إلى المنفى. بينما الاتفاقية وفرت لبغداد – التي تخلصت من نزاع داخلي أضعفها – فرصة استثمار مصادر أكثر لأغراض التطور."

7. بعض المؤشرات توحي بأن الشاه كان يعتقد أن الاتفاقية تنطوي على ضمان من صدام حسين يدعو على الأقل تجميد الوضع العسكري بصورة وقتية في العراق وإمكانية البدء بالمفاوضات مع الأكراد. لكن مباشرة بعد التوقيع على الاتفاقية أمرت بغداد بشن الهجوم العام. استمر الهجوم حوالي الأسبوع عندما تمكن الشاه ترتيب وقف إطلاق النار بيومين قبل الاجتماع المقرر لوزراء الخارجية في طهران في 15 آذار من أجل تطبيق الاتفاقية. انتهى مفعول وقف إطلاق النار إلى جنب عرض بغداد العفو عن المتمردين الأكراد في 1 نيسان/ابريل، حيث أكمل العراق احتلاله العسكري لكوردستان العراق

برمته. ولم تجابه إلا القليل من المقاومة. جددت بغداد بطلب من طهران. مدة العفو إلى نهاية شهر نيسان/ابريل – ثم بعد لمدة 20 يوماً إضافياً – وهي الفترة التي تمكن خلالها الأكراد العودة إلى العراق.

8. جرى التخطيط والسيطرة الحدودية بشكل جيد تحت إشراف لجنة من وزراء الخارجية. وتم إجراء مسح لشط العرب و بإشراف الطرفين وأعيد تثبيت نقاط السيطرة للبلدين لمراقبة تطبيق اتفاقية الجزائر. وعقد اجتماع ثان لوزراء الخارجية في أواسط شهر نيسان/ابريل واجتماع ثالث مقرر أن ينعقد في أواسط شهر مايس. ونوقشت مشكلة اللاجئين وامكانية تعاون أوسع. وزار صدام حسين طهران في نهاية شهر نيسان. ومن المتوقع أن يردّ الشاه الزيارة في وقت متأخر هذا الربيع.

دوافع الاتفاقية

9. "لأمد طويل كان العراق موضع شك و اهتمام إيران العدائي نظراً للخلافات العرقية والدينية والسياسية. واعتبر الشاه بغداد بمثابة عامل مساعد للطموحات السوفيتية في الخليج ومصدر تخريب في المنطقة. ولبعض الوقت استخدم الشاه الأكراد لتحويل اهتمام بغداد ومصادرها بعيداً عن سياسات الخليج، وتشجيع الفوضى السياسية. وبشكل غير مباشر لترقية مصالح إيران في تعديل الحدود. لم يعتبر الشاه أبداً المساعدة للأكراد بأنها التزام جاد. ولم يدعم هدفهم في الحكم الذاتي بسبب خوفه من نشوء نفس المشاعر لدى أكراد إيران.

10. في الصيف الماضي أخذت المعادلة الكوردية منحى جديداً عندما قررت بغداد استخدام جيشها المسلح بالأسلحة الروسية لتحقيق "الحلّ النهائي" للمشكلة الكوردية. شنت بغداد حملتها ضد معاقل المتمردين الكورد ووظفت ضدهم 80% من قوات الجيش العراقي.

11. ولوقف الهجوم العراقي والاحتفاظ بالورقة الكوردية، أرسل الشاه في شهر أغسطس المدفعية الإيرانية ووحدات دفاعية مباشرة إلى داخل العراق للقتال. أوقف التدخل الإيراني والطقس السيئ التقدم العراقي. لكن فشل الكورد في إعادة سيطرتهم على الأراضي التي خسروها خلال الشتاء، كما جرت العادة خلال السنين الماضية.

12. لقد جعل الفشل الكوردي الجيش العراقي في وضع جيد لإعادة الهجمات في الربيع. وهنا واجه الشاه احتمال زيادة الالتزام العسكري الإيراني علاوة على الدعم السابق. وكان الشاه مهتماً باحتمال تصاعد إمكانية مجابهة عسكرية شاملة مع العراق وما ينجم عن هذه السياسة من عواقب كبيرة. هنا قرر عدم التورط إلى أبعد من هذا.

13. التوصل إلى هذا القرار بني على أن موقفه في التوصل إلى صفقة سيضعف باستمرار عند بدء الحملة العراقية المتوقعة في الربيع. هنا قام بما هو أفضل له في الجزائر. إن التنازل العراقي في شط العرب – وهو ليس أمراً هيناً في حد ذاته – كان الأقل مما هو ضروري لهذا التحول الفجائي في التوصل إلى حل مع خصم لدود.

14. لقد شعر الشاه إن تورطاً أكثر في القتال مع الأكراد سوف يضع في خطر هدفاً أكثر أهمية – التقرب والتعاون مع الدول العربية المعتدلة. فتوسيع التدخل العسكري الإيراني يسبب له مشاكل في العالم العربي في وقت يسعى إلى تحسين العلاقات مع الرئيس المصري أنور السادات وزعماء معتدلين أخرين. لقد شعرت الحكومات العربية بالضغط العراقي للتدخل لضمان نهاية للتدخل الإيراني. كانت القاهرة بشكل خاص تقول أن وضع نهاية للمجابهة سيساعد في جلب العراق الى التيار العربي السياسي الرئيسي ويقلل من اعتمادها على الاتحاد السوفيتي. وكان الشاه قلقاً حول تزايد نفوذ موسكو في بغداد. ومن الوارد إن حجج القاهرة أثرت على الشاه."

وفيما يخص موقف العراق تشير المذكرة:

15."الاستمرار في الحملة العسكرية ضد الكورد. كان يحمل في طياته مخاطر لصدام حسين وربما أودت به إلى السقوط. وكما حصل في الأعوام السابقة. سببت السياسة المتبعة تجاه الكورد. انشقاقا ضمن المجموعة الحاكمة في بغداد. فقد التزم رجل العراق القوى شخصياً بالحل العسكري. هيبته كانت على المحك. وكانت هناك مشاكل جدّية تظهر ضمن العسكر حول الخسائر الكبيرة والموقف غير الكفوء تجاه التدخل الايراني. ورغم أن الحملة العسكرية استحوذت على الاهتمام الوطني. إلى أن الحاجة إلى الموارد والتزود بالسلاح قيدت حرية بغداد في تعاملها مع موسكو.

16. وشعر صدام حسين أن ليس في مقدوره إنهاء الحملة والاعتراف بالفشل. وبما أن الحاجة المباشرة هي تحييد إيران. هنا قرر دفع الثمن المطلوب والقبول بوجهة نظر الشاه فيما يخص شط العرب."

ثم تشير المذكرة السرّية إلى التوقعات عن دوام بقاء الاتفاقية:

17. الجانبين كل من طرفه يطبق مواد الاتفاقية ولهما مصلحة في الوقت الحاضر في احترام بنود الاتفاقية.

18. لكن المشاكل قد تنشأ. في الحقيقة تاجر الشاه بالوعود في الجزائر. وهناك ضمانات قليلة لإلزام العراق بجميع الوعود حال سيطرتها على مشكلتها الكوردية.

19. لقد فقدت إيران العامل المؤثر بشكل كبير على العراق عندما سحبت قواتها منه وأوقفت المساعدات عن الأكراد وأغلقت حدودها. وإذا ما اختارت بغداد التنصل من الاتفاقية، سيصعب على طهران إحياء المقاومة الكوردية بشكل مؤثر داخل العراق.

20. ولدينا شك كبير في استمرارية بقاء التصالح. فإيران والعراق منافسان طبيعيان في منطقة الخليج.

- إنهما الدولتان الأكثر كثافة بالسكان.
- كلاهما أثرياء في المصادر الطبيعية ولكل جيشه المسلح تسليحاً جيداً.
- كلاهما، الشاه وصدام حسين لهما وجهات نظر مختلفة حول إدارة الشؤون السياسية في المنطقة وكلاهما يطمحان في تبوء مركز الزعامة والسيادة في المنطقة.

21. ويبدو أن الاحتكاك سيعود إذا ما أصرّ العراق التدخل في شؤون دول الخليج، بالأخص إذا استمر في الضغط على جارته الكويت للتنازل عن أراضيها المحاذية لميناء ام قصر العراقي. في كل الأحوال كلا البلدان سيسعيان في خضم المنافسة كسب الحلفاء في الخليج، كل لتعزيز موقفه السياسي والعسكري.

وتمضي المذكرة إلى الإشارة لنتائج الاتفاقية بالنسبة لإيران:

على الصعيد الداخلي

22. كانت اتفاقية الجزائر واحدة من قرارين رئيسيين هامين اتخذها الشاه في بداية شهر أذار. والتي تعكس النمط الاستبدادي المتزايد في حكمه – القرار الثاني كان القانون الذي أصدره بتبني نظام الحزب الواحد في إيران. كما يبدو انه لم يستشر أحداً قبل الإيقاع بالأكراد. لقد أصبح معظم مستشاريه من نوع "رجال نعم" وفي الواقع ليس هنالك نقاش مفتوح حول المواضيع السياسة. هناك قلة من الضمانات التي تحول دون الوقوع في الأخطاء. وليس هناك آلية لتصحيح الأخطاء بمعزل عن تصوراته هو.

23. قرار الشاه فيما يخص الأكراد له عواقب أمنية محلية. فالعديد من ضمن الأكراد البالغ عددهم حسب التقديرات 150000 لاجئ كوردي في إيران يشعرون بالمرارة مما يعتبرونه خيانة. وبعض من أكراد إيران البالغ عددهم 1.5 مليون نسمة عبروا عن استيائهم من قرار إيران المفاجئ بسحب الدعم من بني جلدتهم في العراق.

24. نعتقد ان قوات الأمن الإيرانية ستكون قادرة على معالجة المشاكل الكامنة من مصدرين. فإيران اتخذت خطوة احتياطية عن طريق نزع سلاح المقاتلين الكورد الذين عبروا الحدود قبل غلقها وعزلهم عن اللاجئين المدنيين. لاترغب طهران بقاء اللاجئين في المخيمات وستحاول دمجهم في المجتمع الإيراني. على الأكثر في مناطق غير كوردية. هناك احتمال ان يقاوم البعض الجهود التي تهدف إلى إسكانهم في مناطق تختلف كثيراً عن موطنهم الجبلي.

25. أرسلت طهران بطلب من بغداد الموظفين إلى مخيمات اللاجئين الكورد لتطمينهم بأن العفو سيشملهم إن عادوا إلى العراق. وقد تلقينا عدة تقديرات مختلفة عن عدد الذين اختاروا العودة الى العراق. تدرك بغداد كما تدرك طهران من أن الكورد يشكلون مشكلة أمنية محتملة لإيران. ومن الممكن أن لا يكون العراق مهتماً كثيراً بإزاحة هذا العبء عن كاهل الشاه.

على الصعيد الخارجي

26. لقد قوت الاتفاقية المنافس الرئيسي والقادر على تحدى إيران في الخليج. وكنظام يرعى عمليات التخريب' رادبكالي ومتجاوب مع النفوذ السوفيتي. اعتبر الشاه هذا النظام

•

ومنذ زمن طويل بمثابة تهديد لأمن إيران. قد تستفيد إيران من تأيد بعض الزعماء العرب الذين تصوروا أن الاتفاقية ستؤدي ببغداد نحو الاعتدال في مواقفها الراهنة. لكن آخرين - الكويتيين والسوريين والعمانيين - قلقون من أن بغداد قد تركز اهتمامها على العداوات وخلافات الحدود. رحب الزعماء الترك بالاتفاقية لأنها وضعت نهاية لمساعدات إيران للأكراد الانفصاليين. كانت انقره متخوفة من توسع القتال أو أن ينخرط 3 ملايين من أكراد تركيا في حركة الحكم الذاتي.

27. سيحاول الشاه - بمساعدة زعماء عرب آخرين - ضمان الاعتدال في سياسات بغداد. وبوضعه نهاية لمساعداته للأكراد وتطبيع العلاقات مع العراق، عزز بذلك موقف الزعماء العرب الذين كانوا يحثون صدام حسين على تقليص روابطه مع موسكو. كما ان الاتفاقية تساعد على قطع دابر دعايات الزعماء العرب الراديكاليين من أن إيران عدو لدود للعرب.

28. ولكي يتمكن الشاه من تقليص النفوذ السوفيتي في العراق، سيتوجب عليه أن يثبت لبغداد ولعرب آخرين، أنه ليس آلة لخدمة الخطط الأمريكية في المنطقة. وسبق له وان انضم إلى دول أخرى في المنطقة مطالباً بجعل أمن الخليج مسؤولية دول الساحل. وقد يكون الآن راغباً في توسيع هذا الخط، خاصة أن الملك فهد - حيث يعتقد الشاه انه أكثر تعاونا في مجال أمن المنطقة من الملك فيصل - وله تأثير أكبر في المملكة العربية السعودية.

29. أشار صدام حسين إلى إمكانية أتفاق أمني جماعي في الخليج في عدد من اللقاءات الصحفية منذ التوقيع على الاتفاقية. وذكر إن الاتفاقية توقعت نوعاً من التعاون الأمني الإيراني العراقي. إن هذا التصريح يذهب أبعد من الإعلانات الإيرانية حتى هذا اليوم. ونشر بلاغ بعد زيارة إلى بغداد لرئيس الوزراء الإيراني في نهاية شهر آذار يؤكد على "الحفاظ على الخليج من جميع التدخلات الخارجية" وأعادت الصحافة الإيرانية الخاضعة للحكومة هذه النظرة عدة مرات منذ التوقيع على الاتفاقية. فانسحاب الأساطيل البحرية السوفيتي والأمريكي يبقي القوة البحرية الإيرانية القوة الوحيدة الهامة في الخليج.

30. وقد يكون الشاه راغباً في الإعلان عن معارضته لدور البحرية الأمريكية في الخليج بشكل أكثر قوة مقابل تعاون إقليمي أكثر في الأمور الأمنية أو من أجل موقف واضح لتقليل النفوذ السوفيتي في العراق. لكن من المشكوك فيه في هذا الوقت بالذات أن يعمل لضمان إزاحة الوجود الأمريكي كلية من البحرين.

31. يحمل الشاه شكاً عميقاً في السياسة الخارجية العراقية من أنها ستستمر في سياسة خلق جبهة معادية لإيران في الخليج الفارسي. وإذا ما استمرت بغداد دعم السياسات التخريبية والراديكالية العربية، ربما سيعتبر الشاه نفسه في وضع جيد ليلح على مصر والجزائر – كلا الحكومتان شجعتا التصالح مع بغداد – للانضمام لجهود إيران لوقف "مغامرات السياسة" العراقية. انه متخوف من أن المعتدلين العرب سينوخون التفاهم مع العراق والى حدود التعاون مع بغداد للحد من النفوذ الإيراني في الجزيرة العربية.

32. إن قرار الشاه في إنهاء دعمه للأكراد أثار الشكوك حول موقف طهران لدى البعض من زعماء العرب المحافظين والذين يتمتع الشاه بعلاقات جيدة معهم. على سبيل المثال، عُمان، التي تساءلت على مدى جدية الدعم الإيراني في قتال ضفار. مسقط . ربما كانت متجاوبة مع شائعات مفادها إن الانسحاب الإيراني من ضفار هو ضمن بروتوكول سري في اتفاقية الجزائر. لقد أكدت عُمان، بشكل خاص لطهران عن حاجتها للمساعدة الإيرانية. لم يظهر من الشاه ما يوحي بالانسحاب من عُمان.

33. حسين ملك الأردن عميق الاهتمام بالاتفاقية. ويأمل من ورائها إقناع العراق بتبني سياسة الاعتدال تجاه الأكراد والتوصل إلى حلٍ بموجبه يتمكن البارزاني الاحتفاظ بموقع الزعيم ضمن مجموعته الكوردية. الآن يخشى حسين من المساعي التخريبية العراقية، ويتساءل فيما اذا كان التقارب قد أعطى للعراقيين إجازة التصرف كما يريدون في الخليج.

34. إن اتفاقية الجزائر التي تمت أثناء إحدى اجتماعات قمة الأوبك يمكن أن تعزز جهوداً أخرى لاستمرار الوحدة في صفوف المنظمة حيث إنها تزيح قضايا قد تؤدي إلى التفرقة. وربما يعتقد الشاه أن الاتفاقية قد عززت دوره في المنظمة بالأخص مع الدول العربية المنتجة للنفط، والتى كانت في حالة تدهور العلاقات الإيرانية العراقية، قد تجد من المفيد سياسيا معارضة سياسات طهران في أوساط الأوبك.

النتائج بالنسبة لبغداد

35. عززت نهاية التمرد الكوردي نفوذ صدام حسين بإزالتها الفرصة التي كان من الممكن أن يستغلها نقاده. حكومة البعث الحالية، التي سيطرت على الحكم في 1968 هي

حكومة ائتلافية فيها التعامل صعب بين العناصر العسكرية والمدنية. فصدام حسين الذي قرر استخدام الوسائل العسكرية مع المشكلة الكوردية. يقود الجناح المدني لحزب البعث. والرئيس البكر يمثل الجناح العسكري في القيادة. ويعاني جدّياً من المرض. غير نشط وتم إخضاعه. وباشتداد المعارك. تعرض قرار القتال إلى نقد أكثر شدة. وأصبح النزاع يعرف بـ "حرب صدام".

36. التنازل أمام مطالب الشاه فيما يخص ساحل شط العرب كان شيئاً ماساً بالكرامة الوطنية. لكن بتحرر الحكومة من الأكراد وتقلص فرص الحرب مع طهران. ربح العراقيون أكثر مما أعطوا. ولم تبرز ردود فعل شعبية معروفة ضد تنازلات صدام حسين إلى إيران. ولم تظهر انتقادات داخل القيادة لاستغلال هذا الأمر. لكن يبقى الاحتمال وارداً. ففي حالة تعثره في مسائل أخرى. فإن تنازله في قضية مجرى المياه. قد يبرز إلى الصدارة للإساءة إليه.

37. ورغم أن المسائل المتعلقة بتعقيدات المسألة الكوردية يجب مواجهتها. لكن الآن بإمكان صدام حسين إعادة توجيه طاقات النظام. داخلياً. سيركز صدام حسين على إصلاح ما أصاب الاقتصاد من أضرار جرأء القتال. وقد اعترف بخسارة عشرة ألف من القوات العراقية. تسريح الاحتياط سوف يحرر الأيدي العاملة. والعودة إلى الوظائف المدنية والمساعدة على حلّ النقص في الطعام والمواد الاستهلاكية. بإمكان بغداد الآن. تخصيص مصادرها المالية للإسراع بالتطور الصناعي وبذل مساعي التخريب في دول الخليج وسوريا.

الكُورد

38. وفيما يخص التعامل مع الأكراد. العراق حرّ نسبياً لفرض إرادته. ولن تمنح بغداد أية مساومات للطموحات الكوردية في الحكم الذاتي غير مجلس تشريعي وتنفيذي شكلي. كالذي تشكل في الصيف الأخير. وبذلت بغداد جهوداً لتعريب كوردستان خلال إعادة التوطين. وترى في هذا حلّ للمشكلة على الأمد الطويل.

39. المقاومة الكوردية على قياس عام 1974 هو الآن خارج التوقعات. علامات أولية تشير إلى أن ثلث القوات النظامية الكوردية المؤلفة من 30000 تنوي الاستمرار في أسلوب حرب الأنصار. ومن المعتقد أن الأكراد أخفوا كميات كبيرة من السلاح والذخيرة في الجبال

قبل الحملة العراقية في شهر أذار. ويحتمل أنهم أخفوا كميات إضافية من السلاح والتجهيزات من إيران في المستودعات قبل غلق الحدود في الأول من شهر ابريل/نيسان. وقد يحاول الأكراد بناء خطوط للتجهيز من الحدود السورية. رغم إن دمشق تملك وسائل مباشرة للضغط على بغداد عوضاً عن تسليح الأكراد العراقيين.

40. يأمل بعض اللذين استسلموا من الأكراد بعد نضال طويل بأن إيران قد تعاود منح المساعدات العسكرية في حالة تعثر تطبيق اتفاقية الجزائر. مثل هذا التوقع يبدو غير وارد، رغم التقارير التي تفيد في كون إيران تدرب بعض الأكراد ضد احتمال الانهيار. ورغم عمق الشكوك المتبادلة في العلاقات الإيرانية العراقية. لكن لكلاهما مصالح هامة في الحفاظ على سلامة العلاقات الجديدة، على الأقل للأمد القريب.

41. إن أفول الحظ الكوردي يقابله الفوضى داخل القيادة. ملا مصطفى بارزاني هو الأن في بداية السبعينات، المجسد لحركة الحكم الذاتي، تنحى الأن. لقد حطمت اتفاقية الشاه سمعته وسلطته إلى حيث لا رجعة. وليس بين ما تبقى من قياديي التمرد من يملك من المنزلة ليحل محله. إن القيادة المركزية الكوردية قد تختفي ببساطة، وقد تحاول عدة مجموعات متمردة مستقلة الاستمرار في المقاومة ضد بغداد.

42. الظاهر انه بدون دعم كبير للتمرد ضد بغداد، ستقتصر العمليات في إطار إنهاك الوحدات الحكومية وضرب الأهداف الاقتصادية. وفي إطار الوضع الذهني الحالي لديهم، قد يضرب الأكراد المنشأت النفطية العراقية – لهذا السبب أزيل ذلك من قائمة أهداف التمرد نتيجة لإصرار الإيرانيين المتخوفين من أن الإرهابيين العراقيين قد يشنون عمليات انتقامية ضد المنشأت النفطية في عبادان."

العلاقات بين الولايات المتحدة والعراق

43. نهاية التمرد الكوردي يزيح العراقيل أمام تحسين العلاقات بين العراق والولايات المتحدة. العراقيون كانوا يعتقدون أن الولايات المتحدة تتعاون مع إيران وإسرائيل في تزويد الكورد بالمساعدات العسكرية.

44. ترى بغداد إن دور الولايات المتحدة كمؤيد رئيسي لإسرائيل هو العائق الأساسي لبناء علاقات أفضل مع واشنطن. وان اتفاقية الجزائر لم تؤثر على هذا. حالياً ربما لا يرى

العراق أية مصلحة في وضع نهاية لموقفها الحالي المتمثل في الدولة العربية الوحيدة التي قطعت العلاقة مع الولايات المتحدة ضمن دول أخرى عام 1967 بسبب الحرب العربية الإسرائيلية. والتي لم تعد إقامة العلاقات مع واشنطن.

45. غياب العلاقات الدبلوماسية لم تعق النمو التجاري السريع بين العراق والولايات المتحدة. ففي شهر شباط. على سبيل المثال. وقع العراق على عقد بقيمة 225$ مليون لشراء طائرات البوينغ. وهذا يجعل من العراق ضمن الأسواق الأسرع نمواً بالنسبة لمنتجات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. لايزال العراق يحدد الاتصالات الرسمية مع الدبلوماسيين الأمريكان الموجودين في قسم المصالح في السفارة البلجيكية. في الواقع نشك في تجاوب العراق مع أي مساعي لتحسين العلاقات السياسية إلا إذا حصل تغير واضح في السياسة الأمريكية العامة الشرق أوسطية.

النظرة السوفيتية

46. حسب معلوماتنا. ليس للسوفييت دور في الاتفاق الإيراني العراقي. ربما لموسكو مشاعر متضاربة حول نتائج اجتماع الجزائر. ورغم أن الاتحاد السوفيتي كرر نصائحه بتسوية الخلافات بين إيران والعراق وضمان الحكم الذاتي للأكراد. من المحتمل أن موسكو مهتمة الآن بما تجلبه الاتفاقية من آثار على علاقة بغداد بالإتحاد السوفيتي.

47. موسكو تدرك انه من المحتمل أن يستفيد العراق من تقليص التوتر في المنطقة لشراء البضائع الغربية والتكنولوجيا المتطورة. وفي الوقت ذاته تقليص الاعتماد والتعاون مع الإتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية. وحتى قبل اتفاق الجزائر. لمح السوفييت إلى ما اعتبروه مؤشراً من أن العراق يتجه نحو الغرب. موسكو على علم من ان الشاه يريد أن يبعد العراق عن الاتحاد السوفيتي وإيقاف نمو نفوذ السوفييت في منطقة الخليج.

48. لاتفاق الجزائر. من ناحية أخرى. نواحي إيجابية حسب وجهة نظرة موسكو. فنهاية الحرب الكوردية أزاح الخطر على نظامٍ ارتبطت به موسكو بمصالح حيوية والكتلة السوفيتية بمصالح وعلاقات جيدة معه. رغم ظهور بعض المشاكل في هذه العلاقة بعض الأحيان. علاوة. لاتواجه موسكو الاحتمال غير المرغوب في أن تجد نفسها مرغمة على دعم العراق في حرب شاملة ضد إيران – حيث طورت موسكو علاقات تجارية مربحة معها.

49. السوفييت يدركون انه للأمد القصير لا يستطيع العراق الاستغناء عن قطع الغيار للسلاح السوفيتي حيث جهزت به قوات بغداد وتعتمد علية بشكل تام تقريباً. سيبقى العراق معتمداً على الإتحاد السوفيتي للتجهيزات. قطع الغيار. مساعدات تكنيكية وعمليات التدريب. هذا رغم أن إعادة التجهيز الأن سيكون أقل إلحاحاً. يقوم حوالي 500 من المستشارين السوفييت بمهام التدريب للجيش إضافة إلى 400 – 500 يعملون في مجال القوة الجوية العراقية. ومن المحتمل إن القدرة المعززة التي أظهرها الجيش العراقي كانت إلى حد كبير نتيجة لتدريبات السوفييت ومشورتهم. إن شراء طائرات الميك الإضافية -MIG 23 وصواريخ سكود. متمماً دفعة الاستلام السابقة للسلاح المتطور FROGs, TU-22 و -SA 6s لدلائل إضافية على نية بغداد في استمرار التعامل مع موسكو للتزود بالأسلحة المتطورة.

50. وعلى أي حال لم يبدى السوفييت الرغبة في تلبية كل ما أراده العراقيون. ففي العام الماضي. أرجأ السوفييت لمدة شهرين قبل الموافقة على طلب بغداد للمزيد من الذخيرة. وهذا ما زاد من اهتمام بغداد بموضوع الاعتماد على دولة واحدة لتلبية حاجاتها العسكرية. وكان لهذا أثر على قرار بغداد لتنويع مصادر التجهيز. ومنذ ذلك الوقت سعت بغداد الحصول على السلاح من الغرب. فرنسا. التي ابتاعت سابقاً للعراق المروحيات. ناقلات مدرعة. ودبابات خفيفة. حسب التقارير أنها تعرض الأن بيع طائرات الميراج.

51. وتدرك موسكو ان هناك نفوذ قوى فاعل في العراق لمنع أي ابتعاد هام عن موسكو. ويعرف السوفييت ان العداوات التاريخية. فقدان الثقة والمصالح المتضاربة ستشكل موانع أمام إقامة علاقات مستقرة بين بغداد وطهران.

52. وفي ذات الوقت سيستمر الإتحاد السوفيتي الحفاظ على علاقات ودية مع إيران كعنصر أساسي لسياستها في منطقة الخليج الفارسي. ومع أن الاتفاق قد يقود إلى تحسن في العلاقات. ألا أن للسوفييت مبرراتهم في الاعتقاد بأن الاتفاقية تنذر بتغير في موازين القوى في منطقة الخليج ومن شأنها تحديد أكثر للنفوذ السوفيتي في المنطقة.

نتائجها على العلاقات العربية الإسرائيلية

53. ترى إيران أن الاتفاقية تساهم في تعزيز مساعيها في التقرب من الدول العربية. فالشاه الذي يطمح إلى تبوأ الزعامة الإقليمية. لا يرغب أن يصنف كمعادٍ للعرب ومؤيد

لإسرائيل. علاوة قد يكون رأيه من أن ميزان القوى انحاز لصالح العرب. وربما يتوقع تعديل في السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل. لايريد الشاه أن يؤخذ على حين غرّة.

54. علاقات إيران الدبلوماسية والاقتصادية والمخابراتية مع إسرائيل مبنية على قاعدة عملية وليست على اعتبارات عاطفية أو أيديولوجية. إحدى هذه الاعتبارات تتمثل في كون إسرائيل نافعة تجاه العالم العربي. كما هو دور الأكراد تجاه العراق. فقد أبقت العرب ضعفاء ومنشغلين. وطالما بقيت إسرائيل قوية عسكرياً وقادرة على امتصاص الطاقات العربية. سيعتبر الشاه أن العلاقة مع إسرائيل هي في مصلحته وسيحتفظ بعلاقة هادئة معها.

55. بالنسبة لتل أبيب. أساس علاقاتها مع إيران هو استمرار تدفق البترول الإيراني – والذي يلبي نصف الحاجة المحلية. إن مصالحة طهران مع بغداد ليس لها في حدّ ذاتها تأثير على العلاقات الإيرانية الإسرائيلية. رغم إنها زادت من شكوك إسرائيل حول رغبة الشاه تزويدها بالبترول في حالة اندلاع حرب عربية – إسرائيلية.

56. ومنذ أواسط الستينات. ساعدت إيران وشجعت إسرائيل على مساعدة التمرد الكوردي. منحت إسرائيل مساعدات مالية ومادية وأرسلت خبراء عسكريين وأمنيين لتدريب القبليين الأكراد في مواقع في كوردستان العراق وإيران. وعدد قليل من الأكراد ربما تدربوا في إسرائيل. هذه المساعدة كانت ممكنة بفضل التجاوب الإيراني وبدونها كان الاحتمال قليلاً في استمرار تل أبيب دعمها للأكراد.

57. إن انهيار التمرد الكوردي وتقليص التوتر الإيراني العراقي سوف يحرر الكثير من القوات المسلحة العراقية لتستخدم ضد إسرائيل عند حصول حرب أخرى. ففي شهر تشرين الأول/أكتوبر 1973. فإن رغبة طهران – خلال فترة التوتر مع بغداد – لإعادة العلاقات الدبلوماسية مع العراق. سمحت للعراقيين إرسال فرقتين مدرعتين إلى الجبهة السورية. نعتقد انه خلال هذا الصيف قد يستطيع العراقيون المساهمة من جديد بفرقتين مدرعتين إضافة إلى عدد من الطائرات في أية حرب قد تتجدد بين العرب وإسرائيل.

58. وقد يكون مشاركة العراق أكثر تأثيراً مما كان عليه عام 1973. ففي ذلك الوقت. أعاق قلة ناقلات الدبابات الجهود العراقية على الجبهة السوريّة وعدم كفاءة النظام

اللوجستي وصعوبات التنسيق في العمليات مع السوريين. اتخذت بغداد مباشرة بعد حرب تشرين/أكتوبر خطوات لزيادة التجهيزات المتعلقة بنقل المدرعات وتحسين قيادتها والسيطرة على العمليات. ويبدوان النظام اللوجستي هو أكثر فعالية . ويعود هذا بشكل رئيسي إلى الخبرة المكتسبة من الحرب مع الأكراد.

59. وفي كل الأحوال، وعلى رغم التعاون الحالي بين الجانبين، على بغداد الأخذ بالاعتبار من أن إيران تشكل تهديداً عسكرياً رئيسياً وعلى هذا الأساس توظف قواتها. الوحدات العسكرية العراقية ستعود إلى مناطقها الاعتيادية. لقد عانى الجيش العراقي خسائر فادحة في الأرواح كما خسر في مجال التجهيزات العسكرية بنوع من الاعتدال خلال العام الذي جرى فيه القتال مع الأكراد، لكنه لن يجد الا القليل من الصعوبة لإعادة تأهيل الوحدات العسكرية وتهيئتها ضد إسرائيل.

60. إن حجم القوات التي يساهم فيه العراق في الجبهة ضد إسرائيل يحدد من خلال علاقات بغداد مع المشاركين العرب في الجبهة عندما تندلع الحرب. نداءات بغداد العالية النغمة "لتحرير" الأراضي التي احتلتها إسرائيل لا يجب أن يفهم منها كالتزام جدّي في جولة أخرى من القتال. إن لم يؤمن العراقيون بعزم دول المجابهة العربية في خوض الحرب، لن تكون بغداد مستعدة لبذل مساهمة عسكرية قصوى، وكما كان في عام 1973، مصداقية التزامها يكون عرضة لتقلبات العلاقات السياسية العراقية مع الأطراف العربية المشاركة.

تأثير العراق إقليمياً

61. تناسب اتفاقية الجزائر ذلك النمط الذي برز في العام الماضي المتمثل في مساعي العراق لإعطاء صورة من الاعتدال السياسي في المنطقة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لجاراتها. ولسنا الأن في وضع يمكننا التكهن حول حقيقة هذا المنحى. فانطباعنا الأولي هو أن تودد بغداد لبعض الدول العربية والأن إيران، يعكس التجاوب مع الضغوط الداخلية والخارجية – على سبيل المثال الحاجة لإنهاء التمرد الكوردي- ولا تشير إلى تحول جذري في سياستها الخارجية على الأمد القريب.

62- فأعماله الماضية لا تشجع على التصديق في قبول صدام حسين للوضع الجديد. كما ان شخصيته الجذابة وديناميكيته قد أثرت بشكل إيجابي حتى على بعض الزعماء

العرب المحافظين وكما يبدو ضمنهم شاه إيران، فسجله يظهره كبعثي ثوري ذو نشاط مركز وبتدخل في شؤون الدول الأخرى.

63. نعتقد إن القيادة البعثية العراقية سنبقى ثورية في المستقبل وملتزمة بالتخلص من الأنظمة المعتدلة والمحافظة في الجزيرة والخليج. وقد يصبح العراق أكثر مكراً في تكتيكه. ونميل أكثر إلى أن بغداد ستنتهج سياسة ذات إطارين. التقرب من جيرانها على الصعيد الدبلوماسي، بينما تستمر التدخل في شؤونها. في الوقت الراهن وتمشياً مع روح المصالحة المنبثق عن اتفاقية الجزائر، قد تمتنع بغداد من التدخل السافر، كما فعلت في العام الماضي، مثل دعم محاولة الإطاحة بحكومة اليمن الشمالية ونصب حكومة بعثية مكانها.

سياسة التخريب والدبلوماسية

64. بعد التخلص من القتال ضد الأكراد، قد يقرر العراق تركيز طاقاته على العمليات السرية الهادفة إلى توسيع نفوذها داخل دول الجزيرة والخليج. لم تبلغ بغداد قبلاً هذه الدرجة من الاستعداد المالي لتخطو في هذا الاتجاه. واردات العراق النفطية – بلغت عام 1974، 6.5 بليون دولار – وتنمو باطراد، وفي نهاية هذا العقد فإن العراق قد يتجاوز إيران في حقل إنتاج النفط.

65. وتمشياً مع خط الاعتدال الجديد، فقد تحاول بغداد التركيز أولا على بناء نفوذ سري من خلال الخلايا البعثية المنتشرة في البلدان الخليجية الصغيرة وزيادة دعمها للمنشقين المحليين، إضافة بإمكان العراق صرف الأموال بحرية للتأثير على الموظفين والسياسيين المحليين، كما ان السفارات العراقية ستجند موظفين إضافيين في حقلي المخابرات والأمن.

66. ونتوقع في الوقت ذاته من أن صدام حسين مقتنع من أن اتفاقية الجزائر حيدت موقف إيران المعارض في السابق، وسوف يبذل مساعي جديدة لإيجاد نوع من الاتفاق العسكري المشترك بين الدول العربية في الخليج الفارسي. ونعتقد ان مثل هذا المقترح سيجابه نفس المقاومة ألإيرانية والسعودية المتواصلة، إضافة إلى امتناع الدول الخليجية الصغيرة.

67. يمكن معرفة نوايا بغداد خلال كيفية تعاملها مع جاراتها. فالمحك الأساسي يتمثل في طريقة حلها لمشاكلها مع الكويت وسوريا ودورها في دعم المتمردين العمانيين ومع منشقين أخرين.

لاتزال القوات العراقية تحتل شريطاً من أراضي الكويت منذ سيطرتها على تلك الأراضي في أذار عام 1973. يخشى الكويتيون من ان بغداد – المتحررة من الوضع الكوردي - ستصعد من ضغطها عليهم للتنازل عن جزيرتين بالقرب من ميناء ام القصر. ويتوقع الكويتيون كلا التوجهين، مبادرة دبلوماسية عراقية واظهار العضلات على طول الحدود. وهناك تطرق الى عدد من الزعماء العرب ضمنهم السادات وبومدين أظهروا رغبتهم في التوسط في النزاع. كما إن تجاوب بغداد سيلقى الضوء على موقفها العام.

لم تظهر بغداد ميلاً في الامتناع عن أعمال التخريب ضد النظام البعثي السوري المنافس. مثل هذه الأعمال كانت سبباً في تقليص سوريا الأخير لتدفق المياه وتقييد الملاحة العراقية خلال ميناء لاتاكيا.

ولإظهار التزامها بمبدأ عدم التدخل، بإمكان العراق وقف دعمها للمتمردين في إقليم ظفار العماني. نعتقد إن العراقيين سيقومون بدورهم في إبقاء التمرد العماني حياً، منسقين جهودهم مع المتمردين في اليمن الجنوبي في حين يبقون أنفسهم في الظل. ويعتقد العراقيون أن بمستطاعهم نفي التمويل سلاحاً وأموالاً وتدريبات. وقد تغير بغداد من تكتيكها نحو التخريب السياسي والإرهاب في شمالي عمان، متذرعين بإمكانية عودة المتمردين إلى حرب العصابات عندما يعود الإيرانيون إلى بلدهم.

إن كانت اتفاقية الجزائر هي المحك في العلاقات العراقية الإيرانية، ستنهي بغداد دعمها للانفصاليين الإيرانيين. ففي وقت راعت بغداد جبهة تحرير خوزستان لإثاره مشاعر انفصالية ضمن العرب الإيرانيين وجبهة التحرر البلوشية للقبائل البلوشية القاطنة في جنوب شرقي إيران. كما إن العراق تدخل في الشؤون البلوشية في باكستان.

العواقب بالنسبة لسوريا

68. سيكون تعامل بغداد مع سوريا موضع رقابة تامة. حالياً العلاقات بين الاثنين في أسوء مايكون. إضافة إلى العداء التاريخي بين البلدين، لدى دمشق وبغداد التنافس في الإدعاء بزعامة الحركة البعثية. كما ان خبر الإتفاق العراقي الإيراني لم يكن موضع ترحيب

دمشق: تفضل سوريا رؤية بغداد منهمكة مع الكورد. يتوقع السوريون تصعيد العراقيين الهجوم الدعائي ضد مشاركة سوريا في مفاوضات السلام في الشرق الأوسط وأنها تشعر أكثر استعداداً في قلب النظام السوري.

69. يبدو أن لدى السوريين مايبرر القلق. ففي وسط شهر أذار علق بشكل خفي موظف هام في حزب البعث العراقي من ان اتفاقية الجزائر تحرر بغداد لمتابعة عدد من الخطط لتحقيق أهداف ضمنها إيجاد حكومة جديدة في دمشق عقانديا أكثر انسجاما مع بغداد. وتنبأ الموظف تصعيد في عمليات التخريب والتجسس ضد الحكومة السورية.

70. في بداية نيسان/أبريل، برز موضوع سابق، عندما حمّل العراقيون دمشق خرق اتفاقية بتحويل المياه من نهر الفرات. نفى السوريون التهمة لكنهم أوضحوا في الخفاء أنهم اتخذوا الخطوة تلك لتحذير بغداد لكي تتوقف عن التدخل في الشؤون السورية المحلية. وقبل بضعة أسابيع قبضت السلطات السورية 250 – 300 من أعضاء حزب البعث المحليين بتهمة التآمر مع العراق لطرد الرئيس الأسد.

المملكة العربية السعودية

71. الاتفاقية تمنح الزعامة الجديدة في الرياض حرية أكثر لنشدان علاقات أفضل ومعقدة مع إيران. في العام الماضي خلال فترة التوتر بين طهران وبغداد، كان العراق يجد من السهل انتقاد مثل هذا التحرك من قبل السعوديين كمؤشر غير ودي تجاه التضامن العربي. وعلى رغم المؤشرات في حرارة العلاقات العراقية السعودية – صدام حسين والأمير فهد كما قبل سيتبادلان قريباً الزيارات وتسوية مشاكل الحدود – السعوديون يخشون من ان العراق الذي تحرر من التورط الكوردي، هو الآن قادر على تركيز انتباهه نحو شؤون الخليج الفارسي.

رهان مصر

72. إن دور مصر في تأمين الاتفاق العراقي الإيراني يهدف إلى بذل جهود أكثر لتحسين علاقاتها مع طهران وبغداد. فالسادات يعتمد بشكل كبير على المساعدات الاقتصادية لكلا البلدين، بالأخص إيران. وأكثر من هذا يعتبر إيران شريكاً هاماً والعراق هدف رئيسي لمساعيه لإدخال عنصر الاعتدال في الشرق الأوسط.

73. كان النزاع الإيراني العراقي عامل معرقل كبير أمام مساعي الاثنين. شعر السادات دون ريب إن علاقاته الجيدة مع طهران تهدد المساعدات العراقية وتعرقل مساعيه في إيجاد الاعتدال على معارضة العراق لمفاوضات السلام بين العرب واسرائيل. وأياً كان، مادامت طهران متخاصمة مع دولة عربية، تكون مصر معرضة للنقد من الراديكاليين لعلاقاتها الجيدة مع إيران. كما ان السادات على أتم العلم من أن تسوية مشاكل العراق مع إيران ونهاية الحرب الكوردية يحرر القوات العراقية وستتمكن من المشاركة في حرب شرق أوسطية أخرى. وربما لديه أمال من إن تحسين العلاقات مع بغداد سوف يقنع العراقيين بالمشاركة في حظر النفط حالة اندلاع الحرب. (رغم اللغو، بغداد لم تذعن كثيراً لقرار حظر الأوبك عام 1973.)

74. وأياً كانت أمال السادات، لا يبدو ان بغداد ستعوض جهود وساطة القاهرة بتبني موقف مرن ضد مفاوضات العرب مع إسرائيل. إذ تجد بغداد فائدة في موقفها المتصلب في حين لا يترتب عنه سلبيات حقيقيه. على الأقل مادامت المفاوضات متعثرة. وقد يحسب العراقيون ان بإمكانهم الانضمام إلى الفريق المفاوض عند الشعور بتحقيق تقدم بشأن التسوية.

75. في الوقت الراهن العراقيون متحالفون مع مجموعات الفدائيين الرافضين المشاركة مع منظمة التحرير الفلسطينية في المفاوضات، بل يفضلون القيام بالدور المعاكس. ويبررون هذا الموقف، بكونه يضعهم في طليعة العالم العربي – الصفوة التي لا تقبل المساومات مع العدو. وفي حالة تخلى مصر أو سوريه عن المنحى السلمي للتوصل إلى تسوية، سيسارع العراق إلى القول للعرب الأخرين بأن موقفه هو صائب. وستقوم بغداد باستغلال وتسخير الراديكالية المتوقعة في الرأي العام العربي ضد إسرائيل والغرب.

الأمال الجزائرية

76. نظراً لدوره في ترتيب اتفاقية الجزائر ورغم بعده عن خط الجبهة،لاريب يتوقع بومدين استلام مساعدة مالية ودعم سياسي لمقترحاته بشأن نظام اقتصادي جديد. ويحتاج للمال من أجل تمويل خطة التطوير الطموحة للسنوات الأربع، وتفيد التقارير أن الجزائر طلبت 50 مليون دولار من العراق وربما حاولت أيضاً مع إيران. وفي الشؤون الدولية، يأمل بومدين من العراق وإيران دعم أرائه بشأن المناقشات حول البترول مع

المستهلكين لتشمل إطار جميع المواد الخام - وليس فقط البترول. وإخضاع الأسعار النفطية لنسبة معدل التضخم العالمي. وعلى جميع الدول النامية العمل على تحول راديكالي في النظام الاقتصادي العالمي في شهر سبتمبر القادم خلال الدورة الخاصة السابعة للهيئة العامة للأمم المتحدة."

انتهى تقرير وكالة المخابرات المركزية

الجزء الأول

اندلاع الحركة برأسين وبرنامجين
إنشقاق مبكر
إنحطاط القيم الثورية لدى الزعماء

الجزء الثاني

إجهاض ديناميكية المجتمع الكوردي
الإستقواء بالخارج وإفساد الجبهة الداخلية
مشروع الوراثة الهدام

الهدف من هذا الكتاب هو سرد حقائق لشعبنا الذي حرّم من حقه المشروع في معرفة الأسباب الحقيقية لانهيار الحركة الكوردية وكيف تصرف القادة في لحظات التاريخ الحاسمة. هذه الوقائع التاريخية الهامة طبعت بصماتها العميقة على جميع مناحي الحياة الكوردية ولأجيال متعاقبة. وتشكل جزءً هاماً من تاريخنا الحديث الذي تعرض لتشويه واسع ومستدام.

يتناول الجزء الأول من الكتاب الحالي التطورات الداخلية المأطرة للانتفاضة الكوردية ورسوخها لأعوام. والجزء الثاني مخصص للعلاقات الدولية في أوج الحرب الباردة وعدم تناغم الوضع الداخلي للحركة الكوردية وعلاقاتها الخارجية. حيث يدور صراع دبلوماسي هائل بين موسكو و واشنطن على منطقة الشرق الأوسط. وصراع مكمل بين عواصم الدول الإقليمية بغداد وطهران وتل أبيب وكيف تصرفت الزعامة الكوردية وسط هذه الصراعات ومع إدارة اللاعبين الدوليين والإقليميين وآخرين ممن أسهموا في بلورة هذا الصراع الذي انعكست آثاره على الحركة التحررية الكوردية بقيادة ملا مصطفى. وكل هذا مبني على أرشيفات حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بشكل رئيسي وعلى ما تيسر لي من مصادر سوفيتية، إيرانية، عراقية، إسرائيلية وكوردية وشهادتي الشخصية على الأحداث في تلك الفترة.

Editions Orient - Réalités
Case postale 1150, CH-1211 Genève 1 - Suisse



ISBN: 9782940325030